

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ
وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يُنْكَرُونَ وَلَوْ أُولُوا لِبَابِ

الْمَلَأَتْهُمُ

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ
الْقَوْلَ لَيُثْبِتَنَّ أَفْسَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا لِبَابِ

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام ضوى « وضاء » كذا الطريق

جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠ هـ برج الميزان سنة ١٣١١ هـ ش ٣ أكتوبر سنة ١٩٣١



فاتحة المجلد الثاني والثلاثين

General Organization of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Bibliothèque

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وأفضل صلاته وأزكى تسليمه على
رسوله خاتم النبيين محمد المصطفى ، وآله وأصحابه الاصفياء الحنفاء ، وعلى كل
من اتبع هدايتهم واقتفى

أما بعد فاني كاشفت قراء المنار بسبب صدور الجزء الاخير من المجلد الحادي
والثلاثين في آخر شهر صفر ، واستصرختهم لاداء حقوقه المطولة منهم ، متقوصا
منها خمسا فنصفها ، لثلا تضطرنني العسرة والغرامة الى ترك اصدار المنار في هذا العام ،
فلم يرسل أحد منهم درهما ولا دينارا ، ولم يرجع الينا وعداً ولا اعتذاراً ، ولا
عجب فان غيرة جميع العالم الاسلامي على مساعدة الاصلاح الديني لا تزن غيرة
يهودي ولا نصراني واحد . واني قد حبست نفسي هذه الثلاثة الاشهر على اتمام
تاريخ الاستاذ الامام لم اكتب فيها غيره فانا اجعل فاتحة تصديره ومقدمته فاتحة
للمجلد الثاني والثلاثين ، وعسى أن أجد من ثمنه ما أثق منه على إصدار المنار ،
وحسب الماطلين الهاضمين لحقه الخزي والعار ، وما بعده من عذاب النار . ولا
قبل بعد صدور هذا الجزء حقنا الا تاما لا نعفو عنه شيئا ، ولا نشكو هاضمية
الا الى الله عز وجل . وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا

تصدير التاريخ

بيان كنه التجديد والاصلاح الذي نهض به حكيم الشرق والاسلام
(وشيخنا الاستاذ الامام ، ووجه الحاجة اليه ، ووجوب المحافظة عليه)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ
أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥: ٢٧) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠: ٧) وَلِلَّهِ
الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ
مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠: ٣)

جرت سنة الله تعالى في أفراد البشر أن يؤتيهم قوى المشاعر الحسية والمدارك
العقلية بالتدرج حتى يبلغ احدهم أشده ، ويستكمل رشده ، ويستقل بنفسه بالعلم
والعمل والتجارب، وجرت سنته في الشعوب والامم أن يمنح كلا منهم من هداية
الوحي في كل طور من أطوار حياتهم الاجتماعية ما هو مستعد له وصالح لحاله
وزمانه ، على مثال سنة التدرج في الافراد ، إلى أن استعد النوع البشري في جملته
ومجموعه لفهم أعلى هداية إلهية لا يحتاج بعدها إلا لاستعمال عقله في الاهتداء بها، في كل
زمان ومكان بحسبهما، فوجه هداية القرآن، وختم النبوة برسالة محمد عليه الصلاة والسلام
ولما كان من طباع البشر أن يضعف تأثير الوحي في قلوبهم بطول الامد على
عهد النبوة فيفسقوا عن أمر ربهم ، ويتأولوا كتبه باهوائهم ، أنعم عليهم بما يعي
هداية النبوة فيهم، بأن يبعث فيهم بعد عصر النبوة مجددين ، وأئمة مصلحين، يرثون
الانبياء بالدعوة الى اصلاح ما أفسد الظالمون في الارض ، ويكونون حجج الله
على الخلق، وقد بشرنا نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المصلحين ، بأن الله تعالى يبعث

في هذه الامة على رأس كل مائة سنة من يحدد لها أمر دينها ، ليكونوا خلفاء فيها جدد من دين الله تعالى للامم كلها (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) إذا طال عليهم الامد ، قست قلوبهم ، وفسقوا عن أمر ربهم

إنما كان المجددون يبعثون بحسب الحاجة إلى التجديد لما أبلى الناس من لباس الدين ، وهدموا من بنيان العدل بين الناس ، فكان الامام عمر بن عبد العزيز مجدداً في القرن الثاني لما أبلى قومه بنو امية وأخلقوا ، وما مزقوا بالشقاق وفرقوا ، وكان الامام احمد بن حنبل مجدداً في القرن الثالث لما اخلق بعض بني العباس من لباس السنة ، ورشاد سلف الامة ، باتباع ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وتحكيم الآراء النظرية في صفات الله وما ورد في عالم الغيب ، بالقياس على ما يتعارض في عالم الشهادة . وكان الشيخ ابو الحسن الاشعري مجدداً في القرن الرابع بهذا المعنى ، وحجة الاسلام أبو حامد الغزالي مجدداً في أواخر القرن الخامس وأول السادس لما شيرقت نزغات الفلاسفة وزندقة الباطنية ، والامام ابو محمد علي بن حزم الظاهري في القرن السادس لما سحقت الآراء من فقه النصوص الشرعية - وشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مجددين في آخر القرن السابع وأول الثامن لجميع ما مزقت البدع الفلسفية والكلامية والتصوفية والالحادية ، من حلل الكتاب والسنة السنية ، في جميع العلوم والاعمال الدينية ، وحسبنا هؤلاء الامثال في التجديد الديني العام

وظهر مجددون آخرون في كل قرن كان تجديدهم خاصاً بمحصر في قطر او شعب ، او موضع كبير او صغير ، كابي اسحاق الشاطبي صاحب الموافقات والاعتصام في الاندلس ، وولي الله الدهلوي والسيد محمد صديق خان في الهند ، والمولى محمد بن يبر علي البركوي في الترك ، والشيخ محمد عبد الوهاب في نجد ، والمقبلي والشوكاني وابن الوزير في اليمن

وهناك مجددون آخرون للجهاد الحربي بالدفاع عن الاسلام ، او تجديد ملكه وفتح البلاد له ، وإقامة أركان العمران فيه ، وهم كثيرون في الشرق والغرب والوسط ، ورجالهم معروفون ، كبعض خلفاء العباسيين والامويين ، ومنهم

من جمع بين انواع من التجديد كالسلطان صلاح الدين الايوبي الذي كسر جيوش الصليبيين من شعوب الافرنج المتحدة ، وأجلاهم عن البلاد الاسلامية المقدسة وغيرها ، وأزال دولة ملاحدة العبيدين الباطنية من البلاد المصرية ، وكذلك فتح الترك لكثير من ممالك اوربة عرف فيها بمجد الاسلام

ضعف الاسلام السياسي ومملكه

ثم اتسع ملك الاسلام وزالت وحدة أحكامه بانقسام الخلافة إلى خلافتين فزوال كل منهما ، وكثرت دوله فتفرقت وحدة أمته السياسية إلى شعوب مختلفة في الاجناس والاطن، ووحدة ملته الدينية إلى مذاهب مختلفة في الاصول والفروع، فتمادوا في الدنيا والدين، وتقاتلوا على عصبيات الملوك والسلطين، فحق عليهم قول كتاب ربهم (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) فسلط الله عليهم أعداءهم فثلوا أكثر عروشهم، وانتزعوا منهم أكثر بلادهم (ذلك بان الله لم يك مغيراً نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله مهيي عليم (٥٣:٨) وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون (١١ : ١١٧) وكان يظهر في هذه الدول المتفرقة مجددون متفرقون في العلم كما تقدم وفي الادارة والعمران كحمد علي باشا بمصر - وفي الحرب كالامير عبد القادر في الجزائر ويعقوب بك في تركستان الصينية - وفي السياسة كمصطفى رشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا في الترك وخير الدين باشا في تونس - وفي ارشاد العامة والبدول للدين والدنيا كالسيد السنوسي

حال البشر الاخير وما يقتضيه من التجهيز

في أثناء هذا الضعف الاسلامي العام - دخلت الشعوب الافرنجية في طور جديد في الفتح والغلب والسياسة والعمران ، قوامه العلوم الكونية والفنون والصناعات والثروة والنظام، وتجدد فيهما من آلات الحرب وكراعها، وأسلحة القتال وعتادها، ما يمكن الجند القليل من إبادة جند يفوقه أضمافا مضاعفة في العدد والشدة والشجاعة في زمن قصير

واستحدث فيه من النظام ما يسهل به على أفراد ممن حذقوه ومردوا عليه

أن يسخروا لخدمتهم شعباً كبيراً غريباً عنهم في جنسه ولغته ودينه كما يسخرون
الانعام الداجنة والسائمة، والجرالموكفة والخليل السومة، فيذلون بالجماعات المذلة
منه الجماعات المتمردة، ويستنزفون ثروته كلها فيجرفونها إلى بلادهم التي نزحوا
منها فاتحين مستعمرين، ويتصرفون في قواه المعنوية، وروابطه القومية والدينية،
كما يتصرفون في حرثه ونسله، ولحمه ودمه، وأرضه وماله، وهكذا يتصرف
العلم بالجهل، والنظام بالفوضى

وابتدع فيه من مراكب النقل والتسيار، وآلات رفع الاثقال، وأجهزة
تبليغ الاخبار، ما مهد السبل لمبتدعيها ومتخذيها من كل ماأشرنا اليه من الاعمال
الحريية، والتصرفات السياسية، والوسائل الاقتصادية، وصارت المسافة بين القارة
والقارة، اقرب من المسافة بين بلد وأخرى من مملكة واحدة، وهو ماغير عنه
في الحديث النبوي بتقارب الزمان

اتسعت بذلك مسافة الخلف بين الشعوب في العلم والعمل ووسائلهما، واشتدت
الحاجة إلى تجديد الحياة في المتخلفة منها عن المتقدمة، لا ينهض بمثله أمثال أولئك
المجددين القدماء بالوسائل القديمة وحدها، ولا يطمح اليه صوفي يستمد قوته من
الاموات، ويتكل على الكرامات ويفتر بالمنامات، ولا يطمح في تذليل صغابه واقتحام
عقابه غريق في بحار النظريات العقلية، ومغترق الافكار بنظريات الفلسفة، ولا
يطلع ثناياه، ويحتلي خفياه، منقطع إلى كتب الشرائع، واستنباط أحكام الوقائع
ولا يتسامى اليه من تعلم العلوم والفنون المصرية تعليماً آلياً ليكون أحد العمال في
دائرة من دوائر الحضارة او ديوان من دواوين حكومتها.

إن هذا لبدع من الخطوب الكبرى غير عادي، لا ينبعث إلى تلافيه إلا بدع
من كبراء الرجال غير عادي: أم قوية بالعلم الجديد وثقن الحديد، والسلاح
الجديد، والنظام الدقيق في السياسة والادارة والذال، والتعاون بتوزيع الاعمال،
واستخدام قوى الطبيعة، تستلب ملك أم جاهلة، متفرقة متخاذلة، مختلة النظام،
مستعبدة للمستبدين، منقادة للخرافيين، وقد قذف في قلوبهم الرعب فكانوا
مصدق قول النبي ﷺ «يوشك أن تداعى عليكم الامم كما تداعى الاكلة إلى

قصتها»^(١) فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال « بل أنتم يومئذ كثير، ولكن غناء كغناء السيل ، وسينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن » قال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال « حب الدنيا وكراهية الموت »^(٢) فمن ذا الذي يضطلع بتجديد حياة هؤلاء الموتى ويحشرهم من قبورهم ألا ان الرجل الذي ينبعث إلى نفخ روح الحياة في شعوب هبطت إلى هذه الدرجات من الوهن ، وبعثها إلى مجاهدة ، ثم عرجت إلى تلك الدرجات من القوة يجب ان يكون ذا روح علوية ، أوتيت حظا عظيما من وراثته النبوة، في كمال الايمان، وصحة الالهام ، وعلو الهمة ، وقوة الارادة، وصدق العزيمة ، واخلاص النية ، وقوة الفراسة ، والزهد في الشهوات البدنية، واحتقار الزينة الخادعة، والزهد في الجاه الباطل وعدم الخوف من الموت، وان يكون ذو وقوف على حالة العصر، وتاريخ الشعوب الديني والسياسي ، وسنن الله في الاجتماع ، وفصل الخطاب في الاقتناع ، وقصاحة اللسان وبلاغة التعبير ، وقوة التأثير ، ثم يكون، ما يحذقه من سائر العلوم مددآ له في عمله

حكيم الشرق والاسلام

كذلك كان ذلك الروح العلوي النبوي، الذي تمثل للافغان في ناسوت بشري جلس في دروس العلم فحذق العلوم والفنون القديمة نقلها وعقلها في رضع سنين، وألم بالهند لتلقي مبادئ العلوم الاوربية فوقف على ما شاء منها في زهاء سنتين، ثم حج في سنة ١٢٧٣ ومكث في سفره زهاء سنة يتقلب في البلاد الاسلامية، لاكتناه أخلاقها وعقائدها الدينية ، واختبار احوالها الاجتماعية والسياسية ثم عاد إلى بلاده فانتظم في سلك حكومتها وهي ممزقة بالفتن الداخلية، وموبوءة بالدماسيس البريطانية، فكاد بتدبيره يخلص الامر فيها لأميرها محمد أعظم خان الذي بوأه مكان الوزير الاول عنده ، لولا ما عارض ذلك من الدماسيس الانكليزية ، التي تمددها القناطير المقنطرة من الجنيحات الاسترلينية ، والروبيات الهندية

- (١) تداعي بفتح الدال أصله تداعى أي يدعو بعضها بعضا ، والا كلمة بفتح الحين جمع آكل (٢) رواه ابو داود والبيهقي في دلائل النبوة من حديث ثوبان (رض)

واضطر بفشل أميره إلى هجر وطن ولادته ونشأته ، إلى حيث يمكنه
الإصلاح من أوطان أمته ، فمر بالهند فبالت حكومة الانكليزية بالحفاوة في
ضيافته ، مع احاطة عمالها وجواسيسها بمجالسه ، ومنع علماءها من الاتصال به ،
ولكنه نفخ فيمن لقيه من كبرائها روح الاستقلال ، والجرأة على كسر مقاطر
الاستعباد ، ثم كان يغذي ذلك الروح بالكتاب وتلقين الافكار ، لمن يلتقي من
رجالها في مصر وأوربة وسائر البلاد ، وبمقالات له في الجرائد نشرناها في المنار ،
وناهيك بالعروة الوثقى التي كادت تضرم نيران الثورة فيها ، وكان موقنا باستقلالها
من بعده ، حتى انه قال للشيخ عبد الرشيد التتاري : يا ولد انك ستصلي صلاة
الجنائز على القيصريّة الروسية ، وستحضر تشييع جنازة الامبراطورية الانكليزية
في الهند ، وقد تمت البشارة الاولى وظهرت بوادر الثانية في هذه الاعوام
وأغرب من ذلك أنه حمل تقريراً منه إلى جمعية سياسية سرية في عاصمة
الروسية رئيسها عم القيصر وقال له اذهب بهذه الرسالة وأوصلها إلى الفرانديك
فلان ، واعلم انك إما أن تقتل ، وإما أن تفوز وتنضم ، فأوصلها فقام الفرانديك لها
وقعد ، ثم أعاده بها إلى بلاد اليونان ليطعمها فيها باللغة الروسية ويرسلها إليه ، وعرض
عليه من المال ما شاء فلم يأخذ الا القدر الضروري ، واتي أهوالاً كادت تذهب بحياته
جاء هذا السيد مصر فنفخ فيها روح الحكومة النيابية ، وألف فيها الحزب الوطني
الاول لتقييد سلطان الحكومة الشخصية ، وغذى تلاميذه ومريديه بعشق الحرية
ووسائلها من العلم والكتابة والخطابة ، كما ارشد المسلمين منهم إلى الإصلاح الديني ،
والجمع بينه وبين العلم المصري وكان من أثر هذا ما شرحه هذا الكتاب
ذهب إلى إيران ، فنفخ فيها روح التجديد في السياسة والمران ، فما زال
يفعل فعله فيها بين قيام وقعود ، وهبوط وصعود ، حتى ظفرت بالحكومة النيابية
في عهد الشاه مظفر خان ، وما زالت تنتقل في أطوار التجديد والإصلاح
ثم انتهى إلى عاصمة الدولة العثمانية ، فأنشأ يرشد السلطان لوسائل الاستفادة
من منصب الخلافة الاسلامية ، ويجمع له كلمة الشعوب والمذاهب المختلفة ، حتى
انه اقنع كثيراً من علماء الشيعة المجتهدين بالاعتراف بخلافته وجعلها مناط الوحدة

٨ الأستاذ الامام - استعداد الفطري ونفخ الافئدة فيه من روحه المنار : ج ١ م ٣٢

الجامعة للمسلمين ، ولكن قرناء السوء خوقوا السلطان من النهوض ، هذه الجامعة ، فأعرض عنها . وكان السيد مع ذلك يبت هناك أفكار الاصلاح والتجديد ، الجامع بين الطريف والتليد ، إلى أن قضى نحبه ، ولقي ربه رحمه الله وقدم سره

الأستاذ الامام

أرأيتك هذا المصلح العظيم ، والمجدد الحكيم ، انه لم يظفر في شعب من الشعوب الاسلامية بمن يصلح أن يكون خليفة له ، ومتمم لاصلاحه بما يرجى به دوامه ، بعد أن وجه اليه الوجوه ، وعلقت بطلبه القلوب ، على كثرة من المصطبغين بصبغته ، إلا رجل مصر الشيخ محمد عبده ، لان منصب امامة الاصلاح والتجديد ، لا يرتقى اليه بوسائل الذكاء والتفكير والتربية والتعليم وحدها ، بل لابد فيه من الاستعداد الروحي والموهب الفطرية كما قررنا .

كان الشيخ محمد عبده سليم الفطرة ، قدسي الروح ، كبير النفس ، وصادف تربية صوفية نقية ، زهدته في الشهوات والجاه الدنيوي واعدته لوراثة هداية النبوة ، فكان زيتته في زجاجة نفسه صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار ، فسته . شعلة من روح السيد جمال الدين فاشتعل نوراً على نور (يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون)

اقرأ في الصفحة ٢٥ من هذا الكتاب كيف زار السيد للمرة الاولى هو وصديقه وأستاذه الشيخ حسن الطويل في خان الخليلي . وكيف كان أول حديثه معهما السؤال عن تفسير بعض آي القرآن وما يقول العلماء والصوفية فيها ، وانه بين لما قصور كل ما قالوه وجاء من عنده بخير منه ، وكيف أعجبا كلاهما بما قال ، ولكن الشيخ حسناخل على حاله ، لانه كان قد بلغ منتهى استعداده ، وكان أرقى علماء الازهر عقلا وعلماء وزهدا

وأما الشيخ محمد عبده فكان يشعر بان كل ما أصابه من حسن تربية الشيخ درويش ، ومن علم الشيخ الطويل والشيخ القصير " دون ما تسمو اليه نفسه ،

(١) المراد بالشيخ القصير احمد الرقاعي القصير القامة وكان اصلب الازهرين جهودا كما كان الشيخ الطويل اشد هم استقلالاً

ر. المع اليه عقله ، وتضطلع به همته ، وكان يطلبه بما استطاع من الوسائل فلا يجده ، ذلك ان روحه كانت مستشرقة لمعرفة ان الذي يصعد بها إلى سماء الوراثة النبوية في اصلاح البشر ، وتجديد أمر الدين الذي بشر به المصلح الاعظم ﷺ فاتصل بالسيد جمال الدين من ذلك اليوم حتى اقتبسه منه ، وكان خليفته فيه ، لكن من ناحية تربية الامة التي كان يتمنى قيام السيد بنفسه بها ، اذ لا يثبت إصلاح الحكومات بدونها ، لا من ناحية استبدال حكومة مستبدة بغيرها (راجع ص ٩٧٤) تلك الوراثة النبوية التي عبر عنها يوم موت السيد بقوله في رثائه الوجيه البليغ : « والدي أعطاني حياة يشاركني فيها علي ومحروس ^(١) السيد جمال الدين أعطاني حياة أشارك بها محمداً و ابراهيم وموسى وعيسى (ص) والاولياء والقديسين ، مارثيته بالشعر لانني لست بشاعر ، مارثيته بالنثر لانني لست بالآن بنائر ، رثيته بالوجدان والشعور لانني انسان أشعر وأفكر » اه بنصه تقريبا ^(٢)

هذه الوراثة هي التي أخرج الله تعالى بها محمداً عبده من خول تصوفه وخمود ازهريته إلى ميادين الجهاد في سبيل التجديد الديني ، والإصلاح الاجتماعي المدني ، يخوض غمرات الثورات ، وتتقاذفه أمواج الاسفار ، وتكافحه قنن الامراء المستبدين ، وجهالة حملة العاثم الجامدين ، من حيث بقي حسن الطويل نديده في التصوف والفلسفة قابعا في كسر بيته ، راضياً بخموله وراحة نفسه ، وان في الصلاة لراحة ، وان في العلم والذكر لراحة ، ولكن ثوابهما قاصر على صاحبهما ، وثواب الجهاد متعدد لكل من ينتفع به والانسان الكامل من يجمع بينهما

بهذا الروح العلوي كان يقول له أستاذه السيد جمال الدين وهو مجاور يلبس الزعبط : قل لي بالله أي أبناء الملوك أنت ؟ ذلك السيد الذي كان يخاطب الملوك المستبدين خطاب الاقران ، بل يهدد بعضهم ويمن على بعض فيقول للسلطان عبد الحميد انني لاجل أمرك قد عفوت عن شاه ايران ، ويقول له السلطان : بحق يخاف منك الشاه خوفا عظيما (٣)

(١) هما اخواه الذان يشتلان بالزراعة (٢) كنت كتبت العبارة من مذكرة له وفقدت المخطوب وبقي المحفوظ (٣) هذا لفظ السيد في ترجمة لفظ السلطان سمعه منه كثيرون في الآستانة

بهذا الروح العلوي كان يشرف من سماء إدارة المطبوعات بالسيطرة والسلطان على الحكومة المصرية من أعلاها إلى أدناها، فيأمرها وينهاها، متتداً أعمالها، مرشداً عملها، يخطيء لغتهم الكتابية فيضطرم إلى إصلاحها في ما هداه لتعليم، ويفند أعمالهم فيقيمهم على صراط العدل المستقيم، بل أزجج بمقالاته في انتقاد وزارة المعارف ناظرها حتى شكاه إلى رئيس النظار رياض باشا فما اشكاه، وكلم الرئيس الشيخ فأقام له البرهان على وجوب الإصلاح، وأقنعه بإنشاء المجلس الأعلى المقيد لاستبداد وزيرها في الأعمال، فنشأ برأيه. وكانت هو سكرتير ذلك المجلس وصاحب التأثير الأكبر فيه

بهذا الروح العلوي كتب ذلك الكتاب البليغ في سجنه وأعلن فيه عفوهُ عن وشوا به وأساؤا إليه على ما كان من احسانه اليهم، وجزم بما أعدت له العناية من المجد، وأعداً بأن سيفعل المعروف، وينفيث الملهوف... وكذلك كان

بهذا الروح العلوي كان هو الرأس المدبر في كل مجلس رسمي عين عضواً أمراً وفيه، كمجلس إدارة الأزهر، ومجلس الاوقاف الأعلى، ومجلس شورى القوانين، وتجدات ذلك في بيان أعماله فيها من هذا الكتاب، سافرة الوجه ليس دونها نقاب بل بهذا الروح العلوي كان أميره يكبره ويهابه، ويقول انه يدخل علي كئنه فرعون، وانما كان يدخل عليه كدخول موسى عليه السلام على فرعون، متوكئاً على عصا الحق، داعياً إلى الإصلاح والخير، ناهياً عن الاستبداد والبغي، كقوله له في مجلس تشريف المقابلة الحافل بالعلماء: ان مجلس إدارة الأزهر لا يعرف لسموكم أمراً عليه، إلا بهذا القانون الذي بين يديه، دون الاوامر الشفوية التي يبلغها عنكم، من لا يثق به المجلس تخلفته لقانونكم

تلك آيات بينات من حياة كل من الروحين على الانفراد. فما رأيك إذا اجتمع هذا الروح العلوي بذلك الروح الأعلى الذي أذكى سراج الوهاج، واتحدوا في عمل من الأعمال؟ ذلك ما كان من إصدارهما جريدة العروة الوثقى، التي لا نعرف في تاريخنا كلاماً بشرياً أبلاغ من مقالاتها في إصابة مواقع الوجدان من النفس،

التاريخ ، م : اشتراك الروحانيين في العروة الوثقى وتأثيرها الغريب ١١

ومواضع الاقتناع من العقل ، وتجرئة الضملاء على الثورة على الاقوياء ، والجهاد
لتحرير امتهم ، واستقلال بلادهم

فان سألت عن تأثيرها في رعب العظمة البريطانية ، وإثارة العالم الاسلامي
والشعوب الشرقية ، فانك تجد قصصها مبسوطا في هذا الكتاب ، بما يشبع هممتك
السياسية من إسهاب ، ويروي غلتك الادبية من إطناب ، (ص ٢٩٨ و ٣٠٣)
وانه ليس تلك الروايات الصحيحة ، والشواهد الصادقة ، كل ما أشرنا اليه في
هذا التصدير من آثار تلك الروح القدسية ، وتجديد الاصلاح المنقذ للامم والشعوب
من رق الفاتحين المستعمرين ، وظلم المستبدين القاهرين ، وجمود الفقهاء المقلدين ،
ودجل المتصوفة الخرافيين ، فاطلبه من هذا التاريخ فانه يقصه عليك مفصلا تفصيلا
فاقرأ أيها الغيور على قومه ووطنه فصلا فصلا ، وتدبر مقاصد فصوله مقصداً
مقصداً ، ثم اقرأ في الجزء الثاني لمقالات الامام الاجتماعية والادبية ، ولوائحه في
إصلاح التربية والتعليم ، ورسائله الدينية والادبية للملأء والادباء . ثم ارجع البصر
إلى الجزء الثالث واعتبر بتأثير وفاته في العالم الديني والمدني ، وتأمل إجماع كتاب
الامم والشعوب المختلفة الاجناس والاديان والآراء والافكار على تركته وتقديسه ،
او تدبر مقدمتنا لكل منهما - تعلم انه هو الامام الذي يجب اتباعه في تجديد الامة وإحياء
الملة ، وإيجاد المدنية الفاضلة ، ثم انظر ما اقترحت على مصر في خاتمة هذا الكتاب
لملك تكون من حزب الدعاة المصلحين ، وأنصار التجديد المستبصرين الذين قال
الله تعالى فيهم (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة
ونجعلهم الوارثين)

هذا ما توخيت التنويه به من هذا الضرب البديع من التجديد لحياة الشرق
على ما وصفت من التباين بينه وبين الغرب ، وما كان من تأثيره الذي يشبه خوارق
العادات ، كبراء الاكهم والابرص وإحياء الاموات ،

المجددون للوثنية والرجل

الا وإنه قد نجم في هذين القرنين قرنان او قرون من أدياء التجديد، بعضهم في إيران وبعضهم في الهند، وانهم إلامسحاء دجالون، ومتبشون كذابون، لبسوا على الناس لباس الاصلاح الديني، وتمثلوا لهم بالشكل الذي تصوره تقاليدهم لما ينتظرون من المسيح والمهدي، وانتحلوا لدعايتهم آيات، واخترقوا لانفسهم معجزات، فمنهم من ادعى النبوة، ومنهم من ادعى الألوهية، وقد اتبعهم فئام من المحرومين من مزايا الإنسان، الكافرين بنعمتي العقل والقرآن، الجاهلين لثبوت نبوة خاتم النبيين بالعلم والعقل، وان الله ختم به نزول الوحي، فزادوهم رجسا على رجسهم، وعبودية للاجانب على عبوديتهم، فكانوا دعاة وأنصاراً للمعتدين على استقلال بلادهم، المستعبدين لاقوامهم، فوالله لو عمت فتنتهم لاستولى الانكليز على بلاد فارس كلها، ولما وجد في الهند من يطالب الانكليز باستقلال، ولا بحق من الحقوق ولا عمل من الاعمال

أليس من مثار العجب الذي جاء بها ابو العجب^(١) ان يضع كل من أتباع هؤلاء الدجالين لانفسهم نظاما، ويجمعوا لبث نحلتههم أموالا، وينفروا للدعوة اليها خفافا وثقالا؟ فيكون لهم في كل واد أثر، وفي كل قطر ذكر، وينضوي اليهم بعض الملاحدة طمعا في أموالهم، لا إيمانا بمسيحهم او الهتهم؟

أوليس باوغل من هذا في أعماق العجب واولغ في احشائه أن يتخاذل العارفون بقدر حكيمة الشرق، وامامي الاسلام بالحق، عن تأليف حزب لتعميم اصلاحهما واستمرار تجديدهما، وأن يكون لجماعتهم نظام يكفل دوام سيرهم ومال يضمن نجاح سعيهم، ومدارس تربي الناشئة على منهاجهم، وأطباء يداوون أمراض الاجتماع بعلاجهم؟ على استقلال الفكر، وحرية العلم والرأي، وهداية الدين، وتوطين النفس على الجهاد لاعلاء كلمة الحق. واقامة ميزان العدل لتكون عزيمة لاتدين لاجنبي معتد، ولا لوطني مستبد؟

(١) ابو العجب الشعوذي وكل من يأتي بالاغاجيب

نعم ان ذلك لهجيب ! وان هذا لا عجب منه. ويشبههما في العجب أن المنتمين الى السنة من المسلمين أقل من المبتدعة تماونا وتناصرأ وعصبية ودعاية ؛ أفلا أنبتك بالسبب ، الذي ينتاشك من حيرة العجب ؟

ان حقيقة السنة والجماعة هي حقيقة الاسلام . وان الاسلام الحق هو دين توحيد العبودية والربوبية لله وحده . والحرية وعزة النفس تجاه ماسواه . واتباع رسوله وحده فيما بلغه عنه والعمل بمقتضى الوازع النفسي التابع للعقيدة ، والنظام الاجتماعي الذي تقرره الشريعة ، فلا تذلل نفس صاحبه بالانقياد لرئيس ديني ولا دينوي لذاته ، ولا لسلطان وراني أو تقليدي فيما وراء تنفيذ أحكامه .

وأما هذه النحل الباطلة والمذاهب المبتدعة التي أشرنا الى بعضها فأساسها العبودية والخضوع لفرد أو جماعة من البشر ، يقدم منحتها أشخاصهم ويرفعهم على نفسه وعلى سائر الناس وهم منهم ، ويوجب طاعتهم عند فريق وعبادتهم عند آخر . فتكافل هؤلاء يكون تاما شاملا لانه تعبدى ، وعصيتهم تكون أقوى لأنها وجدانية لا عقل للافراد ولا رأي للجمهور فيها .

ويرد علينا ههنا ان العقائد الباطلة والتعاليم الواطئة ، خير للجماعات وللشعوب التي تأخذ بها من العقائد الصحيحة والتعاليم العالية ، من حيث جمع الكلمة ووحدة الامة . ونرد هذا الايراد بقولنا ان العقائد الحق والتعاليم الصحيحة لا يقوم بها إلا أصحاب العقول النيرة والافكار المستقلة الذي آمنوا بها عن حجة وإذعان . وما تنازع هؤلاء مع المخالفين لهم إلا وكان لهم الرجحان . سواء أكن التنازع في الدين أو في الحكيم والسلطان ، وبهذا ظهر الاسلام على جميع الاديان .

وهذا الفريق فريق العقل واستقلال الفكر قل في جميع فرق المسلمين ببناء التعليم فيهم على أساس التقليد الذي يحتم على طالب العلم أن يقبل كل ما يقرره شيوخه بعنوان مذهبه وإن لم يكن منه ، سواء أعقله أم لم يعقله ، فان نازعه فيه حكم بكفره ، ولهذا صار أكثر المسلمين يقبلون البدع والخرافات مهما تكن المذاهب التي ينتمون اليها ، إذ ليست المذاهب فيهم إلا عناوين لعصبيات لها رؤساء يطاعون باسمها ، وأكثرهم يجهلون اصولها وقواعدها . ومن تلقى منهم شيئا منها فانما هو لفظ ينقله ولا يعقله ،

١٤ سبب قلة أنصار الحكميين من رجال الدين وكثرتهم في رجال الدنيا الخارج ١ م ٣٢

ولا يرجع اليه في فروع علمه ولا عمله ، ومن كان غير مستقل الفهم والعقل في عقيدته ، لا يكون مستقل الارادة في عمله . ومن نتائج هذا الخضوع ان صاروا خاضعين للمستبدين ، وظهراء للظالمين ، وان كانوا بملتهم كافرين

وأساس الاصلاح الديني والسياسي الذي قام به وعليه الاسلام ديننا ودولة وقامت عليه الدول القوية هو الاستقلال بنوعيه . وهو الذي دعا اليه الحكميان المجددان الافغاني والمصري ، وقد بينه الاستاذ الامام في رسالة التوحيد ، لهذا كان أنصارهما من رجال الدين هم الاقلين وخصومهما منهم هم الاكثرين . وكان أشد ما أنكروهما عليهما القول بوجوب الاجتهاد وتحريم التقليد - ويقابله أن كان أكثر المعجبين بهما والذين قدروهما قدرهما ، هم الذين نبغوا في المدارس المدنية العالية التي يسير فيها التعليم على منهاج استقلال الفكر وكذا من تلقى من بعض أهلها وعاشرهم على استعداد فيه فصار مستقلا . ثلثة من المدنيين وقليل من المعممين

ولو كان مادعا اليه الحكميان هو التجديد السياسي والمدني دون الديني لآلف له هؤلاء الانصار حزبا كبيرا منظما كما فعل سعد باشا من تلاميذهما بعدما

ولو دعا الاستاذ الامام الى نهضة دينية تقليدية صوفية لوجد من الازهرين وأهل الطرق من يؤسس له عصبية قوية يتبعها الالوف والوف الالوف في زمن قريب ، ولا سيما اذا أباح لنفسه أن يظهر لم تعبه الخفي ، ومعرفته بأسرار التصوف ، وغير ذلك من خصائصه الروحانية ، التي كان يعتقد وجوب كتمانها لانها غير طبيعية فإظهارها للمقيدين بالسنن الطبيعية فتنة لهم ، وفيها كثير مما يعد من الكرامات عندهم ، وقد نقلت هذا عنه في بيان رأيه في التصوف والصوفية .

يبد أن كلا منهما حكيم عاقل ، وان السيد جمال الدين رجل دين وان غلبت عليه السياسة . والشيخ محمد عبده رجل سياسة وأن غلب عليه الدين . بل هو أقرب من أستاذه الى الموقف الوسط بين رجال الدين والدنيا من المرتقين فيهما ، فقد كان في الازهر لا يعلم قوله قول ولا يغلب رأيه رأي . وكذلك كان بين الراقيين من رجال الدنيا كالوزراء والقضاة والمحامين والادباء والنشئين ، بل كان كذلك بين علماء الافرنج وساستهم ، وترى نموذجا من شهادات الجميع له في هذا التاريخ

خلاصة الخلاصة

في وجوب الجمع بين التجديد المديني والمدني

وحزب الاصلاح المعتدل

الذي يقوم به

وخلاصة ما أريد عرضه على قراء هذا التاريخ في هذا التصدير ان اصلاح الامة الاسلامية في أي شعب من شعوبها لن يكون إلا بالجمع بين التجديد الديني والديني. هذا ما صرح به الحكماء وجريا عليه بالعمل. وصرح لي به سعد باشا غول وقد نقلته عنه في النار. بل هذا ما يعتقده أهل الرأي الناضج من غير المسلمين، وقد صرح به الكثيرون منهم قولا وكتابة، كما يراه القاري، فيما كتبه بعضهم في تأييدهم. الاستاذ الامام وترجمتهم له من الجزء الثالث، وذكرت كلمات منها في الشهادات المعدودة لاشهرهم قبل خاتمة هذا الجزء.

فالجهد الذي يخوض غمراته دعاة الاستقلال السياسي والاصلاح المدني لا يتم لهم النصر فيه، ولا يتسقى أمره وثبت بوانيه، إلا بالتعاون والتظاهر مع دعاة الاصلاح الديني، وقد كثر جنده المستقلون في فهم الاسلام في الازهر وغيره من القطر المصري وفي سائر الاقطار الاسلامية وهم منذ سنين يفكرون في تكوين وحدتهم وتنظيم حزبهم، فاذا وجدوا من زعماء الاحزاب المدنية رغبة في الاتحاد بهم والتعاون معهم، ظهر هؤلاء من قوتهم في الرأي، وتأثيرهم في الشعب، بألسنتهم الخطابية، واقلامهم الكتابية، ما لم يكونوا يحسبون،

واختصر في هذا الموضوع هنا لانني قد وفيت حقه في خاتمة الكتاب بما ليس وراءه مزيد، إلا اذا ظهر الاستعداد له وانتقل إلى حيز التنفيذ

راجع الخاتمة، واجمع بينها وبين هذه الفاتحة، وأما الاعمال بالخواص (ومن يعنهم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم)

﴿ وكتبه محمد رشيد رضا في سلخ جمادى الاولى سنة ١٣٥٠ هـ ﴾

﴿ المواد المهمة التي اعتمدنا عليها في كتابة هذا التاريخ ﴾

- (١) ما كان شرع فيه الاستاذ الامام من ترجمة نفسه بخطه .
- (٢) مذكرة بتاريخ حياته كتبها لي لاجملها أصلاً لخلاصة لتاريخه طلبت منه
- (٣) ما كتبه من تاريخ الثورة العراقية ومذكراته الوجيزة فيها
- (٤) مجموعة خطية له فيها بعض المستندات في عمله مع السيد جمال الدين في تأسيس جمعية العروة الوثقى السرية ونظامها . وبعض المكاتبات بينه وبين أعضائها
- (٥) مسودات مقالات ومكتوبات وتقارير كان يعطيني إياها لتبسيطها أو بسطها ونشرها في الجرائد أو إرسالها لبعض الناس ومنها ما هو خاص بالازهر
- (٦) مؤلفاته كلها وما اقتبسته من تفسيره ودروسه في الازهر
- (٧) جملة من المكتوبات والرسائل والقصائد التي كانت ترسل اليه وحفظها عنده
- (٨) مجموعة فيها حكم مقتبسة مشورة بخط السيد جمال الدين وخطه ومقالات له
- (٩) مقالاته الاصلاحية في جريدة الوقائع المصرية
- (١٠) مجموعة العروة الوثقى برمتها بخطي وخط بعض اخواني
- (١١) قوانين الازهر ولوائح التعليم فيه ومحفوظات أخرى في شأنه
- (١٢) كتاب اعمال مجلس ادارة الازهر
- (١٣) تقرير محمد بك ابو شادي في مسألة فتوى طعام اهل الكتاب
- (١٤) إرشاد الامة الاسلامية إلى أقوال الائمة في الفتوى الترانسالية لجماعة من أكابر علماء الازهر
- (١٥) مجموعة مجلدات المنار وما فيها من المقالات والآراء له وعنه وفي شأنه
- (١٦) عدة أجزاء من مجلة ضياء الخافقين فيها مقالات للسيد جمال الدين
- (١٧) مجموعات المجلات والجرائد المصرية التي نشرت ترجمة السيد وترجمته
- (١٨) كتاب الدفاع عن العراقيين لمحاميهم مستر برودي
- (١٩) ما كتبه لي أصدقائنا من تلاميذه ومريديه عن سيرته في سورية بعد النفي ورحلته إلى السودان وفي مدحه والدفاع عنه
- (٢٠) مذكراتي الخاصة ومكتوباته لي وما اقتبسته واستندته من معاشرته ٨ سنين

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ
صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٢٦ : ٨٣) أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٢ : ١٠١)

فإلك الحمد أن جعلت سير الاولين عبرة للآخرين ، ومننت على عبادك بمن
بعثته في الاميين ، يتلو عليهم آياتك ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا
من قبل لني ضلال مبين . محمد خاتم النبيين ، ورحمتك العامة للعالمين ، فصل وسلم
اللهم عليه وعلى آله وصحبه ، والمجددين لهديه واصلاحه من بعده ، حتى توث
الارض ومن عليها وأنت خير الوارثين

اما بعد فيقول محمد رشيد رضا صاحب المنار إن مصر لن تنسى ذكر الحكيمين
انجديد ، والامامين المصلحين ، السيد جمال الدين الافغاني ، والشيخ محمد عبده
المصري ، فطلاب الاصلاح الديني والاصلاح المدني والاصلاح السياسي ، لا يفتنون
يشيدون باسميهما على أعواد المنابر ، وفي اعمدة المجلات والجرائد ، ولا يزالون
يجعلونها مضرب الامثال ، ويتناقلون ما يؤثر عنهما من حكم الاقوال ، وجلائل
الاعمال ، بل ذكرهما الحميد معروف في سائر الشرق ، غير مجهول في عالم الغرب ، وان
لقب « حكيم الشرق » وانجب « الاستاذ الامام » لاصقان بهما ، وهغنيان عن تسميتهما
وقد أجمع العارفون والمدونون للتاريخ الحديث على انهما مصدر هذه النهضة
العصرية في مصر والافغان ويران والهند ، وهم يشعرون بالحاجة إلى وضع
تاريخ لما يدون سيرتهما ، ويفصل أعمالهما الاصلاحية ، ويرون ان ما كتب في
الصحف عند وفاة كل منهما ، وما ينشر فيها أحيانا من التنويه باصلاحهما ، نزر
يسير من أعمالهما وآرائهما النافعة . وعجب بعض المنكرين ان رأوا بعض الافرنج
يكتب في تاريخهما ما لم يكتب مثله أولادها وأحفادها من دعاة الاصلاح والتجديد
وينحون بأشد اللائمة على المصريين منهم عامة وعلى صاحب المنار خاصة إذ
كان أخص مريدي الاستاذ الامام وناشر علمه وحكمته . والمدافع عن اصلاحه

في عهده ومن بعده . وقد وعد بكتابة تاريخ له عقب وفاته . فنشر سقراً جمع فيه أكثر منشأته القلمية، وجزءاً جمع فيه أهم ما قيل وما كتب في تأييده وراثته، وهما هما الجزء الثاني والجزء الثالث من تاريخ الاستاذ الامام . وقد مر ربح قرن ونيف ولم يصدر الجزء الاول الذي هو التاريخ الحقيقي

أشهد ان لوم اللائمين لمصر على هذا التقصير حق . وانني بما يخصني من التريب علي لاجله وهو أكبره أحق . ورب لائم ملهم . ورب ملوم معذور . وها أنذا أنخص عذري بعد أن اعترفت بتقصيري . وبرئت من ذنبي بانجاز وعدي

توفي الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في إثر معارك من جهاده في الاصلاح ماصلي ناراها معه غيري . وحملت ما تصديت له من الضرر . غير متسائل ولا ضجر . وأما ما لذع قاي من نار فقدته فهو الذي لم يكن لي بحمله حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم كنت مهدداً بعده بالنفي من هذه البلاد كما هددت في آخر عهده . وقد وطنت نفسي على النفي وعزمت على السفر الى الهند . ولم أتحول عن خطتي قيد شعرة أعلنت عزمي على كتابة تاريخ للاستاذ الامام فلم ألبث أن بلغت عن الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان ان أصدقائه قد قرروا تأليف تاريخه بالتعاون بينهم وهم به أولى ، فقلت للمبلغ ان تأليف تاريخين لهذا الامام الكبير ، ليس بكثير ولا كبير . فليكتبوا ما عندهم وأنا أكتب ما عندي

ثم أرسل إلي عميد حزبه المدني وأقوى أركانه سعد باشا زغلول وكان عادمع شقيقه احمد فتحي باشا من أوربة ، فجئته فبلغني أنه هو واخوانه من مريدي الامام وأصدقائه يرون أن أتولى كتابة تاريخه . وأن يساعدوني بما لديهم من المواد والمعلومات . ثم يساعدوني على طبعه ونشره بالمال ، بشرط أن أطلعهم على عملي وأستشيرهم فيه ، فان كثيراً من سيرته رحمه الله كانوا يعدون متكافلين معه فيه . ويعدون من بعده مسؤولين عنه

فاجبته انني لست الا واحداً منكم بل أنا أصغركم ، ولا أستغنى عن مساعدتكم ومشاورتكم . ولا أحب الخروج عما ترونه من مصلحتكم . وفي إثر ذلك اجتمع بدعوة منه الشيخ عبد الكريم سلمان وحسن باشا عاصم ومحمد بك راسم وقاسم بك أمين والشيخ عبد الرحيم الدمرداش (باشا) وقرروا نذب أحد هم احمد فتحي باشا زغلول ليكون نائباً عنهم في التعاون والتشاور معي في العمل وبلغوا اجموده بك عبده ذلك ، وانه يرضيهم أن يعطيني ما عنده من مواد هذا التاريخ ، وانما اختاروه لذلك لانه أنشطهم وأقدرهم عليه وأكثرهم مودة وزيارة لي ، وطلاقة في حرية الكلام معي، وكان هو المتصل من جماعتهم بسمو الخديو ومحيطا بسياسته وسياسة الانكاز في الامور علما . وهما الجانبان اللذان يحسب لرضاها وسخطها كل حساب

وكان كل ما قدمه لي من المساعدة نسخ مقالات الاستاذ الامام الاصلاحية من جريدة الوقائع المصرية الرسمية إذ كان يقتني مجموعتها . وكان أول ما شاورته فيه مقالات جريدة العروة الوثقى وكانت كلها منسوخة عندي . فاما ما كان منها خاصا بالسياسة ومسالة مصر والسودان وتبسيط العالم الاسلامي والهند على الدولة الانكليزية فقد وافقته على تركه وعدم نشر شيء منه في منشأته لان الحرية في مصر لا تتسع لنشرها . وقد كانت العروة الوثقى متنوعة من مصر والسودان والهند لاجلها . وقد نشرت أهمها في هذا الجزء . وأعطاني حموده بك بعض المواد ومن أهمها ما كتبه الاستاذ من تاريخ الثورة العرابية

وأما المقالات الاصلاحية العامة التي بث الحكيمان فيها الدعوة الى جمع كلمة المسلمين واصلاح ذات بينهم . والتعاون على احياء مدينتهم بما تقتضيه وسائل هذا العصر . فقد اتفقنا على نشر أكثرها . وترك ما تعدد انكثرة تحريضها عليها منها . ولكنه أشار أيضا بحذف جمل من بعض المقالات ما وافقته عليها إلاكارها . وأيقنت اني لا يمكنني أن أكتب هذا التاريخ تحت مراقبته والتقييد بمشاورته بالحرية التي أريدها . وقد ساعدتني اللجنة بمبلغ من المال أعطيتها في مقابلة مئات من النسخ وزعها أعضاؤها بالجان ، وبيع بعضها بثمن بخس

فهذا ما حملني على التعجيل بجزء التأبين والرتاء والتعازي ثم بجزء المنشآت والتسويق بجزء الترجمة ثم التطويل في فصول تربية الاستاذ الامام وتعليمه منه بذلك الاستطراد الطويل في الكلام على حقيقة التصوف وما يوافق الكتاب والسنة وما يخالفهما منه واتفقنا على جعل ترجمة المنار للاستاذ الامام هي الاصل لجزء الترجمة في مواده مع بسطها والتوسع فيها . وقد قرأه هو ورتبه وأشار بالخبر الاحمر الى حذف بعض المسائل منه لمخالفتها لمقتضى الحال أو سياسة الوقت

وفي أثناء ذلك استقال لورد كرومر العميد البريطاني وخلفه السر ألدون غورست صديق سمو الخديو وكان ذلك في أوائل سنة ١٣٢٥ قبل أن تتم على وفاة الامام سنتان ، فكبر نفوذ سموه في الحكومة وضاعت بكبره سعة الحرية علينا ، وأعيد في عهده العمل بقانون المطبوعات فاقتنع أحمد فتحي باشا نفسه بارت كتاب تاريخ الاستاذ الامام كتابة حرة مفيدة صار متعذرا ، فاتفقنا على الوقوف عند ما كان قد تم منه وهو الى ٢٣٢ صفحة وهو المقدار الذي أطلعت عليه الشيخ عبد الكريم سلمان إذ رأيت شاكيا في بدئي بطبع الكتاب فاعترف بانه لا يمكن نشره

وجملة القول ان طبع هذا الجزء كان يسوء الخديو عباسا وإن لم ينشر فيه ما كان من مقاومته للامام في اصلاح الازهر والمحاكم الشرعية والاقواق حتى المساجد فان نشر هذا فيه كإبراء القاريء هنا فانه كان يبذل كل قواه في عقاب مؤلفه ، وما

كان أحمد فتحي باشا يرضى بذلك ولا سعد باشا أيضاً، ومكانهما في حكومة جنابه مكانهما وما انتهى عهد سموه إلا بسبب الحرب الكبرى التي جعلت الحكومة الانكليزية مصر في اثنائها خاضعة لاحكامها العسكرية وأعلنت حمايتها عليها، واشتدت مراقبتها العسكرية ومراقبة الحكومة المحلية بامرها على المطبوعات، واستمرت هذه المراقبة الشديدة الى ما بعد الحرب بزمان طويل

وانما سنحت الفرصة الاولى لاصدار الكتاب في العهد الاخير لسعد باشا في زعامة الامة ورياسة الحكومة واستقرار نفوذه في البلاد أي في سنة ١٣٢٥ هـ إذ لم يبق للانكليز من النفوذ القوي في هذا العهد ما يخشى أن تمكنهم من حمل الحكومة على مصادرتهم، على ان ثورة مصر قد انتهت ولم يعد ما في الكتاب من التحريض السابق يضيق على حريتهم. بيد أنه قد عاقني عن افتراض هذه الساخنة بالسرعة عدة عوائق منها انني كنت انتقلت من الدار التي طبعت فيها القسم الاول من التاريخ الى دار أخرى وتعذر وضع كل نوع من المطبوعات الكثيرة وحده فلم تقدر على العثور على المطبوع من التاريخ إلا بعد الانتقال الى دار المنار الجديدة ووضع كل كتاب من مطبوعاتنا في محل خاص به. وانما تم بعد وفاة سعد رحمه الله تعالى. وقد وجدنا بعض المطبوع تالفا وبعضه قد فقد، فاضطررنا الى اعادة طبع أكثرها وشرعت في اتمام الكتاب في أواخر سنة ١٣٤٨ وعرض لي موانع عن المضي فيه مدة سنة وعدت اليه في أواخر سنة ١٣٤٩ وكنت أقدره ثابتن كراسة (ملزمة) أو مائة، ثم كنت كلما شرعت في مقاصد فصل من الفصول أتذكر من واددوم مسائله ما كنت ذا هملا عنه حتى بلغ ما رآه القاريء، وقد صبرت تسمي بحبستها على كتابة ثلثة الاخير اربعة أشهر من هذا العام (١٣٥٠) لا اشرك به عملاً آخر حتى تم طبعه في هذه الايام، وبقي كثير من المواد والمستندات من تاريخه وتاريخ السيد جمال الدين ضاق عنها هذا الجزء فوعدت باثباتها في جزء الذيل الذي أضعه له ان شاء الله كيف كتب هذا التاريخ

كتب هذا التاريخ في أثناء سنين كثيرة وفترات بعيدة، وأوقات يختلف فيها الفكر والشعور باختلاف الاحوال، والالاء والاستعجال، ولم تكن مراده مجموعة مرتبة وانما جرت في ترتيب أكثرها على ما كتبه في المنار عقب وفاة الاستاذ الامام من ترجمته، ومنها ما ليس له ذكر في تلك الترجمة، ومن يجد القاريء فيه تكراراً لبعض المسائل عن سهو أو عمد، وربما تختلف فيه العبارة في المسألة الواحدة بعض الاختلاف في اللفظ كاختلاف الورق، ولا سيما المسائل التي اعتمدت في كتابتها على حفظي، وأرجو أن لا يكون فيها شيء من التناقض فأنني بفضل الله تعالى قوي الذاكرة للهواني

ولولا ان طال هذا الجزء حتى صار يثقل حمليه، وعطلت أهم أعماله لاجل اتمامه، مع سوء الحال، وقلة المال، لوضعت له خلاصة كلية ألخص فيها مقدمات كل مقصد من مقاصد فصوله ونتيجته، وأبين مواضع العبرة فيه على نحو ما ذكرته في أثنائه لبعضهم، كأن أعد ما كان عليه الازهر قبل تصدي الامام لاصلاحه من الصفات والاحوال واحدة واحدة، وأعد ما كان عليه شيوخه وطلابه من الصفات والعادات والاعمال صفة صفة وعادة عادة وعملا عملا، ثم أبين ما كان من تغير الاصلاح لبعض ما ذكر وأعد فوائده واحدة واحدة بعد واحدة، ومثله أن ألخص آراءه في التربية والتعليم فاعد المفاصد التي ذكرها في لوائح اصلاح التعليم في الدولة العثمانية وفي مصر، وما ذكره منها في خطبه في احتفالات مدارس الجمعية الخيرية، ثم أعد ما ذكره في تلك المواضع وغيرها من قواعد الاصلاح كلها وهي التي ادعو اليها، ولكنك أفعل هذا في كل فصل بل كل مقصد، وإذا لكانت الفائدة اتم والنفع أعم، وإذا أعذر على كتابة هذا فإني أوجه همة الراغبين في مثله أن يتولوه لانفسهم بانفسهم، ومن لا يعنيه ذلك فلا يهتم لقراءته. وعسى أن أوفق لهذا في الذيل الذي أرجو أن يكون هو المكمل له وقد جريت على سنن علمائنا المتقدمين من رواة الآثار المحدثين والمؤرخين في بيان آراء الاستاذ الامام وعاداته وشماله وأخلاقه بالصراحة والحرية والصدق، ومنها ما هو منتقد عندي على ما كان بيننا من الاتفاق، الذي يتندر أن يوجد مثله بين اثنين من الناس، وأما أعلم ان منها ما يكون منتقداً في نظر غيري وان كان صواباً عندي، ومنها ما ينتقد على نشره لان مثله غير معتاد، أولانه من مبالغاته التي ربما كان يقصدها التأثير الخاص، ككلمته في تحريف الفقهاء، وهذا نادر ومن أنعم النظر في فوائد هذا الاستقصاء رأى ان أهمها تمثيل حقيقة الرجل من كل ناحية كي يحيط القاري به خيراً، ويحكم عليه حكماً صحيحاً، فان الذين يترجمون الرجال بذكر محاسنهم ومناقبهم، وإخفاء هناتهم ومثالبهم. انما هم شعراء مداحون، لا مؤرخون حقيقيون.

فاذا رأى القاري انني على اعجابي بسعة علومه ورسوخه في معارفه التي كان بها جديراً بلقب الاستاذ الامام، الذي قبله وأجازته الرأي العام. أثبت انه كان مقصراً في علوم الحديث من حيث الرواية والحفظ والجرح والتعديل كغيره من علماء الازهر. وانني على اعجابي باخلاقه التي كان بها حقيقاً بزعامة الاصلاح والتجديد الامة والملة، صرحت بأنه كان كأستاذ لا يخلو من الحدة. ومما يقابلها من الضعف بشدة الرحمة، والمبالغة في الورع، المغربيين لصاحبهما بإشارهما على المصلحة العامة. وأنني على اعجابي بقوة تدينه وحسن تعبدده ومحافظة على تهجدته. صرحت بأنه كان يجمع بين الصلاتين في الحضر أحياناً ترخصاً اجتهداً بخالف فيه المذاهب الاربعة، ولكنه وافق حديثاً صحيحاً أخذ به غيرهم من الائمة

إذا رأى القارئ هذا وذلك أيقن أنني لم أكن محاييا له في هذا التاريخ، ولا سالكا فيه مسالك الشعراء، ولا انصار المذاهب وزعماء السياسة، الذين يصورون أئمتهم وزعماءهم صورا مكبرة مزينة بحجة بما يظهر محاسنهم ويخفي مساوئهم، أو يبدل سيئاتهم حسنات، وعلم أن كل ما انتقد على الاستاذ يصح أن يقال فيه « حسنات الأبرار سيئات المقرئين »، وأنني وأيم الحق لم أطلع له على عمل ينافي العفة والنزاهة ولا الورع والشرف، ولا هفوة تدل على كامن حقد أو حسد، فهو أكمل من عرفت من البشر. ومن أطلع على دخائل كثير من المشهورين بالعلم والتقوى، أو الحكمة والفلسفة، أو تاريخهم الصحيح رأى كثيرا من العجر والبحر. فما قولكم في زعماء السياسة وعشاق الرياسة؟

ولقد كنت داعية لزماته وامامته، وإنما كانت دعاية صدق ودين، وجهاد وجلاد، لزعامة تجديد واصلاح. لازمة رياسته وجاه، ومناصب ومال، وهل يتوصل العاقل المتدين الى الحق بالباطل، والى الاصلاح، بالكذب الذي مطية كل افساد، فيتعجل لنفسه الاجرام قهدا، لاجل ما يرجو لغيره من الاصلاح نسيئا؟ وقد سئل الاستاذ الامام أترجو أن تبني ثمر اصلاحك في حياتك؟ قال أستبعد هذا ولا أظنه، وحسبي أن يتم فيجنيه من بعدي

وحجة القول ان هذا الرجل اكمل من عرفت من البشر دينا وأديبا ونفسا وعقلا وخلقا وعاما وعملا وصدقا واخلاصا. وان من مناقبه ما ليس له فيه تد ولا ضرب، وابنه هو السري الاحوذى العبقري الحقيق بلقب « المثل الاعلى » من ورثة الانبياء في هذا العصور ان لم اطلقه عليه لانه على اطلاقه خاص بالله في نص كتابه، وقد ابتذله الناس في الخطب والجرائد حتى خرج عن معناه.

صنوف قراء هذا التاريخ

ألا وان قراء هذا التاريخ صنوف فمنهم طلاب الاصلاح والتجديد النافع للامة، مع المحافظة على مقوماتها ومشخصاتها التي تمت بها حقيقتها وامتازت من غيرها، وهؤلاء يشكرون لي عملي ويرون أنني أحسنت فيه وأصبت. ويعفون عما عساني أخطأت فيه أو قصرت، ويساعدوني على نشر الكتاب، لانه خير عون على اثارة الهمم، وتقوية الامل، والتنشيط على العمل. بل هؤلاء منا، من عرفنا منهم ومن لم يعرف

و يليهم المستعدون للإصلاح بسلامة فطرتهم وحسن نيتهم . ولكنهم غافلون عنه لفقد الباعث والمنبه ، وسيجدون في هذا التاريخ أقوى دعاية ، وأوضح هداية ، فلا يلبث قارئه أن يكون منا وينصرنا بقدر ما أوتي من همة واستطاعة .
ومنهم دعاة النهضة المدنية الوطنية اللادينية وسيجد المخلصون منهم ان امامنا امام لهم في جانب من جانبي اصلاحه ، وان الجانب الآخر ينفعهم ولا يضرهم ، فان الجامدين في التقاليد الدينية والانحرافيين فيها هم أعداء التجديد المدني ، فاذا صلحوا التقوا معهم في تعزيز النهضة الوطنية وتعاونوا معهم عليها ، مالم يكونوا دعاة للاتحاد لذاته . وقد كان المعاصرون منهم للحكيم الاقفاوي والامام المصري يدينون لزعامتهما ، وان لم يكونوا من مريديهما والمقتبسين منهما مباشرة . بل كان المخلص منهم لقومه ووطنه يعترف بفائدة إصلاحهما الديني وضرورته لإكمال النهضة المدنية ، والرابطة الوطنية ، كما ترى في تابين احرار النصارى وملاحدة المسلمين للاستاذ الامام

وأما الجامدون المصريون على التقاليد والانحرافات ، المطبوع على قلوبهم بما مردوا عليه من الخطيئات ، فقد يوجد فيهم من يلتمس لنا العثرات ، ويبدل حسناتنا سيئات ، ويكبر الصغير من الهفوات . ولا خوف على أنصارنا منهم فالحق يدمغ الباطل والنور يطرد الظلمات ، وانما ضررهم محصور في مقلداتهم من العوام الجاهلين الانحرافيين . يصدونهم عن قراءة كتبنا ، وما قرأها أحد وفهمها الا واتبعنا

ومن دون هذه الضنوف والطبقات صنف الملاحدة والزنادقة ، ودعاة الاباحة المطلقة ، وصنف اجراء الاجانب وأعوانهم ، وصنف المتملقين للظلمة المفسدين . وهؤلاء تحوت أدنياء لا يرجعون عن غيهم الا اذا صار للإصلاح دولة قوية غنية تستصلح هؤلاء بالرزق ، وتكبح شر أولئك بالقوة . وأما نحن فاذا خاطبونا قلنا سلاما . واذا مررنا بلغوهم مررنا كراما . ونسأله تعالى ان يجعلنا معهم ممن قال فيهم (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به . انه الحق من ربنا . إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون * واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم . سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين * انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين)

فتاوى المنار

(أسئلة من عالم راخو فتسا برزرين في يوغوسلافية - أوردية)

تأخرت سهواً وقد سبق لنا بيان أكثرها

(س ١ - ١٠) من الفقير العاجز يحيى سلامي ألابيكي إلى السيد الجليل
مأجراً الباحثين وملاذ الناقدين ، مفتي الانام ، شيخ مشايخ الاسلام ، الشيخ محمد
رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) الاغر الاعلى الاسلامي بمصر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد أتيت لي أن أسأل حضرتكم
عن حقيقة المسائل الآتية ذكرها وأسترشد بدلائلكم وإرشادكم إلى صحيح الجواب
الذي هو هدى القرآن والسنة النبوية

- (١) ما معنى قول الله عز وجل في حق ادريس عليه السلام (ورفعهنا مكانا
عليا) الآية ؟ هل ادريس في قيد الحياة ام لا ؟
- (٢) أكان معراج نبينا ﷺ إلى السموات وإلى ما شاء الله جسمانيا ام لا ؟
وما معنى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ...) ؟
- (٣) هل كان الطوفان على قوم نوح عليه السلام فقط او لجميع العالم ؟ وما
معنى قوله تعالى (واستوت على الجودي)

- (٤) ماهي حقيقة طير الابايل الواردة في سورة الفيل ؟
- (٥) هل جملة « من زار قبري وجبت له شفاعتي » حديث صحيح ام لا ؟
- (٦) « القناعة كنز لا يفنى » هل هي من الاحاديث الصحيحة الواردة ،
وما معنى القناعة ، أيمن أن يكون مفهومها الاقتصاد بتعبير هذا العصر ؟
- (٧) أتأكل الارض أجساد الانبياء والاولياء وحفاظ القرآن الكريم ، أم لا
كما هو مشهور عند العامة بعدم أكلها ، وقد روى الفقيه ابو الليث السمرقندي
في كتابه (تنبيه الغافلين) في « باب فضل الجمعة » حديثا مسندا بهذا الشأن

(٨) كيف كان النبي ﷺ يصلي الجمعة والخلفاء الراشدون بعده والاصحاب
والتابعون رضوان الله عليهم

(٩) رجل رضع ثدي امرأته ما حكمه في الشرع هل تحل له أم لا ؟

(١٠) « الجمعة » ما حكمها في الشريعة السمحة ؟

راخو فتسا (يوغوسلافيا)

[أجوبة المنار]

(١) رفع ادريس عليه السلام

قال الحافظ البغوي في تفسير (ورفعهنا مكانا عليا) : قيل هي الجنة وقيل هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا وقيل انه رفع الى السماء الرابعة . وروى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ انه رأى ادريس في السماء الرابعة ليلة المعراج اهـ وذكروا بعد هذا عن كعب الاحبار قصة اسرائيلية في رفعه وسببه وهي من قصصه الخرافية ومن رواها عنه ابن عباس رضي الله عنهما فلا يعتد بها قال العماد ابن كثير بعد ايرادها في تفسيره : هذا من اخبار كعب الاحبار الاسرائيليات وفي بعضه نكارة والله أعلم عزاه اليه الحافظ ابن حجر في الفتح أيضا واقول الاول وهو تفسير المكان العالي بالجنة مروي عن الحسن البصري وهو لا يعارض بحديث المعراج فان الانبياء الذين رآهم النبي ﷺ في ليلة المعراج قد ماتوا في أزمنتهم ودفنوا الا ماورد في عيسى عليهم السلام . وقد ورد أيضا ان النبي ﷺ رأى موسى في تلك الليلة في قبره بالكثيب الاحمر من فلسطين . فهذه امور روحانية غيبية لانعلم كنهها . وقد قل الله تعالى في الرسل عليهم السلام (ورفعه بعضهم درجات) والظاهر ان ادريس مات في الدنيا كغيره قال الحافظ ابن حجر في الفتح : وكون ادريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية

(٢) المعراج جسماني أم روحاني

الخلافاً في هذه المسألة مشهور يذكرونه في اقصية التي يقرءونها في الاحتفال الذي يجتمع له الناس في ليلة ٢٧ رجب من كل عام . والروايات فيه متعارضة

متناقضة ، والجمهور على أنه بالروح والجسد ، لان الانسان روح في جسد ، وفي اليقظة لان جمهور المحدثين حكموا بغلط رواية شريك في كتاب التوحيد من صحيح البخاري في كونه رؤيا منامية . وهي في أمر من أهور عالم الغيب فلا تقاس على عالم الشهادة ، والمقول في فهمها أن تكون الروحانية هي الغالبة على الجسمانية فيها ، فيكون الرسول ﷺ فيها كالملاك حين يتمثل في صورة جسدية كما تمثل جبريل للنبي ﷺ مراراً ، وكما تمثل للسيدة مريم عليها السلام ، وكما تمثل غيره من الملائكة لآبراهيم ﷺ ، وهذا التقريب يزول كل إشكال في فهمها ، فان الروح إذا غاب سلطانها على الجسد تلتطفه فيخف ويكون كالأثير الذي يفرضه علماء الكون في نفوذه من الكثائف ، وتقطع به المسافات الشاسعة بسرعة النور او امرع من الاثير ، نقول هذا على طريقة التقريب للفهم ، وعالم الغيب لا تعرف أسرارها ، وتتجلى أنوارها ، إلا لمن زج فيه ، وأما قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) فمعناه : وما جعلنا الرؤيا المنامية التي أرينا كها في المنام إلا بلاء واختباراً للناس في دينهم ظهر بها تمرد المشركين الكافرين ، وزلزال الضعفاء وبقين المؤمنين ، وليس في القرآن بيان لهذه الرؤيا أوضح من قوله تعالى من سورة الفتح (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق اتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) الآية . وذلك ان النبي ﷺ رأى في منامه انه دخل — ومعه أصحابه — المسجد آمنين فطافوا بالبيت وحلقوا وقصروا ، وكانت هذه الرؤيا سبب عمرة الحديبية المشهورة ، فصددم المشركون عن دخول مكة وعقدوا معهم ذلك الصلح الذي ساء جمهور المسلمين ، وكادوا يعصرون الرسول ﷺ إذ أمرهم بالتحلل من عمرتهم بالحلق أو التقصير ، ثلوا أن ثبتهم الله تعالى وأنزل عليهم السكينة . وهذا التفسير للرؤيا رواه ابن مردويه عن ابن عباس (رض)

ولكن هذه الواقعة كانت سنة ست من الهجرة ، والآية في سورة الاسراء وهي مكة ، فقبل ان الله تعالى أراه ذلك وأخبره به في مكة ثم كان تأويله بعد الهجرة ، وكثيراً ما يقولون في مثل هذا ان الآية مدنية ووضعت في هذه السورة لمناسبتها لها ، وهو على الوجهين خلاف الظاهر

وقسرها بعضهم بالرؤيا التي ذكرت في سورة الانفال (إذ يريدكم الله في منامكم قليلا ولو أراكم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم) وما ورد في سياقها في الحديث من ان الله أرى نبيه ﷺ مصارع رؤسائهم في الكفر، وهذه كانت بعد الهجرة أيضا ولكن ورد انه ﷺ ذكرها في مكة قبل الهجرة فبهزيء به كفار قريش، وفي الصحيح ان سعد بن معاذ أتى مكة عقب الهجرة وقبل وقعة بدر قتل على صديقه في الجاهلية أمية بن خلف وكان مما أخبره به قوله : لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول انهم قاتلوك - يعني المسلمين - قال بمكة ؟ قل لا أدري ففرع أمية لذلك فرعاً شديداً . وفي رواية انه قال له انه قاتلك - يعني النبي ﷺ - وان أمية قال : فوالله ما يكذب محمد . ولما دعاهم أبو سفيان للخروج إلى بدر امتنع أمية من الخروج خوفاً من القتل لاعتقاده ان النبي ﷺ لا يكذب وإن أخبر عن المستقبل !، فما زال به أبو جحل حتى خرج وقتل .

وقسرها الجمهور بما جاء في حديث الاسراء من افتتان بعض الناس به يارتداد بعض ضعفاء الايمان وخوض المشركين في اخباره ﷺ بما هو غير معقول خلافاً لعادته ، واحتج به من قالوا ان ذلك كان رؤيا منام، ورواه ابن اسحاق عن معاوية بن أبي سفيان، وهو صريح رواية شريك في البخاري، والجمهور على خلافه . وقد حكوا بغلط شريك لشذوذه عما رواه الكثيرون كما تقدم . وقالوا ان لفظ الرؤيا قد يطلق على ما يرى في اليقظة ليلاً وقيل مطلقاً ولا يعرف له نقل ، الا ما روى البخاري عن عكرمة عن ابن عباس في تفسيرها : انها رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به . واللفظ صريح في أن المراد بها شيء اراه الله تعالى إياه في تلك الليلة لانفس الاسراء ، ولهذا قال الحافظ في شرحها انه لم يصرح بالمرئي ، وذكر عن سعيد بن منصور من طريق أبي مالك : هو ما أري في طريقه الى بيت المقدس ، أي ومنه انه رأى غيراً لم قد ضلت وجهها فلان ، فالاشكال في هذه الرواية محصور في إضافة الرؤيا إلى العين وهو خلاف استعمال القرآن والاحاديث الكثيرة وما نقل رواة اللغة . والآية ضريحة في أن هذه الرؤيا كانت فتنة للناس لا بعض ما شاهده ﷺ في ليلتها . وهذا المكان لا يتسع لتحرير هذا البحث

وفسرها بعضهم بما روي من رؤيته عليه السلام كأن بني أمية يتعاورون على منبره وقد كان ملك بني أمية مشار أكبر الفتن في الاسلام . وقد عرفت رأي الجمهور

(٣) طوفان نوح

ظهر القرآن انه كان على قوم نوح فقط لانه عقاب لهم ، وهل كان يوجد على الارض غيرهم من البشر حتى يكون لهذا السؤال وجه من النظر ؟ قد يقال انه لم يكن يوجد غيرهم بدليل قوله تعالى (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً) وهذه الدلالة غير قطعية فان كل قوم يطلقون لفظ الارض على أرض وطنهم كقوله تعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) فالمراد بالارض هنا أرض مكة ولهذا أمثال

والتحقيق في المسألة انه ليس في القرآن نص قطعي على ان الطوفان عم الارض كلها ولكنه هو الذي جرى عليه المفسرون وغيرهم بناء على انه ظاهر الآيات في القصة كان عليه جميع أهل الكتاب ، ولا يوجد دليل قطعي ينقض هذا الظاهر الظني فنحتاج إلى تأويله وما يقوله علماء الجيولوجية قد يرد على نصوص التوراة التي تحدد تاريخ نوح والطوفان بمقد قريب ، اذ يجزمون بان الارض كانت فيه على ما هي عليه اليوم بالتقريب ، والقرآن لم يحدد تاريخ التكوين والبشر بمضعة آلاف من السنين كسفر التكوين بل قال الله تعالى فيه (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) فعلى هذا يحتمل أن يكون الطوفان قد وقع منذ مئات الالوف أو ألوف الالوف من السنين ، إذ كانت اليابسة التي نشأت في الكرة المائبة صغيرة والجبال فيها قليلة غير شامخة ، فطبيعتها كانت قابلة لمثل هذا الطوفان ، وجاء في المواقف عن الامام الرازي ان هذه الارض كانت مغمورة بالمياه بدليل ما يرى في رؤوس الجبال من الاصداف البحرية ، وكذا الاسماك المتحجرة ، وهذا متفق عليه عند علماء الكون في هذا العصر . والجودي السكان او الجبل الذي استوت عليه السفينة ، وليس في الكتاب ولا في الاحاديث المرفوعة تعيين مكانه لان العبرة لا تتوقف عليه وللاستاذ الامام فتوى في أن عموم الطوفان هو ظاهر النصوص لا مدلولها

المنار: ج ١ ص ٣٢ حقيقة الطير الابابيل حديث من زار قبري - والقناعة كنز ٢٩

القطعي ، واننا لا نعدل عن القول بالظاهر إلا إذا قام دليل قطعي على خلافه ،
ولما يقيم هذا الدليل عندنا وهذه الفتوى منشورة في المنار وفي تاريخ الاستاذ الامام
(٤) حقيقة الطير الابابيل

ليس عندنا دليل نقلي عن الله ولا عن رسوله (ص) نعرف به حقيقة تلك
الطير ولكن جاء في الاخبار التاريخية التي كانت العرب تقناقلها ان اصحاب الفيل
الذين جاؤا لهدم بيت الله تعالى في مكة اصابهم واء الجدري والحصه فأهلكهم .
والظاهر ان تلك الطير الابابيل أي الجماعات هي التي حملت اليهم جراثيم هذا
المرض بصفة وبائية إذ رمتهم بحجارة من سجيل وهو الطين المنحر ، وقد روي
انها جاءت من البحر فيظهر انها كانت ملوثة بسم المرض من مستنقع في شاطئه
فأصاب ابدانهم من جروح أحدثتها بها او كانت فيهم ، واختلطت بطعامهم
وشرابهم . وجوز شيخنا في تفسير السورة أن تكون تلك الطير من الاحياء الصغيرة التي
تسمى في عرف أطباء هذا العصر بالميكروبات فراجعوا عبارته في تفسير (جزء غم)
(٥) حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي »

رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب عن ابن عمر وكذا ابن خزيمة ،
وفي سنده عبدالله ابن عمر العمري ، قل أبو حاتم مجهول ، وموسى بن هلال
البصري قل العقيلي لا يصح حديثه . ولهذا قل ابن القطان فيه ضعيفان وقال
النووي ضعيف جداً

(٦) « القناعة كنز لا يفنى »

يروي بلفظ « القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى » رواه الطبراني في معجمه
الواسط . وقال الحافظ الذهبي سنده ضعيف وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله
بن عمرو « قد أفاح من أسلم ورزق كفافاً وقنع به الله بما أعطاه » وفي معجمه عند
ترمذي والنسائي في المستدرج من حديث أنس بن عبيد بن أسود بن هذيل في
الاسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به « مستدرج » ترمذي . وأما ما تضمنه صحيحه
عبارة عن رضا الأنس بما يتيسر من الرزق قلناه كثيراً وعدم صحه في المس

له ولا امتدثر افعلمنا في أيدي الناس . هذا هو التحقيق ، واقتصر بعض العلماء في تفسيره على الاجتزاء باليسير من اعراض الدنيا لان من رضي بالقليل كان بالكثير أرضى ، وقد يكون الاقتصاد في المعيشة سبباً للقناعة بل قال أبو حامد الغزالي في الاحياء : الاقتصاد في المعيشة هو الاصل في القناعة ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه اه (٧) أجساد الانبياء والصالحين بعد موتهم

ان سنة الله تعالى في اجساد البشر واحدة في حياتهم وموتهم وانما يمتاز الانبياء على غيرهم بما هو خاص بمعنى النبوة وما يتعلق بها لقوله تعالى لرسوله (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) الآية . وقوله له تلقينا لجواب طلاب الآية منه (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً) ومن ثم يذكر العلماء في كتب العقائد انه يجوز على الانبياء طرء الاعراض البشرية عليهم من المرض والتعب والجوع والعطش والنوم والموت والقتل لان ذلك لا يخل بوظيفة الوحي ولا بالتبليغ له ومثلها فناء الجسد ولكن ورد في غير الصحاح أحاديث آحادية في ان أجساد الانبياء عليهم الصلاة والسلام لاتأكلها الارض ، أمثلها حديث أوس بن أوس في فضل يوم الجمعة الذي فيه ان الصلاة عليه ﷺ تعرض عليه . قال أوس : قالوا يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرميت - يعني بليت - قل « ان الله عز وجل حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء » رواه أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي والبيهقي في الشعب وفي رسالته (حياة الانبياء) وغيرهم وقد صححه بعضهم وحسنه آخرون منهم المنذري . لكن قال الحافظ السخاوي بعد أن أورد تصحيحهم وتحسينهم مانصه : (قلت ولهذا الحديث علة خفية وهي ان حسيناً الجعفي راويه أخطأ في اسم جد شيخه عبد الرحمن بن بديد حيث سماه جابراً وانما هو تميم كما جزم به أبو حاتم وغيره وعلى هذا فابن تميم منكر الحديث ولهذا قال أبو حاتم ان الحديث منكر ، وقال ابن العربي انه لم يثبت . لكن رد هذه العلة الدارقطني وقال ان سماع حسين من جابر ثابت وإلى هذا جنح الخطيب والعلم عند الله تعالى وهناك أحاديث أخرى ثلاثة منها بمعنى هذا الحديث ولكنها دونه في السند ومنها ما هو في تبليغ الملائكة إياه ﷺ صلاة من يصلي عليه وقد تكامنا عليها

أواخر المجلد الثامن من المنار (صفحہ ٩٠٣ - ٩٠٩) وقد قلت فيها إنها في
عها تدل على ان الانبياء أحياء في البرزخ ولكن هذه الحياة غيبية لا نعرف
بقتها وليست هي كالحياة في هذه الدنيا كما حققه ابن القيم في كتاب الروح
بره من المحققين الخ

وجملة القول ان هذه المسألة ينظر فيها من وجهين (أحدهما) أنها من مسائل
إيمان بعالم الغيب فهي اعتقادية . وما يجب اعتقاده والإيمان به لا يثبت إلا
بصوص القطعية الرواية والدلالة ، وليس فيها نص ظني راجح ، فضلا عن
اطع (وثانيها) أنها من مسائل المناقب والفضائل التي يقبلون فيها الروايات
لنية ولا يابون اثباتها بما دونها من الضعاف . وبهذا النظر قبل بعض العلماء
روي فيها وإن كان معلولا ، وحينئذ يقال في كون معناها مخالفاً لسنن الله تعالى
، الأجساد ، أنها تنظم في سلك خوارق العادات ، واذ كانت ليست بعقيدة واجبة
لا يترتب عليها عمل فلا حرج على من صدقها ولا على من أنكرها ، ولكن بعض
العلماء أدخلوا فيها القياس وهي مما لا يقاس عليه ولو ثبت ، فقالوا ان جميع الأولياء
الشهداء كالانبياء في هذه المنقبة ، وزاد آخرون العلماء والمؤذنين المحترمين ،
بتساهل في كتابة هذا المؤلفون المقلدون السطحيون والخرافيون كأبي الليث
سمرقندي ، وينقلون فيها حكايات سبقتهم إلى مثلها النصارى في شهادتهم وقد يسبهم
ان التسليم بهذا الخرافات وعدم انكار العلماء لها قد كان فتنة للعقلاء المستقلين ،
نفراً لهم عن الدين ، وقد نبش بعض رجال الحكومة التركية اللادينية الحاضرة
مض قبور الأولياء المعتقدين عند العامة أمام الجماهير منهم فاروهم بأعينهم انه
بس فيها الا عظام نخرة ، واستدلوا بهذا على ان الدين كله خرافات باطلة . فما
تساهل فيه الخرافيون لتقوية إيمان العوام ، قد يفضي الى هدم إيمان الخواص والعوام ؟

(٨) صفة صلاة النبي ﷺ الجمعة

كان الصحابة يسعون الى المسجد يوم الجمعة متنافسين في التبكير ما استطاعوا
ليصلي كل ما تيسر له فاذا جاء وقت الصلاة خرج رسول الله ﷺ من بيته الى

المسجد وابتدر المنبر وحينئذ يؤذن المؤذن بين يديه فاذا فرغ من أذانه قام صلى الله عليه وسلم وخطب الناس خطبتين يفصل بينهما بجملة خفيفة ثم ينزل فيصلي بالناس الجمعة فاذا فرغ انصرف الى بيته فصلي فيه ركعتين وخرج المسلمون كذلك فانتشروا في الارض يبتغون من فضل الله كما أمر الله تعالى . وقد بينا الروايات في هذا مراراً ، وهكذا كان الخلفاء يصلونها الا ان عثمان (رض) زاد أذاناً خارج المسجد لاعلام الناس بالوقت لانهم كثروا وكثرت شوائبهم

(٩) حكم من رضع ثدي امرأته

رضاع الرجل الكبير لا تثبت به البتة فان جماهير السلف والخلف على ان الرضاعة المحرمة ما كانت في الصغر إذ يكون مدار نمو البدن على الرضاع الذي أشير اليه في الاحاديث بأنه ما كان من المجاعة وقبل الفطام والفصال ، وما فتق الامعاء في الثدي ، اي في أيام الثدي وهي سنتان عند الجمهور وسنتان ونصف عند أبي حنيفة وهنالك أقوال أخرى متقاربة . ولا معارض لذلك الاحديث عائشة في مسألة سالم مولى أبي حذيفة فانه كان يدخل على امرأته وهو صغير وكان عبداً له فاعتقه فلما بلغ الحلم صار يشق على أبي حذيفة دخوله على أهله فذكرت زوجها سهلة بنت سهيل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها « ارضعيه تحرمي عليه » ففعلت فزال ما في نفس أبي حذيفة . وقد تأول الجمهور من السلف والخلف هذا الحديث بأنه فتوى خاصة في حال ضرورة اذ كان ابو حذيفة وأهله في حاجة شديدة الى خدمة هذا الغلام الذي رباه هو وامرأته صغيراً . وقال بعض فقهاء الحديث انه يقصر على مثل هذه الحال من الضرورة . وما كان كذلك في مراعاة المصاحبة لا يدخل فيه هدم أكبر المصالح الزوجية وهو تحريم المرأة على زوجها اذا مص ثديها عن شهوة ومداعبة فيحكم عليه بأنه صار ولداً لها كأولاده منها ، على انه ينبغي اتقاء ذلك احتياطاً

(١٠) شرب الجمعة المسماة بالبيرا

المشهور عن الجمعة انه يسكر الكثير منها دون اقبال في الغالب فهي مجرمة لما حققناه في التفسير وغيره ان مأسكر كثيره فقليله حرام

الحاد في القرآن

ودبه جديريين الباطنية والاسلام

المقالة الرابعة

السنن الكونية الاجتماعية ونظام الكون

قد أكثر هذا الملحد من ذكر السنن الالهية ونظام الكون في هوامشه ومقدمتها ، وجعلها هي المستند له في جحود آيات الله تعالى التي أيد بها رسله ، وتحريف الآيات الواردة فيها وفي اخبار عالم الغيب كما تقدم ، وقد وعدنا باظهار جهله في هذه المسألة فنقول :

اننا بفضل الله قد انفردنا دون سائر المفسرين بالكلام على هذه السنن والنظام الالهي في تفسيرنا ومجملتنا ، وهو قد سمع ذلك منا ، وقراه لنا ، ولكنه لم يفهمه ، بل لبسه كالغزو مقلوبا ، ونكس على رأسه فاتخذ منكوسا . نحن قد أوردناه لتقوية الايمان ، والحجة على إعجاز القرآن ، فجعله هو شبهة على الايمان بالغييب وجحود آيات الانبياء عليهم السلام ، وما أوردناه من تأويل لبعض ما يحتمل التأويل على طريقة المتكلمين ، قصدنا به تقريبه من عقول الجامدين على المؤلف من النظريات العقلية أو العلمية ، لئلا يردوا النصوص بها فيرتدوا . وقد صرحنا مرارا بأن الذي ندين الله به من اخبار عالم الغيب ، وما في معناها من آيات الله تعالى في الخلق ، هو الايمان بما صح منها بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل . وقد جعلها هذا الملحد قانونا لتحريف ما لا يحتمل التأويل ، كما قال الله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) الآية

فوجب أن نأتي بخلاصة في المسألة مما نشرناه في مواضع متفرقة في النار وتفسيره، وتقني عليها بتفنيد ضلالاته فيها فنقول :

قد أخبر الله تعالى في مواضع من كتابه بأن له سناً في عبادته والاقوام الذين بعث فيهم رسله، وأن سننه لا تبدل لها ولا تحوّل، وأخبر أيضاً بأنه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء، وأن كل شيء عنده بمقدار، وأن خلقه في متهى الأحكام والنظام. فما بينه الله تعالى من أنواع هذه السنن، كنصره لرسوله على الجاحدين المعاندين لهم، ومن إهلاكه للظالمين، ومن تدميره على الفاسقين المفسدين، فهو كما قال تعالى وكذا ما بينه من نظام الخلق ومقاديره، ككون الشمس والقمر بحسبان، وما جعله لها في السماء من النازل والبروج، ومن كونها لا تفاوت فيها من فطور ولا فروج، فهو كما قال عز وجل

وأما ما لم بينه لنا من ذلك في كتابه بنوعه أو عينه فالطريق إلى معرفته هو ما أرشدنا إليه من النظر في ملكوت السموات والأرض، وما خلق من شيء، والتأمل في آياته في الآفاق وفي أنفسنا، والسير في الأرض لمعرفة آثار من قبلنا، وكذا من في عصرنا بالاولى،

قد أرشدنا كتاب الله عز وجل إلى كل هذا. وقد أشرنا في مواضع من النار وتفسيره إلى ما هو ثابت بالحس من أن اعلم الناس بسنن الله وحكمه ونظمه في خلقه هم أكثرهم انتفاعاً بهذا العلم، واهتداء به إلى تسخير هذا الكون

سنن الله مادية وروحية

وبينا أيضاً أن هذه السنن، وهذا النظام والتقدير، والأحكام والتدبير، عام في كل ما خلقه تعالى من عالمي الغيب والشهادة، أو عالمي الأجساد والأرواح، أو المادة وما وراء المادة - على اختلاف الاصطلاح

وصرحنا بأن ما إيد به تعالى رسوله من المعجزات - وكذا ما دون ذلك من - خوارق العادات التي تسمى الكرامات - إذا لم يكن جارياً على سنن النظام للمألوف في القوى الجسدية، والنظم المادية، فقد يكون جارياً على السنن الروحية،

والمقادير الغيبية ، وقد يكون بمحض القدرة الكاملة ، فهو مزيد كمال في قدرته وحكمته لا نقضاً لهما ، ولا نقصاً فيهما

فإذا لم يكن من سنته تعالى في حياة الجسد إذا فقدت بالموت ان تعود إلى الميت ، فان هذه السنة السلبية لاتنافي أن يهب الله تعالى بعض خواص الروحانيين من خلقه، كالملائكة او المسيح الذي خلقه بالفخ من روحه في أمه . ان يمد بهذا الروح القوي ميتاً كألغاز او البنت اللذين روت الانجيل خبر انحياته ايها ، فيسري فيهما من روحه مايجذب اليهما الروح التي خرجت منهما بقدرة الله تعالى، ومثل ذلك حلول الحياة في عصا موسى في الوقت المعلوم الذي أمره الله فيه بالقاءها عند بعثته ، وعند امتحان السحرة له ، والله على كل شيء قدير

لا فرق بين مالا تعلمه من هذه السنن الروحية وما فعله من السنن الجسدية ، في كون كل منهما فعل مبدع الارواح ، وخالق الاجساد، ولا يعترض باحداهما على الاخرى عند من يؤمن بان الخالق واحد وهو واضع السنن ومقدرها ، ولكن هذا الامر النادر ، ينكره من لا يؤمن بان كلا منهما فعل الله القادر على كل شيء ومن الغريب ان أطباء هذا العصر وأعلم علماؤه الماديين يرون من الجائز في العقل الذي يقرب ان يصل اليه العلم ، أن تعود الحياة إلى جسد الانسان أو الحيوان بعد موته بمدة غير طويلة كحياة البنت الميتة التي دخل للمسيح عليه السلام بيت أبيها وأما وسأل عنها فقيل له انها نائمة حتى لا ينقصوا عليه ضيافتهم له ، فناداها قائلاً : « لك أقول يا صبية قومي » فقامت باذن الله تعالى .

وأغرب من هذا أن منهم من يقول بإمكان إيجاد الحياة في بعض الاجسام بطريقة علمية صناعية . ونقل أخيراً عن عالم منهم اسمه (مورجان) أنه قام بتجارب عملية أثبت بها امكان استيلاد مخلوقات حية على سبيل الشدوذ (Emergency) وملحد دمنهور لا يصدق ان المسيح أحيا ميتاً حياة جسدية باذن الله ، وانما يقول بقول ملاحدة الباطنية انه انما أحيا الناس من موت الجهل والذيلة، ولكن هذا النوع من الاحياء ثابت لجميع العلماء الذين يعلمون الصغار والجاهلين من الكبار مايزيل جهلهم ويحييهم حياة دينية أو أدبية أخلاقية، فهو لا يمكن ان تكون آية لميسى عليه السلام

ينوه بها كتاب الله ، ونخبرنا أن الجاحدين لنبوته وصفوها بالسحر
وما عهد من المؤمنين بالله ورسوله أحد ينكر هذه الآيات بمثل هذه الشبهة ،
وانما عهد ذلك من الكافرين بالله ورسوله ، أو من الزنادقة الذين يظهرون الايمان
ويسرون الكفر لخداع المؤمنين وتشكيكهم في دينهم توسلا إلى اخراجهم
منه كملحدة الباطنية

السنن من الممكنات بين المحو والاثبات

فاذا كنا نقول بثبوت سنن الله واطرادها اتباعا لما بينه الله من ذلك ،
فالواجب في ذلك أن تتبع كتاب الله فيما يهدي من خوارق العادات أيضا . فلانكون
ممن قال الله تعالى فيهم (أفؤمنون ببعض وتكفرون ببعض ؟ فاجزاء من يفعل
ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ،
وما الله بغافل عما تعملون)

وإذا أردنا أن نثبت هذه السنن واطرادها من طريق العلم ونبني عليه
تأويل ما يخالفها كله من نصوص الكتاب والسنة على طريقة المتكلمين المعروفة
(وهو ما يمكن أن يستمسك به ملحد دمهجور) فيجب علينا قبل كل شيء أن نبين
ما تقوم الأدلة العلمية القطعية على صحته واضراده واستحالة تغيره وتخلفه مطلقا ،
وحينئذ لانكاد نجد شيئا منها بهذه الصفات ، إلا قليلا من الضروريات ، (ككون
القيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان) وليس منها عودة الحياة إلى من مات ولم يطل العهد
على موته كالبنات التي أحيها المسيح عليه السلام ، ولا إعادة وظائف التماسل إلى
من فقدتها من النساء والرجال ، كما وقع لـ زكريا وزوجه عليهما السلام

والقاعدة عند علماء الكون - حتى الناديين منهم - أن كل ما تقول أنه من سنن
الكون (أو نواميسه) فإتما هو بحسب ما ظهر لنا يبعثنا وتجاربنا ، وأنه يجوز أن يظهر
لنا ما يخالفه ويثبت لنا خطأنا فيه ، كما حصل مراراً فيما ظهر للباحثين من خطأ من
كان قبلهم من العلماء والفلاسفة المتقدمين والمتأخرين ، ولا أرجع في التمثيل لهذا
إلى ما نقض علماء الحضارة الاوربية من قواعد علوم اليونان والعرب وأفلاكهم

وفلسفتهم، ولا إلى ما تقض بعضهم من قواعد بعض في القرون الاربعة الماضية، بل أكتفي بأهم ما حدث من ذلك في عصرنا هذا

عثروا على مادة (الراديوم) الذي لا يجهل اسمه قارىء للجرائد، دع منلقي العلوم في المدارس. فكان بدء عصر جديد في الكيمياء والطبيعة تقوضت فيه سنن ونواميس كانت من المسلمات، وثبت خلافها، كاشعاعه الحرارة والنور إشعاعاً دائماً من غير أن ينقص من وزنه شيء، وكعدم تأثير ما حوله فيه من حرارة وبرودة. وكنحول المادة الغازية التي تنبعث منه إلى عنصر الهليوم. وبهذا ثبت شيء كان علماء هذا الفن يجهلونه إذ كانوا يقولون ان عناصر المادة البسيطة لا يتحول شيء منها فيستحيل إلى غيره

وقد كانت سنة الجاذبية من المسلمات التي لا نزاع فيها حتى قام الاستاذ اينشتين الألماني بتقويض دعائمها بنظرية النسبية التي فتحت في العلم باباً جديداً من أبواب المحو والاثبات في الطبيعيات وفي الرياضيات أيضاً

وتلك نظرية داروين في الانتخاب الطبيعي التي تدعمها سنن كثيرة في الجيولوجية والنبات والحيوان والانسان قد وقعت في التزع والاحتضار، كما بينا في مقالة خاصة في المنار، أو قضي عليها بالتبع للقضاء على النظرية الميكانيكية التي بنيت عليها كما نشر في بعض الصحف في هذه الايام

أساس الكون ومصدره ومظهره

ومالي لا آتي إلى أساس هذا الكون والسنن التي قام بها تكوينه في الاطوار المختلفة — ألم يكونوا يقولون انه مؤلف من مادة ذات عناصر بسيطة وقوة هي منشأ التركيب الذي حدثت به الصور المختلفة في العالم كله

قد هدم هذا الاساس ان لم يكن بما ثبت من تحول عنصر إلى عنصر، فما ثبت من تحول القوة إلى مادة، ثم بما ثبت من أن مانسميه المادة والقوة اصطلاح لا تعرف له حقيقة، وان هذا الوجود الذي نعرفه في أرضنا وسماواتنا ليس سوى مظهر من مظاهر تموجات الكهرباء، وان كل ذرة من ذراته تتألف من عدة كهارب سلبية تدور حول كهرب ايجابي - والكهرب هو الوحدة من الكهرباء - وهذه

الكهارب لا يمكن أن يقال إنها مادة ولا إنها قوة ، وإنما حقيقتها مجهولة وهذا الذي استقر عليه رأي علماء السكون أخيراً يؤيد ما أثبتناه في المنار وفي تفسيره من أن أول مظهر من مظاهر التكوين الذي نسميه المخلوق الأول مجهول للبشر ، وإن علماء الكون اختلفوا في إمكان علم البشر به ، فمنهم من يقول انه يمكن الوصول الى العلم به بطول الترقى في معارج العلم . ومنهم من يقول بعدم إمكان ذلك ، وتقل هذا عن الفيلسوف سبنسر قبل القول الاخير بتركب الذرات من الكهارب ، ورأينا في هذه الايام من نقله عن الاستاذ « صليمان »

بل هو مثبت لا قوى الادلة العقلية على وجود الله تعالى عندنا وهو ان جميع مظاهر هذا الكون السماوية والارضية تطورات تستند الى حقيقة غيبية لا يعلم احد كنهها ، وقد بينا ذلك مرارا كثيرة منها مناظرة دارت بيننا وبين العلامة صاحب المقتطف فاذا كانت المادة تصدر عن اقوة كما قالوا فما المانع من القول بان هذه القوة هي قوة الله وقدرته ؟ وإذا كان الوجود الممكن كله مظهراً من مظاهر تموجات الكهرباء المجهولة الكنه ، فأي بعد بين قولهم هذا وقول اتباع الوحي ان الوجود الممكن الظاهر ، صادر عن الوجود الواجب الغيبي الباطن ، و (هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

نكتفي بهذه الكلمة الوجيزة في سنن الوجود الظاهر المدرك بالحواس ، الذي بلغ البشر من العلم بها مستوى لم يعرف في التاريخ ما يقرب منه لأحد من شعوب الحضارة القديمة

وإذا نحن ارتقينا عنه الى علم النفس ، وما تجدد فيه عند علماء العصر ، علمنا أن في الوجود سننا غير سنن المادة بأنواعها بعد أن صار التنويم المغناطيسي من الحقائق الثابتة بالتجارب المطردة ، وما تبع ذلك وتقرر من بعض أنواع الكشف الذي يعبرون عن بعضه بقراءة الافكار وبمراسلة الافكار ، وقد شاهدنا بعض ذلك بالطريقة الصناعية ، بعد ثبوته عندنا بالهبة الالهامية .

ووراء هذا وذاك مسألة مناجاة الارواح التي آمن ببعض مظاهرها من لا يحصى لم عدد من العلماء الطبيعيين والرياضيين ، ووقف كثير منهم عندها حائرين

وفوق ما ذكر كله قدرة رب العالمين، وإرادته واختياره في الخلق والتقدير والتدبير، وهو واضع السنن والقوانين، ومسخر الاسباب والنواميس، الحاكم بها وعليها وفيها بعد إيجاده لها، والبدع لما شاء قبل وجودها وبعده (انما أمره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) الايمان بقدرة الفاطر فطري اوفكري والشذوذ فيه

فالايمان بقدرة الفاطر البدع، الخالق للصور القدر، غريزي في هذا الانسان للفكر، ظهر في أجياله المفكرة، في مظاهر مختلفة، من فطرية ساذجة، وفكرية راقية، ووجدانية شعرية، وروحانية إلهامية

وشذ أفراد من المفكرين في هذا الامر وفي اختلاف الناس فيه كشنود الناس في كل علم وعمل، لم يظهر لهم الصواب في جانب أحد منهم، ولا في شيء آخر يصح أن يكون فصلاً فيما اختلفوا فيه، فكانوا فريقين (أحدهما) معطل لا يؤمن بشيء غيبي فوق هذا الوجود المدرك بالحواس (والثاني) شك حار بين إثباته ونفيه ذلك بأن البشر قد فطروا على التفاوت العظيم في الاستعداد للعلم والعمل، وهذا التفاوت يقتضي بطبعه الاختلاف في الفهم للشيء والحكم فيه، والاختلاف بين الناس في وسائل معارفهم البشرية ومقاصدها، يفرضي بهم الى الترقى فيها، فهو نافع مالم يكن علة أو معاولاً للتفرق والتعادي

ومن المعلوم بالعقل والتجارب انه لا مثار لاختلاف التفرق فيما ترتقي به الزراعة والصناعة، ولا في وسائل انتشار التجارة، إذ لا يرى أحد من الناس غصاصة على نفسه ولا على قومه في اتباع ما سبقهم اليه غيرهم فيه

وأما العلم بما يجب الايمان به من وجود الفاطر وصفاته وشكره وعبادته، وما يرضيه أن يكون عليه عبادته، فهو مما لا يرتقي ويتمحص باختلاف الناس فيه، ولا هو مما يسهل عليهم أن يأخذ كل قوم ما سبقهم اليه غيرهم فيه بكسبهم واجتهادهم، إذ لا يمكن أن يصل ذلك إلى درجة القطع التي يزول فيها الخلاف بالضرورة — وقد ثبت بالتجربة في الاجيال والآماد الكثيرة، انه كان أعظم أسباب التفرق والتعادي وسفك الدماء الغزيرة

حاجة البشر إلى الدين المستمد من الوحي

فمن ثم كان البشر في أشد الحاجة لبيان الحق فيه الى وحي من الله عز وجل تقوم به الحججة على جميع أولئك الفرق من المؤمنين المختلفين ، ومن الملحدين المعطلين ، والشاكيين اللادريين (فبمث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) الآية

وقد كان من حكم كتاب الله الحق فيما اختلف فيه الناس بمقتضى ما ذكرنا من غريزة التفاوت بينهم في العلم والفهم والحكم ، ان العالم كله صادر عن قدرة الله تعالى ومشيتته واختياره ، سواء فيه ما ابدعه ابتداء ، وما خلقه بنظام السنن العامة في الاسباب والمسببات ، فالسنن وما وضعت له وجرت فيه كل ذلك بيد الله يتصرف فيها بمشيته ليس مقيداً بشيء منها ، فهو إذا شاء غيرها ، ولكنه لا يفعل إلا ما تقتضيه حكمته ، فصنات الله تعالى من العلم والحكمة والمشيتة والقدرة والرحمة لا تناقض ولا تعارض في متعلقاتها . كما بيناه مراراً في تفسيرنا هذا حكم الله تعالى في كتبه لرسله كما نراه في نصوص آخرها الذي أنزله الله مصداقاً لها ومهيئاً عليها ، وسندكر بعض الشواهد منه فيها

ويقابله قول معطلة الماديين الذين ينكرون الخالق والخلق بالمشيتة ، وبعض الفلاسفة الالهيين الذين يثبتون لرب العالمين من صفات الكمال ماعدا الاختيار في المشيتة ، ومذاهبهم في تأثير الطبائع بذاتها ، وضرورة اتصال العلل بمعلولاتها ، وكون الله تعالى خلق المادة وأودع فيها قواها ونظامها ، وتركها لنفسها فلم يبق له فعل فيها . كل ذلك معروف ليس من موضوعنا تفصيله والرد عليه ، وإنما غرضنا من ذكره أن نبين ان الناس على قسمين : ملين على هدى أنبياء الله تعالى يؤمنون بان الله فاعل مختار بيده ملكوت كل شيء في كل وقت . وكافرين يزعمون ان كل حركة وسكون في هذا الكون تجري على سنن ونواميس فيه بمقتضى الضرورة لا تأثير فيها لموجود غيرها . وما يشاهدونه في كل زمن من وجود أشياء على غير هذه السنن المعروفة ، يسمونه « فلتات الطبيعة » ويقولون انه لا بد له من سبب وان كنا لا نعرفه . وما ينقل في كتب الملين من آيات الانبياء منهم من ينكره ،

ومنهم من يتأوله ، ومنهم من يقول انه من فلتات الطبيعة التي لم يظهر لنا سببها ،
فذاهبهم في هذه المسائل متعددة

وملحد دمنهور قد جرى على أصل هؤلاء القائلين بان السنن والنواميس
ضرورية لا يمكن تغيير شيء منها ولا تبديله ولو بفعل الله ومشيتته ، وأنه ما وقع ذلك
في الماضي لارسل ولا لغيرهم ، فهو مخالف لجميع المايين من أتباع الرسل عليهم السلام
ولولا هذا لم يكن محتاجا الى تحريف ما جاء في القرآن من اخبار عالم الغيب
ومعجزات الرسل .

شبهة ملحد دمنهور في السنن وبيان بطلانها

قد يقول بغروره بجهله اني قد أخذت في هذا بما جهله جميع المسلمين وجميع
النبيين من قبلهم (أي وعرفه ملاحدة الباطنية ولا سيما البهائية آخرهم) وهو مانص
عليه القرآن في مثل قوله تعالى (٣٥ : ٤٣) فهل ينظرون إلا سنة الاولين فلن
تجد لسنة الله تبديلا * ولن تجد لسنة الله تحويلا)

ونقول في جوابه (أولا) ان سنة الله التي قال انه لا تبديل لها ولا تحويل
هي نصر رسله على المعاندين لهم من أقوامهم كما هو صريح الآيات التي وردت
فيها في سور الاسراء والاحزاب وفاطر والفتح ، وفي السور التي لم يذكر فيها انه
لا تبديل لها أيضا

وجاء لفظ السنن جمعا بهذا المعنى في سياق الكلام على غزوة أحد من سورة
آل عمران (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين) وجاء بمعنى التشريع الديني في سياق محرمات المكاح وحكمتها من سورة
النساء (يريد الله ليعين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم) فهو لم يقل هذا في أمر
الخلق والتكوين ، وربما كنت أنا الذي التزمت اطلاق هذا اللفظ على ما يسميه علماء
الكون والفلسفة بالنواميس الطبيعية في المنار والتفسير وفي نظام مدرسة الدعوة
والارشاد ، إذ أطلقت اسم (سنن الكائنات) على الدروس التي وضعها الدكتور
محمد توفيق صدقي (رحمه الله تعالى) في علم حفظ الصحة ومقدماته من علم الطبيعة

وعلم وظائف الاعضاء فنشرتها في المنار وطبعتها على حديثها بهذا الاسم .
وأول من أرشدنا الى كون أصول علم الاجتماع من سنن الله في خلقه ، حكيمنا
العربي الواضع الاول لقواعد هذا العلم عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى ، فانه
يكرر في مقدمته عقب بيان القاعدة العمرانية قوله : سنة الله في خلقه - أو سنة
الله التي قد خلت في عبادته . ثم زاد عليه في هذا أستاذنا الامام في مقالات العروة الوثقى
الاجتماعية ، وزدت عليهما تعميم ذلك في النواميس الكونية كلها

هذا وانه ليس عندنا دليل ديني ولا عقلي على استحالة وقوع التبديل
والتحويل في هذه السنن ولا على اطرافها وعدم الشذوذ فيها مع الجزم بإمكانها .
وأما الأدلة العلمية المبنية على التجارب العملية فقد بينا أننا ان أهلها لا يقولون
بوجوب شيء من هذه السنن المعروفة بحيث يستحيل نقضه وثبوت خلافه ، وانهم
يثبتون الشذوذ بالاسباب المجهولة المعبر عنها بفتات الطبيعة ، وبالاسباب العلمية العملية ،
وقد كان بعض الناس ينكرون ما جاء به الانبياء من أخبار عالم الغيب كالملائكة
والجن والبث بعد الموت لاستبعادها في مألوفاتهم وزعمهم انها لا تعقل ، وما وصل
اليه البشر في هذا العصر من أسرار الكهرباء لم يبق شيئاً من ذلك مستبعداً فضلاً
عن كونه محالاً عقلاً ،

أفليس المؤمنون بوجود الخالق الفعال لما يريد ، وان « ما شاء كان وما لم يشأ
لم يكن » أولى منهم بالايان بقدرته على التصرف في هذه السنن متى شاء ؟
ثانياً : اذا قيل ان قوله تعالى (سنة الله) مفرد مضاف يفيد العموم ،
وانه يجري فيه قول علماء الاصول : بأن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ،
حقنا نعم ، وانما عموم كل شيء في موضوعه ، وموضوع هذه السنة النصوة عباد
الله من الامم مع رسالهم ، وبصح اطلاق اللفظ على غير ماورد به النص من قواعد
الاجتماع والعمران أيضاً ، ولكن لا يصح الاستدلال بالنص على عدم التبديل فيها
- ثالثاً - ان سنن الاجتماع تختلف باختلاف أحوال البشر في البداوة والحضارة
والقوة والضعف والعلم والجهل ، وآلات القتال والنقل ، فهي أمور نسبية متبدلة ،
لا قواعد رياضية مطردة . وذلك معروف من سير الأمم وتواريخها . وانما

تتكون سنة بحسب الاحوال التي تكون بها مطردة
 مثال ذلك سنة غلب الكثرة للقلة التي عبر عنها الشاعر العربي بقوله :
 ولست بالاكثَر منهم حصي وانما العزة للكثير
 يراعى في صحتها مساواة الكثرة للقلة في أسباب الغلب الصورية كالسلاح والنظام،
 أو المعنوية كالصبر والثبات والایمان . فاذا كانت هذه الأسباب متوفرة في القلة
 حدوث الكثرة ، كان لها الغلب على الكثرة ، وفيها قال تعالى (كم من فئة قليلة غلبت
 فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)
 - رابعا - ان السنن الاجتماعية والكونية تتعارض وتتنافى كما تتعارض أسباب
 النصر والغلب واضدادها في المثل المذكور آنفا ، ومن ذلك تعارض أسباب الصحة
 وسبب المرض ، وتعارض التأثيرات الجسدية مع التأثيرات النفسية . فما كان له
 الرجحان يكون مبطلا للآخر ذاهبا باطراده ، وليس في هذا الوجود الممكن - لا علويه
 ولا سفليه - ناموس من نواميس النظام يقوم الدليل القطعي على استحالة تغييره
 وتبدله ، بل كله جائز بأسباب مما يعقله الباحثون ويتوقعون حدوثه أو بغير ذلك .
 كما يقولون في خراب هذا العالم وزوال هذه الارض ، او انقطاع حياتها وعالمها
 - بزوال حرارة الشمس بالتدرج البطيء ، او بتصادم بينها وبين بعض الاجرام السماوية
 وهو ما تشير اليه آيات القرآن المجيد

السنن والنظام في الخلق خاضعان لمشيئة الخالق

ثم أقول - خامسا - ان خالق الخلق بما شاء من النظام والسنن لم يقيد بها قدرته
 ومشيئته ويجعلها حكمة عليه . بحيث يكون بها مقهورا لا قاهرا . وعاجزا عن
 التصرف لا قادرا . حتى لا فائدة في دعائه والتضرع له . بل دل كتابه - الذي
 لا يفهمه هذا الملحد الجاهل بلغته وشريعته - انه قيدها بمشيئته ، وان العالم كله في قبضته ،
 (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد
 من بعده) فهذه الآية صريحة في أن العالم في قبضة تصرف خالقه في كل وقت ،
 وان بقاءه بقدرته تعالى لا بما يظهر من سنن النظام فانها مفعولة لفاعلة ، أو ظواهر
 صورية ، لاحقائق وجودية ، كما قال بعضهم في سنة الجاذبية

ومن هذا القبيل قوله تعالى (ومن آياتنا الجوار في البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن روا كد على ظهره) فركات الريح تجري بحسب سنته تعالى في تأثير الحرارة فيها، وهو يقول انه إذا شاء أسكنها

وقد دل كتابه أيضاً على انه تعالى جعل للسنن الكونية والتشريعية استثناء يضعه موضعه بحكمته ورحمته . حتى ان عذاب الأمم المعاندين لرسله والذي نص كتابه على انه لا تبديل فيه ولا تحويل قد دخله الاستثناء بالفعل ، كما قال تعالى في سورة يونس (١٠ : ٩٨) فلولا كانت قرية آمنتم فنفعنا إيمانها لإلقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) فان يونس عليه السلام كان خرج من قومه عند ما جاء موعد ما أنذرهم من العذاب ولم يؤمنوا . فلما رأوا بوادر العذاب وكاد يقع بهم ، آمنوا فنفعهم إيمانهم ولم ينزل العذاب بهم ، فهذا استثناء من السنة العامة في وقوع العذاب على الاقوام في مثل تلك الحال ، سواء كان متصلاً او منفصلاً في الاعراب

ومما يدل على تقييد السنن العامة بالمشيئة قوله تعالى بعد ما ذكر في سورة يونس (٩٩) ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً) وهذه المشيئة انما تكون بخلق البشر على غير هذه السنن المعروفة في خلقهم من اختلاف الاستعداد للايمان والكفر معاً ، ومن ترجيح بعض متعلق هذا الاستعداد على بعض . أو بإزالة هذا الاستعداد بعد وجوده . وهو من سنن الله في نوع الانسان

ومن هذا الاستثناء عفو الله تعالى عما شاء من ذنوب عباده في الدنيا والآخرة فان عقاب المذنب من سنن العدل ، والعفو والغفرة من الرحمة والفضل ، فكل مذنب مستحق للعقاب بحسب سنة الله في تأثير الاعمال في النفس المقررة في قوله تعالى (٩١ : ٩) تدافع من زكاهما ١٠ وقد خاب من دساها) وما كل مذنب يستحق العفو ، وقد اتفق حكماء البشر على أن من الحكمة الاستثناء في اقوانين بالعفو عن بعض العقوبات

والآيات المحكمة الصريحة في فعل الله لما يريد، وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن - كثيرة ، والمسلمون مجمعون على ذلك ، ولكن إجماعهم لا قيمة له عند ملحد دمنهور

ولا يحتج به في دينه ، وقد يعبر عنهم بما يدل على انه ليس منهم كما قول في تفسير (وقال الظالمون إن تتبعوني إلا رجلا مسحوراً) وهذا نصه :

« ومن الغريب مع هذا الدليل المبين ان المسلمين ينقلون في كتبهم ان النبي سحر بناء على حديث رواه اليهود كما ينقل النصارى صلب المسيح بناء على حديث رواه اليهود أيضاً » اه فقد أنكر على المسلمين لا على المحدثين ، ويعني بقوله « كتبهم » أصبح كتب الحديث وجميع كتب التفسير ، ولكنه كذب في زعمه ان حديث السحر المذكور قد رواه اليهود ، والغرض من ذكر عبارته هنا انه يهزأ بأعظم كتب المسلمين في التفسير والحديث هزؤ الساخر التبريء من المسلمين ، وأما تحقيق المسألة فقد بيناه في المنار

(ومنها) قونه تعالى (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وهذا المعنى مكرر في القرآن ، وهو ظاهر فيما يخلقه تعالى بدون نظام الاسباب ، كخلق آدم من تراب ، وخلق عيسى بن مريم من أم بدون أب

وجملة القول في مسألة سنن الله تعالى في نظام الكون وسنن الاجتماع والعمران ان ما ثبت منها فهو مقتضى حكمته ، وانه غير مقيد لعموم مشيئته وشمول قدرته ، وأن ما ثبت في كتابه أو في خليقته من آياته المخالفة للمعروف من تلك السنن فهو من تصرفه بمشيئته واختياره ، لحكمة يعلمها في ذلك وقد يعلمها من شاء من خلقه ، كمجرات رسله عليهم السلام ، فان حكمته ظاهرة بينها علماء أتباع الرسل أحسن البيان وان منتهى الجهل والكفر بالله تعالى جعله مقيداً بما يظهر لبعض الناس من هذه السنن مع تحبطهم فيها ، وعدم اتفاق عقلاهم وعلمائهم على ضرورة اطرادها ، وما هذه الا ضر وسننها إلا كذرة من ذراتها هي في جملتها ومجموعها ، بالنسبة إلى ملك الله العظيم الذي ثبت لعلماء الفلك ان بعض أجرامه يبعد عن البعض الآخر بما يقدر بملايين السنين لسرعة النور ، وهو يقطع نحواً من مائة مليون ميل في زهاء عشرة دقائق فمن أنت أيها الجهول حتى تبيح لنفسك تحريف كلام الله تأويل آياته في خلقه غتراراً بما لا تعلم حقيقته من هذه السنن ؟

فاذا كان شيطان الجهل والغرور قد زين للمحدد منهوراً أنه يمكنه أن يكون رجلاً عظيماً في

الأرض بوضع دين جديد لمن غلبت عليهم ظواهر الفلسفة المادية لا يوجد فيه شيء مخالف للمألوف عندهم فليبعد عن القرآن والإنجيل والتوراة والزبور ، فإن أديان جميع رسل الله مؤسسة على عقيدة تصرف رب العالمين في خلقه بمشيئته واختياره في كل وقت ، وعلى تأييده لمن شاء من رسله بخوارق العادات ، وسنن الاجتماع والكائنات ، وعلى أن عالم الغيب من الملائكة والجن وغيرهم لا يقاس على عالم المادة ، وأن الإيمان بما ورد الوحي فيه من ذلك كما ورد أصل من أصول الدين لا يصح الدين بدونه

عجز فلاسفة أوربة عن وضع دين ينخضع له البشر

وليعلم أن بعض فلاسفة أوربة وأعلام الآداب والتشريع فيها قد وضعوا أصولاً لديانة سموها الديانة الطبيعية ، راعوا فيها من الفضائل والمصالح العامة والخاصة ما استحسنته السواد الأعظم من الماديين وغيرهم ، ولكن لم يتخذها شعب من الشعوب ولا جماعة من الجماعات ولا فرد من الأفراد ديناً يلتزمه في أعماله وآدابه ، ولماذا ؟

لأن الدين الذي يحتاج إليه البشر لتكامل فطرتهم وإزالة الخلاف من بينهم فيما يجب عليهم من معرفة الله وعبادته ، ومن أصول التشريع العامة والفضائل الثابتة التي تحول دون الفوضى الدينية والادبية التي تفرق كلتهم - هذا الدين لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان مصدره السلطان الإلهي الأعلى الذي تدعن الأنفس لأمره ونهيه القطعيين لذاته ، سواء وافق آراءهم وأهواءهم ونظرياتهم العقلية وتقاليدهم القومية والوطنية أم لا ، لأن صاحب هذا السلطان أعلم منهم بما يضرهم وما ينفعهم ، وهو القادر على إثابتهم إذا اتقوا واحسنوا ، وعلى عقابهم إذا فسقوا وظلموا وأساءوا ، وعلى العفو عنهم إذا تابوا وأصلحوا ، وعلى استجابة دعائهم إذا دعوا وتضرعوا ،

فلو كانت أمور العالم كلها تجري بنظام اضطراري ليس لله فيه مشيئة ولا

اختيار ، لم يكن هنالك محل لمرّة الايمان من الخوف والرجاء ، وهما الباعثان على الطاعة والانقياد ، ولزال معنى الدين وذهب التدبير هباء

الا ان المادية مضادة بل مناقضة لمعنى الدين والتدين ، وقد ظهر بعد الحرب العامة من مفسدها ما لم يكن ظاهراً ، والعالم المدني قد شعر باضطرابه الى الحرب من هذه المفسد في العقل والآداب والاجتماع كما نوهنا بذلك من قبل ، وانما الدين الوسط هو الجامع بين المصالح المادية ، والفضائل الروحية ، كما بيناه في تفسير قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) من أول الجزء الثاني من تفسيرنا وإذا لم يكن لرسول الله تعالى من آياته ما يميزهم من الفلاسفة والادباء - كما يزعم ملحد دمنهور - فأبى باعث يبعث الناس على الانقياد لهم بالاذعان النفسي والوجدان الاضطرابي ، وهم يجدون عند الحكماء من الحجج العقلية والادبية ما هو أقرب إلى ما لو فاتهم ونظرياتهم مما جاء به الانبياء ؟

حكاية ابن سينا مع المفضل له على النبي ﷺ

ألم يعقل هذا الملحد ما سمعه منا وقرأه في كلامنا غير مرة من نبا الفيلسوف الكبير الرئيس ابن سينا مع خادمه ومريده المعجب به لومه وفلسفته المفضل له بها على محمد رسول الله ﷺ الذي كان يلومه على اتباعه هذا النبي ﷺ وهو دونه بزعمه وجهله ، حتى إذا كانا في بعض ليالي الشتاء الشديدة القر القارسة البرد في تبريز ايقظ الرئيس خادمه ليأتيه بماء يتوضأ به ، فاعتذر له بشدة البرد ، وبعد طلوع الفجر ، فأيقظه سيده الرئيس عند ما كان المؤذن ينطق بالشهادتين على المنارة وماله ماذا يقول المؤذن ؟ قال انه يقول : أشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال قد آن لي أن أبين لك فساد عقلك ، وافن رأيك ، في تفضيلك إياي على رسول الله ﷺ انك أنت خادمي وقد بلغ من اعجابك بي ما تعلم وهو ما لم أر ما يقرب منه من غيرك . ثم انك تكسل عن طاعتي في داخل الدار معتذراً بشدة البرد ، وهذا الرجل الفارسي يشيد بالشهادة لمحمد رسول الله ﷺ بالرسالة في أعلى هذه المنارة حيث البرد على أشده وهو في ذلك محتسب أجره عند الله ، فعند ما ترى لي من

السلطان على قلبك مثل ما ترى لمحمد ﷺ على قلب هذا الفارسي بعد مضي أربعة قرون على بعثته تكون معذوراً فيما تهذي به من تفضيلي

وإذا كان من أصول الدين المادي الذي تدعو اليه باسم القرآن انه يجوز لمتبعه أن يخالف رسول الله ﷺ أرجيح رأيه على طاعته أو لما يراه بالتشاور مع غيره من المصلحة المخالفة له ، فاي معنى يبقى للدين ؟ وكيف تجتمع الكلمة به على ما يكونون به أمة واحدة ؟ أو انيس من الجائز على هذا أن يترك الناس جميع ما جاء به الرسول لمخالفته لا راثهم وما يزعمون من مصالحهم غير المقيدة بدين يتبع لذاته باذعان الايمان ، ولا يستحل صاحبه ترك شيء منه إلا بما ورد النص فيه بكونه عذراً كالضرورات التي تبيح المحظورات ؟

ثم ان هؤلاء الماديين لا يجدون أدنى باعث على قبول دين مادي يتوقف إثبات ماديته على تحريف كثير من آيات كتابه عن مدلولها اللغوي الذي جرى عليه جميع أهله من عهد النبي الذي جاء بهذا الكتاب إلى اليوم اتباعا لجاهل مغرور في تحريفها وجعلها مادية ، وقد حكم علماء أهلها بالحاده في دينهم وعروقه منه .

ولا يغرن هذا الملحد ان الباطنية قبلوا أمثال هذا التحريف في القرآن من دعائهم ، فيظن أنه يوجد من يقبله منه ، فإن الذين قبلوا هذا من الباطنية انما قبلوه بعد اقناع الدعاة لهم بأنه بيان الامام المعصوم لمراد الله من كتابه ، بعد اقناعهم بأن هذا المعصوم موجود ، وانه لا يمكن فهم مراد الله وجمع كلمة المسلمين على ما يرضيه الا منه ، فاني لك أيها المغرور باقناع الماديين والجاحدين لوجود الله أو غيرهم بامامتك وعصمتك ؟

فان كنت أيها الملحد تعقل أن يتبعك أحد في دينك هذا فلك العذر في الحكم على أستاذك الذي تبرأ منك ورد عليك ارشاداً لك ، بانه قد اختل عقله فلا يدري مايقول ، وانه يكيد لك مع شيخ الازهر ، وفي قولك المناقض لهذا ، وفي سبك وشتمك له ، مع ادعائك انك عذرتة بجنونه وخرفه (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكاتكم انا عاملون * وانتظروا انا منتظرون)

التجديد والتجدد والمجددون

(تابع لما سبق)

القضية الاولى

﴿ في حقيقة معنى القديم والجديد، والتجدد والتجديد، والتفاضل بين الطريف والتأيد ﴾

الخالق كله جديد، وإنما القديم المطلق هو الخالق عز وجل، والجدة والقدم في المخلوقات نسيان، فكل قديم منها كان جديداً، وكل جديد سيصير قديماً، ومن الامثال العامة بل العامة: من ليس له قديم فليس له جديد، وباله من مثل حكيم يفهم منه العلماء، مالا تصل اليه مدارك الدهماء،

والتجدد والتجديد في الكون من السنن الالهية العامة التي هي مصدر النظام في تكويننا، والتغير والتحول في أطوار وجودنا، وعملها فيها عين عملها في آياتنا وجودنا (ولن تجد لسنة الله تبديلاً * وإن تجد لسنة الله تحويلاً) فنحن في معمل الكون الاعظم كالما في معمل الجليد، كل آن في تجد وتجدد، تارة يكون مائعا سائلا، وتارة يكون بخاراً طائراً، وتارة يكون جليداً جامداً، وهكذا عالم المادة كله، تجد طبيعياً فطرياً، وتجديد صناعي كسبي، تحليل وتركيب، جمع وتفريق، هدم وبناء، نماء وفناء، وإنما يجري ذلك كله في مادة موجودة، ذات عناصر معدودة، قديمة في الخلق لا جديدة، ذات قوى محدودة، تصرفها قدرة غيبية معقولة لا مشهودة، وهي قدرة الخالق الحكيم عز وجل. فالتجدد والتجديد انما هو في الصور والاعراض، لا في إيجاد الجواهر والمواد، ويؤثر عن نبي الله سليمان عليه السلام انه قال: لا جديد تحت الشمس. وهو صحيح ظاهر بهذا المعنى. ويقابله مقابلة التضاد قول بعض حكمائنا إن العرض لا يبقى زمانين، فعلى هذا يصح أن يقال « لا قديم تحت الشمس » ولا تعارض بين القولين، ولا تناقض بين القضيتين، فإن كل ما تحت الشمس قديم باعتبار وجوده باعبار آخر

وقد كنت قلت في مقدمة محاضرة في الجمع بين الذكران والاناث في مقاعد التعليم ما يصح أن يقال هنا على أنه مقصد لا مقدمة وهو :

«التجديد سنة من سنن الاجتماع ، كما ان التجدد من مقتضى الفطر والطباع ، ومثلها مقابلهما من المحافظة على القديم ، ولكل منهما موضع فلا تناقض بينهما ولا تضاد، اذا وضع كل منهما في موضعه بغير تفريط ولا إفراط

» من التجدد في نظام الفطرة أن كل أحد يخالف خلق والديه وأخلاقهما بعض المخالفة ، ولولا ذلك لم يكن ما نرى من التفاوت العظيم بين البشر ، ومن حفظ الاصل ما لا يجهل من إرثه لما وشبهه بهما في بعض صفاتها الجسدية والنفسية ، ولولا ذلك لوقع من التباين بين أفراد الناس ما يكاد يكون به كل منهم نوعا مستقلا بنفسه

«ومن حفظ القديم في الاعمال وراء سنة الوراثة ما تقتضيه غريزة التقليد من محاكاة الانسان لمن يعيش بينهم من أول سن التمييز إلى نهاية أجل الشيخوخة، ثم تقليد الجماهير لمن يرونهم أوسع منهم علما، أو أعلى مكانة وقدرآ ، ولولا هذا لما تكونت البيوت والفصائل ، والشعوب والقبائل ، بما يربط بعضها ببعض من للشاركات في الاعمال، التي تطبع في الانفس ملكات الاخلاق والمعادات، فتكون رابطة الوحدة، التي تجتمع بها وشائج الكثرة، فتكون بها الفصائل قبيلة والبيوت أمة

» ومن التجديد في الاعمال البشرية ما تهدي اليه غريزة الاستقلال المقابلة لغريزة التقليد ، والميل إلى الاستنباط والاختراع ، ولولاه لكانت جماعات البشر كاسراب الطير، ومساكنهم لا ترتقي عن خلايا النحل وقرى النمل»

أنواع التجديد والحاجة إليها

التجديد الاجتماعي والسياسي والمدني والديني كل منها حاجة من حاج الجماعات البشرية بمقتضى غرائزها واستعداد نوعها ، به يرتقون في مدارج العمران، ويصعدون في معارج العلم والعرفان، حتى ان الدين الالهي الذي يستند إلى وحي الرب الحكيم بمحض فضله ، لبعض من أعد أرواحهم القدسية لذلك من أصفياء خلقه ، قد سار

مع غرائز الجماعات البشرية في ترقياها من طور إلى طور حتى أكمله تعالى لهم بالاسلام، عند ما وصل مجموعهم إلى سن الرشد والاستقلال

«ومع هذا الاكمال يروي لنا المحدثون عن خاتم النبيين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، أنه قال « ان الله تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » رواه ابو داود في سننه والحاكم في مستدركه والبيهقي في المعرفة وغيرهم من حديث أبي هريرة . وأشار السيوطي في جامعه الصغير الى صحته ، والمراد بتجديد الدين تجديد هدايته، وبيان حقيقته وحقيقته، ونفي ما يعرض لاهله من البدع والغلوف فيه أو الفتور في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق وسنن الاجتماع والعمران في شريعته اه وموعدها في الكلام في التجديد الديني والدنيوي القضية الثالثة هذه حقيقة معنى التجدد والتجديد ، وهي تهدينا الى ان لكل من الجديد والقديم محلا ، وان من الجبل تفضيل أحدهما على الآخر مطلقا ،

المفاضلة بين المتقدم والمتأخر

وأما المتقدم والمتأخر من الناس فقد كانت القاعدة عند أهل العلم والادب منا تفضيل المتقدم على المتأخر ، ولكن القاعدة عند أهل النشوء والارتقاء العكس، وانما هذا وذلك بالنسبة الى جملة أهل العصر ، دون الافراد النابغين الذين قلما تجود بثلهم الا زمان، ومذهب النشوء الاجتماعي ظاهر في الامم في أطوار حياتها وقوتها، بل هو ظاهر في الدين الآهي أيضا ، فقد ارتقت الشرائع الالهية بحسب استعداد البشر حتي كان آخرها وهو الاسلام منتهى الكمال ، فجعل الله رسوله الذي جاء به خاتم النبيين ، وبعثته عامة باقية الى يوم الدين ، وأنزل عليه قبل وفاته (اليوم أكلت لكم دينكم وأنمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)

وقد كان بعض الادباء، يفضل المتأخرين في بعض الاشياء ، وقد افتح عنتره معلقته المشهورة بقوله * هل غادر الشعراء من متردم * يعني ان الشعراء قبله لم يتركوا لمن بعدهم قولاً يقوله ، ولكنه هو جاء فيها بمعاني لم يسبقه اليها غيره، وقد عارضه ابن أبي حجلة في تفضيل كتابه (ديوان الصباية) على ما سبقه في معناه بقوله في خطبته : فان قلت الفضل للمتقدم ، وهل غادر الشعراء من متردم ،

أقول في الخبر معنى ليس في العنب ، وأحسن ما في الطاووس الذنب
وكلمة «الفضل للمتقدم» صارت مثلاً في أفواه العلماء والادباء ، ولا أدري أول
من قالها هل هو عدي بن الرقاع الشاعر الأموي الذي ضمنها في «عره أم غيره» ؟
وهذا شيخ صناعة الأدب الحريري قد استشهد في تفضيل بديع الزمان على نفسه
في مقدمة مقاماته بقول عدي هذا ... ثم رأيناه عقد المقامة السادسة منها لتفضيل
الطريف على التليد ، ونصر العصاميين على العظاميين . وأناي أحفظ من عهد طلب العلم
عبارته في هذا ولا يخلو إيرادها من إحماض وفكاهة . قال :

« روى الحارث بن همام قال : حضرت ديوان انظر بالمرأعة ، وقد جرى به
ذكر البلاغة ، فأجمع من حضر من فرسان البراعة ، وأرباب البراعة ، على أنه لم
يبق من ينقح الأنشاء ، ويتصرف فيه كيف شاء ، ولا خلف بعد السلف ، من
يبتدع طريقة غراء ، أو يفترع رسالة عذراء ، وأن المفلح من كتاب هذا الاوان ،
المتمكن من أزمة البيان ، كالعيايل على الاوائل ، ولو ملك فصاحة سحبان وائل ،
وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية ، عند مواقف الحاشية ، فكان كلما شط القوم
في شوطهم ، ونثروا العجوة والنجوة من نوطهم ، بنبيء تهازر طرفه ، وتشامخ أنفه ،
أنه مخربق لينباع ، ومجرمة زسيمد الباع ، وتابض يبري النبال ، ورايض يبغي
النضال ، فلما ثلث الكنائن ، وقامت السكائن ، وركدت الزعازع ، وكف المنازع ،
وسكنت الزماجر ، وسكت الزجور والزاجر ، أقبل على الجماعة وقال : لقد جئتم شيئاً
إذا ، وجرتم عن القصد جدا ، وعظمت العظام الرفات ، وافتم في الميل إلى من
قات ، وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ، ومنهم انعقدت المودات ، أنسيتم
يا جبابنة النقد ، وموابذة الحل والعقد ، ما أبرزته طوارف القرائح ، وبرز فيه الجذع
على القارح ، من العبارات المهدية ، والاستعارات المستعذبة ، والرسائل الموشحة ،
والاساجيع المستملحة ، وهل للقدمات إذا أنعم النظر ، من حضر ، غير المعاني المطروقة
للموارد ، المعقولة الشوارد ، الماثورة عنهم لتقدام الموالد ، لا لتقدم الصادر على الوارد . الخ
ولشعراء محاورات مشهورة في تفضيل الحبيب الاول أو الحبيب الآخر ،
ومن المشهور في الاول قول بعضهم :

أتاني هواها قبل ان أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا
وقول آخر :

كم منزل في الارض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل
نقل فؤادك حيث شئت مع الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
وقول بعضهم في الثاني

محا حبها حب الاولى كن قبلها وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

وقول آخر في الرد على مفضل الحبيب الاول، ولكن جاء بحجة دينية لا غرامية،
وفلسفة درويشية لا عذرية

أكلف بأخر من علفت بحبه . لاخير في حب الحبيب الاول

أنشك في أن النبي محمداً ساد البرية وهو آخر مرسل

والعدل في الحكم : أن تقدم الزمان وتأخره لا شأن لهما في المفاضلة بين الافراد ،
ففي كل زمان أفذاذ ، فالقديم كان جديداً ، والجديد يعود قديماً ، كما حققنا ،
ولله در القائل في ذلك :

قل لمن لا يرى للاواخر شيئاً ويرى للاولائل التقديماً

ان ذاك القديم كان حديثاً وسبقني هذا الحديث قديماً

وانما التفاضل بين الاشياء والاشخاص يتعلق بذواتها وصفاتها ، ودرجة انتفاع
الناس وارتفاقهم بها ، فان كان للمتقدم فضل الابتكار والاختراع ، فقد يكون
للتأخر عنه فضل التحسين والاكمل الذي يتم به الانتفاع ، وقد اشتهر أن كثيراً
من المخترعات التي سبق بعض اللاتين أو الانكليز الى كشفها قد أتمها الالمان
فكان نفعهم وانتفاعهم بها أعظم

القضية الثانية

(فضل الشيء في مزاياه ودرجة الانتفاع به)

جهل هذه الحقائق أو تجاهلها ادعاءات تجديد ، فطفقوا يدعون الى ترك القديم لانه قديم،والأخذ بالجديد لانه جديد ، وربما وصفوا القديم بالبالي لزيادة التقييح والتجديد ، وان كان على قدمه لا تبلى جسده ، ولا تخلق ديباجته ، ولا تحبوا ناره، ولا تنظني أنواره ، كدين الله القويم ، وكتاب الله الكريم (واذ لم يهتدوا به فسيتولون هذا إفك قديم)

ان تفضيل الجديد لجده، على القديم لقدمه ، مكابرة للحس، وسفه للنفس، ومصادمة للعقل ، وهو باطل ببداهة الرأي ، واجماع كل قبيل وشعب ، فان من القديم ما يتنافس فيه خواص الناس في أرقى أم الحضارة، فيباع بالآلاف الكثيرة من الجنيهات، إما لقدمه ونفاسته معاً ، وإما لقدمه وحده ، وان هذه البلاد لتفاخر بجميع بلاد الحضارة بآثارها لتليدة، وليس عندها شيء من مبتكرات حضارتها الطريفة، وانك لترى قصور الملوك والقيصرة وكبار الامراء والاغنياء مزينة بالصورت التي رسمها قدماء المصورين، كما ترى على جدرانها دون أرضها أنفس السجاجيد المعجبة والشيلان الهندية القديمة

وانك لترى دور الآثار العادية تتعالى في شراء هذه الآثار كما ترى خزائن الكتب العامة والخاصة تتعالى في شراء الكتب القديمة لكبار العلماء المتقدمين . وان علماء هذا العصر في الغرب يشهدون لكثير من قدماء الحكماء والعلماء والشعراء بالفضل، ويعترفون بأن منهم من لا نظير له في هذا العصر ولا شبيهه وأما الانبياء، وكبار القديسين والاولياء، فلا يزال السواد الاعظم في بلاد الحضارة العصرية يفضلهم على جميع العلماء والحكماء المتقدمين والتأخرين، ويعترف بما امتازوا به في أنفسهم وفي هدايتهم ، بل لا تزال مئات الملايين من شعوب أوربة وأمريكا تعبد واحداً منهم، فأين تذهبون يا دعياء التجديد الاحادي ؟ وما شأن

من تقلدوا من ملاحدة الافرنج الا فذاذ مع العلم بالتهضة الدينية الجديدة في أوربة وأمريكا التي أنارتها الحرب الاخيرة ؟

وإن كان كل جديد يحمى ويؤثر لجذته فماذا تقولون في هذه السموم الجديدة المخدرة للأعصاب، بل المفسدة لصحة الاجساد، المطفئة لسرج العقول، التي يوشك أن يهلك بها هذا الشعب، اذا لم تنجح حكومته فيما سعى اليه حكمدار العاصمة لدى عصبة الأمم من صد تيارها، وقطع الطرق الخفية على تجارها، ومن تقليل ما تصدره معاملها في أرقى بلاد أوربة في هذه المدنية المادية الفاسدة المفسدة

وأما أحدث نظام جديد للحكومات المصرية فهو النظام البلشفي الذي ترتعد منه فرائص دول الارض، وإنما يتمنى له النجاح والانتشار بعض المتململين من إرهاب دول الاستعمار لهم، ولكن غلاة التجديد الالحادي معجبون به مبالغون اليه، ولولا عقاب الحكومة لصرحوا ببيت الدعاة له. ولولم يكن من فوائده عندهم إلا هدم هداية الدين، وتقويض أركان الفضائل وأصول الشرائع الالهية لكفى القول الحق الفاصل في الجديد والقديم

والقول الحق في الموضوع انه لا بد للبشر في كل عصر من القديم والجديد، وان في كل منهما الحسن والقيح، والنافع والضار، وان من الناس من هو أميل بطبعه الى هذا ومن هو أميل الى ذاك من اجناس الاشياء وانواعها، وقلما يفضلها لمحض جدتها إلا الاطفال، ومن على مقربة منهم من النساء والرجال. وأما العقلاء المستقلون فلا يرغبون عن النوع القديم الى الجديد الا بمرجح يوجهه عليه عملا بالقاعدة المنطقية في المتساويين. وإنما تكون الجدة مرجحة في جزئيات النوع الواحد اذا كانت متساوية في سائر صفاتها، فان الجديد يكون أزهى وأبهج وأثبت وأبقى. فمثال الجنس من الالاث والماعون سرر النوم، ومثال النوع منه في المادة ذوات المعادن المختلفة، وفي الشكل ذوات العمودين وذوات الاربعة الاعمدة. وجزئيات النوع منها افراده، والعامل لا يختار شيئاً منها لمحض جدته، إنما يوجهه بسبب من اسباب الارتفاق والانتفاع به، إما في ذاته وإما في أمر خارج عنه، كالاقتصاد واللياقة والوطنية والقومية.

من مُثُل ترجيح القديم على الجديد الذي هو خير منه في نفسه وفي الارتفاق والانتفاع به، وراء المثل المعروفة من رخص البن وغلائه ومراعاة قدرة المقتني المالية - أن في دار الصناعة البحرية الانكليزية آلات بخارية اثقب حديد المدافع وغيره قد حدث بمدها آلات من نوعها تدار بالكهرباء هي خير منها قوة وسرعة ونظافة - وربما كانت اقل نفقة ايضا - وهم لا يستبدلون بها لان في استبدالها بها نفقة عظيمة لا تنفي بها منفعتها . حدثني الدكتور يعقوب صروف انه رأى هذه الآلات وان الدليل الذي كان يطوف به هنالك قال له ان اليابانيين تعلموا منا صنع هذه الآلات في عصر الكهرباء فجعلوا آلاتهم كهربائية فكانت خير آمن آلاتنا هذه. وان بقاء حاجتنا اليها لا يبيح لنا بذل النفقة الكبيرة التي يتقاضاها تغييرها

ترجيح ما هو وطني أو قومي على الاجنبي

وأما ترجيح كل ما هو وطني وقومي على غيره من جديد وقديم فهو ركن من أركان الحياة الاقتصادية والسياسية والأدبية في جميع الأمم الحية، ولا سيما الانكليز الذين راعهم رواج المصنوعات الالمانية في بلادهم لرخص ثمنها، فألفوا عدة جمعيات للبحث في أسباب تلافى هذا . وقد سألت في بعض صيدليات برلين ومونيخ عن علاج افرنسي من العلاجات التي أحلها في السفر، وأقنتها في الحضر، لعروض الحاجة اليها فجأة في بعض الاوقات، فكان الجواب في البلدين واحداً وهو « هذا لاتيني، هذا لاتيني » لم يقولوا انه غير موجود بل ذكروا سبب ذلك وهو انه من صنع اللاتين لا من صنع الجرمان . ثم استبدلت به علاجاً ألمانيا خيراً منه فيما وضع له . ولو وجد علاج مصري أو عربي يقوم مقامهما لفضله عليهما

بمثل هذه القومية والوطنية ارتقت شعوب الغرب بأبنائها، البارين بأقوامهم، المعتزين بأوطانهم، فهم يفضلون كل ما هو لهم من صناعة وتجارة وتشريع وغير ذلك من مقومات الأمم ومؤسساتها على ما هو لغيرهم، فأحكام قضاة الانكليز القدماء وقرارات ندوتهم من أصول التشريع عندهم، يحافظون عليه أشد من محافظتنا على الاحكام التي نؤمن بأنها منزلة من عند الله تعالى . بله الاحكام الاجتماعية التي

استنبطها أنمتنا من نصوص شريعتنا وقواعدها . وقد سبق أسلافنا الافرنج إلى الاعتراف بما لهم من تشريع وغيره في صدر الاسلام . ومن ذلك ما وقع لعمر (رض) مع معاوية لما جاء الشام لابسا مرقعته، مرتحلا ناقته، إذ قال له معاوية: يا أمير المؤمنين إن أهل الشام قد اعتادوا أن يروا حكامهم في ملابس فاخرة فهم لا يهابون من يكون متبذلا في لباسه وزيه، فقال له عمر (رض) نحن جئنا لنعلمهم كيف نحكم، لا لتعلم منهم كيف يحكمون

ومن ذلك أمره (رض) لقواده وعماله في بلاد الاعاجم بالتزام الزي العربي. فقد كتب إلى عامله في بلاد العجم (عتبة بن غرند) كتابا ينهاهم فيه عن زي الاعاجم ويأمرهم بالمحافظة على عاداتهم العربية، ومما قاله في كتابه: تمعددوا - أي تشبهوا - بجدكم معد ابن عدنان في شدته وبأسه وخشونة معيشته - فالمعديون في العرب كالاسبرطين في الاغريق - تمعددوا واخشوشنوا وبرزوا واقطعوا الركب (أي ركاب الخيل) وارموا الاغراض عليكم بالشمس فانها حمام العرب وإياكم وزي الاعاجم الخ وقد حفظ العرب شخصيتهم القومية في الممالك التي فتحوها ماداموا متمسكين بهذه الوصايا وغيرها من مقوماتهم ومشخصاتهم ولا سيما لغتهم ودينهم، فكانت الامم تندغم فيهم وتتعرب وتسلم، ومن تركها منهم ذاب واندغم في غيره من الشعوب وقد قلد الافرنج أجدادنا في هذه السيرة ولا سيما الانكليز. وأدعياء التجديد الالحادي يحاولون اقناعنا بأن نسلخ من ذلك كله حتى أحكام الميراث التي خالف الانكليز فيها جميع شرائع الامم كحيازة أكبر الذكور من الاسرة لجميع ما يتركه أبواه من العقار دون سائر اخوته من بنين وبنات

احتقار الملاحدة والقبط للمسلمين بدعوتهم الى ترك شريعتهم

وأما نحن المسلمين في هذه البلاد قد بلغ من احتقار أدعياء التجديد لما أن يجهر الملاحدة والقبط بها على أعواد المنابر في المدارس الجامعة بدعوتنا إلى ترك ديننا وشريعتنا كلها، لا إلى ترك أحكام الارث وحدها، ذلك بانهم احتجوا علينا بأن الحكومة تركت أحكام شريعتنا في كذا وكذا من العقوبات والاموال فسكتنا لها وقبلنا حكمها، فيجب علينا إذا أن ترك سائر ما شرعه الله لنا من الأحكام

الشخصية في الارث والزواج والطلاق ، اذ لا فرق عند هؤلاء المفتين المجددين بين النوعين من احكام الشريعة

لقد هزأت حتى بدا من هزائها كلاها وحتى سامها كل مفلس بل لم يقفوا عند هذا الحد من احتقارنا بالطعن في شريعتنا الالهية الغراء ، العادلة الكاملة البيضاء ، من أعلى المنابر ، وعلى صفحات المجلات والجرائد ، حتى زعموا أن جميع شباننا المتعلمين أو سوادهم الاعظم يوافقهم في آرائهم ، ويدين لهم بالزعامة في تجديدهم ، بل استخف المسلمين أجروهم على الجهر بالسوء فيهم وفي دينهم^(١) فطفق يشتمنا ويشتم كل من يدافع عن الاسلام في مصر وفي غيرها وهو من غير أصلاب الفراعنة آلهة المصريين الاقدمين ، التي يوجب عليها في تجديدها أن ترجع إلى مدينتهم وإن مرّ عليها ألوف السنين . ويخص الكتبة السوريين المسلمين بالقدح والتفريق بينهم وبين المصريين ، فالمدنية الفرعونية الوثنية لا تنافي التجديد المطلوب لمصر عنده ، وإنما تنافيه الشريعة الاسلامية والحضارة العربية لانهما قد يمتان بالامتياز بزعمه وزعم حزبه . وصرح في آخر مقال نشره في هذا الموضوع بان النعرة الدينية التي انتصرت بها مجلة المنار على مجلة الجامعة فقتلتها « فكان الشباب المصري هو الخاسر بذلك » قد زالت في هذه الايام بزوال سداجة البلاد التي كانت « تجوز عليها هذه الاوهام » وحاول في هذه المقالة أن يجهز على هذه الاوهام الاسلامية ، بتحريك النعرة الوطنية المصرية الفرعونية ، التي تأتي دخول آل الرافعي في جنسية مصر ، وامل تاريخهم فيها يقارن تاريخ بيت الملك ، وينفي بالاولى جنسية هذا الواقف بين أيديكم أيها السادة لان تاريخ هجرته اليها لا يزيد على ثلث قرن ، وهو يحرم عليكم قراءة مجلته المنار الاسلامي بل السماح ببقائها في

(١) هو شاب قبطي اسمه سلامه موسى شديد الشان الاسلام والطعن فيه من طريق الاتحاد والاباحة والمصيبة الوطنية الفرعونية أي القبطية. ولم أذكر اسمه في المحاضرة تنزها عن الاشارة باسمه - ومن غريب المشاكاة في الاتحاد ان صاحب مجلة عربية من بيت كريم في سورية جاء مصر فكان هذا القبطي وبعض قرناؤه الملاحدة عمل مودته وإعجابه وما زال ينوء بهم في بحارته

مصر إذ يقول في آخر هذه المقالة : فلنقهم واجبنا ولنعلم أن الوطن خالد ، وأن شيوخننا وشباننا مصريون قبل كل شيء . عليهم واجب محتوم يقاضيه إياه شرف البلاد . وهو أنه يجب أن تكون الصحافة المصرية صناعة مصرية لا تنحصر مصريتها في أن يكون قراؤها مصريين . بل يجب أن يكون أصحابها ومحرروها مصريين أيضاً » اهـ بحروفه .

ولهذا المجدد الذي كان أول داع إلى مساواة النساء بالرجال في الميراث في العهد الأخير من مجلته هذه دعاية جديدة إلى بث دين البابية البهائية في مصر مع تصريحه بأنه لا يؤمن به وتعليقه ذلك بقوله « فان لنا من المزاج الادبي الفلسفي ما يجعلنا نتلس لأنفسنا صوفية عالمية بغير الدين » (ولكن غرضه من الدعوة إليها صرف بعض المسلمين بها عن الاسلام لاضفاف جامعته الخائلة دون جمل مصر فرعونية اي قبطية محضا . ولم أصرح بهذا التعليق في المحاضرة)

أيها السادة

انني أذكر هذا لانه من موضوع التجديد والمجددين الذي نعالجه لبيان حقيقته ، والتمييز بين حقه وباطله ، ومحاولة انتقاء ضرره ، كما قدمت في أوائل هذه المحاضرة ، فأنا أمر بسبه وقذفه كريما بسلام كما الله أمر في القرآن ^(١) واتقي قول

(١) اشارة الى قوله تعالى (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) وقوله بعده (وإذا مروا باللغو مروا كراما) وقد فهم الجمهور من الآية الاولى أن فيها إشارة لطيفة لاسم سلامه هذا . وقد صرحت في المحاضرة بزيادة عما هنا ومنها طعن هذا القبطي بالامير شكيب أرسلان لدفاعه عن الاسلام ونيزه بلفظ « وغد » وقالت إن الوغد في اللغة هو الذي من الرجال الذي يخدم بطعام بطنه . والامير شكيب نابغة بني أرسلان ، من سلائل ملوك العرب وأمرائهم من قبل الاسلام ، وهو يعيش في أوربة مع أهل بيته عيشة الكبراء ، ويزوره في داره ويأكل طعامه الملوك والأمراء والوزراء . (وازيد الآن في هذه الحاشية أن ممن ضافه داره في لوزان ملك الافغان السابق وخديو مصر السابق وغيرها وآخرهم جلالة ملك العراق ومن كان معه في أوربة من وزرائه وحاشيته في صيف هذا العام)

والبخاري في الادب المفرد . ولا أريد أن أخوض مع الخائضين ، في مسألة القبط
والمسلمين ، والعرب والفرعونيين ، وإنما غرضي أن أنبه هذا الشباب المصري الاسلامي
لما يتنازعه في دينه ولغته وثقافته من عوامل الالحاد والفرعونية ، برقيتي التجديد
والوطنية ، لتجريده من هداية دينه وأدبه وتشريعته وعربيته وماله في الاسلام
والعربية من تاريخ مجيد ، وماله باسلامه وعربيته من زعامة في مثات الملايين من
البحر ، لتكون غاية ذلك أن يصير مسلمو مصر بنفوذ شبانهم ملاحدة حائرين ،
يتلمسون صوفية علمية بغير الدين ، يتكفون لفساد وهيبات أن يجدوها ، أو يكونوا
بابيين يعبدون البهاء دفين عكا ، أو نصارى كسادة وطهم من القبط وأعوانهم
يعبدون المسيح عليه السلام .

وكل هؤلاء الدعاة إلى التجديد الالحادي يعتقدون أن هذه هي العاقبة
الطبيعية للالحاد ، كما قرره أحد كتاب فرنسة المستعمرين في كتاب جديد له رددت
عليه في المنار . قال ما خلاصته ان تنصير المسلمين تنصيراً مباشراً من المحال ، وإنما
الطريقة المثلى لذلك إفساد دينهم عليهم بالالحاد ، ولما كان من المحال أن تعيش
أمة بغير دين كانت العاقبة بعد زوال كل أثر للاسلام من أنفسهم ، أن يختاروا
دين النالين السائدين فيهم وفي غيرهم ، وهو النصرانية

وقد رأيت في هذه الايام كيف جدد الاستاذ عزمي دعوة الاستاذ سلامه
موسى إلى نبذ حكم القرآن في الميراث وكيف قام الدكتور فخري يعزز هذه الدعاية ،
وسمعتهم وقرأتهم ما يحتجون به على المسلمين ويقنعون به شبانهم الغافلين ، عما يراد
بهم . وهو ان ترك الحكومة من قبل لبعض أحكام الاسلام المدنية والجنائية
يوجب عليهم أن يتركوا سائر أحكامه حتى المسائل الشخصية (لها بقية)

(١) كان بعد هذا ان دعيتي لجنة الخطابة والمناظرة في الجامعة المصرية الى
مناظرة في المفاضلة في هذا الموضوع (المفاضلة بين المدينتين العربية والفرعونية)
فكان لي القلج بترجيح العربية على الفرعونية وتقدم ذكر هذا في المجلد الماضي
من المنار (٣١)

المناظرة بين أهل السنة والشيعة

قد اطلع قراء المنار في الجزء الثامن (م ٣١) على الكتاب الذي نشرناه للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين من أشهر علماء الشيعة الامامية في هذا العصر الذي يطلب المناظرة - وعلى اجابتنا إياه الى طلبه وما اشترطناه فيها ، وقد جاءنا بعد ذلك الرسالة الآتية منه فاذا هو لم يلزم فيها الشروط فكان لنا أن نطلب منه حذف ما ليس من الموضوع الذي حددناه وان كان يمت اليه بنوع من انواع القرابة او المناسبة ، واذا يظن في الظنون ، ويفتح له باب من النقد يقبله الكثيرون . وانني أنشر له هذه الرسالة على كونها أكثرها خارجا من دائرة الموضوع ، ومنتقدة من عدة وجوه ، وإعلانا عن كتابه بالاحالة عليه وبيان موضع بيعه ورخص تمنه . ولكنني أعلق عليها تعليقا وجيزا اعود فيه الى تحديد موضوع المناظرة ولا أقبل بعده كلمة تخرج عن حدودها وهذا نص رسالته

(الرسالة الاولى للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد جرت مناظرة بيننا وبين الاستاذ العلامة الامام حضرة صاحب مجلة المنار الغراء ونال كل منا صاحبه بما جرحه فرأينا أن ذلك يحول دون الغرض الذي يؤمه أهل الدين والعقل من احقاق الحق وجعله الضالة المنشودة لهم فكتبت اليه راجياً منه فتح باب في المجلة نذكر فيه المسائل الهامة بين الطائفتين ورأي كل منهما ودليله فحقق رجائي وكان عند حسن ظني وأتحفني بكتاب ملاء خنانا وغيره على الدين وأهله، ولا عجب إذا جاء الشيء على أصله وخرج الجوهر من معدنه وأرجو بركة هذه المجلة ونية صاحبها أن تقف على فوائد جمة ونهتدي إلى كثير مما خفي علينا علمه ومعرفته، فنحن بلسان أهل الحق والفضل نشكره شكراً جزيلاً ودع عنك قول بعضهم دعوا البحث فيما يتعلق بالدين والمذهب وهلم إلى التعاون على توحيد الكلمة وجمع الامر قبالة للمستعمرين فان ذلك لغو من القول وخطل من الرأي وكأنها مقالة من لا يرى الاسلام

٦٢ أرسى قواعد الاسلام عند أهل السنة وأرساها عند الشيعة المنار: ج ١ م ٣٢

دينا، ولا يرى ان هناك حياة أخرى خالدة غير هذه الحياة، وانما يرى الاسلام رابطة قومية وجامعة سياسية فهو يدعو اليها ويحض خلبها وهذه الدعوى لا تجدي نفعا عند من يرى الاسلام ديناً ويتقرب إلى الله سبحانه بنصرته ومعاداة من يحسه بسوء. فالدواء الناجع إذا لتوحيد كلمة المسلمين وضمهم تحت لواء واحد هو سعي عقلاء العلماء (أي علماء الدين) من كلتا الطائفتين إلى محل الخلاف وفحصه وإزالته بالبرهان واصغاء كل منهما لحجة الآخر وتحكيم أهل الفضل والانصاف، ولا ينبغي وضع هذا العبء على كاهل العلماء فحسب

بل على العقلاء ممن بهمهم أمر المسلمين القيام مع العلماء مراقبين سيرهم في المناظرة فان الحق لا يخفى على طالبه، وانني لا انكر أن يكون في علماء الطائفتين من تهمة نفسه ولا يميل إلى الاتفاق لما اعتاده من التعصب الأعمى فعلى العقلاء من كلتا الطائفتين رفض اولئك والتنبه لهم

وليت شعري كيف يمكن الاتفاق بين هاتين الطائفتين قبل دفع سبب الخلاف

ان الشيعة من المسلمين يرون ان من أرسى قواعد الاسلام وأقوى دعائه

موالاة أهل البيت والاهتداء بهديهم والعمل برأيهم وحديثهم، وان المنحرف

عنهم النابذ لحديثهم المهتدي بخلاف هديهم غير متبع سبيل المؤمنين، ويرون ان أبناء السنة من المسلمين منحرفون عنهم بنبذهم علمهم وحديثهم واعراضهم عن مذهبهم فهم على غير سبيل المؤمنين

وان المسلمين من أهل السنة يرون ان أرسى قواعد الاسلام وأوثق عراه

موالاة أصحاب رسول الله جميعهم والعمل بكل ماحدثوا به لانهم حملة الدين وحفظه الوحي ومبلغوه إلى الامم فالمنحرف عنهم التارك لحديثهم غير متبع سبيل المؤمنين، ويرون ان الشيعة منحرفون عن أصحاب رسول الله ﷺ لانهم حديثهم وانقطاعهم الى أهل البيت فهم على غير سبيل المؤمنين

فعلى هذا كيف يشترك المستمسكون بالدين منها بالعمل باخلاص ونصح

مالم يقع التفاهم بينهم؟

فلو أن شخصين متعاضدين سارا في طريق واحدة لم يجديهما نفماً إظهارهما
المجاملة وقول كل واحد منهما لصاحبه : دع العدا بيننا جانباً وهلم فلنكن يداً
واحدة على من سوانا . فان ذلك غير مستطاع لهما ، واعتمادهما في التعاون على ما أظهرناه
من المجاملة والاتفاق غرور وأمان باطالة ، فلو ظفر بهما عدو لهما على هذا الحال ثم
استعان بكل واحد منهما على صاحبه لأعانه

فعلى هذين الرفيقين أن يقتلوا بسب العدا من عروقه ويعترف كل واحد
منهما لصاحبه بما جناه ويعطيه بيده لياخذ بحقه حتى يرضى ، وعندها تذهب الشحناء
ويحل محلها الود والاخاء

أما انا فهذه يدي رهن بما أقوله معطاة لمن يريد ها وما توفيقى اذ بالله

﴿ علم علي وعمر (رض) بالدين والقضاء ﴾

ذكرت مجلة الشبان مقالا وهو ان عمر كان أعلم الصحابة بالدين وأفقههم
فيه ^(١) وردته مجلة العرفان بقولها : ان هذا مناف لقول النبي ﷺ « أقضاكم علي »
وقواه « أنا مدينة العلم وعلي بابها » ولقول عمر : لولا علي لهلك عمر ، ولا بقيت
القضية ليس لها أبو الحسن . واد الاستاذ العلامة صاحب المنار في الجزء الرابع من
المجلد ٣١ ص ٢٩٥ هذه الادلة وعنون المسألة بهذا العنوان

وحاصل الردان ماروي عنه ﷺ من الحديثين غير صالح للاستدلال به
لعدم صحة ماروي وعلي فرض صحته لا دلالة فيه على المطلوب اذ كون علي اقضى
لا يمنع أن يكون عمر أعلم لان القضاء أعني فصل الخصومة لا يحتاج الى كثير علم ^(٢)
وانما يحتاج الى ذكاء وفطنة فيبين الأعم والأقضى عموم وخصوص من وجه .
وكذلك جعل علي (ع) باب مدينة العلم لا يوجب الحصر لجواز ان يكون للمدينة
ابواب كثيرة منها علي (ع) ومنها عمر (رض) ومنها غيرها . وكذلك قول عمر
انما جاء على نحو التواضع . ثم أطال البحث في احوال الرواة لهذين الحديثين وتضعيفها

(١) المنار : الصواب ان مجلة الشبان المسلمين نشرت مقالا في عمر (رض)
فيه كلمة بهذا المعنى ولم يكن هذا موضوع المقال (٢) لم نقل انه لا يحتاج الى كثير علم

أقول : بما أحسن المناظرة اذا كانت بأدبها ، وصحت نية أربابها وكان الحق ضالهم ، والبرهان قائدهم

ولنفضي عما في هذا الجزء من الشتم والتجهل كما تضمنته رسالة ابن تيمية ، ومقالة الاستاذ التي عنوانها (السنة والشيعة وضرورة اتفاقهما) فانها كتبت قبل الصلح والمصالحة . وقبل الخوض في البحث تقدم بيانا يعلم منه مناظرنا كيف يسير معنا في المناظرة
رأي الشيعة في الخلافة

ان المسلمين من الشيعة يرون أن الخلافة أصل من اصول الدين كالنبوة وان نصب الخليفة واجب على الله عقلا من باب اللطف كوجوب إرسال الرسول ويرون ان الخليفة لا بد أن يكون أكمل اهل زمانه في جميع فنون الفضل كالنبي وان امتاز النبي ﷺ عن الخليفة عندهم بأمر كثيرة . ويرون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ هو علي أمير المؤمنين (ع) فهو أفضل اهل زمانه
رأي السنة في الخلافة

ان المسلمين من السنة لا يرون الخليفة بهذه العظمة فهي عندهم فرع من فروع الدين فيجب على المسلمين ان يختاروا من بينهم خليفة ولا يشترطون امتيازاه عن غيره في الفضل والصلاح . ولعل اكثرهم لا يشترط فيه الصلاح والعدالة فاذا عرفت ذلك ظهر لك ان الشيعة حين ينكرون ان يكون احد من الصحابة أفضل من علي (ع) او مساويا له انما هو لمناقضاته لأصل الدين وقاعدة المذهب عندهم وقد فرغوا من اثباته بالحجج القاطعة والبراهين العقلية والنقلية وألغوا في ذلك الكتب المطولة ، فمن يجهل رأيهم في الخلافة ولم يطالع ما كتبوه في ذلك مع وفوره وقرب منالة يظن أن ذلك منهم غلو في علي وانحراف عن غيره وليس كذلك
إن العالم الشيعي ينظر إلى التفاضل بين علي (ع) وعمر (رض) كأهم مسألة دينية والعالم السني ينظر إلى التفاضل بينهما كمسألة تاريخية ، وحيث كان البحث في التفاضل من الوجهة الدينية يحتاج إلى البحث في أصل الامامة وهي مسألة ضافية الذيل فسيحة الأرجاء لا تسع هذه العجالة فلنبحث الآن عنهما من الوجهة التاريخية ونعرض

ما عندنا في ذلك على أهل الفضل والانصاف

انني وأيم الحق لم يكن يختلج في صدري ان أحداً من أهل الفضل يقدم أحداً من الصحابة على علي (ع) في العلم أو يساويه فيه ، ونذت أرى أن هاتين الصفتين أعني الشجاعة والعلم قد كلتا فيه وامتاز بهما عند أوليائه وأعدائه ، وان صفة العلم فيه أظهر من صفة الشجاعة لسبقه فيها سبقاً بعيداً

هذا كتابه قرآن العارفين وفرقان السالكين تتجلى آياته وتتلأأ أسرارها ، وما أخال حضرة الاستاذ يرتاب فيه كغيره بعدما أورده أستاذه ذلك الخبر الكبير المخير العذب من مشاربه ، وأوقفه على تلك الالهيات عن عجائبه

اننا لعمر الحق أبعد المسلمين عن العصبية ، وأقربهم للاتفاق ، وأحبهم للانصاف ، وما الحيلة في ترك ولاء هذا الرجل (أعني أمير المؤمنين علياً) وقد تتجلى لنا تقدمه في الفضل على كافة أصحاب رسول الله ﷺ وسبقه لهم فيه سبقاً بعيداً ، واننا لنعجب لبعض العلماء من اخواننا السنيين كيف لا ينصفوننا في علي (ع) ولا يرون رأينا فيه ، وما لنا لانهجب ؟ وانما هذا الفضل له أخذناه منهم ، ورويناه عنهم

فمن عدم انصافهم ماذا كره هذا البعض من ان عمر أعلم الصحابة ومنهم علي (ع) وهما موقف الحيرة فان سكتنا كان ذلك اقراراً منا بالخطأ وفساد المذهب ، وان أوضحنا الحق في المسألة ونصرنا رأينا قامت القيامة علينا وورمينا بالرفض والعلو والتعصب على أكابر الصحابة

لكننا نؤثر احقاق الحق ونحتمل في سبيله كل مكروه ولعلنا لانعدم من اهل الفضل والانصاف أنصاراً ومحكمين

اعلم أيها الاخ المنصف ان لنا على تفضيل علي ثلثي عمر (رض) وعلى كافة الصحابة (رض) براهين قاطعة من طريق العقل ومن طريق الرواية أما من طريق العقل فيحتاج ذلك الى معرفة الزمان الذي تلقيا فيه ذانك التلميذان العظيمان (أعني علياً عليه السلام وعمر رضي الله عنه) العلم عن معلمهما أعني رسول الله ﷺ ومقداره ومنزلة كل واحد منهما من الفطنة والذكاء وعندهما تصدر الحكم غير مرتاب

« المنار ، ج ١ » « ٩ » « المجلد الثاني والثلاثون »

نصفه اسلام عمر رضي الله عنه

أسلم عمر رضي الله عنه في السنة السادسة من بعثته ﷺ وعمره ست وعشرون سنة فعليه يكون قد قطع مرحلة من عمره في غير طلب العلم لا يستهان بها فاذا أضفت اليها ثلاث سنوات لم يلق عمر فيها رسول الله ﷺ الا نادراً وذلك عند حصار قريش لبني هاشم وبني المطلب في شعب ابي طالب رضي الله عنه تراه قد خسر رأس ماله الذي يتجر به الانسان في كسب العلوم والمعارف وذلك ظاهر لان الزمان الذي يستفيد منه المرء ويتعلم به هو زمان الصبا والشبيبة وبها تكون القوة والذاكرة والحافظة في منتهى النمو والنشاط والاستعداد لتلقي العلوم والمعارف وما سمعنا بمن طلب العلم عند بلوغ هذا السن أعني تسعا وعشرين سنة وبرع فيه وان كان ثمة أحد فهو من شواذ الطبيعة ومنكر ذلك مكابر وحائد عن طريق الانصاف

خصوصاً في الصدر الاول أعني زمن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فقد كان الاعتماد على الحفظ والذاكرة ولم تكن يومئذ المعلومات تدون ليؤمن تفلتها وضياعها فكان أعلمهم أكثرهم حفظاً وأقوام ذاكرة ولولا حرص التابعين على حفظ الحديث وتدوينه لما وصل الينا من علمهم شيء

ولقد كنت زمن شبيبي أعجب من كل من يقول نسيت فاني لم أكن لأنسى شيئاً سمعته او قرأته وبعد بلوغي الثلاثين اقلب الامر وأصبحت أعجب ممن يحفظ ولا ينسى ولم يبق في ذاكرتي غير ما استودع به ازمن الصبا والشبيبة وما شكوت هذا الداء لاحد من أبناء جيلي الا وشكالي نفس ذلك الداء الذي اشتكيه ويؤيد ذلك ما روي في سيرة عمر رضي الله عنه انه لبث في حفظ سورة البقرة

وتعلمها اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورا (١)

(١) روى ذلك العلامة المتبحر عز الدين بن أبي الحديد في شرح النهج جزء ٣ صفحة ١١١ وهذا الكتاب جليل القدر جرم الفوائد يدل على غزارة علم صاحبه وقدمه في كثير من فنون الفضل ولا سيما الحكمة والكلام والتاريخ والحديث والادب وهو شديد الولاء لعمر رضي الله عنه طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٣٢٩

ولم يكن عمر رضي الله عنه يعرف بالصحبة لرسول الله ﷺ والاتصال به قبل اسلامه ليستفيد من علومه

زمن تعلم علي عليه السلام

لا يرتاب أحد ممن راجع أحوال الصحابة وقرأ تاريخ حياتهم في ان رسول الله ﷺ ضم عليا اليه وأخذه من أبيه وهو ابن أربع سنوات (١) وهذا هو اول الزمن الذي يتأهل الغلام فيه لتعلم مبادئ العلوم وتلقي بذور الاخلاق الطيبة والطباع الفاضلة ، ويأمن أسعد ذلك الغلام الذي يظفر بمثل ذلك المعلم في مثل ذلك الزمان وينقطع اليه عن أبيه وأمه واخوته وكل أبناء جيله ثم لا يفارقه مدة حياته يخرج لهذا الغلام

ومن يستطيع تحديد ما استفاده ووعاء قلبه وطبعت عليه نفسه من العلوم والاخلاق وقف القلم ههنا بعد نخوته معترفا بالمعجز عن هذه المهمة من التحديد فأين ربانيو هذه الامة والراسخون في العلم منهم عن تحديدها وبيان مقدارها ؟ مل بنا نحو تلك الخلوات التي كان يكون بها مع معلمه ﷺ قبل بعثته . كان رسول الله ﷺ قبل بعثته قد تيمم الوجد وأورثه ذلك وحشة من الناس ، وأنسا بالخلوات والانتقطاع عن هذا الخلق المتعوس المتردد في دياميم الجهل والشقاء ، النائي عن الخير والسعادة ، فكان ، يجاور في كل سنة بحراء ومعه هذا الغلام

(١) ذكر الامام الحافظ ابن حجر في الاصابة صفحة ٥٠٤ هـ ان عليا ربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه وكذلك كافة المؤرخين ممن عرفناه كالطبري وابن الاثير وابي القداء وقد أشار عليه السلام الى ذلك بخطبته التي تسمى بالقاصصة بقوله وقد تعلمون موضعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرابة القرية والمنزلة الخصيصة وضعتني في حجره وأنا وليد يسمى الى صدره ويكنفني فراشه ويمسني جسده ويشمني عرقه وكان يمسح شيتا ثم يلقمني وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل وكنت أتبعه اتباع الفصيل إثر امه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالافتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيري اطلع وقد أشبعنا ذلك بيانا في الجزء الاول من كتاب الكلمات ص ٤١ فمن شاء فليراجعه ويطلب من ادارة العرفان من صيدا بقيمة زهيدة

الشهرين والثلاثة يريض تلك النفس الزكية ويؤهلها لوصول ذلك الحبيب الذي هام به
وكان علي عليه السلام يهيم بذلك الحبيب كهيام معلمه ويشاركه في خلواته
به وأنسه بقربه وتلقى فيوضاته وألطفه لائاث لهما

فأين الاصحاب رضي الله عنهم عن تلك المراتب السامية من هذه المكاشفات
والمشاهدات خلّاهما التي كانت تتجلى في قلبيهما وتتلأّأ على طور سيناء نفسيهما
ولا نعجب بعدها من أمر هذا الغلام كيف فارق أهله وأخوته وأترابه وانقطع
إلى معلمه ولم يمل به الحداثة إلى الأخذ بنصيبه من اللعب واللهو وهو منتهى لذة
الاحداث وقصارى رغبتهم

فلقد مليء قلبه بحب خالقه ولم يبق فيه فراغ لسواه فسبحان واهب العطاء
يختص بكرامته من يشاء ، أظن رعاك الله أن ساعة من الزمن كانت تمر على هذا
التلميذ بغير فائدة من ذلك المعلم الحريص (١) على التعليم

فلو ادعى مدع كذا التلميذ بعد وفاة معلمه أنه وارث علمه أتكون دعوى غلو
ومجازفة أم دعوى حق وانصاف ؟

وقد تبين مما ذكرنا أن علياً عليه السلام تعلم العلم من رسول الله ﷺ زمن
الصبا والشبابة بخلاف عمر رضي الله عنه وإن عمر ابتدأ بالتعلم من رسول الله ﷺ
مع علي بعد أن سبقه وتعلم قبله بخمس عشرة سنة على أقل ما روي من عمره يوم
بعثته ﷺ وهو عشر سنين ، وأما علي ماروي من أن عمره يوم البعثة كان خمس
عشرة سنة فيكون قد سبقه بعشرين سنة فما يقال لهذا التلميذ الذي دخل المدرسة
وابتدأ بالتعلم وهو ابن تسع وعشرين سنة ولم يكن (٢) معروفاً بمحنة الذهن وتوقد

(١) روى في كنز الأعمال على هامش مسند أحمد ص ٣٤٤ أن علياً سئل
عن كثرة ما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كنت إذا سأله أنبأني
وإذا سكت ابتدأني

(٢) روى المحدث الجليل الموثق عند اخواننا وهو محمد بن سعد في الطبقات جزء ٣
صفحة ٢٧٣ بإسناده عن أبي هريرة قال قدمت على عمر رضي الله عنه من عند
أبي موسى بثمانمائة ألف درهم فقال لي بما قدمت ؟ قلت بثمانمائة ألف درهم فقال لي
ألم أقل لك إنك يمان أحق أنك قدمت بثمانين ألفاً. فقلت يا أمير المؤمنين إنما قدمت =

القرينة ، ثم صحب تلميذاً شاباً قد تعلم قبله بخمس عشرة سنة ودأباً يتعلمان مدة حياة معلمهما ، فهل يجوز في أحكام العقول عند أهل الفضل والانصاف أن يلحق السكهل بذلك الشاب ويفوقه بالعلم والمعرفة خصوصاً إذا كان الشاب أقوى فطنة وأكثر ملازمة وانقطاعاً إلى المعلم ؟ كلا ثم كلا

وهذا لعمري من البديهيّات الأولى ، واعلم رعاك الله أيها الأخ المنصف أننا هنا لا نعتمد في تفضيل علي عليه السلام على كافة الصحابة رضي الله عنهم إلا على أمثال هذه البراهين القاطعة والأمور المحسوسة التي سجلها التاريخ وأوضحها البحث والتنقيب والتدبر . أما الأحاديث التي وردت في فضله عليه السلام فأنما نذكرها تأكيداً واستظهاراً قبالة الخصم ، وهذه طريقتنا في الأصحاب رضوان الله عليهم لا نعتمد في فضلهم وصلاتهم على ما روي فيهم حتى نرى مادون لم في التاريخ من الأعمال ، فإن كان ثمة عمل يؤيد ما روي فيهم آمناً وصدقنا ، وإلا أهملنا الراوي ولم نؤمن بحديثه

واسمنا بحمد الله ممن يبغض الناس أشياءهم ، بل نعطي كل ذي حق حقه وننتعز المرء بما هو فيه ، إن لعمري بن الخطاب رضي الله عنه وجهة كان يؤمها ، وغاية كان يسعى إليها هي من أشرف الغايات وأعلى المقاصد

= ثمانمائة ألف درهم فجعل يغضب ويكررها فقال وبك وبم ثمانمائة ألف درهم ؟ فعددت مائة ألف ومائة ألف حتى عدت ثمانية وروى أيضاً أنه قرأ قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال ما الأب هو التكلف فما عليك أن لا تدري ما الأب . وروى أحمد في مسنده أن عمر رضي الله عنه لم يعرف حكم الشك في الصلاة صفحة ١٩٠

وروي فيه أيضاً أنه أمر برجم مجنونة زنت فانتزعها منه علي عليه السلام وأخبر عمر بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن الصبي حتى يكبر وعن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلي حتى يعقل » فرجع إلى قوله وروى أبو الفرج في الجزء الثاني من كتابه الأغاني صفحة ٥٣ أن الزبرقان ابن بدر شكاً إلى عمر رضي الله عنه الخطيئة الشاعر حين هجاء فقال ما قال لك فأنشده

دع المكارم لا تنهض لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
فقال ما أراه هجاء فقال بل هجاني يا أمير المؤمنين فسال حسبان فقال بل سلح عليه

ألا وهي اعزاز الاسلام واظهار أبيهته وعظمته وتفخيم سلطانه ، فمن ذلك يوم أسلم قال لا يعبد الله بعد اليوم سراً فكان المسلمون بعدها يصلون ظاهرين ومنها أنه أشار بأن يتخذ لرسول الله ﷺ مكاناً يمتاز به عن أصحابه ليعرفه الغريب والوافد ولا يحتاج إلى أن يسأل عنه فان في السؤال عن العظيم مالا يخفى ومنها أنه أشار بأن تحجب نساؤه ﷺ ليكون لها الميزة عن سائر النساء ولقد قال لبعض نساء رسول الله ﷺ وقد رأى شخصها في ملا من الناس لو اطمت فيكن مارأتكن عين

ومنها أنه أشار بقتل الاسرى يوم بدر حتى لا تقوم تقريش بعدها قائمة فان الاسرى كانوا هم الرؤساء والقادة ، وكان يسأل رسول الله ﷺ أن يأذن له بقتل كل من يداهن في دين الله ، وكان شديد الحرص على قتل ابي سفيان لما رآه من شدة كيدته للاسلام ، وكان يوم الحديبية شديد الانكار للصلح قال يا رسول الله ألسنا بالمؤمنين ؟ فقال نعم فقال أليسوا بالمشركين ؟ فقال نعم فقال فكيف نمطي الدنية من ديننا ؟ حتى سنكن ابوبكر من هيجانه فقال له والله انه لرسول الله ، فقال عمر وأنا أعلم والله انه لرسول الله ، فقال له اذن فالزم غرزه

وهذه الاعمال مانشأت إلا عن نية صالحة وحرص شديد على اعزاز الاسلام وتشديد سلطانه ، ولو أردنا ذكر الاعمال التي قام بها ايام خلافة ابي بكر رضي الله عنه وايام خلافته التي أعزت الاسلام وارست قواعده ونشرت على البسيطة اعلامه ، وطبقتها بسلطانه ، لصاقت عنها بطون الصحف واستغرقت زمناً طويلاً فجزاه الله عن الاسلام وأهله خيراً

صاحب الكلمات

عبدالحسين نورالدين الحسيني

النبطية (سوريا)

[المنار] يؤخذ من هذه الرسالة الفصيحة الصريحة المجردة من لباس الرياء

والتقية ان كاتبها يعتقد ما يأتي

(١) ان توحيد كلمة المسلمين واتفاقهم على الدفاع عن دينهم المشترك وعن أنفسهم وعلى حقوقهم السياسية والوطنية وغيرها يتوقف على زوال الخلاف المذهبي بين أهل السنة والشيعة ، برجوع أحدهما الى مذهب الآخر الذي هو سبيل المؤمنين

عنده ، ومن لم يتبعه يكون غير متبع لسبيل المؤمنين . وأنه يجب على الآخر حينئذ عداوته في الدين ، وعدم الاتفاق معه على شيء ولو كان دفع عدو لهما كليهما ، بل إن شأنهما أن يعين كل منهما عدو الآخر عليه ، وكذا عدوهما كليهما ، أي إن مظاهره عدو الدين والوطن والاتفاق معه أولى من مظاهره عدو المذهب والاتفاق معه (٢) . ان الوسيلة الموصلة الى هذه هي سمي علماء الدين من الفريقين الى ازالة أسباب هذا الخلاف بالبرهان ، واصغاء كل منهما الى حجة الآخر في المناظرة وتحكيم أهل الفضل والانصاف بينهما فيما لا يتناصفان فيه

فأنا قبل الدخول في هذه المناظرة أقول ان اهل السنة ينكرون توقف الاتفاق على ما ذكر . وان العقلاء من جميع الأمم ينكرون إفضاء المناظرات الدينية والمذهبية إلى رجوع أهل المذهب الذي يغلب عالمه في المناظرة الى مذهب الغالب كما يعلم بالاختبار في جميع العالم . ويؤيده فينا ان المناظرات بين الفريقين قد كثرت وتعددت في الاجيال الماضية وفي جيلنا مرارا لا يحصى الا الله تعالى ، وقد ألف فيها كتب كثيرة من بسيط ووسيط ووجيز ، فلم تزد السواد الاعظم من الفريقين الا تعصبا لمذهب وصدودا عن مذهب الآخر . فكانت مفرقة لا جامعة ، ومبعدة لا مقربة ، وانما تغيد المناظرات أفرادا من مستقلي الفكر في طلب الحق ، غير المقيدي الفكر والوجدان بالاذعان لمذهب معين لا ينظر الى غيره الا بعين العداوة والبحث عما يفنده به ولو بالتأويل والتحريف ، وترجيح مذهب عليه مثل ذلك ، وبالأقيسة المؤلفة من الخطايا والشعريات المبنية على الظني وما دون الظني من الروايات ، ووصفها بالبراهين اليقينات ، كما يراه قاري هذه الرسالة في تصوير مناظرنا لتلقي علي عليه السلام للعلم من النبي ﷺ قبل النبوة وبعدها يأتيه كان كتلقي تلاميذ المدارس الفنية الدنيوية للفنون فيها بحفظ المتون والقواعد الرياضية من حساب وهندسة ومساحة وفلك والقوية والعقلية والتشريعية ثم حكمه بأن السابق الى هذا التلقي يجب بحكم العقل أن لا يدرك شأوه اللاحق . وفي هذا البحث من الاغلاط الدينية والتاريخية والعقلية والمنطقية والطبيعية ما لا يمكن بسطه وإيضاحه إلا في صفحات كثيرة أو رسالة مستقلة ، وسأشير الى المهم منه بعد

وانما غرضي الآن أن أحتج على صحة ما اشترطته على السيد المقترح للمناظرة من وجوب الاختصار في المناظرة على مسائل الخلاف الاساسية . وهي ثلاثة (١) موالاة أهل البيت النبوي وأهل السنة يوجبون هذه الموالاة بما يفهمونه ويرونه موافقا لهدي الشريعة (٢) موالاة أصحاب الرسول وأهل السنة يوجبونه على غير الوجه الذي ذكره كما سنبينه (٣) الخلافة . فوجب تحرير موضع الخلاف فيها أولا ، وتحديد طريقة الاستدلال عليها ثانيا ، والاتفاق على طريقة التحكيم في الخلاف والمحكمين ثالثا

بيد أنني احب ان أعلم قبل هذا هل يوافق كبار علماء الشيعة في سورية والعراق والهند وایران مناظري الفاضل على قوله انه لا يمكن الاتفاق بين اهل السنة والشيعة على شيء من المصالح الاسلامية السياسية والوطنية والادبية المشتركة المنفعة الا اذا اتفقا قبل ذلك على رجوع احدهما الى مذهب الآخر فيما اختلفا فيه من المسائل الاساسية ، والا كان دين كل منهما يقضي عليه بمداوة الآخر على الوجه الذي قاله هذا العلامة الشجاع منهم والتعليل الذي علله به ؟

ان هذا رأي لم نسمعه من غيره ولكن سيرة الشيعة وتاريخها قد يؤيده ويدل عليه ، وانه لا صرح رجل عرفته فيهم ، ولذلك كبرت منزلته في نفسي على ما اعتقد من خطئه واغلاطه وان ما قرأته من كتابه الكلمة الاولى يدل على أنه رجل شعور ووجدان ، لا رجل تجربة وبرهان ، ولولا ذلك لم يعقد أوكد الايمان ، انه لولا علي بن ابي طالب عليه السلام ، لقتل رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام ، ولما بقي في الارض اسلام ، ثم انه يسمي في رسالته هذه كتاب نهج البلاغة « بالقرآن والفرقان » ويقول ما يراه القراء في شرط الاتفاق وزوال الشنآن

فأقترح على مناظري العلامة وعلى زميلي الاستاذ صاحب مجلة العرفان ان يأخذنا لي تصریحا من علماء الشيعة المشهورين في جبل عامل وغيره من سورية والعراق في رسالة السيد عبد الحسين ولا سيما شرطه هذا ، بل أكتفي برأي علماء جبل عامل وحدهم في ذلك ونشر ذلك عنهم في مجلتي المنار والعرفان . وسأرد في الجزء الآتي على هذه الرسالة على كل حال

مصابنا بالوادة رحمة الله تعالى

بعد ظهر اليوم السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر قد احتسبنا عند الله تعالى والدتنا ومريتنا وجرثومة امرتنا السيدة البرة الرحيمة النقية الشريفة (فاطمة أم رشيد) الحسنية الأب والأم في منتصف العشر التاسع من عمرها، فقدنا بمقدورها أمًا يندر وجود مثلها في الامهات، والامهات أفضل ما في هذه الكائنات، حبا ورحمة وإخلاصا ونصحا وإيثارا للأولاد على النفس مهما تكن صفاتهم وأحوالهم (إلا من أفسدت البيئة فطرته، وذهب الجمل ومعاشره الفاسقين وانخرافين بدينها) فلا حب فوق حب الأم إلا حب الله تعالى لمباده المقربين، ولا رحمة تعلو رحمتها إلا رحمة عز وجل للمحسنين، بل رحمتها أكبر شجنة من رحمة الواسعة عز وجل، فقد فقدنا من كانت عندنا ومنا وفيها أفضل المخلوقات، من لا يفضلها شيء، ولا يغني عنها شيء، إلا رحمة الله تعالى وصلواته على الصابرين، وبره واحسانه للبارين المحسنين، ونرجو أن نكون منهم في برنا لأمانا في حياتها، وصبرنا واحتسابنا لما بعد وفاتها، ونسأله تعالى أن يجزيها عنا أفضل ما جزى أمًا لمباده رؤما لأولادها، رؤفابهم، عطوفا عليهم، محسنة لتربيتهم، وأمة من اماته، مؤمنة به، موحدة له، مخلصه في عبادته، وأن يتعمدها برحمته التي يختص بها عباده المقربين، ويرقمها الى منازل الكرامة في عليين،

كانت رحمة الله تعالى صحيحة البنية سليمة من الامراض، إلا أنه عرض لها ألم الرثية (الروماتزم) في ركبتيها بعد مجيئها الى مصر منذ بضع عشرة سنة، فعالجها الطبيب التركي الشهير شرف الدين بك رحمة الله تعالى بصيغة اليود دهانا وشربا، فزال المرض وحجت في موسم سنة ١٣٣٤ وانا في خدمتها فلم يزعجها شيء من ركوب الشقاف والنزول منها، واحتملت ما ارهقنا من نوء البحر في عودتنا من الطور الى السويس في باخرة صغيرة وبسهولة

وصامت معنا رمضان الماضي بدون تعب ولا ضعف، وكانت تفطر وتتسحر من طعامنا القوي التغذية فلا تشكو منه ثقلا ولا طمى ولا سوء هضم،

وتصلي معنا في جماعة الامرة ، ثم تغيرت صحتها عقب عيد الفطر واشتكت واختلف على معالجتها عدة من نطس الاطباء أشهرهم سليمان بك عزمي فخف المرض ولسكنها خضفت بالتدرج واشتد تعبها في آخر ليلة من حياتها الشريفة الراضية المرضية ، وقد صلت الفجر والظهر يوم وفاتها في وقتها بالاياء ولم تقبل أن تؤخر الظهر لتجمعها مع العصر كما أفيتها في مثل هذه الحال ، وفاضت روحها في الساعة الثانية بعد الظهر وكانت التي تتولى خدمتها الخاصة وتمرضها في كل أيام مرضها كنتها ام أولادنا حتى انها كانت تسهر بجانب سريرها مادامت نوبة محتاجة الى شيء من الخدمة وتنام بجانبه عند الحاجة ، وقد قلت لأم محمد شفيع غير مرة ان كل خدمة تؤديتها للوالدة فكأنك تؤدينها لشخصي ، لأنك نائبة فيها عني ، فأنني أنا الخلق بأن أقوم بذلك بكل ازتياح مما يكن نوعه ، فلا عذر لك في شيء من التقصير الا اذا كنت أنا مقصرا بملك في شيء ما — وهي بحمد الله واتباعنا لهداية دينه القويم لا تشكروني شيئا كما — ومن فضل الله علينا جميعا انني لم أر منها ادنى تقصير فارشدها الى ثلاثة ، وقد قلت لها انني لا أشكر لك خدمة الوالدة لجنس الخدمة ونوعها ، فان هذا من التكافل المشترك في حياتنا المنزلية ، وانما أشكر لك من عماق قلبي أنني لم أرك في شيء من هذه الخدمة متبرمة ولا ضجرة ،

فهذا الارتياح النفسي لهذا العمل الشريف من الفضائل النفسية لا تكاد توجد في الكنائس ، بل قلما تتحلى بها ابنة في تريض أمها في هذا العصر الذي كثر فيه الحقوق ، وهضم الحقوق . فأقنعت إنها تشعر في خدمتها بارتياح من تخدم ابنة الأم ، ولقد كانت المرحومة خيرا لها من أمها ، وأشد تحريا لسرورها من بنتها فلو كانت أمها معنا لما استطاعت أن تؤلف بيننا مثلها . فانا أسجل هذا في المنار ليكون مثالا صالحا وأسوة حسنة للمؤمنين ، وحجة على الملاحدة والمارقين والفاسقين ، الذين يجهلون ان سعادة الحياة المنزلية (العائلية) من زوجية وأمومة وأبوة وأولاد لا تأوي إلا الى بيوت المعتصمين بهداية الدين القويم ، فالها تأوي وفيها تنوي وتقيم ، ولئن طاف منها طائف بيت من بيوت الملاحدة والفاسقين أوزارته ، فأنما تلم به الإمام ، ولا تلبث أن تهجره عند حدوث الحوادث الشهوانية ،

المنار: ج ٣٢ م ١ تعزية الاصدقاء وكبراء الامة لنا ، أخلاق الوالدة وشمالها ٧٥

وانتياب الكوارث البشرية فأداب الاسلام أرقى من آداب الافرنج وأضمن
للسعادة وان جهل ذلك المتفرنجون

أيقنا موت الوالدة التي كنا تتبرك بوجودها ، ونهتدي بإرشادها ، ونستنزل
رحمة الله ومثوبته ببرنا لها ودعائها لنا ، ففاضت الاعين دموعا ، ورددت الصدور
زفيرا ونشيجا ، وكررت الالسة حوقة واسترجاما ، واضطربت الافئدة خفقانا
ووجيبا ، وان العين لتدمع ، وان القلب ليحزن ، ولا نقول الا ما يرضي ربنا ،
ولا نعمل إلا بما شرعه لنا

لم نعلن نعيها في الجرائد ولا رقاع البريد ولا أسلاك التليفون ، وانما أعلننا
حنيننا للسيد محيي الدين رضا بالخبر لبعده عن دار المنار ، وجهزناها على ملة الاسلام ،
وسنة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وصليت عليها في رحبة الدار مع من
حضر ، وشيعناها الى مقبرة جديدة في زين العابدين ، فوارينا شمسها عندما توارت
شمس الدنيا بالحجاب ، نعمدها الله تعالى بالرحمة والرضوان

لم نعمد لها مأتما ، ولم نغير شيئا من عاداتنا حدادا عليها . وقد وصل الخبر
الى بعض جرائد الصباح التي تطبع ليلا فنشرته ، ثم نشرته بعض جرائد المساء في
اليوم التالي ، فأقبل كثير من أصدقاءنا المقيمين في القاهرة لتعزيتنا في الدار نهارا
وليلًا ، وأرسل كثيرون منهم برقيات التعزية ورسائلها من الاسكندرية وغيرها
من مدن القطر المصري ومصطافه ، وكان في مقدمة المعزين بأنفسهم وبرقياتهم
أخواننا العلماء وأخص بالذكر منهم أصحاب الفضيلة شيخ الازهر الحالي الاستاذ
الشيخ محمد الاحمد الطواهي ، وشيخه السابق الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي ،
ومفتي الديار المصرية الاستاذ الشيخ عبد المجيد سليم ، وبعض رؤساء الكليات
والمدرسين في الازهر — وبعض الوزراء وأولهم صاحب البولة رئيسهم اسماعيل
صديقي باشا — والزعماء وكبار رجال الاحزاب وفي طليعتهم صاحب الدولة مصطفى
باشا النحاس رئيس الوفد المصري ، ومحمد فتح الله باشا أحد كبراء الوفد
وزعماء حكومته السابقة ، وحسن باشا عبد الرازق وإخوته من أركان الحزب
للدستوري . ثم جاءتنا كتب التعزية من أصدقائنا المحبين المنبشرين في الاقطار حتى

لندن وباريس ورومية وسورية والحجاز ، فنشكر لكل معز من قريب وبعيد فضله ولطفه ، وندعو الله أن يلف بنا وبهم ، ويقينا وإياهم السوء ، ويجعلنا من الصابرين على بلائه ، الراضين بقضائه ، الشاكرين لنعمائه

كانت الوالدة أحسن الله تعالى اليها من أسلم النساء فطرة ، وأزكاهن نفساً ، وأطيبهن قلباً ، كانت خير الأزواج لزوجها ، وخير الأمهات لأولادها ، وكان حظي من حبها وعطفها أكبر من حظوظ اخوتي وأخواتي ، ولكن فيما لم يحرك غيرة أحد منهم ولا سخطه ، حتى كان والدي رحمه الله تعالى يلقبني « حبيب امه » ولا أذكر أنني عصيت لها أمراً في صغري ولا كبري

أذكر أنني رأيت أترابي من الأطفال مرة قد خرجوا في سماء (مطر) حفاة يمشون في الوحل رافعي أثوابهم إلى ركبهم ، فاشتيت أن أقدم وأنا ابن بضع سنين ، فجلت الدار فاستأذنتها في أن أخرج حافياً وألحق بهم ، فلم تأذن لي ، فوقفت في عتبة الدار حافياً ومذدت إحدى رجلي إلى خارجها وقلت لها « أخطأ » قالت لا تخطأ ، قلت « أخطأ » قالت « لا تخطأ » فكررت ذلك مراراً — فلما لم تأذن لي رجعت . وما زلت أذكر هذا لها وتذكره لي ، فلم أنسه ، وما أبرئ نفسي من نسيان غيره

ولا أذكر أيها ضربتني في صغري إلا مرة واحدة : تمللت من سخونة ماء الحمام وحاولت التقصي والمزب ، فضربتني بالطناس على ظهري ، وما زلت أذكرها بها مازحاً ، وتعتذر لي عنها ثلثاً ! ثم كانت أشد عناية من والدي بطلبي للعلم والاهتمام به والارتياح إلى هجرتي إلى مصر ، إذ علمت مالي فيها من النية الصالحة ، والرجاء في التكمل بالعلم وخدمة الملة والامة

وكانت دقيقة الفهم ، رقيقة الشعور والوجدان ، تخشع لآيات الزجر والوعيد من القرآن خشوع العارفين المتدبرين ، وإذا أنشدتها شيئاً من غزل الشعر الغرامي قالت : هذا فتنة لا ينبغي اشتغال الشبان والشواب به ، وقد قرأت لها قصيدة حمد شوقي في تهنئة السلطان حسين كامل * الملك فيكم آل اسماعيل * فلم أتجاوز قالت لي : هذه مرثية لا تهنئة ، فمجبت لهذه القطة ، وسبقها إياي إلى هذه قرأت لها قصيدته في تهنئة والدة الخديو بعودتها من الاستانة التي مطلعها :

اكشفي الستر وحي بالجبين وأرينا فلق الصبح المبين

فانتقدت هذا المطلع واستهجنته جداً في كلا مصراعيه: فأما الاول فلا أن الستر يستعمل غالباً في إخفاء ما يقبح إظهاره، وكشفه يستعمل في الفضيحة، فيقال: كشف الله ستر فلان، وهتكت فلانة سترها، وأما الثاني فلا يخفى وجهه، ولا يحسن كشفه وأذكر أنني سمعت وأنا صغير مغنياً في قريتنا القلمون يقول بيتاً من أغنية عامية مضمونه أنه يدعو الله أن يغيب القمر ليأخذ البوسه (القبلة) ويرى قلعة حلب على أي شيء هي مبنية. فحفظتها فقلت أمانها ففضبت وقالت لي «اسكت هذا كلام عيب أياك أن تقول» واني وايم الحق لم أفهم مغزى هذا الانكار الشديد الا بعد ان صرت رجلاً كبيراً

وكانت على نزاهتها وأدبها في القول والفعل ذات دعابة وفكاهة وتنادر في الكلام طبعاً بلا تكلف، وكانت تتوخى أن لا يستثقل احد منها قولاً ولا خدمة، فقلما تطلب من أولادها أو أحفادها أو كنتها شيئاً بصيغة الامر، بل تعرض وتكفي في الغالب، ولا تكلف احداً ما تستطيع هي فعله ولا نشتم خادماً شيئاً بذئلاً على تقصير ولكنها قد ترفع صوتها عند الغضب وقد ورثت ذلك منها وهو منتقد وهو طبع كان يكرهه كل منا وكانت مقتصدة شديدة الحرص على كل ما في الدار لا يهون عليها أن يضيع شيء منه، على حبها للضيافة واعتيادها إكرام الضيوف منذ صارت ربة بيت، ونحب أن يبذل كل ما استطاع من إكرام الضيوف وبر الاخوان، فاذا اشرنا بشيء من الالوان لم تجده لا ثقالته اقترحت الزيادة عليه، وما دعوت الا صدقاء الى الطعام الا ذكرتني ببعض من لم اذكره لهم منهم، حتى كانت تأمرني بدعوة نسيم: فندي صبيحة للافطار معنا في رمضان مع الصائمين الذين ندعوهم ولا سيما السوريين منهم، فأقول لها مازحا: هو نصراني لا يصوم، فتقول لكنه صديقك وابن بلدنا، وذوقه ذوقنا، ولا بد أن يترك الغداء بعد الظهر، أو يخففه ليقبل الا كل معكم بعد المغرب، وأنا لم أذكر لها كلمة «نصراني» الا لاجل الصيام، فقد كان من المألوف عندها بدارنا والا فهي معتادة في بلدنا على ضيافة النصاري وغيرهم، بل كان بعض أصدقاء والدي منهم يقيم عندنا أياماً في رمضان فيفطر ويتسحر معنا

وقد ذكرتني جريدة حضر موت (التي تصدر بسنغافورة) بمكرمة لها كنت ناسية لها ، وهي انه لما جاء مصر صديقي الجليل المرحوم السيد محمد بن عقيل قبل الحرب الكبرى ذكرت لها ذلك عند ما علمت به ليلاً ، فأمرتني ان اذهب من ساعتى تلك الى الفندق الذي نزل فيه وأجيب به الى الدار، وقالت انه لا يليق بك وهو صديقك القديم وقد صار لك دار وأهل ان ترضى بنزوله في فنادق المسافرين — وكانت لا تعلم ان هذا معتاد في الامصار الكبيرة — فلم يسعني الا امثال امرها وكانت صبوراً شكوراً مات اربعة من بنينا وأربع من بناتها في حياتها فبكتهم البكاء الطبي الشرعي: دموع تتحادر من العينين، ونشيج يتردد في الصدر، بلانوح ولا نذب، ولا تعبير شيء من العادات في اللباس والاكل والشرب، ولا غير ذلك مما يسخط الرب . وأما الشكر فكان أكل مظاهره منها رضاها من المرحوم الوالد وإطراؤه في كل أعماله على ما كان من شدته في معاملتها ومعاملتنا أحياناً، فلم يكن في أسرتنا مثله في غضبه وشدته عفا الله عنه. وما زالت تمدحه وتثني عليه وتدعوه له طول حياتها وقد ضارها بزواج اخرى من بنات عمومته بعد ولادتها لي (ولم يجمع أحد من أسرتنا بين زوجين غيره إلا ابن عمه) فلم ينكر هو ولا غيره منها قولاً ولا فعلاً من غير الضرائر على ما كان أهل ضررتها يعملون لاغضاها وإثارة غيرتها ولكنه رحمه الله تعالى ما استطاع أن يطيل عشرة الاخرى فسرحتها سراها جميلاً ومن أغرب آدابها انها كانت تعد لاولادها منة عليها بأقل خدمة يؤدونها مما أوجبه الله عليهم ويعذبهم على تركه ، حتى كان يثقل علي هذا منها أحياناً ، وقد قلت لها مرة : لما اذا تتحامين أو تستقلين أمر اي كان من كبيرنا وصغيرنا بما تريد من منه وانت سيدة الجميع وصاحبة الفضل على الجميع ؟ فقالت بل أنت صاحب الفضل على الجميع . فما آلتني بكلمة أشد على طبعي من هذه الكلمة ، فقلت لها بل أنا لولا توحيد الله تعالى لما كنت إلا عبداً لك . وانصرفت موجعاً من هذا الشعور الغريب واغرب منه انها كانت تسترقيني اذا وجعت فارقيها ، والرقية مشروعة . ولم تكن من النساء الخرافيات وقد ذهبت مرة مع بنتها لرؤية جامع عمرو فاحاط بهن سدنة القبور فقلن لهم انما نحن متفرجات لازائرات فانصرفوا .

وأعد من فضل الله تعالى علي أنتي ورثت منها سلامة الفطرة وطيب السريرة فلم أحمل في قلبي حقداً على مسيء ولا حسداً لذي نعمة - وكذا الاستعداد لذوق اللغة وحسن الفهم، وغير ذلك من أخلاقها وخلقيها . كما ورثت من والدي (أكرم الله مثواهما) عزة النفس والشجاعة والتجدة، وأما ذكر هذا تنوياً بفضل الوالدين وتحدثاً بنعم الله عز وجل . وأعظمها العلم الصحيح بالاسلام والعمل به ثم وراثته النسب الشريف كنت أتمنى لو تعيش الوالدتان مائة سنة أو أكثر متمتعة بالصحة ، وسلامة العقل والجسد كما كانت إلى آخر رمضان الماضي ، تتمتع بخدمتها وإرضاء الله برضاها ، ونقتدي بأخلاقها وآدابها ، ونرجو زيادة نعم الله علينا بشكرها له ودعائها لنا . وكنت على حيي لها أخشى أن تشتد عليها الأمراض فأراها معذبة أو شاكية وجعة ، وكانت أصبر على ألم النفس منها على ألم الجسد لأنها لم تعود هذا . وقد شقت عليها الحمية في هذه الأشهر التي ضعفت فيها لما اعتادته من الترف . وكانت تتوهم أن يزول نل ما عرض لها فتعود إلى سابق صحتها ، وتتساءل متى يكون هذا ؟ فأذكرها بتجاوز الثمانين لكيلا تفجر من بطنها ما ترجو

وكنت على تمنى أن يطول عمرها أخشى أن أموت قبلها ، لأنني أعلم أن رزأها . بي يكون أكبر المصائب عليها ، اذ كنت قرّة عينها ، والعزاء لها والسلوى عن جميع مصائبها وقد كان يشق علي أن أراها متعبة فلا استطيع طول المكث معها ، وأحمد الله تعالى أن حفظها في مرضها عقلاً وفها وجسماً وطهارة حسية ومعنوية (كما يليق بمبالغة الشافعية في الطهارة) حتى كانت إلى نهاية أجلها حديدة البصر ، تنظم الخيوط الدقيقة في أخراة الأبر ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ، ولقد عاشت طيبة وماتت طيبة فنسأله تعالى أن يجمعنا بها في دار كرامته ويجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائه (ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين)

(كلمة في مقالات إلحاد في الدين)

قد امتنعت جريدة الاهرام من نشر المقالة الاخيرة من هذه المقالات المنشورة في هذا الجزء ولكنها نشرت للشيخ محمد ابى زيد مقالة استفرخ فييا من قدره في شتم استاذة المحسن اليه في العلم والدين والدنيا ما لم يكن يظن فيه شتم تهاد دينه وعقله . وكفى بهذا عبرة

﴿ نعي السيد الجليل، السيد محمد بن عقيل تغمده الله برحمته ﴾

الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه

حضرة العلامة الجليل، الاستاذ العزيز السيد محمد رشيد رضا، حفظه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فننمي اليكم بمزيد الشجن، وعظيم الحزن، والدنا الجليل، العلامة فقيد العلم والاسلام، مولانا البركة السيد محمد بن عقيل بن يحيى. توفي رحمه الله في الساعة الثالثة من صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٣ ربيع الاول على اثر حمى لزمته نيفاً و ٣ أسابيع

وقبل التحاقه بالرفيق الاعلى بيومين أكثر من الصلاة مع ضعفه المتناهي حتى خارت قواه، ولفظ النفس الاخير، ولقد نظم المصاب علينا بموته، وانفطرت لهوله أفئدتنا حزناً وشجنا رحمه الله، ولكن ماذا عسى أن نقول إلا ما يرضي الرب سبحانه وتعالى. إنا لله وإنا اليه راجعون. فعظم الله أجورنا جميعاً وعزاء الاسلام وأهله، والعلم وطلابه في فقيدنا الجليل. ومما يخفف الشيء الكثير من حزننا مشاطرة الحكومة المتوكلية اليمانية في مصابنا، فقد شيعت الفقيد مئات الجيوش منكسة أسلحتها كما شيعه رجال الدولة والاهلوان عن بكرة أبيهم، فنشكركم اليكم جد الشكر، ونسأل الله أن يتغشى راحلنا الكريم بالمغفرة والرضوان، وأن لا يريكم مكروهاً قط والسلام

الحديدة ١٤ ربيع الاول سنة ١٣٥٠ الحزين الباكي
عبد الله بن يحيى علي بن محمد بن عقيل

[المنار] جاءنا هذا النعي لصديقنا الكريم، وولينا الحميم، في فترة احتجاب المنار، وحبسنا للنفس على إمام تاريخ الاستاذ الامام، ولما تم التاريخ واستأنفنا تحرير المنار شرعنا في كتابة ما نرى فيه الفائدة والعبرة من مناقبه وسيرته وكتابة مثل ذلك من سيرة سيدتنا الوالدة رحمهما الله تعالى، فضايق هذا الجزء — وكان قد طبع أكثره — عن سيرتهما، فقد منا سيرة من حقها علينا أعظم، وأخرنا الآخر إلى الجزء التالي. وانني لا أنكر الحكم بالرفيق الاعلى له ولكل أحد بعد خاتم النبيين وسيد ولد آدم وهو انما كان يدعو الله بها لنفسه عند وفاته ﷺ وأسأل الله تعالى لفقيدنا الكريم الرحمة ولاآله وأصدقائه حسن العزاء والصبر



قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام ضري « وشارا » كمنار الطريق

شوال سنة ١٣٥٠ هـ قى برج الدلو سنة ١٣١١ هـ ش فبراير سنة ١٩٣٢ م

المنازل وتفسيره

أعجزتنا العسرة الحاضرة الخائفة عن اصدار المنار في كل شهر من هذه السنة وعن الاستمرار في تأليف التفسير وطبعه وقد استنجدنا المشتركين فلم ينجدنا إلا أفراد قليلون دفع بعضهم المتأخر عن عدة سنين تاما وبعضهم النصف اغتناما لفروضة الاربعة الاشهر التي وعدنا فيها بقبول النصف وكل هذه النجدة لم تبلغ ما تنفقه على البريد وحده وقد ضاعفته الحكومة . فمن كان منهم ذا عسرة تعجزه عن الوفاء فاننا ننظره الى ميسرة كما أمرنا الله ، ومن دخل في حديث « مطل الغني ظلم » فنقاضيه الى عدل العليم بالظالمين

واضطربنا حسابان وزارة المعارف وبعض الحكومات الاوربية الاشتراك في المنار بالسنين الميلادية الى جعل سنته شمسية موافقة للحساب الميلادي فجعلنا هذا الجزء وهو الثاني من المجلد ٣٢ لشهر فبراير وسيكون صدور المنار كذلك مطردا في كل سنة شمسية عشرة أجزاء ، ومنعود الى نشر التفسير فيها ان شاء الله تعالى

خاتمة تاريخ الاستاذ الامام فيما يجب له على الامة

أنبتت تربة مصر ألوفا كثيرة من العلماء والصلحاء والادباء والقضاة والحكام، ولكننا لا نعرف في تاريخها ذكراً لرجل جمع من فضائل العلم والعمل والصلاح والاصلاح مثل الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في مواهبه الفطرية والكسبية وكمالاته الشخصية ، وفي صرف حياته العملية كلها الى اصلاح بلاده ووطنه، وترقية امته، وإعلاء شأن ملته ، بدون عمل ما لنفسه وأسرته ، فهو قد خرج من معاهد العلم الى ميدان الجهاد في هذه السبيل - سبيل الله تعالى - الى ان قضى في المارك نجبه ، ولقي ربه ، شهد له بذلك العلماء الافذاذ على اختلاف علومهم الدينية والدنيوية والعصرية ، واختلاف أوطانهم ومللهم . وترى سيرته الشارحة لهذا مفصلة في هذا الجزء من تاريخه ، وترى الشواهد عليها من كلامه ماثلة في الجزء الثاني له ، والشهادات له فيها متواترة في الجزء الثالث منه -

مثل هذا الرجل العظيم يجب أن يكون مثلاً كاملاً يقتدى به في علو الهمة ، وقوة الارادة، وفي العلم الصحيح، والعمل الصالح المصلح ، وفي الجهاد لإعلاء شأن الامة في دينها ودنياها، ومدنيتها وحكومتها، فالام لا ترقى إلا بامثال هؤلاء الرجال مثل هذا الرجل الكبير يجب أن تحيي الامة ذكره ، وتنشر حكيمته ، وتتخذ منه حجة لها في رقيها واستحقاقها للوقوف مع الامم الراقية ، التي تدل وتفاخر بعلمائها النابضين وزعمائها المجاهدين وأئمتها المصلحين . كما قال غير واحد من كبار المفكرين هذا الامام المجدد المصلح يجب على هذه الامة التي نبتت من طينتها، ونبت في بيتها، فأعلى ذكرها ، ورفع قدرها ، أن تعلي ذكره ، وترفع قدره، وتربي نابتها على أصول حكيمته في التجديد الديني والمدني ، والاصلاح الملي والوطني ، ويجب على جميع شعوب الملة التي جاهد في سبيل اصلاحها ، أن تساعد شعبه على ما يعمل لاهياء ذكره ، ودوام الاستفادة من علمه ورأيه

ما كان هذا الشعب الكريم بالذي يرضى لنفسه ان يوصف بالكنود للنعم ،
ولا بالجحود ان يخل المنعم ، ولا كان تلاميذ الاستاذ الامام ومريدوه بالابناء الملقين ،
ولا اصدقاءؤه ومحبيه بالغافلين او الخاملين : فاما الشعب فلا يجاهد بدون قائد ،
وأما اصفياء الامام فقد فكروا في القيام بهذا الواجب عقب المصائب ، وعقدوا له
الاجتماع تلو الاجتماع ، وأقروا شيئاً حالت دون تنفيذه الاقدار ، وكان خصمهم
أمير البلاد ، ورقبيهم عميد الاحتلال ، ولا زعامة يؤيدها الرأي العام
توفي الامام وكان أكبر كبراء مريديه القادرين على تنظيم هذا العمل غائبين عن
مصر - أعني سعد باشا زغلول وأحمد فتحي باشا زغلول - فلما عادا من سفرهما
عقدا في دار الاول اجتماعا حضره من اصدقاءه الشيخ عبدالكريم سلمان ، والشيخ
عبد الرحيم الدمرداش ، وحسن باشا عاصم ، ومحمد بك راسم ، وقاسم بك امين ،
ومحمد رشيد رضا (الكاتب لهذا) فقرروا أولا أن يشتركوا معي في الرأي ويساعدوني
على ما أعلنته من عزمي على تأليف تاريخ له وعلى نشره كما يراه القاريء في مقدمة
هذا الكتاب . ثم اجتمعوا وتشاوروا فيما يجب ان يعمل لاهياء ذكره ، فأجمعوا
الرأي على إنشاء مدرسة كلية تنسب اليه وتكون التربية والتعليم فيها على رأيه ،
وهو ما كان يسعى له بعد تركه للازهر ، ويكون المنفذ لخطته فيها صاحب المنار
واذ كانوا يعلمون أن سلطة الاحتلال تحسب لهذا العمل منهم كل حساب ،
عهدوا إلى أحمد فتحي أن يقابل لورد كرومر ويذكر له هذا القرار ، ويسأله عن
رأيه فيه ، لكيلا يكون على رية منه ، ويجيئهم بما يسمعه منه في جلسة أخرى
عينوا موعدها ، فلما وافوها الميقاتها قال لهم : ان اللورد أخبر الاستحسان لهذا الرأي ،
ولكنه قال ان من الحكمة أن يبدأ بهذا العمل صغياً ثم يصعد فيه على سلم التدرج ،
وأن يجري فيه على خطة مدرسة (عليكده) في الهد التي أسسها المرحوم السيد احمد
خان الشهير ، وساعدته عليه الحكومة الانكليزية ، حتى صارت للمدرسة كلية ،
قال ووعد اللورد بأن يطلب لنا من حكومة الهند نظام هذه المدرسة ومنهاج دروسها ،
لنأخذ منه ما نراه موافقاً للمدرسة التي نريدها

فهت اللجنة من فحوى رد اللورد انه لا يرغب فيما ترغب هي فيه من إنشاء

مدرسة كلية راقية على مذهب الاستاذ الامام، الذي اعترف هو بفضله ونبله، ووطنيته الصادقة، وخدمته للمصلحة العامة، التي قال فيها : (ان الاوربيين ما فضلوا المصريين إلا بكثرة رجالها) - وباعتدال حزبه بين الاحزاب الاسلامية، وجمعه بين أسباب الحضارة والمحافظة على أصول الدين الاسلامي . وفهمت منه أيضا انه يعني أن تكون المدرسة العبدية، كما يحب هو وترضى دولته اي كالمدرسة الهندية استاءت اللجنة من هذا الرد ولم يثنها الاستياء عن عزمها، بل فكرت في جمع المال لانشاء المدرسة بصفة مصغرة كما قال اللورد لانه هو الممكن، وانتظار موافقة الزمان لتكبيرها، ورأت من الشيخ عبد الرحيم الدمرداش الثري أريحية للبدء في التبرع للمشروع، فقويت العزيمة، حتى ان اللجنة عهدت إليّ بالبحث عن دار صحية لتستأجرها للمدرسة، ففعلت

ولكن حدث في اثناء ذلك ان تبرع مصطفى كامل بك الغمراوي بخمسمائة جنيه لمشروع مدرسة جامعة مصرية، وعهد الى سعد بك زغلول بان يتولى الدعوة الى التبرع له والسعي لتنفيذه هو ومن يختار من اصدقائه وغيرهم، قبل وألف لجنة لذلك سمي هو وكيلاها، وتركت الرئاسة ليختار لها احد الامراء

وتلا هذا ان ولي سعد باشا وزارة المعارف العامة، فاضطر الى ترك لجنة الجامعة المصرية، واختير صديقه قاسم بك امين وكيلا للجنة إدارتها مكانه. وكان ذلك بعد سنة من التصدي لانشاء المدرسة باسم الاستاذ الامام، فلم يبق لهذا المشروع من يشتغل به، وكاد هذا الرجل العظيم ينسى هو وأستاذه السيد جمال الدين، لولا تنويه المنار به في كل جزء من اجزائه، وتنويهه بالسيد أيضا في بعض الاجزاء ونشر بعض آثاره الطوية، وطبع الجزء الثاني والثالث من هذا التاريخ، وقضى الله تعالى أن أرجي إتمام الجزء الاول منه المفصل لترجمته، بما يرى القارىء اسبابه في مقدمته، ولولا انني من أضعف خلق الله تعالى في السعي لجمع المال وان كان المراد به شريفا ونافعاً، لما تركت السعي لانشاء المدرسة، وقد كن اقرب الوسائل اليه في السنين الاخيرة توجه قلب محبه الشيخ عبد الرحيم باشا الدمرداش رحمه الله تعالى إلى البذل للمنافع العامة، فلو وجد في هذه الحالة احد من كبراء حزب الاستاذ

الامام المدني يزين له إنشاء المدرسة التي كان من أعضاء اللجنة التي قررتها ، ويرغبه في حبس عقار أو أطيان تقي بنفقتها ، لفعل

سكت أصحاب النفوذ والجاه من اصداقاء الاستاذ الامام عن القيام بالواجب له عليهم ، ولكن الرجل حي لا يموت ، ولا ينسى فضله ، في امة يعلو فيها قدر العلم والحرية ، ويزداد السعي للحياة القومية والوطنية

فهذه مدرسة الجامعة المصرية ، التي عارض وجودها وجود المدرسة العبدية الامامية ، قد اعادت منذ بضع سنين الاحتفال بذكره ، فقام به فيها لجنة مؤلفة من نابغي علماء الازهر وبعض الوجهاء ومدرسي الجامعة ، فحرك عملهم الجرائد لاعادة التنويه بذكره ، وتعطير الآفاق بذكي نشره . وتبرع الشيخ عبدالرحيم باشا الدمرداش في اثناء ذلك بما يؤتي الجامعة غلة سنوية كافية لنفقة إنشاء كرسي لعلم الاخلاق تخليداً لذكرى الاستاذ الامام فيها . وتلا ذلك اقتراح كثير من فضلاء الامة لاحياء ذكره ، فأشار بعضهم بترميم داره في عين شمس وجعلها من معاهد العلم او الاعمال الخيرية العامة ، وبعضهم غير ذلك

ولما اسندت مشيخة الازهر ورياسة المعاهد الدينية إلى صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي وهو من خواص تلاميذ الاستاذ ومريديه في العلم والعقل والاخلاق ، ألف في دار الادارة العامة للمعاهد لجنة خاصة لاجل البحث في امثل الطرق لاحياء ذكره في الازهر وغيره ، وجعل أعضاءها من تلاميذه الازهريين وسواهم ، ومنهم مؤلف هذا الكتاب ، فاجتمعت اللجنة مراراً . وكان من سوء الحظ كما يقال أن استقال هذا الاستاذ من المشيخة ورياسة المعاهد الدينية قبل أن تفرغ من المساعي التمهيدية ، وتقرر مايجب تنفيذه وينظم في سلك الاعمال الرسمية وأخيراً قرر مجلس مديرية دمنهور إرسال بعثة علمية إلى ألمانيا باسم الاستاذ الامام لاجل الاختصاص في علوم فلسفة الاخلاق والتربية والاجتماع ، وجددت ادارة المعاهد الدينية تقرير قراءة رسالة التوحيد در سافي الازهر وملحقاته ، وانما كان هذا لكثرة فوائدها ، لا لاحياء ذكر مؤلفها

لكن هذا شيء قليل على الامة المصرية ، وقد صارت أمة ذات رأي ووخدة ، وبذل

في سبيل المصلحة العامة، وكان قطب رحي وحدتها، والعامل الاكبر في جمع كلمتها، والزعيم الاكبر لها فيها، هو تلميذه وريثه الاول سعد باشا زغلول: فمنه تلقى هذه الافكار، ومن زنده استورى هذه النار. إذ تربى في حجره بالدرس والتفكير والقول والعمل، وكان اوفى مرديه وأصدقائه له في زمن محنته، وأشد هم حنيننا اليه في مدة غيبته، وأشوقهم الى اتباعه واللاحاق به، وقد نشرنا بعض مکتوباته اليه في منفاه ببيروت وفيها التصريح بهنیه المعاني، وانا نثبت هنا صورة شمسية من خطه للكتاب الذي تقدم نشره في صفحة ٢٧٥ فن لم يستطع قراءته هنا لتصغير كلمة فلا يقرأه هنالك، وننشر صوراً لمكتوبات أخرى له بخطها الاصل في آخر الكتاب

مجلس شورای اسلامی

صوفی الفاضل والدی تونکی ہستادہ سادہ

[illegible]

(کلمات من مکتوبات سعد باشا لاستاذہ الامام)

كان الامام كلف سعداً به عن الاعمال ومنها ارسال اثاث من بيته بمصر إلى بيروت، فقام بذلك خير قيام فأثنى عليه بكتاب فقال سعد في جوابه :
« اني وما أعمل من خير مما صنعت أيدي مكارمكم فلا أستحق شكراً ولا حمداً ، بل إن كان هناك ما يدعو إلى المدح فالحمد راجع اليكم ، والشكر عائد عليكم ، واني أعد الفخار كل الفخار في خدمة جنابكم العالي ، وأجد تنبيهي الى القيام بأي خدمة نعمة سامية من حضرتم لا أقدر على الوفاء بواجب شكرها ، وعلى هذا

٨٧ الواجب على مصر زعمائها ووفدها وحكومتها لذكرى امامها المنار : ج ٢ م ٣٢

فولاي يرى في اسناد التفضل والتكرم والاحسان إلى زيادة تنازل منه لأرى نفسي جديرة بها ، وعهدي بالمولى الجليل أن يتحرى بكراماته موقع الاستحقاق « وأظن أن حضرته يذكر أي في يوم من الايام التي نزلت بها في بيته ذاكرته في هذا المعنى ، ورجوت من مكارمه أن يجعل طلبه أي أمر مني بصيغة الامر لا بلفظ الرجاء ، فاني أرى في الامر الاول فوائد ترتاح نفسي اليها لا أراها في الثاني » وكتب اليه الامام كتابا يذكر فيه استبشاره بما رآه في جريدة البرهان ، دالا على فوزه ببعض الاعمال ، فأجابه سعد عن هذا بقوله :

« ان ظنكم فيما رأيتوه في جريدة البرهان هو الموافق للصواب ، ويحق لحضرتكم السرور بما نال ولدكم ، فهو المربي في نعمتكم ، المفترق من بحار حكمتكم ، المحفوف بعنايتكم ، المشمول بعنايتكم ، البالغ ما بلغ ويبلغ من مراتب الكمال بحسن توجهاتكم ، وكریم تعطفاتكم ، أدامكم الله لكل خير مبدأ »

فاذا كان الزعيم السياسي لا كبر بعد نفسه أثرا من آثاره ، وشعلة من ناره ، وقبسة من أنواره ، وكان يعتقد ان ما بلغه وما يبلغه في المستقبل من المراتب فهو أثر تربيته ، وثمر نعمته ، ويمضي كتبه اليه بكلمة ولدكم أو صنيعكم ، وإذا كانت الحكومة المصرية قد قررت زهاء مائة ألف جنيه لبناء قبره ، ووضع تمثالين للتذكير بشخصه أفكر كثيرا منها أو يكبر عليها ، أو على الوفد الممثل لسياسته ، والعامل باسم زعامته ، أن يقوم بإنشاء مدرسة تنسب إلى اسم استاذه ومربيه ، وبإعادة تعليمه وتربيته ، ونشر رسائله وكتبه ؟ كلا . انه قد آن للامة وقد صار لها زعماء تنقاد لهم ، ومجلس نواب يسيطر

على حكومتهم ، وكتاب بلفاء يدعون إلى المصلحة العامة ، وخطباء مصافح يهزون قلوب الخاصة والعامة ، أن تراجع مناقب هذا الامام التي فصلناها في هذا التاريخ وتقرر ما يجب عليها من إحياء ذكره ، والاهتداء بإرشاده ، وبناء مدارس التربية والتعليم الديني والمدني على أسس قواعده ، وتعاون أحزابها وحكومتها على تنفيذ ماقررت ، في الوقت القريب المناسب له ، فإنها لمي القواعد الحكيمة التي تحفظ لها عقائدها وأخلاقها ، وتكوين بيوتها (عائلاتها) ونماء ثروتها ، وترسخ دعائم استقلالها ، وتجعلها قدوة للبلاد العربية والشعوب الاسلامية ، التي اعترف

عقلاؤها لهذا الاستاذ اعلم، وأستاذ الفيلسوف الحكيم، بالزعامة المدنية والسياسية، والامامة الدينية، والتوفيق بين الجامعتين المليية والوطنية

فلو لم يكن لهذه الامة الفخر على غيرها بظهور هذا الامام المجدد منها، لكانت جديرة بان تتبّع تعاليمه الحكيمه لعظم فوائدها، ولما تعطيتها من الزعامة التي لا تنحصر منافعها منها، وأعيد التذكير بما هي مستهدفة له من خطر الانحلال، المهدد لما نالته من مبادئ الاستقلال، بانتشار الفاسد المادية، والفوضى الادبية، والانحلال في الشهوات، والاسراف في اللذات، المضي لثروة البلاد، المضي لبعثة الاجساد، الزهد في الزواج، المضعف للنتاج

بل أذكركم بما لا يعزب عن علمهم من اضطراب العالم كله بهذه الفوضى التي ثلثت أكثر عروش الممالك، وأشعلت نار الفتن الداخلية في كثير من الامم، وغاضت بنايع ثروة غالب الدول، وأنذرت الروابط الاجتماعية بالانحلال، وعرى الشعوب الموثقة بالانقسام، وثروة الاقوام الغنية بالزوال، ثم أذكركم بأنه لا يثبت في مهب هذه العواصف إلا الراسخون في الايمان، ولا يصبر على هذه القواصف إلا المتصمون بمثانة الاخلاق، وهو ما مهد مسالك الاستاذ الامام، وجعل تناوله على طرف النمام بل حدث في هذه الاعوام، بوادر انقلاب عام، يرقبه الحكماء، ويشعر به البصراء، وقد فطن له بعض أذكائنا في سياحته في أوربة، وهو الشعور بشدة الحاجة إلى هداية الدين، وكونه هو العلاج الوحيد لهذه الأواء الاجتماعية الوبائية من إباحة الاعراض، وفوضى الآداب، وعبادة المادة والشهوات، والتنازع السياسي، والنظام البلشفي، التي تنذر الشعوب زوال الحكم الديمقراطي، وأنهيار النظام المالي او الرأسمالي. بل تهددها بحرب شر مما قبلها، كالريح المقيم تدمر كل شيء بأمر ربها. وقد وصف هذا الذي مارأى وروى عن أوربة من درء هذا الخطر بالدين، وتغنى لويظهر الدين الواقى للحضارة الحاضرة من مصر، لكن فضلاء العقلاء في مصر يرون ان بلادهم اشد حاجة الى هذا العلاج من أوربة، فان هذا الوباء يفتك بها وهي أقل مناعة وحضارة ممن سرت اليها العدوى منهم، وانما تفضلهم بأن العلاج موجود فيها وهي في غفلة عنه، بل لما تشعر بالحاجة اليه، وهو القرآن، وما بينه من سنة محمد عليه الصلاة والسلام،

تنبأ حكيمنا هو وأستاذه منذ نصف قرن بأن شعوب أوربة ستشعر بالحاجة الى الدين المصلح المعقول ، فتطلبه فلا تجده إلا في القرآن فتأخذه بقوة كماداتها ، حتى لا يبعد أن يضطر المنسوبون اليه منا أن يعودوا إلى طلبه منها (راجع ص ٩٣٩) فان كانت مصر تريد أن تكون أهلاً لا نقاذ أوربة من فوضى الاباحة والمادية التي تتردى في فيها من ورائها ، فانها تجد الوسيلة إليها في تعاليم إمامها ، فلتسبق إليها وتجربها في إتقاذ نفسها وها هو ذا أكبر رجال الدين فيها عقلاً، واسد هم رأياً، وهو الشيخ محمد مصطفى المراغي الذي ظهر نبوغه في أرقى المناصب الدينية فكان قاضي قضاة السودان ورئيس المحكمة الشرعية العليا بمصر فشيخ الازهر ورئيس المعاهد الدينية ، فقام بها خير قيام - ها هو ذا يفتيها بترسم خطوات الاستاذ الامام وهذا نص ما كتبه في ذلك: «أعتقد اننا اذا جاوزنا عصر السلف المصلح لأنجد رجلاً رزق فيها في هداية القرآن، ووسع صدره أدق معانيه الاجتماعية والعمرانية مثل الامام محمد عبده . ولقد وهبه الله شروط الامامة الدينية جميعها ، كما منحه البصر في أمور الدنيا ، ومن الحق على المسلمين ان يترسموا خطواته بالاصلاح الديني والدنيوي، اذا أرادوا إعزاز دينهم ، ورفع أتباعه في دنياهم . »

وانني أختم هذا الكتاب الذي قضيت به ديناً أدبياً كبيراً كان على مصر بتدوين تاريخ الامامين المجدين الذين يرجع اليهما فضل نهضتها المعنوية ، كما يرجع إلى محمد علي الكبير فضل نهضتها المادية ، باقتراح عليا قضاء الدين الآخر الذي لا قبل لي به ، وهو العمل بما أرشد اليه الحكماء بالتربية والتعليم ، وإحياء ذكرهما بتعميم تاريخهما وآثارهما ، وإنشاء مدرسة لذلك باسم الاستاذ الامام ، وترميم داره وجعلها من المنافع العامة ، فهذا دين يجب على مصر أدائه على اختلاف أحزابها ومذاهبها ومشاربها ، لان الامام كان للجميع باتفاق الجميع

أحمد الله عز وجل أن أدت الامانة، وبلغت الوصية، ووفيت حق أستاذي وصديقي، ونصحت لأمتي ووطني، وهو كل ما أملك مما فرضه علي ربي للتي (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب) وسلام على المرسلين ، وعلى من اصطفى من عباده المصلحين ، والحمد لله رب العالمين .

فتاوى المنار

(أسئلة من بيروت)

(م ١١ - ٢٥) من صاحب الامضاء في بيروت وكنت كتبت أجوبتها في العام الماضي ولم تنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد أفندي رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أرفع لفضيلتكم ما يأتي راجياً التكرم بالإجابة عليه :

- (١) هل إذا مات رجل وترك زوجة في الحياة الدنيا وتزوجت هذه الزوجة برجل آخر فلائي رجل تكون في الآخرة وهل تكون مخيرة بينهما أم لا ؟ وهل ورد في ذلك شيء صحيح مستند أم لا ؟
- (٢) هل إذا مات رجل أو امرأة ولم يتزوجا في الحياة الدنيا فلمما أن يتزوجا في الآخرة أم لا ؟ وبأي ناس يتزوجان ؟
- (٣) هل يجوز أن يجمع الزوج بين الاخت وأختها أو عمتها أو خالتها وغيرهن في الآخرة أم لا ؟
- (٤) هل يجوز للرجال والنساء أن يتزوجوا في الآخرة من محارمهم كالأخوان وأولادهم وغيرهن أم لا ؟
- (٥) هل في الآخرة نسل أم لا ؟
- (٦) هل في الآخرة بلدان كالديار أم لا ؟
- (٧) هل في الآخرة طرقات وأسواق وبيع وشراء أم لا ؟
- (٨) هل يجوز للرجال والنساء أن يأكلوا ويشربوا ويلبسوا ماشاءوا من

الألوان والأزياء والحريز والحلي كالساعات والسلاسل والخواتم وغيرها أم لا ؟
(٩) هل ما يقال من أن أقوال وأعمال الأحياء في الحياة الدنيا سواء أكانت خيراً أم شراً تعرض على الأموات كالأقارب وغيرهم صحيح معتمد أم لا ؟
(١٠) هل الأموات يتزاورون ويتكلمون ويأتسون بعضهم مع بعض ويعرفون من يزورهم من الأحياء أم لا ؟

(١١) هل يجب على النساء الحجاب عن الرجال الأجانب في الآخرة أم لا ؟
(١٢) هل يجوز للمرأة إذا دخلت في عدة الطلاق أو الوفاة أن تظهر صوتها ووجهها ويديها إلى الكوعين « الرمفين » أمام الرجال الأجانب كأولاد عمها وأولاد خالها وأقارب زوجها وغيرهم أم لا ؟
(١٣) هل يجوز لها الخروج من بيتها للأصطياف في الجبل وغيره هرباً من حر الصيف أم لا ؟

(١٤) هل يجوز لها الخروج من بيتها بقصد الفسحة والنزهة وترويح النفس من عناء طول المسكن في البيت مقدار بضع ساعات ثم الرجوع إليه أم لا ؟
(١٥) هل يجوز للمرأة المسلمة السنية أن تزوج برجل شيعي يستقد اعتقاد الشيعة أم لا ؟ تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب السائل

عبد الحفيظ إبراهيم اللاذقي ببيروت

(المنار) أكثر هذه الاستئلة فضول وشهوات خواطر علمية لا يتعلق بها عمل فلا ينبغي لنا أن نطيل القول فيما لنا به علم منها ، لأن إضاعة الوقت فيه لا توازي صرفه في أكثر أعمالنا فانها والله الحمد خير منها ، فكيف ما ليس لنا به علم من أمور الآخرة والبرزخ ؟ ومع هذا أجيب عنها إكراماً للسائل لأنهم المشركون الأوفياء بالأجبال :
(ج ١١) المرأة ذات الزوجين لمن تكون في الآخرة

ان السؤال الاول لم يرد فيه شيء في صحاح السنة ، ولكن فيه حديث لام سلمة عند الطبراني وحديث لام حبيبة عند الخرائطي في مكارم الاخلاق ان المرأة ذات الزوجين أو الأزواج تكون في الجنة لأحسنهما خلقاً في الدنيا ، وفي الاول انها تخير فتختار أحسنهما خلقاً . وفي حديث أبي الدرداء في طبقات ابن سعد

٩٢ الأزواج في الجنة. محرمات الطعام والشراب واللباس النار: ج ٢ م ٣٢

مرفوعاً «المرأة لا آخر أزواجها في الآخرة» وحملوا هذا على من مات عنها وهي في عصمته ولم يتزوج بعده ويؤيده أثر في معناه لابي بكر (رض) في هذه الطبقات أيضاً. وحملوا حديث التخيير على من لم تمت على عصمة أحد كالمطلقة

(ج ١٢ — ١٤) الزواج والأزواج في الآخرة

وأما الجواب عن الأسئلة الثلاثة التي بعد الأول فيعلم جوابها الاجمالي من أن المفهوم من مجموع النصوص أن نساء الجنة تقسم على الرجال من أول العهد بدخولها كما يشاء الله تعالى ولم يرد أن هنالك عقود زواج تتجدد. قال تعالى (ولم فيها أزواج مطهرة) وهذا يعم من كان متزوجاً في الدنيا ومن لم يتزوج، فها من رجل إلا وهو زوج في الآخرة ولا امرأة إلا وهي زوج أيضاً.

(ج ١٥) هل في الجنة ولادة ونسل

وأما الخامس فهو أنه لم يثبت أن في الجنة حبلاً ولا ولادة ولا نسل. وفي حديث عند الترمذي أن المؤمن إذا اشتبه الولد في الآخرة كان له في ساعة كما يشتهي، ولكنه لا يشتهي

(ج ١٦) الجنة طبقات ودرجات لا بلاد

وأما عن السادس فهو أن المعروف أن الجنة طبقات بعضها أعلى من بعض لأن أهلها درجات كذلك. وأما انقسامها إلى بلاد فلا أدري ولم أرى ذلك نصاً (ج ١٧) أسواق الجنة

وأما السابع فهو أنه ورد في حديث أنس في صحيح مسلم أن في الجنة سوقاً يأتونها كل يوم جمعة فيزدادون حسناً وجمالاً، وليس فيه أن هنالك بيعاً وشراءً فالظاهر أنها مجامع للتلاقي كأسواق العرب الأدبية في عكاظ ومجنة وذئ المجاز، على أن هذه كان يكون فيها تجارة ولا حاجة في الجنة إلى التجارة فيما نعلم والله اعلم

(ج ١٨) محرمات الطعام والشراب واللباس

وأما الثامن ففيه تفصيل منه ما هو معلوم من الدين بالضرورة كتحريم أكل الميتة والدم السفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وصيد البر المحرم وشرب

الحجر ، ومنه ما هو مختلف فيه كأكل الخيل والحمر الاهلية وسباع الوحش والطيور الخ
وقد فصلنا في المجلد الماضي مسائل اللباس من الحرير والذهب والفضة

(ج ١٩) عرض أعمال الاحياء على الاموات

وأما التاسع فجوابه أن ما ذكر فيه غير صحيح ولا معتمد

(ج ٢٠) تلاقى الارواح في البرزخ

وأما العاشر فليس فيه أدلة صحيحة صريحة يحتاج بها على تفصيل قطعي في ذلك
ولكن فيه أخباراً وآثاراً عن السلف في تلاقى أرواح الصالحين بعد الموت ،
واستدل بعضهم عليه بقوله تعالى في الشهداء (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم
من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وتراجع المسألة في ص ٢٤ من
كتاب الروح للعلامة ابن القيم

(ج ٢١) لاحجاب في الجنة بين النساء والرجال

وأما الحادي عشر فجوابه ان الجنة ليس فيها تكليف بوجوب ولا تحريم
إذ لا معاصي فيها ولا فساد ولا فتنة يجب سد ذرائعها ومنع أسبابها بالفصل بين
النساء والرجال الاجانب

(ج ٢٢) ما يحرم على المرأة في العدة وما لا يحرم

وأما الثاني عشر فجوابه ان المرأة المعتدة يحرم عليها ما يحرم على غيرها من الرجال
الاجانب وتزيد عليها الحداد على الزوج بترك الزينة والطيب والتعرض للخاطبين
بما يباح للخلية غير الممتدة ، وإظهار صوتها بالكلام المعتاد ووجهها وكفها لا ينافي الحداد
فهو غير محرم لذاته عليها ولا على غيرها الا اذا كان ماثراً لفتنة أو وسيلة لمعصية

(ج ٢٣ و ٢٤) خروج المرأة للتزهر أو الاصطياف

وأما ١٣ و ١٤ فهو ان ما ذكر فيها يجوز لها كما يجوز لغيرها من النساء بشرط
الأمن على نفسها وما لها

(ج ٢٥) تزوج المرأة السننية بالشيعي

وأما الخامس عشر فجوابه الجواز لذاته وقد بينا ذلك في المجلد الماضي

﴿ الصلاة الى القبور وقبة فيها قبور تمتد وتعلم تدبنا ﴾

﴿ استفتاء وجوابه من الهند وتأيد المنار له (عدد ٢٦) ﴾

جاءتنا الفتوى الآتية مع كتاب من حضرة خادم الاسلام بير محمد القرشي في (هالا سنده — الهند) في شهر ربيع الاول يطلب تصحيحنا وموافقتنا للفتوى كتابة وتصحيح من عندنا من العلماء فكلنا بعض اخواننا من علماء الازهر عرضها على منكري البدع منهم دون أن نصارها ومروجيها فلم يعد إلينا بشيء . ثم جاءنا منه في رمضان كتاب آخر مع صورة أخرى للفتوى عليها تصحيح كثير من علماء الهند وعمان ويقول فيه ما نعه :

« وأرجو من جنابكم التصديق والتصحيح فاني اريد طباعة ذلك الفتوى واشاعته في الهند واجتمع عندي مقدار المائتين من تصحيحات العلماء لكن لا بد لنا من تصحيح جنابكم لان جنابكم ممن فضله الله على جميع علماء مصر — فليس من دأب العلماء السكوت والاعراض عن كلمة الحق واظهاره لاسيما عند الضرورة وان كان لكم مانع مع ورود النصوص المؤكدة فلا بد لجنابكم من اظهاره فتفضلوا علينا وشرفونا وكرمونا برسالة الجواب والتصحيح هذا مالزم والسلام عليكم وعلى من لديكم »

(نص السؤال) قبة رفيعة فيها قبور متعددة بالشباك وفي عيناها قبة أخرى للمسجد وفي يسارها ايضاً قبة على القبور . وأمام تلك القباب مساحة بقدر جريب واحد أي القباب الثلاث قدام الساحة محاطة بالجدران، جمل المتولي وقت بناء تلك القباب تلك الساحة كلها مسجداً وتلك الساحة متصلة بالقباب كالقناء لها . ففي وقت يجتمع الناس الكثيرون للصلاة كالجمعة والعيد يقوم الامام متوجهاً الى القبة الوسطى منحرفاً من يابها قليلاً الى اليمين ويصلي بالناس ، والحال ان باب القبة الوسطى مفتوح لا يلقونه ، بزعم ان الشباك حائل كاف بين المصلين والقبور ، والقبور التي في القبتين يعظمها الناس لاسيما الجهال على وجه بلغ مبلغ العبادة ، بل القبة يعظمها الجهال تعظيماً بليغاً حتى (انهم) يقبلون بعض زواياها ويوقرونها توقيراً بحيث لو يذهب أحد يضرب برجله زاوية من زواياها أو جداراً من جدرانها يتصورونه منكراً للصالحاء والاولياء ، بل يزعمون انه مرتكب أشد الكبيرة . فصلاة الامام والمقتدين في هذا المكان والحال ما ذكرنا هل هي جائزة أم لا ؟

(نص الجواب وهو الفتوى المطلوب اقرارها)

إن كان في المقبرة مكان خال عن القبور وفيه مسجد أو جدار مبني بحيث لا يقع النظر على القبور كالستر على القبور على وجه الكمال موجود فلا بأس بالصلاة في ذلك المكان ، أما إذا كان مشهداً كان على القبور قبة بحيث إذا صلى أحد يكون ذلك القبر أو القبة في قبلته فلا يجوز الصلاة أصلاً لأن في تلك الصورة تكون الصلاة الى القبر أو القبة تعظيماً له لا سيما في هذا الزمان فان اعتقاد الجهلاء بلغ الى درجة عبادة الاولياء والصلحاء أعاذنا الله من ذلك — وليس الغرض من الشباك حول القبر أو القباب على القبر السترة أو السترة ، بل القباب في أنفسها معظمة ومكرمة عند الناس كالقبور ، فلا فرق بين الصلاة الى القبر والقبة في هذه الصورة . وأما المسجد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام ففيه اتخذوا جدراناً حول القبر الشريف ليحصل الستر ثم في وقت توسيع المسجد جعلوا الحجرة الشريفة على هيئة المثلث لئلا يمكن السجود الى القبر ثم بعد ذلك اتخذوا حول الحجرة جدراناً آخر ليحصل الستر على أوجه التمام والكمال بحيث لا يبقى مكان للعبادة وشبهتها والله أعلم بالصواب

(هذا نص نقل الفتوى الاخير . وزاد في آخر الصورة الاولى مانصه)

ففي صحيح البخاري في باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ، عن

عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات

فيه « لمن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجدا » قالت ولولا

ذلك لأبرز قبره ، غير أني أخشى أن يتخذ مسجداً ^(١) قال الميني في شرحه في صفحة ١٥ ج ٣ قوله : لولا ذلك لأبرز ، حاصله لولا خشية الانخاذ لأبرز قبره أي

(١) وفي رواية أخرى للبخاري : غير أنه خشي أو خشي على الشك . قال

الحافظ ابن حجر : هل هو بفتح الحاء المعجمة أو ضمها وفي رواية مسلم غير أنه خشي بالضم لا غير . وفي رواية أخرى متفق عليها زيادة : يحذر ما صنعوا »

لكشف قبر النبي ﷺ ولم يتخذ عليه الحائل ولكن خشية الاتخاذ موجودة فامتنع الابرار لأن «لولا» لامتناع الشيء لوجود غيره، وهذا قاله عائشة قبل ان يوسع المسجد، ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محذرة حتى لا يتأتى لأحد ان يصلي الى جهة القبر مع استقبال القبلة. وأضاف فيه: وما يستفاد منه ان قوله ﷺ هذا من باب قطع الذريعة لئلا يعبد قبره الجهال كما فعلت اليهود والنصارى بقبور انبيائهم. محمد صادق مهتم مدرسة الدينية مظهر العلوم (سند)

وبلي هذا تأييد طائفة من العلماء للفتوى

﴿ تصحيح صاحب المنار وتأيده للفتوى ﴾

الحمد لله ملهم الصواب — الفتوى صحيحة بدلائل الاحاديث الصحيحة الصريحة في الصحيحين والسنن وغيرها في النهي عن اتخاذ القبور مساجد وعن الصلاة اليها ولعن فاعلي ذلك من اهل الكتاب بقبور انبيائهم وصالحهم لتحذيره ﷺ أمته أن يتبعوا سنتهم فيه وتسميتهم شرار الخلق عند الله تعالى — كل ذلك لا يدع أدنى شبهة او عذر للخلاف في المنع منه وعدم جوازه، ولعناية النبي ﷺ بمنع هذه المعصية في العبادة جعلها مما أوصى به قبل وفاته، ففي الصحيحين عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول «ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهيكم عن ذلك» وروى مسلم عن أبي هريرة (رض) أن النبي ﷺ قال «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها» ومن المعلوم ان ما كان يفعله أهل الكتاب من اتخاذ القبور مساجد والصلاة اليها وتشریفها وكسوتها هو من تعظيم انبيائهم وصالحهم غير المشروع في دين الله الذي جاء به رسوله لانه تعظيم عبادة أخذوه عن الوثنيين — ولذلك لعنهم النبي ﷺ ولعن الذين يضعون السرج على القبور وأمر بتسوية ما بيني ويشرف منها مقترنا بأمره بطمس التماثيل لانهما من أعمال الشرك. ولا فرق بين تعظيم هذه القبور نفسها وتعظيم الستور التي توضع عليها والقباب والمقاصير التي تبنى فوقها وحولها — وصورة السؤال الذي أجاب عنه مولانا الشيخ

محمد صادق ناظر مدرسة مظهر العلوم ظاهرة في أن المصلين هنالك يتوجهون الى قباب مفتوحة فيها قبور ظاهرة يعظمها الجاهلون تعظيما دينيا من النوع الذي لعن النبي ﷺ فاعليه ونهى عنه لسد ذريعة الاقتداء بأهله والتحذير منه، وقد وقع ما ورد النهي لمنع وقوعه فصار التوجه الى تلك القباب وما فيها عبادة فاسدة لا ذريعة لها، فالصلاة الى هذه الحواجز كالصلاة الى القبر نفسه كما قال المني، كله عبادة وثنية باطلة يجب منع جهلة المسلمين منها بالفعل والقول وإعلامهم انها من بدع أهل الشرك التي فتن بها أهل الكتاب فهي ليست من شرعهم الذي نسخته شرعنا بل عدوى وثنية ولكن المسلمين اتبعوا سنن من قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع كما أخبر النبي ﷺ فاتخذوا قبور الانبياء والصالحين مساجد وبنوا عليها القباب وأوقدوا عليها السرج وصاروا يصلون اليها ويطوفون بها كالكبسة، ووجد من علماء التقليد فيهم من يبيح لهم هذه البدع - كما أباحها أمثالهم لأهل الكتاب بشبهة التفرقة بين العبادة للقبور والتبرك بها. وهل هذا التبرك غير المشروع الا عمل يتقرب به الى الله تعالى بما لم يشرعه؟ وهل للعبادة معنى الا هذا؟ وهل كانت آلهة قوم نوح الا رجالا صالحين عظموهم بعد موتهم وصوروهم للتذكير والاقتداء بهم حتى انتهى بهم ذلك الى عبادتهم بالدعاء وغيره كما رواه البخاري عن ابن عباس (رض) وقد سمعت بعض الرهبان من النصارى يقولون في الصور التي في الكنائس: نحن لا نعبدها وانما نتخذها للتذكير والتبرك او هذا جهل بمعنى العبادة وقع فيه من اتبع سننهم من المسلمين وانما سمكت أكثر علماء السوء عن هذه البدع لأن الذين فعلوها هم الملوك والامراء الذين يرايهم ويتأول لهم علماء الدنيا، وتبسمتهم العامة، والعامة قوة تراءى كالملوك. وقد عد الفقيه ابن حجر الهيتمي الشافعي هذه الاعمال من الكبائر في زواجدهم تقلا واستدلالا فقال (الكبيرة الثالثة ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ والتسعون) اتخذ القبور مساجد وابقاد السرج عليها واتخذها أوثانا والطواف بها واستلامها والصلاة عليها) واستدل عليها بطائفة من الاحاديث الواردة في النهي عنها والوعيد عليها، وتقدم ذكر بعضها - ثم قال مانصه:

(تنبيه) عد هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الاحاديث، ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجدا منها واضح

لانه لمن من فعل ذلك بقبور أنبيائه وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة ، ففيه تحذير لنا كما في رواية « يحذر ما صنعوا » أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك ، من أن يصنعوا كصنع أولئك فيلعنوا كما لعنوا ، واتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة عليه أو اليه وحينئذ فقواه « والصلاة اليها » مكرر إلا أن يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط . نعم انما يتجه هذا الاخذ ان كان القبر قبر معظم من نبي أو ولي كما أشارت اليه رواية « اذا كان فيهم الرجل الصالح » « ومن ثم قال أصحابنا تحرم الصلاة الى قبور الانبياء والاولياء تبركا واعظاما فاشترطوا شيئين أن يكون قبر معظم وأن يقصد بالصلاة اليه ومثلها الصلاة عليه التبرك والاعظام ، وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الاحاديث المذكورة لما علمت ، وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كإيقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به والطواف به كذلك وهو أخذ غير بعيد . سيما وقد صرح في الحديث المذكور أننا بلعن من اتخذ على القبر سرجا فيحمل قول أصحابنا بكرهه ذلك على ما اذا لم يقصد به تعظيما وتبركا بذى القبر

« وأما اتخاذها أوثانا فجاء النهي عنه بقوله ﷺ « لا تتخذوا قبوري وثنا يعبد بعدي » أي لا تعظموه تعظيم غيركم لاوثنانهم بالسجود له أو نحوه ، فان اراد ذلك الامام بقوله « واتخاذها أوثانا » هذا المعنى أنجه ما قاله من ان ذلك كبيرة بل كفر بشرطه ، وان أراد أن مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بعد — نعم قال بعض الحنابلة : قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركا بها عين المحادة لله ورسوله وابداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم اجماعا ، فان أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد أو بناؤها عليها . والقول بالكرهية محمول على غير ذلك اذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي ﷺ لمن فاعله ، ونجس المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضرم من مسجد الضرار لانها أصبحت على معصية رسول الله ﷺ لانه نهى عن ذلك وأمر ﷺ بهدم القبور المشرقة ، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى (صفحة ١٦٢ ج أول من كتاب الزواجر - طبع المطبعة

﴿ دعوى بعض مشايخ الطرق التالي عن النبي ﷺ ﴾

(ص ٢٧) لعاحب الامضاء في بيروت

الى حضرة الاستاذ الفاضل العلامة السيد محمد رشيد رضا المعظم
قرأت في كتاب أورد السيد أحمد بن ادريس رحمه الله عبارة هذا نصها :
« انني اجتمعت بالنبي ﷺ اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبي
ﷺ الخضر أن يلقني أورد الطريقة الشاذلية فلقننيها بحضرة ثم قال ﷺ
« يا خضر لفته ما كان جامعا لسائر الاذكار والصلوات والاستغفار وأفضل ثوابا
وأكثر عدداً » فقال أي شيء هو يا رسول الله فقال قل : لا إله إلا الله محمد رسول الله ،
في كل لحظة ونفس عدد ما وسعه علم الله » ثم قال السيد أحمد مانصه : « قال ﷺ
يا أحمد قد أعطيتك مفاتيح السموات والأرض وهي التهليل المخصوص والصلاة
المعظمة والاستغفار الكبير ، المرة الواحدة منها بقدر الدنيا والآخرة وما فيها
أضعافاً مضاعفة » اهـ وعليه أرجو أن تتكرموا باعلامي هل يمكن الاجتماع مع الرسول
ﷺ اجتماعاً صورياً وما حكم ما يلقنه بهذه الحالة . وتفضل يا سيدي الاستاذ
الفاضل بقبول مزيد شكري واحترامي

عزت المرادي

بيروت

(ج) صرح بعض العلماء المحققين بأن دعوى رؤية النبي ﷺ بعد موته
في البيضة والأخذ عنه دعوى باطلة ، واستدلوا على ذلك بأن أولى الناس بها
— لو كانت مما يقع — ابنته سيدة النساء وخلفاؤه الراشدون وسائر علماء
أصحابه وقد وقعوا في مشكلات وخلاف أفضى بعضه إلى الغاضبة وبعضه إلى القتال ،
فلو كان ﷺ يظهر لأحد ويعلمه ويرشده بعد موته لظهر لابنته فاطمة عليها السلام
وأخبرها بصدق خليفته أبي بكر (رض) فيما روى عنه من أن الانبياء لا يورثون —
وكذا للأقرب والاحب اليه من آله وأصحابه ثم لمن بعدهم من الائمة الذين أخذ
أكثر أمتهم دينهم عنهم ، ولم يدع أحد منهم ذلك ، وإنما ادعاه بعض غلاة الصوفية بعد
خير القرون وغيرهم من الطوائف الذين تغلب عليهم تخیلات الصوفية ، فمن العلماء

من جزم بأن من ذلك ما هو كذب مفترى وإن الصادق من أهل هذه الدعوى من خيل إليه في حال غيبة أو ما يسمى بين النوم واليقظة أنه رآه صلى الله عليه وسلم فخال أنه رآه حقيقة ، على قول الشاعر * ومثلك من تخيل ثم خلا *

والدليل على صحة القول بأن ما يدعونه كذب أو تخيل ما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الرؤية وبعض الرؤى المتنامية مما يختلف باختلاف معارفهم وأفكارهم ومشاربهم وعقائدهم ، وكون بعضه مخالفاً لنص كتاب الله ، وما ثبت من سنته صلى الله عليه وسلم ثبوتاً قطعياً ومنه ما هو كفر صريح باجماع المسلمين

نعم إن منهم من يجلبهم العارف بما روي من أخبار استقامتهم إن يدعوا هذه الدعوى اقتراء وكذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن غلبة التخیل على المنهمكين في رياضاتهم وخلواتهم لأعصمة منها لأحد وكثيراً ما تنضي إلى الجنون ، فإن صح عقلاً أن منهم من يرى أرواح الأنبياء والصالحين فعلاً ، فلا يجوز شرعاً أن تتضمن هذه الرؤية تشريعاً ولا تعبداً جديداً . ومنهم من كذب اتباعهم عليهم في ذلك وغيره من الدعاوي الباطلة ومنه ما يسمونه الشطح . وقد جزم بعض المحققين بأن بعضهم كانت تمثل لهم الشياطين بصور بعض الصالحين وتلقي إليهم بعض ما يسمونه للكاشفات ، ومنه ما روي عن إمام الصوفية في عصره الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره أنه ظهر له في خلوته نور عظيم ملاً الأفق وسمع منه هاتفا يقول له : يا عبد القادر أنت عبدي وقد أحلت لك المحرمات . قال فقلت له : أخساً يا لعين . فتحول النور ظلمة أو قال دخاناً ، وقال : قد نجوت مني بعلمك وقد أضللت بها كذا وكذا من العباد . قيل للشيخ : وكيف علمت أنه شيطان ؟ قال من قوله : أحلت لك المحرمات — يعني رحمه الله تعالى إن الشرع هو الفرقان الذي يعرف به الكشف الحق من الكشف الباطل وأولياء الرحمن من أولياء الشيطان

ومن هذا القبيل دعوى قول النبي صلى الله عليه وسلم للسيد أحمد بن إدريس أعطيتك مفاتيح السموات والأرض — التي تشبه ما يرويه النصاري من قول المسيح عليه السلام لتلاميذه ما تحلونه في الأرض يكون محلولاً في السماء وما تربطونه في الأرض

للمار: ج ٢٢ م ٣٢ الكشف والرؤى ايسا حجة ولا يجوز أن تكون تشريعا ١٠١

يكون مربوطا في السماء . وفسره رؤساؤهم بأن لهم ولخلفائهم الحق في مغفرة ذنوب الخاطئين . والله تعالى يقول (له مقاليد السموات والارض) أي مفاتيحها وخزائنها في التصرف والرزق ، وقال (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو)

وقد صرح علماء الاصول بأن ما يسمونه الكشف ليس بحجة شرعية ولا يجوز العمل بما لا يقوم عليه الدليل من الكتاب والسنة منه ، وكذا رؤية النبي ﷺ في المنام والسمع منه ، وعلل ذلك بعضهم بعدم الثقة بصفاء أرواح هؤلاء المكاشفين وضبطهم لما يرونه في كشفهم ورؤياهم ولما يروونه . وأما الدليل الاقوى والاقوم فهو ان قبول هذا يعد من الزيادة في دين الله واستمرار التشريع الذي ادعاه بعض الدجالين المضلين كأتباع الدجال غلام احمد القادياني الهندي الذين يلقبون أنفسهم بالاحمدية . وقد أكمل الله دينه في حياة خاتم النبيين بنص القرآن الصريح ، فلا حاجة الى شيء غير ما جاء به ﷺ من كتاب الله وسنته في بيانه ، وان كان حسنا في نفسه كصيغة الشهادتين التي هي شعار الطريقة الادريسية ، وليتها لم تقترن بدعوى هبوط روح الرسول الاعظم من الافق الاعلى لتلقين طريقة الشاذلية . وناهيك بطريقة التجانية وما ينسبونه الى صاحبها من عظام الخرافات والبدع وقد سبق لنا بيان ذلك مرارا وان أهل هذه الطريقة وأمثالهم قد افسدوا دين المسلمين ودنياهم حتى صار بعض شيوخهم اكبر اعوان المستعمرين في الجزائر والمغرب على استعباد المسلمين

ولا يغرن أحد بعض أذكارهم وأورادهم فأكثرها ممزوج بالبدع والضلالة وحسبك انهم نسخوا بها اتعبد بكتاب الله تعالى وبالأذكار المأثورة عن رسول الله ﷺ المدونة في كتب السنة ككتاب الاذكار للامام النووي والحصن الحصين للمحدث الجزري . ومتى تعبد هؤلاء بهما ، ووجدوا في وقتهم فراغا لما ابتدع بعدها ؟ وأين هذا من نهى الكتاب والسنة عن الغلو في الدين حتى في المشروع منه . وقد فصلنا هذه المسألة في تفسير قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وأوردنا فيه قول الامام الرازي فيمن اتبع سنة أهل الكتاب في ذلك من المتفقهة والمتصوفة فراجعه في جزء التفسير العاشر

هداية القرآن*

لو أن كل مسلم تدبر آيات الكتاب العزيز واستمسك بهدايتها لما أصاب المسلمين تلك الكوارث المفجعة ، والمصائب المدهمة

لو أن المسلمين اعتصموا بآيتين [الصواب بآية] من القرآن تتلى في كل صلاة وهما (إياك نعبد وإياك نستعين) بالاخلاص لله في العبادة دون الاشرار به والاعتماد على غيره ، والاستعانة به دون سواه ، والسير على حسب سننه وقوانينه العادلة - لما أصابهم الذل والهوان في مشارق الارض ومغاربها

ذكر الاستاذ العلامة ابن القيم أن سر الخلق والامر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين (إياك نعبد وإياك نستعين) وعليهما مدار العبودية والتوحيد ، حتى قيل ان الله انزل مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها في التوراة والانجيل والقرآن ، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن ، وجمع معاني القرآن في الفاتحة ، ومعاني الفاتحة في (إياك نعبد وإياك نستعين) وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده فنصفها له تعالى وهو (إياك نعبد) ونصفها لعبده وهو (وإياك نستعين)

فسر الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده « أن للعبادة صوراً كثيرة في كل دين من الاديان شرعت لتذكير الانسان بذلك الشعور بالسلطان الالهي الأعلى الذي هو روح العبادة وسرها . ولكل عبادة من العبادات الصحيحة أثر في تقويم أخلاق القائم بها وتهذيب نفسه ، والاثار انما يكون عن ذلك الروح والشعور الذي هو منشأ التظيم والخشوع - فاذا وجدت صورة العبادة خالية من هذا المعنى لم تكن عبادة ، كما أن صورة الانسان وتمثاله ليس انسانا

« خذ اليك عبادة الصلاة مثلاً وانظر كيف أمر الله بإقامتها دون مجرد الاتيان بها - وإقامة الشيء هي الاتيان به مقوماً كاملاً يصدر عن علته ، وتصدر عنه آثاره ، وآثار الصلاة ونتائجها هي ما أنبأنا به الله تعالى بقوله (ان الصلاة تنهى

عن الفحشاء والنكر) وقوله عز وجل (ان الانسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا * إلا للمصلين) وقد توعد الذين يأتون بصورة الصلاة من الحركات والالفاظ مع السهو عن معنى العبادة وسرها فيها المؤدي إلى غايتها بقوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراءون * ويمنعون الماعون) فسماء مصلين لانهم أتوا بصورة الصلاة ، ووصفهم بالسهو عن الصلاة الحقيقية التي هي توجه القلب إلى الله تعالى المذكر بخشيته، والشعر للقلوب بعظم سلطانه ، ثم وصفهم بأثر هذا السهو وهو الرياء ومنع الماعون «

وذكر الاستاذ الامام أن الرياء ضربان : رياء التفاني وهو العمل لاجل رؤية الناس . ورياء العادة وهو العمل بحكمها من غير ملاحظة معنى العمل وسره وفائدته ، ولا ملاحظة من يعمل له ويتقرب اليه به ، وهو ما عليه اكثر الناس قلن صلاة أحدهم في طور الرشد والعقل هي عين ما كان يحاكي به أباه في طور الطفولية عند ما يراه يصلي — يستمر على ذلك بحكم العادة من غير فهم ولا عقل ، وليس لله شيء في هذه الصلاة . وقد ورد في بعض الاحاديث أن من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً ، وانها تلف كإلف الثوب البالي ويضرب بها وجهه . وأما الماعون فهو المعونة والخير الذي تقدم في الآية الاخرى ان من شأن الانسان أن يكون منوعاً له إلا المصلين

قال الاستاذ الامام في معنى (وإياك نستعين) «أرشدتنا هذه الكلمة الوجيزة إلى أمرين عظيمين هما معراج السعادة في الدنيا والآخرة (أحدهما) أن نعمل الاعمال النافعة . ونجتهد في إتقانها ما استطعنا ، لان طلب المعونة لا يكون إلا على عمل بذل فيه المرء طاقته فلم يوفه حقه ، أو يخشى أن لا ينجح فيه ، فيطلب المعونة على إمامه وكاله — فمن وقع من يده القلم على المكتب لا يطلب المعونة من أحد على إمساكه ، ومن وقع تحت عبء ثقل يعجز عن الهوض به وحده يطلب المعونة من غيره على رفعه ، ولكن بعد استفراغ القوة في الاستقلال به ، وهذا الامر هو مرعاة السعادة الدنيوية ، وركن من أركان السعادة الاخرية (وثانيهما) ما أفاده الحصر من وجوب تخصيص الاستعانة بالله تعالى وحده فيما وراء ذلك وهو روح الدين «

وكمال التوحيد الخالص الذي يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الاغيار ،
 ويفك إرادتهم من أسر الرؤساء الروحانيين ، والشيوخ الدجالين ، ويطلق عزائمهم
 من قيد المهيمنين الكاذبين من الاحياء والميتين ، فيكون المؤمن مع الناس حراً خالصاً
 وسيداً كريماً ، ومع الله عبداً خاضعاً (ومن يطعم الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)
 والاستعانة بهذا المعنى ترادف التوكل على الله وتحمل محله ، وهو كمال التوحيد
 والعبادة الخالصة ، ولذلك جمع القرآن بينهما في مثل قوله تعالى (والله غيب
 السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبدوه وتوكل عليه) ان لفظ الاستعانة
 يشعر بأن يطلب العبد من الرب تعالى العون على شيء له فيه كسب ليعينه على
 القيام به — وفي هذا تكريم للانسان بجعل عمله أصلاً في كل ما يحتاج اليه لاتمام
 تربية نفسه وتزكيتها وإرشاده ، لان ترك العمل والكسب ليس من سنة الفطرة
 ولا من هدي الشريعة ، فمن تركه كان كسولاً مذموماً ، لا متوكلاً محموداً —
 وبذلك يره من جهة اخرى بضعفه لكيلا يفتر فيتوهم أنه مستغن بكسبه عن عناية ربه ،
 فيكون من الهالكين في عاقبة أمره^١

بمثل هذا الاسلوب الحكيم أخرج حضرة الامتاز العلامة السيد محمد رشيد
 رضا صاحب مجلة المنار تفسير القرآن الحكيم (المشتهر باسم تفسير المنار) وهو كما يقول
 بحق «انه التفسير الوحيد الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول الذي يبين حكم
 التشريع ، ومنن الله في الاجتماع البشري ، وكون القرآن هداية عامة للبشر في كل
 مكان وزمان ، وحجة الله وآيته المعجزة للانس والجان ، ويوازن بين هدايته وما
 كان عليه سلفهم إذ كانوا معتمدين بمجملها بما ثبت أنها هي السبيل لسعادة الدارين ،
 مراعى فيها السهولة في التعبير ، محتجباً مزج الكلام باصطلاحات العلوم والفنون
 بحيث يفهمه العامة ، ولا يستغنى عنه الخاصة ، وهذه هي الطريقة التي جرى عليها
 في دروسه في الازهر حكيم الاسلام الامتاز الامام الشيخ محمد عبده»

كان من سوء حظ المسلمين ان أكثر ما كتب من الكتب في التفسير يشغل قارئه
 عن المقاصد العالية ، والهداية السامية ، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الاعراب

المنار: ج ٢ م ٣٢ المنقول عن الاستاذ الامام من التفسير بالمعنى والمنقول باللفظ ١٥٥

وقواعد النحو ونكت المعاني ومصطلحات البيان — ومنها ما يصرفه عنه بمجمل المتكلمين ، وتخريصات الاصوليين ، واستنباطات الفقهاء المقلدين ، وتأويلات المتصوفين ، وتمصيب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات ، وما مزجت به من خرافات الاسرائيليات ، وقد زاد الفخر الرازي صارفا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده كالمهنة الفلكية البونانية وغيرها ، وقلده بعض المعاصرين بايراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة التي تصد قارئها عما أنزل الله لاجله القرآن

أخرج الاستاذ العلامة السيد رشيد رضا عشرة أجزاء من تفسير القرآن تقع في عشرة مجلدات تبلغ ما يزيد عن خمسة آلاف صحيفة من القطع المتوسط ، منها الخمسة الاجزاء الأول فسرهما الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده تفسيراً جمع بين دقة المعنى وجزالة اللفظ ، ورشاقة الاسلوب ^(١) وللستاذ الامام منهج في التعبير يدل على نفاذ البصيرة ، وقوة الارادة ، ومثانة الايمان ، حتى ليخيل لقارئه انه من رجال الصدر الاول

(١) المنار: توهم هذه العبارة ان الكاتب ظن أن الاجزاء الخمسة الاولى قد فسرهما الاستاذ الامام كتابة أو ان عبارتها أو ما عزوته اليه فيها هو من قلمه أو نص قوله ، والصواب انه فسر أكثرها قراءة في الازهر وان عبارتها كلها لصاحب المنار لا تفسير آية (٢: ٢١٢) كان الناس أمة واحدة من الجزء الثاني (ص ٢٧٦-٣٠١) فهي بقلمه ، وقد بينت ذلك في أول حاشيتها وآخرها - والاصححة واربعة أسطر من مقدمة تفسير (٢: ٦٢) ان الذين آمنوا والذين هادوا) الخ من الجزء الاول ، وقد بينت ذلك في (ص ٣٣٥ ج ١) وزاد أيضا تعليقات على آيات من تفسير الجزء الاول اقترحتها عليه أهمها في قصة آدم والكلام على الملائكة لاستشكال بعض الناس لما نقلته عنه فيها بعد طبعه في المنار. وقد ميزتها في طبع الجزء بوضعها بين أهلة مع التنبيه اليها . وما عدا ذلك مما نقلته عنه فهو منقول بالمعنى بالاعتماد على فهمي والمذكرات التي كنت أكتبها بالدرس وكلها لا تبلغ نصف جزء ، ولكن كان فيها كلها قشة من روعه ، وقفزة من روحه ، سواء منها ما عزوته اليه غفلا ، وما صرحت بانه مثال لقوله أو منقول عنه بالمعنى ، ولا أذكر الآن شيئاً قلت انه قاله بنصبه الا عبارة في تفسير (٢: ٦١) وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) وقد شرحت هذا الاصطلاح في ص ١٥ و ١٦ من مقدمة التفسير

والشيخ محمد عبده من أفذاذ المصلحين، وكبار المفكرين ، لم يخرج له واسع علمه عن الاقتداء بالرسول العظيم، والاهتداء بسيرة السلف الصالح، ولم ينزل قدمه في مهاوي الاسرائيليات، ولم يدخل في جدال مناقشات الطوائف التي جمعت من الاسلام والمسلمين شيعاً وأحزاباً، فهو إذا أتى على تفسير الجنة والنار مثلاً قال: انها من عالم الغيب لا يجب ان نتعدى فيها قول الرسول المصوم عما يقوله تعالى^{١١} (وانزلنا اليك الذر لتبين للناس ما نزل إليهم) وهذا ما يدل على راحة العقل وكبح جماح الهوى، وأن يقف في الدائرة التي وضعها الله في كتابه العزيز، لان القرآن قبل كل شيء هو كتاب هداية وإرشاد. قال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب. أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) وقد اقتنى الاستاذ السيد رشيد رضا اثر أستاذه الشيخ محمد عبده في التفسير سواء فيما وضعه من الآراء في الخمسة الاجزاء الأول، أو الباقي من التفسير حتى الجزء العاشر وان من يتصفح العشرة الاجزاء من التفسير الذي أخرجه الاستاذ العلامة السيد رشيد رضا يعلم منها سعة اطلاع المؤلف وغزارة معارفه وأمانته في النقل، وشدة على خصومه في الرأي، وان الزمن الطويل الذي سلخه في إخراج تفسيره وهو ما يزيد على العشرين سنة مع مثابرته على إخراج مجلة المنار أكثر من ثلاثين عاماً تشهد لحضرة العلامة المؤلف بقوة الارادة التي لم توجد في رجال المعاهد الدينية الاسلامية لا متفرقين ولا مجتمعين - والاسلام يُطعن من كل جانب من أهله ومن غير أهله ولا يوجد من يدفع عنه بصبر وثبات غير هذا المؤلف الشجاع يناضل أكثر من ثلاثين عاماً ضد البدع والضلالات من الملحدين والمبشرين وغيرهم ممن جعلوا هدم الاسلام غايتهم، واستعباد المسلمين هدفهم

لقد قرأت العشرة الاجزاء التي أخرجها المؤلف وهي تعتبر دائرة معارف فقهية إسلامية، وإذا كان هناك بعض ملاحظات فهي تأتي من ناحية استطراد المؤلف في بعض الموضوعات التي تخرج التفسير عن غرضه كالكلام على ترجمة القرآن مثلاً فتقع في ٤٩ صفحة من الجزء التاسع، وبشارة التوراة والانجيل بنينا ﷺ

غُتِقَ في ٧٠ صفحة . وترجمة عزيز أوعزرا . والثالث عند الكلام على الآية الكريمة . (وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) الخ في ٣٤ صفحة في الجزء العاشر

ان طبيعة الاستاذ العلامة هي إلى النضال والكفاح أقرب منها إلى المسألة ، فهو إذا ما اعترضه خصومه في الرأي قد فهم بوابل حججه وأسانيده ، وأخذ عليهم المسالك ، وسد عليهم الطرقات ، وقد ينسبه حب الغلبة والقهر - في سبيل ما يعتقد انه الحق - الدائرة التي وضع نفسه فيها ، وكان يكفي في مثل هذه الموضوعات التي ذكرناها الإيجاز وخصوصاً فيما يختص بالتوراة والإنجيل وأسانيدها إذ ورد عن المعصوم صلوات الله عليه وسلامه أننا لا نكذب ما جاء بها ولا نصدقه - موقف حياد - وقد ذكر الاستاذ ذلك في عدة مواضع وكان يجب عليه أن يتف عند ذلك

توجد بعض استطرادات أخرى خلافية مثلاً عند تفسير الآية (قال النار مثواكم خالدون فيها إلا ما شاء الله) سورة الانعام . وقد عقد الاستاذ المؤلف فصلاً في الخلاف في أبدية النار وعذابها يقع في ثلاثين صفحة وإن كان هذا الكلام يعد من صلب الموضوع إلا أنني أرى أن التلخيص والإيجاز أقرب إلى الفهم وأبقى في الذاكرة من الاسهاب والاطناب

لا يمكننا أن نفي حق العلامة المؤلف في مثل هذه المعجالة الصغيرة من الثناء والتقدير ان ما يجب أن أذكره لحضرة مؤلفنا الفاضل من الميزات التي يتفوق بها على أقرانه اعتصامه بالحديث وتحري صحبه ، وهذا ما يجعل حجته أقوى ضد خصومه ، وكفته راجحة ، وأنه ما أضعف المسلمين ولا فرقهم إلا التمسك بآراء بعض الفقهاء وتركهم للكتاب والسنة وهما ما يجب أن يضمهما كل مسلم نصب عينيه ولا يلتفت لأي رأي مالم يكن قائماً على السند الصحيح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله أو إجماع المسلمين من السلف الصالح . وقد قال الامام الشافعي : الحديث إذا صح فهو مذهبي

قال السيد حسن صديق في تفسيره (فتح البيان في مقاصد القرآن) ان طاعة المذهب لمن يقتدى بقوله ويستن بسننه من علماء هذه الامة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت به كتبه وأنبياءه هو كاتخاذ

اليهود والنصارى للاحبار والرهبان أرباباً من دون الله، للقطع بأنهم لم يبدؤهم بل أطاعوهم وحرّموا ما حرّموا وحلّوا ما حلّوا، وهذا صنيع المقلّدين من هذه الامة وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمرّة بالتمرّة والماء بالماء - فيا عباد الله ويا أتباع محمد بن عبد الله، ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانباً وعمدتم إلى رجال مثلكم في تعبد الله لم بهما، وطلبه للعمل منهم بما دلا عليه وأفاداه؟ فعملتم بما جاءوا به من الآراء التي لم تعبد بعباد الحق، ولم تعبد بعضد الدين ونصوص الكتاب والسنة، بل تنادي بأبلغ نداء، وتصوت بأعلا صوت بما يخالف ذلك ويباينه، فأعرتموها آذاناً صماً، وقلوباً غلفاء، وأفهاماً مريضة، وعقولا مهيبضة، وأذهانا كليلّة، وخواطر عليلّة، وأنشدتم بلسان الحال:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية ارشد

فدعوا أرشدكم الله وإياي كتباً كتبها لكم الاموات من أسلافكم واستبدلوا بها كتاب الله خالقهم وخالقكم، ومتعبدكم ومتعبدكم، ومعبودكم ومعبودكم، واستبدلوا بأقوال من تدعونهم بأئمتكم وما جاءوا به من الرأي - أقوال إمامكم وإمامهم، وقدوتهم وقدوتكم، وهو الامام الاول محمد بن عبد الله ﷺ

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن في دينه كمخاطر

اللهم هادي الضال مرشد التائه موضح السبيل اهدنا إلى الحق وأرشدنا إلى الصواب وأوضح لنا منهج الهداية . اهـ

ليس الاسلام بدين أمانى وأوهام، بل هو دين إيمان مقرون بصالح الاعمال، وقد وضع الله سنناً محكمة من اتبعها نجا وسعد، ومن حاد عنها ضل وشقي قال تعالى (ليس بأمانيتكم ولا بأمانى أهل الكتاب، من يعمل سوءاً يجز به ولا يجده من دون الله ولياً ولا نصيراً * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) وقال رسول الله ﷺ « ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، ان قوما ألهتهم أمانى الغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا نحن نجسن الظن بالله تعالى - كذبوا - ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل »

وقصارى القول ان تفسير المنار الذي أخرجه العلامة السيد رشيد رضا جدير بالثناء والاعجاب، وأن يقرأه كل محب للاطلاع على ما يرمى اليه القرآن الكريم من إصلاح الأمم التي يدعوها للتمسك بآدابها وأحكامها، وأن هذا التفسير يتمشى مع روح العصر الحاضر - فجزى الله المؤلف خير ما يجزي به العاملين، ووقفه إلى إتمام بقية الأجزاء الباقية حتى يتم للناشئة الإسلامية تفسيراً شاملاً يغنيهم عن كثير من التفاسير، ويهديهم إلى التمسك بما جاء به كتاب الله العزيز، وسنة رسوله الكريم (أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)
يحيى أحمد الدردري

دكتور في الحقوق ولبسانسيه في العلوم السياسية
(المنار) نشكر الدكتور العلامة يحيى تقر بظنه العالمي وتقده الوجيه ونسال الله تعالى أن يكثر من أمثاله في أنصار الإسلام من أساتذة علوم هذا العصر، وعذرنا في تلك الاستطرادات الطويلة شدة حاجة المسلمين الباحثين إلى تحقيق القول فيها مع العلم بأن قراء تفسيرنا أكثر من قراء مجلتنا (المنار) المختصة بها، وما اشتدت الحاجة إلى بيانها ودحض الشبهات فيه فلا يتجلى الحق فيه للجمهور إلا باليسر والبسط والاطناب، وأما الشدة على المخالف فسببها ما ابتلينا به من مناظرات دعاة النصرانية (المبشرين) السفهاء، وأنصار البدعة الأغبياء، وقد شرعنا في اختصار التفسير وإكمال مختصراً ومطولاً كما اقترح علينا الكثيرون، لياخذ كل من طلاب الأسهاب وطلاب الإيجاز حاجته، ونساله تعالى التوفيق لإنجازها

تفسير المنار

تقريظ وقد للاستاذ الفاضل علامة الاباضية الشيخ أبي اسحاق ابراهيم
أطفيش نشره في مجلته المنهاج (ج ٢٠١ م ٦٢) قال

ظهر في السنة الماضية الجزء التاسع من تفسير المنار وفي هذه السنة ظهر الجزء العاشر منه، وتفسير المنار من أسمى التفاسير وأوفرها ثروة، وأشملها لحقائق من التفسير مفقودة من مناهج المفسرين، وليس السيد مفسر المنار ممن يحشر ما هب ودب ويجمع ما يملأ الأوراق، ويمتد إلى زوايا الأسرار التي شوهت جمال كثير من الكتب، وما ليس له علاقة بالتفسير، إلا حب الاستكثار والولوع بالتخليط، حتى صار الكتاب أشبه ما يكون بفصص الرواة اليوم، وهو ما يجب أن يترك

عنه تفسير كلام الله . ولكنه والحق يقال تفسير ممتع بطلاوته ، مبدع في أسلوبه ، جامع في إلمامه بمقتضيات الآية ، مع الإيجاز في مقام الإيجاز ، والاطناب في مقام الاطناب . اذا مررت بآية في سنن الكون رأيت يدني اليك من الحقائق ما يسحر ، أو بآية في سنن الممران رأيت بين يديك من الدقائق ما يبهر ، أو بآية التوحيد رأيت من تحيير وتحرير ما يغنيك عن طائفة من الكتب ، مع استقلال في البحث والترجيح ، أو بآية في الفقه وأصوله أوقفك على ما يأخذ بتلايبك ، ما لك من جوانبك ، أما تحقيقات البلاغة فهي السحر الحلال ، لست ترى في أسلوب هذا التفسير المبتكر خروجاً عن مناهج العربية ، وعمما تقتضيه الآيات الكريمة وتبينه . الأحاديث النبوية ، أما آيات مخاطبة الأئمة ودعايتها إلى الهداية الإسلامية فاصداح وإقناع ، واشباع بالحق والحجة ، والأدلة التي يسلم بها الخصم .

ذلك هو تفسير المنار تقدمه إلى قراء المنهاج . ولا يفوتني أن أذكر أنه بقي في ذهني أن قطب الأئمة شيخنا محمد بن يوسف أطفيش رحمه الله ورضي عنه ذكره باعجاب تفسير المنار وأثنى عليه ^(١) وفي ظني أنه في بعض تأليفه أو سمعته مشافهة وكفى ببناء هذا الإمام العظيم الذي فسر القرآن ثلاث مرات (داع العمل ، ليوم الأمل ، هيمان الزاد ، إلى دار المعاد ، تفسير التفسير)

على أنني لا أهمل أن آخذ على هذا العلامة الكبير شدة لهجته عند الكلام على صفات الله ، والآيات المتشابهات ، والحال أنه اختار أن يأخذ بجانب عدم التأويل ، والتأويل هو ما يقتضيه كلام الله وعليه أهل البلاغة والخلف من أصحاب المذاهب الأربعة والمفسر منهم ، وكال التنزيه موجب للتأويل ، ولنا كلام في هذا الموضوع وغيره في غير هذا المكان . فلامصنف اختياره . وله ترجيحه ولكن لا يجوز لأحد من أهل العلم أن يشتد على مخالفه في النظر والمذهب ، وهو رأي

(١) كذلك إمام الإباضية في عمان من الشرق ، أثنى على هذا التفسير كما أثنى عليه إمامهم هذا في الغرب (الجزائر) ومما كتبه عن مؤلفه لغيره : وكانه سال أن يعطى الحق قاطبة ، وإن يوقى الباطل فوقيه ، فهذا دليل على استقلال هذين الإمامين وانصافهما

ومذهب أساطين من أهل العلم من السلف والخلف . ونرجو الله أن يمد في عمر المفسر حتى يتم تفسير القرآن الكريم الذي هو من أنشودة الأمة الإسلامية اليوم ومنها ما (المنار) نشكر للاستاذ العلامة صاحب المنهاج تقریظه العلمي الاستقلالي ، وكذا نقده المذهبي في مسألة التأويل على ما فيه من تعارض وإجمال وإيهام سببها توخي الاختصار ، فهو يقول ان المفسر من « الخلف من أصحاب المذاهب الاربعة » فإذا يريد بهذا القول ؟ ان أئمة المذاهب الاربعة يعدون من علماء السلف لا من الخلف وكان مذهبهم في الصفات إصرار النصوص في صفات الله تعالى كما وردت من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل ، وهذا ما ندين الله تعالى ونقرره في تفسيرنا وغيره علما لا تقليداً لهم وأما المتأولون من المتكلمين المنتهين اليهم في الفقه كالمعتزلة من الحنفية والاشعرية من المالكية والشافعية فقد خالفوا أئمتهم في هذه المسألة الاعتقادية ، واعتذر بعضهم كالغزالي عن ذلك بأن الضرورة ألجأتهم الى علم الكلام المبتدع لاجل الرد على الفلاسفة والمبتدعة . وقد رجع بعض هؤلاء المتكلمين عن تأويلاتهم إلى مذهب السلف الصالح في الصفات كما يفضلونهم في سائر أمور الدين

وأما كون البلاغة وكل التنزيه يوجبان التأويل ، فهو دعوى أو دعويان لا يقوم عليهما دليل ، فهؤلاء المتكلمون المتأولون ليسوا أكمل تنزيهاً لله تعالى ولا أقوى فهماً لبلاغة كتابه من علماء الصحابة والتابعين ، بل دونهم فيها بدون نزاع ، وإنما كلامهم في التنزيه مبني على نظريات اصطلاحية ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، وقد أفضت بالجهنية والمعتزلة إلى نفي الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه وهي عين الكمال ، بالتحكم فيها كما يتحكمون في صفات المخلوقات ، كما أن فهمهم للبلاغة مقيد بقواعد واصطلاحات الفنون وأصول المذاهب التي يحكمونها في القرآن — والقرآن فوق الفنون والمذاهب وإنما الواجب تحكيمه فيها ، كما بينا ذلك مراراً في تفسيرنا (والشيعة والاباضية على مذهب المعتزلة في التأويل)

وأما شدتنا في الرد عليهم فهو دون شدة غلاتهم في الرد على أهل الاثبات ، وسلف الأمة ، فهم قديكفرون مخالفهم في صفة العلو ولو بطريق اللزوم ، ونحن نخطئهم ولا نكفرهم وستوخى اللين في ذلك إن شاء الله تعالى

غاندي يشهد للاسلام

﴿ ومحمد عليه الصلاة والسلام ﴾

جاء في مجلة النورد (ذي لايت) التي تصدر في لاهور وهي مجلة اسلامية
المقال التالي للمهاثما غاندي في الاسلام وهذه ترجمته وقد نشرت في بعض جرائد
مصر وسورية :

« لم يكن الاسلام في ايان مجده عديم التسامح فقد احرز اعجاب العالم كله
ولما كان الغرب غارقا في الظلمات اشرق نجم في سماء المشرق وضاء عالما متألما ومنحه
التعزية . ليس الاسلام ديننا باطلا فليدرسه الهندوس باحترام يحبوه كما أحبه أنا
» انتهيت من درس حياة اصحاب النبي ولما انتهيت من المجلد الثاني اسفقت
لعدم وجود ما بعده لأقرأ عن تلك الحياة العظمى وغدوت مقتنعا كل الاقتناع انه
ليس السيف هو الذي جعل للاسلام مكانة في معترك الحياة، بل ان بساطة النبي
الثامة وانكاره الكلي لذاته واحترامه (يعني إثارة على نفسه) الدقيق لعهوده ، واخلاصه
الشديد لاصدقائه واتباعه ، وشجاعته وبسالته ، وعدم مبالاته بالخاوف ، وثقته
الكاملة بالله ورسالته هذه — لا السيف — هي التي جرفت كل شيء امام
المسلمين الاولين وتغلبت على كل العقبات

« قال بعضهم » ان الاوربيين في افريقيا الجنوبية يخشون انتشار الاسلام — الاسلام
الذي مدن انبيائنا . الاسلام الذي حمل النور الى المغرب وبشر العالم بالاخوة «
» ان الاوربيين يخشون الاسلام لان الذين يعتقدونه يحتمل ان يطالبوا
البيض بالمساواة ، ومن حق هؤلاء أن يخافوا لو كانت الاخوة خطيئة . فاذا كان
البيض يخافون من المساواة بالعناصر الاخرى فان الخواف من الاسلام تقوم على
أساس صحيح . اني رأيت الزلومسي الذي يعتنق المسيحية لا يصعد بطبيعة الحال الى
مستوى المسيحيين على حين انه اذا اعتنق الاسلام يشرب من نفس قدح المسلمين
ويأكل من ذات قصعتهم «

المؤتمر الاسلامي العام في بيت المقدس

تمهيد تاريخي

ان عدد المسلمين في هذا العصر اربعمئة مليون نفس أو يزيدون وهم على استحواذ الجهل والفقر والتفرق عليهم لا يزالون يشعرون بأخوة الاسلام ووحدته وهم يملكون أعظم ثروة من الارض وأعظم هداية للبشر لو عرفوا كيف ينتفعون بهما لسادوا العالم كرة أخرى أعظم وأوسع من السيادة الاولى، وأقرب الوسائل إلى نشر هذه المعرفة وتعميمها والسعي للعمل بها عقد المؤتمرات وتأليف الجمعيات قد فكر أفراد من كبار أصحاب الرأي من المسلمين منذ أواخر القرن الماضي للهجرة بشدة الحاجة إلى الاجتماع للبحث في أسباب ضعف امتهم وما يجب من معالجته وإعادة مجدهم السابق بما تقتضيه حالة هذا العصر من علم وعمل، وإلى تأليف جمعية عظيمة ذات فروع كثيرة لاقيام بذلك، وكان أعظم هؤلاء المفكرين قدراً وأقواهم تأثيراً موقف الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني. وقد نبهنا أمتنا لهذا الامر العظيم في المنار مراراً كثيرة من أول نشأته إلى الآن، من قبل أن نسمي الاجتماع لهذا البحث مؤتمراً.

وكان أول ما بسطنا به هذا الرأي مقال عنوانه (الاصلاح الديني المقترح على مقام الخلافة الاسلامية) نشرناه في العدد الذي صدر في المنار في السنة الاولى بتاريخ ٣ شعبان سنة ١٣١٦ (فيراجع في ص ٧٦٤ من الطبعة الثانية لمجلد المنار الاول) وقد جاء فيه ما نصه:

« ويتوقف هذا الاصلاح على تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها شعب في كل قطر اسلامي، وتكون عظمى شعبها في مكة المكرمة التي يؤمها
« المنار: ج ٢ » « ١٥ » « المجلد الثاني والثلاثون »

المسلمون من جميع اقطار الارض ويتآخون في مواقعها الطاهرة ومعاهدنا المقدسة، ويكون اهم اجتماعات هذه الشعبة في موسم الحج الشريف حيث لا بد أن يوجد أعضاء من بقية الشعب التي في سائر الاقطار يأتون الحج فيحملون إلى شعبهم من المجتمع العام ما يستقر عليه الرأي من التعاليم السرية والجهرية . وهذا أحد مرجحات وجود الجمعية الكبرى في مكة المكرمة على وجودها في دار الخلافة . وثم مرجحات أخرى من أهمها البعد عن دسائس الاجانب ووساوسهم ، والأمن من وقوفهم على ما لا ينبغي وقوفهم عليه في جملة او تفصيله (ومنها) ان لشرف المكان والحالة قاصديه الدينية اثرًا عظيمًا في الاخلاص والتزهد عن الهوى والغرض، فضلا عن الفسح والحياة . وينبغي أن يكون للجمعية الكبرى جريدة علمية دينية تطبع في مكة أيضا، وأية شعبة استطاعت إنشاء جريدة تنشرها »

وقد بينا في تلك المقالة ومقالة أخرى بعدها أم ما يجب أن تقوم به هذه الجمعية الكبرى من الاصلاح لجمع كلمة المسلمين والقيام بمصالحهم العامة ، وتجديد تبادل الرأي في كل عام، وهو ما أعدنا الآن بيانه واقترح بعضه في مؤتمر بيت المقدس في شهر شعبان الماضي أي بعد ٣٥ سنة كاملة من كتابة هاتين المقالتين

مؤتمر أم القرى الخيالي

ثم جاء مصر الحكيم الاجتماعي المفكر السيد عبدالرحمن الكواكبي فكان من خيار أصدقائنا الذين نحاورهم ونسامرهم في موضوع الاصلاح الاسلامي وكان قد وضع قبل رحلته هذه كتاب سجل جمعية أم القرى الذي هو أوسع شرح لمشروع اعظم مؤتمر إسلامي للاصلاح العام ، وكان مختصراً فزاد فيه شيئا كثيرا بعد المذاكرات الطويلة بينه وبيننا نحن وغيرنا من المفكرين والباحثين في الاصلاح الديني والمدني والسياسي، ونقح بعضه، وان لدي نسخته الاصلية المخطوطة الشاهدة على ذلك . ولما طبعه واطلع عليه أحمد مختار باشا الغازي الشهير اتهمني بتأليفه لكثرة ما كان بيني وبينه (اي الغازي) من المذاكرات في موضوعه، وقد ذكرت هذا في ترجمة الكواكبي في عهد الغازي . ولو كان الغازي متقناً للغة العربية لما اتهمني

بدت فان عبارة الكتاب ضعيفة وفيها كثير من اللحن والغلط ، ولذلك ائققت مع مؤلفه رحمه الله تعالى على تصحيح عبارته وبعض التنقيح فيه ونشره في المنار وإعادة طبعه عنه مع ذكر ما أخالفه فيه في حواشيه وهو قليل ، وشرعت في ذلك في المجلد الخامس (سنة ١٣٢٠) وتوفي رحمه الله تعالى قبل إتمام نشره وطبعه . وكان يقول لنا ان لجمعية أم القرى أصلاً ، وانه هو توسع في السجل ونقحه ست مرات آخرها عند طبعه سنة ١٣١٧ ثم أقمنه بإعادة تنقيحه سنة ١٣٢٠

مؤتمر ندوة العلماء بالهند

وفي سنة ١٣٣٠ (الواقعة لسنة ١٩١٢) دعني جمعية ندوة العلماء الهندية المشهورة إلى رئاسة مؤتمرها الذي عقدته في الهند فأجبت الدعوة وقد بينت في خطبتي لافتتاح هذا المؤتمر في مدينة لكرنو ثم في خطبتي الارتجالية في المدرسة الكلية (الجامعة) في عليكده وهي أعظم المدارس الاسلامية المدنية في الهند - ثم في مدرسة ديوبند وهي أعظم المدارس الدينية فيها - أم أركان الاصلاح الاسلامي في التعليم والتربية . وألقيت في المحافل والاجتماعات الادبية والمدارس الاسلامية في الهند خطباً أخرى في الاصلاح أهمها الخطبة التي ارتجلتها في لاهور في الاجتماع الذي عقد للصلح بين الصحفيين الكبارين مولانا محمد انشاء الله صاحب جريدة وطن رحمه الله ومولانا ظفر علي خان صاحب جريدة (زميندار) حفظه الله . وقد أعجب حاضرو ذلك الاجتماع بما ألهته فيه من فلسفة الاختلاف والاتفاق بين البشر حتى اقترح بعضهم ان أجعله موضوع خطبة الصدارة في مؤتمر ندوة العلماء وكان قبل عقد المؤتمر ، ويلبها الخطاب الذي ألقينته في يومي في اجتماع عظيم عقد للتأليف بين أهل السنة والشيعة ، وكنت مهدت له تمهيداً عملياً في لكرنو بزيارتي لكبير مجتهدي الشيعة فيها وحمله بذلك على زيارة ندوة العلماء وحضور حفلتها ، ولم يكن زارها من قبل

المؤتمر السوري العام بدمشق

وفي سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠) انتخبت رئيساً للمؤتمر السوري العام الذي عقد في

مدينة دمشق وأعلن استقلال سورية الطبيعية ، وتولية الشريف فيصل ملكا عليها فكان هذا اختيارا وتمرنا على إدارة المؤتمرات السياسية ومباحثها

المؤتمر السوري الفلسطيني في جنيف

وفي سنة ١٣٤١ هـ عقد في مدينة جنيف المؤتمر السوري الفلسطيني و كنت من مؤسسيه والوكيل الاول لرئيسه

فهذه نبذة تاريخية في أول عهدي وأوسطه وآخره في فكرة المؤتمرات وعملها ، والبحث في موضوعاتها المختلفة ، قبل المؤتمر الذي عقد في هذه السنة في بيت المقدس وفي المنار مقالات ومباحث ورسائل كثيرة في هذه المؤتمرات وفي مؤتمرات مسلمي الهند وغيرها

مؤتمر مكة المكرمة السعودي

ولما أراد صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد جمع مؤتمر إسلامي بمكة عقب استيلائه عليها سنة ١٣٤٤ كلفني إرسال دعوته لهذا المؤتمر إلى بعض رؤساء الحكومات والجمعيات الإسلامية من مصر قبل استيلائه على جدة فليت ، ثم كلفني بمكة كتابة مشروع النظام الداخلي له والخطاب الذي يفتحه جلالته به ففعلت . ثم ألفت لجنة للنظر في مشروع النظام مؤلفة من أعضاء يمثلون الحجاز والهند و جاوة وروسية وغيرها من بلاد الاسلام فكانت تجتمع عندي في دار بناجه الشهيرة حيث أنزلني جلالة الملك ضيفا ، بيد أنني أصبت بالحمل الشديدة قبل إتمام تنقيح مشروع النظام وقد نفخ في هذا المؤتمر شي من روح الشقاق من قبل الوفد الهندي ، بما رضة محمد علي وشوكت علي لملك الحجاز في شكل حكومته فوقى الله شره

مؤتمر بيت المقدس

قام بالدعوة إلى هذا المؤتمر صاحب الساحة السيد محمد امين الحسيني المفتي ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى لفلسطين بعد تمهيد غير تام له فلقني معارضة قوية وكيداً شديداً ، وإني أبدأ بنشر صورة الدعوة العامة إلى المؤتمر فالدعوة الخاصة بي لتعضيده والمساعدة عليه . ثم ألخص أخبار مآلقيه من الكيد والمعارضة فأخبار عقده وأعماله وعمل في رأبي في قائده كما ينتظر مني قراء المنار فأقول :

﴿ نص الدعوة العامة إلى المؤتمر ﴾

نشرت الدعوة الأولى إلى هذا المؤتمر في ٢٢ ربيع الأول من هذه السنة (١٣٥٠) وحدد فيها موعد عقده بالتاسع من شهر جمادى الأولى الموافق أول أكتوبر (٢٠) سنة ١٩٣١ ثم جاءت مكاتبات كثيرة إلى الداعي طلب مرسلوها تأخير الموعد ليتمكنوا من الحضور فيه من بلادهم البعيدة فنسخت بالدعوة الثانية وهذا نصها :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ واتمروا بينكم بمعروف ﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وآله وصحبه أجمعين
(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) فإني أحمد اليكم الله الذي ألف بالاسلام بين قلوبنا فأصبحنا بنعمته إخوانا، وأصلي وأسلم على رسوله الكريم الداعي إلى الحق وصراط مستقيم، وعلى آله وأصحابه وتابعيه الذين اهتدوا بهديه، فشقوا بذلك لأنفسهم سبل النجح والفلاح، وحيوا حياة طيبة (من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) ولما كان المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وكان الحادث إذا نزل بفريق من المسلمين فكأنما نزل بالمسلمين جميعاً، فقد رأى فريق من أهل الرأي الناقد، والغيرة الحافزة من أهل هذه البلاد وغيرها من الاقطار الاسلامية القيام بدعوة واسعة النطاق لعقد مؤتمر اسلامي عام في بيت المقدس الذي تشرف باسراء الرسول الاعظم ﷺ، يدعى اليه أعيان الملة الاسلامية وكبراء رجالها من سائر الاقطار الذين عهدت فيهم الغيرة والحمية والعلم الصحيح والرأي السديد والبصر الناقد، للبحث في حالة المسلمين الحاضرة، وفي صيانة الاماكن المقدسة الاسلامية من الايدي الممتدة اليها الطامعة بها، وفي شؤون أخرى تهم المسلمين جميعاً وتعود عليهم بالخير العميم والنفع العظيم ان شاء الله تعالى

وبالنظر لما نعهده في جنابكم من الغيرة الإسلامية ، وسداد الرأي والكفاية
التامة للاضطلاع بهذا العبء ، فإنا نوجه إليكم هذه الدعوة لحضور المؤتمر الإسلامي
العام الذي سيعقد ان شاء الله تعالى بالقدس الشريف في جوار المسجد الأقصى
الذي بارك الله حوله في ليلة الاسراء المباركة في ٢٧ رجب سنة ١٣٥٠ وفق ٧
كانون الاول (٧ ديسمبر سنة ١٩٣١) لتفضلوا بالاشتراك مع الذين يلبون الدعوة
من كبراء الرجال في العالم الإسلامي حيث يستلهمون الاقدام والعمل في سبيل
الاسلام من رضوان الله عز وجل ، ومن روحانية المصطفى ﷺ . وسيكون
افتتاح المؤتمر في المسجد الأقصى المبارك

وان لنا عظيم الامل في أن تنال من جنابكم جوابا بالبريد الجوي في أسرع
ما يمكن ، يتضمن استعدادكم للتفضل بتلبية هذه الدعوة لهذا المؤتمر العظيم ، الذي
نرجو أن يكون له أثر مبارك ، وشأن كبير في تاريخ الجهاد الإسلامي بفضل غيركم
وقوة إيمانكم . وإنا نسأل المولى عز وجل أن يسدد خطانا ، وينير سبلنا في هذه
الظلمات الخالكة بنور هدايته ورضوانه ، ويوفقنا جميعا لخدمة الاسلام . قال الله
تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
في ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٠
رئيس المجلس الإسلامي الأعلى
ومفتي الديار المقدسية
محمد أمين الحسيني

﴿ نص الدعوة الخاصة بصاحب المنار ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

مولانا صاحب السماحة الاستاذ الاكبر العلامة السيد محمد رشيد رضا ، متع
الله المسلمين بطول بقائه . آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته «أما بعد» فقد صحت العزيمة بعد الاتكل
على الله تعالى على عقد مؤتمر إسلامي عام في القدس الشريف لبحث هذا المؤتمر
في أهم القضايا الإسلامية العامة التي تهم العالم الإسلامي قاطبة ونجمع كلمته وتسكفل

تنصره بصورة عامة ، وفي القضايا الاسلامية التي تتعلق بفلسطين على الخصوص ومن ذلك قضية البراق الشريف وسائر البقاع المشرفة في فلسطين ، والنظر في اتخاذ ما تدعو المصلحة إلى اتخاذه من المشروعات التهذيبية والثقافية في فلسطين وتحقيق فكرة إنشاء الجامعة الاسلامية التي كنتم أول من عمل على تحقيقها بتأسيسكم دار الدعوة والارشاد وبغير ذلك من مساعيكم المشكورة الخالصة الاثر ، وبذلك تتقوى الروابط بين هذا القطر والاقطار الاسلامية الاخرى ، وتتمهد السبل إن شاء الله إلى إنقاذ هذه البلاد المقدسة من الاخطار العظيمة المحدقة بها

ولما وجدنا السياسة الفاشية قد انتهت بقضية البراق إلى الحالة التي وقفتم سيادتكم عليها رأينا انه بات من الضروري الاستعانة برأي العالم الاسلامي في تقرير الخطة التي ينبغي اتخاذها على يد هذا المؤتمر . ومنبث إلى سيادتكم بوقت قريب بخلاصة ما رؤي أن يكون اهدف والغاية في المؤتمر لتفضلوا بإبداء رأيكم الحكيم ونظركم الصائب وإرشادكم الثمين في هذا العمل القدي نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعل منه لمسلمي هذه البلاد الفائدة الطيبة والنتيجة الحسنة

وقد عرضت لنا الحاجة الآن إلى الحصول على عناوين أرباب المكانة والزعامة والفكر والقيادة من المسلمين في جميع الاقطار لنبعث اليهم بالدعوة لحضور المؤتمر المقرر الانعقاد في ليلة الاسراء المباركة الموافقة ٢٧ رجب ٣٥٠ - ٧ ديسمبر ١٩٣١ وقد ظننا أن لمجلة المنار الغراء السبيل إلى إمدادنا بالعناوين التي ترون سيادتكم انه من الواجب توجيه الدعوة إلى أصحابها في جميع الاقطار الاسلامية . وقد يكون في هذا التكليف شيء من المشقة والازعاج فنرجو منكم العفو عن هذا والمعذرة مع يقيننا أن للمصلحة العامة أعظم حرز وأكبر ملجأ في ذات سيادتكم الكريمة ، ونرجو أن تتلقى هذه المساعدة الثمينة من سماحتكم بأقرب وقت ممكن ، والله تعالى يأخذ بيدنا ويهدينا سواء السبيل الى ما فيه خير الاسلام والمسلمين وهو السميع المجيب

مقاومة المؤتمر المقدسي ومسألة الخلافة

كان قد ذاع وشاع ان (مولانا شوكت علي) أحد مؤسسي جمعية الخلافة في الهند لترويج سياسة الخلافة الصانعة التركية هو الذي اقترح على السيد محمد أمين الحسيني عقد هذا المؤتمر وان أهم غرض فيه مبايعة عبد المجيد افندي العثماني آخر سلاطين الترك بالخلافة وهو الذي نصبته الحكومة الكيالية سلطاناً وخليفة روحانياً لاشأن له ولا حق في الحكم ولا في نصب الحكم ولا في شريعة الاسلام فرضي ثم خلعت له ثم اختلفت الناس في مقام هذا الخليفة فقيل ان شوكت علي مسوق مع الدولة البريطانية على أن يكون مقامه في بيت المقدس ليكون آلة في يدها تستعمل سلطتها الروحية الوهمية في إخضاع مسلمي الهند وغيرهم لها قلباً وقالباً ، وقيل ان مقامه هذا يكون موقفاً ثم ينتقل الى مكة المكرمة بقوة الانكليز وبذلك ينتقم شوكت علي من عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ومجد . وقيل بل ينتقل بعد ذلك الى الهند فيقيم في حيدر اباد - وهو أينما أقام يكون خليفة بريطانيا . وقيل بل اتفق الانكليز وفرنسة على مبايعة أهل فلسطين وسورية جميعاً له وبقائه في القدس وان يكون نفوذه مشتركة بينهما يخضعان بها رعاياهما المسلمين

وقد جهل هؤلاء كلهم كبيرهم وصغيرهم ان انكلترة قد اتفقت مع حلفائها في الحزب على توجيه نفوذهم كاهن الى ايمامة منصب الخلافة الاسلامية موتاً أبدياً على مذهب الدهريين المنكرين للبعث والنشور ، وان موته خير لمن من حياته ليكون صاحبه آلة لمن ، إذ لا يأمن أن ترتقي الشعوب الاسلامية وتتفق كلها أو أكثرها على تحقيق وحدتها في التشريع والحكم بجعل هذا المنصب حقيقياً لا وهمياً ، وجعل سلطانه فعلياً لا صورياً ، وانما يمكن هذا بوضع نظام لما لكما المتحدة المستقلة يكون له مجلس اتحادي رئيسه الخليفة

هذا هو الحق ولكن الاشاعة راجت وصدقها الجماهير من الناس غافلين عن خطر هذا العمل بهذه الوسيلة الضعيفة وهي جمع مؤتمر بدعوة من مفتي فلسطين يرضى أعضاؤه أن ينتحلوا لأنفسهم صفة أهل الحل والعقد في الشعوب الاسلامية ذوراً وظلماً وأن يكونوا طوع شوكت علي الهندي أو خدماً لنفوذ انكلترة في أمتهم ،

بل صدقت الاشاعة حكومة الترك الحاضرة فقامت لها وقعدت، وأرغبت وأزبدت، وأنذرت وهددت، وصرح كبار رجالها بان هذا عمل عدائي لها، وخاطب سفيرها في لوندرة حكومتها بذلك، وأكثر جرائد الخوض فيه، ومزجوا كلامهم بالهزم والتهمك والسخرية من المسلمين والعرب، وراجت الاشاعة في مصر فكثرت الخوض فيها وانتدب علماء الأزهر للطعن في المؤتمر والصد عنه وشايهم آخرون، فقام في وجوههم خصوم يفندون آراءهم ويدافعون عن دعوة المؤتمر، كان الذعهم قلما، وأوجهم الماء، الكاتب المؤثر الجريء الصداق علي افندي عبد الرازق عدو الأزهر وأنصاره، فاشتد سوء الظن بالمؤتمر عند هؤلاء وأولئك، وانتقل الصد عنه والارجاف به من طور إلى طور، وقد كذب السيد أمين الحسيني الخبر ثم كذبه بولانا شوكت علي، ولم تكف الجرائد عن الخوض فيه، ولا الأزهريون عن النقد والطعن عليه والصد عنه، وبناء ذلك على الاجمال والايهام في دعوته اتهم المؤتمر بمناهضة الأزهر

بدأ الطعن فيه بمقالات ينشرها بعض كبار شيوخ الأزهر في الجرائد وانتقل إلى تأليف «مظاهرات» اجتماعية من جميع المعاهد الدينية التابعة له في القطر، ويظهر مما كتب في ذلك أن الأزهريين فهموا بما ذكر في الدعوة إلى المؤتمر من الاستعانة به على إنشاء مدرسة إسلامية جامعة في فلسطين يراد به أن تكون هذه الجامعة معارضة للجامعة الأزهرية ومضادة لها، وحينئذ تكون مفسدة في العالم الإسلامي يجب درؤها، وإحباط أمر المؤتمر الذي يدعى لها، بل صار موضوع الحوار بين الناس في هذا المؤتمر أن الغرض منه مقاومة سياسة الحكومة الملكية المصرية وأزهرها. إن هذا الأمر عجيب، وأنه لا يبعد عن العقل من كون الغرض منه أو كون أحد الأغراض الأساسية منه نصب خليفة للمسلمين في فلسطين، وأغرب ما فيه وأدعاة إلى العجب أن يكون المراد من إنشاء مدرسة جامعة في فلسطين معارضة الأزهر ومناصبته، وما استدل به على ذلك من أنها ستسير على نظامه ومناهجه، وأشد من هذا وأعق في إثارة العجب أن يثور الأزهر وجميع معاهد العلم التابعة له لصد العالم الإسلامي كله عن عقد المؤتمر لنرى هذا الخبر الوهمي الذي

تهدده به هذه الجامعة التي يكاف تقريرها والسعي اليها. ولو كان الازهريون أو غيرهم من الجماعات الاسلامية يهبون لدرة المفاصد الحقيقية والاطار المستيقنة في بدء وقوعها كما هبوا لمقاومة هذا الخطر الوهمي قبل وقوعه لما نالت خطوب الدهر ونوابه من المسلمين نيلا

كيف يعقل هذا الخطر؟ من ذا الذي يقصده؟ أهو السيد محمد أمين الحسيني حفني القدس أم غيره؟ ما فائدة هذا العمل لمن عساه يقصده؟ كيف يتصور ان يتوسل اليه بمؤتمر إسلامي؟ هل يعتقد الازهريون أن العالم الاسلامي قد ثبت عند دمهائه أو حكامه وملوكه وأمرائه ان الازهر مفسدة في الاسلام يجب القضاء عليها فيخشوا أن يقبل مندوبهم في المؤتمر اقتراح القضاء عليه أو معارضته بجامعة تحمل محله أو تغني عنه؟ ثم إذا قبل المؤتمر هذا وقرره وجمع المال الكثير له فكيف يكون التنفيذ لمقصده؟ من ذا الذي يضع النظام لهذه الجامعة الاسلامية المقدسية المؤتمرية؟ وما الكتب التي تختار أو تصنف لها؟ ومن أين يوثق لها بالمدرسين الذين يتولون هذا التعليم الفريب فيها؟

انه لم يكن بسط كل استفهام من هذه الاستفهامات الانكارية في مقال أو مقالات يثبت بكل منها ان ذلك الوهم الذي ألقى في روع الازهر فأحدث فيه ذلك الروع المجيب من محالات العقول أو محاراتها. ولكن إقناع الجماعات بالاوهام التي ينكرها الحس مع العقل من أسهل الامور المألوفة، كما أن تقليد بعض الجماعات لبعض فيها من الوقائع المعروفة، كما حققة فيلسوف التاريخ (غوستاف لوبون) وأما الافراد المستقلون في فهمهم وتفكيرهم فلا تقبل عقولهم أمثال هذه الاوهام، وقد حدثت بعض أصدقائي من علماء الازهر غير الجروفيين بتيار مشيخة الازهر في هذه المسألة فوافقوني على استحالة ما عزي الى الداعي إلى المؤتمر وإخوانه أعضاء اللجنة التحضيرية له أن يقصدوا من الجامعة المقدسية مصادمة الازهر ومعاداته، وان طعن الازهرين في هذا المؤتمر بهذه العلة مما لا يسيغه العقل ولا يسوغه الدين

إن كانت الجامعة المطلوبة دينية كالازهر فأجدر بالازهرين أن يفرحوا بها، ويرشحوا علماءهم للتدريس فيها، وإن كانت مدنية فلا تعدو أن تكون

كالجامعة المصرية. وقد صرح بعض كتاب مصر في جرائدهم بأن الغرض منها نسخ الثقافة الأزهرية القديمة البالية بثقافة طريفة جديدة، ولم تر أحدًا من علماء الأزهر حاجها بكتابة ولا مظاهرها. فكيف أخذوا أهبتهم، واستجمعوا قوتهم، واستلوا حيوفاً أنسنتهم وشرعوا أملاّت أقلامهم للضرب والطمان، وبارزوا الجامعة المقدسية قبل بروزها إلى الميدان، إن هذا مما يؤسف له ولكنه وقع، ودفع الأزهر خاندفع، وطالبني بعض من يعجبهم رأيي في أمثال هذه المسائل الإسلامية أن أكتب مقالاً في هذا الموضوع يحز في المفصل، ويحل هذا المعضل، وينشر في بعض الجرائد اليومية، فقلت إن الكتابة في هذا الموضوع الآن ليس من المصلحة الإسلامية في شيء، فإن تخطيط الأزهر في أمر ظهر به جمهور شيوخه وجيوش طلابه لا يجوز إلا إذا تعذر تلافى هذه الفتنة وإقناعهم بالكف عن الطعن في المؤتمر والصد عنه مع حفظ كرامة الفريقين. فإن تعذر هذا فنصر دعوة المؤتمر واجبة لأنه مصلحة إسلامية ضرورية في إحباطها مضار كثيرة عامة ذكرتها لهم، وأشارت إلى هذه المصلحة العامة في مقدمة هذا المقال، وقد اشتدت الضرورة إليه في هذا الزمان، وسأذكر المصلحة الخاصة بالمكان (القدس)، وإرجاؤه بعد تعميم الدعوة إليه كما اقترح بعض الناس فيه مضار أخرى لا تخفى على الناقل المفكر، خلا يقول بها إلا أفين الرأي، أو سيء القصد — كذلك حفظ كرامة جامعة الأزهر ضرورية من حيث شخصيته المعنوية، ولا ينافيها تقدّم مشيخته في إدارته ونظام التعليم فيه، ولا الرد على بعض شيوخه، والجمع بين كرامته وتآليف المؤتمر وكرامة الداعي إليه ممكنة.

لم أر لتلافى الفتنة إلا دعوة السيد محمد أمين الحسيني إلى الاسراع بالهجرة إلى مصر لتلافىها مع الحكومة المصرية الملكية ومشيخة الأزهر قاتي موقن بأنه لا يقصد هو ولا أحد من أعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر شيئاً يسوء هذه الحكومة ولا الأزهر ولا شيئاً من كرامتهما بما يشيئها أو يعد غصباً لحقوقهما.

ولا أكنم في هذا المقام ما سمعته بأذني من بعض الطامعين الناقين من ترك السيد محمد أمين ما كان يجب عليه وجوباً أدبياً من استئذان جلاله ملك مصر في

١٢٤. استشارة ملوك المسلمين في المؤتمر والمعارضة له في فلسطين المار: ج ٢ م ٣٢

هذه الدعوة لما له من المكانة والميزة بين ملوك المسلمين ، ولما له من الفضل في مساعدة السيد محمد أمين المالية الكبيرة على ترميم المسجد الأقصى . وقال لي رجل آخر له مكانة في كبراء المسلمين انه كان يجب عليه أن يستشير جميع ملوك المسلمين في هذا العمل العظيم . وقد أجبت هذا وكل من أورد هذا الانتقاد بأن الرجل قد ثبت عنده وعند من شايعه وساعده على الدعوة إلى هذا المؤتمر أنه ضروري لتعزيز مركز فلسطين تجاه مظالم اليهود ومحاربة الدولة البريطانية لهم ولتقوية مركز المجلس الاسلامي الشرعي فيها ومركزه هو فيه . والامر الضروري الذي لا بد منه لا يستشار فيه أحد ولا سيما من كان ما يشير به حكما أو كالحكم الذي لا مندوحة عن طاعته كصاحب الجلالة ملك مصر . وإنما الواجب الادبي الذي تقتضيه المصلحة والذوق إيدان ملوك المسلمين بالدعوة وطلب عطفهم ومساعدتهم ، وأظن ظناً يزاحم اليقين ان هذا قد وقع ، كذا قلت لهذا الرجل الكبير ولمن دونه بادي الرأي ثم علمت انه هو الحق

في هذه الاثناء كتب إلي السيد محمد أمين الحسيني كتابا آخر اقترح علي فيه أن أكتب رسالة فيما أرى اقتراحه على المؤتمر من الاصلاح الاسلامي وإرساطها اليه لاجل أن تطبع وتوزع على أعضاء المؤتمر عند حضورهم فتكون مادة لتفكيرهم من أخ لهم صرف أكثر من ثلث قرن في البحث والكتابة والعمل والمذاكرة والمناظرة في هذا الاصلاح من جميع جوانبه وفروع مسائله . فكتبت اليه أنه يجب قبل هذا الاستعداد للمؤتمر أن يجيء القاهرة لاجل تلافي فتنة المعارضة لفكرة المؤتمر وتشويه سمعته والصد عنه التي شرع الازهر فيها ، ووافقت أهواء آخرين يشايعون خصومه في فلسطين نفسها ، فلم يلبث أن حضر و كان من سعيه ماساً لخص خبره في هذا المقال

المعارضة في فلسطين ومثيروها

يوجد في مدينة بيت المقدس تنافس بين بيت الحسيني وبيت الخالدي من بيوتاتها ، وقد توارث الاول منها منصب الافتاء وكثر في الثاني كتاب المحاكم الشرعية في هذه المدينة وتوارثوا أعمالها في عهد قضائها الذين كانت توليهم مشيخة الاسلام في الاستانة ، فلما أنشيء المجلس الشرعي الاعلى بعد رسوخ

قدم الانكليز في البلاد وكان رئيسه مفتي القدس من آل الحسيني صارت المحاكم الشرعية في البلاد كلها تابعة لرياسته، فكان هذا سبباً لقوة التنافس بين الاسرتين: الحسينية والخالدية . وهناك بيت النشاشيبي من أسر الوجاهة وعماده راغب بك النشاشيبي رئيس البلدية وهو مسير وملائم لسياسة الحكومة الانكليزية الصهيونية، وآل الحسيني زعماء المعارضة لها . فلما علت وجاهة المفتي الحسيني برئاسة المجلس الاعلى الذي يتولى إدارة المحاكم الشرعية والاوقاف الاسلامية معاً كان بينهما من المنافسة ما اقتضى الاتفاق بينه وبين آل الخالدي على معارضة الحسيني . ولكل من الفريقين أنصار في البلاد ، فأنصار الحسيني يسمون المجلسيين ، والآخرون يسمون المعارضين، ولكل منهما جرائد تدافع عنهم وتطعن على الآخرين، وكل من كان له حاجة عند زعيم فلم يقضها له اتخذ عدواً فظاهر خصمه عليه بكل ما يقدر عليه من قول وفعل ، وعقلاء البلاد الفضلاء يخشون عاقبة هذا الشقاق ويمقتون جميع مظاهره ، ولا يهتدون إلى إزالته سبيلاً

ولما رأى هؤلاء المعارضون بوادر اعتراض الازهر على عقد المؤتمر وصدهم عنه ، وبلغهم أنه عنوان لسخط الحكومة المصرية أو موعز به من رجال القصر، اشتدت نفقتهم، وقويت عزيمتهم، وأرسلوا راندهم إلى مصر فجاجى بعض من يرجون شد أزرمهم ، وصاروا يرسلون أشد جرائدهم طعنًا في المؤتمر ولجته التحضيرية وفي جميع أعمال السيد محمد أمين الحسيني حتى السابقة إلى جميع من عرفوا عنوانه من علماء مصر ووجهاؤها ورجال حكومتها ، لانهم يريدون إسقاط حرمة ومكانته من النفوس لذاته لا لتقصيره معهم بعدم ضم زعمائهم إلى اللجنة التحضيرية المنظمة لدعوة المؤتمر كما يقول أعوانهم ذلك بأن من المعلوم بالبداية أن دعوة كبير آل الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى إلى عقد مؤتمر إسلامي عام في مدينة بيت المقدس تعلي قدره ، وترفع ذكره ، وتميز مركزه ، فلهذا هب المعارضون إلى تشويه سمعة المؤتمر والاطعن في مقاصده لصدد المسلمين عن إجابة الدعوة اليه ، أو التوسل إلى الاشتراك مع السيد الحسيني وحزبه في اللجنة التحضيرية المعدة له ، ثم في إدارة شؤونه ، واختيار من يدعى اليه من أهل فلسطين وغيرهم ليكون لهم شأن وتأثير في اختيار

١٢٦ الاتفاق بين مفتي القدس ورئيس الوزارة بمصر المنار: ج ٢ م ٣٢

الرئيس العام له فيخولوا دون انتخاب رئيس المجلس له، وجملة القول ان غرضهم من المعارضة منع عقد المؤتمر أو الحيلولة دون جعل الفضل الاكبر له ولحزبه فيه، ودون جملة معززا لمركزه ومقويا لنفوذه في البلاد

الاتفاق بين مفتي القدس ورئيس الوزارة وعقاييله

دعوت السيد محمد أمين اللامام بالقاهرة لتدارك ما فيها فحضر وقال لي انه جاء بدعوتي، وقد علمت انه دعاه غيري أيضا. جاء فاستقبله صديقه الدكتور عبد الحميد بك سعيد الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين وهو من أنصار الحكومة الملكية المصرية الحاضرة في برلمانها الحاضر وفي خارجه وصديق رئيسها صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا، وكاشفه بظواهر معارضة مشروع المؤتمر هنا وخوافيها، وقوادم أجنحة الاشاعات والمؤامرات وخوافيها، وما يراه من الطريقة المثلى لتلافيها، وبادر إلى جمعه برئيس الحكومة فشرح له السيد المسألة وأقنعه بأنه ليس من مقاصد المؤتمر طرح مسألة الخلافة ولا نصب خليفة للمسلمين، ولا يتضمن شيئا ما يمس الحكومة المصرية من قرب ولا من بعد، وان المدرسة الجامعة التي يدعو اليها مدرسة علمية مدنية معارضة لانفراد الجامعة العبرية الصهيونية بالتعليم العالي في البلاد، ومعززة لمركز المسلمين الديني والدنيوي فيها، وأظن أنه أجاب عن الاجمال في عبارة دعوة المؤتمر الذي أسمي فهمها أو تفسيرها، بأن سببه ان الحق في تفصيل المصالح الاسلامية للمؤتمرين فيه وليس للداعي اليه أن يلزمهم حدوداً مفصلة لا يتعدونها، وهذا نص ما نشر في الجرائد المحلية اليومية عقب اجتماع السيد محمد أمين رئيس المجلس الاسلامي الفلسطيني برئيس الوزارة المصرية:

كتاب مفتي القدس الى رئيس الوزراء

حضرة صاحب الدولة رئيس الوزارة المصرية الأتخم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد فاني أؤيد لدولتكم ما جرى به
الحديث بيننا اليوم من ان الموضوعات التي سيتناولها البحث في المؤتمر الاسلامي
الذي سيفقد في بيت المقدس في ٢٧ رجب سنة ١٣٥٠ ستكون بعيدة كل البعد

عن أن تمس الشئون المصرية البهتة من سياسية وقومية أو تتعرض لما يتعلق بالازهر الشريف الذي أود بمناسبته ألا يتسرب الى الذهن بأي حال من الاحوال ان الجامعة المراد اقامتها في القدس قد قصد من انشائها أي مرمى غير خدمة مسلمي فلسطين الذين هم في حاجة الى كلية مدنية بجانب الكلية التي أنشئت لغير المسلمين ، وستتخذ التدابير الفعالة لعدم تخطي المناقشات الدائرة السالفة الذكر كذلك ستحرص اللجنة كل الحرص على أن لا تؤدي الرخصة العامة الواردة في البرنامج بشأن الاقتراحات الى الخروج بقدر ما عن هذه الدائرة ، واني أنتهز هذه الفرصة لأصرح لدولتكم ان ماذاع بشأن تناول ابحات المؤتمر مسألة الخلافة ليس له أساس من الصحة على الاطلاق ، كما اني أبدي مزيد الاغتياب لتأكيد دولتكم لنا — بعد ما سمعتم من تصريحاتنا بشأن المرامي الحقيقية للمؤتمر — ان حكومتكم تنظر اليه بعطف ورعاية .

وتفضلوا يا صاحب الدولة بقبول فائق الاحترام

رئيس المجلس الاسلامي الأعلى بفلسطين

امضاء (محمد أمين الحسيني)

٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٥٠ هـ

ماحدث بعد الاتفاق مع الحكومة

بعد هذا سكن الروع وسكت الغضب ، وكف الازهريون عن الطعن في المؤتمر ، فاستغثت عن المضي في السعي الذي كنت بدأت به مع صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية لدرء الفتنة ورتق الفتق ليمهد له السبيل مع الاستاذ الاكبر شيخ الازهر قبل التلاقي مع الاستاذ السيد محمد أمين الحسيني ، وقد تلاقيا على وفاق . ولكن ما كاد يعلم الناس بوجود هذا السيد الوجيه في القاهرة حتى أقبل الوجهاء على السلام عليه كعادتهم ، ودعوته الى مآذهم ، وكن أسبقهم الى ذلك زعماء الوفد المصري أصحاب الدولة والمعالى الوزراء السابقون مصطفى باشا النحاس ومحمد فتح الله باشا بركات ونجده بهي الدين بركات بك والاستاذ مكرم عبيد ، فكان من رأي الذين يودون عطف الحكومة الملكية

المصرية عليه وعلى المؤتمر إعجاله ليعود أدراجه الى القدس، خشية انتهاك القتل والتهات الامر، بفتنة الاحزاب المستحرة في مصر، فأعجزهم لوته وصرفه عن اجابة كل دافع، وحجته انه غريب يجب أن يكون سلماً لكل الناس، فعاد حزب الحكومة الى التريب عليه وتقنيد رأيه، وأذاعوا انه أحبط بهذا كل ما كان مرجواً له أو موعوداً به من العطف العالي، والنوال المالي، وعاد المعارضون له في وطنه يذيمون بالسنتهم وأقلام جرائدهم أن الحكومة المصرية غير راضية منه، ولا هي بماطفة على مؤتمره، ولقنهم أنصارها في مصر ما أذاعوه هنا من ان الحكومة سجلت عليه ما حملته على كتابته ونشره في الجرائد من تقييد المؤتمر بما كتبه في بلاغين له ونشره في الجرائد من غير ان تقييد نفسها بكتابة شيء، بل قيل ونشر في الجرائد ان وزارة الداخلية أرسلت اليه أحد رجالها من دائرة حفظ الامن العام لحمله على السفر خفية خيفة حدوث مظاهرة له او بسببه تضطر الى مقاومتها بالقوة، دأبها في مقاومة كل هذه المظاهرات الحزبية، وقد وافق هذا عاداته في عوداته من مصر إلى فلسطين في زيارته السابقة فسافر ولم يعلم الناس ولا الجرائد بيوم سفره

السعي للصلح في فلسطين

انتدب الدكتور عبد الحميد بك سعيد للصلح بين السيد الحسيني وراغب بك الذشاشي وأعوانهما فذهب الى القدس وفاوض الفريقين على قاعنة اشتراك المعارضين مع المجالسين في لجنة المؤتمر التحضيرية وتمدد الاعضاء من كل فريق فيها، ثم يتبع ذلك عدد أعضاء كل منهما في المؤتمر وتعيين شخوصهم، وعاد إلى مصر فبلغ الناس والصحف انه تم له ما أراد، ثم ظهر انه ما كان قد بقي كما كان ثم عاد من أوربة (مولانا شوكت علي) لاجل حضور المؤتمر وسافر هو وصديقه عبد الحميد بك سعيد الى القدس قبل موعد عقد المؤتمر وحاولا عقد الصلح بين الفريقين فلم يتم لهما ما حاولا، ورأيا ان الإبقاء من السيد الحسيني فسخطا منه وسخط هو منها، وقد كانا من أصدقائه الحريصين على نجاح المؤتمر، وظهر هذا السخط في المؤتمر للكثيرين وبعد انتهائه للناس اجمعين، فكان مدعاة الاسف أما وجهة نظرها ونظر أعوانها ممن حضر المؤتمر من أصدقاء عبد الحميد بك

سعيد فهو ان الصلح خير من الخصام بنص القرآن واتفاق جميع الناس ، وانه لا ينبغي أن يؤلف مؤتمر في فلسطين لاجل مصالح المسلمين وجمع كلمتهم على ما يمكن من المنافع العامة وأهلها في شقاق وخصام يمنع من اشتراك جميع أحزابهم فيه وأما وجهة نظر الحسيني وحزبه فهو ان هؤلاء المعارضين له في المؤتمر وغيره فئة سيئة النية معادية له في جميع أعماله تبدل حسناته سيئات ، لا ينافي سخطهم ومعارضتهم رضاء السواد الاعظم من الفلسطينيين وتأييدهم للمؤتمر، وانهم لما عجزوا عن احباط مشروع المؤتمر من الخارج أرادوا الدخول فيه لاحتباط مقاصده من الداخل، وتوسلوا الى هذا بنشر المطاعن العظيمة عليه في جميع العالم بجريدة خاصة لهم وبالمنشورات الخاصة منهم ، وشايعهم اليهود الصهيونيون في جرائدهم ، ولو أرادوا الصلح الصحيح لما توسلوا اليه بهذه الوسيلة ، فالشر لا يكون وسيلة إلى الخير ، والباطل لا يكون ذريعة للحق ، وان تصدي الدكتور عبد الحميد بك سعيد للصلح أولا ومساعدة مولانا شوكت علي له ثانيا بما كان من الاجتماع بهؤلاء الخصوم واظهارهم الميل اليهم وحقية مطالبهم ، قد نأى بهم عن الصلح المعقول ، إذ رأوا أن لهم أنصاراً أقوياء يعتقدون انهم ينفذون رغبة الحكومة المصرية العظيمة الشأن، وانه لولا هذا لكان الصلح قريب النال

رأى وخطي في الصلح

انني لما علمت ان صديقي الدكتور عبد الحميد بك سعيد أراد الذهاب إلى القدس لاجل السعي بالصلح اول مرة عنيت بلقائه وتحييد سعيه وما أراه فيه . وكنت أظن أن أول ما يجب أن يقوم به هو أن يتضمن الصلح براءة المعارضين من مثل مطاعن جريدة مرآة الشرق ، ومخرجاً مقبولا من المطاعن التي نشرها باسمهم وأسماء من شايعهم ، ووضع اساس لاستبدال المودة بالمداوة ، والتعاون بالمعارضة وجملة القول انه ما كان ليرجى وقوع الصلح بين فريقين شأنهما ما بيناه في هذا الملقال باشتراك خصوم القائم بفكرة المؤتمر في عمله الداخلي مع بقاء عداوتهم

الراسخة له في بيته وحزبه وسياسته ووظيفته ، لانه عبارة عن حرمان نفسه من شرف هذا العمل وكفالاته، ورضاه بان تدخل المعارضة له فيه نفسه ولو وقف الساعون بهذا الصلح عند الحد الذي انتهبوا اليه لما كان له ولا لغيره أن يلومهم فيه، ولكنهم كتبوا بياناً في خلاصة سعيهم سجلوا فيه عليه أنه هو الذي أتى الصلح ، بعد ان كانوا أقنعوه به وشهدوا لخصومه بحسن النية في مطالبهم ، مع العلم بما كان من مطاعنهم الشديدة في شخصه وذمته وشرفه وأعماله في رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى من اول عهده الى آخره ومع العلم بأنهم أعوان المحتلين... انني محب لعبد الحميد بك سعيد وصديق ، وأحمد له نهوضه بتأسيس جمعية الشبان المسلمين التي تميزت وجودها وسعيت له منذ عشرات السنين ، وأعتقد أنه كان حسن النية فيما سعى اليه بحسب رأيه واجتهاده في سياسته ، ولو ندبني للسعي معه للصلح بعد اجتماعنا في القدس لانتدبت كدأبي معه فيما يدعوني اليه من خدمة الجمعية الشبان المسلمين ، وأدلي اليه أحياناً بما أراه من المصلحة تبرعاً واحتساباً ، وأعتقد أنه لا يشك في إخلاصي له حتى فيما يختلف فيه رأيه رأيي ، ومنه انني نصحت له أن يهجر السياسة ملياً ويسالم جميع أحزابها ويصرف كل جهده إلى خدمة جمعية الشبان المسلمين التي لا يرجي نجاحها إلا باقناع كل مسلم يفار على الاسلام بان هذا العمل لوجه الله تعالى لا شائبة فيه لمقاصد الاحزاب والسياسة . وذكرت له ان مثله فيه كمثل محمد طلعت باشا حرب في خدمته المالية وأعماله الاقتصادية لمصر ، هجر لاجله السياسة وله فيها الرأي الحصيف عملاً بقاعدة الاستاذ الامام حكيم مصر والاسلام « ما دخلت السياسة في عمل إلا أفسدته » فشايه على عمله جميع رجال الاحزاب السياسية وقدره له صاحب الجلالة الملك فأنعم عليه برتبة (الباشوية) بمحض عطفه ورضاه عن أعماله

قلت ان صديقي عبد الحميد بك لو ندبني للسعي معه للصلح لانتدبت ولجاز أن يكون له من رأيي الذي علم بعضه مما مر آنفاً ما يرجي به النجاح ، وإذا عارضته في نشر تلك الشهادة للمعارضين بحسن النية استبقاء للمودة بين الفريقين ، ومن رأيي ان مودته للسيد الحسيني وحزبه أنفع من مودته لراغب بك النشاشيبي وحزبه ،

لأن وجهته في خدمة الأمة دينية يجتمع فيها مع الأول بالتعاون والتناصح دون الثاني وأنا قد كنتي بعض المحلصين في القدس بأن أسعى وحدي لهذا الصلح لاعتقادهم انني لا أرضى إلا بالمصلحة العامة وصميم الحق ، فأحببت ذلك وأردت الاستعداد له بالوقوف على كنه الشقاق واختلاف المنافع والاهواء فيه ، فملت من أقوال أصدق العارفين بالحقائق ان السعي الذي يرجى نجاحه متعذر في تلك الايام - أيام المؤتمر لاختلاف المقاصد فيه وفي السياسة والرياسة وقد تسنح له فرصة أخرى وكان من العوائق انه لم يسبق لي اجتماع براغب بك وقد دعاني إلى حفلة الشاي التي دعا إليها أكثر أعضاء المؤتمر فلم أستجب له لانه لم يزرنني عقب وصولي إلى بلده ، ولم يدعني بنفسه ، بل أعطاني بعض المدعوين رقعة من رقاع دعوته ، ولم يزرنني أيضاً أكبر أركان حزبه المعارض للحسيني وهو الاستاذ الشيخ خليل الخالدي على ما ينشأ من تعارف وتواد قديمين ، (ومن صداقة مع أشهر رجال أسرته المرحوم روجي بك الخالدي) وكان يتفضل بزيارتي إذا ألم بمصر - وكأنه ظن انني أشاي السيد أمين الحسيني عليهم لانه صديقي وتلميذي ، وحاش لله ، ما أنصر أحداً على الباطل ولو كان استاذي أو أخي ، أو والدي أو ولدي ، وقد تنكب الصراط المستقيم من كان تلميذاً لي فنصحت له فلم يزد إلا ضللاً ، فرددت عليه في المنار أشد الرد وصرحت بالحادة في آيات الله وتحريفه لكتاب الله ، وانني لا أنصح للسيد محمد أمين في كل أمر يقتضي النصيح ، والتواصي بالحق والصبر

عوائق الصلح وعواقبه الحزبية السياسية

قلت انني كنت حريصاً على منع وقوع الجفاء بين السيد أمين الحسيني وعبد الحميد بك سميد وعلى تلافيه بعد وقوعه ، فكان من أسباب اشتداده وعلم الجماهير به ذلك البيان في مسألة الصلح ، ومنشور آخر شر منه لعضو من رفاقه المصريين المشايخ للوزارة الحاضرة ذكر في هذا البيان اقبح ما يطعن به خصوم الحسيني فيه وتكليفه أن يحاكمهم إلى محاكم الجنايات إن كانوا كاذبين وإلا كن لجميع الناس أن يصدقهم في طعنهم بدمته وشرقه وأمانته ، وقد طبع هذا المنشور ووزع في الفنادق والأسواق والشوارع بامضاء كاتبه الذي لم يره

احد بعد نشره لا في المؤتمر ولا في خارجه . ولا يجهل عاقل رأي الناس في مثل هذا المنشور وقصد صاحبه والباعث له عليه والمنفق على طبعه والمهم بنشره ! وكان قبله ما كان في حفلة افتتاح المؤتمر في المسجد الأقصى، إذ قام رفيق آخر من أصحابه دعاة الوزارة والمناخين عنها وحاول إسكات الاستاذ عبد الرحمن عزام مندوب الوفد المصري عندما وقف على كرسي الخطابة وبلغ المؤتمر تحية الوفد ورئيسه وتأيده له كسائر المصريين ، صاح به محاولا تسكيتة أو تسقطه ، وذ كرامه جلالة ملك مصر بما لا يخلو من ايها كان له أسوأ التأثير في المسجد ، ومم بعض الفلسطينيين بالصائح ، كما فصلت ذلك الجرائد المصرية والسورية . ثم كان بعده ما كان من احاديث اعضاء المؤتمر عند إرادة انتخاب الرئيس له من ميل عن السيد الحسيني وميل اليه ، فكان سبب اقتراح بعضهم اختياره للرياسة بالنزكية وموافقة الاكثرية الساحقة على ذلك

كانت عاقبة ذلك كله أن كان لمحمد علي باشا علوبه وعبد الرحمن بك عزام من المكانة والرجحان على سائر المصريين في المؤتمر وفي جميع الحفلات التي أقيمت له في فلسطين ، وانتخب الاول وكيلا لرئيس المؤتمر والثاني عضوا في مجلس الرياسة ، ثم انتخبا عضوين للجنة التنفيذية له ، والاول من حزب الاحرار الدستوريين والآخر من حزب الوفد المصري ، بل كان للوفد المصري وزعمائه أحسن الذكر والمكانة في البلاد الفلسطينية كلها ، وكان من هؤلاء الزعماء ولا سيما رئيسي الوفد وحزب الاحرار الدستوريين أن أيدوا المؤتمر بما أرسلوه اليه من البرقيات والرسائل البليغة

دعي أعضاء المؤتمر الى ما آدب تكريم في القدس نفسها وفي يافا وضواحيها وفلسطين فكانت السيارات تجري بهم أرسالا وكان أهل القرى والمزارع في طرقهم يجتمعون لتحيتهم والتهنأف لهم بالحياة والنصر ، وللمعارضين بالسقوط والحزبي ، وكثيراً ما ذكر في التهتاف الوفد المصري ورئيسه مصطفى باشا النحاس ، وتضمن هذا تأييد الوفد وحزب الاحرار في خطتهما ومعارضتهما للوزارة المصرية شرحته جرائدهما شرحاً ، وجعلته نصراً مينا وفتحاً (للكلام بقية)

تاریخ الاستاذ الامام

(تقریظه ونقده لامیر البیان ، وبدیع هذا الزمان ، الامیر شکیب أرسلان)

تلقيت الجزء الاول الذي ظهر أخيراً من تاريخ أستاذنا الامام الحجة ، آية الله الباهرة ، الشيخ محمد عبده قدس الله روحه ، تلقيته والاشغال إلى ما فوق رأسي ، والافكار مشتتة ، والخواطر مقسمة ، والوقت أضيق من حلقة الميم ، فلم أتمكن من مطالعته كله ، ولا من إحالة قداح النظر في جميع نواحيه ، فاكتميت بقراءة بعض فصوله ، وبالتأمل في فهرس موضوعاته ، والمكتوب كما يقال يعرف من عنوانه ، فلا شك عندي بما رأيت منه في أن هذا التاريخ هو واسطة عقد التواريخ في هذا العصر

قبل أن الأستاذ ابن العميد سأل صاحب ابن عباد قائلًا له : كيف رأيت بغداد ؟ فأجابه صاحب : بغداد في البلاد ، كالأستاذ في العباد ، وأنا أقول : تاريخ الأستاذ الامام في الكتب كالأستاذ الامام في الرجال ، كيف لا ومحروره حجة الاسلام البالغة في هذا العصر ، وإحدى حججه الباقية على الدهر ، الذي كان أعظم من أظهر فضل الأستاذ الامام ونشر تصانيفه ، وكان منه بمنزلة أبي يوسف من أبي حنيفة ، السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ، وخالد الآثار ، فسبح الله في أجله ، وكافأه أحسن ما يكافى عبداً على عمله ، فمن بعد أن نعرف أن هذا السفر الجليل هو من قلم هذا الخبير الحلال ، ومن فيض هذا البحر الذي ليس له ساحل ، أصبح التفتن في وصفه من قبيل تحصيل الحاصل ، والبديهيات التي لا تحتاج إلى الدلائل

دعنا من متانة عبارة هذا الكتاب وعلو انشائه ، وانتشار المنطق السديد على جميع قضاياه وامتزاج الذوق السليم بجميع أبحاثه ، فإن فيه من الفوائد التاريخية ما لا يوجد في كتاب آخر ، وما لا يتم التاريخ العام إلا به ، بل ما كتب السير والحوادث تبقى في مستقبل الأيام عيالا عليه

نعم إن ترجمة السيد جمال الدين الأفغاني قد سبق إليها الكثيرون وذهب كل كاتب فيها مذهبا ، وكان محروره هذه الاسطر ممن طرز بها كتاب «حاضر العالم

الاسلامي « وأتى فيها بمعلومات لم تسبق لغيره ، إلا انه لا يوجد كتاب حوى من أخبار جمال الدين رحمه الله ما حواه هذا الكتاب ولا وفى بما وفى به ، بحيث لا تطلب فيه مطلباً ذا شأن عن حياة حكيم الشرق وموقفه الاعظم رحمه الله إلا رأيت بين دفتيه . ففى تاريخ الشيخ محمد عبده أوفى تاريخ لجمال الدين أيضاً

وأما تاريخ الشيخ محمد عبده فمن البديهي انه سيكون هذا الكتاب هو الاول والاخر فى الاحاطة بهذا الموضوع لان السيد رشيداً — وهو الذى أشعة نظره فى العلوم ، كأشعة رونتجن فى الجسوم — قد وقف جانباً من حياته على تصنيف هذا الكتاب ، وكان أعرف الناس بأحوال الاستاذ الامام وأزمهم له ، وأحفظهم لأقواله ، وأدراهم بمقاصده ، ومن قال انه خليفته فى الارض ، ونسخة عنه طبق الاصل ، لا يخطئ ، فمن العبث ان ننشد للشيخ محمد عبده تاريخاً من بعد هذا التاريخ

والاستاذ صاحب المنار كما يعلم كل من عرفه سالك طريق المحدثين فى التدقيق والتحصيل ، فلا يبلغ أحد من التحري والتثبت ما يبلغه ، بما غلب عليه من خلق علماء الاثر ، فلذلك لا يمكن أن ينطوي هذا الكتاب من الاخبار إلا على ما قتله صاحب المنار علماء ، ولم يدع فيه للشك سهماً ، فالذى يطالع ما فيه من الروايات ويكون ممن يعلم مذهب صاحب المنار فى التحري ، لا يقدح فى خاطره عارض من شك فى أن الحادث المروي انما حدث على ذلك الوجه — يستثنى من ذلك هنات هينات لا يعبأ بها ، لحظت منها ظنه أن مدير المدرسة السلطانية فى بيروت يوم كان الاستاذ الامام يدرس فيها هو المرحوم الاستاذ الشيخ احمد عباس ، والحل ان المدير الذى كان يومئذ هو المرحوم خلقي افندي الدمشقي وهو الذى أشار الى صرفه بغيره السيد عبد الباسط فتح الله رحمه الله فى الفصل المتع الذى كتبه عن مقام شيخنا فى بيروت — وما عدا ملاحظة او اثنتين مما ليس بذى طائل لم اجد فيما طالته من هذا التاريخ رواية لم أقل فيها : هذه اصح الروايات وسندها اوثق الاسانيد . ولقد يوردها المؤلف بطرق مختلفة ويمججها من جملة وجوه ، ويعرضها على فحك القياس ، ولا يزال ينخلها إلى أن تبلغ برد اليقين ، وأقصى درجات التحقيق المستطاعة للمؤرخين . وانه ليبلغ به حب التدقيق انه يروي عن استاذ ما قد ينتقده ، وما

المنارج ٣٢م ٢ تاريخ الثورة العرابية والازهر والنهضتين المصرية والاسلامية ١٣٥

يورد فيه اقوال اقوى من اقوال الاستاذ الامام . فالسيد رشيد في جميع كتاباته ليس عنده احد فوق الغربال كما يقال، وكأ أنه ينظر ابدآ إلى قول مالك رضي الله عنه: ليس منكم إلا من ردّ ورد عليه إلا صاحب هذا القبر - يشير إلى النبي ﷺ

هذا وإنك لن تجد تاريخ الثورة العرابية في كتاب بالبيان الوافي الواضح المستوفي لشروط النقل والعقل، وتعليل الحوادث بأسبابها، وردها إلى أصولها، كما تجده في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام

وفي هذا التاريخ أيضاً تواريخ أخرى لا توجد إلا فيه، ولن تكتب بقسط التحقيق الذي كتبت به. هذا وذلك لمكان صاحب المنار من القرب في الزمان والمكان، إلى الحوادث المؤرخة وإلى الاستاذ الامام، الذي كان يومئذ قطب الرضى، وهي مثل تاريخ نهضة مصر، وتاريخ الازهر، وتاريخ نهضة الاسلام الحديثة، وبقظة الشرق الحاضر، وكله مرتبط ببعضه ببعض ومتسلسل تسلسلاً مطرداً بطبيعة الاشياء، وكيفما جلت في نواحيه وجدت عاملين كبيرين هما، جمال الدين ومحمد عبده رحمهما الله، وأنا أقول ان الله عززهما بثالث هو صاحب المنار حفظه الله

ولا تنس تاريخ سمو الخديو السابق وما فيه من القرائب والمجائب، وما يتخلل حوادثه من النوادر، التي مع صحتها ونخلها بمنخل التدقيق لم تخسر شيئاً من فكاكتها، فلم يزدنها التحري إلا روثاً. مثال ذلك سرور المشار اليه بوفاة الاستاذ الامام رحمه الله واستياؤه من حزن الامة عليه، وعده ذلك تقريباً من ذنوب الاستاذ، ولم يغفل صاحب المنار في جانب هذه الاخبار - التنويه ببعض حسنات وأشباه حسنات أذنت بها الاقدار الالهية على يد سمو الامير، فكان مذهب هنا أيضاً مذهب علماء الحديث، فما تحامل ولا دلس، ولا زاد ولا نقص. ولو علم أمراء الاسلام أن جميع مؤرخيهم هم كالسيد رشيد رضا يحصون عليهم ما حسن وما قبح لا اعتدلوا، وعلموا أن قبل حساب الآخرة حساباً في هذه الدنيا، ولكن أضر بأمراء الاسلام وبالا سلام تدليس المؤرخين، وتزيين المتزلفين، وأكبر الانم على أولئك الفقهاء الذين انتظر منهم الشارع أن يقوموا الامراء وينهزم عن النكر، ويبحثوا في وجوه شهواتهم ما كشف من تراب الزجر، فكانوا المعاوين لم على أهوائهم،

المفتين لهم بما يزيد في إغوائهم . وليس مرادي هنا تخصيص الخديو السابق الذي قد يكون أحسن من غيره ، وإنما أريد أمراء المسلمين جميعاً إلا من رحم ربك . والله يعلم أنني جادلت الخديو السابق في أمر الشيخ محمد عبده ولم أحابه ولم أكرم عنه أنه كان متحاملاً عليه . ودافعت عن الشيخ عبد العزيز جاويش أمام الخديو وهو في قصره برأس التين ، وذلك عند ما كانوا آتين بالشيخ جاويش من الاستانة الى الاسكندرية بتهمة المؤامرة على الخديو . ولم أكن لذلك المهد أعرف الشيخ جاويش ولكنني كنت أعرف أن هناك نية للانتقام منه رحمه الله ، فانتدبت نفسي للدفع عنه . ثم دافعت عنه مراراً بعد ذلك أمام الخديو السابق ولم أقبل في حقه كلمة واحدة من سموه . ثم إن في هذا الكتاب من الاخبار السياسية والروايات الماثورة عن أعظم الرجال ما يجتمع منه مؤلف مستقل برأسه — كما أن فيه من الفوائد الشرعية ، ومن الحلول الوجيبة للمشكلات الحديثة والمسائل المصرية ، ما لا يتأتى في مجموع آخره ، وكيف لا يكون ذلك وصاحب المنار هو قارص هذه الحلبة الذي لا يجاريه بحار ، وإمام هذا الحراب الذي يصلي وراءه الكبار والصغار .

ولم يختلف نظري عن نظره في هذا الكتاب إلا في أمر الاستاذ المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان ، فإن السيد رشيداً فيما يظهر لا يراه في الرجال المعدودين ، أو كما قال له شيخنا : انه نائم منك انك لا تعتقد بعلمه . هكذا رواها لي السيد رشيد نفسه . وكيف كان الحال فكان الشيخ عبد الكريم لم يكن في هذا الكتاب بالمكان الذي ينحدر عنه السيل ولا يرقى اليه الطير . ولست أحال هذا من صاحب المنار على ضعف مع علمي منه ومن الشيخ عبد الكريم نفسه بأن المودة لم تكن بينهما في صفاء البلور ، ولكنني أحمله على ما قاله الاستاذ الامام من أن السيد رشيداً لم يكن يعتقد بسمه علم الاستاذ الشيخ عبد الكريم ، ولولا هذا لو فر له حقه غير منقوص ، لأن صاحب المنار — مع ما فيه من حفيظة — منصف مقسط لا يبغض الناس أشياءهم . وأما أنا فكنت أعتقد بكثير من علم الشيخ عبد الكريم وأدبه وسلامته طبعاً وحسن إنشائه والاستاذ السيد رشيد يقول ان الشيخ عبد الكريم كان لا يحب السوريين إجمالاً وإنما كان يستثني أنا من بينهم لفكاهتي ، وعبارة السيد هي هذه :

« ثم سبب آخر هو كراهته للسوريين ولا أستثنى منهم إلا الأمير شبيب .
أرسلان فانه حل من نفسه محلاً كريماً عند مآزار مصر لفكهااته الادبية، ونوادره
اللطيفة، على مكانته من حب الاستاذ الامام وتكريمه إياه ، وللدعاة موقع من نفسه .
معروف ، يعلو بها عنده صاحب المفاكهة وحاضر النادرة الخ ، فاذا قرأ الانسان هذه
الفقرة ورأى ما تكرر فيها من وصفني بالفكاهة والمفاكهة وسرعة البادرة عند
النادرة، تخيل اني ابونواس عصري ، واني لم أنل من الشيخ عبد الكريم موقفاً كريماً .
إلا بمحبة الاستاذ الامام لي ومحبتني أنا للفكاهة، وحاشا للشيخ عبد الكريم الذي
كان للجد عنده نصيب وافر ، والذي ما كان يميل أحياناً للدعاة الا لتكون له عون
على الصواب إذا اخذ في معالي الامور، على نمط من قال : اني لأجتم نفسي بشيء من
الباطل ليكون اعون لي على الحق - اقول حاشا للشيخ عبد الكريم ان يكون كرم
مقامي عنده ناشئاً عن حرارة نكاتي معها كانت رغبته في هذا الشأن . وإنما اقول
ان سر المحبة كامن في اعماق الصدور واحشاء القلوب ، وان الاعمال تزيد منها
وتنقص ، وقد تذهب بها بتاتاً ، كما قد تزيدها اضعافاً . ثم اني اشهد للشيخ عبد الكريم
انه لم يكن على شيء من الشنآن للسيد رشيد ، وانه كان يشهد بفضله ، وانه قال لي
مرة: قد اصفيت له المودة بعد وفاة الشيخ

وفي هذا التاريخ فصل من قلبي عن ايام الشيخ في بيروت ، وليس ذلك بكل
ما كتبته عنه ، وإنما آخر السيد بقية كلامي إلى الجزء القادم لتعلقها بما ارتسم
في خاطري من ايامه بمصر وقد روى لي السيد في هذا الجزء اشعاراً كنت نسيته
فنشرها لي بعد الخفاء ، وأبرزها بعد العفاء ، ووعد بنشر الاكثر من مثلها في الجزء
القادم . فأنا لا أحصي عليه ثناء من أجل هذا اللطف ، وإلحاقه بمض اشعاري بهذا
الكتاب عملاً بواو العطف ، لاسيما انه لم يبق عندي ولا نسخة واحدة من ذلك الديوان
الذي اسميته «الباكورة» والذي أخرجه إذ كنت لم أجاوز السابعة عشرة من العمر
وأما عدد صفحات هذا الجزء فتربى على الف ومائة صفحة يمتليء دماغ القارئ
مما تضمنته من معالي الامور ، وسياسة الجمهور، وتراجم الصدور ، ونخب الفوائد
التي تمخضت بها المصور . وليس هذا بالجزء الوحيد في موضوع حياة الاستاذ

الامام ، فقد تقدمه غيره وسيتلوه سواه . وكله بذلك القلم الذي دانت له اقلام
الاقلام ، وخضعت ممالك الكلام ، اي قلم صاحب المنار الشهير ناشر علم الاستاذ
الامام ، ومخلد ماثره على الايام ، فمن يقدر ان ينشر من ماثره ألوفاً من الصحائف
غير صاحب المنار ؟ لا جرم انه كان ابرنا به ، وأقدرنا على القيام بالواجب نحوه ،
وأحرى تلاميذه بنشر آرائه في العوالم ، وبان يكون بعده مرشداً يضيء النهج والليل قائم .
(جنييف - سويسرة)
شكيب أرسلان

﴿ تعليق على تقرير الامير شكيب لتاريخ الاستاذ الامام ﴾

(واثارة من تاريخ الشيخ عبد الكريم سلمان)

أشكر لآخي في البر والوفاء لوالدنا الروحي الاستاذ الامام ، وولي في خدمة
العرب والدفاع عن الإسلام ، ما تفضل به علي من هذا التقرير ، وأجدر بي أن
أفاخر جهاذة الكتاب وموابدة المؤرخين بشهادته لي ولهذا التاريخ ، وهو هو
أمير البيان ، وأستاذ علماء العربية بالتاريخ الخاص والعام ، وانني لعاجز عن ايفائه
بعض حقه من واجب الثناء ، مستضيئاً عنه بالدعاء ، فجزاه الله تعالى عن أخيه
وأستاذهما وعن الاصلاح الاسلامي أفضل الجزاء ، ولكن لا مندوحة لي عن
الاعتراف بأنه أعطاني فوق ما استحق من الاطراء ، وعن الدفاع عن نفسي تجاه
مارماني به من التقصير في حق المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان

أظن أن الأمير لو كان قرأ كل ما كتبت في شأن الاستاذ الشيخ عبد الكريم
لما كتب ما كتبه ، فاني لم اصفه رحمه الله تعالى بقلة العلم ، وإنما كان الاستاذ الامام
قدس الله روحه هو الذي علل موجدته علي بأنه يظن في ذلك - ولراي انني على
شدة انتقادي لأكبر علماء الازهر المعارضين للامام في الاصلاح ولغيرهم في بعض
المسائل العلمية قد نوهت في مواضع كثيرة بأن الشيخ عبد الكريم كان تربيته
وعشيرته ، وصنوه وظهيره ، وثانيه في مجلس إدارة الازهر وأكبر اعوانه على اعمال
الاصلاح فيه ، وكفى بهذا مدحاً ، وأثبت انه امكنه بفضل وذكائه ان يكون في
الذروة العليا من قضاة الشرع في المحكمة الشرعية العليا وهو شافعي المذهب ، وإنما

الحكم في هذه المحكمة بمذهب الحنفية ، وما ذكرته مع غيره من خواص الاستاذ الامام
 كحسن باشا عاصم وسعد باشا وفتحي باشا زغلول إلا وقدمته عليهم في الذكر
 ويثبت ايضا انه هو الذي صنف كتاب (اعمال مجلس إدارة الازهر)
 وكان هذا سرا لا يعرفه غيري ، وصرحت ايضا بالمسائل التي علمت انه انفراد بها
 من تلك الاعمال الاصلاحية ، وانه لم يصرح باسمه ولا باسم زميله الاستاذ الامام
 في الاعمال التي اسندها إلى بعض اعضاء مجلس الادارة لاختصاصها لله تعالى فيها
 وعدم ابتغائهما الشهرة ، فما عرفت له منقبه في ذلك إلا ودونتها له ، والتاريخ ليس
 بتاريخه ، والامير لم يثن عليه بأكثر من هذا ولا بمثله ، فيما انتقده علي من بخص حقه ،
 فانا أقر مثله بكثير من علمه وأدبه وسلامة طبعه وحسن إنشائه . وأزيد على هذا
 ما أجملته آنفا مما فصلته في هذا التاريخ

وأعظم منه ما ترجمته به في المجلد العشرين من المنار عقب وفاته مفتتحاً إياه
 بقولي « في أثناء شهر شعبان من هذا العام فجع القطر المصري بعالم من أنفع علمائه ،
 وأديب من أبرع أدبائه ، وكاتب من أبلغ كتابه ، وقاض من أعدل قضائه ، أحد
 أعضاء النهضة لاصلاحية الجالية الشيخ عبد الكريم سلمان تغمده الله برحمته » ثم ذكر
 تعاشره مع الاستاذ الامام في طلب العلم وتعاونهما في ميدان العمل « تعاون اخلاء
 الاصحاب ، المتفقين في الآراء والمقاصد والآداب ، وعاشا معا شامتاوين مواد
 اللذات والأترا ب ، ثم فرق الموت بينهما مدة التفاوت في العمر حتى جمع بينهما تحت
 التراب ، (أعني دفنهما في تربة واحدة) فعسى أن يكون هذا مصالبا لذلك المجلي
 الى دار الثواب ، وأن يجمعنا الله بهما في دار الكرامة يوم المآب » ثم قلت :
 « لعل الشيخ عبد الكريم كان أذكى ذهننا من الاستاذ الامام ولكن هذا فاقه ففاته
 بالجد والاجتهاد ، الى أن قلت « فكان الاستاذ الامام البدء من مريد السيد
 جمال الدين وكان هو الثنيان^(*) » ولم أدع بعد هذا شيئا من اعماله وسيرته واخلقه
 الحسنة إلا ونوهت به أحسن تنويه

(*) البدء هو الاول في سيادة قومه ونحوها والثنيان هو الذي يليه قال الشاعر .
 ثنيانا ان أئام كان بدأهم ويدؤهم إن أئانا كان ثنيانا

محاولة الايقاع بين الاستاذ الامام وصاحب المنار

وأما مسألة مساعدته لمحاوли الايقاع بيني وبين الاستاذ الامام فانما ذكرتها لأنها في رأي من اعظم مناقب الامام احسن الله جزاءه ، وانني وايم الحق قد تجرئت فيها الحق والصدق ، والتجرد من هوى النفس ، ولو كانت وقعت مع غيري لدونتها بهذا الاسلوب عينه بل ربما كنت ازيدها تفصيلا وتنبوها أستحي كتابة مثله في شيء يعني ويخصني ، ولكن لا يجوز لي ان أهضم حق نفسي وحق الاستاذ في المسألة بعد وفاة الشيخين ودخولهما في حكم التاريخ ، وقد دون سلفنا الصالح من المحدثين والمؤرخين من هفوات شيوخهم من الأئمة وكذا الصحابة ما هو أعظم من هفوة الشيخ عبد الكريم هذه

ذلك بأن المسألة من اظهر الحوادث الواقعة التي تدل على ان الاستاذ الامام كان يؤثر المصلحة العامة على العلاقات الخاصة بالصق اخوانه وأصدقائه به وأقربهم اليه ، على ما اشتهر به من كمال الوفاء وصدق الوداد ، وان الاصلاح الاسلامي الذي انفردت بالاشتغال معه به في خاتمة عمره الشريفة كان عنده فوق كل شيء من امور الدين والدنيا ، لانه قد رسخ في وجدانه انه مفروض عليه — يثاب على العمل له فوق كل ثواب ، ويعاقب على التفريط فيه ما لا يعاقب على غيره ، وقد اثبت في استنباطه من الشيخ عبد الكريم وإنداره إياه استغناءه عن محبة اربعين سنة مكانة الشيخ عبد الكريم عنده

دعابة الشيخ عبد الكريم سلمان وعلمه

ذلك - ولا ارى وصف الشيخ عبد الكريم بحب الدعابة والفكاهة الادبية غميرة وإزراء به وهو مشهور بهذا ، وقد وصف بالدعابة في كتب التاريخ والادب افراد من ارقى البشر كأمر المؤمنين علي وأبن مثل أمير المؤمنين علي عليه السلام ، واني على ما في من حفيظة - كما قال الامير - لا احمل على أحد حقدا ، ولا ابغض احدا حقاً ، واني قد اغضيت على فتور حرارة الشيخ عبد الكريم في مودتي عدد سنين ، فكنت على إبائي ازوره كثيرا ولا يزورني على ما اعلم من عنايته بزيارة جميع اصدقائه ،

فلم يشعر احد بشيء من هذا الفتور من قبلي بقول ولا فعل . والامير ينقل عنه انه قال له غني : انني اصفيت له المودة بعد وفاة الشيخ . اه وأنا قد صرحت بهذا في التاريخ وقلت انه صار يزورني ويأكل طعامي كما آكل طعامه ، ويسألني عن اولادي . وهذه شهادة عليه عنا الله عنه بأنه لم يكن مواداً لي كوادتي له ، ولا كموادته لأدنى اصحاب الاستاذ الامام وصنائه حتى صنائع التلق وطلاب المصالح وهو يرى ان الاستاذ اصطفاني على الجميع ، ولكن هذه هي العلة في مماذقته لي على وغير كما كنت أعتقد ، لا ما قاله الاستاذ من انه كان يظن انني لا أعتقد انه عالم ، اذ لو كان هذا هو السبب لما صفاني وده بعد وفاته (رحمهما الله تعالى) فاني اذا كنت أعتقد في عهد الاستاذ الامام انه غير عالم فلا يعقل ان يزول هذا الاعتقاد بعد وفاته . فقول الامير غني « ولولا هذا لوفر له حقه غير منقوص » مبني على رأي الاستاذ وعلى عدم قراءته هو كل ما كتبه في حقه ، فأنا اعتقد انني وفيته حقه في هذا التاريخ لم انقصه منه شيئاً يقتضي المقام ذكره ويعد من موضوعه ، بل ربما كنت قد زدته على حقه في المنار

ولعل سبب ظن الاستاذ فيه وفي ما ذكر أن الشيخ عبد الكريم ما كان يشاركنا في المذاكرات العلمية الدقيقة التي تقع بيننا وهو معنا كشاركنه لنا في الباحث العملية من اصلاحية ووطنية . وإنني لأنكر انني ما كنت أعتقد أنه متقن لعلم من العلوم ، لانه وجه كل عنايته الى الكتابة . ولسكنني لم أكن انطق بما يدل على اعتقادي هذا تصريحاً ولا تلويحاً ، الا ما استثنيت في التاريخ من مثلي في اثر انتقادات لغوية وأدبية معه بقول السموأل

وننكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين تقول

فكاهة الامير شكيب ونوادره

بقي علي ما يخص الامير (حفظه الله) من مودة الشيخ عبد الكريم رحمه الله فاني اراه فهم منه ما لم يخطر لي على بال ، وما لا اراه يخطر على بال احد من الناس ، هو ان الشيخ عبد الكريم رحمه الله تعالى لم يجد فيه او لم يعرف منه ما يجيبه اليه ويحلله

من نفسه محل الكرامة إلا فكاهاته الادبية ونوادره اللطيفة ، وان هذا التعليل مني يخيل الى قارئه انه - اي الامير - أبو نواس عصره !

فضائل الامير ومزاياه بارزة مضيئة كالشمس لا تخفى على حاسد يعميه الحسد. عن رؤيتها ، فانه إن لم يرها تلذعه حرارتها ، فكيف يجهلها مثل الشيخ عبد الكريم في ذكائه ولوذعته ، وإتما اعني بما ذكرته ان كراهة الرجل للسوريين لم يكن يخطب مودته منهم معها علم ولا ادب ، ولا حسب ولا نسب ، فهي وحدها لا تحلهم. من نفسه محل الكرامة ، ولا محبة الاستاذ الامام ايضا ، فانه كان يحب السوريين ويغار عليهم ، وما كان الشيخ عبد الكريم يساهم هذا ، لاني جملة العلم ووعاة الآداب ، ولا في ابناء الاحساب والانساب ، وهو كما قال الامير لم يكن ينمضي في شيء مما ذكر ، وقد انشأ الاستاذ الكبير الشيخ محمد بن خيت مجلة باسم غيره كان ينشر فيها شيء من تفسيره للقرآن ، فقال الشيخ عبد الكريم إن الشيخ بن خيت يستطيع أن ينشيء مجلة تنقل عنه تفسيراً وتنوّه به مباراة للشيخ محمد عبده فيما تنشره عنه مجلة المنار ولكنه لا يستطيع ان يأتي بمثل الشيخ رشيد يحرقها له فما الفائدة ؟

جد الامير شكيب وشدته وظرفه

الامير شكيب مشهور بالجد في علمه وقلمه وبالشدّة في سيرته السياسية والاجتماعية ولهذا ينزّه بعض الناس بلقب الكبر ، كما ينزّهون به اكثر اهل الصدق والجد ، ولا يعرف ظرفه في فكاهاته اللطيفة ونوادره الادبية المزينة إلا من عاشره وحاوره وصاحبه ، واني لا غبطه عليها ، وآتمنى لو اوتيت مثلها ، فان الجد المحض يمل المجلس ، ويوحش الانيس ، وأنا لا اعرف عن أبي نواس مثل هذا . إتما كان أبو نواس شاعراً بل هو أشعر الشعراء في عصره الذي ارتقى به شعر الحضارة والتمتع إلى أوجه ، وكان مع هذا ماجناً فاسقاً ، ولم يؤت شيئاً من الجد في خدمة الامة ، ولا

المنازل : ج ٢م ٣٢ مثال من تحاور عبد الكريم وشكيب بالسجع ١٤٣

سياسة الدولة ، ولا عني بهداية الدين ولا بيان فضائل الاسلام ، فأني يذكر مع الامير شكيب أو يخطر بالبال إذا ذكر علمه وأدبه ، أوقرت رسائله وكتبه ؟

إني لا أوقن أن الامير لم يظن بي انني عنيت هذا الذي عده لازماً ذهنياً لوصفي له بمحلاوة الفكاهة ولطف النادرة ، وإنما عده علي مما غمضت به الشيخ عبد الكريم دونه ، فكان مشاراً لظن من لا يعرفه انه ابونواس عصره ، وان الشيخ عبد الكريم يؤثر الهزل على الجدد ، والدعاية العارضة ، على الفضائل الراسخة

كلا . انني لم أعن بكلمتي شيئاً وراء ما تدل عليه دلالة المطابقة من تضمن أو التزام ، فلما قلت ان الشيخ عبد الكريم لم يكن يحب السوريين ، خطر في بالي ان من واجب الصدق ان أستثني الامير شكيباً من هذا الاطلاق او العموم ، لما كنت سمعته من كل منهما من التنويه بالآخر ، ثم مارأيت من اغتباطها بالثلاثي في اثناء إلمامة الامير الاخيرة بمصر

مثال من تحاور عبد الكريم وشكيب بالسجع

لعل الامير لم يذس انني كاشفته في بيروت سنة ١٣١٥ بمزمي على الهجرة إلى مصر للاتصال بالاستاذ الامام فيها ، وان هذا سر بيني وبينه لم يتعدنا إلا إلى الاستاذ عبد القادر افندي القباني صاحب جريدة ثمرات الفنون والاستاذ الشيخ صالح الرافعي ناظر النفوس ، ولعله يذكر إذا ذكرته ما حدثني به يومئذ عن محاوراته مع الشيخ عبد الكريم سلمان و ابراهيم بك المويلحي ، وان جل حديثه عن محاورات الاول ما كانا يلتزمانه من السجع ، والفكاهات الحسنة الوقم ، وأزيد على هذا . انني لما بلغت الشيخ عبد الكريم سلامه عليه ، واشتياقه اليه ، برقت أساريه وطلق محدثني عن محاوراته اللطيفة معه ، وأذكر مما ذكره لي كل منهما أن شكيباً كان عنده بداره فسمعوا صياحاً ولغوا أمام باب الدار بين الخدم وغيرهم فصاح

١٤٤ ما يجب على الأمير شكيب لتاريخ الاستاذ الامام المنار : ج ٢ م ٣٢

الشيخ بخادمه البواب غاضباً : يا ولد يا ولد ، فقال الأمير رافعاً صوته * وأول التشاجر الذي ورد * فسكت غضب الشيخ وأغرب في الضحك استغراباً لهذه البديهة الحاضرة ، وإعجاباً بالبادرة النادرة ، وربما لم يكن يخطر له ولا لغيره ان مثل الأمير شكيب يحفظ العقيدة الازهرية المروقة بجوهرة التوحيد ، وان يكون من قوة الذاكرة بحيث يسبق الى لسانه هذا الشطر منها عند صيحة الشيخ يا ولد ، وهما يتباريان السجع ، ومناسبتها للمعنى اقوى من مناسبتها للفظ ، فان الخدم كانوا يتشاجرون عند دار الشيخ ، وبيت الجوهرة في تأويل تشاجر الصحابة رضي الله عنهم فهذا مثال مما عزوته اليهما من حب الفكاهة والمفاكهة والنوادر الادبية ، فهل يقول أحد انها تنافي الجد أو تجانب العلم ، وهي لو عرضت على الحسن وابن سيرين ، لقالا ربنا لئن آتيتنا هذه لنكونن من الشاكرين ؟

ما يجب على الأمير شكيب لتاريخ الاستاذ الامام

وأختم هذا التعليق بتذكير الأمير شكيب بأن لتاريخ الاستاذ الامام عليه حقاً آخر وراء حق التعريف الذي أدى واجبه ومندوبه ، وزاده من النافلة ماشاء الله ان يزيده ، أعني بالحق الآخر تكرار التنويه في مقالاته الاصلاحية بالغرض المقصود بالذات من تصنيفه ، وهو ما فصلناه فيه وأجملناه في فاتحة تصديره وخاتمته ، من الدعوة الى الاصلاح والتجديد للشرق والاسلام ، التي قام بها الحكيم السيد الافغاني والاستاذ الامام ، مع احياء ذكرهما ، باسناد الفضل الاول فيها اليهما ، ولهذا الدعوة مجالات واسعة في مقالات الأمير السياسية والاجتماعية ، ورسائله الاصلاحية ، وليس بكثير على غيرته أن يخصصها بمقال ممتع ، ويؤيدها بالبرهان المقنع . وهو انما يكتب ما يكتب بما نفخ فيه من روحهما ، ونفث في روعه من حكمتهما ، جعلنا الله وإياه خير خلف لهما ، آمين

مؤلف تاريخ الاستاذ الامام

محمد رشيد رضا

المناظرة بين أهل السنة والشيعة

تمهيد وتصحيح غلط

نشرنا في الجزء الاول الماضي الرسالة الاولى لمقترح المناظرة الاستاذ السيد عبدالحسين نور الدين العاملي بنصها على ما فيه وإمضائه ، ولكن سبق القلم في عنوانها فذكرنا أن لقبه «شرف الدين» وهذا لقب لعالم آخر من العاملين بواقفه في اسمه وهو أشهر عندنا وعند غيرنا بالذكر والعلم والرأي. فهو لا يكتب ما كتبه نور الدين. ومثل هذا الغلط في الاسماء من سبق القلم لذكر الرجل الاشهر ما ذكرناه في ذلك الجزء من تعازي كبراء المصريين وزعمائهم لنا عند وفاة والدتنا رحمها الله تعالى فقد ذكرنا منهم حسن باشا عبد الرازق وإخوته وإمعايننا نجله محمود باشا وكيل حزب الاحرار الدستوريين وكان له أخ آخر اسمه حسن باشا كاسم والده قتل اغتيلاً سياسياً رحمها الله تعالى وسبب هذا الغلط ان اسم حسن باشا عبد الرازق الكبير منقوش في ذهننا من عهد والدم الجليل وطول عشرتنا له مع شيخنا الاستاذ الامام وذكر اسمه في تاريخه والنار مراراً

مطالبة علماء الشيعة برأيهم في دعوى مناظري

نشرت رسالة مقترح المناظرة بنصها وقلت فيما علقته عليها انه لم يلتزم فيها الشرط الذي اشترطته عليه فيها، وانني احب أن أعلم قبل الشروع في المناظرة «هل يوافقه كبار علماء الشيعة في سورية والعراق والهند وإيران على قوله : انه لا يمكن الاتفاق بين أهل السنة والشيعة على شيء من المصالح الاسلامية ...» إلا بالشرط الذي اشترطه وهو رجوع أحدهما إلى مذهب الآخر للسبب الذي ذكره . ثم اقترحت عليه وعلى زميلي الاستاذ الفاضل صاحب مجلة العرفان أن يأخذنا لي تصرّيحاً من علماء الشيعة المشهورين في المسألة (راجع ص ٧٢ ج ١)

مرت على هذا الاقتراح ثلاثة أشهر لم يصدر فيها المنار للأسباب المبينة في أول هذا الجزء ولم يرد لنا من حضرة مناظرنا ولا من غيره من علماء الشيعة

شيء إلا أن زميلنا الاستاذ صاحب مجلة العرفان ذكر في كتاب تمزيقه لنا عن والدتنا انكاراً على السيد عبد الحسين نور الدين في ذلك ، وانه سينشر هذا الانكار في مجلته المحجوبة الآن عند عودتها الى الظهور ، ورسالة من سائح فاضل باسم « نظرة .. » تنشرها في هذا الفصل

ثم إنني لما دعيت الى المؤتمر الاسلامي العام الذي عقد في القدس وعلمت أن ممن أجابوا الدعوة الى حضوره الاستاذ العلامة الكبير الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء الشهير أكبر مجتهد في النجف الذي هو أزهري اخواننا الشيعة سررت جد السرور، ونلت أمني في مسألة الشقاق الجديد، أن يكون تلافيها بتلاقينا في هذا المكان الشريف، وتعاوننا هذا على هذا العمل الشريف، بأن يكون من أهم مقاصدنا فيه السعي للتأليف. وقد سبق لي لقاء هذا الاستاذ بمصر اذ زارها بعد الحرب الكبرى وتذاكرنا في وجوب الاتفاق في مكتب دار المنار فوجدت منه ما أحب من سعة الصدر والرغبة في الاتفاق ، وكان معه في القدس الاستاذ الشيخ عبد الرسول من آل الكرام ونجله الشيخ عبد الحكيم حفظهم الله تعالى وحفظ بيتهم العلمي موقفاً لخدمة الاسلام تلاقينا على ما أحب وأطلعت الشيخ على رسالة السيد عبد الحسين نور الدين وسألته عن رأيه فيها فأنكر عليه أشد الانكار ، فقلت ان الانكار بالقول لا يكفي فهل تكتب رأيك في الرد عليه لينشر في المنار ؟ قال نعم

وكان من حسن الحظ أن وجد في أعضاء المؤتمر عالمان شهيرين من علماء الشيعة السوريين وهما من أصدقائنا قدماء قراء المنار، أحدهما الاستاذ الشيخ سليمان النماهر من علماء جبل عامل ، والثاني الشيخ أحمد رضا من علماء صيدا ، وقد رأيت كلا منهما منكراً على السيد عبد الحسين نور الدين قوله ان الشيعة بمقتضى مذهبهم لا يمكن أن يتفقوا مع أهل السنة لاعتقادهم أنهم غير متبعين لسبيل المؤمنين

فأما الاستاذ الأكبر الشيخ محمد حسين فقد كتبت اليه عند ما تفضل بتوديعي في القدس ساعة سفري منها كتاباً سألت فيه كتاباً رأيه في المسألة فأرسل الي جوابه بعد عودته الى النجف وسأشره في مقال خاص في موضوع الاتفاق وأما الاستاذان السوريان فلم يطلباني كتاباً ولم يرسلاني شيئاً فأرجو منهما أن يكتباني في

الموضوع ما أقنع به قراء المنار بما سأجدد الدعوة اليه من الاتفاق والايلاف ، وأرجو مثل هذا من الاستاذ الشيخ عارف الزين ، واذا أمكنه أخذ كتاب أو مضاء من العلامة المجتهد الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين وغيره فان الفائدة تكون أتم ، فان هذا الاستاذ قد لاقته مراراً في بيروت وحدثته في وجوب السعي للاتفاق ، فوجدت رأيه موافقاً لرأيي ، وقد اتفقتنا يومئذ على كلمته في الطائفتين « فرقتهما السياسة وستجمعهما السياسة » وسبق لي ذكر هذه الكلمة في المنار وقد علم هؤلاء وسائر قراء المنار ان الذي دعاني بل دعاني الى الرد على الشيعة بل غلاتهم الملقين بالرافضة ذلك الكتاب الحديث الذي لفته ملفقه في تكفير الوهابية كافة وشيخ الاسلام ابن تيمية وصاحب المنار خاصة ... وما كان من تقرير بجملة العرفان ونشرها له وعدم سماع كلمة من علماء الشيعة في الانكار على ملفقه . دع فتنة العراق المشهورة وذيولها بين الشيعة والنجديين وكانت بدسائس المستعمرين ولكن جاءني رسالة طويلة جداً في مناظرة طويلة لعالم سني مع بعض الشيعة في المحمرة لم أنشرها لانها تزيد الشقاق احتداماً

(كتاب ورسالة من سائح شيعي أديب في الانكار على السيد عبد الحسين نور الدين)

سيدي الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا المبجل

بعد التحية : لا شك ان حضرتكم تعرفون ما يوجبه الدين ويحتمه الوجدان والحق على كل منا في مثل هذا اليوم المصيب ، وقد أثر المقال الذي نشرتموه في مجلتكم الفراء بامضاء السيد عبد الحسين نور الدين العالمي في تأثيراً اضطرني الى تحرير كلمة حول الموضوع رغم العناء ومشقات السفر ، واني لا أنتظر ان يسارع اخواني وأساتذتي الى نشر حقيقة هذا الرجل وصدده فيما بعد عن الخوض في مثل موضوعه ذلك المتطرف . وأملّي الوحيد أن تسارعوا في نشر ما نجدونه طياً وأشكركم من صميم قلبي ، وأقدر أعمالكم ودعائكم الاصلاحية بكل عواطفني ، وتقبلوا مزيد تقدير مخلصكم واحترامه .

المخلص السائح العربي

عبد الهادي آل الجواهري

﴿ نظرة حول مناظرة ﴾

لقد كان من الصعب عليّ وأنا بين عوامل لا تسمح لي أن أخوض في بحث كمذا لكثرة انشغالي وتشوش بالي من كثرة الاسفار وفراق الاوطان وتعدد المصائب والاحزان .

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

نعم والله تكاثرت وتعدد المؤثرات المحزنة المشجبة ، وقد كان الأجدد والأليق باخواني الذين أعهد فيهم الغيرة والحمية من أبناء العروبة والاسلام ، والاساتذة الذين وقفوا أقلامهم لمكافحة الحشرات التي نخرت عظامنا وأنهكت قوائنا ، ومقاومة تلك الدعايات التي يقوم بها بعض أولئك المأجورين باسم الدين والمذهب ، وأن يتصدوا للعلم أولئك الأوغاد الذين ينهزون الفرص لوصمنا بوحدةنا في الصميم ولينصيدوا بالماء العكر ، أولئك الذين لم يجدوا لهم مورداً شريفاً في هذا المجتمع يسدون به طمعهم ويملأون به جيوبهم وعيابهم إلا إثارة العواطف المذهبية والنزعات الطائفية يغرون بها البسطاء الجبهة ممن لم يعرفوا الدين معنى ولا شريعة قيمة . من الأسف - وليس يجدي نفعا - أن نجد بعض أولئك المتزعمين باسم الدين يستغلون (ومن دون غيرهم) التهويش باسم الدين ويحتكرون سمعته لاغراضهم وأطماعهم ، فاذا ما وجدوا مجالا ليمثلوا دورهم على مسرح المذهبية أخذوا يعرضون (فلم) روايتهم المشؤومة المحزنة على رؤوس بعض السذج البسطاء والسوقة

باسم الدين تزعم بعضهم ويأجبذوا لو قام ببعض ما تقتضيه هذه المهمة (ولو كانت مدعاة) من عظيم الاعمال ، فينتهز الفرصة ويبرهن على أهليته وكفاءته لهذا المنصب الجليل المهم ، فيؤلفوا بين النزعات ، ويوحدوا القلوب والغايات ، ويظهروا مزايا الدين وينشروا محاسنه ايجلبوا اليه الانظار ويجبيوه في عين الاجنبي ، لا أن يجعلوه واسطة للتنافر والتعادي ويظهروه بأسوأ مظهر وأخزى منظر ، كي ينفر منه البعيد الاجنبي الذي يسعى وهو لا يعرف منه إلا انه دين أحزاب وخراب ، وتنافر وبغضاء وشقاء ، على لسان من يدعون الزعامة الدينية في الجرائد والمجلات .

أليس كذلك أيها القارئ؟ أليس إن مجلاتنا وصحفنا نراها طافحة بالسباب وشتم بعضنا بعضا؟ وما كفانا ذلك حتى أخذنا نتحرش ونتجاسر حتى على أولئك المقبورين المدفونين منذ ألف وثلاثمائة سنة. ألسنا وقد خصصنا أوقاتنا وأوقفنا أقلامنا، وبذلنا دراهمنا، واشغلنا مطابعنا، وأنهكنا أفكارنا وأدمغتنا، وسهرنا الليالي والأيام، لنخلق لنا هذه المشاكل المذهبية والمنجمل لنا عقبة لن نذلل؟ ألسنا ونحن أصبحنا بفضل هذه كلها في مؤخرة العالم والمجتمع وعبيداً للأجانب يفترس بعضنا الآخر وكل ذلك في مصلحة الاجنبي الغربي

أليس نظرة واحدة إلى ماضينا المجيد حين كنا تحت راية واحدة وقد ما مكنا زمام أكثر العالم، وركزنا تلك الراية في قلب الغرب تكفيها وتدانا على الفرق بين ذلك الزمن والزمن الذي ابتدأت فيه نار الفتنة الطائفية والنزعات المذهبية، وما وصلنا إليه اليوم من حالة لا يرجى لها خير؟ أليس السبب في ذلك كله هو التخاذل والتباعد باسم الصالح والاسلام؟ وحاشا للاسلام أن تكون هذه مبادئه، بل حاشا للصالح أن يرضى هذه الاساليب والمبتكرات، حاشا ثم حاشا. أوليس دين الاسلام هو دين التآخي والتآلف؟ دين الوحدة والوئام؟ باسم عمر وعلي نطعن هذا الدين في الصميم؟ باسمهما نمزق أوصل هذا الدين ونشتت شمله؟ وتعلم وحدته ونظيمه؟ حاشاهما أن يعذراكم يا قوم، وأن يرضيا هذه الافعال والاعمال، وباسمهما تتفرقون وتتشتتون؟ فاتقوا الله يا قوم فيهما

هلموا يا قوم وأمعنوا نظركم، وتتبعوا التواريخ، فانكم تجدون السبب كله في هذا التطاحن المذهبي هو تدخل الاجانب في أمورنا الدينية، وتشبههم باسم الدين في تفريقنا وتباغضنا، والعار كل العار أن نكون وفق مشيئتهم ونحت إرادتهم، وأن نستسلم مذهنين لما يفرضونه علينا من التنابد والتعادي

والأسف كل الأسف أن تلعب بنا الاهواء والنزعات، وتقودنا فئة ذات أطماع واغراض باسم الدين والاسلام إلى الهاوي والهلكات، وهم بعيدون كل البعد (لو تحققنا) عن الاسلام ومبادئه ما جورون بدعايتهم هذه ومستخدمون بمبادئهم تلك.

في هذا اليوم وقد أخذ الكل يشعر بالحاجة إلى التآلف وتوحيد الصفوف

أمام الاستعمار وسيله الجارف - في هذا اليوم الذي نئن فيه من انشقاقنا وانخذالنا - في هذا اليوم الذي سهل على المدو أن يمص آخر قطرة من دماننا وينخر عظامنا، يظهر لنا حضرة السيد عبد الحسين نور الدين العاملي في النبطية بمقاله المنشور في المنار الجزء الاول من المجلد الثاني والثلاثين سنة ١٣٥٠ مناظراً فيه حضرة الاستاذ صاحب المنار السيد محمد رشيد رضا يمثل الشيعة ويمبر عنهم في ذلك المقال المزيف المملوء خطأ وركه ، والذي ينكره عليه الشيعة انفسهم ، والذي اعتبره حضرته اسباباً للصلح ، وفاتحة لعقد التفاهم والمودة ما بين اهل السنة والشيعة وقد كنت أنتظر من اخواني الشيعة في العراق وسورية أن يسارعوا في احتجاجهم واستنكارهم على هذا الرجل المدعي ، وأن يعجلوا في كم فمه والضرب على يده ، كي لا يعود لمثله أبداً ، ولا زلت أنتظر من الشيعة في القطارين الشقيقتين ان يعلنوا استنكارهم من هذه الفئة المتعجرفة وبراءتهم من هذا الحزب المتعصب المأجور ، الذي جرم الى الهلاك والتدهور ، وأن لا يتماهل المصلحون الذين اعهد فيهم الحرس على سممة الاسلام في تدارك ما جاء على لسان هذا الرجل ، وينشروا حقيقة روح المسالة والمودة الاكيدتين بين اخوانهم السنيين والشيعة ، ويدعو بعضهم البعض الى حسم هذا الخلاف واتمام فصول هذه الرواية المحزنة ، وليجعلونا نسير والكل منا ينشد :

ما مذهب السني إلا مذهب الزيدي والشيعة والوهابي
الدين يبرأ من تطاحن اهل - والأخذ بالتهويل والارهاب
ان الشقاء وان تطاول عهده آبت به الايام شر مآب
أامذهب يتقاتلون وحولهم إآب العداة تهم بالاسلاب

وأعود فأقول بالرغم من شنود حضرة السيد عبد الحسين نور الدين عن الموضوع المتفق عليه في المناظرة، وخروجه عن الخطة المرسومة، فقد جاء في المقال ما لفظه (روي في كنز الاعمال على هامش مسند احمد ص ٤٣) ان علياً سئل عن كثرة ما يرويه عن رسول الله ﷺ فقال : كنت اذا سأله أنبأني واذا سكنت ابتدأني) وقد راجعنا هامش الستة مجلدات من مسند احمد فلم نجد لذلك أثراً

وجاء أيضاً في المقال نفسه (روى المحدث الجليل الموثق عند اخواننا وهو محمد ابن سعد في الطبقات جزء ٣ صفحة ٢٧٣ باسناده عن أبي هريرة قال : قدمت على عمر (رض) من عند أبي موسى بثمانمائة الف درهم فقال لي : ألم اقل لك انك يمان احق ، انك قدمت بثمانين ألفا . فقلت بأمر المؤمنين انما قدمت بثمانمائة الف درهم ، فجعل يمجب ويكررها ، فقال ويحك وكم ثمانمائة الف درهم ؟ فعددت مائة الف ومائة الف حتى عددت ثمانمائة) وقد راجعنا ايضاً في طبقات ابن سعد فلم نجد لذلك أثراً . وهكذا قد لفق حضرته مقاله وادعى فيه انه جاء يريد بذلك الاتفاق والتآخي ، وهو أبعد ما يكون من روح الوفاق والوثام ، لما ضمنه من اجل وكلمات لا يوافقه عليها الشيعة انفسهم (طبعاً) وكان الأخرى بصاحب (كذا) أن ينتخب لو اراد التفاهم وإزالة الخلاف ان يختار من أولئك المصلحين القادرين الذين لا اخال حضرته بجهلهم من اخوانه (الشيعة) في العراق وسورية

اما أن يتصدى أمثال السيد عبد الحسين نور الدين ويتزعم باسم الفرقة الشيعية والذي أعرفه منه أنه لا يملك حريته الشخصية فضلاً عن الملايين ، وأنه مأجور لبعض العلماء الايرانيين (في النجف) ثم يجيء حضرة الاستاذ صاحب المنار ويفتح له مجلته للذشر ، فذاك أمر يزيد الطين بلة ، ويوسع شقة الخلاف ، وحينئذ يتعذر على المصلحين الحقيقين تلافي الخطر ^(١)

وإني أعلم بصفتي أحد الشيعة ومن بيت له مكانته الدينية عند الشيعة ومطمن من أن كلامي هذه سوف يشكرها عليّ حضرة السيد عبد الحسين وأتباعه الماجورون ، ولسكني اعتقد أيضاً أنها سوف تلاقي استحساناً من حضرات العلماء والاساتذة المصلحين ، ومن إخواني الشيعيين جميعاً الذين أخذوا يشعرون بحاجتهم الى التعاون والتفاهم مع اخوانهم ، وأنهم ينفرون من أعمال هذه الفئة المتعصبة المعدودة ، التي لازالت تشوه سمعتنا وتسيء الينا في الخارج ، وهم غير مؤيدين من عشر الشيعة ، ولم يوافقهم أحد على ما يقولون ويدعون . وأملّي الاكيد أن سوف يعرف رجال

(١) المنار : انما فتحنا الباب لمناظرة علمية يقصد بها جمع الكلمة فلما رأينا الرسالة الاولى على خلاف الشرط والقصد فوضنا أمر الحكم فيها الى علماء الشيعة

الاصلاح وزعماؤه غايات أمثال السيد عبد الحسين فلا يدعوا لهم. مجالا بعد
هذا لبث سمومهم القتالة ، وان يعرفوا العالم هويات هؤلاء ومرامهم ، وان بعد
هذا لنا عليهم حساب (وما ربك بعاقل عما يعمل الظالمون) السامح العربي

الحجاز ١٤ رجب سنة ١٣٥٠ عبد الهادي آل الجواهري

(المنار) اننا نشكر لهذا السامح الكريم من هذا البيت العريق غيرته الاسلامية
التي لاشك في أن فوائد السياحة وعبرها تزيد في اذكاء نارها، وتألّق أنوارها ،
واني لأوافق على أن دعاة التفريق بين المسلمين بمصيبة المذاهب أصحاب أهواء
وطلاب مال وجاه ، وان دسائس الاجانب والمتعصبين تعبت بهم من حيث يدرون
ومن حيث لا يدرون، وهذا مالا يشك فيه أحد من المختبرين الواقفين على الحقائق،
واني على هذا العلم لأجرأ على تبرئة السيد عبد الحسين نور الدين من سوء النية
أو خدمة دسائس بعض الايرانيين أو المستعمرين الذين يستفيدون من غلوه ، ولا
زال على رأي السابق فيه وهو انه ذو وجدان خيالي ديني مستحوذ عليه فهو يعتقدا بقول

﴿ الرد على السيد عبد الحسين نور الدين لا على الشيعة في المفاضلة بين الخليفين ﴾

لا مندوحة لي وقد نشرت هذه الرسالة على منكراتها من الرد عليها ، ليرى
صاحبها قيمة حججه في مسألة التفاضل بين عمر وعلي رضوان الله عليهما ، وان بعض
ماماه براهين قطعية، لا يبدو أن يكون شبهات خطائية، وتخيلات شمرية ، لا يصح
في الشرع ولا العقل أن تجعل من عقائد الدين ، ويجعل الخلاف فيها سبباً للشقاق
بين المسلمين ، وان من أكبر الخذلان، واتباع خطوات الشيطان، أن يجعل الخلاف
الطالح مسألة المفاضلة بين الخليفين من أصول الدين ، التي يقذف فيها المخالف
بأنه « غير متبع سبيل المؤمنين » مع العلم القطعي بأن علياً كان ولياً ونصيراً وظهيراً
وقاضياً ووزيراً لعمر ، وانه فضله هو وأبو بكر على نفسه وسائر أصحاب رسول الله
ﷺ كما رواه أحمد والبخاري وغيره بالاسانيد الصحيحة ، يقابله ما علم واشتهر من تقديم
عمر له في التعظيم والشورى والقضاء ، ومن تفضيله على نفسه ما قاله عمر لابنه عبد الله

حين عاتبه على تفضيل الحسن والحسين عليهما السلام عليه في العطاء فقال له : ألك أب كأبيهما أو جد كجدهما ؟ كما نقله الرضي في نهج البلاغة

أليس أمير المؤمنين علي (ع. م) هو القدوة الأكبر بعد رسول الله ﷺ المصوم عند اخواننا الشيعة فلماذا لا يتبعونه في إجلال أبي بكر وعمر وكذا عثمان لأجل جمع كلمة المسلمين ، وإعلاء كلمة الدين ، وإن كان أحق بالخلافة منه عندهم ، أوليس هو وعمر عند أهل السنة في درجة واحدة من الخلافة الراشدة ؟ وقد قال النبي ﷺ «فمليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ» فالنافي هذا العصر لا تمدي بهما في الولاية والتعاون على مصلحة المسلمين ، وتعلق إلى ما لا يبلغه من التفاضل بين علميهما ؟ ألا إننا سنعمل ذلك رغم أنوف المتعصبين الخياليين والمأجورين تفنيد ما سماه البراهين القاطعة على تفضيل علي

خلاصة براهينه أن عمر أسلم في السنة السادسة من البعثة وعمره ست وعشرون سنة ، ومكث مدة ثلاث سنين لا يرى النبي ﷺ إلا نادراً وهي مدة حصار

في هاشم وبني المطلب في الشعب

ونتيجة هذا انه طلب العلم في سن لم يسمع المعارض أن أحداً طلب العلم فيها وبرع فيه - فهذا برهان عقلي عنده على ان عمر لم يبرع في علم الاسلام (اه ص ٦٦) وأما علي فقد ضمه اليه النبي ﷺ وهو ابن أربع سنوات ولم يفارقه في طول حياته إلا في أوقات قليلة فقد تلقى العلوم من سن الطفولة التي هي سن التحصيل ، وفي الزمن الطويل - فهذا برهان عقلي على انه فاق عمر وسائر الصحابة في علوم الاسلام كلها مع ذلك كانه النادر (اه ص ٦٧ - ٦٩)

أقول (١) ان العلم الذي دعا اليه النبي ﷺ لم يكن فيه شيء من الفنون الخاصة بالاطفال التي تؤخذ بحفظ العبارات أولاً ثم تفهم بالتدريج البعدي الذي يراعى فيه سن الطفل ونمو مداركه ، وإنما دعا إلى علم لا يوجه إلا إلى العقلاء المكلفين ، وأوله توحيد الله تعالى والإيمان بآلائه وكتبه ورسوله وبالبعث والجزاء ثم بأصول الفضائل وعبادة الله تعالى بالصلاة والذكر والفكر ، وينبوع هذا العلم كله القرآن وقد بلغ كله للجميع ، وإنما كان النبي ﷺ مبيناً له بسنته العملية والقولية ، وكانوا

يتفاضلون في العلم بفهم القرآن . وقد سأل أبو جحيفة عليا (ع . م) هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء من العلم ؟ فقال : لا والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، إلا أن يؤتي الله عبداً فهما في القرآن وما في هذه الصحيفة — يعني كرم الله وجهه صحيفة كان ربها بسيفه فيها أحكام عقل الدية وفكك الأسير وتحريم المدينة كمكة وعدم قتل المؤمن بالكافر . والحديث صحيح رواه أحمد والبخاري في مواضع متعددة من المسند والجامع الصحيح ورواه غيرهما أيضاً . ولم ينقل أن النبي ﷺ بلغ عشرته في الشعب شيئاً من التشريع ولا أن علياً أو غيره قال ذلك ، بل من المعلوم الذي لا خلاف فيه أن أكثر الأحكام التشريعية كانت بعد الهجرة

(٢) الإنسان كما يقول الأطباء لا يكتمل نموه الجسدي والعقلي الطبيعي إلا بأكمل ٢٥ سنة التي هي ربع العمر الطبيعي المعتدل ، ومن المعلوم بالتجارب في المدارس وغيرها أن ابن ٢٦ سنة أقوى فعلاً لمسائل العقلية من اعتقادية وتشريعية من الطفل المميز والبالغ الذي لم يكتمل نموه ، وإن أكثر الذين يطيلون المكث في مدارس التعليم أقلهم نبوغاً فأشهر الحكماء والنابغين لم يمتكثوا في المدارس إلا قليلاً . وقد سمعت أستاذنا الشيخ حسين الجبر يقول لاسيد علي الثمين نقيب الاشراف بطرابلس في تلميذه : انه ساوى في السنة الأولى الأذكياء الذين سبقوه في طلب العلم بسبع سنين (٣) من المعلوم عند علماء النفس وعلماء التاريخ أن من كان قوي الاستعداد

لحفظ يزداد في الشباب قوة باستعمال استعداده كما يعلم من تراجم حفاظ الحديث . ولما حفظ ابن عباس قصيدة عمر بن أبي ربيعة من سماعها مرة واحدة كان كهلاً لا شاباً ولا طفلاً ، وعجب ممن عجب من ذلك فقال : وهل يسمع الإنسان شيئاً ولا يحفظه ؟ وأملى الحافظ ابن حجر ألف درس من حفظه وكان كهلاً ، ومن المعلوم أيضاً أن ملكة الحفظ في العرب كانت قوية جداً لاعتمادهم عليها . وكذلك كانت عند غيرهم من الأمم قبل تعلم الكتابة والاعتماد عليها في حفظ العلم في تاريخ اليونان القديم أن عقلاءهم اعترضوا على اقتباسهم من الكتابة من المصريين بأن الاعتماد عليها يضعف ملكة الحفظ

(٤) ما جعل الله لرجل من قلوبين ، وزيادة بعض القوى يقابلها نقص غيرها ، فمن كان أكثر حفظاً للنصوص الشرعية كالقرآن والحديث أو اللغة قلما يساوي في فهمها والتفقه

ففيها من يعنى بفهمها دون حفظها . وقد علم بالتجربة ان قوة الاستعداد للحفظ قلما تتفق مع قوة الاستعداد للفهم والحكم في المعاني ، فأكثر حفاظ الحديث غير فقهاء فيه ، وأكثر الفقهاء غير حفاظ له ، وكذا علماء المعقول قلما تجدد في كبارهم حفاظا للحديث والآثار أو من يسمى محدثا . وقد كان أبو حنيفة يعد أفقه أئمة المذاهب المشهورة وهو أقلهم حفظا . وكان أحمد بن حنبل أحفظهم وقد قال فيه الامام ابن جرير انه محدث لا فقيه . بل يروى ان الشافعي قال لأحمد على ما اشتهر من إجلاله له : اذا صح عندكم الحديث فأخبرونا به فأنتم أعلم بروايته ونحن أعلم بفقهاءه ، او ما هذا معناه (٥) ان فائدة حفظ النصوص تبليغها للناس ، وإننا نرى المروي عن عمر من الحديث في البخاري وفي مسند أحمد أكثر من المروي عن علي وهو لم يرو الا عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وأبي بن كعب . وعلي قد روى عنه وعن أبي بكر والمقداد بن الاسود رضي الله عنهم . وكذا عن فاطمة عليها السلام ، والمروي عن أبي هريرة الذي اسلم في السنة السادسة من الهجرة أكثر مما روي عن الخلفاء الأربعة ، وعن العبادلة الذين هم أكثر رواية من الخلفاء ولكنهم يلوّنهم في فقه الدين وحكمه . وكان أبو هريرة دون كل واحد منهم في علوم الاسلام الالهية والشرعية فقول هذا السيد في براهينه القطعية عنده « فكان أعلمهم أكثرهم حفظا وأقوام حافظه » غير صحيح وإلا لكان أبو هريرة أعلم الصحابة على الإطلاق ، ثم انه معارض ببرهانه القطعي الآخر ان المتأخر في الزمن في التلقي عن الرسول ﷺ لا يبلغ شأوا المتقدم . ثم ان كون علي أكثرهم حفظا وأقوام ذاكرة لا دليل عليه من عقل ولا من نقل ، لان مثله لا يثبت إلا بامتحان استقرائي تام وهو لم يقع تاما ولا ناقصا ، وإن كان في نفسه غير كثير عليه

ومن غرائب براهينه القطعية الخاصة بمنطقه استدلاله بذاكرته وذاكرة بعض معارفه إذ قال انه لم يكن ينسى في شبابه شيئا سمعه أو قرأه وكان يتعجب ممن ينسى ، وبعد : يرغى الثلاثين انقلب الامر وانعكس وأصبح يتعجب ممن يحفظ ولا ينسى ، وانه ما شكك هذا الداء لأحد إلا وشكاه له مثله فكان انه هو وأصحابه الذين شكاهم حاله حجة الله القطعية على البشرية والمعياري لنابغي العلماء والحفاظ ومثل عمر

ابن الخطاب . وأنا أقول له انني بعد بلوغي الستين لم أنس شيئاً مما سمعته وقرأته إلا الامور الثافهة التي لا ألقى لها بالا ولا أحب أن أحفظها ولا أن أعيدها إذا ذكرتها ، ولكنني منذ الصغر قليل الحفظ لاسماء الاعلام والارقام واستحضار ما لم يتكرر على ذهني منها ، وقوي الحفظ سريع الاستحضار للمسائل العلمية ولا سيما العقولة منها . ومن عادي انني إذا ألقيت خطبة أو محاضرة أو سمعتها من غيري ونويت ان أعيدها أو أكتبها فاني أعيدها بما يقرب من الفاظها وبتحديد معانيها ، وإذا لم أنو هذا فاني أتذكرها بعد ذلك بالاجمال لا بالتفصيل

مثال ذلك بعض الخطب التي ألقيتها في سورية سنة الدستور وبعض الخطب التي ألقيتها في الهند فاني كتبتها للمنازل بعد إلقائها في مدد قصيرة او طويلة ورأيت الذين سمعوها يقولون انني لم أتذكر مما قلته شيئاً . ومنها الخطبة التي ارتجلتها في مدرسة عليكرة الاسلامية الجامعة في الهند وموضوعها التربية وأنواعها وفلسفتها - اقترحت علي عند عقد الحفلة التي أقامها طلاب المدرسة لي ، ثم اقترح علي بعد الاحتفال أن أكتبها فلم اجد فرصة لذلك مدة مكثي في الهند ولكنني كتبتها في مسقط وأرسلتها إلى عمدة المدرسة وكانوا قد كتبوا كل ما وعوه منها بطريقة الاختزال فلما وصل اليهم ما كتبت وجدوه اوفى وأضبط مما كتبوا ، ولقد رويت عن شيخنا الاستاذ الامام في تاريخي له أموراً كثيرة سمعتها أو حضرتها بعد الثلاثين ودونها بعد الستين ونشرت له خطبا ارتجالية في عهده لم يستدرك علي منها كلمة (٦) لو كان التفاضل في العلم عند الصحابة بالرواية لتنافسوا فيها ولكتب

الكاتبون منهم ما سمعوه ووعوه ولم ينقل عنهم هذا بل المنقول خلافه

(٧) من المقرر عند العلماء ان العلوم والاعمال التي يتعدى نفعها افضل وأكثر ثوابا من القاصرة على صاحبها ، ومن المعلوم الذي لا خلاف فيه بين المحدثين والمؤرخين للاسلام ودوله ان علوم عمر وأعماله كانت انفع من علوم سائر الخلفاء في نشر الاسلام واهتداء الشعوب به وفتوحه وما اشتهر به من العدل والفضائل (٨) من المعلوم الذي لا مرية فيه بين الواقفين على تواريخ الامم وسنن الاجتماع البشري ان ارقى البشر عقلا وعلماء نفسياً هم أقدرهم على سياسة الشعوب وإقامة

الدول ، وان هؤلاء مفضلون على الحناظر والعلماء الفنيين الذين يقومون ببعض الاعمال الجزئية في الدولة ، وهذا هو العلم الذي يرجح صاحبه على من دونه فيه لتولي الحكم العام كالخلافة والملك . ومن دعائم هذا العلم معرفة استعداد الافراد الذين يصلحون للسياسة والادارة والقضاء وقيادة الجيوش ، ومن المعلوم من التاريخ بالتواتر والعمل ان عمر (رض) كان في الذروة العليا من نابي البشر وأقذاذ الامم في هذا الامر علما وعملا يشهد له بهذا علماء هذا الشأن من جميع الشعوب . وبعض علماء اوروبا وفلاسفتهم اقوال في ذلك مشهورة ومدونة

فلو كان العلم الذي يفضل صاحبه على غيره في الخلافة وإدارة سياسة الامة هو كثرة الحفظ للاحاديث وضبط الروايات لكان ابو هريرة وأنس بن مالك أول من ولاهم الخلفاء الراشدون ولا سيما عمر على الامصار ، ولو كان الذي يصلح لذلك أصحاب المبالغة في الزهد والعبادة لكان أبو ذر وأبو الدرداء وأبو موسى الاشعري مقدمين على غيرهم للولاية والسياسة وإدارة أمور الشعوب

وجملة القول في براهين السيد عبد الحسين نور الدين العقلية انها ليس فيها قياس منطقي مؤلف من مقدمات يقينية تصلح لتأليف برهان عقلي ، وإنما جاء بروايات نقلية لا يمكنه إثباتها كلها ، وإنما بعضها صحيح كتقدم إسلام علي على إسلام عمر وهو لا يدل على ما استدل به عليه ، وبعضها لا يصح وهو على فرض صحته لا ينتج مع غيره ما فهمه منه بطريقة القياس البرهاني لما يبناه من الحقائق الفلسفية والتاريخية على أننا نقول ان كلا من عمر وعلي (رض) من أفراد البشر الممتازين بالعبقرية العليا . فعمر جدير بأن يفهم في الزمن القصير من القرآن والسنة ما لم يفهمه غيره في الزمن الطويل وهو الذي شهد له الرسول بأنه من المحدثين (بفتح الدال المشددة) أي الملمهمين المفهمين من الله تعالى ، وبأن الله جعل الحق على لسانه وقلبه ، وهو هو الذي نزل القرآن مرارا موافقا لرأيه وقال فيه الرسول ﷺ « لو كان بعدى نبي لكان عمر » رواه احمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وأقره الذهبي وكان في شبابه صاحب سفارة قريش وعمدتهم في المفاخرة والمنافرة فلولا انه من احفظهم وافصحهم واقوام حجة لما لوه ذلك ، فاذا كان قد سبقه اربعون رجلا

إلى الاسلام فلا يمكن لمن يفضل علياً وأبا بكر عليه في علمها أن يفضل عليه باقي الأربعين .
والتفاضل بين الثلاثة انفسهم لا يسهل أن يثبت بقياس برهاني — وإنما الدلائل
القطعية في فضائل عمرو علي هي ما ثبت بالتواتر من سيرتها العملية التي لا تحتمل التأويل
دلائل مناظرنا النقلية

ان ما ذكره الاستاذ السيد عبدالحسين نور الدين من الروايات النقلية التي بنى
عليها استدلاله تدل على انه لا يوثق بنقله وان عين مواضعه بالارقام ، ولا بتعيينه
بين ما يصح من الروايات وما لا يصح ، ولا بفهمه لما ينقله . وهاك البيان مختصراً
(١) ما نقله عن مختصر كنز العمال من هامش ص ٤٣ من مسند الامام أحمد
وقد أنكره عليه السائح العربي ، وإنما هو في ص ٤٦ منه ج ٥ وهو روايتان —
إحداهما عن علي ولم ينقلها ولفظها : كنت إذا سألت رسول الله ﷺ أعطاني وإذا
سكت ابتدأني . وهذه أخرجه ابن أبي شيبة والترمذي عن طريق عبد الله بن هند وهو
المرادي الجملي الكوفي وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وأقول
ان عبد الله بن هند لم يثبت سماعه عن علي وهو صدوق — والثانية التي نقلها وهي :
عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب انه قيل لابي : مالك أكثر أصحاب رسول الله
ﷺ حديثاً ؟ فقال اني كنت إذا سأله أنبأني وإذا سكت ابتدأني . رواه ابن
سعداهو محمد بن عمر هذا لم يسمع من جده علي ولم يذكر من حديثه عنه ، وفي روايته
من جهة المتن انه لم يثبت ان علياً كرم الله وجهه كان أكثر الصحابة حديثاً أيضاً
(٢) ما نقله عن ص ٢٧٣ ج ٣ من طبقات ابن سعد وهو رواية قدوم أبي هريرة من
عند أبي موسى بن ثمانمائة الف درهم ، وقد أنكره عليه السائح العربي أيضاً وهو في
ص ٦١٦ ج ٣ (طبعة أوربية) وهذا لفظه : اخبرنا يزيد بن هارون نا محمد بن عمرو
عن أبي سلمة عن أبي هريرة انه قدم على عمر من البحرين . قال ابو هريرة فلقيته في
صلاة العشاء الآخرة فسلمت عليه فساألني عن الناس ثم قال لي : ماذا جئت به ؟
قلت جئت بخمسمائة الف درهم . قال هل تدري ما تقول ؟ قلت جئت بخمسمائة
الف درهم . قال ماذا تقول ؟ قلت : مائة الف ، مائة الف ، مائة الف حتى عدت
خمساً . قال انك ناعس فارجم إلى اهلك فتم فاذا أصبحت فأتني . فقال ابو هريرة

فقدوت اليه فقال ماذا جئت به ؟ قلت جئت بخمسمائة ألف درهم . قال عمر : أطيّب ؟ قلت نعم لا أعلم إلا ذلك . فقال للناس انه قدم عليكم مال كثير فان شئتم أن نعد لكم عدداً وان شئتم أن نسكيه لكم كيلاً ؟ ثم ذكر مسألة انشائه الديوان اقول (أولاً) ان السيد نور الدين لعدم وقوفه على علوم الحديث ومصطلحات أهلها يقول إذا نقل شيئاً عن كتاب : ان صاحبه موثق عند اخواننا . كما قال في ابن سعد ، وإذا كان ابن سعد ثقة فلا يقتضي أن يكون كل ما يرويه صحيحاً فهو يروي غير الصحيح كغيره من المحدثين وعذره انه يذكر السند الذي هو العمدة في تمييز الصحيح من غيره وقد قال هو نفسه في محمد بن عمرو راوي هذا الحديث : كان كثير الحديث يستضعف . وقل فيه يحيى بن معين : مازال الناس يتقون حديثه ، قيل له وما علة ذلك ؟ قال كان يحدث مرة عن أبي سلمة بالشيء من روايته ثم يحدث به مرة أخرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة اه أي مثل هذه الرواية

(ثانياً) ان هذه الرواية ليس فيها أدنى مطعن على علم عمر (رض) ولا على فهمه بل كل ما فيها انه استكثر هذا المال ان يجيء من البحرين فظن أن ابا هريرة مخطيء في بيانه لنعاس أو تعب طراً عليه — وهو معذور في استكثاره لما كانوا عليه من الضيق والعسر (٣) قوله : وروى احمد في مسنده ان عمر لم يعرف حكم الشك في الصلاة — وهذا من غرائب عدم فهمه إذا كان قد رواه بالمعنى وإلا كان اقتراء على المسند فانه ليس فيه ان عمر لم يعرف حكم الشك وإنما فيه عن محمد بن اسحاق عن مكحول عن كريب عن ابن عباس أنه قال له عمر : يا غلام هل سمعت من رسول الله ﷺ او من احد من اصحابه إذا شك الرجل في صلاته ماذا يصنع ؟ فبينما هو كذلك إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف فقل فيم انتما ؟ فقال عمر سألت هذا الغلام الخ فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا شك احدكم في صلاته فلم يدرك أو احدى صلى أم ثنتين وإذا لم يدرك صلى ثلاثاً أم اربعاً فليجعلها ثلاثاً ثم يسجد إذا فرغ من صلاته وهو جالس قبل ان يسلم»

وأقول (أولاً) ان السؤال لا يكون دائماً عن جهل بالمسؤول عنه بل قد يكون امتحاناً وقد يكون للتثبت في رواية مختلف فيها او متهم راويها وفي سجود السهو عدة روايات مختلفة

(وثانيا) ان هذا الحديث غير صحيح فانه رواية ابن اسحاق عن كريب وهو مدلس وقد عنعن فلا تقبل روايته، ومكحول رواه له مراسلا. قال ابن اسحاق فلقيت حسين بن عبد الله فقال لي هل اسنده لك؟ قلت لا لكنه حدثني ان كريبا حدثه به. وحسين ضعيف جداً. وقال ابن ابي خيثمة سمعت هارون بن معروف يقول ان مكحولا لم يسمع من كريب. اهـ ولكن ذكر في التهذيب انه سمع منه والله اعلم فهذه امثلة للروايات التي يعتمد عليها هذا المناظر في الطعن في علم عمر بن الخطاب مما ينقله عن المحدثين، فما قولك بما ينقله عن كتاب الاغانى وابن ابي الحديد؟

واني لأراه وأمثاله ممن يبحثون في الكتب عن شيء فيه طعن ما على من لهم هوى في نقل الطعن فيه من غير تمييز بين صحيحه وسقيمه كدعاة النصرانية (المبشرين) إذ ينظرون في القرآن الكريم وكتب الحديث والتفسير يتلمسون كلمة يمكن الطعن فيها او اتخاذها حجة على الاسلام والمسلمين ولو بالتحريف فينقلونها ويعتمدون عليها في تشكيك عوام المسلمين في دينهم، وإلا فما باله يختار من مسند احمد ما نقله كما فهمه لا كما وجدته ولم يعتبر بما رواه احمد فيه من طرق كثيرة عن علي انه قال: خير هذه الامة بعد نبيها ابوبكر وعمر ومنها انه قال ذلك وهو على المنبر؟ ومنها انه قاله لمن سأله ومنهم ابو جحيفة من جماعته ومفضليه على غيره.

هذا ومناظرنا يوجه هذا إلى صاحب المنار المشهور بالاشتغال بعلوم الحديث ونقد الروايات، وإنما يوجهه اليه لاجل المناظرة فيه فلولا انه مصدق لهذه الروايات ووافق بفهمه لها مع اقراره بضعف ذاكرته، لما جعلها من موضوع مناظرته معه أكتفي بهذه المباحث في تفنيد براهين الاستاذ عبد الحسين العقلي والنقلي ليعتبر به هو ومن يعرفه كلامه، ويعلم ان مثل هذا الذي جاء به لا يوصل إلى الغاية التي طلب المناظرة للاحكام لعله يحاسب نفسه ولا يجعل شعوره الخيالي وغلوه الوجداني حجة علمية وبراهين عقلية يحاول بها تحويل أهل السنة كلهم عن مذهبهم إلى مذهبه، فيجسم به كلمة المسلمين بوجهه. أما المناظرة العلمية في مسائل الخلاف فطريقها الوحيد أن تحدد مسائل الخلاف الاساسية تحريراً بمضيه أشهر علماء الشيعة في سوربة والنجف، وأما الاتفاق بدون مناظرة فهو ماسنيذنه في جزء آخر لعله الذي يلي هذا.



قال عليه القعدة والتقدم ان لا يسدوم فيرى . وضاع . كذا الطبع

ذي القعدة سنة ١٣٥٠ ق برج الحمل سنة ١٣١١ ش مارس سنة ١٩٣٢ م

فتاوى المنتار

﴿ تعليم أولاد المسلمين في المدارس اللادينية الحكومية وغيرها أو مدارس النصرانية ﴾

(س ٢٨) من حضرة صاحب الامضاء بثونس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ما رأيكم دام نفعمكم في من يدخل ابنه الصغير إحدى المكاتب (المدارس) الدولية وهي خالية من تعليم الدين الاسلامي وتدرّس اللغة العربية كما يجب بل كل تعليمها امتحان لنفس التلميذ حتى ينشأ ذليلاً محتقراً نفسه وأهله ، واعتناء باللغة الفرنسية اللطيفة ، والدافع إلى زج هذه الفلذة الصغيرة هو توقع ما تحقق أن الولد يؤخذ للخدمة الجندية ثلاثة أعوام إذا لم يحرز من تلك المكاتب على شهادة يتخلص بها من الجندية ، مع أن طرق الخلاص منها كثيرة واضحة إلا أن الشهادة (الدرسية) أضمن للخلاص من حيث المآل وراحة البال

فهل هذا يعد ضرورة حتى يرتكبه الآباء المحافظون على الدين الاسلامي ، والقومية (العربية) . وما يلاحظ أن بعض البلدان فقد منها تعليم القرآن المجيد فضلاً عن حفظه الناشئة المولودة بعد الحرب العظمى ؟ نرغب جوابكم السامي في هذه المزلقة التي انطبعت في فكر العارف والجاهل إلا من عصمه الله وقليل ما هم ، والفضل الأكبر لدعاية المعلمين العربيين بالمكاتب الذين هم مسوقون بأن يكونوا كشعوذة ودعاية بين أهلهم وذوهم حتى أني رأيت التوظف بها مع القدرة على التعيش من طريق آخر من أكبر الكباثر . فما رأيكم ؟ أطال حياتكم والسلام

من محرره فقير ربه الخائف لكل أمته في هذه البدعة

(م.خ)

(ج) ان تعليم الاولاد ما يجب عليهم من عقائد الاسلام وأحكامه عند ما يبلغون سن " كفاف ومبادئ اللغة العربية التي هي لغة الاسلام فرض على والديهم وأولياءهم ، فإذا كانا : ارس الدولة المذكورة في السؤال لا تمنع والديهم من تعليم ماذكر من الامور الدينية ولغتها ومن تربيتهم على هدي الاسلام وأخلاقه ومن أهمها عزة الله . فلا مانع من إدخالهم فيها ، وان كانت تمنعهم بما ذكر من التعليم والتربية الواجبين فلا يجوز لهم إدخالهم فيها ، وما ذكر في السؤال من الباعث على ذلك وهو التفصي من خدمة الجندية لا يصح أن يكون ضرورة ولا عذراً لهم ، بل ينبغي للمسلمين أو يجب عليهم العناية بتعليم أولادهم النظام العسكري بقدر الامكان هذا — وان في البلاد الاسلامية مدارس أخرى شراً من المدارس المذكورة في السؤال وهي مدارس دعاة النصرانية . وقد ثبت بالاختبار التام في جميع الاقطار الاسلامية أن المدارس التي تنشأها جمعيات الدعاية النصرانية انما تنشأ لنشر دينها وتربية التلاميذ والتلميذات فيها على عقائده وعباداته وآدابه ، وانها تتوخى مع ذلك إبعاد المسلمين والمسلمات منهم عن دين الاسلام بأساليب شيطانية تختلف باختلاف حال المسلمين في العلم والجهل . وان المدارس اللادينية التي تنشأها الجمعيات السياسية والاتحادية تتوخى بث الاتحاد ، بل الكفر المطلق بالرسول وما جاؤا به من الهدى والرشاد وقد ثبت بالاختبار ان الاتحاد في الدين قد فشا في المتعلمين في هذه المدارس كلها على درجات تختلف باختلاف أحوالهم ، فمنهم المعطلة الذين لا يؤمنون بالله ولا بملائكته وكتبه ورسله ، ولا بالبعث والجزاء . ومنهم الذين يؤمنون بالله ولا يؤمنون بالوحي والرسول . ومنهم الشاكون (أو اللأدريون) ومنهم الذين يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . ومنهم الذين يلتزمون الجنسية الدينية السياسية والاجتماعية في الزواج والارث والاعباد والمواسم والجنائز ولا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يحجون البيت الحرام ولا يصومون رمضان ، ومنهم من يلتزم حرمة شهر رمضان وعاداته وقد يصومون أياماً منه ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله من الخمر والميسر والزنا والربا إلا بالقول دون الفعل ومنهم من يصلي ويصوم أحياناً أو دائماً ولكنهم لا يعرفون كل ما يجب أن

يعرفه المسلم من عقائد الاسلام وأصول احكامه وآدابه

ومن آثار ذلك ما نراه من الفوضى في الامور الاسلامية الجهل ببعض الامور المعلومة من الاسلام بالضرورة التي اجمع علماء المسلمين سلفاً وخلفاً على كفر جاحدها ، وعدم عذر جاهلها ، والدعوة إلى مخالفتها في المحاضرات والمناظرات والكتابة والخطابة ، وإنك ترى هذا في الصحف المنشرة ، والرسائل والكتب المنكرة ، التي تكتب بأسماء إسلامية في الاحكام الشرعية كحقوق النساء وترجمة القرآن وغير ذلك ومن آثار ذلك ترجيح المترجمين وأولي العصبية الجنسية للغات الاجنبية على لغة الاسلام العربية — بل يجهلون ان الاسلام قد جعل لغة العرب لغة لكل المسلمين لتكون عبادتهم واحدة ، وشريعتهم واحدة ، وآدابهم واحدة ، ويصدق عليهم قوله تعالى (ان هذه أمتكم أمة واحدة) من كل وجه

فتعليم اولاد المسلمين في المدارس التبشيرية والمدارس اللادينية [لا ييك] قد جنى عليهم في دينهم ودنياهم وسياستهم وأوطانهم وسلبهم أكثر ما كانوا نالوه بهداية دينهم حتى لم يبق منه إلا القليل وهو على وشك الزوال

انهم اسلموا اولادهم وأفلاذ أجدادهم لأعدائهم لاجل أن يجعلوهم مثلهم فيما كانت به دولهم عزيزة قوية ، قطعوا عليهم الطريق المستقيم الذي يوصلهم إلى ذلك وهم لا يشعرون ولا يعقلون ، ثم انهم بعد ذلك كله يمارون الذين ينهبونهم ويبيئون لهم حقيقة حالم وسوء مآلهم

وأكبر المصائب على المسلمين انه ليس لهم دولة إسلامية تقيم الاسلام في علومه وسياسته وهدايته وتشريعه وتعليمه وتربيته فيرجعون اليها فيما يختلفون فيه من امورهم في بلادها وغير بلادها

وليس لهم جمعيات علمية دينية حكيمة غنية كجمعيات النصارى واليهود تنشيء لهم المدارس والملاجيء والمستشفيات الاسلامية فتقنيه بها عن الالتجاء إلى أعداء دينهم فيما صاروا يرونه ضروريا من التعليم الذي عليه مدار المعاش في هذا العصر ترك المسلمون هذه الامور التي هي من فروض الكفايات فكان من سوء تأثير تركها ارتكاب الافراد لمعصية الله تعالى في تعليم اولادهم في المدارس التي

بيننا ضررها وفسادها في دينهم ودنياهم

قد يفتر بعض الذين يعرفون الاسلام ويشقون بتربية أولادهم عليه فيظنون انه يمكنهم حفظ عقائد أولادهم مع تعليمهم في هذه المدارس، وقلما يصدق ظن احد منهم وضع أخى السيد صالح (رحمه الله) بنتاً له في مدرسة البنات الامير كانية بطرابلس الشام وهي ناشئة في بيت قلما يوجد نظير له في بيوت المسلمين في معرفة الاسلام والاعتصام به — وكان السيد صالح بارعاً في جدال القسوس والمبشرين شديداً المعارضة قوي الحجج، وكان يكون له الفلج والظفر بهم في كل مناظرة، لكنه كاد يعجز عن إقناع بنته بطلان ما لفتتها المدرسة من الاناشيد في ألوهية المسيح وفدائه للبشر أو انتزاع شعورها الوجداني به، فاضطر الى إخراجها من المدرسة قبل أن تتم مدتها. ثم كانت — على تدينها ومحافظتها على الصلوات والصيام وبقينها بتوحيد الله تعالى وكون المسيح عبده ورسوله — نحن الى المدرسة ونعتقد ان ناظرها (مس لا كرايج) من أفضل البشر، وفي هذا عبرة لمن اعتبر

﴿ إشكال في تفسير المنار في نقل العرب المناسك وتحريم الأشهر عن ابراهيم ﴾
{ س ٢٩ — ٣٢ من صاحب الامضاء في طرابلس الشام }

حضرة الاستاذ الفاضل علامة العصر، وفريد الدهر، الشيخ رشيد افندي رضا المحترم — السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تعالى (وبعد) فقد قرأت في العدد الاول من مجلد هذه السنة [يعني السنة الماضية] من مجلتكم الغراء ما يأتي:
بعد ما ذكرتم قوله تعالى (إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله) قلتم في تفسير هذه الآية: كانت العرب ورثت من ملة ابراهيم واسماعيل تحريم القتال في الأشهر الحرم لتأمين الحج وطرقه كما تقدم، كما ورثوا مناسك الحج، ولما طال عليهم الامد غيروا وبدلوا في المناسك وفي تحريم الأشهر الحرم ولا سيما شهر المحرم منها، فانه كان يشق عليهم ترك القتال وشن الغارات ثلاثة أشهر متوالية فأول ما بدلوا في ذلك إحلال الشهر المحرم بالتأويل وهو أن ينسؤا تحريمه إلى صفر

١٨٢ إشكال في ادث العرب المناسك من ملة ابراهيم المنار : ج ٣ م ٣٢

لتبقى الاشهر الحرم أربعة كما كانت، وفي ذلك مخالفة للنص والحكمة التحريم معاً) اهـ
فترجو من فضيلتكم أن نجيبونا على هذه الاسئلة الآتية على طريق الاستفادة
لان مجلتكم ترغب بنشر المباحث ليزداد النفع وتظهر حقية هذا الدين
أولاً - هل لدينا ما يثبت أن مناسك الحج وتحريم القتال في الاشهر الحرم هو
من شريعة سيدنا ابراهيم الخليل ؟ أين الكتب الدينية أو السند المتصل الذي
يثبت ذلك ويظهره ظهور الشمس في رابعة النهار ؟ - فتوارث ذلك عن أسلافهم
إلى أن يصل إلى ابراهيم الخليل لا يكون سنداً يعتد به في الامور الدينية لعدم
الثقة برجال الجاهلية لكونهم عبدة أوثان ، ولأن كل ما يفعلونه كانوا ينسبونه
إلى ابراهيم الخليل ، ولا يبعد أن تكون عبادتهم للاصنام ادعاءً منهم ان سيدنا
ابراهيم كان يعبدها

ثانياً - كيف يجعل الله عبادة الوثنيين ومناسكهم عبادة في الاسلام ومناسك
له ، والاسلام جاء ليجتث جذور الوثنية كما في تحريمه التشفع بالاولياء ، والصلحاء
لأنها تماثل ما يفعله الوثنيون

ثالثاً - إذا كانت العرب ورثت عن ابراهيم الخليل المناسك وتحريم القتال
في الاشهر الحرم يلزم ان تكون العرب قبل الاسلام أمة غير جاهلية لأنها صاحبة
شريعة ، وإن اعتقدنا أنها كانت أمة جاهلية لكونها غيرت وبدلت ما شرع ابراهيم
الخليل فتكون الامة الاسرائيلية أيضاً قبل ظهور السيد المسيح أمة جاهلية لانه كان
لها أحكام فغيرتها ، وعقائد حقة بدلتها

رابعاً - ما معنى كون العرب قبل الاسلام أمة جاهلية ؟ هل لكونها لم يرسل لها
نبي أو لكونها غيرت شريعة ابراهيم الخليل صلوات الله عليه ؟

ترجو الجواب على صفحات مجلتكم الغراء مؤيداً بالأدلة العقلية والنقلية، فلا
عدمت الامة الاسلامية أمثالكم ودمتم لها حصناً حصيناً وسيغاقطعاً لأعناق المعتدين
والسلام محمد فؤاد إشراقية

(ج) ان ما تنقله الامم بالعمل المتواتر لا يحتاج في إثباته إلى أسانيد قولية
محفوظة ولا مكتوبة كنقل الكلام، فصفة الصلاة وعددها وعدد الركعات فيها وصفة

مناسك الحج المجمع عليها من الطواف والسعي والوقوف - كل ذلك بينه النبي ﷺ بالعمل وجري عليه المسلمون بالعمل الى يومنا هذا ، وبذلك كان قطعياً يرتد جاحده عن الاسلام لا براوية المحدثين له بأسانيدهم في كتبهم . وكذلك العرب أخذت عن ابراهيم واسماعيل مناسك الحج التي أسندها الله تعالى البهاني كتابه ، وكذا تحريم القتال في الاشهر الحرم وعملوا بهما قرناً بعد قرن ، إلا أنهم أحدثوا فيها بدعاً كالنسي في الاشهر والعري للطواف ووضع الاصنام في البيت وغيره ، وكانت هذه البدع والأحداث معروفة عندهم هي ومن أحدثها إلا قليلاً منها ، ونقل هذا عنهم في كتب الحديث والتاريخ الاسلامي . ولم يكونوا يستندون عبادة الاصنام الى ابراهيم ﷺ وقد جاء في سيرة ابن اسحق ان النبي ﷺ قال « رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار لانه أول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان رسيب السائبة » الخ ورواه الطبري . اني بلفظ « غير دين ابراهيم » وهو الذي وضع صنمي أساف ونائلة على الصفا والمروة ولكن العمدة في التمييز بين ما كان من مناسك ابراهيم وما لم يكن منها انما هو كتاب الله وبيان النبي ﷺ وهو منقول في كتب الحديث ، فما أقره ﷺ من تلك المناسك قد صار مشروعاً لنا باقراره إياه لا بنقلهم له ، وقد كان الحس من قريش يقفون بالمزدلفة دون عرفات ويفضون منها وظنوا ان النبي ﷺ يفعل ذلك في حجة الوداع فوقف مع الناس وأفاض ونزل في ذلك [فاذا أفضتم من عرفات - الى قوله - ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس] وصوروا ابراهيم واسماعيل يستقيمان بالازلام فكذبهم النبي ﷺ بيانا لجعل الله ذلك من الفسق بل جاء شرعنا موافقاً لبعض عاداتهم فصارت مشروعة لنا ، وما كل عاداتهم ولا تقاليدهم كان قبيحاً فهذا جواب السؤالين الاول والثاني

وأما الجواب عن الثالث والرابع فهو أن حالة العرب قبل الاسلام سميت جاهلية لما كان يغلب عليهم من الجهل بالدين والشرائع وغلبة الامية والوثنية ومفاسدها عليهم ، ولا بنا في هذا تعظيمهم لابراهيم واسماعيل وحفظهم لأكثر مناسكها لما كان لهم في ذلك من العزة والفخر بالآباء والمنافع المادية في سدانة البيت وموسم الحج - والفرق بينهم وبين اليهود عظيم وهو غير محتاج إلى البيان لظهوره ، على أن هذا الجواب ليس بمحل له

ترجمة القرآن

وكون العربية لغة الاسلام

(مقدمة إجمالية)

وضعت مسألة ترجمة القرآن موضع المناظرة والجدال في الجرائد السياسية، فكانت كسائر المناظرات في السياسة الحزبية، والاهواء الاجتماعية، خاض فيها من له إلمام بأصول الدين الاسلامي وفروعه ومن لا إلمام له بها ممن اعتادوا تحكيم آرائهم في كل شيء بما تبيحه لهم فوضى العلم والدين والسياسة في مصر، فكان الجمهور حائراً لا يستقر له فكر، ولا يستبين له حكم

ثم برز الى الميدان علماء الازهر فكانوا مختلفين كثيرهم، وقد أكثروا من نقل عبارات الكتب واختلفوا في فهمها، والترجيح بين مدلولاتها، فزادوا الجمهور حيرة على حيرة، واضطراباً على اضطراب، لانه كلام في مقابلة كلام، وخصام حيث لا مسوغ لخصام، ولم يخرج أحد من السكتين على ماهو مثار النزاع في المسألة وهو عمل الحكومة التركية اللادينية : ما حقيقته وما سببه؟ وما موقعه من دين الشعب التركي ومذهبه واعتصامه بها؟ بيد أن بعض من كتب من العلماء ألقى نظرة عجلى على شعوب الاسلام الاعجمية ليعطيها حقها من حكم ترجمة القرآن، بحسب حاجتها في هذا الزمان، ولكنه لم يبصر بهذه النظرة العجلى ما عليه هذه الشعوب، وألقى نظرة أثبت منها على الشعوب غير الاسلامية فأدرك ما للاسلام من الفائدة في اطلاعها على ترجمة القرآن بألسنتها، ولكنه لم يحرر الموضوع من كل وجهة، فظلت الحقيقة خفية غير ظاهرة

وقد كنت وفيت هذه المباحث حقها في مواضع من المنار ومن الجزء التاسع من تفسير القرآن الحكيم، وجمعت أكثرها في رسالة خاصة، ولما أطلع على الكثيرون من العلماء والفضلاء بكتابة شيء جديد يناسب مقتضى الحال، ويرجى

أن يزيل كل إشكال، شرعت في كتابة مقال طويل جمع بعضه في المطبعة ، ثم بدلي بعد دخول كبار العلماء في الممعة أن أرجي . إتمامه ، وأعجل الى الجمهور ببيان القضايا القطعية في الموضوع وما يجب على المسلمين منه في هذا العصر ، وهو ملخص في عشر مسائل ، وسأ نشر بعدها ذلك المقال الطويل المفصل ، الذي يحزني المفصل ، ويزيح كل مشكل ، ويثبت أن اللغة العربية هي لغة دين الاسلام والمسلمين ، ورابطة الاخوة العامة ووسيلة السلام للمؤمنين ، بما يقند نزعات الشعوية وعصبية الجنسية ونزعات الملحدين ، ويوحد كلمة العلماء المختلفين ، بما يخرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين . وهذه خلاصته الاجمالية :

١ — أجمعت الامة الاسلامية عربيا وعجمها على أن هذا القرآن المحفوظ في قلوب الالوف التي لا تحصى من الحفاظ ، المرسوم في ألوف الالوف من المصاحف ، هو كلام الله عز وجل المنزل على محمد رسول الله وخاتم النبيين ، بلسان عربي مبين ، معجز للمخلق أجمعين

٢ — أجمعت الامة الاسلامية عربيا وعجمها على أن هذا القرآن العربي هو أساس دين الله الذي أكمل به ما أوحاه الى رسوله من قبله وآتم به نعمته على العالمين ، وأمر رسوله أن يبلغه كما أنزله عليه بنصه العربي المبين ، فبلغه كما أمره الله ، وأمر أصحابه وأتباعه بأذن الله تعالى أن يبلغوا عنه ما بلغهم عن الله عز وجل الى جميع البشر ، فبلغوا وما زالوا يبلغون هذا القرآن بنصه العربي المنزل ، وما يننه من سنة الرسول الذي جاء به ﷺ وما استنبطه أئمة العلم من عقائده وأحكامه وآدابه ،

٣ — أجمعت الامة الاسلامية عربيا وعجمها على أن الله تعالى قد تعبد بهذا القرآن العربي كل من آمن به وبرسوله محمد خاتم النبيين من أجناس البشر تلاوة وتدبرا وأدكارا واعتبارا ، وامثالا للأوامر ، واجتنابا للنهائي ، وحكما بين الناس كما قال (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) على ما في ذلك من الفروض والواجبات على الاعيان ، ومن الفروض والواجبات على الكفاية التي يكفي قيام البعض بها عن قيام الكل ، وما فيه من المندوبات والفضائل والآداب الكمالية ، فجميع الشعوب الاسلامية تعبد الله به الى هذا اليوم ، وستعبده به الى ما شاء ، الله على تفاوت عظيم فيما بين جماعاتهم

وأفرادهم في حظهم من هذه العبادة ، وبين خير القرون وما يليها
 ٤ — أجمعت الامة الاسلامية عربها وعجمها على أن ما فرضه الله تعالى على
 أفراد أمة محمد ﷺ من قراءة في الصلاة فالواجب على كل فرد أن يتلوه بنصه
 العربي المنزل كما انزل (قرآنا عربيا غير ذي عوج)

ولكن اختلف مدونو الكتب الفقهية بعد عصر النبي ﷺ وأصحابه [رض] فيمن
 عجز من أفراد الاعاجم عن النطق به عربيا صحيحا غير ذي عوج بدون تحريف
 وتبديل لا يبيحها له الشرع ، قتال بعضهم انه في حال العجز تسقط عنه القراءة فيقف
 ساكنا مخبتا خاشعا لله تعالى . وقال بعضهم يستبدل بها ذكرا آخر . وقالت الحنفية
 بل يستبدل بها ترجمتها وجوبا أو جوازا (قولان) كما ان العاجز عن القيام في
 الصلاة يصلي جالسا ، والعاجز عن الجلوس يصلي مضطجعا ، والعاجز عن الركوع
 والسجود يوميء بهما ، ومتى زال العذر في الجميع يرجع المصلي الى الاصل المفروض
 باجماع الامة

ومن المعروف بالاختبار أن العجز عن النطق بالقرآن العربي نادر قلما يقع الا
 لمن أسلم من بعض الاعاجم وهو كبير السن ، وقد جرى المسلمون على تلميم أولادهم
 الفاتحة وبعض السور القصيرة عند تعليمهم أحكام الصلاة وأذكارها في الصغر ، فلا
 يكاد يوجد فيهم من يعجز عن النطق بها ، ويضطر أن يستبدلها ترجمتها فيحتاج
 الى هذه الرخصة الحنفية فيها ، وانما يحتاج اليها بعض من يدخل في الاسلام
 كبيرا الى أن تنحل عقدة لسانه بالتمرين على اللفظ العربي

٥ — أجمعت الامة الاسلامية عربها وعجمها على انه لا يباح للمسلمين ترجمة
 القرآن بلغة أخرى يتعبد بها في الصلاة والتلاوة والتشريع ، ويطلق عليها اسم
 كلام الله ، وكتاب الله ، والقرآن الكريم ، والقرآن العظيم ، والقرآن المجيد ، كما
 سمى الله كتابه العربي ، ويستغنى بها عن كتابه المنزل ، الذي أرسل به رسوله ،
 وتعبد به أمته ، وصرحوا بأنه لا يفعل ذلك الا مجنون أو زنديق ، ولذلك نرى
 جميع الشعوب الاسلامية الاعجمية من الترك والفرس والافغان والهند والجاوه
 والصين وغيرهم يعلمون أولادهم القرآن ويدرسون في مدارسهم الدينية تفاسيره

وكتب الحديث والفقه والاصول والنحو والصرف والبلاغة باللغة العربية ولكن أكثر أهل القرون الأخيرة منهم صاروا يفسرونها لطلاب العلم بلغاتهم خلافاً للمتقدمين فلذلك قل المجتهدون والناقبون فيهم ، وكثيراً ما يرسلون أولادهم الى مصر أو الحجاز لاجل اتقان اللغة العربية وعلومها

٦ — قد علم من هذه الاصول التي أجمعت عليها الامة اعتقاداً وعملاً أن إقامة هذا الدين في عباداته وتشريعه وحكومته تتوقف على معرفة اللغة العربية ، وان هذه اللغة قد جعلها شرع الاسلام لغة المسلمين كافة وأوجب عليهم تعلمها ، اذ لا يمكن العمل بما ذكر من الاجماع بدونها ، وقد صرح بهذا الامام الشافعي في رسالته التي هي أول كتاب صنف في تدوين أصول هذه الشريعة وكذلك الشاطبي في مقاصدها من كتابه الموافقات^(١) وبيناه في مواضع من المنازل والتفسير ، وسنزيده بياناً وإيضاحاً في تفصيل ما في هذا المقال من الاجمال ، فلينتظره من يشتبه في شيء منه

٧ — قد ترجم القرآن بعض علماء الافرنج بأشهر لغاتهم العلمية كالفرنسية والانكليزية والالمانية والاطليانية ، وترجمه بعض المسلمين بأشهر لغاتهم الشرقية وبالانكليزية أيضاً . وفي كل ترجمة من هذه التراجم أغلاط كثيرة مخالفة لمذلولات عباراته اللغوية والشرعية ، فتح بها باب للطعن فيه والصدّة عن الاسلام ، كما انها فتحت باباً آخر لمن اطلع عليها من مستقلي الفكر عرفوا بدخولهم فيه شيئاً كثيراً من عقائد الاسلام الصحيحة ، وحكمه العالية ، وأحكامه العادلة ، ومقاصده الحكيمة في اصلاح البشر ، وحكموا على جميع ما نشره الملاحدة الماديون ، ورجال الكنيسة المتعصبون ، ودعاة النصرانية المرتزقون ، من الكتب والرسائل الكثيرة في الطعن على الاسلام ، بأن ما دونوه فيها من المطاعن زور وبهتان ، فكثروا دحو الاسلام من علمائهم الاحرار ، واهتدى كثير منهم به . واستضاءوا بنوره ، ولا تكاد تمر سنة إلا ونجد بعض المستقلين في الفهم منهم يدخلون في الاسلام بالاطلاع على بعض هذه الترجمات أو بمعرفة ممن عرفوهم من المسلمين

(١) ولكن الشاطبي أخطأ في كلامه في موضوع ترجمة القرآن ، وفي المسألة التي حاول بها لإثبات كون هذه الشريعة أمية وسنين ذلك في التفصيل الآتي

٨- ان ما ترتب على ما ذكر من الترجمات من صلاح وفساد يوجب على المسلمين وجوباً كفاً أن يزيدوا ما كان من صلاح قوة وتأيداً ، وان يغندوا ما حدث من الفساد تفنيداً ، وانما يكون ذلك بترجمته بتلك اللغات كلها ترجمة معنوية صحيحة ، اذ كانت الترجمة الحرفية متعذرة وغير مفيدة ، كما نبين ذلك بالأدلة والشواهد التي لا تقبل النقص ، ولا تقابل بالرد ، وفاقاً لما قررناه من قبل ، وهذه الترجمة التي تعد بما ذكرنا من الحاجة اليها فرض كفاية على المسلمين ، لا تسمى قرآناً ولا يتعبد بتلاوتها ، انما هي خلاصة تفسيرية له تدخل في باب الدفاع عن دين الاسلام من جهة ، وفي باب الدعوة اليه من جهة أخرى ، وان كانت الدعوة العامة لا تتوقف عليها كما سنبينه في تفصيل هذه المسألة المجردة

٩- ان هذه الترجمة لا يرجي أن تكون متقنة ومقبولة عند المسلمين وغيرهم الا اذا قام بها جماعة من العلماء الراسخين في اللغة العربية وعلوم الشريعة الاسلامية وتاريخها ، ومتقنين للغات التي يترجمون بها ، حتى يكون لها صفة تشبه البلاغات الرسمية الدولية ، ولا يتم هذا العمل الا بانفاق ألوف كثيرة من الجنيهات ، فلا بد أن تقوم به دولة غنية ، أو جمعية قوية ، أو يكفلها احد ملوك المسلمين بنفذه وماله

١٠- لا جرم ان الدولة المصرية أقدر الدول الاسلامية الحاضرة على أداء هذا الواجب الذي يعد أعظم خدمة للاسلام لدى الشعوب غير الاسلامية ، وأن جلالة ملكها المعظم اجدر ملوك المسلمين به ، اذ يمكنه ان يبذل في سبيله عشرات الالوف من الجنيهات من الاوقاف الخيرية العامة والخاصة بالاسرة المالكة ، وان احتاج الى المزيد فان في ثروة جلالاته ما يغني عن فتح اكتاب له من الامراء والنبلاء من اسرته وسائر أغنياء مصر وغيرها ان أراد أن يستقل بشرفه ، وإلا وجد كثيراً من المتنافسين بمشاركته فيه ، وقد بذل جلالاته ألوقاف من الجنيهات لعالم فرنسي جزاء على كتابة تاريخ حديث مصر ، فلا يكثر على جوده ان يبذل اضماؤه في سبيل الله ، والدفاع عن دين الله ، وتعميم هداية كتاب الله ، فان هذا افضل ما يمكن ان يعمله الاسلام فاذا وفق الله تعالى جلالاته لتنفيذ هذا العمل الذي نتقرب الى الله تعالى ثم الى مقامه الاسلامي السامي باقتراحه عليه أولاً ، فهو أعلم الناس بطريقة التنفيذ وتأليف

الجمعية التي تقوم بالترجمة من علماء الازهر وغيرهم من العارفين باللغات الاجنبية
الحاذقين لها ، ووضع النظام لعملهم

وان كان لدى جلالته مانع من ذلك (وهو ما لا نظنه) فان هذه الفريضة لا تسقط
عنه وعن سائر المسلمين إلا بقيام آخرين بها ، وأيا ما قام بها يرتفع الاتم عن
الآخرين ، وحينئذ يجب أن يفكر أهل الغيرة على الدين في الامر ، ويسموا لتأليف جمعية
قوية غنية تقوم به كجمعية الرابطة الاسلامية العامة التي فكر فيها الخديو السابق
لمصر [الامير عباس حلمي] ونشرنا نظامها في المنار ، لا الجمعية الضعيفة التي
وضع أساسها في هذا الشهر بمض المهتمين بالدفاع عن الاسلام ، فان لم يتيسر
هذا ولا ذاك فيجب أن يجعل هذا المشروع أهم ما يعرض على المؤتمر الاسلامي
العام في دورته الثانية ، اذا وفق الله تعالى لاعادته ، بما نرجو أن يكون أفضل من بدايته
ويمكن صاحب هذا الاقتراح أن يبين ما ينبغي توخيه في هذه الترجمة
لتكون تامة الفائدة بما له من طول الاشتغال بتفسير القرآن الحكيم مدة ثلث قرن
أخرج فيها عشرة مجلدات منه بطريقة لم يسبق بها من تحري صحيح المأثور عن
النبي ﷺ وأصحابه وعلماء السلف ، واجتناب الروايات الموضوعة والضعيفة من
الاسرائيليات وغيرها ، وبيان ما أغفله المفسرون من سياسة الاسلام ، وما أرشده اليه
القرآن من سنن الاجتماع وأصول العمران ، والتزليل بين ما كان عليه المسلمون
في القرون الاولى من سعادة وسيادة بهدايته ، وما صاروا اليه من جهالة وضعف
بتركها أو التخصير فيها ، مع رد شبهات الفلاسفة والعلم الحديث ودعاية الاحاد أو
الاديان الاخرى المضادة لها .

واني اقترح على اصحاب الفضيلة شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وغيرها
من كبار علماء الازهر أن يؤيدوا اقتراحي هذا بتأليف وفد منهم يقابل جلالته
ويبسط له ما في هذه الخدمة للاسلام من الفوائد العرف ، والثوبة وعظم الاجر ، وحسن
الاحدوثة وشرف الذكر ، وعسى ألا يصدمهم عن هذا السعي ان كان مقترحه

والمذكر به اخذهم المخلص المتواضع : محمد رشيد رضا

إِنْبَاءُ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ

نشر النداء الآتي في صحيفة (إيمان) التي تصدر في مدينة (لاهور—الهند) بالعربية والاوردية والفارسية والانكليزية وجاءنا منها عدة نسخ وزعناها على خواص المسلمين وبعض الصحف واننا نرجو من الجرائد والجمعيات الاسلامية وأفراد المؤمنين الصادقين التأمل فيه والعمل به والحث عليه وهذا نص العربي منه

نداء عام لاهياء ذكرى يوم النبي

انتشرت فكرة في البلاد الهندية عام ١٩٢٨ لاقامة احتفال عام شامل دعي باسم «يوم النبي» وقد أيد هذه الفكرة جميع أجلة العلماء، وأكابر هذه البلاد تأييداً تاماً، كما أن الصحف الاوردية كانت من أول محبذيه، والداعية اليه، والغرض من هذه الفكرة هو أن يجعل هذا اليوم وقفاً في سبيل ذكرى النبي ﷺ في كل أقطار العالم، وأن ينبذ كل الاقوام في هذا اليوم التعصبات الدينية والاختلافات المذهبية ظهرياً ويتناسوها، وأن يقفوا صفاً واحداً متعدين متضامين في سبيل الاخوة الانسانية بداعي المحبة والمساواة، ساعين للاستنارة بنور هديه ﷺ والافتداء به

ان كل ما يرمي اليه هذه الفكرة هو توحيد نظريات مسلمي العالم وهم لجانه في كل الاقطار الاسلامية وجمعهم في مركز واحد، ليقوموا جميعاً بالسعي والجهد لنشر تاريخ الحياة النبوية بين جميع أقوام الارض، مترجمة إلى لغاتهم على أن يكون ذلك ضمن حلقة واسمة النطاق بصورة مستقلة دائمة شاملة منتظمة حتى يتسنى من وراء ذلك (أولاً) ربط النظام التبشيري الديني في جميع البلدان بنظام واحد وإبراز نظام الاتحاد الاسلامي باللباس العملي (وثانياً) السعي لايصال الكتاب الكريم والحياة النبوية الى كل فرد من أفراد المسكونة، حتى يزول بذلك ماعلق في الاذهان وماهو رائج بين العوام من سوء الظن بالاسلام والنبي ﷺ وليتجه الناس

إلى مطالعة القرآن المجيد؛ وليقفوا على مافيه من الحق والنور المبين ، وليهتدوا بهديه ويتأسوا بأسوة النبي الحسنة

ان خير مناسبة تاريخية توافق الفطرة والطبع هو أن يكون ذلك اليوم (اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول) الذي بزغت فيه أشعته ﷺ في عالم الوجود ، وإنا لترجو أن يتخذ هذا اليوم العظيم يوم عيد شامل على أهل المسكونة أجمعين ، وأن يوقف لتبليغ الناس للتأسي بالأسوة الحسنة ، وأن يكون مركز اتجاه العالم بأنظاره نحو تلك الذات الطاهرة لاغير ، وأن يرى لواء (ورفعتنا لك ذكرك) مرفرفا فوق ربوع الارض كافة، وأن تظهر عيانا وبأجلى المظاهر صفته ﷺ بأنه (رحمة للعالمين)

برنامج هذا اليوم هو كما يلي :

(١) أن يقوم المسلمون وغير المسلمين في كل بقاع الارض باظهار شأنه ﷺ باقامة احتفالات عامة ومواكب فخمة ، تذكارا لذلك اليوم

(٢) أن ينشر مطبوعا في اليوم المذكور من كل سنة خطاب أو محاضرة لاي فاضل من الافاضل سواء أكان مسلما أم غير مسلم يتضمن السيرة النبوية على أن يترجم إلى لغات العالم اجمع

(٣) أن تلقى هذه النشرة الأنفة الذكر كمحاضرة في الاحتفالات في ذلك اليوم ، وأن تترجم وتوزع في كل بلدة مجانا بكثرة ، ليقف العالم كله في آن واحد على جانب من سيرة حياته ﷺ

ان السعي الذي بذل منذ ثلاث سنوات حتى الآن قد أتى بخير ثم حيث أقيم في مئات من المدن مراكز تبليغية للحياة النبوية ، وقد ترجمت السيرة النبوية بفضل جهود هذه المراكز الى سبع عشرة لغة ، كما انه في كل سنة يقام مايزيد على خمسين الف اجتماع، وتوزع بمختلف اللغات الآلاف لا بل مئات الآلاف من المحاضرات المطبوعة مجانا على المسلمين وغير المسلمين

إنا لترجو من اخواننا المسلمين ومن لجانهم اللوقرة ، ومن صحفهم الغراء أن يسعى كل في بلاده لانهجاح هذا السعي الخيري الانساني ولفع مناره، وأن يؤسسوا

لجانا لتعميم نشر السيرة النبوية باذلين مافي وسعهم لتنظيم الاحتفالات المذكورة جادين وراء التبليغ ، كما اتنا لعل يقين من همهم القعساء أن يترجوا كل الى لفته القومية سيرة الحياة النبوية وأن يوزعوها مجانا

اتنا مفتقرون الى معونة كل فرد من اخواننا المسلمين في كل أقطار الارض لانجاح هذا المبني المقدس الجليل ، وإنا لترجو من أرباب الصحف أن يذشروا نداءنا هذا على صفحات جرائدهم الغراء ، وأن يزودونا بما عندهم من الآراء الصائبة ، كما انا لترجو من كل القراء الكرام لهذا النداء أن يتفضلوا علينا بلائحة تحوي أسماء وعناوين اللجان الاسلامية، والصحف الكبيرة، ومشاهير العلماء والوجهاء في بلادهم وغير ذلك من المعلومات القيمة ، ولهم منا جزيل الشكر، ومن الله عظيم الاجر ان المحاضرة التي ستلقى في « يوم النبي » للعام القادم ١٣٥١ سيتمعي طبعها في شهر رمضان ، فمن كان يود ترجمتها الى لفته وتوزيعها سواء كان في الهند أو في خارجها فمليه أن يطلب اليها إياها بمنواننا أدناه ، على أن تكون المكتبة بهذه اللغات : العربية ، الاوردية ، الفارسية ، الانكليزية - فتقدم اليه مجانا القاضي عبد المجيد القرشي بتي (لاهور الهند)

(ملحوظة) لقد طبع في السنوات الثلاث التي خلت ثلاث محاضرات ، وكانت محاضرة عام ١٣٥٠ محاضرة كتبها الحاج اللورد هيدلي أحد مشاهير الانكليز الذي اعتنق الاسلام حديثا ، فها انا ترسل هذه المحاضرات مع بعض التراجم الى أرباب الصحف الاسلامية راجين منهم إبداء آرائهم بشأنها وشأن ندائنا هذا ، وأن يتكرموا علينا بنسخة من الجريدة التي تطبع فيها ولهم منا الشكر، وكل من يرغب الحصول على هذه المحاضرات التي قد ترجمت إلى اللغات : الاوردية، الكرمكية ، الانكليزية، الكجراتية، الهندية، التاجلية — لا فرق أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ترسل اليهم عند الطلب مجانا اه

(المنار) هذا وانه قد ارسل اليها عدة نسخ من محاضرة اللورد الحاج هيدلي المذكورة وزعنا كثرها. وجاءنا من ناموس اللجنة خطاب في الموضوع باللغة الانكليزية يقترح علينا فيه وضع محاضرة لسنة ١٣٥١ وسننشر ترجمته بالعربية في الجزء الآتي :

المؤتمر الاسلامي العام

في بيت المقدس

(٢)

مانجب مراعاته في عقد المؤتمر الثاني

لا يجوز أن تتضمن المؤتمرات الاسلامية العامة التي تسقلمعالجة مصالح المسلمين الدينية والمدنية ما ليس موضوعا لها من تأييد حزب على حزب، ولا شعب اسلامي على حكومته، ولا إقرار استبداد حكومة في شعبها، ولا يجوز أن يسمح لرئيس ولا زعيم أن يكون لهوى شخصي في مؤتمر اسلامي يستعلي به على خصومه في الجاه والعظمة ولا يجوز أن يكون اختلاف الرأي بين الذين يعتقدون المؤتمرات الاسلامية لاحياء هداية الاسلام واعادة مجده وهصلحة شعوبه سبباً للتعادي والتخاصم، وقد عرض لمؤتمر القدس الاول شيء من هذه الشوائب

التهديد لعقد المؤتمر الثاني منوط باللجنة التنفيذية فالواجب عليها قبل غيرها ان تراعي فيه ما ذكرنا واذا رجحت عقده في القدس لعدم المانع فالواجب عليها أن تسعى لعقد الصلح بين الفريقين المتنازعين في فلسطين الذين يلتقبون بالمجاسين والمعارضين والا كان محاولة عقده فيها مثار فتنة قد تكون سبباً لمنع الحكومة الانكليزية إياه ان لم يكن لديها سبب آخر للمنع

نعم ان جمهور أهل فلسطين وسورية الشمالية ولبنان الذين يعنون بأخبار السياسة المصرية يميلون الى الوفد المصري ويحبون زعماءه لانهم يشاركونهم في احتمال الآلام من نفوذ الاستعمار الاجنبي ويعدونهم قدوة لهم في معارضته ومناهضته، وفي مقاومة كل حكومة وطنية تواتيه وترضيه، وليس من شأن المؤتمر أن ينكر عليهم رجاله هذا الميل والشعور لانه حق طبيعي لهم، ولا أن يجملوا المؤتمر مظهرًا

له فيه لانه ليس بما يعقد له المؤتمر من المصالح الاسلامية التي يجب استمالة جميع الشعوب الاسلامية وحكوماتها لمساعدتها ، واتقاء من خط أحد منهم على شيء منها بقدر الطاقة ، وأهمها الشعب المصري المجاهد والحكومة المصرية مهما تكن صفتها في بلادها ، وكذا جلالة ملك مصر مهما يكن شكل حكومته وصفتها، فان لعطف جلالته ومساعدته قيمة كبيرة لا يعدلها غيرها

وجملة القول انه يجب على اللجنة التنفيذية أن تعنى أشد العناية بجعل التمهيد للمؤتمر الثاني مقنماً لجميع المسلمين بخلاؤه من الشوائب التي أضرنا اليها وتجعل نصب عينها قاعدة الاستاذ الامام الحكيمة «مادخلت السياسة في عمل إلا أفسدته»

جمعية الرابطة الاسلامية ومؤتمرها وناموسها

بعد كتابة ما تقدم تنمة لما نشر في الجزء الماضي من المنار وضيق الجزء عنه شاع أن صاحب السمو الامير عباس حلمي باشا خديو مصر (السابق) ألف في جنيف (سويسرة) جمعية باسم (الرابطة الاسلامية) من موضوعها عقد مؤتمرات اسلامية دورية ، ثم علنا أن سموه جعل السيد ضياء الدين الطباطبائي الايراني ناموسا (سكرتيراً) عاما لهذه الرابطة . وكانت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي العام الأول قد اختارت هذا السيد ناموسا عاما لما فتردد في القبول وسافر الى أوربة واعدآ بأن يكتب الى رئيس المؤتمر بما يستقر رأيه عليه من القبول وعدمه، فلما تبين انه قبل العمل مع سمو الامير عباس حلمي صار قبوله العمل في لجنة مؤتمر القدس مشكلا ، فان كتب الى رئيسه بالقبول وجب على الرئيس أن يستشير أعضاء اللجنة كلهم أينما كانوا في أمره، فان ما بلفنا من أخبار جمعية الرابطة الاسلامية يقتضي أن يعمل هذا الناموس لاودغام اللجنة التنفيذية لمؤتمر القدس في جمعية الرابطة الاسلامية الاوربية وتفويضه أمر المؤتمر الثاني اليها بمحبة اتساع دائرة أعمالها ووفور ثروتها وحرية مركزها العام ، وهذا يتوقف على قرار رسمي من اللجنة التنفيذية للمؤتمر ولا يملك رئيس المؤتمر الاول البت فيه . وهو لما يجمع

اللجنة التنفيذية ولا ألف مكتبها . ولا ريب انه يتعذر على السيد الطباطبائي أن يقوم بأعباء وظيفته في القدس ووظيفته في جنيف مما ان الأمير عباس حلمي هذا من أعظم أمراء المسلمين حنكة واختباراً وهمة وإقداماً ، واشتهر أن له مع ذلك آمالاً شخصية في الملك وقد خاضت صحف الشرق والقرب في هذه الاثناء في أخبار سعيه لمرش سورية ، وهذا مما يجعل عمله هذا موجبا للظنة . وسنقد لهذه الرابطة مقالا خاصاً بها

﴿ نظام المؤتمر الأول وافتتاحه ومكان عقده ﴾

ان المجلس الاسلامي في القدس قد قام مع اللجنة التحضيرية له بوضع النظام التام لعقد المؤتمر وتنفيذه ، وأخلى له مدرسة روضة المعارف الاسلامية التابعة للمجلس فكانت كافية لذلك ، ووضع فيها من الورق والاقلام والدفاتر والمحابر والكتبه والخدم (ومنهم سقاء الشاي والقهوة البمانية الامامية) مالا حاجة منه الى مزيد ، وكان من التمهيد لراحة أعضاء المؤتمر والاقتصاد في نفقاتهم اتفاق المجلس الاسلامي مع أصحاب الفنادق التي ينزلون فيها على اسقاط قدر غير قليل من النفقة المعتادة عنهم ، والاتفاق مع أصحاب سيارات الركاب على نقلهم من الفنادق الى المؤتمر ومنه اليها أو الى حيث شاؤوا على حساب المجلس ، بل احتل المجلس جميع نفقة الفنادق عن بعضهم . وكان السيد محمد أمين الحسيني يعني بكل ما يرضي الاعضاء بقدر اجتهاده وفد على مدينة القدس كثير من أهل المدن والقرى الفلسطينية لحضور حفلة المؤتمر ، واتفق أن كان يوم الاحد ٢٦ رجب الذي يجتمع فيه الاعضاء في مكان المؤتمر لاجل الاحتفال يوماً شديداً المطرولوا ذلك كانت الوفود أضاف ما رأينا اجتمع الاعضاء في مدرسة الروضة وقبل المغرب توجهوا الى المسجد الأقصى بين الجماهير من مسلمي القدس ووفودها فوجدنا المنتظرين في المسجد يمدون بالالوف وعند ما حضرت صلاة المغرب قدم السيد محمد أمين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الشرعي الاعلى الاستاذ العلامة كبير مجتهدي الشيعة في أعظم معاهدها العلمية (النجف الاشرف) الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء فصلى إماماً بالناس

فكان لهذا التقديم تأثير عظيم ووقع حسن من أنفس أعضاء المؤتمر وغيرهم من المسلمين الذين يشعرون بشدة الضرورة الى التأليف بين أهل السنة والشيعة والقضاء على هذا التفرق والتعادي الذي طال عليه العهد، وكان فساد وضرره على الاسلام وشعوبه ودوله عظيما ، ولم تكن له أدنى فائدة صحيحة لاحد من الفريقين . وبعد صلاة المغرب قرأ بعض القراء المجودين آيات من أول سورة الاسراء وتلاهم الاستاذ الشيخ حسن ابو السمود قترأ رسالة في شمائل سيد ولد آدم محمد رسول الله وخاتم النبيين وما جاء به من الاصلاح العام للبشر ، ألم فيها بمعجزة الاسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إماما ، وكانت يتخلل إلقاء استراحات ينشد فيها بعض القراء حسني الصوت أناشيد مخفوفة في مدح النبي ﷺ قد اعتادوا إنشادها في حفلات الموالد ، وفي بعضها منكرات نهت صاحب السماحة المفتي ورئيس المجلس إلى وجوب الاختصار فيها ثم إعادة النظر فيها بعد المؤتمر وقد دعيت بعد ان أتم الاستاذ قراءة رسالته إلى إلقاء كلمة في معنى الاسراء وفضل المسجد الأقصى واختيار هذه الليلة الشريفة لافتتاح المؤتمر الاسلامي العام فأجبت وألقيت ما ألهته على الكرسي الممد لتلك وامتد ذلك إلى وقت العشاء ، أوجزت الكلام في منقبة الاسراء إلى المسجد الأقصى وتواترها ، وتقريب وقوعها إلى العقول بما أجمع عليه العلماء والفلاسفة الروحانيون حتى غير المليين منهم على جواز تشكّل الارواح في أجساد لطيفة كالآثير في نفوذها من الكثائف وسرعتها كالكهرباء ، وإثبات ألوف منهم وقوع هذا التشكّل بالفعل ، وذكر من حكمته وتسمية هذا المكان الشريف بالمسجد الأقصى بعد خراب ما بناه سليمان عليه السلام ومحو اثره هو أن الله تعالى شرفه بجعله معبداً للمسلمين إلى آخر الزمان ، وجعله في المرتبة الثالثة بعد المسجد الحرام ومسجد المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وأوجب على المسلمين صيافته وحفظه إلى آخر الزمان ، ولهذا اختير افتتاح هذا المؤتمر الاسلامي العام فيه وإقامته بجواره . الخ

وبعد صلاة العشاء بإمامة الاستاذ آل كاشف الغطاء افتتح السيد الحسيني المؤتمر بخطبته التي كان أعدها لذلك وطبعت وأرسلت إلى الجرائد في البلاد المختلفة فنشرتها

وألقى بعده الأستاذ آل كاشف الغطاء محاضرة أو درسا في تفسير قوله تعالى (الله نور السموات والارض) الآية ذهب فيه الى أن المراد بالشجرة المباركة في الآية الكريمة آل بيت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، ثم خطب غيره من أعضاء المؤتمر خطباً تناسب المقام . وقد نشر كل ذلك في الجرائد وسيدون في الكتاب الذي تقرر تأليفه ونشر اللجنة التنفيذية له في الاقطار، فلا حاجة الى نشر شيء منه في المنار، وانما ننشر خلاصة في صفة المؤتمر وجلساته ونظامه واقتراحاته ولجانه، ونخص بالذكر خطبتنا فيه وتقرير لجنة الدعوة والارشاد من لجان المؤتمر، وخطبتنا التي ألقيناها في آخر يوم منه في أمراض المسلمين الداخلية والخارجية وطرق علاجها فنقول :

رجال المؤتمر وجلساته ولجانه

كان في المؤتمر نفر من خواص رجال المسلمين في العلم والرأي وكل ما يحتاج اليه في عقد المؤتمرات المليّة العامة، يقابلهم رهط من طبقة العوام — وأكثَر أعضائه بين هذين، وبلغ المنتظمون في عضويته زهاء ١٥٠ من جميع الاقطار والشعوب الاسلاميّة العربيّة والهنديّة والجاويّة والتركيّة والروسية والاوربية . وأيدته الحكومات العربيّة الليمانية والحجازيّة النجدية والمراقية والاردنية وكثير من الامراء والزعماء والعقلاء من مصر والهند وجزائر اندونيسية وغيرها وكان نظام جلساته حسنا لم يستطع أعداؤه الطعن فيها، إلا ان أكثر أوقاتنا ضاعت بالقاء الخطب والمناقشات العديدة مع كثرة التكرار في الموضوع الواحد والخطبة الواحدة. حتى إنني كنت شديد الزهد في الكلام فيها الا لضرورة. وقد أشرت الى ما انتقدته من الاقتراحات فيه في مقدمة تقرير لجنة الدعوة والارشاد وأما لجانه فقد بني تأليفها على أساس فاسد وهو أنه أبيع لكل عضو أن يدخل في اللجنة التي يختار العمل فيها فكان العضو الواحد يكتب اسمه في لجتين أو ثلاث بحسب ما يهوى لا بحسب احتتماده للعمل فيها كلها، وان أجمل الناس من يظن انه مستعد لكل عمل وبصير بكل علم، وقد دخل زهاء نصف الأعضاء

في لجنة تنقيح القانون الاساسي للمؤتمر فكان أكثر الكلام في جلساتها لقوا وجدلا بطلا كادت تزهق له أرواح واضعي مشروع القانون وأهل العلم بهذه القوانين من الاعضاء . وسأين ما قسيناه في لجنة الدعوة والارشاد وأما لجانه فكانت ثمانا (١) للدستور (٢) للدعاية والنشر (٣) للمالية والتنظيم (٤) للثقافة وجامعة المسجد الاقصى (٥) لسكة الجديد الحجازية (٦) للاماكن المقدسة والبراق الشريف (٧) للدعوة والارشاد (٨) للمقترحات

خطتنا وعملنا في المؤتمر

ذكرت في الجزء الماضي ان صاحب السماحة رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في القدس الذي تولى الدعوة الى المؤتمر بمساعدة اللجنة التحضيرية له قد اقترح علي باسم اللجنة وضع تقرير في الاصلاح الاسلامي ليكون مادة لمباحث أعضاء المؤتمر فأبدأ هذا الفصل بنشر كتابه في ذلك وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

-- حضرة صاحب السماحة الاستاذ الاكبر العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم ، متع الله المسلمين بطول بقاء
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) فقد تلقيت بيد التعظيم كتابكم الكريم المؤرخ في ٢٩ جادى الاولى سنة ١٣٥٠ وشكرت سماحتكم تفضلكم بتلبية الدعوة إلى هذا المؤتمر الذي نرجو من ورائه الخير للصلحة الاسلامية العامة ، ومما لا ريب فيه ان حضور سيادتكم هذا المؤتمر هو قيمة كبيرة وسبب عظيم لانجاح المؤتمر وتحقيق غايته ومقاصده باذن الله تعالى
وقد قررت اللجنة التحضيرية في جلستها الاخيرة أن نرجو من سماحتكم أن تتفضلوا بوضع تقرير بشأن الاصلاح الاسلامي ، ليطرح هذا التقرير على المؤتمر أثناء انعقاده ، ويكون مداراً لما يقرر في هذا الشأن ، وأني باسم اللجنة التحضيرية أنهي إلى سيادتكم هذا الرجاء مشفوعاً برجائي الخاص أن تتفضلوا بشد ازر المؤتمر بوضع التقرير الخطير ، وإذا أمكن الفراغ منه وإرساله إلينا قبل ميعاد انعقاد

المؤتمر بأسبوعين أو ثلاثة على الأقل قاتنا نتخذ أمرع الوسائل لطبعه وإعداده
على شكل كراس على حدة

وانني أنتظر تفضل مباحثكم بالجواب بهذا الشأن ، محتثا بالدعاء لله بأن يوفقنا
إلى ما فيه خير المسلمين ديناً ودنياً ، وأني أرجو أن تتفضلوا بإبداء نصائحكم الثمينة
وآراءكم القيمة ، في شأن هذا المؤتمر ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٥٠
رئيس المجلس الاسلامي الاعلى

محمد أمين الحسيني

جاء في هذا الكتاب في أثناء اشتداد الفتنة التي أثبتت في الازهر والمهاد
الدينية التابعة له لمقاومة المؤتمر وصد العالم الاسلامي عنه وقد بلغ الارجاف فيه
مدى أبعد مما نشر في الجرائد وأشرنا اليه في الجزء الماضي فقد سمعت من لسان
الاستاذ الاكبر شيخ الازهر أنه بلغه أن السيد الحسيني دعا الشيخ أبازيد المصنوعي
الى حضور هذا المؤتمر أي ليث نزغاته الاحادية فيه ويدعو اليها!! فقلت له ان
هذا لا يعقل ولئن رأيت في المؤتمر لا اقترح اخراجه منه فان لم أجب خرجت
محتجا. وعلمت انه قد بلغه وبلغ فضيلة مفتي الديار المصرية ان أحد أعظم علماء الازهر
المشهورين سيلقي في هذا المؤتمر خطابا في الطعن في الفقه الاسلامي والدعوة الى
تركه ، وقد جزممت بأن هذا البلاغ افك وزور ، وكان عجبني شديدا ان انتهت
الفتنة الى هذا الحد ، وان بلغ الارجاف فيها هذا المبلغ ، وكنت وجلا من سوء
عاقبتها ، لهذا كتبت الى السيد الحسيني انه يجب عليه أن يبادر الى اطفاء نارها
بنفسه في القاهرة وبعد ذلك أنظر في أمر اقتراحه ، وقد حضر وكان من عاقبة
سمعه ما كان وشرحنا ما فيه العبرة من خبره

بعد هذا شرعت في كتابة التقرير المقترح على كثرة الشواغل وفي أثناء ذلك
بلغني أن جمعية الشبان المسلمين وضعت تقريراً طويلاً تعرض فيه على المؤتمر ما تراه
من الاصلاح الاسلامي ، وان معالي محمد علي باشا علوية يضع تقريراً في الاصلاح
اللغوي بوضع معجم عربي للعلوم والفنون والاصطلاحات المصرية ، فترجع عندي
أن كثرة التقارير العسامة ستكون من الشواغل لمن يهتم بها من أعضاء المؤتمر

ولا تزيد فائدتها على ما يقرءون في الكتب والصحف، وان الاجدر بي إذا يسر الله تعالى لي حضور هذا المؤتمر — الذي أخشى أن تعوقني عنه شدة العسرة المالية وما يتعلق بها من الحقوق — أن أعرض ما أراه من الاصلاح في جلساته عند الحاجة اليها فان ذلك أحرى أن ينتفع بها ، وكذلك كان، وتركت إتمام كتابة التقرير ثم علمت انه عرض على المؤتمر بيانات أو تقارير غير ماذكرنا مطبوعة ، منها تقرير لجنة الدفاع عن سكة الحديد الحجازية وتقرير لجنة البراق الدولية ، وتقدير في أعمال دعاة النصرانية وهو مهم جداً قرأته بعد العودة إلى مصر وربما أنشره في المنار

لجنة الدعوة والارشاد

لما ألفت اللجان كتبت اسمي في لجتين فقط (الاولى) لجنة القانون الاساسي لاجل حضور بعض مواده وأهمها عندي المادة الثالثة التي موضوعها تأليف المؤتمر وقد قاومت فيها رأي الزعيم شوكت علي جعل المؤتمر شمويا كما اقترح في مؤتمر مكة وتقرر فكان أفضل الاسباب في قتل ذلك المؤتمر واقترح مثل هذا في مؤتمر القدس ففندنا اقتراحه فلم يقبل (الثانية) لجنة الدعوة والارشاد وكان ممي في هذه اللجنة الاساتذة: رضا بك توفيق الملقب بالفيلسوف التركي وقد ولي وزارة المعارف في الدولة العثمانية ، والشيخ محمد عبد الرسول كاشف الغطاء من علماء النجف الشرعيين ، والشيخ عبد الوهاب النجار ناظر مدرسة عثمان ماهر باشا بمصر والمدرس بقسم التخصص في الازهر (وكان مدرسا في دار العلوم وكذا في مدرسة الدعوة والارشاد) والشيخ محمد عبد اللطيف دراز من علماء الازهر ، والشيخ حسن أبو السعود قاضي الرملة الشرعي وإسعاف بك التشاشبي أديب فلسطين ، والشيخ محمد سعيد درويش البابي الحلبي (وكان قد جاور في الازهر) ومحمد علي افندي الحوماني التاجر من نبطية لبنان ومهاجرتها في أمريكا ، وغيرهم ممن لم يحضر الا جلسات قليلة

وكان كل واحد من هؤلاء الاعضاء عضواً في لجنة أولجان أخرى . اجتمعنا لأول مرة في الحجرة التي خصصنا بها من حجرات روضة المعارف فانتخبت رئيساً

للجنة ، وانتخب الاستاذ رضا بك توفيق نائباً للرئيس والاستاذ اسعاف بك
النشاشيبي أميناً للسمر ومقرراً للجنة ، وشرعنا في البحث ، وكان كل عضو من هؤلاء
الاعضاء يعلم ما سبق لي من الاشتغال في تأسيس جماعة الدعوة والارشاد ومدرسة
لها توليت وضع نظامها ومناهج التعليم في المدرسة وكنت ناظراً لها إلا العضوين
الاخيرين (ومن المعلوم بالبداية انه وقع بيني وبين الاعضاء المؤسسين لجمعية
الدعوة والارشاد في الاستانة ثم في مصر مناقشات كثيرة في كل مادة من نظامها)
فلما شرعنا في البحث كان هذان العضوان يعارضان في كل كلمة ويجادلان بغير علم في كل
رأي حتى تنقضي الجلسة بدون وضع شيء يتفق عليه فيكتب ، وكنا مضطرين للصبر
عليهما مراعاة لقاعدة حرية الرأي وقاعدة المساواة بين الاعضاء ، الى ان عيل الصبر
وقد كان أول ما قلته بعد شكر الاعضاء على اختيارهم إياي لرياسة اللجنة وما
علوه به : ان مشروع الدعوة والارشاد هو أعظم مشروع إسلامي لاصلاح المسلمين
في أنفسهم ولتجديد هداية دينهم ومجده ، وهو يتوقف على تعليم جديد وتربية
جديدة في مدرسة خاصة ، وعلى جمعية كالجمعية التي سبق لنا تأسيسها في مصر ،
وعلى مال كثير لذلك وللدعاة والمرشدين الذين يتخرجون في المدرسة . ولا يتم
غرسه ونباته وإثماره إلا في سنين كثيرة ، وأعضاء المؤتمر يطلبون منه بما يشعرون
به من حاجة المسلمين شيئاً عاجلاً موقتماً قبل الشروع في العمل الاساسي الدائم
من تربية الدعاة والمرشدين وتعليمهم ما يؤهلهم للقيام بهاتين الفريضتين العظيمتين
التي لا قوام للاسلام بدونهما

والذي أراه في الحاجة الموقفة أن يسعى المؤتمر (أولاً) لتأليف ثلاث رسائل في عقائد
الاسلام القطعية ، وفي آدابه وفضائله وما يتألف منها من الرذائل والمحرمات القطعية ،
وفي أحكام العبادات التي لا يسع مسلماً جهلها - وأن يقتصر في هذه الرسائل على
المجمع عليه بين المسلمين الذي لا يختلف فيه المذاهب الاسلامية ليكون مقبولا عند
الجميع ، ويترك لاهل كل مذهب تعليم أهله ما هو خاص به - الى آخر ما سيأتي تفصيله
(وثانياً) لنشر رسائل في نقض أسس الاديان التي يتصدى دعائها لاضلال
المسلمين عن دينهم ، ويوجد في هذا رسائل وكتب مطبوعة قد جربت فائدتها

وذكرت لم منها (عقيدة الصلب والفداء) وكذلك كتاب (نظرة في كتب
 المهدين القديم والجديد) للدكتور محمد توفيق صدقي رحمه الله تعالى
 نازعني المصنوع المذكور ان هذا الكلام وتنازعوا مع اللجنة فيه واقترح أحدهما
 الشيخ محمد سعيد درويش : تأليف كتاب لازالة الاختلاف بين فرقتي الوهابية
 والشيعة التي تكفر كل منها الاخرى يصرح فيه باثبات اسلام كل منهما وعدم الفرق
 بينهما (ثم علم انه من أعداء الوهابية وإنما يريد الرد عليهم ، او يتحداني للدفاع عنهم)
 قلت له : ان التأليف بين فرق المسلمين ومقلدي المذاهب المختلفة منهم من
 أهم مقاصد المؤتمر ، وأنا قد سميت له سميه منذ خمس وثلاثين سنة ، وما اقترحه
 هو لا يفيد ذلك ، فان التعصب الذي يكفر مخالفه عن اعتقاد قد يكفر من بخطئه في
 اعتقاده أيضا . ومن كان من هؤلاء يتبع هذا المؤتمر في رأيه فقد علم القاصي والداني
 ان هذا المؤتمر لا يفرق بين أحد من أهل القبله باختلاف مذاهبهم الاجتهادية
 المعروفة . ومن أعضائه السنيون من سلفية وخلفية ، والشيعة من زيدية وإمامية ،
 والاباضية — ولم يبق من فرق المسلمين الكبرى غير هؤلاء ، وكاهم في المؤتمر
 اخوان يصلي بعضهم مع بعض — فلم يجبه هذا البيان وأصر على اقتراحه ،
 وكان يشاغب فيما عداه

واقترح محمد علي افندي الحوماني إرسال المؤتمر بعثة إلى أميركا لتقوية
 المسلمين الذين هاجروا اليها والدعوة إلى الاسلام ، وهذا اقتراح حسن في نفسه
 ولكن المؤتمر لا يمكنه الآن مثله ، وإنما هو ثمرة من ثمرات جمعية الدعوة والارشاد
 التي ستقدم اللجنة له اقتراحها في شأنها ، فأصر على رأيه وكان يشاغب في كل ما عداه
 أكثر هذان المصنوعان المراء والشغب في اللجنة حتى مل سائر الاعضاء
 وقل اجتماعهم فيها ، ثم ملاهما وقل حضورهما ، فاعتنمت فرصة تخلفهما ووضعت
 ما أراه من الاقتراحات مع مقدمة لها في جلسة واحدة وتناقشنا فيها مع أهل
 العلم والرأي من سائر الاعضاء فنقعت ، ثم دعا السكرتير المقرر جميع الاعضاء
 لقراءتها الاخيرة قبل تقديمها إلى المؤتمر فامتنع المصنوع المذكوران من الحضور
 فقدمناها الى المؤتمر ، وانني أنشر هنا نصها ثم أقفي عليه بما كان فيه من شأنها :

تقرير لجنة الدعوة والارشاد

للمؤمن الاسلامي العام

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ • وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

(سورة آل عمران)

(مقدمة)

أما بعد فإن الله تعالى جلت حكمته قد أكل لبيادة الدين ، بنبي أمي بعثه في
الأميين (يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل
للفي ضلال مبين) محمد رسول الله وخاتم النبيين ، وجعل دعوته عامة للناس أجمعين ،
خاتم به نعمته على العالمين ، باستكمال دينه العام الباقي الى يوم الدين ، لجميع ما يحتاجون
اليه من حقوق الروح والجسد للأفراد والاجتماع ، بالهداية الروحية ، والمصالح
الدنية ، للوصولتين لمن أقامهما إلى سعادة الدنيا والآخرة ، ولم يبعثه من أتباع
الانبياء الذين كانوا قبله ، ولا في الشعوب التي توارثت العلوم والفلسفة ، وأقامت
معالم الحضارة ، وأتقنت فنون الصناعة ، لتكون أميته صلى الله عليه وآله ، من
دلائل اعجاز الكتاب الذي بعث به ، ولتكون سنته في بيان هذا الكتاب بالعلم
والعمل ، والخلق والأدب ، والحسكة وجوامع الكلم ، من الحجج العلمية الحسية
على نبوته ورسالته ، فلا يمكن المراء ولا الريبة فيها

ثم لتكون سيرة خلفائه الراشدين فيما فتحوا من الامصار ، وما أقاموا من
ميزان العدل والمساواة في الاحكام ، وما ضربوه من وسائر أصحابه لاهل الملل
وأجناس الامم من المثل الصالح في الاخلاق والفضائل وأحسن الاعمال ، مؤيدة

لتلك الحجج في اظهار حقبة دين الاسلام ، وتواترها بين الانام ، وأنها من عند الله عز وجل ، لا مستمدة من قوانين موضوعة ، ولا من معارف مكتسبة أو مكتسبة ، ولا من تقاليد موروثة

لقد كان الاساس الاعظم لاصلاح هذا الدين لجميع من يهتدي به من البشر هو التوحيد ، الزيل لجميع أنواع الشقاق والتفريق ، ولذلك كان التوحيد خمسة أنواع (١) توحيد الالهية والربوبية ، المطهر للعقول والقلوب من خرافات الوثنية ، وأوهامها المفسدة للفطرة البشرية ، الرافع لاهلها الى أعلى المعارف الالهية (٢) توحيد العبادات ، المزكية للأنفس من دنس الفواحش والمنكرات ، الرامية لها على الاتحاد والاجتماع والنظام (٣) توحيد التقيف والآداب النفسية والمنزلية والاجتماعية ، المرقية للامة في الصحة ومكارم الاخلاق وأحسن العادات (٤) توحيد التشريع المدني والمالي والسياسي والاجتماعي الذي هو قوام المصالح الدولية والمانع من التفرق في الاحكام والاطمان (٥) توحيد اللغة الذي يتم به التعاون والتعارف والتآلف والتعليم ، ويحول دون تفرق الامة الى أجناس مختلفة

فبهذه الانواع من التوحيد والتأليف بين أجناس البشر في جميع مقومات الامة كانت أخوة الاسلام الدينية ، وبروابطه الحسية والمعنوية ، أقوى وأمتن ما عرفته الانسانية في الجمع بين شعوبها وقبائلها وتعارفهم وتآلفهم ، وإزالة ما أروعها من التعادي والشقاق بينهم ، باختلاف الاديان ، واللغات والانساب والاطمان ، وتمهدت بذلك جميع وسائل الكمال البشري والمدنية الحق الفاضلة التي كانت لحكام السابقون يتمنونها ويفقدونها ولا يهتدون اليها سبيلا ، وما زال الحكماء اللاحقون ييئفونها ولن يجدوا اليها في غير ظل الاسلام مقيلا

جرى السلف الصالح من خلفاء الاسلام وأمرائه وقواد جيوشه وقضاته على صراط هذا التوحيد العام الكامل وهو الصراط المستقيم ، فكان هذا هو السبب دون غيره في دخول الامة في دين الله أفواجا ، وفي ترك لغاتهم الى لغة التي جعلها زبهم لغة لدين الاسلام وأهله ، إذ جعل كتابه لهم عربيا ، وحكمه فيهم به عربيا ، وأوجب عليهم تدبره والتعبد به في الصلاة وغيرها . ولولا ان الذين كانوا

يهتدون الى الاسلام برؤية ما كان عليه الفاتحون من الصحابة (رض) وأهل الصدر الاول من العدل والفضائل قد علموا ان هذا الدين هو القرآن وما بينه رسول الله ﷺ به من سنته ، وان لغته هي لغة القرآن لا تقوم هدايته ولا تشريعها ولا تتم وحدة أمته وأخوتها إلا بها - لما أقبلوا على تعلم هذه اللغة من لقاء انفسهم بياض العقيدة ، ولما انتشرت بينهم بتلك السرعة العربية ، حتى ان الشعب الفارسي المريق في المجد والحضارة والادب فضل لغة دينه السامية ، على لغة جنسه وشعبه الرشيق الراقية ، فانتشرت منذ العصر الاول فيهم بسرعة البرق ، من غير دعاة ولا مدارس ولا كتب ، ثم كان من رجاله واضعوا بعض معاجمها وفنونها ، وأئمة الحديث والفقه وسائر العلوم فيها ، وصارت هي اللغة الوحيدة للاقطار السورية والمصرية والافريقية ، وتحقق بهذا ان هذه اللغة انما هي لغة الاسلام لا لغة العرب وحدهم ، ولولا ضعف الخلافة العباسية في العلم وتغلب نفوذ الاعاجم فيها ومنازعة سلاطينهم اياها في حكمها ، لعمت العربية بلاد الاعاجم الاسلامية كلها على انهم ما زالوا كلهم يعبدون الله تعالى بها بذلك التوحيد الذي أوجزنا في بيان أنواعه ساد الاسلام العالم كله ديناً ولغة وحكماً وتشريعاً وأدباً وعلماً وحكمة وحضارة ، ولكن المسلمين لم يلبثوا ان صدعوا ببيان كل توحيد منها ، وتفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات ، وكانوا شيعاً حتى في العقائد والتشريع ، ودعوا الى المصيبة النسبية والقوية ، واقتلوا بنمرة عصبيات المذاهب والملك والوطن ، فأوشك ان يخرجوا من حظيرة قوله تعالى (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) وكاد يحيط بهم سرادق (الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) ولا تنسج هذه المقدمة لبيان الاسباب التي دعته الى هذا التفرق بل دعته اليه دعاء ، وعملتهم الى هذه الضلالة عتلاً ، مع بيان شواهدا من الكتاب العزيز والتاريخ

غيروا ما بأنفسهم فغير الله ما بهم بمقتضى سننه المادلة في خلقه ، فسلب منهم جل ما كان آتاهم من ملك وسيادة ونعمة كان فيها فاكهين ، وأنفذ وعيده فيهم ، كما أنفذ فيمن قبلهم ، وقد بلغ من خذلان الجهل وفساد الاخلاق فيهم ان راجت فيهم شبهة أعدائهم الذين وسوسوا اليهم ان سبب ما طرأ عليهم من الضعف وزوال

الملك انما هو دينهم ، وهو هو الذي ساد به سلفهم ، وعزبه ملكهم ، ونشأت بهدايته حضارتهم ، ولسكنهم جهلوا دينهم وقار يخهم

آتى عليهم بضع قرون ، وهم في غمرة ساهون ، لا يشعرون بذنوبهم فيتوبوا منها ، ولا يحسبون بخاطر أدوائهم فيدّونوا بمعالجتها ، حتى اذا ما بلغ السيل الزبى بامعان الاقوياء في الفتك بهم ، ومحاولة الاجهاز على دينهم في كل قطر أجهزوا فيه على دنياهم ، بعث الله تعالى لهم مجدداً من آل بيت نبيه الاخبار ، آتاه الحكمة وفصل الخطاب ، ألا وهو الحكيم الرباني ، السيد جمال الدين الافقاني ، فصاح بهم صيحة بعد صيحة ، في قطر بعد قطر ، أيقظت كثيراً من النائمين ، ونبهت المستعبد من الحاملين ، بدأ إنذاره بالاققان فالهند فمصر ، فالترك والتار والفرس ، فربي بمحكمته وحمته رجالاً ، نفروا للجهاد العلمي والسياسي والمدني خفاً وثقالاً ، وكان ظهيره ووليّه في عهده ، وخليفته في الاصلاح من بعده ، الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده (رحمهما الله تعالى) فهما المجددان اللذان شخّصا الداء ووصفا الدواء ، وشربا في العلاج ، فهب لما رضىتهما الجامدون من التقليدين ، وانظرافيون من المرشدين ، والمستبدون من الحاككين ، وكان بينهما وبين قواد تلك الجنود المجنّدة ، ما كان من مصارعة ومقارعة ، ومصارعة ومنازلة ، حتى كان لدعوتهما النصر ، ولتعاليمهما الظفر ، على سنة التدرّج الطردة في الإلم ، فكل ما سمعناه في الجلسات العامة لهذا المؤتمر وجلسات ما عقده من اللجان من الشكوى من تفرق المسلمين وجهلهم وضميرهم ، ومن الآراء في الدفاع عنهم ، انما هو أثر دعوتهما ، وسريانها في جسم العالم الاسلامي سريان البرء في السم

أكثر أعضاء هذا المؤتمر من شعوب المسلمين في جميع الاقطار فيما اقترحوه عليه من الاصلاح وهو في مهد مولده ، حتى كأنه دولة نياية قوية غنية ، وانما هي نقثات مصدورين ، وكبر مخنوقين ، بل يصح أن يقال في بعضها انها استفاثة غرقى أو حشرة مختضرين ، كالصوت الذي وصل من اخواننا المرهقين بظلم البلشفية في الروسية ، ويقرب منهم اخواننا برابرة المغرب ولاسيا الاقصى ، ومنها ما هو نصير عن الرجاء في المؤتمرات المليّة التي هي أقوى وسائل توحيد قوى الامة

على انه قد بقي من مصائب المسلمين ما قصر الاعضاء في بيان كنهه ، وتمثيل خطره ، وهو فشو الالحاد والاباحة ، والاسراف في الشهوات الحيوانية ، فهذه الموبقات اشد فتكا وأسرع انتشاراً من مضار تفرق المذاهب ، والجمود على التقاليد والاصرار على الخرافات ، بل هي شر ما آلا من تعاليم الهداة إلى دين غير الاسلام ، فان سُمومها تنفث في الارواح ، من طريق العلوم والفنون التي يتهاقت عليها نشء المسلمين في جميع الاقطار ، ي باعث اعتقادهم واعتقاد أولياء أمورهم انها طريق الحياة المادية ، ووسيلة السعادة في الحضارة المصرية ، والعيشة الراضية المرضية ، فأما كون الحياة المدنية في هذا العصر لا تقوم إلا بالعلوم والفنون فقد صار من المسلمات التي لا مرء فيها ، وأما كون العلوم تقتضي الالحاد والاباحة فهذا باطل ، ولهذا كان من أعظم مقاصد هذا المؤتمر إنشاء مدرسة جامعة لها تكون إسلامية ، وليس معنى كونها إسلامية أن تقبل طلاب العلم العالي فيها من جميع شعوب المسلمين . كما قيل ، فان معاهد العلم العالي في كل بلد لا يصد عنها المسلمون ، فدرسهم أحق بذلك وأولى ، وإنما يعني به أن يجمع فيها بين العلم النافع ودين الاسلام الصحيح الذي هو دين العلم والحضارة بطبعه ، بحيث يكون الاسلام فيها مهذباً للعلوم المادية بالعقائد الحق وتربية العبادة والفضائل التي تصد عن جعلها وسائل للاسراف في الشهوات ، وفك الاقوياء بالضعفاء ، ويكون العلم فيها معززاً للاسلام وأهله بالثروة والقوة التي تصد الاعداء عن الاعتداء على دار الاسلام ، ونحول دون تمكنهم من سلب سلطته واستعباد أهله — وحسبنا هذه الجملة الوجيزة في معنى كون هذه المدرسة الجامعة اسلامية ، ومنه ننتقل إلى موضوع لجنتنا واقتراحاتها فنقول :

المقصد

ان ما يقصده المؤتمر من مشروع الدعوة والارشاد هو الذي يتحقق به معنى كون الجامعة إسلامية ، وبه تحصل جميع المقاصد الاصلاحية التي كثرت الاقتراحات فيها ، كقاومة التبشير المراد به تنصير المسلمين ومحاربة الالحاد والاباحة — ومناهضة لتفريق بين المسلمين بمصيبة المذاهب والجنس والافتقار وهدم البدع والخرافات وغير ذلك . ذلك بأن المراد من الدعوة والارشاد أن تعرف حقيقة الاسلام الحق وإظهاره

بأمثل طرق التعليم في جميع درجاته ، وتربية من يقوم بذلك بالتعليم والارشاد والخطابة والتأليف، وتعميم ذلك بقدر الاستطاعة، وبالدفاع عن الاسلام، وبيان فضله على جميع الاديان ، وكونه هو الدين الذي لا يمكن بدونه أن تصلح أمور البشر ، ويعالج ما يهددها من مفسدات الباشقية والاباحة وفوضى الافكار المادية وأما تنفيذه فلا يتم إلا بتعليم خاص وتربية خاصة، وجمعية خاصة وانما يمكن أن يقوم المؤتمر الآن بما هو دون الكمال منه والذي نقترحه في ذلك بلخص في المواد الآتية:

(نص المواد التي اقترحتها لجنة الدعوة والارشاد)

(المادة الاولى) تؤلف جمعية باسم (جمعية الدعوة والارشاد الاسلامية) تكون تابعة للجنة التنفيذية وهي تعين مركزها العام، ويكون لها فروع في الاقطار الاسلامية (المادة الثانية) غايتها (ا) نشر الهداية الاسلامية (ب) توثيق عمى الوحدة والاخاء بين المسلمين (ج) مقاومة الاحاد (د) صد الفارة على الاسلام ودفع الشبهات عنه (المادة الثالثة) تتوسل الجمعية إلى ذلك بالوسائل الآتية (ا) بث الدعاة إلى الاسلام (ب) بث المرشدين بين المسلمين ولا سيما أهل البادية منهم (ج) نشر رسائل وكتب تشتمل على أصول الاسلام وفضائله وآدابه وحكمة التشريع فيه (د) إلقاء المحاضرات والخطب ونشر المقالات في الصحف (هـ) إنشاء صحف باللغة العربية وغيرها في الاقطار المختلفة تعنى بالشؤون الاسلامية (و) السعي لاصلاح منهج الخطب التبرية ودروس الوعظ والارشاد (ز) السعي لدى حكومات البلاد الاسلامية ومدارسها الاهلية لاجل العناية بالتعليم الديني والتربية الاسلامية (المادة الرابعة) الاهتمام بتعميم اللغة العربية في جميع الشعوب الاسلامية

رئيس اللجنة

المقرر

السيد محمد رشيد رضا

اسحاق الشاذلي

(النار) كانت هذه الاقتراحات مبسوبة ومطولة فعند المناقشة فيها قرر المؤتمر تأليف لجنة تلخصها وتضعها في صيغة مواد قانونية ، فاجتمعت اللجنة وانفقنا معها على وضعها بالنص الذي تراه هنا وقرره المؤتمر بالاجماع وساذكر في الجزء الآتي النص الاصيل لقائده وما كان من الاعتراض عليه وتفنيد كلام المعارض خدمة للتاريخ

الرابطة الاسلامفة الدولية

(جاء فف جرفدة صوت الشعب الفلصفففة لصاحبها الكاتب الوطنف المعروف عفسف أفنفف بفنك بفارفخ ١٢ أذار (مارس) فف فف هذا العنوان ما نصه)

ننشر ففما فلف نظام الرابطة الاسلامفة الدولية الفف فشفل السفد ضفاء الففن طباطبافف وفطففة السكرففر العام لها فف جففف و فشفل سمو الفففوفف هذه الرابطة بففوفه وعطفه

﴿ (١) فسمها ، مركزها ، أغراضها ووسائل عملها ﴾

(المادة الاولى) أسست وفافاً المادة السففن وما فلفها من مواد القانون المفف السوفسرف جماعة فسمها « الرابطة الاسلامفة الدولية » ومركزها العام مففنة « جففف »

(المادة الفائف) فرمف هذه الرابطة على وفه الففصوص الى ما فافف :
أولا — العمل على اسفءامة الوثام ففن مفففف عناصر العالم الاسلامف
فائفاً — ففشاء مركز فعاون ففكرف ففن علماء الاسلام وجامعافه ومعااهه
فائفاً — السهر على الففففاظ بأوضاع الطوائف الاسلامفة فففا فوجد
رابعاً — اعانة أعمال البر والمؤمساف الففتماعفة الاسلامفة
خامساً — افطلاع ففر المسلمفن على الافصول الصفففة لعلوم الاسلام ومذاهبه
ورفع المهففات ففر المبررة الفف فوجه الففها والوصول عن هذا الفرفق الى فوففق
العلاقات ففن الشرق والغرب

(المادة الفائف) تعمل الرابطة بوسائل افذاعه الفشرات ، وعفف الففتماعف ، وففففم الآراء ، واسءاء النصافف ، وذلك كله فف الففوف الفف فرسمها الفوائفن
الاهلفة فف كل دولة

(٢) أعضاء الرابطة

(المادة الرابعة) يقبل عضواً في الرابطة كل مسلم كامل الاهلية تزيد سنه عن الواحدة والعشرين من غير تمييز للجنس أو اللغة أو المذهب متى قبل قوانين الرابطة وتعهد باحترام لوائح أنظمتها المختلفة وبتسديد قيمة اشتراكه في الميعاد (المادة الخامسة) أعضاء الرابطة على سبعة أنواع : أعضاء شرف ، ومحسنون ، ومتبرعون ، ومؤسسون ، وعاديون ، وجامعيون ، ومنتسبون

(أ) فأعضاء الشرف هم الملوك ، ورؤساء الدول المسلمون ، وكذلك عظماء رجالات الاسلام ، الذين يؤدون للرابطة خدمات أدبية أو مادية يقدرها مجلس الرابطة الاعلى

(ب) والاعضاء المحسنون هم الذين يهبون الرابطة هبة أو يوصون لها بموصية تزيد قيمة أيتهما على عشرة آلاف فرنك سويسري (ج) والاعضاء المتبرعون الذين يساهمون في ميزانية الرابطة بمبلغ سنوي تزيد قيمته على مئة فرنك سويسري

(د) والاعضاء المؤسسون هم الذين اشتركوا في تكوين الرابطة بمدينة « جنيف » في اليوم الخامس عشر من شهر نوفمبر لسنة ١٩٣١

(هـ) والاعضاء العاديون هم المسلمون الذين يستوفون شرائط المادة الرابعة من هذا القانون الاساسي وتصادق اللجنة التنفيذية على طلبات الانضمام التي يقدمونها اليها (و) والاعضاء الجامعيون هم الاحلاف التي تؤسس في عواصم بلاد أوروبا والعالم الاسلامي مع ما يكون لها من فروع في هذه البلاد المختلفة وتديرها لجان أهلية تقرر طريقة تأليفها في قوانين الاحلاف التي يجب تصديق المجلس الاعلى عليها قبل نفاذها

وتنظر هذه اللجان الاهلية على وجه الخصوص في أمر قبول الاعضاء المنتسبين وتسهر على تحصيل الاشتراكات وارسال عشر قيمتها الى المجلس الاعلى وتقف هذا المجلس على حالة الطائفة الإسلامية في بلادها ، وتنفذ قراراته في حدودها ، كما تنظر في حالة الطائفة الإسلامية في بلادها ، وتنشأ من الفروع التابعة لها

(ز) والاعضاء المنتسبون هم الذين ينتدون الى حلف من أحلاف الرابطة ويدفعون له اشتراك سنوياً تعادل قيمته خمسة فرنكات سويسرية
(المادة السادسة) أعضاء الرابطة العاملون هم المؤسسون والمنتسبون والمتبرعون الذين يطلبون ذلك

﴿ (٣) نظام الرابطة ﴾

أنظمة الرابطة هي :

(ا) المؤتمر العالمي الاسلامي (ب) المجلس الاعلى (ج) اللجنة التنفيذية

المؤتمر العالمي الاسلامي

(المادة السابعة) يؤلف المؤتمر العالمي الاسلامي من الاعضاء المؤسسين ومن الاعضاء المتبرعين العاملين ومن مندوبين عن الاحلاف يمثل الواحد منهم ألف عضو منتسب وينعقد المؤتمر بهيئة جمعية عامة عادية مرة في كل ثلاث سنين وبهيئة جمعية عامة فوق العادة كلما وجد المجلس الاعلى ضرورة لذلك ويرسل المجلس الاعلى الدعوات لعقد الجمعية العامة العادية قبل موعد الانعقاد بستة أشهر على الاقل ولعقد الجمعية العامة فوق العادة قبل موعد انعقادها بشهر واحد على الاقل

المجلس الاعلى

(المادة الثامنة) يدير الرابطة مجلس أعلى مؤلف من الاعضاء المؤسسين وخمسة أعضاء ينتخبهم المؤتمر العالمي الاسلامي بين المرشحين الذين يقدم كل حلف اثنين منهم ، ويكون انتخابهم لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد
(المادة التاسعة) يجب على المرشح لعضوية المجلس الاعلى أن تكون سنه قد جاوزت الاربعين وان يكون قد أمضى أكثر من سنتين عضواً في لجنة أهلية
(المادة العاشرة) يجتمع المجلس الاعلى كل ثلاثة أشهر مرة على الاقل ولا تكون قراراته صحيحة إلا بحضور خمسة من أعضائه على الاقل

اللجنة التنفيذية

Number of hauls	<i>P. setiferus</i> (%)	<i>P. setiferus</i> + <i>P. setiferus</i> + <i>P. setiferus</i> (%)
1	10	5
2	25	10
3	45	15
4	65	18
5	80	20
6	90	22
7	95	23
8	98	24
9	99	25
10	100	26

میت و اشتراکات الاعضاء المیتة

في مركز الراجعة العام . إـ

رأى المنار في هذه الجمعية

(وفي سمو مؤسسها)

ان موضوع هذه الجمعية لعظيم جداً ، وان هذا الهيكل العظمي لنظامها
لكبير جداً ، وان حاجة العالم الاسلامي اليها لشديدة جداً ، وان همة مؤسسها
(الامير الكبير عباس حلمي خديو مصر السابق) لكبيرة ، وإن إرادته لقوية ،
وإن ثروته لواسعة ، وانما يتوقف نجاح هذا العمل العظيم مع استخدام هذه
القوى الثلاث ، على طائفة من الرجال العظام ، وانما اعني العظام بعلومهم وقلوبهم
وأخلاقهم وعلومهم وأعمالهم وإخلاصهم وحريةهم واستقلالهم — لا بألقابهم
يوجد في بلاد الاسلام المتفرقة أفراد من هؤلاء الرجال ، لا يوزمهم للقيام بمثل
هذا المشروع العظيم إلا القوة والمال ، وأغنياء المسلمين أولوا المال كلهم أو جلهم
أغنياء أو بخلاء ، وأمراؤهم أولو القوة والنفوذ كلهم أو جلهم مستبدون أو جهلاء ،
فهم لا يعرفون أقدار عقلاء المصلحين ولا يتقدرون على الاتفاق معهم ، لأنهم
يريدون استخدامهم لأشخاصهم لا لأمتهم ، ويحاولون تسخيرهم لأهوائهم
دون العمل بمقتضى عقيدتهم ، والرجل المصالح الخالص لا يتبع في عمله هوى نفسه ،
فكيف يتبع هوى غيره ؟

ولا أعرف أحداً من أمراء المسلمين قد جرب الناس وخبرهم كالامير عباس
هذا ، ذلك بانه كان في عهد إمارته قليل التحجب والترفع ، كثير المقابلة للناس
من الطبقات العليا والوسطى ، واسع الحرية في محادثتهم ، وقد تدلى عن افق الامارة
والملك إلى معاداة رجال من خواص أمته واتخاذهم خصوما ، ثم ارتقى إلى مقامه
اللائق به فأدنى الباقيين منهم واتخذ منهم أولياء وأنصارا ، وقد رأى كثيراً من
الناس الذين يتبعون هواه ، ويبيعون دينهم بدنياه ، لا حباً فيه بل حباً لأنفسهم ،
وتوسلا به إلى شهواتهم ، ورأى قليلا من الناس لا يعملون إلا لأمتهم ، ولا يؤثررون
أحد على ماتهم ، فلا يلفتهم المال ولا الجاه أقل لفقة عن عقيدتهم ، ورأى أن قليل

هؤلاء الصادقين، خير من كثير أولئك المناقذين، وإن جميع علماء الأزهر ما كانوا يغنون غناء الشيخ محمد عبده، وأن جميع رجال بطانته وحاشيته لا يبلون بلاء حسن عاصم باشا وحده، فإذا كان مبلغ استفادة سموه من هذه التجارب هذا ما لا أعلمه ولا كنتي كنت ممن عاداهم ثم أدانهم، وقد وعدني بالمساعدة على ما أقوم به من الإصلاح الإسلامي إلى مدى بعيد، وشرع في الوفاء فخلت الحرب العالمية دون استمرار العمل الذي بدأت به بمساعدته (وهو مدرسة الدعوة والارشاد) وكان من مقاصده فيه الاتفاق مع الدولة العثمانية على مثل ما هو أوسع منه بمذوق ما كان يتوقعه من شعور رجالها بخطئهم في عدم تنفيذهم لمشروع الدعوة والارشاد في الاستانة . ولا أدري ما كان يرمي إليه من وراء ذلك الاتفاق وما ظننت إلا خيرا وأقول الآن : لو كان معه في مؤسسي هذه الرابطة الإسلامية رجلان كالشيخ محمد عبده وحسن باشا عاصم في بصيرتهما واستقلال عقولهما وإرادتهما وإخلاصهما لرجوت له الفوز والنجاح فيها، إذا هو أعطاها حقها في استقلالها وحريةتها، وقنما بالعمل معه لخدمة الإسلام بالذات، وخدمته هو بالتبع لخدمة الإسلام، وإنما اقتضت على ذكر رجلين اثنين في هذا المثل لأنه ذكر في المادة السابعة عشرة من قانون رابطة أن اللجنة التنفيذية لجلسها الأعلى تتعقد بحضور اثنين من أعضائها وتكون قراراتها صحيحة، وهذا مما ينتقد من مواد هذا القانون، ولكن عقبني الرجال يغني قليلهم عن كثير غيرهم إن وجدوا، ولا يفري فرئهم أوف الدهماء إن فقدوا وأريد بهذا المثل أن مثل هذا العمل لا يمكن أن ينهض به إلا كبار رجال الإصلاح العالمين بأمراض العالم الإسلامي العارفين بطرق علاجها، الذين يهمهم أمر أممتهم، أكثر مما يهمهم أمر أنفسهم وأهليهم وأولادهم، فإن كان الأعضاء المؤسسون لهذه الرابطة مع سموه في جنيف (سويسرة) من هذه الطبقة فإن ذكر أسمائهم في ذيل قانون الرابطة أعظم تأثيراً في العالم الإسلامي من جميع مواده الواسعة النطاق، المحيطة بالآفاق، ولكن أنى له رجال من هذه الطبقة ؟

أسس سموه هذه الرابطة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣١ الموافق خامس رجب من هذه السنة في مدينة جنيف، ولا نعلم أنه كان فيها من رجال العالم الإسلامي

الذين يصلحون لنهوض بهذا العمل إلا الأمير شكيب أرسلان ، الملقب بأمير البيان ، والمشهور بجهاده في خدمة الاسلام في كل مكان ، وإنا نعلم علم اليقين انه لم يكن من المؤسسين مع سموه لهذه الرابطة ولا ممن استمد رأيهم فيها ، ولقد يعز على من يعرف هذا الرجل أن يثق بمشروع اسلامي يرغب مؤسسه عن اشتراكه ، أو يرغب هو عن مشاركتهم فيه ؟

أسس سموه هذه الرابطة بعد أن وصل اليه كتاب الدعوة إلى المؤتمر الاسلامي الذي عقد في القدس الشريف وكان وعد بأن يحضره أو يرسل مندوباً عنه يحضره ، ورأينا في أساس نظامها عقد (مؤتمر عالمي اسلامي) في كل ثلاث سنين مرة ، رأينا في مقدمته أن السيد الطباطبائي سكرتير لجنة هذا المؤتمر التنفيذية المنتخب جمل سكرتير الجمعية الرابطة الاسلامية الدولية أيضاً ، وهو كفؤ لما باستعداداته الفني والسياسي ، ولكنه لا يمكنه الجمع بين العمالين ولا ادغام احدهما في الآخر زار سمو الأمير عباس - بعد تأسيس هذه الرابطة - أنقرة وجدد مودته لحكومتها الجمهورية اللادينية ، وزار فلسطين وسورية فاحتفى بزيارته المندوب السامي البريطاني في الاولى والمندوب السامي الفرنسي في الثانية ، وزار شرق الاردن وجدد مودته لأمرها عبد الله بن الملك حسين ، وكل زيارة من هذه الزيارات تضعف الثقة بهذه الرابطة التي أسسها ، فاذا قرن ذلك بمن استخدمهم سموه في زيارته هذه وباختياره لنشر قانون الرابطة جريدة رجل مسيحي في (بيت لحم) من فلسطين على المجلات الاسلامية والجرائد اليومية المشهورة فإن الثقة بها تزداد وهنا على وهن ، وظنة على ظنة

عبارة قانون الرابطة ضعيفة ، ومنها ما لا يفهم معناه إلا بالقرينة ، وفي مواده على نقصها أمور مبهمه وأخرى غير معقولة ، ومن أغربها ان من أعضاء الشرف في هذه الجمعية ملوك المسلمين ورؤساء دولهم (أي الجمهورية) فمن ذا الذي يعقل أن يرضى إمام اليمن وملك مصر وملك الحجاز ونجد وملك الافغان وشاه ايران وملك العراق أن يكونوا أعضاء لهذه الجمعية ، وليس للمسلمين حكومة جمهورية إلا حكومة الترك ولكنها حكومة لادينية لا حكومة إسلامية ، فهي قد جلت جميع روابط

الاسلام وتبرأت من كل صلة لها بالمسلمين ، ومن الشرق والشرقيين ، فأنى
يقبل رئيسها أن يكون عضواً لهذه الرابطة الاسلامية ؟ الا انه قد يكون له هوى سلبى
فيها ، وقد يكون منه شيء يتعلق بالخلافة ، ولكنه لا يرضى ان يكون عضواً شرف لها .
تداوات الصحف نبأ اضطراب هذه الحكومة اللادينية وانزعاجها من عقد
مؤتمر اسلامي في القدس الشريف ، وخوفها أن يكون من مقاصده إحياء منصب
الخلافة الاسلامية ، فخطبت وزارة خارجيتها الدولة الانكليزية باعترافها على عقد
مؤتمر هنالك يبحث في مسألة الخلافة . فبلغتها هذه الدولة ان ذلك ليس من عمل
المؤتمر ، ولم يمنعها هذا من الكتابة إلى الدول الاسلامية : ايران وافغانستان ومصر
والحجاز والعراق مقترحة عليها عدم الاشتراك في هذا المؤتمر

وجملة القول أن اسباب الارتباب في هذه الجمعية كثيرة منها ما ذكرناه آنفاً .
ومنها ما ذكرناه في الكلام على المؤتمر الاسلامي العام من هذا الجزء ، وهو ما شاع
من سعي سمو العباس ليكون ملكاً لسورية أو رئيس جمهورية لها في ظل الانتداب
الفرنسي ، وقد تناقل المشتغلون بالقضية السورية عنه أنه مهد السبيل لهذا السعي
مع فرنسا وحكومة الترك الجمهورية بما حملهم على بث الدعاية لمقاومة سعيه ، واحباط عمله
ويمكنني بعد هذا كله ان اقول ان مبسروع هذه الرابطة الاسلامية هو أكبر عمل
فكر فيه العباس ، وانه خير له من ملك سورية في ظل الانتداب ، وقد يكون افضل
له من ملك مصر مع سيطرة الاحتلال ، اذا هو أعطاه حقه ، واختار له من الرجال
أهله ، وما اراد الا يعتقد اخلاصه في النصيح له ، عملاً بحديث « الدين النصيحة لله ولرسوله
ولأئمة المسلمين وعامتهم » (رواه مسلم في صحيحه) وقد صرح لي بمثل هذا الاعتقاد اذ
شرقي بالدعوة الى مقابلته في قصر القبة بعد ابعادي عنه وإلحاحه في عداوتي تسع سنين
فليتأمل سمو العباس مقالتي هذا تأملاً ، وليتدبره تدبراً ، وليتفكر فيه تفكيراً ،
فانه ان يعطه حقه من ذلك غير مشوب بشعور عظيمة ماضيه ، ولا باماني حاضره وآتيه ،
يعلم ان ما قلته هو الحق لا ريب فيه ، وحينئذ يجب عليه ان يتف مواهبه النفسية
والمالية على اخذه برأيه ، وتوسيد العمل فيه الى أهله ، فبذلك يحدث اكبر إصلاح
في الشرق والغرب ، وإلا فلا جدر به تركه والتفصي منه : « كل ميسر لما خلق له »

أذان إبراهيم الخليل بالحج

ودعاؤه لأهل الحرم بالرزق

(وما للمسلمين وعليهم من ذلك في هذا العماد)

قضت حكمة الله تعالى أن يجعل الركن الاجتماعي العام لدينه الاسلام في بقعة من الارض ليس للناس هوى فيها لذاتها، فهي لا تقصد لا عندال هواها، ولا لعدوبة ماها، ولا لبهجة رياضها وجنى جناتها، حتى يكون الباعث على قصدها لأداء المناسك هو التعمد المحض والاخلاص لله تعالى فيه

وكان من شرع الله في هذه المناسك إهداء الانعام لبيت الله تعالى، وإيجاب الفدية على من أدخل بشيء من واجبات الاحرام عنده، وعلى من تمتع بالعمرة إلى الحج فيه، لاجل توسعة الرزق على سكان حرم الله تعالى

قال الله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والماكين والركع السجود * وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) بل كان من عناية الله بأهل حرمه وجيران بيته أن أنطق خليله إبراهيم بالدعاء

لهم أن يجذب اليهم قلوب الناس، وأن يرزقهم من الثمرات، وهي غاية نعمة الرزق والرفاهة - قال تعالى (وإذ قال إبراهيم : رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر . قال (أي الله تعالى) ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير) فوعده تعالى بأن يرزق من كفر منهم به ويجحد نعمه بالرزق من الثمرات في الدنيا، وإنما يكون جزاؤه على الكفر في الآخرة لا بحرمان الرزق في الدنيا. وقال تعالى فيما قصه علينا من دعائه (ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا

الصلاة فاجمل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) استجاب الله تعالى دعاء خليله لاهل حرمه في كل زمان، فسخر لهم القلوب تهوي اليهم من كل مكان، وتقترب اليه تعالى بادرار الرزق عليهم، أجوراً لدورهم، وجزاء على خدمتهم، وصدقة على فقرائهم، وهدايا لاغنيائهم، إذ علموا ان هذه التوسعة عليهم من منعمات نسكهم، وموجبات رضوان ربهم، حتى ان الله تعالى سخر لهم في عهد الحرب العامة دولتي انكلترا وفرنسة لتحمل الحجاج اليهم من المشرق والمغرب مع الانفاق على هؤلاء الحجاج، وسخر الاولى لحل الارزاق لهم من الهند وقد وفق الله تعالى أغنياء هذه الامة المحمدية فوقفوا على حرم الله وحرم رسوله ﷺ ما لا يحصى من الاطيان والبساتين والمقار في جميع الاقطار، مما لو حفظ كله أو جله وصرف ريعه في عمران المسجدين وما جعله الشرع حرماً لكل منهما، وفي التوسعة على سكانها، لكان الحرمين الشريفان أعظم بلاد الله تعالى عمراناً، ولكان أهلها أوسع عباد الله تعالى رزقاً وأبسطهم عيشاً، بحيث لا تتال منهم أمثال العسرة المالية الحاضرة شيئاً

ولكن الفاسقين من الافراد والظالمين من الحكام قد جعلوا كثيراً من تلك الاوقاف ملكاً، وطمسوا معالمها طمساً، على ان ما بقي منها معروف الى الآن كاف لعمران الحجاز كله، وترفيه مبيشة أهله، بل ان المعروف من أوقاف الحرمين في وزارة الاوقاف المصرية وحدها ينفي بذلك، واننا لانجد لحكومة مصر عذراً شرعياً في منع الحرمين الشريفين حقهما من أوقافهما والتصرف فيها بغير ما وقفت عليه هل يصح أن يكون منع ملك الحجاز استمرار بدعة المحمل المنكرة الخرافية مبيهاً شرعياً لحرمين الحرمين وسكانها من ريع هذه الاوقاف؟ هذا ما لا يقول به مسلم يعرف الاسلام ولو لم يكن المحمل بدعة مشتملة على كثير من المنكرات الشرعية حتى صرح الفقهاء بتحريم الاحتفال به، والتفرج بالنظر اليه، فكيف يكون التعبد بالتبرك به وجعله من قبيل مناسك الحج؟

هل يصح أن يكون عدم اعتراف الحكومة المصرية بحكومة الحجاز الحاضرة عذراً شرعياً لهذا المنع والحرم؟ كلا ان هذا ذنب وذلك ذنب، ولكن بعض رجال

الحكومة المصرية يلبسون الشرع بالسياسة كما اعتذر المرحوم عبد الخالق ثروت باشا عن عدم إرسال كسوة الكعبة المشرفة باحتمال رد الوهابية لها بادعاء أنها بدعة كالحمل، قال هذا في جواب البرلمان وقبلة منه البرلمان مع علمه وعلم أعضاء البرلمان أن الملك ابن السعود قبل الكسوة السابقة ووعد بقبول اللاحقة التي لم ترسل، ومع علم الجميع بأن الحمل بدعة ابتدعته شجرة الدر، وأن كسوة الكعبة مشروعة مجمع عليها بين المسلمين، وقد صنعها ابن السعود بعدمع مصر لها، فاستأثر بهذا الشرف من دونها وقد بلغنا عن بعض رجال الحكومة أنهم يعتذرون عن منع مخصصات الحجاز السنوية من مال وغلل وهي دون حق الحجاز أن ناظر أوقاف مصر لا يأمن حكومة الحجاز على وضعها في مواضعها، ويعذر على وزارة الأوقاف توليها لتوزيعها وإشرافها عليه ومراقبتها له، وهذه التعليقات غير صحيحة، ولو صحت لما صلحت أن تكون سببا لمنع هذه الحقوق أهلها، فحكومة الحجاز أمينة ويمكنها إثبات توزيع ما يرسل إليها على مستحقيه، وهي لا تمنع عمال وزارة الأوقاف عن توزيع ما تشاء من المال إذا لم يكن بصفة تتضمن العطن بأمانتها، ولو فرضنا أن الذين يتولون توزيعها يخونون بأكل شيء منها لما كان هذا مبيحا لمنعها كلها عن جميع مستحقيها، وقد يكون هؤلاء الخونة المفروض وجودهم منهم

مالنا وللإعذار السياسية والسياسة مازالت تلبس الحق بالباطل وتكتم الحق الصريح على علم بأنه الحق، نحن الآن أمام خطب عظيم يجب فيه تمكيم الرحمة التي هي فوق الحقوق الرسمية، والممارسة السياسية

أن جيران الله وجيران رسوله محتاجون، وقد تكون العسرة العامة أشد عليهم من غيرهم، وأن حقوقهم على المسلمين كافة أكبر من حقوق غيرهم من اخوانهم في الدين، فعلى المسلمين في جملتهم أن يتقربوا إلى الله تعالى بتوفير ما أمّن به على سكان حرمة من إغداق الرزق عليهم حتى احتج على المشركين منهم بقوله (أو لم نمكن لهم حرما آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا)؟

وعلى المسلمين أن يتقربوا إليه عز وجل بأن يكونوا مظهر آحقة لدعاء خليله إبراهيم بسمعة هذا الرزق عليهم، ولدعاء محمد رسول الله وخاتم النبيين بالدعاء لأهل حرمة أياضه

والذي أقترحه على خيار المسلمين في هذه العسرة أن يقبل المستطيعون على الحج ويكون الذين يوقفهم الله تعالى لأدائه أمخياء، يبسطون أيديهم بالعطاء للمطوفين والمزورين والخدم، وبالصدقات على الفقراء، فإن ثواب المناسك في هذا العام مضاعف، وثواب جميع النفقات في الحرمين مضاعف، وليذكروا فيه حجة الوداع لمن هدام الله تعالى إلى هذه السعادة برسالة، وشرفهم بجعلهم من أمة صلى الله عليه وآله وصحبه، وأنه أهدي في حجته هذه إلى بيت الله تعالى مائة بدنة (جل) نحر بيده الشريفة منها في منى ثلاثا وستين (وهي عدد سني عمره الشريف) وأمر ربيبه عليا كرم الله وجهه فنحرا الباقي

وليحذر كل مسلم من فتنة بعض المضلين والملحدن الذين يصدونهم عن التوسع في النفقة في الحرمين الشريفين ويفرونهم بالمشاحة والمأكسة فيها، ويصفون جيران الله ورسوله بالطمع في أموال الحجاج، حتى صار المفتونون بأقوالهم يعدون كل ما يقرب إلى الله تعالى من النفقة هنالك مغرما من المغارم، وإن كانوا يسرفون في سائر النفقات حتى المكروهة والمحرمة منها في بلادهم ولا سيما أما كن اللهو والفسق الخاصة بالاجانب. دع أسراف الفساق في بلاد الأفرنج، وأناي لأخشى على صاحب هذا الشغور أن يكون حجه غير مبرور، وسعيه غير مشكور، وإن يكون بهذا مأزورا غير مأجور

بل أحدث أعداء الإسلام من الاجانب ومن ملاحة أهله دعاية أخرى ثمرا من هذه وهي ترك الحج لما فيه من اضاءة ثروة الوطن في بلاد العرب، وهذا ضرب من الدعاية إلى ترك الإسلام من أهله، وانما السلم من يفضل النفقة في الحرمين الشريفين على النفقة في وطنه تقربا إلى الله تعالى وقد صار أكثر الحجاج من الفقراء الذين يزاحمون أهل الحرمين في رزقهم

أخبرني الرحالة الشيخ عبد الرشيد إبراهيم أنه رأى مرة في البيت الحرام رجلا من حجاج بلغ فسأله عن فائدة حجه، فأجابه بأن الله تعالى جعل بيته في هذه البقعة الجرداء، وسخر لاهله الناس لأجل أن يموتوهم ويدروا عليهم الارزاق، ففأثقتني أنني ممن سخرهم الله تعالى لما يحبه من ذلك، فهذا البلخي الاعجمي قد

مجله الأزهر والاسنان المراجعي

في أثناء اشتغالي الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى الراغبى بوضع قانون
لازهر الجديد كان هذا كرام أهل العلم والرأي من أصدقائه في موضوعه ومناهج
التعليم في الكليات التي ستنشأ فيه . وقد أفضى الحديث بيني وبينه في ذلك الى
تقترحه علي أن اكتب له مذكرة في موضوع المجلة التي تقرر في القانون الجديد
إنشاء ادارة المعاهد الدينية لها ، وفي موضوع درس الفتوى في كلية الشريعة بعد تحديث
طريقه . ولما رأيتنا في الموضوعين ففعلت ، ثم قضى الله تعالى أن يستقيل من منصب
الشيخنة ورياسة المعاهد ، وصدرت المجلة بعد ذلك فمقرظتها في المنار ، ونسحت
لها ، ليسير أن يكون نافعاً مفيداً ، ولأن خاب ألمي وآمال كرام من أعرف من
أن يكون هذا العمل في راسد الزمان الذي فيه كما كانت ذلك في الخبر ١٠٠
لأنه من شأنه وقد قرأته في جريدته في سنة ١٣١٠ في راسد الزمان الذي فيه كما كانت ذلك في الخبر ١٠٠
لأنه من شأنه وقد قرأته في جريدته في سنة ١٣١٠ في راسد الزمان الذي فيه كما كانت ذلك في الخبر ١٠٠
لأنه من شأنه وقد قرأته في جريدته في سنة ١٣١٠ في راسد الزمان الذي فيه كما كانت ذلك في الخبر ١٠٠

﴿ مذكّرة صاحب المنار للاستاذ الافضل الشيخ محمد مصطفى المراغي ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مولانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر ورئيس المعاهد الدينية
رغبت إليّ أيدك الله أن أكشفك برأيي في صفة التدريس في كليات الازهر
المعمور التي ستنشأ — إن شاء الله تعالى — في أول السنة الدراسية من هذا العام
ولاسيما دراسة العلوم الجديدة فيها ، وأن أذكر لك من أعرف من العلماء الذين
يصلحون لتدريس هذه العلوم ، ورأيتك غير متقيد بكون هؤلاء العلماء مصريه
الجنس ، ولا من الحاملين لشهادة مدرسية رسمية ، واستحسننت أن أعجل اليك
بكتابة ما أراه في صفة تدريس الفقه خاصة ، وبكتابة ما أراه في نظام مجلة الازهر التي
تقرر إصدارها منسوبة اليه ، والمواد التي تتألف منها أبوابها — الخ ما تفضلتم بمشافهتي به
أكبرت هذه المشاورة من فضيلتكم ، على ما أعلم وأعهد — عادتكم وشنشتكم
فيها ، وإنها لآية بينة على ما آتاكم الله تعالى من نور البصيرة ، وسعة العلم ، وبعد
الرأي ، والتأسي برسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله في امثاله لأمر الله
عز وجل في قوله (وشاورهم في الامر)

وانني أرى أن امثال أمركم هذا — وكذا كل ما هو بمعناه — واجب على
شرعا بما أمر الله تعالى به من التعاون على البر والتقوى ، والتواصي بالحق ، والامر
بالمعروف ، وبما صحح من قول رسوله ﷺ « الدين النصيحة » قالوا لمن يا رسول الله ؟
قال « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم من حديث
تميم الداري ، وفي حديث أبي هريرة المرفوع في حقوق المسلم الست « وإذا
استنصحتك فانصحه » رواه مسلم أيضا

مجلة الازهر

أعيد في هذه المذكرة الوجيزة ما قلته في حديثنا من وجوب العناية التامة بالمجلة
من أول الامر ، وبذل الجهد في إتقان تحريرها ، وحسن الاختيار لموادها ، فانها هي
المرآة التي تتجلى فيها صورة عهد الاصلاح الجديد ، في هذا المعهد الاسلامي التليد ،

لجميع العالم الانساني، ولا سيما العالم الاسلامي، الذي يجب أن تكون هذه المجلة مدرسة كلية سيارة له، تهديه إلى كل ما يجب أن يكون عليه في أمر دينه ودنياه، وبها يحكمون للازهر ومشيوخه ورئيسه أو يحكمون عليه وعليهم، وسيكون هذا الحكم قطعياً لا يقبل استئنافاً ولا نقضاً، وليس لشيء من دروس كليات الازهر مثل هذا الشأن لعدم اطلاع العالم عليها، ولأن المعهود في مثلها أن يبدأ ناقصاً ويرقى في معارج الكمال بالتدريج، وأما هذه المجلة فيجب أن تكون من أول يوم في أعلى درجات الكمال المستطاع أو يصرف النظر عنها

إن كثيراً من الكتاب وعلماء اللغة وعلماء الدين والمؤرخين والسياسيين وغيرهم من البارعين في العلوم المختلفة والفنون سينظرون إلى هذه المجلة بعيني النقد القويقي الاشعة، لما لها من الصفة الرسمة، ولما يتوقع أن يكون لها من التأثير في العالم الاسلامي - وهم المنصف وغير المنصف - فيجب أن يحسب رئيس تحريرها لذلك كل حساب، ويعلم أن حرية القول فيها يجب أن تكون دون حرية صحف الشركات وصحف الافراد - وأن يعنى باتقاء الاستهداف لسهام الاقلام وأسمائها أولاً، وبإعداد المجان الصادقة لها ثانياً، ثم بمداواة كلومها بعد الاصابة ثالثاً، ولا سيما إذا كان الانتقاد موجهاً اليها من بعض الدول الاجنبية أو من بعض صحفها أو رجال سياستها أو علماءها

فأول ما يجب أن يهتم به اختيار لجنة التحرير، وأن توزع مواد أبوابها على الاختصاصيين في كل باب، وأن تكون العناية باختيار رئيسها أشد، وأول ما يشترط فيه أن يكون له معرفة واسعة بحالة العصر، وبما أشرنا اليه في أول هذه الجملة من مواضع النقد، فإن لم يتيسر وجود من يوثق به في هذا فينبغي أن يكون للتحرير مراقب أو مستشار، وإن لم يكونا من المحررين الموظفين، وقد يوجد من فيه الكفاية لذلك من أساتذة بعض الكليات

وإذا يسر الله تعالى اختيار ثلاثة رجال لرياسة التحرير ولما راقبته وللادارة العامة فيهم الغناء والكفاية فانهم يغنون مولانا الاستاذ الاكبر عن وضع هذا

الداعي للتقرير المفصل الذي كاشفني برغبته فيه ، ولا أضن بوقتي عليهم إذا أحبوا استشارتي في عملهم ، فإن ظال — بعد الاطلاع على هذه المذكرة الوجيزة — على رأيه في وضعي للتقرير لم يجديني إلا صادعا بأمره مهما يكن فيه من بذل للوقت قلما أجود بمثله على أعماله الإدارية

أبواب المجلة

أهم أبواب هذه المجلة فيما أرى سبعة :

(الباب الاول) باب المقالات الدينية والعلمية والتاريخية والخطابية ، ويجب أن يكون الغرض الاول منها بيان حقيقة الاسلام وحقائقه ، وإصلاحه لشؤون البشر الشخصية والمنزلية والقومية ، والوطنية والسياسية ، ورفع مستوى الانسانية ، وتوحيد مقومات الامم ، وبيان حاجة البشر إلى إصلاحه في كل زمان ومكان ، ولا سيما هذا الزمان الذي طغت فيه الافكار المادية والشهوات على الامم فأفسدت آدابها ، وعلى الدول فحشرت كل منها همها في الاستعداد للوثوب على التي تأنس فيها الضعف منها ، وحل التنازع في مرافق الحياة محل التعاون عليها

(الباب الثاني) باب الفتاوى العامة الذي يفتح لكل طارق له من مشارق الارض ومغاربها فيما يتعلق بعقائد الاسلام وآدابه وحكمه وأحكامه وتشريعته وسياسته ، فمن سأل عن حكم في مذهب معين أجيب بالمعتمد في ذلك المذهب ، ومن اطلق السؤال أجيب بما يقتضيه الاستقلال في الاستدلال (كما يعهد مولانا الاستاذ وغيره في فتاوى المنار)

(الباب الثالث) باب كشف الشبهات ، وحل عقد المشكلات ، التي تعرض لطلاب العلوم وغيرهم بالاطلاع على كتب العلوم والفلسفة والاديان المختلفة ، وما يورده الملاحدة الماديون ودعاة النصرانية وغيرها من الطعن في الاسلام ، وما يستشكله قراء كتب التفسير والحديث والفقه منها وغير ذلك ، والغرض الاكبر من هذا الباب مقاومة تيار الالحاد ، الذي انتشر وبأوه في البلاد ، فكاد يعمها الفساد

التجديد والتجدد والمجددون

(تابع لما سبق من محاضرتنا في الجمعية الجغرافية الملكية)

القضية الثالثة

(في بيان الحاجة الى التجديد الديني والدنيوي)

لا يسعنا في بيان وجه الحاجة الى التجديد الديني والدنيوي وحكم الاسلام فيهما وحته عليهما إلا أن نبدأ بمقدمة وجيزة في جهود العلماء ، وما كان لهم من سوء التأثير في الحكم وطلاب التجديد الدنيوي من سياسي واجتماعي . وقد ذكرت بعض الشواهد على جهود علماء مصر في الكلام على القضية الاولى ^(١) وإن لي في المنار مقالات كثيرة في هذا الموضوع ومباحث أخرى في تفسير القرآن الحكيم وباب الفتاوى وغيره من أبواب المنار ، وانني أستغني عن ذلك هنا بكلام لنيري فأقول لكم جملة من كتاب لبعض نابغي شبان المسلمين في الهند كتبه في السابع من هذا الشهر (رمضان) في السنة الماضية (سنة ١٣٤٨) وهو من الذين طلبوا العلم بمصر وقرأ الآن بعض جرائدها ويراسلها ، ويتبع كل حركة عامة فيها . وهذا نص ما أريده منه :

﴿ جهود علماء المسلمين في الهند ﴾

قال الكاتب الهندي المصلح في زعمائهم المسلمين « نحن معشر الدعاة الى الاصلاح والانتقال السياسي قد وقعنا في الايام الاخيرة في مشكلة عويصة . وهي اننا نجد أمامنا حزين يتنازعان الزعامة في المسلمين : حزب الماديين وحزب الروحيين أو الدينيين . ونجد الاول يدعو إلى الانقلاب الاجتماعي والسياسي معاً . ونجد الثاني يدعو الى الخرافات ويمارض كل تغيير في الحالة الحاضرة حتى انه يخالف الانقلاب السياسي ^(٢) »

(١) لم أنشره في المنار هنا لأنني نشرته في مقالات المساواة بين الرجل والمرأة (٢) قد تغير موقف علماء الهند الشرعيين في هذا العام « ١٣٥٠ » ورفعوا أصواتهم بطلب الانقلاب السياسي

« هذه الحالة في بلادنا : اننا لانرضى بحال أن نبقى مستعبدين للانكليز بل نضحي بأرواحنا في سبيل الانقلاب السياسي . أي قلب الحكومة الانكليزية وطرد أعدائنا من بلادنا . واننا نفاذي ونقاوم كل من يكون عقبة في سبيل هذا الانقلاب السياسي . وكذلك نحن نريد تغيير الهيئة الاجتماعية الحاضرة بعض التغيير . ونريد بث الاخلاق الفاضلة والعقائد السلفية في المسلمين . ولكننا نرى الحزب المادي يماшина الى حد بعيد . ونرى الحزب الديني يماركنا في أول خطوة ولذلك ترون أننا قد وقعنا في مشكلة

« نحن لانحب الماديين ولكننا نريد الاستفادة من حركتهم ، ونحب الدينيين لاننا منهم ، ولكننا لانستطيع تأييدهم لانهم أعداء لكل ما يرجي منه الخير حتى أنهم أعداء الاسلام الصحيح

« اني أتمنى لو ترشدوني الى الخطوة الرشيدة في هذه المسئلة . أنا أواظب على قراءة الجرائد المصرية وأعرف ان الماديين في مصر أناس قوالون ، لا يعملون ولا يريدون أن يعملوا . ولا يعرفون كيف يعملون . وانما هم يريدون الظهور بالكلام الفارغ وبمخالفة أحكام الشريعة الفراء . ولكن حالة الهند تختلف عن مصر اختلافا كبيرا (الى أن قال بعد وصف حالة الهند ووجه الحاجة الى جعل حركة الانقلاب مادية مانصه)

« فالرجاء أن تبينوا لي أفكاركم العالية وتشرحوا لي ما ينبغي أن يفعله أناس مثلي وهم الذين يريدون الاصلاح الديني والاجتماعي والسياسي معا » هذا ولا تؤاخذوني في بسط اعذارى وأفكاري لاني إن لم أصرح بها لكم فمن الذي ألجأ اليه غيركم في هذه المسائل » اه المراد منه

١ « كتبت اليه انه يجب عليه هو ومن على رأيه من اخواننا طلاب الاصلاح المزدوج أن يكونوا وسطا بين الحزب المادي والحزب الديني حتي يجمعوا بينهما ويوحدوا وجهة المسلمين على منهاجنا الذي فصلناه في المنار

(جمود علماء المسلمين في الترك)

وانني أقني على هذا الشرح المؤثر لحالة المسلمين في الهند بكلمتين لرجلين من رجال الترك في جمود علمائهم ونفوذهم المانع من الترقى : رجل من أكبر علماء الاسلام المستبشرين ، ورجل من أشهر رجال الاتحاد المجاهدين ، ثم أذكر كلمة حكيم للشرق فيهم

(الرجل الاول) شيخ الاسلام موسى الكاظم رحمه الله تعالى كان يشرح لي في داره بضواحي الاستانة ما يريد وضعه من الاصلاح لحكومة اليمين وهو جعل أحكامها كلها شرعية ، وانشاء محكمة تجارية واحدة في الحديدة تختص برؤية القضايا المتعلقة بالاجانب واليهود . فقلت له اذا كنتم تتركون التزام مذهب الحنفية فأنا أضمن لكم أن أخرج لكم من الشريعة الاسلامية الواسعة ما تحتاج اليه جميع السلطنة من الاحكام الموافقة لحال هذا الزمان الخ . قال أنا أعلم ان هذا ممكن ولكن ماذا نفعل بمشايخ الفتوى خاته ؟

يعني ان كبار الشيوخ المنوط بهم الافتاء الرسمي للدولة عنده في باب المشيخة الاسلامية هم الذين يعارضون في ذلك . وما علمته عنهم وعن شيخ الاسلام المقيد بهم في الفتوى أنهم لا يفتون بأحكام المجلة العدلية وهي كلها شرعية لان فيها ما يخالف القول المعتمد في مذهب الحنفية الذي عليه الفتوى في كتبها المتداولة (الثاني) الدكتور عبد الله بك جودت صاحب مجلة (اجتهاد) التي كان ينشرها في مصر قبل الدستور لانه كان مضطهداً لا يمكنه دخول البلاد العثمانية وهو احد المؤسسين لجمعية الاتحاد والترقي

هذا الرجل المجاهر بالاتحاد كان يساعدني في الاستانة في مشروع الدعوة والارشاد . وقال لي اذا نجحتم في هذا العمل وأسستم المدرسة الكلية الاسلامية فأنا أتبرع بالتدريس فيها وأجعل دروسي الصحية والعلمية على منهجكم في الاصلاح الديني . قلت كيف وأنت تحارب الدين ؟ قال انما أحارب دين مشايخ الفاسق والسليمانية . لانه لا يمكننا أن نرتقي مع اتباع أفكار هؤلاء . وأما الدين

الاسلامي الذي يفهمه رشيد افندي رضا والشيخ محمد عبده فهو يساعد على الترقى وتنفع به الدولة فأنا أول من يتمنى خدمته تحت رياستكم .

(وقد بلغني بعد عودتي من الاستانة إلى مصر أنه قال لطلعت باشا وزير الداخلية وركن جمعيتهم في الحكومة : انكم أخطأتم ان تركتم رشيد افندي يسافر ولم تنفذوا تشبته (أي مشروع الدعوة والارشاد))

قد كان لعلماء الاستانة نفوذ عظيم في الامة والحكومة ليس لعلماء مصر منه أدنى نصيب فيحاربوا باتهامهم بمقاومة الترقى المدني، وأين هو؟ ومتى قاوموه مقاومة عملية تخشاهم الحكومة؟ وانني لما عرضت مشروع الدعوة والارشاد على الصدر الاعظم حسين حلمي باشا رحمه الله تعالى قال لي : هذا مشروع عظيم ضروري للدولة ولكن تنفيذه عندنا يتوقف على قبول العلماء له وعلى موافقة جمعية الاتحاد والترقي وسأكلم شيخ الاسلام ليقنع العلماء، وأكلم صادق بك ليقنع الهيئة المركزية للجمعية، وأجتهد في إقناعها ببذل نفوذهما في ذلك . وقال لي محمود شوكت باشا رحمه الله تعالى مثل هذا القول في نفوذ علماء الترك ثم قال : ان العلماء في بلادنا (اي العراق) ليس لهم مثل هذا النفوذ ولا ادري كيف حالهم عندكم في مصر؟

(كلمة السيد جمال الدين في علماء الترك)

وأما كلمة السيد جمال الدين التي أعنيها هنا ولها امثال من كلامه في غيرهم من علماء المسلمين فهي ما قاله في النازلة الآتية ببيانها :

كان ميكادو اليابان ارسل في عهد وجوده في الاستانة كتاباً إلى السلطان عبد الحميد بخطب فيه مودته ويقول ان كلا منا ملك شرقي، ومن مصلحتنا ومصلحة شعوبنا أن نتعارف ونتواد، وتكون الصلات بيننا قوية تجاه الدول والشعوب العربية التي تنظر إلينا بعين واحدة، واتي أرى شعوب الافرنج يرسلون الى بلادنا دعاة إلى دينهم لحرية الدين عندنا ولا أراكم تفعلون ذلك فأنا احب ان ترسلوا إلينا دعاة يدعون الى دينكم (الاسلام) ويمكن ان يكون هؤلاء صلة معنوية خفية بيننا وبينكم

اهتم السلطان لهذا الكتاب وأمر بتأليف لجنة من أكبر أهل الرأي عنده

في قصر يلدز للتشاور فيه وهم شيخ الاسلام وناظر المعارف وهما الوزيران المختصان بهذا الموضوع من الجهة الرسمية ، والسيد جمال الدين الافغاني الأخص به من كل جهة ، وآخرون ، فاجتمعوا لدى السلطان في قصر يلدز ودارت المذاكرة فاستحسن شيخ الاسلام ووزير المعارف تأليف بعثة من علماء مدارس الآستانة لارسالها الى اليابان ، والسيد جمال الدين ساكت فوجه اليه السلطان النظر وسأله عن رأيه فقال ما حاصله : يا مولاي ان هؤلاء العلماء ينفرون المسلمين أنفسهم من الاسلام فكيف يناط بهم إقناع أمثال اليابانيين بالدخول فيه ؟ انما الرأي ان يربي طائفة من الاذكياء ويعلموا تعليما خاصا يؤهلهم للقيام بهذا الواجب في هذا العصر ، ويكتفي جلالة السلطان الآن بمرسال كتاب ودي الى الميكادو مع هدية لاثقة به ويذكر له في الكتاب ان ما اقترحه قد وقع في اعلى مواقع الاستحسان ومننظر في تنفيذه بالصفة المرضية ، فكان عمل السلطان بهذا الرأي ، ولكن دون تنفيذ اقتراح التعليم الخاص بالدعاة الى الاسلام

المقصد من موضوع التجديد

أما بعد فقد تقدم في التجديد الديني حديث « ان الله تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » وهو نص في الموضوع بلفظه وقد ينأى معناه في أول المحاضرة وينحصر المراد منه بالرجوع بالدين إلى سهولته وهدايته كما كان في الصدر الاول وجمع كلمة المسلمين على ما أجمعوا عليه قبل التفرق والاختلاف ، وجعل ماعدا القضي من مما يعذر فيه كل فرد باجتهاده ، وكل مقلد باتباع المذهب أو العالم الذي وثق بعلمه ، من غير تعصب يفرق الامة الواحدة إلى شيع وفرق يعادي بعضها بعضا . ولنا في تفصيل هذا الاجمال وبيانه مقالات كثيرة جمعنا أهمها في كتاب خاص باسم (الوحدة الاسلامية) ومن وسائل هذا التجديد إحياء اللغة العربية بالكلام والكتابة والخطابة وتأليف الكتب بالاساليب العصرية السهلة وتعميم التعليم والتربية على القواعد الفنية ونشر الدعاية الاسلامية في العالم وإذا كانت الامة تحتاج إلى التجديد في إقامة أمر دينها وقد اكمل الله تعالى لها وحظر

عليها الابتداع فيه فهي أحوج الى التجديد في أمور الدنيا التي تختلف مصالحها باختلاف الزمان والمكان وعرف الناس، والشرع يراعي ذلك كله كما هو مقرر في كتب الفقه والتجديد فيها نوعان: نوع يتعلق بالمصالح العامة وما تحتاج اليه من التشريع وقد حث الشارع على التجديد في هذا النوع بقوله ﷺ « من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء »، ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء » رواه مسلم من حديث جرير بن عبدالله وان من هذه السنن العامة وضع قواعد العلوم والفنون النافعة وإنشاء المدارس والملاجيء والمستشفيات، ويستوي في هذا التجديد الافراد والجماعات والحكومات، ومنها ما هو خاص بالحكومة كالمصالح العسكرية التي يتوقف عليها حماية البلاد وحفظ الامة من العدوان

وأما للتشريع المتعلق به فهو موكول في الاسلام الى أولي الامر، والجماعة المعب عنها بأصحاب الحل والمقد، فهم يقررونه بالشورى بينهم، والاجتهاد فيما ليس فيه نص قطعي من وحي ربهم، ولا سنة ماضية من سنن نبيهم، بشروطه المعروفة في محلها، فان الاجتهاد مع وجود النص ممنوع في الشرع وفي القوانين الوضعية جميعا

والنوع الثاني ما هو من أمور المعاش كالزراعة والصناعة والتجارة وأموال العادات التي ليس فيها مفسدة وقد وكله الشارع الى تجارب الناس، وفي هذا قال ﷺ « أنتم أعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم من حديث أنس وعائشة (رض) وقال في معناه « ما كان من أمر دينكم فالي وما كان من أمر دنياكم فأنتم أعلم به » رواه أحمد وجملة القول ان التجديد المشرع يشمل كل ما تميز به الامة والدولة من العلوم والفنون والصناعات والنظم المالية والادارية والعسكرية والمنشآت البرية والبحرية والجوية، فكل ذلك يعد في الاسلام من فروض الكفايات التي تأثم الامة كلها بتركها والشرع لا يقيد بها الا باجتناب الضرر والضرار والظلم (ومنه استغلال حاجة المعسر بأخذ الربا منه) مع قواعد إباحة الضرورات للمحظورات وتقديرها بقدرها، ومراعاة الحق والعدل (لها بقية)

السنة والشيعه

(الاتفاق بينهما والوسيلة اليه ، ورأينا ورأي علامة الشيعة فيه)

قد علم قراء المنار ماسبق لي من السعي الحثيث منذ ثلث قرن ونيف للاتفاق والوحدة بين المسلمين بالقول والعمل والكتابة والتصنيف ، وانني ألجئت في هذه الآونة الاخيرة إلى الرد على عالمين من علماء الشيعة لكتابين لهما كانا من أكبر أسباب التفريق والتعادي، وان أحدهما طعن في كتابه على ديني وعقيدتي وأخلاقي الخ والثاني طلب مناظرتي مدعياً استحالة الاتفاق والتعاون بين أهل السنة والشيعة الا أن ترجع إحدى الفرقتين إلى مذهب الاخرى في مسائل الخلاف الاساسية ويعلمون انني لم أقبل الدخول في المناظرة على هذه القاعدة التي وضعها الاستاذ السيد عبدالحسين نور الدين إلا أن يقره عليها جمهور علماء الشيعة ، وطالبتهم ببيان رأيهم في زعمه هذا، فلم يرد عليه أحد منهم - وانني اقترحت لقاء مجتهد علمائهم الاشهر في هذا العصر الاستاذ الكبير الشيخ محمد آل كاشف الغطاء في القدس أثناء عقد المؤتمر الاسلامي العام، فأطلعته على ما كتبه الاستاذ السيد عبدالحسين نور الدين وسأله رأيه فيه فأنكره أشد الانكار، ووعد باجابتي إلى استنكاره والرد عليه كتابة كما اقترحت ليعلم ذلك من قرؤا تلك الدعوى في المنار ويقنعوا بأن أكبر علماء الشيعة يخالفونه فيه ، واشترط هو أن أسأله ذلك كتابة ففعلت

وذكرت في الجزء الماضي أن الجواب قد جاء من حضرته وانني سأشره في هذا الجزء إذ كان ردي على الاستاذ السيد عبدالحسين نور الدين في الجزء الماضي في موضوع طعنه في علم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) قد طال حتى انتهى بي إلى آخر الجزء وكان له بقية استغثت عنها ، وقد قلت ان هذا الرد ليس رداً على الشيعة وإنما هو رداً على منكر علم عمر، ولم يكن لي بد منه بعد نشر تلك النظريات الباطلة ، والروايات التي لا يعرف ناقلها درجتها من الضعف، وقد حملها ما تتبرأ من حمله من سوء الفهم، وإنني أنشر الآن جواب الاستاذ كاشف الغطاء، وأقني عليه بما يزيد الحقيقة كشفاً

(جواب العلامة آل كاشف الغطاء)

عقيدة الشيعة في الاتفاق

(بسم الله الرحمن الرحيم * وله الحمد في السموات والارض)

لما جمعني المؤتمر الاسلامي العام المنعقد ليلة الاسراء في القدس الشريف بالعلامة الشهير، إمام السنة والحديث، الاستاذ الهمام، صاحب منار الاسلام، السيد محمد رشيد رضا نفع الله المسلمين بمنار علومه - دفع إلي كتاباً بخطه يتضمن السؤال عن عقيدة الشيعة في اخوانهم المسلمين من أهل السنة، وأنه هل صحيح ما ربما يقال من أنه لا يمكن اتفاق الشيعة الامامية معهم على شيء ولو كان لصالح الفريقين إلا إذا رجعوا إلى رأي الشيعة فيما يخالفونه فيه؟ - إلى أن قال دام تأييده - فأنت أيها الاستاذ أكبر مجتهد في الامامية فيما قد اشتهر في بلادنا، وعلى قولك نعتد الخ ما كتب - ونحن نرغب اليه أن ينشر عنا في الجواب على صفحات مناره الاغرماني: ان إجماع الشيعة الامامية من سلف إلى خلف ولعله من ضروريات مذهبهم لا يخالف فيه أحد من فضلائهم فضلاً عن علمائهم - ان من دان بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولم ينصب العداوة والبغضاء لأهل بيت النبوة سلام الله عليهم فهو مسلم وسبيله سبيل المؤمنين، يحرم دمه وماله وعرضه، وتحل مسادرته* ومصاهرته، ولا تحل غيبته ولا أذيته، وتلزم اخوته ومودته، أخوة جعلها الله في محكم كتابه، وعندها في أعناق المسلمة من عبادته، فأصبحتم بنعمته إخواناً والمؤمنون بعضهم أولياء بعض، وقد استفاض في السنة النبوية من طرق الفريقين أن المسلم أخو المسلم شاء أو أبى، والمسلم من المسلم كالعصاة من الجسد الى كثير من أمثال هذا وما سعد الاسلام وصعد الى أعلى ذروات العز والمجد إلا يوم كان محافظاً على تلك الاخوة، وما انحط الى أسفل دركات السقوط والقلّة إلا بعد أن أضاع تلك القوة، ويشهد الله سبحانه أن ما ذكرته من عقيدة الشيعة الامامية في اخوانهم المسلمين هو الحقيقة الراهنة التي لا محاباة فيها ولا تقية، وإن ظهر من كلام بعض العلماء خلافها فلعله من قصور التعبير وعدم وقاء البيان. ومن شاء الزيادة في اليقين.

(*) كذا في الاصل ولعل أصله مصحف أو محرف

خدونه الصحيفة السجادية للامام زين العابدين سلام الله عليه وهي زبور آل محمد عليه السلام فليتنظر في دعائه لاهل الثغور الذي يقول في أوله : اللهم صل على محمد وآل محمد وحصن ثغور المسلمين بعزتك ، وأيد حماها بقوتك ، واسبغ عطايهم من جدتك ، الخ الدعاء على طوله - وهل يشك أحد ان حماة الثغور في عصر الامام زين العابدين (ع) أعني عصر بني أمية كانوا من جمهور المسلمين وأكثرهم بل كلهم من السنة ، والصحيفة السجادية تالية القرآن عند الامامية في الاعتبار وصحة السند

والقصارى اني أعلن عني وعن جميع مجتهدى الشيعة الامامية في النجف الاشرف وغيرها - ان اتفاق المسلمين واشتراكهم في السعي لمصالح الاسلام والمحافظة عليه من كيد الاغيار - لم يزل ولا يزال من أهم أركان الاسلام وأعظم غرائضه وأهم وظائفه ، أما النزاعات المذهبية ، والنزعات الجدلية فهي عقيمة الفائدة في الدين ، عظيمة الضرر على الاسلام والمسلمين ، وهي اكبر آلات المستعمرين فرجائي إلى الاستاذ صاحب (المنار) أن لا يعود الى ما فرط منه كثيراً من التحريش بالشيعة ، ونشر الابحاث والمجادلات مع بعض علماء الامامية ، والاعمال المر على مذهبهم الذي لا يشر سوى تأجيج نار الشحناء والبغضاء بين الاخوين ، ولا يعود إلا ببلاء الضعف والتفرقة بين الفريقين ، ونحن في أمس الحاجة اليوم الى جمع الكلمة ، وتوحيد إرادة الامة ، وإصلاح ذات البين

والاستاذ الرشيد - أرشد الله امره - ممن يعد في طليعة المصلحين ، وكبار رجال الدين ، فبالحري أن يقصر (مناره الاسلامي) على الدعوة الى الوفاق والوئام ، وجمع كلمة الاسلام ، ويتجافى في كل مؤلفاته - سيما في تفسيره الخطير - عن كل ما يمس كرامة ، أو يثير عصبية أو حمية ، أو يهيج عاطفة ، وأن يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فان ذلك انجم وأنفع ، وأعلى درجة عند الله وأرفع ، وعلى هذه خطاي وخطتي ، وهي ديني ودينتي ، عليه احيا وعليه اموت إن شاء الله واليه تعالى ارجب وأبتهل في ان يجمع كلمتنا على الحق والمهدي حتى نكون يداً

واحدة في نصرة هذا الدين الحنيف انه ارحم الراحمين

محمد الحسين آل كاشف النطاء

حرره في زاوية النجف الاشرف المقدسة يوم
النصف من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٠

[المنار] هذانص الجواب الموعود من سماحة العلامة الواسع الصدر، الجليل
 القدر، وهو على حسنه وإطفه دون ما سمعت منه بالمشافهة، ودون ما كنت أتوقع
 من الصراحة، جاء مجحلاً ليس جزاً في الفصل، لم يذكر فيه كلمة الخصم الشنماء وإنما
 أشار إليها « برعاً يقال » وحصر كلامه في رأي الشيعة الإمامية في « اخوانهم
 المسلمين » وقال أنها مجمع عليها بالشرط الذي ذكره، وأنه « إن ظهر من كلام بعض
 العلماء خلافتها فلمل من قصور التعبير وعدم وفاء البيان » فتضمن قوله هذا الاعتذار
 عن الاستاذ السيد عبد الحسين نور الدين بأنه ليس فيه إلا قصور التعبير عن مذهبهم
 وعدم وفاء البيان به، وهذا السيد ليس ضعيف البيان بل هو فصيح العبارة فلما يوجد
 في معاصريه مثله في حسن بيانه وصراحته، وهو يرى أن أكثر الصحابة والسواد
 الأعظم من المسلمين من بعدم قد « نصبوا العداوة والبغضاء لأهل بيت النبوة سلام
 الله عليهم » من عهد أبيهم علي كرم الله وجهه إلى الآن، وكذلك الأمة العربية في
 جملتها كما يعلم من كلمته الأولى من كلماته الثلاث، وحجته الكبرى على ذلك تقديم
 غيره عليه بالخلافة ويليها من الحجج مخالفة أهل السنة لما يفهمه هو بوجوده من
 الروايات الصحيحة في مناقبه ولما يذكره من الروايات الباطلة فيها، ويطعن في حفاظ
 السنة حتى البخاري ومسلم لعدم روايتها، فهو يعدم كلهم من النواصب المتبعين لغير
 سبيل المؤمنين - فهو يسلم ما قاله العلامة كاشف الغطاء من أن هدم نصب العدا لأهل
 البيت شرط لصحة الاسلام وولاية أهله - ولا يراه رداً عليه أو تخطئة له ؟ وكذلك
 السيد محسن العاملي لا يعدمه رداً على كتابه الذي يعدي فيه مع الوهابية خير متبعين
 لسبيل المؤمنين لا ننا نكر الحجج إلى المشاهد وعبادة قبور أهل البيت أو عبادتهم بالدعاء
 والطواف بقبورهم، ولكننا نعبده الله تعالى بالصلاة على نبيه وعلى آل بيته في الصلاة
 وغيرها، ونقترب إليه بحبهم وولايتهم، وبالحكم على من ينصب لهم العداوة والبغضاء
 بأنه عدو الله ورسوله . وهذا القول يقول جميع أهل السنة من الوهابية وغيرهم .
 ولا يرون القول بصحة خلافة الراشدين كما وقعت ووجوب حبهم وحب سائر الصحابة
 عنافياً لذلك . فما قاله الاستاذ في ناحية الشيعة مجمل غير كاف ولا شاف .
 بيد أنه عند ما توجه إلى ناحية السنة وأهلها تفضل على صاحب المنار بالنصيحة

أن لا يعود إلى «ما فرط منه كثيراً من التحريش بالشيعة» الخ وهو يعلم أن صاحب المنار كان مبدوءاً لا بادئاً ومدافعاً لا مهاجماً ، ولم يكن محرشاً ولا متحرشاً ولم يكن يخفي على ذكاء الاستاذ ما يكون لهذا الجواب عندنا من كلتي ناحيتيه ، وما ضمه بين قطريه — وهو ما رأينا من حسن الذوق الاكتفاء بالإشارة إليه ، فشفعه بكتاب شخصي ، يتضمن الاعتذار عما توقعه من تأثير الجواب السلي ، قال فيه بعد الاعتذار عن تأخيرها بما هو مقبول :

ما قاله العلامة في كتابه الشخصي

« نأمل من أطفافه تعالى أنكم لا تزالون ممتعين بالصحة والعافية ، والعز والكرامة ، مستمرين على منهاجكم الدائب في خدمة العلم والدين ، وكونوا على ثقة من أننا لا نزال ندعو لكم بالتأييد والتسديد ، وإن يجعل الحق مناركم عالماً ، ونور معارفكم لظلمات الجهل ماحياً ، ولا تزال ذكرى أخلاقكم الطيبة وعوارفكم الذكية ماثلة في نفوسنا ، شاخصة أمامنا

» ونجدون مع هذا الكتاب جواب الرقيم الذي تفضلتم به وأرجو أن تجدوه كافياً شافياً ، وتنشروه على صفحات مناركم الزاهر ليعم النفع به ، ويكون إحدى همزات الوصل بين المسلمين ، وممزق ما نسجته عناكب الاوهام على ذلك الصرح المشيد ، وهي الغاية التي نتوخاها في جميع جهودنا ومساعدتنا ، ولعلكم أحرص عليها منا ، وما التوفيق الا بالله عليه توكلت واليه انيب

» وقد تجافيت عن ذكر القائل بتلك المقالة الغريبة والتي لا يوافقها عليها أحد نظراً لبعض الملاحظات التي لا تخفى عليكم (أن تجدعيها فسدّاً اختللاً) اه المراد منه [المنار] أن عبارة هذا الكتاب ، تكشف لنا الغطاء عما خفي في ذلك الجواب ، مما تنطوي عليه جوانح كاتبها من أريحية إسلامية ، تأتلف بها معارفه العقلية وعوارفه القلبية ، وعما رأى أنه مضطر إليه في مقامه من الرياسة في علماء المذهب من مداراة المدارك المتفاوتة ، والوجدانات الموروثة ، واكتفائه من صدق لقلبه (كاشف الغطاء) أن يبلغ غاياته في الدروس الفقهية ، والفنون العقلية والنفوية ، ويقف فيما دونها من مهابت الاهواء الطائفية والمذهبية ، التي تختلف فيها

بإلفهام، وتزاحم الأوهام، موقف مراعاة الجامدين، ومداواة المتعصبين، اهتداء بما روي في الصحيح عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله. وروي عنه أنه كان يقول: إن هنا لعلماً جماً لا أجد له حيلة. وأشار إلى صدره. نقله صاحب نهج البلاغة - فهذا ما أشرحه من عذر صديقي في إجماله في الجواب، على ما فيه من موضع النظر، ووصفه إياي بالتحريش والظعن المر بالشيعية، ومطالبتي بالكف عن العودة إلى ذلك معبراً عنه بلفظ الرجاء، واجتنابه الإنكار على أولئك المهاجمين، وما هو بالعدو الذي يرضاه منه جميع القارئین سيجدني صديقي العلامة المصلح عند رجائه إن شاء الله تعالى، بيد أنني أرى أن ما نسعى إليه من جمع الكلمة، ووحدة الأمة، لا يرجي نجاحه من طريق الدين إلا بسعي علماء الطائفتين له على القاعدتين اللتين رفعنا بنيانهما في المنار (الاولى) «نتعاون على ما نتفق عليه ويمد بعضنا بعضاً فيما يختلف فيه» (والثانية) من اقتراف سيئة من التفريق والعداء أو غير ذلك من إحدى الطائفتين بقول أو كتابة فالواجب أن يتولى الرد عليه العلماء والكتاب من طائفته، وإذا لم يكن صديقنا الاستاذ الكبير آل كاشف الخطاء هو الامام القدوة لمن ينهضون بهذا الإصلاح وهو هو في رياسته العلمية وثقة الطائفة بإخلاصه ونصحه، فمن ذا الذي يتصدى له من دونه؟ إن المبالغة في مداواة القاصرين، تقف بصاحبها دون ما هو أهل له من زعامة المصلحين، كان استاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر نسيج وحده في علماء سورية الجامعين بين علوم الشرع والوقوف على حالة هذا العصر، ولولا مبالغته في مداواة الجامدين من المعممين وكذا العوام أيضاً لكان ثالث السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في زعامة الإصلاح، وأنني قد صارحت باستنكار هذه المبالغة في المداواة مشافهة له وهو ما انتقدته على كتاب الرسالة الحميدية له من إيراد المسائل العلمية التي لاشك فيها بعبارات تدل على الشك فيها واحتمال صحتها بالفرض والتسليم الجدلي، ثم قلت له وقد اعتذر بمداواة الجامدين: إذا لم يكن مثل مولاي الاستاذ في مكانته من سعة العلم والإصلاح يجرى المسلمين على الجزم بالمسائل العلمية التي يستنكرها أو يجهلها الجمهور - فمن ذا الذي يجرئهم على هذا ولا يخشى اعتراض الجاهلين؟

فأرجو من الاستاذ الكبير كاشف الغطاء ان يتأمل ما ذكرته من توقف التوفيق والتأليف على بنائه على القاعدتين المناريتين عسى ان يجد عنده قبولاً ، ولا يخفى عليه أن علماء الدين اذا لم يجمعوا كلمة المسلمين بهدايته على القيام بمصالحهم المشتركة فقد يغلبهم الملاحظة المتفرنجون على أكثرهم ، ويتنعمونهم بان الدين أكبر المصائب عليهم ؟؟

﴿ السيد محمد بن عقيل بن يحيى ﴾

ذكرنا في آخر الجزء الاول من هذا المجلد (٣٢) خبر وفاة هذا السيد النبيل وانا شرعنا في كتابة ما نرى فيه الفائدة والعبرة من سيرته ، واضطررنا إلى تقديم ميرة والدتنا بالنشر عليها . وقد سافرنا بعد ذلك إلى القدس لحضور المؤتمر الاسلامي العام وبعد العودة إلى مصر والشروع في طبع الجزء الثاني أردنا أن ننشر فيه ما كتبنا من سيرته وزيد عليها فضلت عنا فلم نجد لها ، فلا ندري أسقطت في الورق المهمل الذي يخرج الخادم من مكتبنا أم ضلت بين أوراق أخرى . وقد نشرت ترجمته رحمه الله في كثير من جرائد الاقطار الاسلامية ، وعقدت له حفلات تأيين في مصر وجاوة ، واني أفي بو عدي بنشر شيء من سيرته استأنف كتابته فأقول : كان رحمه الله تعالى قوي الجسم والعقل ذكي الذهن ، زكي النفس ، عالي الهمة ، واسع الاطلاع على الكتب الاسلامية من شرعية وأدبية وتاريخية ، مختبراً لأهل هذا الزمان ، عارفاً بشؤون السياسة الدولية ، وأحوال الشعوب الشرقية والغربية ، فان له عدة رحلات من بلاده حضرموت إلى جاوه والحجاز ومصر والهند والصين واليابان وأوروبا الشرقية والغربية

وكان قوي الذاكرة ، حسن المذاكرة ، ذا بديهة حاضرة ، وعارضة ماضية ، وعبرة سلسلة في الكتابة ، لا رككة فيها ولا براعة ، ولا أعلم شيئاً عن حظه من الخطابة . وكنت أول عهدي بعالم بطرابلش الشام أقرأ في المؤيد مقالات معزوة إلى الرحالة سيف الدين اليميني ثم علمت انها له

وأما أخلاقه فصفت ما شئت من عزة نفس ، وسخاء كف ، وشجاعة وإقدام ، وغفة وورع ، ووفاء ومروءة ، واهتمام بالمصالح العامة القومية والمالية ، ولولا انه شغل بالتجارة لكان من أكبر زعماء الامة العربية ودعاة الاصلاح الاسلامي فيها

وكان كثير الزواج يجمع ما طالب له من النساء مثنى وثلاث ورباع ، وكثير النسل والانتاج ، أخبرني سنة ١٣٣٠ أن أولاده وأحفاده يزيدون على خمسين نسمة وهم متفرقون في بلاد مختلفة ، وأنه لا يعرفهم كلهم بأشخاصهم ، وأنه لا يعلم عدد من مات منهم ، ولم يكن هذا يشاغل له عن أعماله التجارية ، ولا عن أبحاثه العلمية والسياسية وقد نشأ على مذهب الشافعية تربية وتعلما وعملا ، ولكنه كان مع ذلك مستقل الفكر في المسائل العلمية والدينية إلا فيما ملك وجدانه من شعور السيادة ولو ازم عصيته ولما ظهر المنار في أواخر سنة ١٣١٥ بدعوته الإصلاحية في الدين والاجتماع واللغة كان من السابقين إلى الاشتراك فيه ثم عني بنشره في سنغافورة وجاوه وسائر الجزائر الاندوسية ، واتصلت المودة والمكانة بيننا بقوة وحرارة ، ثم قرت في السنوات الأخيرة لما سأذكره ، وقد أنشأ في جاوه مع بعض الاخوان مطبعة ومجلة اسلامية سماها (الامام) وكتب إلي أن الغرض منها نشر مقاصد المنار الإصلاحية بلغة البلاد الملاوية ، وان جل اعماده فيها على ما ترجمه عنه

وأول خلاف في الآراء وقع بيننا مسألة «لعن معاوية» وكان دعاة التشيع من العلويين قد أثاروها في جاوه او اندوسية كلها واستفتيت فيها فأفتيت بعدم الجواز وبينت ما في هذا الشقاق من الضرر والتفرق بين المسلمين بدون مصلحة راجحة تقابله ، وفيها ألف كتابه المشهور (النصائح الكافية) وعذر كل منا أخاه في اجتهاده ثم تفاقمت دعاية الرفض والغلو في آل البيت وسلاتهم في تلك الجزائر فكان من زعمائها بالتبع لاستاذه السيد ابن شهاب كما بينت ذلك في ترجمة هذا عقب وفاته ، ولكنه لم يكن داعية لما وراء ذلك من الخرافات كعبادة المولى من السادة وغيرهم من الصالحين بدعائهم والطواف بقبورهم ، ولما كان الغلو والافراط في طرفي كل امر يشير الغلو في الطرف الآخر ، ظهر في تلك الجزائر خصوم كثيرون للسادة العلويين وتفاقم الخلاف ، واستشرى به الشقاق ، وهو ما كنا نخشاه ونتوقعه ، وظهرت في اثناء ذلك جمعية عربية باسم (جمعية الارشاد) غرضها إنشاء المدارس ونشر التعليم الديني والمدني الذي تقتضيه حالة العصر من الاستقلال وحياء هداية الكتاب والسنة ومقاومة الخرافات الفاشية من طرُق الابتداع في الدين وجر ذلك الى انكارهم على العلويين ترفهم

بأنسابهم على الناس بما يعد احتقاراً لعلماهم وأهل الوجاهة منهم، وأفرط بعضهم في ذلك وقد طلبت مني جمعية الارشاد مرّة أن أختار لها بعض المعلمين لمدارسها من مصر فاجبتها الى ذلك بما أمرنا الله تعالى به من التعاون على البر والتقوى، وإنما يقومان على أساس العلم، فكتب إلي السيد محمد بن عقيل عفا الله عنا وعنه كتاباً ينكر علي فيه مساعدة هذه الجمعية الصالة المضلة في زعمه بل وصفها بما هو أقبح من ذلك، ثم أذاع بعض العلويين انني أنصر الارشاديين عليهم، وهم مخطئون، فأنا لا أنصر إلا ما أعتقد أنه الحق ولو كنت أتبع الهوى لكان هواي مع العلويين لأنني منهم وأهل العلم الصحيح منهم يعلمون ذلك .

وقد علمت منه انه ترك مذهب الشافعي لا الى اتباع الدليل بل الى تقليد مذهب العترة أو آل البيت (أي مذهب الزيدية) وأخبرني انه حاول إقناع الملك حسين بنشر هذا المذهب في الحجاز والحكم به دون مذهب أبي حنيفة الذي أجبرت دولة الترك شرفاء مكة على تقليده — فلم يقبل فقضب عايه، ولعل هذا سبب ما أرسله الي من مكة وقتئذ في الطعن على الملك حسين، ووصف ظلمه واستبداده وقسوته في سجنه وغيره مما نشرته وقتئذ، واعتمدت عليه في الخطاب العام الذي وجهته الى العالم الاسلامي في القيام عليه

ثم سعى لدى شيخ الازهر في مصر لتقرير تدريس هذا المذهب في الازهر، فلم يقبل، وأنا لم أنكر عايه هذا السعي لان مذهب الزيدية في الفقه كغيره من المذاهب الاربعة التي تدرس في الازهر ولما يخالف بعضها في حكم الا ويكون موافقا لآخر منها . وإنما كنت أعارضه قولا وكتابة هذا الغلو في العلويين الذي تأباه حالة البشر الاجتماعية في هذا العصر الذي فشت فيه فكرة المساواة وما يسمونه (الديمقراطية) وهم مها يكن من غلوهم في تعظيم آل البيت النبوي فلن يصل إلى غلو من قبلهم من الشيعة الظاهرية والباطنية وكله عرضة للضعف فالزوال

وقد عرضت عليه وعلى غيره في تلك الاثناء رأيا لن يجد العلويون من الحضارمة ولا من غيرهم أمثلا منه لاجاء مجد آل البيت النبوي وحمل جميع المسلمين على حفظ كرامتهم واعلاء شأنهم وتفصيلهم على غيرهم بالطوع والاختيار وهو ما سأذكره في النبذة التالية ان شاء الله تعالى



قال عليه الصلاة والسلام إن لا ملجأ مني إلا ههنا . كذا الطريق

ذي الحجة سنة ١٣٥٠ هـ في برج الثور سنة ١٣١١ هـ من أبريل سنة ١٩٣٢ م

فتاوى الميت

(القبر روضة أو حفرة ، وتناسخ الارواح)

(س ٣٣ و ٣٤) من صاحب الامضاء في جهة الحالة (مديرية الغربية بمصر)
حضرة صاحب الفضيلة والارشاد الشيخ محمد رشيد رضا، بعد تقديم فروض
الاحترام نرجو أن تتكرم بالرد على السؤالين أدناه بمجلتكم النار القراء
١ - هل « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » حديث
متواتر عن رسول الله ﷺ أم لا؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فهل الحكم في هذه
الحالة للروح أو للجسد مع ملاحظة انه إن كان للروح فانها لاتسكن القبور ، وإذا
كان للجسد فما الحكم لمن يتلمه الحوت أو اليم أو الوحوش الكاسرة؟ وإذا كان
بالسلب فما الفرق بين العاصي والطائع وما الفائدة من سؤال منكر ونكير وهل تنكره؟
٢ - هل تنقلص الروح من جسم الى آخر أو لكل جسم روح خاصة؟
لازمت للاسلام المرشد الرشيد الذي يضيء النهج والليل قائم . وتنازلوا بقبول
وافر احتراماتي.
مصطفى صالح

(ج) أما حديث « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » فقد
رواه الترمذي والطبراني وسنده ضعيف، فلا هو متواتر ولا صحيح، ولكن عذاب القبر
ثابت بالاحاديث الصحيحة وانه يكون عقب الدفن ، و اضافته الى القبر مبنية على
أن الغالب في الموتى أنهم يدفنون في القبور لا على أنه خاص بمن يدفن، وللارواح
مأوى في البرزخ بحسب درجاتها لا في القبور ، والاجسام تفتى وهي باقية ،
وكل ماورد في القرآن أو الاحاديث من أخبار عالم الغيب ومنه كل ما يكون بعد
الموت فهو على غير المعروف لنا في عالم الشهادة ، وليس لنا أن نبحث عن صفته وكنهه
ونحن نجعل حالة الارواح بعد انفصالها من هذه الاجسام، واليها يوجه السؤال في حالي
الاتصال والانفصال ، ومهما تكن حالتها فالفرق بين المؤمنين المتقين والكافرين
المجرمين مما لا ينكره عاقل ، والوارد في سبب سؤال الملكين لمن يموت أنه

لمنتحان له يعرف به بعض مستقبل أمره في الآخرة ومتى صح الخبر عن عالم الغيب فالواجب الايمان به وان لم تدرك سره
وأما مسألة تقلص الارواح وانتقال الروح الواحد من جسد الى آخر فهو
مذهب قديم باطل مشهور بمذهب التناسخ والثابت عندنا أن لكل انسان روحا
ينفخها فيه ملك يرسله الله عند ما يتم خلق جسده

(أسئلة مختلفة)

(س ٣٥ - ٤٩) من صاحب الامضاء في منوف (مديرية المنوفية بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الرب القدير والصلاة والسلام على البشير النذير وعلى آله وأصحابه
ومن تمسك بهذا فكان من الفائزين

من مصطفى حافظ عيسى إلى صاحب المقام العالي السيد رشيد رضا
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) كيف أقدر لكم بجهوداتكم
الدهشة وبلاغتكم النادرة، ومحاوراتكم اللطيفة، وردودكم اللججة لافواه الملحدین،
الذين حملوا على المسلمين حملة شعواء فكنتم أنتم في مقدمة المجاهدين الذين بددوا
ظلماتهم بأنواركم الساطعة، وبراھینكم القاطعة. لقد جعلتم العالم الاسلامي يقوم
من مرقدته بعد نوم عميق فصق لكم العالم إجلالا، لقد أبنتم بمناركم الرشد من
النبي، والظلام من النور، والبدعة من السنة، قالی الامام، أطال الله عمرکم
حتى تنتفع بعلومكم الانام، ومهد لكم الطريق حتى تتمكنوا من القضاء المبرم
على هؤلاء الاشرار

يا صاحب الفضيلة :- لما كان صدركم رحبا في الاجابة عن الاسئلة التي توجه
اليكم وخصوصاً صارت مجلتكم المنار موضع نظر العالم الاسلامي لذلك أرجو نشر
الاسئلة المسطرة في هذا الخطاب حتى تسفروا عن حقائق الشريعة الغراء ولكم
من الله الجزاء الاوفى :-

س ١ ما قولكم في صلاة الجمعة في البيت جماعة هل هي صحيحة أم باطلة

وهل يشترط في الجمعة المسجد ؟ نرجو الابانة عن ذلك بالدليل من السنة ؟

س ٢ ما حكم الصلاة والسلام بعد الاذان بصوت مرتفع ؟

س ٣ ماهي البدعة وما اقسامها وما المراد من قول الرسول ﷺ « كل

بدعة ضلالة ؟ وما المراد من قول سيدنا عمر بن الخطاب « رض » نعمت البدعة

هذه ؟ وما حكم الصلاة خلف المبتدع ؟

س ٤ ما حكم شرب الدخان هل هو حرام أم لا ؟ وما رأي الاطباء فيه

هل هو مضر أم لا ؟ وما رأيكم في الحديث الذي معناه « صرف المال فيما لا يضر

ولا ينفع حرام » نرجو الافادة باسهاب على هذا السؤال خاصة

س ٥ ما حكم أكل الفسيخ والسردين المعروفين بمصر وهل أكله مضر

وما رأي الاطباء في أكله من حيث الضرر وعدمه ؟ وهل فيه ميكروب ؟ ؟ ؟

س ٦ ما حكم بيع الفسيخ والسردين والدخان ؟ ؟ ؟

س ٧ ما الغرض من الحديث الذي معناه « لمن الله الواصلة والمستوصلة » وهل

المراد وصل الشعر بالشمر أو وصل خيوط من القطن تسمى عند العامة « بالصفائر » ؟

س ٨ هل العامة الخضراء والحمراء والصفراء ثبت لبسها عن رسول الله

ﷺ ؟ وما حكم لبسها إذا لم يرد عن رسول الله أنه لبسها ؟ أو كان يراد بها التقرب

من الله أو الافتخار أو اظهار النسب ؟

س ٩ ما حكم الذكر في المسجد بصوت مرتفع جماعة أو فرادى ؟ وهل

هذا ورد عن رسول الله ﷺ

س ١٠ يشرب الناس الشاي في هذه الايام شرباً كثيراً حتى صار عادة

عند الناس لا يمكن الاستغناء عنه ولا يمكن القيام بالأعمال المعيشية الا بعد تناوله

ويشرب بالكيفية الآتية : -

مرأ جداً لا يمكن استساغته إلا مع التضجر من شدة الحرارة وقلة السكر ،

تعاد الكرة ثلاث مرات . في مواعيد مخصوصة . يكون الشاي رئيس مخصوص

ينفذ قوانينه . يدار الشاي على الجميع كما تدار الخمر على محتسبيها الى غير ذلك ؟ ؟ ؟

س ١١ هل ورد عن الرسول أنه قال فيما معناه « كل محروق حرام » وإذا

كان قال ذلك فهل البن المستعمل في شرب القهوة محروق فيكون حراما؟ وماحكم الشارع فيه إذا أضيف عليه شيء من السكر؟

س ١٢ ماحكم الحجب والتماثم والرقى وهل ورد عن الرسول فعل ذلك أو إقراره؟

س ١٣ ماحكم المحراب المستعمل الآن في المساجد؟ وهل ورد عن الرسول ﷺ

أنه قال فيما معناه « لا تزال أمتي بخير ما لم يتخذوا في مساجدهم مذابح كمدابح النصراني » وقال في موضع آخر « اتقوا هذه المذابح » وهل المذابح هي المحاريب وما المراد من قول الله تعالى « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » وقوله « فخرج على قومه من المحراب » وقوله « وهو قائم يصلي في المحراب »؟

س ١٤ ماحكم السلام بين المراهيض هل هو جائز أم لا؟

س ١٥ و ١٦ ما عطر الرجل وما عطر المرأة؟ وإذا قلتم ان عطر الرجل ما ظهر ريحه

وخفي لونه فما عطر المرأة؟ وإن قلتم ما خفي ريحه وظهر لونه فما هو إذا؟ وهل استعمال الطلاء المستعمل لتلوين الوجه من عطر المرأة الذي خفي ريحه وظهر لونه؟ أرجو من فضيلة الامتاز إجابتي عن هذه الاسئلة الخمسة عشر إما في المجلة

علي مرار تباعا وإما كتابيا ثم نشرها في المجلة ولكم من الله جزيل الثواب

مصطفى حافظ عيسى

(ج ٢٥) صلاة الجمعة في البيوت جماعة

صلاة الجمعة عبادة اجتماعية من شعار الإسلام العمانية التي يقيمها بالمسلمين إمامهم الاعظم أو نائبه إن وجد ويخطب فيهم بما تقتضيه الحل من مصالحهم وإرشادهم ويجب على جميع المكلفين في البلد الاجتماع لها في مسجد واحد إن أمكن. ولكن لا يشترط أن يكون المسجد موقوفا بل مسجدهم حيث يصلون. وأما صلاة الافراد لها في بيوتهم جماعات صغيرة فهذا شيء لا نعرفه عن سلف المسلمين ولا خلفهم. ولكن بعض الظاهرية جوزوا إقامتها في أي مكان ادم وجود نص في الكتاب والسنة في العدد ولا في صفة المكان وقد قلنا هذا عنهم في فتوى سابقة ولم نعلق عليه وقتئذ ولكن يجب أن يعلم أن شعار الإسلام الظاهرة من مناسك الحج والجمعة والجماعة والميدين والاذان التي ثبتت بالتواتر العملي المجمع عليه في عهد الرسول ﷺ وخلفائه

فالواجب فيها الاتباع ولا يجوز فيها تغيير بزيادة ولا نقصان ولا صفة من الصفات بناء على عدم دليل يمنع ذلك، بل الأدلة الفقهية الظنية لا يعتد بها في معارضة الشعائر المنقولة بالتواتر، وأما إذا وجد جماعة في قرية ليس فيها مسجد موقوف تقام فيه الجمعة والجماعة وأقاموها في بيت من بيوتهم فإنهم لا يكونون مخالفين للأثر، على قول الجمهور بصلاتها في القرى وعدم اشتراط المصر الذي تقام به الأحكام الشرعية وهذا مذهب الحنفية

(ج ٣٦) زيادة الصلوات والسلام في الاذان

الاذان من شعائر الاسلام المنقولة بالتواتر من عهد الرسول ﷺ، وكلماته معدودة في كتب السنة وكتب الفقه مجمع عليها بين أئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة، والشيمة يقولون فيه «حي على خير العمل» ولهذا أصل في بعض الروايات وهو انه وجد في أول الاسلام ثم ترك ونسخ في عهد النبي ﷺ وأما زيادة الصلوات والتسليمات في آخره فهي من بدع المؤذنين المتأخرين وقد توسع فيها بعضهم فصاروا ينادون فيها البدوي وغيره من الاموات الذين يدعوم هؤلاء المبتدعة من دون الله، فقد دهشت سنة قدومي إلى مصر إذ سمعت أول مؤذن طرق سحبي صوته في أذان الفجر ينادي في آخر الاذان «يا شيخ العرب» وإنما فشت هذه البدعة وأمثالها في أمصار المسلمين بسبب جهل المعممين أدياء العلم بالسنة، وما ترتب عليه من عدم إنكارهم على منتحلي البدع. وفتح لم باب الاحتجاج على تأييد البدع قول بعض فقهاء القرون الوسطى بأن البدعة قسمان حسنة وسيئة، فصاروا يتبعون أهواءهم في الاستحسان وعدمه. وإنا لنعجب أشد المعجب إذ نرى بعض كبار علماء الأزهر يفتون الناس ببدعة الزيادة في الاذان ويزعمون انها حسنة لأنها ذكر مشروع في جنسه وحسن وقد قلنا ولا نزال نقول في تنفيذ جهلهم هذا: إذا جاز للناس في العبادة المأثورة أن يزيدوا فيها غير المأثور في نفسه وإن كان مأثوراً في نفسه فلم أن يزيدوا في أول الاذان وفي وسطه كما يزيدون الآن في آخره، وأن يكون من هذه الزيادة تلاوة بعض آيات

القرآن فانه لا أحسن منه . ولم أيضا أن يزيدوا في الصلاة ركعات أو سجرات أخرى ، وأن يصلوا على النبي ﷺ بعد التلاوة في كل ركعة وهل يوجد دليل على امتناع هذا كله غير كونه مخالفا لما ثور ؟ وما الفرق اذ آيين الاذان وغيره ؟ أما انه لو فعل هذا كثير من العوام ، لاقتام باستحسانه مفتي مجلة نور الاسلام

(ج ٣٧) تعريف البدعة وأقسامها

البدعة في اللغة الفعلة أو الحالة المبتدعة المستحدثة ، فان كانت في الدين فهي شرع لم يأذن به الله واقتراء على الله ، وهي ما لم يكن في عهد النبي ﷺ وجماعة المسلمين في عهده من العبادات ، كما قال الامام مالك : كل ما لم يكن في عهد النبي ﷺ دينا فلا يكون بعده دينا . وأما غير الدينية المحضة فهذه منها حسن وهو النافع الذي لا مفسدة فيه ، ومنها مبيء وهو الضار وما يترتب عليه فساد مثلا وكل منها درجات فتعربها الاحكام الخمسة . ودليله حديث مسلم « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » الخ وقوله في الاسلام معناه في عهد الاسلام المقابل لعهد الجاهلية .

وتسمية عمر (رض) جمع الناس على إمام واحد في صلاة التا اويح بدعة تسمية لغوية فان صلاة قيام رمضان جماعة مشروع في عهد النبي ﷺ ولكنه ﷺ لم يواظب عليه لثلا يفرض أو لثلا يظن وجوبه وصار الناس بعده يصلونها جماعات متفرقة فجمعهم عمر على إمام واحد لكرامة التفرق شرعا
وأما البدعة الدينية المحضة فهي لا تكون الا قبيحة وضلالة ودليل السكبة ما صح عن النبي ﷺ انه كان يقول على المنبر « أما بعد فان اصدق الحديث كتاب الله وان أفضل الهدي هدي محمد ، وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » الحديث - رواه أحمد ومسلم وغيرهما

وعرف الشاطبي البدعة في كتابه الاعتصام بقوله « انها طريقة في الدين

محترقة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى « أو » يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية « وقسمها إلى حقيقية وإضافية فيراجع وروى بعض الجاهلين بالسنة أحاديث في عبادات مخصوصة بصفة مخصوصة كصلاة رجب التي سموها صلاة الرغائب وصلاة نصف شعبان وقد عمل بها الناس في بعض البلاد وأجازها بعض الفقهاء لجهلهم بأن الحديث فيها موضوع ، فتصدى لهم الفقهاء المحدثون وبينوا خطأهم حتى قال الامام النووي في المنهاج : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . وأنكر الفقهاء صلاة ركعتين بين الصفا والمروة قياسا على سنة ركعتي الطواف ، لان العبادة انما تثبت بالنص دون القياس ، وقد فصلنا هذا الموضوع في مواضع من مجلدات المنار محررا وتحريرا

(ج ٣٨) شرب الدخان

بيننا مرارا أنه لا يقوم دليل على تحريم التدخين تحريماً عاماً إلا اذا ثبت أنه ضار ضرراً شديداً بكل من يستعمله ، وهذا لم يثبت . ولكن الاطباء متفقون على أن فيه مادة سامة يسمونها « نيكوتين » وان استعماله يضر بعض الناس وينفع بعضا في الجملة وان أكثر الذين يعمدون به بالتدريج لا يضرهم ضرراً ظاهراً . وعلى هذا يختلف حكمه باختلاف مستعمليه فمن ثبت عنده أنه يضره بالتجربة أو بقول طبيبه فعليه أن يتركه لانه يكون محرماً عليه وقد اختلفت فيه أقوال فقهاء المذاهب فكان أكثرهم يحرمه بحسب ظهوره كمادتهم في كل شيء جديد وبعد أن فشا واعتيد صار أكثرهم يبيحه وبعضهم يكرهه كمادتهم في مثل ذلك . وقد أفتى شيخ الازهر أبو الفضل الجيزاوي ومفتي الديار المصرية بأن ثالث أقوال العلماء فيه وهو الكراهة هو الوسط الراجح وأما حديث « صرف المال فيما لا يضر ولا ينفع حرام » فلم أره في شيء من كتب الحديث ، ولعله لا يوجد في الدنيا شيء يصرف فيه المال لا ينفع ولا يضر مطلقاً . والتحريم في أصول الشرع هو حكم الله المقتضي لترك اقتضاء جازماً . وكان علماء السلف يشترطون في هذا الخطاب الإلهي أن يكون قطعي الرواية والدلالة معاً وقد صرح به أئمة الحنفية وهو الحق . فالحديث المزعوم معارض بهذا الأصل الشرعي وبأصل الإباحة في الأشياء المأخوذ من قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً » .

(ج ٣٩) أكل الفسيخ والسردين

كان ينبغي للسائل الرجوع في هذا السؤال الى الاطباء ، وانا لم أسمع منهم ولا عنهم أن أكل الفسيخ والسردين ضار، والفسيخ لا يؤكل في بيتي لانا نستقذره ولم نتعوده ولا نحب أن نتعوده ، وأما السردين فمنه نوع جيد كالفسيخ لانا كاه ونوع كالمطبوخ شكلا وطعما ربما نأكله قليلا وقد تمر السنون الكثيرة ولا يأكله أحد منا

(ج ٤٠) بيع الفسيخ والدخان

حكم بيع الفسيخ والدخان تابع لحكم استعماله الذي علم مما تقدم

(ج ٤١) حديث «لعن الله الواصلة والمستوصلة»

أما الحديث فهو متفق عليه رواه الجماعة كلهم ، وأما معناه فهو وصل شعر المرأة بشعر مستعار من غيرها . فالمستوصلة طالبة الوصل ، والواصلة هي التي تفعله لها . وأما سببه فهو أنه زينة مزورة قد تستعمل للفش في الزواج وغيره . كما في حديث معاوية في البخاري أن النبي ﷺ ساء الزور

ولا يدخل فيه الضفائر التي كانت تسمى بالقرامل وهي تكون من الصوف أو القطن أو الحرير روى أبوداود عن سعيد بن جبير قال : لا بأس بالقرامل وبه قال الامام أحمد وكثير من العلماء ، ومنعه الامام مالك وآخرون . وقال الشافعية إذا وصلت المرأة شعرها بشعر طاهر من غير الآدي باذن الزوج أو السيد جاز وإلا حرم

(ج ٤٢) العائم الخضراء والحمراء والصفراء

هذه العائم التي يلبسها مشايخ الطرق المنسوبة الى الصوفية لم يثبت عن النبي ﷺ منها شيء الا العامة السوداء فقد ورد انه دخل مكة عام الفتح وعليه عمامة سوداء . وهو لم يلبسها تشريعا بل اتفق له ذلك . وقد سئل السيد محمد الزعبي الجيلاني شيخ الطريقة القادرية في طرابلس الشام عن سبب اختلاف اهل الطرائق

في ألوان عمامتهم واعلامهم وغير ذلك مع قولهم ان غايتها واحدة هي عبادة الله ومعرفة - فاجاب السائل وهو من مريديه : تغيير شكل ، لاجل الاكل . اخبرني بهذا ابنة الاستاذ الكبير السيد عبدالفتاح نقيب الاشراف وشيخ الطريقة لهذا العهد واما حكم لبسها لذاته فهو الاباحة الا اذا كان لا أجل شهرة باطلة ومنها العامة الخضراء لغير الاشراف في البلاد التي تعدها شعارا لهم - او ايها الناس بالصالح او الولاية رياء أو استدراارا للمنافع المادية او طلبا للشهرة فيكون محظورا بقدر حظر هذه المفاسد وما يترتب عليها من الباطل . وشر من هذا كله ان تلبس بدعوى انها مطلوبة شرعا وانها من سنن الرسول ﷺ فان هذا من الكذب على الله ورسوله .

(ج ٤٣) الذكر برفع الصوت في المسجد

ان رفع الصوت الشديد بالذكر والدعاء المشروعين مكروه منهي عنه . وأما هذا الذي يفعله اهل الطريق في بعض المساجد والزوايا وفي الطرقات احيانا فهو من بدعهم المنكرة من كل ناحية لم يرد عن رسول الله ﷺ ولا عن السلف الصالح ، وفعله في المساجد شر من فعله في غيرها ، لانه يشغل المصلين وقد يمنهم من الصلاة التي بنيت المساجد لاجلها ومن الذكر والتفكير والتدبر من العبادات المشروعة . بل اتفق العلماء على ان تلاوة القرآن اذا كان رفع الصوت بها في المسجد يشغل المصلين ويهوش عليهم فانه يمنع وقد فصلنا هذا في مواضع من المنار ، وللإمام الشاطبي في الاعتصام بمحاث طویل في الانكار على اذكار الصوفية البدعية فراجع فيه وراجع كتاب المدخل ايضا

(ج ٤٤) شرب الشاي كالخمر

شرب الشاي مباح كاتهوة لمن لا يمسه ضرر منه ، وهذا الصفة التي ذكرها السائل لم نرها ولم نسمع خبرها عن أحد من قبله ، وهي تشبه بالسكرى في شربهم للخمر أقل ما يقال فيها انها مكروهة كراهة شديدة . وقال بعض كبار الفقهاء بأن مثل هذا التشبه حرام . ذكر الغزالي في الكلام على إباحة السماع لذاته وتحريمه لبعض العوارض ان من تلك العوارض التشبه بأهل البدع وأهل الفسق التي

المنار : ج ٤ م ٣٢ قولهم كل محروق حرام الحجب والتائم والرقى ٢٧٧

يلحق التشبه بمن يتشبه بهم كما ورد « من تشبه يقوم فهو منهم » رواه أبو داود من حديث ابن عمر (رض) مرفوعاً وحسنه — ثم قال مانعه :

« وبهذه العلة تقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلساً وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجيين^(١) ونصبوا ساقياً يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقى ويشربون ويحيي بعضهم بعضاً بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وإن كان المشروب مباحاً في نفسه لأن هذا تشبه بأهل الفساد الخ

(ج ٤٥) حدث كل محروق حرام

هذه الجملة لم أرها في كتاب ولم أسمعها إلا من بعض المواضع . والمحروق يطلق في اللغة على الذي زالت حارقه وهي رأس الفخذ أو الذي زال وركه — وعلى السفود وهو بوزن التنور الحديدية التي يشوى عليها اللحم . ولخبز أو اللحم الذي تحرقه النار أسماء في اللغة الفصحى أشهرها المحاش ويقال محشته النار وأمحشته . واللغة الفصحى في فعل النار الاحراق والتحريق وهو المستعمل في القرآن والحديث والحرق بالتحريك اسم النار ، وأما قولهم حرق الثوب ونحوه فقد قال الراغب إن معناه ايقاع حرارة فيه من غير لهيب وحرق الاسنان والاضراس سحق بعضها على بعض ومن من بابي نصر وضرب

(ج ٤٦) الحجب والتائم والرقى

هذه الامور من أعمال الجاهلية وسائر الشعوب الممجية التي استحوذت عليها الخرافات والارهام ، وقد ابطالها الاسلام ، وورد في حظرها أحاديث شديدة منها قوله ﷺ « من علق تميمة فقد أشرك » رواه أحمد والحاكم من حديث عقبة بن عامر . وقوله « ان الرقى والتائم والتولة شرك » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن عبدالله بن مسعود . وقوله « ثلاث من السحر : الرقى والتولة والتائم » رواه الحاكم من حديثه ايضاً

ولما كان بعض المرضى ولاسيما أصحاب الامزجة العصبية منهم يتنفعون

(١) السكنجيين شراب كان يصنع من الخل والسكر وهو مفيد للصغراء

بالاوهام أذن النبي ﷺ بالرقية وقال «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه»
رواه أحمد ومسلم من حديث جابر. وأجاز الذين رقوا سيد الحي المشرك من اللدغة
بفاتحة الكتاب كما في الصحيحين وأجاز لهم أخذ الجمل عليها. واشترطوا في
الرقية المباحة أن لا يكون فيها شرك كرقى الجاهلية كما في حديث عوف بن مالك
عند مسلم وأبي داود. وروى البخاري في التاريخ وابن سعد والبنووي والطبراني
وغيرهم أن النبي ﷺ لدغ مرة قضى عليه فرقا ناس فلما أفاق قال «ان الله شفاني
وليس برقيتم» وذلك أنهم كانوا كمالهم في كل زمن ينسبون نفع ذلك إلى
الجن وما شاكل ذلك من الخرافات فابطل ذلك بضده وهو دعاء الله تعالى فكان
ﷺ يقول في رقيته للمريض «اللهم رب الناس مذهب الباس، اشف أنت الشافي
لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقما» وفي رواية «أذهب الباس» وهو في
الصحيح من حديث انس وعائشة وقال في صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب
«هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون» الحديث وهو في الصحيحين وغيرهما
وقد فصلنا هذه المسألة في مواضع من المنار أذكر منها الآن ص ٧٣٩٠

(ج ٤٧) المحراب في المساجد والمذبح في الكنائس

المحراب يطلق في اللغة على مقدم المجلس وصدر المجلس والمحل المشرف العالي
منه وعلى غرفة في مقدمة الدار. ومنه يسمى مكان الامام من المسجد محرابا :
واتما جعل له تجويف في جدار القبلة حتى لا يعطل الامام منه صفقا كاملا لان المصلين
يكونون وراءه. وكان لهياكل العبادة عند الوثنيين ثم عند أهل الكتاب محارب
هي الموضع المقدس عندهم من الهيكل أو المعبود ومنه محراب زكريا ومريم عليها
السلام، وما يسمى عند النصارى بالمذبح الآن. وأصل المذبح في الاديان القديمة
موضع ذبح القرابين الدينية. ففي سفر التكوين ٨: ٢٠ وبني نوح مذبحا للرب
وأخذ من كل البهائم الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح. وفي آخر سفر الخروج
أن الرب أمر موسى أن يصنع له مذبحا من تراب يذبح عليه محرقاته وذبائح سلامته
قال «واذا صنعت لي مذبحا من حجارة فلا تبنيه منها منحوتة» أي لأنها تشبه

التمثيل ويراجع في هذا السفر مذهب المحرقات أو المذهب النحاسي ومذهب البخور أو المذهب الذهبي. ومحارب مساجدنا لا تشبه هذه المذاهب ولا محارب الكنائس في صورتها ولا في أحكامها. وما ذكرتم من الأحاديث فيها فهو ما لا نعرف له رواية. فان كنتم رأيتموه في كتاب فأخبرونا به أو اتقوا لنا عبارته ان كان غير مشهور ولا يجوز لاحد ان يعزو الى رسول الله (ص) حديثا الا اذا رآه مرويا في كتاب من الكتب الموثوق بها أو سمعه من عالم مؤمن على السنة الطاهرة. وانا نرى بعض كبار علماء الازهر يذكرون في مجلته المسماه بنور الاسلام أحاديث موضوعه ويدعون صحتها، واذا قل لهم معترض حكم بعض الحفاظ بوضعها ماروا وجادلوا وحرفوا وتأولوا، مصرين على تصحيح الموضوع كما ترونه في باب التقرير من هذا الجزء. فأرايكم في غيرهم. امانحن فنقول فيما ثبته على يينة، ونقول فيما لا نعرفه انا لا نعرفه. ومن قال لا ادرى فقد افني

(ج ٤٨) السلام بين المراهيض

قال صاحب كتاب الآداب الشرعية «ص ٣٧٨ ج ٢» ويكره السلام على من يقضي حاجته ورده منه، نص عليه أحمد لان النبي ﷺ لم يرد على الذي سلم عليه وهو يقول رواء مسلم وغيره. وقدم في الرعاية الكبرى أن الرد لا يكره لان النبي ﷺ رد، كذا رواء الشافعي من رواية ابراهيم بن أبي يحيى. وابراهيم ضعيف عند الأكثرين

(ج ٤٩) طيب الرجال والنساء

في حديث أبي هريرة المرفوع «طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه»، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه». رواه الترمذي والنسائي. وفي معناه حديث عمران بن حصين «ألا وطيب الرجال ريح لالون له وطيب النساء لون لا ريح له» قال بعض الرواة هذا اذا خرجت المرأة واما اذا كانت عند زوجها فلتطيب بما شاءت. ومستنده حديث أبي هريرة في الصحيح «أما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة» رواء مسلم وأبو داود والنسائي وحديث التفرقة بين طيب الرجال وطيب المرأة غير صحيح وان صححه الحاكم

أَيُّهَا الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ

ذكرى يوم النبي ﷺ أو المولد النبوي

نشرنا في الجزء الماضي النداء العام في موضوع هذه الذكرى ووعدنا بان
تشر في هذا الجزء ما اقترحه سكرتير لجنة لاهور علينا في الموضوع وهو تأليف
رسالة في حقوق النساء في الاسلام ، وحظ الجنس اللطيف من اصلاح محمد عليه
الصلاة والسلام هذه ترجمته :

خطاب اللجنة لصاحب المنار واقراءها عليه

أخي العزيز في الاسلام

قد تعلمون بالاستعدادات القائمة الآن في الهند بخصوص الاحتفال السنوي
بمولد النبي ﷺ أعظم من أسدى خيرا الى الانسانية . ولا ريب في أن الاكثرب
حتى من طبقة المتعلمين يجهلون تماما تفاصيل حياة فخر الكائنات وسيرته ، وهو
الذي ظل لا يُبَارَى على مر السنين في كونه منقذاً للانسانية من أسفل دركات
الانحطاط والفساد والاحقاد ، ورافعا لها الى أعلى ذروات المجد من كافة النواحي
الدينية والاجتماعية والاخلاقية . وان جهل الجماهير لهذه الحقيقة لحقيقة أليمة
وهذه الخطوة في الهند تعطي الفرصة لقيام بدعاية واسعة في كل ركن من
أركان الارض لبيان ما اكتسبه العالم من ذلك ينبوع الدائم الفيض من المزايا
التي لا حصر لها ، والفوائد المثمرة التي لن تبرح ماثلة ظاهرة

وهذه الدعوة تشر بوسائل المطبوعات ومن فوق المنابر . ولتحقيق هذه
الغاية رؤي من المستحسن أن يقوم المهذبون الذين على سمة من العلم بمقتداجماعات
يُدْعَى اليها المسلمون وغير المسلمين في كل أنحاء العالم يوم مولد الرسول ﷺ
أي يوم ١٢ ربيع الاول من كل سنة

كما أن من المناسب ان يكون بجانب تلك الاجتماعات العامة إذاعة نشرات

دورية من وضع المسلمين وغير المسلمين في ملخص سيرة الرسول ﷺ وأعماله المجيدة . وتلك الخطوة كانت قاصرة على الهند في بدء سنتها الاولى . ولكن السنوات القابلة تبشر بانتشار جهودها في كثير من الممالك الاسلامية الاخرى . ثم ان كل هذه الخطة هي من وضع اللورد الحاج الفاروق هدي الشريف الانكليزي المسلم الذائع الصيت . ولقد ترجمت الى ست عشرة لغة مختلفة ووزع منها ستمائة ألف نسخة على القراء من المسلمين وغير المسلمين ، كما أنها أذيعت من محطة الاذاعة اللاسلكية بكلكتا الى كثير من الممالك الاوروبية .

ولقد قررت اللجنة أن تقدم اليكم بطلب كتابة صورة من حياة نبي الاسلام ﷺ لاجل نشرها واذا عتبا عموماً في سنة ١٩٣٢ . والموضوع المطلوب لهذه المرة هو : (نبي الاسلام وحقوق الجنس اللطيف) ولنا في حاجة الى التذكير بالجهد المستمر في الممالك الاوروبية لمساواة المرأة بالرجل في الحقوق

وإن الاسلام ليفخر الى أبعد مدى بأنه كان هو الدين الاول والاخر الذي شد أزر حقوق المرأة ، وأخذ بعضها — ولكن في سياق الفضيلة ولا ريب وهذه المقالة من غير شك سيكون لها قوة التأثير والجاذبية في نساء أمريكا وأوروبا . ولقد اختارتكم اللجنة كالمرجع الأعلى لهذا الموضوع . وعلى أية حال نرجو أن تسمحوا للجنة بأن ترغب اليكم بأن تكون الخطابة جذابة وه مؤثرة وداعية الى هذه الحقيقة التي لا ريب فيها وهي اثبات أن الاسلام هو الدين الوحيد الذي يوجد في تشريعه أعظم الوسائل الممكنة على وجه الأرض للوصول الى إرضاء الجنس اللطيف باعطائه جميع حقوقه وارواء غلة الظلم الشديد الى ذلك في الممالك المتمدنية . هذا وان اللجنة لاتاخي قبول ما ترون كتابته اليها في أي ناحية أخرى من أوجه حياة النبي ﷺ قد ترونها أكبر نفعاً وأعظم أهمية في وجهتها الاجتماعية العالمية العامة ومن الواضح الجلي أن اللجنة في طلبها هذا تعتمد إلهاماً على قوة إيمانكم الشديد.

المروف ، ومواهبكم وأبحاثكم المستفيضة النادرة في الشئان النبوية ومن الموثوق به أن نشاط اللجنة في نشر الدعوة هذه المرة سيكون إن شاء الله أوسع وأكبر مما كان عليه في الثلاث السنين الماضية وقد شرع الآن في عمل

الترتيبات اللازمة فعلا لترجمة مقالاتكم الى أكثر ما يمكن من اللغات وتوزيعها باقصى ما استطاع على ملايين المفكرين في العالم .

وتستند اللجنة بأن مقالا في موضوع يمثل تلك الاهمية من حياة نبي الاسلام وبقلم مسلم مهنئ كشخصكم الفاضل ، سيكشف عن نور جديد وسيكون تأثيره عظيما وثابتا في الطبقات المتعلمة في أنحاء العالم .

وبالنسبة الى جلالة هذا العمل وعظيم اهمية خطواته الاولى تؤمل اللجنة أن تلبوها الى طلبها وتوافقوها بكتابتكم حوالي آخر نوفمبر سنة ١٩٣١ وتنتهز اللجنة هذه الفرصة للاعراب عن خالص تشكراتها لهذا العمل المحبوب الذي ستتقبلونه ان شاء الله بانشره .

عبد المجيد قرشي

(المنار) جاءتنا هذه الرسالة منذ بضعة أشهر فألقيناها الى الادارة لترجمتها والنظر في اجابة مرسلها الى ما طلب فلم تترجم لنا إلا بعد انتهاء المدة المقترحة . فكتبنا الى حضرة مرسلها تاموس اللجنة (السكرتير) نفتذر عن القيام باجابة الطلب في الموعد وأرسلنا اليه رسالتنا (خلاصة السيرة المحمدية) بالعربية مع ترجمتها بالانكليزية فتلقاها شاكرا وكتب اليها انها ستطبع بعد شهرين ومد لنا في أجل الرسالة النسائية الى آخر ذي الحجة ، وقد شرعنا فيه بكتابتها ونسال الله التوفيق لآتمامها ، وابتداءنا الحكمة وفصل الخطاب فيها

﴿ الدعوة الى الاحتفالات بالسيرة المحمدية يوم المولد النبوي الشريف ﴾

(أرسلتها اليها لجنة الهند بالعربية وطلبت منا توقيعها لاجل نشرها في ذلك اليوم العظيم فوقناها . والظاهر انها طلبت ذلك من غيرنا من العلماء والزعماء)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله عز وجل (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة)

قال رسول الله ﷺ « بلنوا عني ولو آية »

لا يزال منار عظمة النبي محمد (ص) وجلاله من حيث العلم والعمل منذ الف

وثلاثمائة سنة قائما على صخرتين عظيمتين لا تقربان قط . وقد ثبت أن هذا المنار هو النور والملجأ الوحيد لتلك التهذيب والتقدم الحائرة في بحور الحياة للتلاطمة بالظلمة والطغيان في كل آن وزمان ، أعني أن كل ما قاله ﴿ص﴾ فهو للجميع ، وكل ما فعله فهو لكل

ان النبي ﴿ص﴾ لم يبعث إلا لينظم أبناء المذاهب (الملل) المختلفة والتهذيب المتنافر ، في سلك واحد من الاخوة والمساواة ، وانه ﴿ص﴾ لم يكن ليخالف التفرقة المذهبية فحسب ، بل كان يأبى وينفر من الخلاف العالمي بين أبناء الانسانية الواحدة بأية صفة وعلى أية حالة كان ، وان تعليمه ﴿ص﴾ لم يكن مما يتعلق بشخص أو مواطن أو شعوب خاصة ، بل كان تعليما عاما أبديا لكل الخلق في كل البلدان والأقطار على حد سواء ، ليحكم علائق ارتباط المحبة الاخوية بين أفراد الانسانية جمعا . وان ذلك الدين الذي دعا النوع الانساني اليه لم يكن ديننا مخصوصا بجماعة أو فرقة بل هو دين الخلق أجمع ، وان قبول هذا الدين رادف قولنا : اننا قد أصبحنا أحرارا مطلقين من قيود تلك الحلقات الضيقة التي قامت دعائمها على اللون والجنس واللغة والقومية والوطن ، واننا أصبحنا تحت امرة (ولاية) سلطان واحد وهو الله ، وان الارض كلها وطن لنا وان كل ما عليها من العوالم من النوع الانساني هم أفراد عائلة واحدة فتعالوا نحتفل بيوم يكون عيداً للمحبة والاستقلال الحقيقيين ، ليكون هذا اليوم ذكرى لنبي الوحدة والمحبة ، حيث تترع من بيننا كل اختلاف وتناسا ، وقف في صف واحد يداً واحدة نسعى في خدمة الانسانية وقاخيها وفلاحها لاجرم أن اليوم الثاني عشر من ربيع الاول يجب أن يتخذ لهذه الغاية لانه هو يوم ولادته ﴿ص﴾ وتذكره الذي لا يفنى :-

اننا ندعو بنابة الاخلاص والاحترام عموم أبناء البشر للاشتراك في عيد الاتحاد هذا وندعو منهم ان يقوموا باقامة احتفالات متحدة في سائر أقطار الارض باسم ﴿الاحتفالات بالسيرة النبوية﴾ احتفالات تليق بحضرة محمد ﴿ص﴾ وتتفق في عظمتها مع عمله وعظمته وقدره يتولد منها بين أفراد البشر احساسات حقيقية للمواساة والمحبة وخدمة الخلق :-

اننا آخذون بتوزيع بعض النشرات التي تبعث في أمم الامور من بعض جهات الحياة النبوية التي قد ديجتها أقلام خيرة من العلماء والفضلاء ، فالرجاء أن تقرأ هذه النشرات يوم الاحتفال كحاضرات وأن تترجم الى لغات الارض الحية ، وتذاع وتنشر في كل بقاع الارض بالمجان ،

وبالختام قاننا نرجو الله تعالى أن يجعل هذا العيد السعيد مباركا على جنس الانسان

التوقيع

المؤتمر الاسلامي العام

في بيت المقدس

(٣)

نشرنا في الجزء الماضي نص تقرير لجنة الدعوة والارشاد التي وافق عليه المؤتمر بالفعل وذكرنا ان المواد الاربع التي فيه ملخصة من عدة مقترحات كانت اللجنة وضعتها مبسطة فقرر المؤتمر في جلسته العامة أن تلخص بصورة مواد قانونية تصوغها فيها لجنة فرعية خاصة وكان ذاك - ووعدنا بأن ننشر المقترحات الاصلية لما فيها من الفائدة العلمية والتاريخية، ولما وقع فيها من المناقشة والاعتراض وهذا نصها:

﴿ مقترحات لجنة الدعوة والارشاد لدى المؤتمر الاسلامي ﴾

١ - تأليف جمعية باسم [جمعية الدعوة والارشاد الاسلامية] على المنهج الذي كانت عليه الجمعية التي ألفت بهذا الاسم في القاهرة يكون لها مدرسة كلية خاصة تكون إحدى كليات الجامعة الاسلامية التي قرر المؤتمر السعي لانشائها في بيت المقدس لتخرج طائفتين من العلماء (إحداهما) تخصص لارشاد المسلمين على اختلاف أجناسهم الى حقيقة الاسلام بالتعليم النظامي السهل والاثري الدينية العملية الموافقة لحالة العصر - والثانية لاجل دعوة غير المسلمين الى الاسلام، ويستعان على إنشاء الجمعية والمدرسة بما وضع للجمعية السابقة ومدرستها من نظام ومناهج وتجربة

٢ - أن يسجل المؤتمر بإجابة رغبة كثير من الاعضاء الى ما طلبوه من اتخاذ وسائل سريعة لمقاومة سوء التأثير والضرر الواقع بالفعل من طعن دعاة النصرانية [المبشرين] على الاسلام، وخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، بخطبهم وكتبهم ورسائلهم بوسيلة عملية ناجزة، وأن لا ينتظر في ذلك انشاء المدرسة وتخرج الدعاء والمرشدين فيها للقيام بهذا الواجب

وترى اللجنة ان أقرب الوسائل لذلك نشر بعض الرسائل العلمية - المؤلفة

والتي تؤلف - في حقيقة دينهم وتقاليدهم فيه . ومن أهمها رسالة موضوعها [عقيدة الصلب والفداء] قد بين فيها مأخذ هذه العقيدة وأنها ليست مما جاء به المسيح عليه السلام . وإنما الحق في مسألة الصلب ما حققه القرآن ، وهو كتاب الله الأخير الذي حفظه الله من التحريف والتبديل ، فنقترح أن يطبع المؤتمر منها ألوان كثيرة من النسخ باللغة العربية وتوزع بالمجان في جميع البلاد العربية التي انتشر فيها أولئك الخطاة وقد ترجمت هذه الرسالة باللغة الملاوية ترجمها الشيخ محمد بسيوني عمران إمام مهراب ممبس برنيو وهو أحد تلاميذ مدرسة الدعوة والارشاد السابقة ، فنقترح أن يخاطب المؤتمر الجمعيات الإسلامية في البلاد الاندوسية بطبعها وتوزيعها على المدارس والجمعيات والاندية في تلك البلاد - وأن ينتدب الممثلون لمسلمي الهند في المؤتمر لترجمتها بلغة الأوردو، ونشرها في كل مكان يوجد فيه هؤلاء البشر من تلك البلاد . وينبغي أن ترجم باللغة الفارسية والانكليزية وغيرها أيضا

وقد شكّا صاحب مجلة إسلامية في الصين لصاحب مجلة دينية في مصر تصدي المبشرين عندهم لتفسير المسلمين والطقن في الاسلام والرسول عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ، فأرسل اليه نسخة من هذه الرسالة فطلق يترجمها وينشرها في صحيفته فكف أولئك المبشرون عن التصدي للمسلمين هنالك

٣ - أن يعجل المؤتمر بتقديم خدمة الى العالم الاسلامي ترى اللجنة أنها أم ما يجب البدء به وتعميمه بقدر الطاقة وهي ان يكلف بعض العلماء بالكتاب والسنة ومسائل الاجماع والمذاهب الاسلامية تأليف رسائل في عقائد الاسلام وآدابه وفضائله وعباداته وتاريخ نشأته ، تكون الوسيلة الاولى لاجلاء روح الدين ومقاومة الاتحاد والزندقة في عامة المسلمين . وتحقيق الاخوة الاسلامية على أكل وجه ممكن . ويتوخى فيها ما يأتي :

(١) أن يقتصر فيها على المسائل الاجماعية عند جميع أهل المذاهب الاسلامية في الاصول والفروع لتكون مقبولة عند جميع المسلمين ، ونهيذاً لجمع كلمتهم ، وكونهم أمة واحدة لا يجوز أن تفرق باختلاف الاجتهاد الذي يضر فيه كل مجتهد باجتهاده ، وكل عامي باتباع المذهب الذي نشأ عليه

(ب) أن تكون مشتملة على ما لا يوسع مسجدا جهله من أمور دينه وما يعلم الذي فهمه بطلان ما يدعو اليه المبشرون وغيرهم من الدعاة الى ما ينافي الاسلام وأنه كفر وفسوق عن الاسلام ، من غير تصريح بشيء من تلك الاصول والبدع ولا ذكر العقائد المخالفة ولا أسماء أهلها . وأهم هذه المسائل كون محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين ، المرسل رحمة للعالمين ، وإن التشريع السماوي قد تم بشرعه ، ومن ادعى الوحي بعده فهو مفتر على الله تعالى مارق من دينه

(ج) ان تكون في متبغى السهولة في العبارة والاسلوب يمكن ان يفهمها العوام بمجرد التلقين والبيان الوجيز ، ومن شرط ذلك خلوها من الاصطلاحات الكلامية والفقهية والادلة المنطقية والاصولية

(د) أن يكون ما تدونه في الايمان بالله تعالى وصفاته وأفعاله موجها الى ما يؤثر في القلوب والاعمال من حبه تعالى ومراقبته ، والتذكير بعلمه بما يسره المرء ويخفيه ، والرجاء في مثوبته لمن احسن عملا ، والخوف من عقابه لمن اساء وظلم الخ ويكون الكلام في رسالة الرسل عليهم السلام مبينا لمصمتهم وكذب من يقولون عليهم ، ويرمونهم بشيء من النقائص ، وكونهم كانوا كلهم داعين الى عبادة الله وتوحيده وابطال الشرك والوثنية ، والى العمل الصالح والاستعداد للآخرة — ثم ما امتاز به خاتمهم ﷺ من الزايا والكمالات في أميته وكتابه واشتمال شريعته على الاصول الكافية لاصلاح البشر الى آخر الزمان ، وما في أفعاله وشمائله من الاسوة الحسنة والقدوة الصالحة كشجاعته وسخائه ورحمته واثيره الناس على نفسه وأهله

(هـ) ان يكون الكلام في آداب الاسلام وفصائله مقرونا بما لها من التأثير في الاعمال النافعة من شخصية ومنزلية واجتماعية — والكلام فيما يتنافى منها من الرذائل مبينا لما لها من سوء التأثير والضرر في الابدان والاموال والاعراض ، كمضار القمار والسكر واستعمال المخدرات التي فشت في هذا الزمان الخ

(و) ان يقتصر في العبادات على الكليات المجمع عليها في الطهارة ومناقضها وصفة الصلاة وحكماتها وهي النهي عن الفحشاء والمكر ، مائة الملح والجبن والبخل ، وتعمود النظام وجمع الكلمة ، وكون الزكاة ركنا من أركان لاصلاح المدني والاجتماعي

والسياسي واقيا للمسلمين من الفقر المدقع ومفاسد البلبشية وعونا لهم على كل إصلاح،
وكون الصيام يقصده تقوية الارادة بتربية النفس على ترك الشهوات البدنية الضرورية
المباحة تعبد الله تعالى لتكون على ترك الشهوات المحرمة أقدر - وكون الحج عبادة
روحية مالية، ورياضة جسدية واجتماعية، ووسيلة لتعارف الشعوب الاسلامية الخ.
٤- ان يقرر المؤتمر الاستعانة بأعضائه الحاضرين ثم ببلجانه التي تؤلفه لتنفيذ
والنشر ولجمع الاموال، ثم بجمعيات الشبان المسلمين وغيرها من الجمعيات الاسلامية
التي تكثر في جميع الامصار، على نشر هذه الرسائل في جميع الشعوب الاسلامية بعد
ترجمتها بلغاتها الراقية لغات الكتابة والتأليف، كما تقدم في نشر رسالة مقاومة التبشير
٥- ان يعنى المؤتمر بالسمي للصلة بين خطباء البلاد الاسلامية وتعاونهم على
اصلاح الخطابة، وجعل موضوعاتها في المساجد في امور الدين وسائر مصالح المسلمين
٦- ان يقرر المؤتمر التوسل لجعل التعليم في المدارس الاسلامية ولا سيما الحرة
التي لا سيطرة عليها للاجانب والرسميات، كمدارس المجلس الاسلامي الاعلى في مركزه
(فلسطين) على الوجه الذي يؤهل تلاميذها للدعوة والارشاد اللذين تقدم بيانها
٧- ان يتخذ المؤتمر الوسائل التمهيدية لتعميم اللغة العربية في جميع الشعوب الاسلامية
لما في مقدمة هذا التقرير من توقف فهم الدين ووحدته عليها، واشتداد الحاجة في
هذا العصر الى هذه الوحدة التي تجمع قوة هذه الامة المؤلفة من ٣٥٠ مليوناً بل
٤٠٠ مليون لحفظ حقيقتها واعلاء شأنها ودفع ضروب العدوان عن دينها ودنياها
فاللغة في الامة الواحدة كالجموع العصبي في البنية به يكون شعور جميع
الاعضاء بكل ما يطرأ عليها من الادراكات والمؤثرات المؤلة والملائمة، وعلى
هذا الشعور يتوقف التعاون الايجابي والسلمي. فلا يتم لنا احياء هداية الاسلام
بانواعها ولا وحداته المتقدمة ولا فائدة مؤتمراته الا باحياء لغته الجامعة
هذا ما رأته لجنتنا عرضة على الهيئة العامة لهذا المؤتمر وهي مستعدة لبيان ما عساه

يحتاج الى الايضاح منه، والدفاع عما يرد عليه من النقد، والسلام
المقرر رئيس لجنة الدعوة والارشاد

محمد رشيد رضا

اسماء النشائي

(الاعتراض على التقرير في المؤتمر)

دعيت لتلاوة التقرير على منصة المؤتمر في جلسة يوم الاحد قبل الظهر ثالث شعبان سنة ١٣٥٠ (١٣ ديسمبر سنة ١٩٣١) وتصدى للاعتراض الشيخ سعيد درويش البابي الحلبي أحد أعضاء اللجنة الذي ذكرت خطته وشغبه في الجلسات التي حضرها ، فأسكتته الرئيس ليتمكن الاعضاء من سماع التقرير وفهمه متصلاً ببعضه ببعض ، وليكون الاعتراض بعد إنجازه وفهمه أدنى الى كونه معقولاً الخ

وبعد تلاوته حضرت صلاة الظهر فأرجئت الجلسة إلى ما بعد الصلاة ثم افتتحت في أول الساعة الثانية بعدها وفتح باب المناقشة فيه ، فقام الشيخ سعيد درويش فقال ان مسألة الدعوة والارشاد مهمة جداً لانها تتعلق بالعقيدة وان أم شيء عند المسلم أن يحافظ على عقيدته ، وانه هو كان عضواً فيها وفي اللجنة المالية ولكنه رأى الشيخ رشيداً رئيس هذه اللجنة مستبداً فيها لا يسمح للاعضاء بإبداء آرائهم وانه هو كلما كان يبدي رأياً نادى عليه الشيخ رشيد بالويل والثبور

ثم قال ان هذا التقرير الذي قدمه الشيخ رشيد ليس تقريراً لكنه محاضرة هو الذي وضعها وحده فلم يشترك هو فيها ، وانها صنفت من مادة مطاطة بأسلوبه الوهابي ليؤيد فيها مذهب الوهابية ضد سائر المذاهب الاسلامية وانه هو كان اقترح على اللجنة أن تقرر عدم وجود خلاف بين المذاهب فلم يقبل كلامه (قال) واننا نطلب الحكم على هذا التقرير بالاعدام

وقام السيد محمد الصبان مندوب الجاليات الحجازية التي تسعى لمقاومة ملك الحجاز في خارج الحجاز فتى على رأي الشيخ سعيد درويش بان هذا التقرير وهابي وضع لتأييد مذهب الوهابية ، فاضطرب المؤتمر لهذه الجرأة الغريبة وانبرى أعضاؤه لتنفيذ هذه المفسدة المدعاة مفسدة التفريق بين مذاهب المسلمين وفرقهم

فسبق الاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني رئيس المجلس الاسلامي في بيروت وألقى خطاباً وجيزاً بصوت جهوري قال ما خلاصته :

اتناجئنا الى هنا لجمع كلمة المسلمين ونحن فوق المذاهب ، وليس في استطاعة أحد

أن يمنع اختلاف المذاهب ويجهلها مذهباً واحداً فالمذاهب تبقى على حالها وليحترم كل منا مذهب الآخر، ويكون مرجعنا إلى كتاب الله فهو جامعتنا الدينية الكبرى ولا بد أن يأتي يوم تتقارب فيه الأذهان حتى لا يبقى خلاف . وإذا كنا نحن ندعو إلى التقارب بين المسلم والمسيحي فكيف يمكن أن نفرق بين المسلم والمسلم؟
ثم تكلم مقرر اللجنة الأستاذ اسعاف بك النشاشيبي فقال ما خلاصته :

ان لجنتنا قد اجتمعت واختارت السيد رشيد رضا رئيساً لها - وعمل ذلك بالتزوية بعلمه وخدمته للإسلام في هذا العمل وغيره زهاء أربعين عاماً - وإن المترض كان يحضر الجلسات أولاً وقد اقترح على اللجنة أن تقرر أنه لا يوجد خلاف بين المذاهب الإسلامية . واني أنا رددت عليه وقلت له ان الخلاف موجود وإنكاره مكابرة لا فائدة فيها ، وخبر لنا ان لا نذكره وأن نكتفي بذكر الاشياء المجمع عليها - ثم انقطع عن الحضور . وقال اننا لما أردنا قراءة التقرير للمرة الأخيرة أخبرت الشيخ سعيداً هذا ودعوته إلى حضور الجلسة فامتنع . والتفت إليه وقال : أما نحن فقد حضرنا وقرر كل شيء برأياء ، وأما أنت فقد قررت من الزحف . (قال) نعم ان السيد رشيد رضا هو الذي وضع التقرير ولكنه لم يستبد به بل كنا معشر الأعضاء نبدي له كل ما نراه من آرائنا فيقبلها ويدونها فتدور المناقشة فيها ولم تقدم إلى المؤتمر إلا ما اتفقنا عليه

ثم تكلم الأستاذ الشيخ حسن أبو السعود وبدأ كلامه بقوله ان الأستاذ النشاشيبي مقرر اللجنة قد ذكر جل ما كان يريد أن يقوله هو ، وقد قول المترض ان السيد رشيداً ما كان يقبل أن يناقشه أحد . وأنا أقروا وأعترف بأنه تقبل كثيراً من آرائنا بقبول حسن وأنا بمنزلة ولده وتلميذه - وبالغ في الثناء كالأستاذ النشاشيبي

ثم قام محمد علي أفندي الحناني وقال انه يوافق السيد رشيداً على آرائه في العلم والدين ولكنه لا يوافق على أن الإسلام قام بالدعوة والحجة دون السيف والقوة . فضج الأعضاء واضطربوا من كل ناحية ، يشكرون كلامه ، ويحجرون لسانه ، وكان يسيد قوله ويبدية المرة بعد المرة متعجباً مبتسماً، حتى اسكتوه واجما مبتسماً

ثم نهض الاستاذ الشيخ سليمان الضاهر وقال: إننا جئنا إلى هنا لتوحيد كلمة المسلمين لا لتفريقها، وأنني بصفتي شيعياً أؤيد تقرير السيد رشيد رضا ولا أرى فيه تفريقاً، وأنا أعرف السيد وأقرأ مناره من أوائل العهد بإصداره وأشهد أنه كان من أول الداعين إلى التآليف بين المسلمين وجمع كلمتهم ولكنني أقترح تنقيح المادة الرابعة منه (فرد السيد محمد حسين الدباغ مندوب حزب الاحرار الحجازي كلمة الاعتراض على المادة الرابعة وعلى مقدمة التقرير طالبا إعادة قراءتها للمناقشة فيها فلم يجبه أحد) ثم تكلم الاستاذ الشيخ ابراهيم إطفيش (الاباضي) فقال ماملخصه إنه هو ممن ابتلوا بدراسة الخلاف بين المسلمين، وأنه يعتقد أن التوفيق والتآليف في هذا المؤتمر متفق عليه، وأن الاخلاص مخيم عليه، وأنه يعرف السيد رشيداً ويعرف فكره وفضله، وإن رائده الوحدة الاسلامية وهو دائماً يدعو اليها... قال: ولكنني رأيت في هذا التقرير ما كنت أود ألا يذكر فيه (١٢)

ثم نهض الاستاذ الحاج نعمان الاعظمي البغدادي فألقى خطاباً حماسياً في الاتفاق والوحدة واتفاق الجميع عليها والانكار على اثاره ما يخالفها كالذي يحاوله المعارض ثم نهض الاستاذ الشيخ محمد بهجة الاثري البغدادي وألقى خطاباً حماسياً في الموضوع أثني فيه على السيد رشيد رضا وقال أنه هو يوافقه على كلامه من الناحية العلمية النظرية ولكنه يخالفه في إمكان جعل هذا التقرير نافذا بالفعل

ثم قام الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار فقال ان التقرير الذي وضعه السيد محمد رشيد رضا جيد لا غبار عليه، ولا تفريق بين المسلمين فيه، وليس فيه ميل إلى النزعة الوهابية كما قالوا قبل قراءته، وأنه وضع على ملائمتي قراءته معه، وواقعت عليه، وكل ما فيه نافع مفيد، وإن السيد محمد سعيد البابي طلب من المؤتمر الحكم على هذا التقرير بالاعدام والتقرير لم يقرأ، فأطلب قراءته وتعديل ما يرى المؤتمر إمكان تعديله منه

(وأقول) انني أخذت كلمة الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار بنصها من مذكراته التي أطلعني عليها بعد ذلك بمصر، ورأيت كتب فيها كلمة تائدية غريبة لا تخطر إلا في بال مؤرخ حفيظ مثله وهي:

» ويذكر في القول بإعدام هذا التقرير بما قرره كهيئة اليهود في هذا المكان من وجوب إعدام المسيح ، وأسأل الله تعالى للتقرير النجاة كما نجا المسيح عليه السلام ، اهـ وأثنى بعض الاعضاء على التقرير الا انهم ارتأوا وجوب اختصاره (أقول) أما أنا فقابلت ذلك المبحوم من الشيخ سعيد درويش الباني - الذي أخبرت بعد الجلسة انه أزهرى ايضا - بالحلم والرفق . وقد كفاني الله تعالى أن أقول شيئا في إظهار جهلهم وجرأتهم على البهتان بما كتبه به أعضاء لجنة الدعوة والإرشاد ، فكان فضيحة له على رموس الأشهاد ، وباستندكار هيئة المؤتمر كلها لما حاول من إثارة فتنة المصيبة ، والانكار على الوهاية ، ولهذا نصره مندوب حزب الاحرار الحجازي الذي جاء المؤتمر لينصر حزبه على حكومة الحجاز السعودية ، ولم ينصره أحد غيره بل خذله المؤتمر كله .

وقد افتتحت الدفاعة عن التقرير بالإشارة إلى ما يعرفه أكثر أعضاء المؤتمر وغيرهم من جهادي مدة ثلث قرن ونيف في سبيل جمع كلمة المسلمين على طريقة أستاذي بل أستاذي العصر وحكيمه السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده المصري ويشهد لي بذلك أكثر من ثلاثين مجلداً من مجلة المنار لا يمكن لأحد أن يماري فيها (قلت) وان لي قاعدة معروفة مشهورة في الجمع بين أصحاب المذاهب الاسلامية سميت القاعدة الذهبية وهذا نصها :

تعاون على ما تنفق عليه ، ويمددر بعضنا بعضا فيما يختلف فيه

وذكرت أن مسائل هذا التقرير ليست من الخواطر التي عرضت في جلسات اللجنة وانما هي نتائج تفكير قديم ، ويبحث طويل عريض ، ونجارب محصنة ، ثم أعيد تمحيصها بالشكل الذي وضعت في مسودة هذا التقرير مع أعضاء لجنته ، وقضت بما اتفقوا عليه ، بعد المناقشة فيه ، وان سبب ما اقترحه من جمل الرسائل الاسلامية في العقائد والاحكام المجمع عليها انما هو جعلها مقبولة عند علماء جميع

المذاهب فتكون أول نواة غرست في كل شعب إسلامي للاتفاق والوحدة، فكيف يفهم عاقل أنها سبب للتفرقة ، ولا أرى حاجة الى تلخيص كل ما قلته في ذلك الموقف لأنني عالم أن كل من يقرأ هذا التقرير في المنار يرى ان من الفضول الدفاع عنه أو الرد على المعارض عليه بعد أن جيبه أعضاء اللجنة في جلسة المؤتمر العامة بما أثبت كذبه وبهته لي ولم وأنه يتكلم عن هوى لا عن رأي واعتقاد ، حتى رثيت له ولم أزد على ما قاله كلمة واحدة في تجهيله وأظهار سوء نيته ويرى أن اعتراض بعض الأعضاء على المادة الرابعة مما لا يظهر له وجه وجيه، مع صحة نيتهم وحسن فهمهم الذي لا نزاع فيه

وأما مكتب الرياسة فإنه نظر في وهن الاعتراض وخذلان من آثاره، وتأمل فيها ارتآء بعض الأعضاء من استحسان تنقيح بعض المقترحات أو اختصارها بمثل حذف ذكر جمعية الدعوة والارشاد الأولى ومدرستها ، وإيضاح بعض المقترحات التي استحسن بعض الأعضاء تنقيحها كالمادة الرابعة ، - نظر المكتب في كل هذا فحضر على هيئة المؤتمر العامة أن تقرر تأليف لجنة فرعية تختصر هذه المقترحات وتضعها في صيغة مواد قانونية ، فوافق المؤتمر على ذلك ، وتألفت اللجنة وخرج أعضاؤها من هو الجلسات الى حجرة خاصة ، وبعد البحث والمناقشة وضعنا للواد الرابع التي تقدم نصها في الجزء الماضي من المنار (ص ٢٠٨)

ثم عدنا الى الجلسة العامة وقرئت المواد الرابع فوافق عليها المؤتمر بالإجماع فقام مندوب الحزب الحجازي وطلب إعادة قراءة مقدمة التقرير والمناقشة فيها فلم يمن بطلبه أحد. فهذا ملخص ما وقع، ولم يدون مثله في شيء مما تناقش فيه المؤتمر وإنني سأنشر في جزء آخر خلاصة الخطاب الطويل الذي ألقته على هيئة المؤتمر العامة في الأخطار التي تهدد العالم الاسلامي من أمراضه الذاتية العامة لجماعه والشخصية في أفرادها وانطارجية وما يجب على مثل هذا المؤتمر من السعي لدرء الأخطار ومعالجة الأمور

جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين

ألفت في مكة المكرمة جمعية بهذا الاسم أرسل البنا رئيسها الاستاذ الشيخ عبد الله الشيباني النجل الاكبر للشيخ عبدالقادر الشيباني حاجب بيت الله الحرام ما يأتي

بسم الله الرحمن الرحيم

معدن الفضل ، وينبوع الحكمة ، فضيلة العالم العلامة ، والاستاذ الجليل ، السيد رشيد رضا ، كلاته العناية

تحية من عند الله مباركة طيبة (وبعد) فان لي الشرف الاعظم الاثيل أن أحيط فضيلتكم علماً أن الحكومة السنية مدد الله مداها ، قد لبث طلب الشعب الحجازي في تأسيس جمعية يوكل اليها أمر المطالبة بأوقاف الحرمين ، وإذ قد اعترف رسمياً بهذه الجمعية بعد أن بلغت تصديق نظامها الذي اعتمدت السير بمقتضاه نحو الغاية الجليلة التي أسست من أجلها - أجمع رأي الهيئة الادارية المدون بمحضرها رقم ٤ وتاريخ ١٦ الحجة ١٣٥٠ على نشر بلاغ بالكيفية ، وزف هذه البشري الى فضيلتكم مشفوعة بصورة من البلاغ والنظام المصدق المذكورين طلباً في نوال عطف ذوي الفضل والمهم ، وأرباب الكارم والشم أمثالكم ، وإعلاناً لحاجة الجمعية في مظاهرتكم لها في الخطة التي ارتسمتها ، وببذل الشاؤ الذي نصبت ، لا عدمت الامة الاسلامية تلك الانفاس الطاهرة ، وذلك القلم السيل بأسمى العواطف الشريفة وأنبلها ، والمتحفز بنقي وجدان وحساس شعور وحي ضمير حر عرف ماله وما عليه هذا ولم يفت الجمعية بهذه المناسبة ان تبدي لشخصكم الكريم عظيم شكرها وخالص امتنانها على تلك النقثات العبقريّة التي تضرعت من خلال مقال نشر لكم على صفحات صوت الحجاز في موضوع أوقاف الحرمين الشريفين ، فجاء بالحقيقة آية

استفاضت من علم غزير، ومبدأ جليل، ونظر ثاقب، ورأي صائب، أبدع أساليب
الحكمة، وضروب الحجج الناصعة، في تأييد حق ابلج، أبصرتم بوازع ما هو مسلم
به لكم من غيرة دينية، وحمية إسلامية، وجوب مناصرتة، والأخذ بناحية اهله الى
حيث مبتغاهم في الحصول عليه، جزاكم الله خيراً، وأكثر لامة الاسلاميه من هذا
المثل - أمثال علم وعمل وصدق وإخلاص

وإذ تعظم الجمعية لفضيلتكم أيادي أسديتموها، ومتناً أوليتموها، تؤكد لفضيلتكم
بأنها عظمية الثقة وطيدة الامل في أن يكون لها من شخصكم الكريم خير مستمد
روحى، وأمثلة ينبوع حكيمى، تستنزف من متلاحق فيضه إرشادات قيمة، وأفكار
نيرة، تسهل لها مهمة ما أخفت على عائقها تذليله من الصعاب، وكثود المقبات
التي تعترضها في سبيلها تجاه الناية للرجوة والشأو المبتغى . تولى الله الجميع بعونه
وعين عنايته وتوفيقاته، والسلام ٢٠ - ١٢ - ١٣٥٠ توقيع
رئيس الجمعية

﴿ بلاغ من جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين ﴾

غير خاف ما لهذا البلاد المقدسة وأهلها في سائر الاوساط الاسلامية كتونس
ومصر وتركيا والعراق والهند وفلسطين وسوريا - من أوقاف عظيمة ، منها ما هو
لحرمين الشريفين وخدمتها خاصة ، ومنها ما هو لموائل معلومة ، وأشخاص
معروفين من مجاوريهما ، ليكل وقف شروط معينة ، ولوائح معينة لنوع الوقف
وموقعه وحدوده ، ومقدار ما يستحقه الحجاز من ريعه السنوي ، عكف نظاره على
توفية المستحقين حقوقهم من هذه المحصولات طبق شروط الواقفين ، ولكن
أسباباً وعوامل - ذهب المجموع في تعليلها كل مذهب - حالت هذه السنوات الاخيرة
عن انتظام إيصال هذه المبرات الدائمة والحقوق الموروثة الى أهلها
ولما لم يد في قوس صدر الامة منزع اعتمدت بعد الله على ما يدها من مستندات

قيمة وحجج قوية تؤيدها في مشروع حق لها موروث وسارعت الى تشكيل جمعية تحت عنوان ﴿جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين﴾ وألقت على كاهلها مهمة البحث بالطرق الممكنة والمشروعة عن اموال الاوقاف العائدة للحرمين الشريفين وأهلها وحصر جهودها في المطالبة بريمها السنوي وإيصال ذلك إلى مستحقيه الاول فالاول ، وإذ تعان الجمعية اعتراف الحكومة السنية بتأسيسها وتصديقها نظامها الذي اعتزمت السير بمقتضاه نحو الغاية التي أسست من أجلها - نظير حاجتها القصوى الى استعطاف نظر أرباب الغيرة والحمية عليها من عائر رجالات المسلمين مستحثة - باسم الواجب الديني - همهم ، ومستنهضة عزيمتهم على مؤازرتها ومناصرتها في كل ما من شأنه يسهل لها مهمة القيام بهذا العمل الجليل ، والمشروع الخطير ولما كانت المادة التي تحتاج اليها الجمعية لتأمين مصروفاتها في سبيل تحصيل المعلومات وإرسال الهيئات وتيسين المحامين عند الحاجة وال لزوم انما هي منحصرة في تبرعات المحسنين من رجال البر والاحسان في كل صقع من الاصقاع الاسلامية وفيما يتكون من بدل اشتراك سنوي زهيد لا يقل عن ريال واحد مفروض على كل عضو من أعضائها - فان الجمعية تدعو كل من يترتب عليه أداء هذا الواجب ، وبالاخص عموم أفراد الامة على اختلاف طبقاتها باعتبارهم أعضاء طيبين في هذه الجمعية الى المبادرة بالقيام بما عليهم من واجبات أهمها تقديم بدل الاشتراك المنوه عنه ومظاهرة الجمعية في كل مامنه تشجيع وتمضيد لما على تحقيق غاية جليلة ، وأمنية مضمونة الحصول والنفع العميم ان شاء الله

نظام جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين

- ١ - تأسس في مكة المكرمة والمدينة المنورة جمعية تسمى ﴿جمعية المطالبة بحقوق أوقاف الحرمين الشريفين﴾
- ٢ - مركز الجمعية في المدينة المنورة يكون مربوطا بمركز جمعية مكة
- ٣ - غرض الجمعية خيري محض ولا تتطاول السياسة مطلقا

٤ - تبحث الجمعية بالطرق الممكنة والمشروعة عن أموال الاوقاف العائدة للحرمين الشريفين وأهلها في أي جهة كانت

٥ - يجري تنظيم كل ما تحصل عليه الجمعية من نتيجة درساها ضمن لوائح تحتوي على نوع الوقف وجهته وغلته والبلدان التي توجد بها أعيان الاوقاف والتي تستحصل غلالها منها برسم الخطط القويمة التي يستطيع مع تطبيقها الوصول الى الشاؤ المبتغى

٦ - تقوم الجمعية بمحصر جهودها في المطالبة والملاحقة بأموال الاوقاف وايصالها الى مستحقيها بالاشتراك مع مديرية الاوقاف عند التوزيع

٧ - تقوم الجمعية بالمطالبة بحقوق الاوقاف وتثبيتها سواء أكان ذلك عن طريق المرافعات بما يلزم لها من تعيين محامين أو ايجاد مندوبين من قبلها أو مخبرات الجمعيات والهيئات الخيرية في الخارج أو ما في معنى ذلك

٨ - للجمعية حق تشكيل فروع لها داخل المملكة طبق ما تقتضيه المصلحة والازم

٩ - لموم الوطنيين حق الانقسام الى هذه الجمعية والاشتراك فيها بمبلغ لا يقل عن ريال واحد سنوياً كما يجوز لهيئة الجمعية قبول من يتراءى لها مصلحة في دخوله ممن يعلن الرغبة في الانضمام الى الجمعية من سائر المسلمين

١٠ - تجتمع الجمعية العمومية لأول مرة برئاسة أكبر الاعضاء سناً وبعد ذلك برئاسة رئيس الجمعية أو من ينوب عنه في كل سنة مرة واحدة بمكة المكرمة والمدينة للنورة في شهر ذي القعدة بدعوة من هيئة الادارة أو بطلب عشرة أعضاء من الهيئة العمومية

١١ - الهيئة العمومية تنتخب من بين أعضائها هيئة ادارية في رأس كل سنة لتتوب عنها في جميع أعمالها طيلة السنة

١٢ - تنظر الجمعية العمومية في الاعمال الآتية:

١ - الحساب السنوي

- ب - الاعمال التي قامت بها الهيئة الادارية والتي عهد اليها أمر القيام بها من قبل الهيئة العمومية
- ج - الاقتراحات المقدمة باسم الجمعية
- ١٣ - تكون قرارات الجمعية العمومية صحيحة بالاكثرية الحاضرة على أن لا يقل ذلك عن ثلثي نصابها المؤلفة منه

نققات الجمعية ومصاريفها

- ١٤ - الاموال التي تحتاج اليها الجمعية للمصروفات في سبيل تحصيل المعلومات وارسال الهيئات - وتقديم المحامين تكون من التبرعات التي يتبرع بها المحسنون ومن مجموع بدل الاشتراك المفروض دفعه سنوياً ومن قبل أعضاء اللجنة للصندوق طبق المادة (٩) من هذا النظام
- ١٥ - ترصد التبرعات والاشتراكات التي تقدم الى الجمعية في سجل خاص بها
- ١٦ - تصدر الجمعية في نهاية كل سنة بياناً عن عموم الاعمال التي قامت بها خلال تلك السنة وما دخل وأنفق فيها ،
- ١٧ - تتألف هيئة الادارة من عشرة أعضاء تنتخبهم الهيئة العمومية والهيئة المنتخبة فتتخب من بين أعضائها رئيساً ونائباً وسكرتيراً وأميناً للصندوق
- ١٨ - تجتمع الهيئة الادارية في الاسبوع مرة ولها أن تقرب أوقات الاجتماع وموالاته يومياً عند الحاجة وال لزوم
- ١٩ - لا تكون قرارات الهيئة الادارية نافذة المفعول الا بالاكثرية المطلقة
- ٢٠ - الهيئة الادارية تقوم بتنفيذ قرارات الجمعية العمومية وعرض مقرراتها وأعمالها الى الجمعية العمومية عند اجتماعها ،
- ٢١ - يسهّد بجميع دفاتر الجمعية الى السكرتير وذلك فيما عدا دفتر الحساب الخاص بالدخل والنققات فانه يكون من نسختين أحدهما في عهدة أمين الصندوق والآخر في عهدة رئيس هيئة الادارة ونائبه ويكون موقفاً على صحة حسابها من أكثر الهيئة الادارية

٢٢ — الجمعية حق مراجعة اللوا رذات العلاقة فيما يحتاجه من إيضاحات ومطالبات وغير ذلك — وعلى اللوا رالمذ كورة أن تبذل منتهى الجهد في مساعدة هذه الجمعية وتسهيل أمر مهمتها اهـ

(المنار) انه ليسرني تأليف هذه الجمعية وأعدادها بكل ما تكافئني إياه من مساعدة أقدر عليها ، وأحث كل مسلم مخلص لدينه ومحب لله ولرسوله (ص) ولخيراتها في حرميها على مساعدتها — ولعل أول من فكر في مسألة البحث عن أوقاف الحرمين العامة والخاصة بمصارف معينة والمطالبة بها لاجل إيصال ريعها إلى مستحقيها وأول من دعا إلى ذلك السمي بمد استيلاء الملك عبدالعزيز السعودي على الحجاز ، وقد كلفته بهذا عند وضعي للمباحث التي يجب بحث المؤتمر الاسلامي العام فيها ، وكنت أرى انه يجب أن يوضع حاشية مثل ما وضع في هذا العام من النظام وتأليف اللجان لهذا العمل ولكن المرض الذي كاد يقضي علي ثم ما كان من شغب وفد جمعية الخلافة في المؤتمر الذي كاد أن يقضي عليه والاشتراك في مسالجه قد حلا دون هذا وغيره مما كنت طرما على السمي تهوض المؤتمر به تقريراً وتقييذاً

ثم اتيت كنت أناقش هنا كثيراً من رجال الحكومة المصرية وغيرهم في مسألة أوقاف الحرمين وقد ذكرت في المنار مراراً آخرها المقالة التي نشرت في الجزء الثاني من المنار وفي جريدة الجهاد المصرية وجريدة صوت الحجاز المسكية الجديدة (*) ولكن أبت نشرها بجريدة أم القرى الرسمية لحكومة الحجاز وقد أرسلت إليها نسخة منها لنشرها ! ثم أرسلت في يريد مستند حكومة الحجاز ونجد بمصر إلى وكيل وزارة الخارجية بمكة المكرمة فكان من الغريب الذي لا يقل أن تأتي هذه الجريدة لنشر هذه المقالة الحكيمة في الحث على القيام بحقوق الحرمين وسكانها والدفاع عن حكومتهما ، بدلا من أخبار منشوريا وشتغاي وأمثالها ، وكان المتظر أن تأمر حكومة الحجاز بترجمة هذه المقالة إلى لغات أكثر الحجاج وتطبع الوفاً من أصلها العربي وتراجمها وتوزعها على الحجاج ولعل المانع من ذلك انقاء سخط حكومة مصر ، ولكننا عجبنا من قول جلالة الملك في خطبته التي في حجاج هذا العام انه لم يدافع عنه أحد من المسلمين فيما يوجه إليه من المطاعن مع أننا بكثرة المدافعين عنه في كل قطر فهل يحجب عن جلالته ما ينشر في صحف الأفاق الإسلامية من ذلك فلا يقرؤه ولا يلخصه له ديوانه حتى هذه المقالة ؟

(*) من غريب ما فعلته هذه الجريدة انها نشرت المقالة ووضعت لها هذا الامضاء (الشيخ رشيد رضا)

اصلاح عظيم في وزارة المعارف

ولإخراج الدكتور طه حسين منها وخروج أحمد بك لطفي السيد من الجامعة المصرية
لقد كان أكبر هم الاحتلال الانكليزي في مصر إفساد ما يتوقف عليه
استقلالها في مستقبل أمرها اذا قضت الاقدار الالهية خروج جيشهم منها وهو المدارس
والجيش ، فاما الجيش فلا كلام لنا فيه هنا ، وأما المدارس فكان همهم من السيطرة
عليها تخرج نشء جديد لأم لهم الحياة إلا التمتع بالذات الجسدية والزينة في
اللباس والاثاث والرياش والتنافس في خدمة الحكومة ووظائفها ، والتوسل إلى
ذلك بالشهادات المدرسية ، والتعلق للرؤساء المسيطرين من الانكليز في المرتبة
الاولى ومن صنائعهم الوطنيين في المرتبة الثانية .

لهذا كان أهم ما عني به المسيطر على وزارة المعارف منهم (ألا وهو القسيس
مستر دانلوب) أن يطمس كل أثر كان للدين الاسلامي في المدارس الاميرية ولا
يدع للتربية الاسلامية ولا للتعليم الديني منفذاً يشرف منه على القلوب ، أو يشرق
على العقول ، تبسيراً للحاد والاباحة أن ينشأ مسموماً في افساد الاخلاق ، وعبادة
الشهوات ، وإيثارها على هداية الملة ، ومصالح الامة ، وحجاباً دون مقاصد
الاسلام العالي في السيادة الملية ، وعدم الخضوع لأي سيطرة أجنبية ، أن تتمكن
في الاذهان ، وتغلغل في أعماق الوجدان ، وإلهاء المسلمين والمتعلمين عن ذلك
بمظاهر التربية الوطنية الاقليمية ، التي تفصل بين مسلمي مصر ومسلمي سائر الاقطار
ولاسيا العربية ، التي تخشى انكثرة أن تتحد بها فيكون منها دولة عربية اسلامية
قوية ... وهو الأمر العظيم الذي كان استشراف له محمد علي الكبير فحالت الدولة
الانكليزية دونه بحيلة الانتصار للدولة العثمانية التي كانت تراها سائرة إلى الانحلال
نجم مستر دانلوب في سياسته اتم النجاح ، وشغل المدارس بالعباب الرياضية
الجسدية عن ترويض الأرواح ، (على سهولة الجمع بينهما) وكان شر العواقب
لنجاحه ان طبع وزارة المعارف المصرية بطابع سياسته ، ووجهها شطر مقصده ،

حتى اذا جاء الاستقلال المقيد وصار أمر التعليم في ايدي الوطنيين كان بعض وزراء المعارف من بعده، شرا على التربية والتعليم مما كان في عهده . بل لم ينهض وزير منهم لاصلاح التربية الدينية ومقاومة نزغات التفرج وصد تيار الاباحة والاحاد ، الذي يقذف بالامة في فوضى الاخلاق والفساد

ومن العجيب ان نرى جميع الاذكياء من العلماء والادباء والكتاب مجمعين على ان اقتل امراض هذه الامة فساد الاخلاق ، وانه لا ينفعها بدون تهذيب الاخلاق علم ولا استقلال ، ثم لانجد لهذا الاجماع ادنى تأثير في التربية المدرسية ، مع الاجماع على فقد التربية المنزلية

واعجب من هذا اننا لم نر من حزب من احزاب البلاد السياسية ولا من تقاليد الحكومة طريقة متبعة في اختيار وزير المعارف من رجال الاصلاح المالي والأدبي الذين يهمهم حفظ دين الامة والدولة ووقايتها به من الفساد والفوضى ، وانما الطريقة المتبعة عند كل حزب تقسيم الوزارات بين رجال الحزب المستمسكين به ، لا يصرفهم صارف عن جعل وزير المعارف أحد المعروفين بالاحاد ، كما لا يصدم صاد عن جعل وزير الحرية أحد الادباء او رجال الاقتصاد

ولقد كان من مثار العجب جعل الاستاذ احمد لطفي السيد المحامي وزيرا للمعارف ، حتى اذا ما تبوأ هذا المنصب مراد بك سيد احمد القاضي الاهلي زال ذلك العجب واعتقد كل غيور على الدين ان الحكومة المصرية متعمدة القضاء على هداية الدين في الامة بتربية بنينا وبناتها على الاحاد والاباحة المطلقة

لئن كان الدكتور طه حسين من سيئات الاول بتغذيته مبادئ الاحاد في نفسه ، وتجربته على بشا بقله أولا وفي دروسه في الجامعة آخرأ ، فان الثاني قد ابتدع في وزارة المعارف من فنون التربية على الاباحة ، والقاء جلايب الحياء والصيانة ، من رقص التهلك والخلاعة ، وتصوير الشبان والشواب ، بمجردين ومجردات من الثياب ، ما يتضائل أمامه ذلك الافساد القوي الذي يمكن ابطاله بما هو أقوى منه في نوعه .

ليس بكثير على مثل مراد بك سيد احمد أن يفترض ارتقاءه إلى منصب وزارة

المعارف فيبتدع فيها تعليم النابتة المصرية من البنين والبنات التمثيل الاباحى والرقص (التوقيعى) بانه من الرياضة الجسدية وتجديد المدنية، ويريههم على التجرد من الثياب بحجة الترقى في صناعة التصوير ، وهو هو الذي كان قاضيا فرغت اليه قضية رجل يطلب فيها عقاب أستاذ في المدارس على التصدي لتخريب امراته وافسادها عليه بمخاطبته اياها في الطريق بعبارات التصبي والاستمالة، كقوله لها ان جمالها قد سلب منه الرقاد، وحكم عليه بطول السهاد، فحكم هذا القاضي الذي ارتقى من كرسي القضاء الى كرسي الوزارة بأن ما وقع من الاستاذ المعلم المربي مظهر من مظاهر حب الجمال وهو فضيلة من الفضائل ، وإنما يعاقب القانون على الرذائل ، فحكم براءة الفاسق المتصدي لافساد نظام الزوجية ، وكفى به إفسادا للامة

أجدر برجل هذا رأيه وهذا وجدانه في القضاء أن يعد من أعلى الفضائل التي يخدم بها أمته بترتيبها عليها بالفعل تمتع شبانها وشوابها بكل ما في أبدان الحسان من الجمال الخفي والظاهر ، على مذهب الشاعر القائل :

حسن الفصون اذا اكننت أوراقها وتراك أحسن ما تكون مجردا
ولكن الغريب المريب أن يجعل مثل هذا القاضي الجمالي والمجدد الاباحى وزيرا للمعارف ، وأن يبتدع فتنته وتقره هيئة الوزارة عليها ، ، ولا تبالي انكار أهل الدين وعجي الصيانة لها ، وما معنى أن أرفع صوتي يومئذ بمشايعة المستنكرين الا أنني ظننت أن الحكومة المصرية قد أجمعت أمرها على إلقاء هذا الشعب المتدين في فوضى الاباحة المطلقة ، وقذفه في تيهور الاحاد والزندقة ، وانه لم يبق لهذا المزاج الحكومي من علاج ، إلا أن يصب الله المنتقم عليها صوت عذاب .

بيد أن الحكومة لم تلبث أن أخرجت هذا الرجل من الوزارة وجعلته سفيرا لها في أوربة ، وناطت وزارة المعارف بمحمد حلمي باشا عيسى ، قابطال البدعتين الاباحيتين ، فملنا أن ابتداعها إنما كان بسوء رأي الوزير الذي انتجرها ، لا بمقتضى خطة اجماعية من الحكومة قام بتنفيذها

ثم ان هذا الوزير جعل الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب في الجامعة مفتشا للغة العربية في الوزارة فأخرجه من الجامعة التي يث فيها إلحاده ، فكان

٣٠٣ اخراج طه حسين وأستاذه من الجامعة ووزارة المعارف للنار : ج ٤ م ٣٢

لا خراج ضجة شديدة ورجة عنيفة في الجامعة ، لا لاجل طه حسين نفسه بل لاجل المحافظة على جعل الجامعة مستقلة كجامعات أوروبا لا يملك وزير المعارف نقل عميد منها ولا استاذ إلا بقرار من مجلس إدارتها ، وقد اقترص هذه الضجة والرجة معارضة الحكومة فكبروها تكبيرا وكبروا طه حسين بالتبع لها ، فهب في وجوههم مجلس النواب المؤيد للحكومة فطلب أحد أعضائه الدكتور عبد الحميد سعيد (رئيس جمعية الشبان المسلمين) استجوابا من وزير المعارف في مسألة طه حسين واستنكارا لبقائه في وزارة المعارف على ما عرف الخاص والعام من سوء سيرته في نفث سموم الاتحاد في الطلبة وفساد عقائدهم وآدابهم بدروسه وكتبه . وقد ألقى المستجوب على المجلس بيانا طويلا لما تضمنته كتب هذا المدرس من نزغات الكفر والاتحاد والاباحة ، فوعدت الحكومة المجلس بأنها ستعظر في مسأله وتقرر ما يرضي المجلس والامة في شأنه ،

اسهب مجلس النواب والجرائد الموالية للحكومة في العلم على طه حسين ، فأطابت الجرائد المعارضة لها في اطرائه ، وذلك دأب المناظرات السياسية ، وكان من تأثير اطراء الجرائد المعارضة وبعض طلبة الجامعة وغيرهم في نفس طه حسين أن شمع الله ، واهتز عطفه ، فأقلت من لسانه ما ارادت الحكومة تحقيقه فسأله عنه فامتنع من الجواب ، وعتا عتوا كبيرا اتعى بعزله من وظيفة التفتيش قبل ان يعمل فيها عملا ، وهذا ما تبخيه المعاهد الدينية والنواب وكل مسلم يعرف افساد طه حسين في الجامعة

وكان مما دفعت سيول هذه الحوادث ان استقال أستاذه ومريه أحمد لطفي بك السيد من رئاسة الجامعة المصرية قبلت الحكومة استقالته ثم بذلك سرور اهل الدين لقد أوتي طه حسين من الحظ والتأييد أضغاف ما أوتي من العلم والتأديب ، فهو يدعي التجديد ولم يأت بجديد ، إلا أن خدم دعاة النصرانية بالصد عن الاسلام وبنية عوجاء ، وقد بعض فلاسفة الافرنج في الشك والتشكيك ، وهو ضرب من السفسة قديم ، كان الدين ابتلوا به يشكون فيما يرونه بأعينهم ويسمعونه بأذانهم ، ويندقونه بألسنتهم ، حتى شكوا في وجود ذواتهم ، فما تعود أحد واتحلله مذهبا

له الا وأعقبه جهلا لا مخرج له منه ، ومن شك في كلام الله ، وفيما تواتر من أخبار الناس ، فأتى له أن يوقن بأراء طه حسين ؟ كلا إنما مثله كمثل من يبيع الموجود بالمعدوم ، والمتحقق بالموهوم ، أو كما قال الله تعالى : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظلمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوؤه حسابه ، والله سريع الحساب) أو كظلمات في بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض . إذا أخرج يده لم يكد يراها . ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

ولعل سبب تأييد بعض كبار الملاحدة أنه رأوه مستولفا مستهترا لا يبالي في سبيل الشهرة بالاحاد والاباحة ذما ولا عارا ، وهم حريصون على نشر هذه الدعوة في الجامعة المصرية ليهدموا بمحاول التخرجين فيها كل ما بقي للإسلام في مصر من هداية دينية وجنسية عربية ، فهم ارادوا جعل الجامعة خرابا على الازهر وما يتبعه من المعاهد الدينية وعلى دار العلوم أيضا ، وقد صرح بعض كتابهم بهذا في مقالات نشرت في بعض الصحف ، بل صرحوا بان ثقافة هذه الجامعة المصرية تستحل محل ثقافة الازهر الدينية في مصر وفي سائر البلاد العربية . ويسرنا ان بعض الذي جاهروا بهذا العداء للدين وصلينا نار قذفهم للرد عليهم فيه قد ثابروا في هذا الصمد او العام الى رشدهم ، وانا ابو الى ربهم ، ولقد كان اظهر الاسباب لعناية اولئك الملاحدة ببث دعايتهم في الجامعة هو اعتقادهم أن الشعب مازال ينجذب عليه الدين ، فهو يحتقر في نفسه أمثالهم من الزنادقة والمعتلين ، وقد رأى طه حسين ان في كفالتهم له وتقديمهم اياه رجحا لا يصل اليه بدون هذه الوسيلة ، وان الذين لا يزالون يثارون على الدين لا ينصرون انصاره ، ولا يضرون أعداءه ، الا أذى من القول ، وقد كان من دهائه وعدم مبالاته بالقدم أن لا يرد على معترض ، ولا يثار من منتقم ، فكان الرد عليه يزيد شهرة ، ولولا كثرة الردود عليه لما ذاعت شهرته وانتشرت مصنفاته ، فكان هذا من كبر حظه أيضا

ولعلني بهذا لم أعن بالرد عليه والعناية باظهار جهله . بل لم أنظر الا في قليل مما كتبه ، وكان المرحوم رفيق بك المعظم أول من أنبأني بمقالاته في جريدة السياسة

التي جعل عنوانها (حديث الاربعاء) وما فيها من الجماية على التاريخ العربي والاصلاح الاسلامي واغراء النابتة بالفسق والاباحة لاقرأها وأرد عليها فلم افعل ، ولعله كان رحمه الله أول من رد عليه ، ولستكنى عنيت باظهار ما كان خفيا على الناس من امر الحزب الذي اتخذه داعية له والجمعية التي تؤيده وتنويه به ، وقد سميتها (جمعية الاحاد والزندقة ، والاباحة المطلقة) فانتقموا مني بهجر من انقول ، وقذع فاحش من البهت ، وتبدل حسناتي سيئات ، كقولهم انني كنت أقول الناس وقابا واشدهم كنودا للشيخ محمد عبده حتى انني بعثت مذكرة له ومستندات تاريخي للخدوي عدوه !!! ها هو ذا تاريخ الاستاذ الامام قد ظهر ناطقا بما يعلم الناس وبما لم يذكروا يعلمون من سيئات الخديو في مقاومة الشيخ محمد عبده في اصلاحه ، وناشرا لما كان مطويا من مذكراته ، فهل رجع المقري علينا عن بهتانته ؟ واذا كان صاحب النار قليل الوفاء للشيخ محمد عبده وهو الذي يشهد له ٣٢ مجلداً من النار بالتنويه بفضله ، والاشادة بذكوره ، فلماذا ذلك الكاتب على الاوفياء له وعلى واحد من احيائهم وامواتهم ؟ لقد كان وجود الدكتور طه حسين أستاذاً معلماً للآداب العربية في الجامعة المصرية ذنباً كبيراً لوزارة المعارف فانه مفسد لآداب النفس التي لا قوام لها إلا بالدين ، ولا دين إلا باليقين ، ومن قواعد آدابه الشك والتشكيك في الدين وفي غير الدين ، فهو من أكبر المفسدين ، وإنه على إفساده لآداب النفس غير مصباح في آداب اللغة بل هو مفسد فيها أيضاً ، وإن شهد له اخوانه الملاحدة في مصر وأوربة وأخوه الذي في حلب أيضاً - بأنه امام المصلحين ، كما شهد هو لآبي نواس أفسق أهل عصره بأنه امام المصلحين !! فان كل آدابه اللسانية خلاصة لفظية ، ونظريات جدلية ، واذا كان وجوده ذنباً لها وللحكومة فاخرجه كفارة لهذا الذنب ، واذا كان هو مفسداً للآداب فاخرجه اصلاح لا ريب فيه

ولقد سر هذا الاصلاح جميع أهل الدين ، وكل من يغار على الفضل والآداب الصحيحة ، ولو وقع في عهد سعد باشا عقب حملته عليه في مجلس نواب تلك الحملة الشديدة لمد السواد الاعظم من الامة من أكبر حسنات سعد ، واماضت أمهار الجرائد الوفدية بمقالات الثناء على سعد ، والقذف والرجم لطله حسين ، إذ كان

يدخل حجرة الدرس في الجامعة فيقسم من صغير طلبتها وزفيرهم ما يكاد يحرقه احراقا ولكن جاء هذا الاخراج أو الاصلاح في وقت لم تظهر فيه مزاياه لجمهور الامة وسوادها الاعظم، أو ظرف غير مناسب « كما قال بعض الادباء المستقلين، فكان من أثره ما كان من الدافع عن طه حسين واطرائه بالتبع للدافع عن استقلال الجامعة المصرية، والمهجوم على الوزارة للصدقية، ورعيها باخراجها لاسباب حيادية، وما لنا نحن معاصر المستقلين في الرأي والمنتقذين لا أقصى مكان من السياسة الخزية لا نقول الحق ولا نخاف فيه لومة لائم، على انه لا يقدر أحد أن ينهنا بالانتصار للحكومة أو الدافع عنها، بل يعلم السعديون الخالص اننا كنا مع سعد من حزب شيخنا وشيخه الاستاذ الامام (رح) وما زلنا أقرب الى مبادئ سعد والوفد الشعبية أو الوطنية (الديمقراطية) منا إلى خصومها مع المحافظة على استقلالنا في الرأي، وجهرنا بما نعتقد انه الحق، وعدم نصبنا العداء لاحد — ما لنا لا نقر ونقرر وتنوء بما نعتقد أنه إصلاح، ونقول إنه إصلاح، ونظهر سرورنا به، ونثني على فاعله، من غير أن نماري خصومه في مياستهم، وأي صحيفة أجدر بنصر الاصلاح الاسلامي من منار الاسلام الذي نصب للعناية به والدعوة اليه قال حكيمنا المصلح الكبير السيد جمال الدين الافغاني لاستاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر الطرابلسي في الآسنة: اننا لا يمكن أن نخطو خطوة واحدة الى الامام إلا اذا كنا نمطي كل ذي حق حقه، فنقول للمحسن أحسن، وللسيئ أسأت وأن كان غلاة التجديد السوري الاباحي يحمدون وزير الرقص وتصوير المرأة ويسمونهم مجددا، ويذمون وزير الفضيلة والحيانة ويسمونهم رجساً مقلداً، فاجدر باهل الاعتدال في الاصلاح على صراط الاسلام المستقيم، الجامع بين مصالح الدنيا والدين، أن يحمدا والحلي باشا عيسى عمله ويسموه من المصلحين الا انني كلمت من أدركت قبل حلي باشا من وزراء المعارف الا واحداً أو اثنين منهم — فيما يجب من الاصلاح الديني فيها فما رأيت من أحد منهم ما رأيت منه من الارتياح والقبول والتوجه الى العمل من تلقاء نفسه، وقد بدأ بالتهيد والتخلية، وفقه الله تعالى لآمام ما بدأ به، بالتعليم والتربية

تقرير المطبوعات الحديثة

النقد التحليلي لكتاب (في الادب الجاهلي)

مؤلفه الاستاذ الفاضل محمد احمد القمراوي خريج مدرسة المعلمين العليا بمصر
ثم جامعة لندن في انكلترا، وله مقدمة حافلة بقلم أمير البيان الامير شكيب أرسلان
طبع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٢٩ م و٨٩٣٤٧ صفحته بفهرسه دون مقدمته
٣٢٥ وثمان نسخة ١٥ قرشا

أما كتاب (في الادب الجاهلي) الذي وضع هذا الكتاب لنقده بالاسلوب
الذي يسمى بالتحليلي فهو كتاب للدكتور طه حسين الذي كان أستاذ أدب اللغة
في كلية الآداب من الجامعة المصرية ، وأخرج منها في هذه الاثناء ثم عزل من
وزارة المعارف . وكان سماه (في الشعر الجاهلي) لخص فيه دروساً في آداب
اللغة العربية ألقاها على تلاميذه في الجامعة كل أم مقصد له فيها نفت محوم الامداد
في ارواحهم بالتشكيك في عقائد الاسلام بل صرح فيه بتكذيب القرآن العظيم ،
فضج المسلمون في غير الجامعة ضجيجاً شديداً بالانكار عليه ، وكتبوا مقالات كثيرة
وألغوا كتباً ورسائل في نقض مطالعته وغيرها من جهاته ، فكان يطير بذلك
سروراً لانه سبب لعلوان شهرته وعلومكاته عند مناققي المسلمين أعداء الاسلام
من الافرنج وغيرهم ولا سيما الملاحدة ودعاة النصرانية منهم ، وهما الفريقان اللذان
قد أيددعايتهما وكان ما كتبه في الصد عن الاسلام أضر من كل ما كتبوه . ولكن
آل ذلك الى مطالبة النيابة العامة مقاصاته الى محكمة المقوبات واحداً رئيسها عقب
التحقيق قراراً في شأن كتابه شديد الوطأة عليه ، وأبلغ من كل ما كتب من
الظلم فيه ، الا أنه لم يثبت عنده أنه سيء النية في ظلمه ، بحيث يحكم القانون بعقابه ،
ولكن جاء في صيغة القرار ما يدل على سوء النية . وقد أمرت الحكومة بمصادرة
الكتاب وجمع ما بقي من نسخه ومنع نشرها فنقد ذلك

ذلك بأن مجلس النواب المصري كان قد ثار عليه به مثذثورة شؤمي وارتأى
وجوب عقابه ومنعه من التدريس وكان رئيسه لزعم الاكرس مدباشار غول يرى ذلك

ولكن تصدى لظاهرة الدكتور والدفاع عنه زعماء الحزب الدستوري الذي ينتمي اليه ، فلما اشتد سمد باشا عليه بلغ من انتصار عدلي باشا له أن بلغ سمد باشا أنه يستقيل من الوزارة اذا عوقب طه حسين - وكن عدلي رئيس الوزارة الائتلافية بعد الصلاح بينه وبين سمد باشا - فاضطر سمد باشا الى الانحاض والانعضاء - فكان هذا أغرب ضعف رأياء من سمد باشا ، وأغرب قوة وشدة عزيمته عرفناها من عدلي باشا .. ولماذا ؟ لأجل إبقاء طه حسين في الجامعة المصرية بنفث مسموم الاتحاد والزندقة فيها

بيد أن الدكتور طه حسين اضطر في أثناء هذه المحنة أن يصرح بقول ينجو به من عقاب الحكم عليه بتعمد الطعن على القرآن ومعاداة الاسلام فصرح في كتاب كتبه إلى رئيس الجامعة يقول فيه انه مسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولكن مثل هذا الاقرار لا يكفي في اثبات رجوعه عما كان قاله وفعله منافيا للاسلام فان أهل الكتاب يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله إجمالا وهو لم يأخذ طعنه في القرآن إلا عنهم ، وإنما كان يجب أن يقر بأنه يؤمن بأن القرآن كلام الله تعالى المنزل على محمد رسول الله وخاتم النبيين وان كل ما فيه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وان ما قاله منافيا أو معارضا لذلك فهو خطأ

ثم انه قد اضطر بعد هذا الى أن يحذف اصرح ما قيل انه تكذيب للقرآن ومناف للاسلام والايه ان من كتاب (في الشعر الجاهلي) ويزيد فيه بعض المباحث ويعيد طبعه مسميا إياه (في الادب الجاهلي) وهذا الكتاب الثاني هو الذي ألفه الاستاذ العمراوي كتابه في تقديمه ، واثبات ما فيه من الجهل ومنافاة الاسلام والتشكيك فيه ، ولكن طه حسين لا يبالي تقدا ولا تقضا ، ولا يرد على ناقد ولا ناقض ، لانه ان فعل هذا يظهر جهله للبرورين بعلمه من كلاميه وغيره ، وربما كان أكثرهم لا يقرءون كلام الذين يردون عليه ، وما هو بالذي يتحرى الحق وما يتفق الناس فيرجع عما يظهر له خطؤه فيه

أما مقدمة الامير شكيب الكتاب فلم يكتب في النقض الاجمالي لكتابه الدكتور طه حسين أو كتابه ذي الثوين أو الاسمين - لما احتيج الى غير هذا . وأما كتاب الاستاذ العمراوي نفسه فهو لم يقادر صغيرة ولا كبيرة فيه إلا أحصاها ،

وحكم عليها حكماً تحليلياً عادلاً ، ولعمر الحق إن طه حسين وكتبه الخلافة الافسادية لا يستحقان كل هذه العناية وإنما عني العلماء والادباء بالرد عليه لما رأوا من عناية بعض الوزراء والكبراء به وبما يكتبه وبدفاعهم عنه ، ولهذا زاد الامير شكيب على الاستاذ الفمراوي القاء ذنبه على وزارة المعارف ووضع ذنبها على برلمان البلاد وذنب البرلمان على الامة المصرية

إن دعاية الاتحاد التي ينفث مموها طه حسين في أرواح طلبة الجامعة وقد ذون أصولها في كتابه هذا مبنية على قاعدة التجديد بتجديد الادب — وإن مادته فيها كتب دعاة النصرانية وكتب بعض المستشرقين ولا سيما أعداء الاسلام منهم كالدكتور مرجيولث الانكليزي المشهور — وإن أسلوبه فيها — هو ذم كل قديم في الاسلام وكتبه وآدابه وأعتها والتشكيك في كل حق وحسن منها عبارات التهمك والاستهزاء ، وأما حجته فيها فهي أنها مقتضى النقد التحليلي الذي يزعمون أنه من وضع الافرنج وما هو من وضع الافرنج بل كان معروفا عند سلفنا علماء العرب وأدبائهم ، فمنه ما تراه في مقدمة حكيمنا ابن خلدون من نقده لكتب التاريخ ومنه ما كتبه كثير من العلماء والادباء في نقضهم للشعر وبعض كتب العلم كنقض شيخ الاسلام ابن تيمية لكتاب أساس التقديس للامام الرازي ونقض علم المنطق

وإذا قرأت كتاب النقد التحليلي للاستاذ الفمراوي فإنه يثبت لك أن الدكتور طه حسين لا يملك من هذا النقد الا خلافة اللفظ ، فيما سداه الدعوى ولحمته الجهل ، وحسبك اعماده فيه على الشك ، وإنما الشك دون الظن ، والظن دون العلم ، وقد بينا هذا في المنار من قبل

وفي كتاب الفمراوي من الحجج القيمة على جهله ما لا يمكن رده . وفيه من الفوائد العلمية والقول الحق في المسائل المبحوث فيها وفيها حولها ما لا يستغني عنه طلاب الأدب فتحت القراء على مطالعته والاستفادة منه

❦ كتاب البروق النجدية ، في اكتساح الظلمات الدجوية ❦

(مؤلفه الشيخ عبد الله بن علي النجدي القصيمي من طلاب العلم في الازهر وطبع في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٠ وصفحاته ٢٠٣ وثمان النسخة منه ٥ قروش)
أسرف الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي في الطعن على جماعة انوهابية فيما

ينشره من المقالات في مجلة الازهر المسماة بنور الاسلام ، كما أسرف في فتاويه التي تنشرها هذه المجلة ، فيما ادعاه من شرعية دعاء الموتى والامتثالة بهم في الشدائد ، وإيهام الجاهلين بأصول التوحيد أن الصالحين منهم يستجيبون لمن يدعوهم ويستغيث بهم فيفشيونهم ويقضون حوائجهم — فهو ينصر بهذه الفتاوى من أفسدت عليهم الخرافات الوثنية دينهم ودنياهم ، فهم يتكلمون على أصحاب القبور ويطلبون منهم ما لا يطلبه المؤمن الموحد إلا من الله عز وجل كما بيناه في الجزء العاشر من المجلد ٣١ وقد كان لعدم اطلاعه على كتب الوهابية في التوحيد وإبطال البدع والخرافات والرد على دعائها والدافعين عنها يظن انه لا يوجد فيهم علماء يقدرون على تفنيد شبهاته ، وإبطال خرافاته ، وكيف وهو على بلقب «أحد هيئة كبار علماء الازهر» حتى تصدى أحد طلاب العلم منهم بالازهر الرد عليه بهذا الكتاب ، فظهر ان اطلع عليه أن مؤلفه الطالب المبتدئ أعلم من الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي بمقائد الاسلام ومذاهب المسلمين وبالتفسير والحديث النبوي وبأقوال أئمة علماء السنة ، فلذلك كبر عليه وعلى الاستاذ الا كبر أمره ، وعاقبوا مؤلفه بحرمانه وحرمان زميل له من اخوانه النجديين بما سنذكره

بلننا أن الاستاذ الدجوي اكبر أمر هذا الكتاب فأنكر أن يكون هذا الطالب النجدي هو المؤلف له وقال لا بد أن يكون مؤلفه صاحب النار ، وهذا غريب من فضيلته فان صاحب النار أسلوباً في الكتابة غير أسلوب هذا الكتاب ولونا غير لونه ، وطعاً غير طعمه (وان اتفقا في المسألة) فاذا كان الاستاذ الدجوي لا يميز بين الالوان والاساليب الكلامية كالحسية أفلا يذوق طعمها ايضاً ؟ ومتى كان صاحب النار يعير قلمه لغيره ويكنم علمه ورأيه ؟ ولو اطلع على كتب علماء نجد في هذه المسائل لما امتكنر على طالب منهم مثل هذا الرد عليه

الكتاب مؤلف من مقدمة وأربعة أبواب ، أما المقدمة فقد افتتحت بقصيدة فخرية للمؤلف متقدمة في ذوقنا ، يليها تفسير كلمة الوسيلة وتقسيم التوسل إلى مشروع وهو أحد عشر نوعاً ، وممنوع غير مشروع وهو ما أثبتته الشيخ الدجوي وأمثاله وأما الابواب فالاول منها في إبطال ما ادعاه الشيخ الدجوي من أدلة القرآن

على التوسل بالمنوع وهو ست آيات ، والثاني في إبطال ما ادعاه من الادلة الحديثة وهي ١٤ - والثالث في محق أدلته العقلية - والرابع فيما احتج به من أقوال العلماء . وفي كل باب منها مسائل كثيرة أظهر فيها من أغلاط الشيخ الدجوي وجهه بأصول الشرع الاعتقادية والقهية وقلة اطلاعه على كتب السنة وعدم وقوفه على الصحيح وغيره ، ومن ضعفه في الاستدلال ، ما لم يكن يخطر لأحد من الازهريين على بال ، ولو أردنا إيراد الشواهد منه على ذلك لطال بنا المقال

ولما اطلع عليه الشيخ ضاق به ذرعاً ولجأ إلى رئيسه الاستاذ الأكبر ، لينتقم له من هذا الطالب النجدي المجاور في الازهر ، فيقال ان الشيخ لجأ أولاً إلى الحكومة كعادته وطلب منها مصادرة الكتاب ، فسأله صاحب الدولة رئيسها هل يوجد في الكتاب طعن في الدين بمنه القانون وبما قب عليه ؟ قال لا وإنما فيه تأييد مذهب الوهابية والانتصار له ، قال الوزير : ان له أن يدافع عن مذهبه ويؤيده كما تدافعون عن مذاهبكم وتؤيدونها فلجأ ثانياً إلى حل المؤلف على بيع الكتاب لهم بثمن بخس ، ووعد به بأن يعطى شهادة العالمية في أقرب وقت ، فلم يقبل لانه يطلب العلم لاجل الانتفاع والنفع به ابتغاء وجه الله تعالى لا لاجل الشهادة الرسمية

فلما أعيتته الحيلة فيه انتهى ثالثاً إلى سلطته الرسمية وهو لا يستل فيها عما يفعل فقطع أولاً ما كان له ولرفيق له من النجديين من رزق قليل ، وانتهى آخراً إلى قطع اسمه من سجل المجاورين وإخراجه من مأواه معهم . فاذا صح هذا كما يظهر فهو حجة ناهضة على عجز مشيخة الازهر وعجز مجلتها عن طالب علم وها بي مبتدىء . فهل يليق بهم بعد هذا أن يعودوا الى الطعن في الوهابية في مجلتهم وقد صارت هذه المجلة حجة عليهم لا لهم ؟

بيد أن الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي منفي هذه المجلة ومجادلها قد راعه تحدث بمض الازهرين وغيرهم في مسائل من رد هذا النجدي عليه تعد من اكبر الفضائح الهادمة لصيته السابق — فطفق يرد عليها في المجلة بأسلوبه المعروف وطريقته الجدلية في المغالطة ، منها الحديث الموضوع الذي يتخذه هذا الشيخ وأمثاله من القبوريين حجة على ما يسمونه التوسل بنوات الانبياء والصالحين وسؤال

الله تعالى بحقهم عليه وبأشخاصهم وهو ما رواه الحاكم في مستدركه عن عمر (رض) مرفوعاً انه « لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، قال الله يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال يا رب لأنك لما خلقتني بيديك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعلت انك لم تنصف الى اسمك إلا أحب الخلق اليك، فقال الله صدقت يا آدم، انه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك»

أصر الأستاذ الدجوي على القول بتصحيح هذا الحديث والتفصي من قول الحافظ الذهبي انه موضوع بالمغالطة والتأويل. وقد سألتني بعض مجاوري الازهر عن رأبي في رده فقرأته على تحاشي قراءة هذا المجلة لئلا أراني مضطراً الى ما لأحبه من الرد على ما أنكره فيها، فبينت للسائل خطأ فيه اجمالاً وانني أذكره هنا استطراداً.

تصحيح الدجوي لحديث آدم الموضوع

زعم الأستاذ الدجوي أولاً ان الحاكم صحيح هذا الحديث وان الحافظ الذهبي أقره على تصحيحه. والحق ان الحافظ الذهبي تعقبه في تصحيحه وصرح بأنه موضوع. وقد بالغ المؤلف النجدي في التشنيع على الدجوي بهذا الجمل الجريء والافتك الصريح، فظن الدجوي بعد التأمل والتفكر في المسألة عدة أشهر إلى جواب عنه نشره في مجلة «نور الاسلام» مظهر مكارفه وعلومه بعد الازهر. وهو أن الذهبي كتاباً جمع فيه الاحاديث الموضوعة التي في مستدرك الحاكم. وهو غير متداول. ولم يذكر هذا الحديث فيها، فقدم ذكره له دليل على انه رجع عنه من الموضوعات الذي صرح به في كتابه «تلخيص المستدرك» أنه مدسوس عليه، ثم حاول تصحيح الحديث أو تقويته بتحقيقات أزهرية طويلة بدأها بقوله:

[على اننا نقول ان الذي قاله الذهبي في تلخيص المستدرك بعد قول الحاكم إنه صحيح هكذا «بل موضوع وعبد الرحمن بن زيد واه ولم يزد على ذلك» ونقول ان هذا مدسوس على الذهبي من بعض تلك الطائفة ويمد جداً أن يكون من كلامه، وكثيراً ما رأينا ذلك وثبتنا منه، وربما جرت اليه المناسبة في الاعداد الآتية. فان ذلك لو كان من الذهبي لقال: فيه فلان الكذاب أو الوضاع، ولا يكني في

الحكم عليه بالوضع أن يقول أن عبد الرحمن واه ثم يسكت بل كان يقول على الأقل :
واه جداً . وكيف يقول أنه موضوع وقد رواه البيهقي في كتاب دلائل النبوة
الذي قال فيه الذهبي نفسه : إن هذا الكتاب كله هدى ونور [

ثم ذكر أن القاضي هياض رواه في الشفاء وأن منده فيه صحيح وأن مناظرة
مالك لأبي جعفر المنصور تدل على تصحيحه له وأطال في محاولة توثيق عبد الرحمن
ابن زيد بن أسلم بطريقته البجدلية الأزهرية التي لا تروج بضاعتها إلا على أمثال
تلاميذه من مجاورى الأزهر الذين تربوا على أن يقبلوا من مشايخهم كل ما يقولون ،
وأن يهانوا إذا عارضوهم في شيء مما يقررون .

واقول إن هذا الاستطراد لا يتسع لتفنيد كل ما في هذا الرد من الخطأ والكني
اذكر للقارىء نموذجاً موجزاً منه يعلم قدر الدجوي في أمانة النقل وفي الفهم
(١) قال الدجوي إن الذهبي لم يزد في التلخيص على قوله « بل هو موضوع
وعبد الرحمن بن زيد واه » واقول بل زاد على ذلك أن قال بعده : رواه عبد الله
ابن مسلم الفهرى ولا أدري من ذا ؟ عن اسماعيل بن مسلمة عنه اه أي عن
عبد الرحمن . فقوله ولا أدري من ذا ، سببه الاشتباه بينه وبين عبد الله بن مسلم
ابن رشيد الذي ذكر الحافظ ابن حجر في لسان الميزان عن الذهبي قول ابن حبان
فيه « منهم بوضع الحديث » ثم ذكر بعده الفهرى هذا وقال نقلاً عن الميزان روى عن
اسماعيل بن مسلمة بن قنوب ، عن عبد الرحمن بن أسلم خبراً باطلاً فيه : يا آدم لولا
محمد ما خلقتك ، رواه البيهقي في دلائل النبوة . ثم قال ابن حجر قلت ولا استبعد
أن يكون هو الذي قبله فإنه من طبقة اه فالحافظ ابن حجر يقول في عبد الله بن مسلم
راوى الحديث أنه من طبقة عبد الله بن مسلم بن رشيد يعني أنه يضع الحديث أو هو هو
ولكن الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي لا يعرف اصطلاح المحدثين في حكمهم
على الأحاديث واكتفاهم أحياناً بالاستدلال على المعلول منها بذكر علته من رجال
السند المبروحين من غير وصف الواحد منهم بالوضع أو الكذاب كما ذكره .
(٢) زعمه أنه لا يعقل حكم الذهبي على الحديث بالوضع وهو يعلم أن البيهقي
رواه في الدلائل التي مدحها - مردود بما ذكره في ميزان الاعتدال من حكمه بطلان

هذا الحديث مع عزوه الى كتاب الدلائل للبيهقي، وقد واقته الحافظ ابن حجر في ذلك . فالمسألة مسألة نقل مدون لا مسألة نظريات عقلية واحتمالات أزهريّة

(٣) ذكر الدجوي أهون ما قال أهل الجرح والتعديل في جرح عبد الرحمن بن زيد واحتج به على أن حديثه غير موضوع وأنه قد يكون صحيحاً إذ قال : معلوم أن الذي يطلب عليه الوم قد يصح حديثه الخ

وأقول في تنفيذ قوله هذا : أن عبد الرحمن ليست علة ضعفه غلبة الوم عليه كما زعم ، بل أهون ما قالوا فيه أنه واه وضعيف جداً وأنه لا يعقل ما يروي وكان الشافعي يهزأ بخرافاته عن أبيه ويحملها مضرب المثل في الكذب ، والحاكم نفسه قال فيه أنه روى عن أبيه أحاديث موضوعة . فليراجع ص ١٧٨ و ١٧٩ من تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (الجزء السادس) فتصحيحه بعد هذا الحديث له رواه عنه الفهرري الذي هو شر منه من عجائب أغلاطه في المستدرک وان كان لم يفرغ لتلقيحه

(٤) أن القاضي عياض قد ذكر حديث آدم هذا في الفصل الأول من الجزء الأول من الشفاء حكاية عن أبي محمد السكي وأبي الليث السمرقندي وهما من الذين يكثرون من حكاية الموضوعات ولم يروه عن أحد من أهل الحديث ولا عزاه إلى كتبهم

(٥) أن مارواه القاضي عياض من مناخرة أبي جعفر المنصور لماك المشتعل على قول مالك له مستدلاً على استقبال الرسول ﷺ في الداء دون القبلة : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أهلك آدم؟ - ليس نصاً صريحاً من مالك بصحة حديث عمر المذكور إذا فرضنا أن هذا قول ثابت عن مالك وما هو بثابت بل هو مخالف لمذهبه المعروف ولمذاهب سائر الأئمة

(٦) أن زعمه أن سند القاضي عياض إليه صحيح لا مطعن فيه، زعم باطل لا ريب في بطلانه فانه سند منقطع وينتهي إلى ابن حميد الرازي وقد ضعفه بعضهم واثبت آخرون كذبه وكان بعضهم يعمده مقبولا في بعض مروياته قبل أن يثبت عندهم كذبه ومنهم لا مام أحد فقد نقل عنه ابنه صالح أنه استأذن عليه مرة أبو زرعة ومحمد بن مسلم بن وارة فتحدثا عنده ساعة ثم قال له الثاني يا أبا عبد الله رأيت محمد بن حميد؟ قال نعم، قال كيف رأيت حديثه؟ قال إذا حدث عن العراقيين يأتي بأشياء مستقيمة وإذا

حدث من اهل بلده يأتي بأشياء لا تعرف، لا يدري ما هي. قال فقال أبو زرعة وابن وارة صح صدنا انه يكذب. قال صالح فرأيت ابي بعد هذا اذا ذكر ابن حميد نقض يده .
(٧) استدلال الدجوي بعدم ذكر حديث عمر هذا فيما جمعه الذهبي من موضوعات المستدرک على انه غير موضوع . موافق لقاعدة له باطلة يجري عليها في الجدل والاستدلال على شرعية كثير من البدع التي لم يرد أو لم يطلع هو على ما ورد في عدم شرعيتها أو لم يفهمه، ككون المولى يقضون حاجات الذين يدعونهم ويستغيثون بهم . وقد عقد الطالب النجدي لهذه الجبهة فصلا في كتابه رأيت في فهرس الكتاب ولم أقرأ منه شيئا . ولولا اغترار بعض العوام والمجاورين بكلام هذا الرجل وبمجة نور الاسلام لما كان هذا مما يحتاج الى الرد فان القاعدة المعروفة التي لا خلاف فيها بين العلماء هي ان شرعية الاحكام لا تثبت الا بالدليل، وعدم شرعيتها هو الاصل فلا يطالب مدعيه بالدليل . وقد قل بعض أشياخ الازهر مرة في هذه المسألة أو مثلها: أين الدليل على منعها وكونها بدعة ؟ وكان ذلك في حضرة الشيخ أبي الفضل الجيزاوي شيخ الازهر رحمه الله - فانهوه أبو الفضل وقال له : هذا جهل ، إنما يطالب بالدليل من يدعي ان هذا الامر مشروع لا من يقول انه غير مشروع . ومن فروع قاعدته السلبية استدلاله على صحة الحديث المذكور بعدم تنقب صاحب المواهب ومحشيتها له على أنها لو صرحا بصحته لما كان لتصرفيها قيمة بعد العلم بوضعها

وهنا يقال للشيخ الدجوي (أولا) لانسلم ان الحافظ الذهبي لم يذكر هذا الحديث فيما جمعه من موضوعات المستدرک لانه ليس في الايدي نسخة منها (ثانياً) اذا وجدت نسخة مخطوطة لاتعد من الاصول المعتمدة في اصطلاح المحدثين فلا يصح الاحتجاج بها مع وجود المعارض لها ، لاحتمال وقوع التحريف والزيادة والنقص من النسخ فيها

(ثالثاً) لو وجدت نسخة معتمدة لم يذكر فيها هذا الحديث لما صح ان تعد دليلاً على رجوع الذهبي عما قاله في تلخيص المستدرک لاحتمال تركه سهواً فالعمدة ما صرح به لا ما سكت عنه

(رابعا) إذا فرضنا أنه صرح في هذه الرسالة بأن هذا الحديث غير موضوع فلا يصح ترجيح ما أثبتته فيها على ما أثبتته في تلخيص المستدرک الا اذا علم انه جمها بعد كتابة التلخيص المذكور وفاقا لما اشترطه علماء الاصول في النسخ

(خامسا) اذا فرضنا أنه صرح في هذه النسخة بان الحديث غير موضوع فتصريحه هذا يصدق بكونه واهياً منكرًا لا يصح الاستدلال ولا العمل به حتى في فضائل الاعمال التي لها أصل مشروع لان من قال من العلماء ان الحديث الضعيف يعمل به في مثل ذلك اشترطوا أن لا يكون واهياً او شديد الضعف فضلا عن القول بتصحيحه هذا وان الكلام قد طال في هذا الاستطراد للرد على ما رأيت للاستاذ المدجوي في مجلة نور الاسلام من المناططات في محاولة تصحيح هذا الحديث والتبجح بتجهيل المؤلف جزاء على تجهيله إياه في تصحيحه مم الاستكبار عن ذكر اسمه واسم كتابه خوفا من زيادة اشتهاره ، فنكتفي بما ذكرنا

باب وفيات الاعيان

﴿ تمة ترجمة السيد محمد بن عقيل ﴾

(٢)

كنت اود لو أتيج لي كتابة ترجمة لصديقي السيد محمد بن عقيل (رح) في وقت فراغ يسهل علي فيه ان أراجع مكتوباته الكثيرة المحفوظة عندي وما نشرته في المنار من المسائل الاصلاحية التي اختلف فيها رأينا واعتقادنا ، ولكني لا أملك من هذا الفراغ كثيرا ولا قليلا . لهذا أقصر على مسألة واحدة هي أمها وأهملها

اقتراحي على العلويين وشيعتهم

انا أعتقد ان شر مامني به الاسلام هو الخلاف والشقاق ، وان اضر انواعه ما كان بين اهل السنة والشيعة ، فلقد كان كل ضر دون ضره ، وكل شر اهن من شره ، ولا أستثنى ردة المرتدين ولا قتال الكافرين ، ولا ظلم المستبدين ، واعتقد

ايضا ان الغلو في ائمتنا آل البيت العلوي النبوي عليهم السلام كان أضر عليهم من كل ما أصيبوا به من البلاء والمحن ، بل كان هو سبب أكثرها . إنما أمتني عداء بني أمية لهم فهو عداء موروث من عهد الجاهلية أذكي ناره في قلوبهم بعد الاسلام حب الرياسة وعظمة الملك ، ولذات الدنيا ، واعتقادهم أن أولئك الائمة أولى وأحق بالامامة منهم ، وان الامة لو تركت وشأنها فاتها تفضلهم عليهم واعتقد أن شر ذلك الضرر على أكثر سلاسل أولئك الائمة الهادين المهديين هو ما حدث في أنفسهم من اعتقاد أن شرف النسب أعلى من شرف العلم والعمل لا عزاز الملة ، و مصالح الامة ، وأنه يفتي عنه فيما تحبه الطبائع من كرامة الجاه ونعمة المال ، فأعرض الأكثرون منهم عن الجهد والاجتهاد في تحصيل العلوم والفنون ، والجهد في سبيل مصالح الامة العامة ، اكتفاء بشرف النسب الذي يجذب الرؤساء والحكام إلى تقبيل أيديهم ، والافتياء إلى بذل كثير من المال لهم ، فنصار جميع الدين فتنوا بهذا المظهر منهم طاعة على الناس ، ولقد حرم الشرع عليهم الصدقات تكريما لهم فأخلوها لأنفسهم بهذه الفتنة ، وتوهمهم أن تقبيل المتصدقين عليهم لأيديهم ، ينالون تلك الصدقة من أوصاخهم التي كرمهم الشرع بمنهم منها حدثني صادق باشا أحد شرفاء مكة المشهورين قال إنني أردت أن أعلم أولادي في مدارس الدولة في الآستانة فبلغني رئيس كتاب السلطان عبد الحميد أن جلالة السلطان لا يرضيه ذلك لأنه لا يليق ببناء الرسول ﷺ أن يزاحموا سائر طبقات الناس في المدارس توسل بها إلى الدنيا ، وإن أكبر رجال الدنيا يقبلون اناملهم تبركا بهم وتقربا اليهم . فاحضرت لهم معلما يلقنهم الدروس في داري فبلغني (الباشا كاتب) كراهة السلطان لذلك ومنعني منه . والسبب الباطن لهذا المنع أن السلطان كان يكره أن يوجد في أبناء هذه الاسرة المشهورة في الاشراف علماء يعرفون أصول الشرع وطبائع الامم وسنن الاجتماع ، لئلا تسمو همهم بالعلم إلى قيادة الامة التي تمكنهم من ناصية الملك فلما رأيت ما يبته السيد محمد بن عقيل وشيخه السيد أبو بكر بن شهاب (عفا الله عنهما) من تجديد الغلو في اطراء العلويين والاحتجاج لهم في استعلائهم على الناس بأنسابهم ، حتى بما يجدد التفريق بين المسلمين وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم

من الطعن في بعض الصحابة وأئمة السنة - اعتقدت أن هذه الدعاية ستأتي بضد ما يرومه دعايتها منها في هذا العصر الذي تغلغلت في شعوبه وأقوامه كلها نزعة المساواة التي يعبرون عنها في عرف هذا العصر بكلمة (الديمقراطية) وأنها مستهيج عليهم الناس وتحملهم على بغضهم والطعن فيهم وفي أنسابهم (وكان الأمر كذلك كما تقدم) ففكرت في تلافي هذا الشر قبل تفاقمه وتوجيه عصبية النسب إلى عمل لا يمكن إعلاء شأن أهل البيت النبوي وحمل المسلمين كافة على الاعتراف بفضلهم وشرفهم في هذا العصر بغيره فاهتديت لما أذكره هنا بمعنى ما كتبتة يومئذ لعدم تمكني من مراجعته وربما كان هنا أوضح من ذاك

اقترحت عليه السمي لانشاء مدرسة جامعة خاصة بآل البيت يتخرج فيها الاختصاصيون النابغون في جميع العلوم الدينية والدنيوية والفنون التي عليها مدار العمران في هذا العصر، فيكون منهم الذين ينفردون بعلوم القرآن ويكونون المرجع للأمة في تفسيره وبيان إعجازه وصراط هدايته المستقيم، وما أودع فيه من الحكمة وإصلاح للبشر، ودفع الشبهات التي تحوم حوله، وسائر ما يعرض للناس في هذا العصر من ذلك ويكون منهم حفاظ الحديث وعلماء روايته ودرايته وتحرير كل ما يحتاج الباحثون إلى تحقيقه فيه من جرح وتعديل واستنباط لما قصر فيه المتقدمون من حكمه وأحكامه وسياسته وسائر ما يحتاج إليه أهل هذا العصر من هدايته

ويكون منهم أئمة الفقه وأصول التشريع القادرون على بيان ما في الشريعة السمحة من أصول الإصلاح للبشر الذي تفضل به جميع القوانين الوضعية - وأساتذة علوم اللغة العربية وآدابها الناهضون بترقية التعليم والتصنيف فيها على المناهج التي ارتقت بها لغات الأمم الحية والمتقنون لجميع اللغات الراقية

ويكون منهم الأطباء في كل فرع من فروع الطب والمهندسون البارعون في كل نوع من أنواع الهندسة والفلكيون وعلماء الاقتصاد السياسي والماليون

وتقول بالاختصار يجب أن يتخرج منهم في هذه الجامعة كل صنف من العلماء والعاملين الذين تحتاج إليهم الأمة الإسلامية فيما يجب أن تتوجه إليه في نهضتها التي تحيي بها مجد الإسلام وسيادته وإصلاح البشر ليتولوا ترقية التربية والتعليم والإرشاد

والتهذيب في المدارس وتآليف الجمعيات الدينية ، والعلمية والخيرية ، والاحزاب الاجتماعية والسياسية والشركات المالية وغير ذلك ، وحينئذ تعلم الامة أن صلائل آل بيت نبينا هم سادتها وأئمتها وصفينة نجاتها مما سقطت فيه من الذل والجهل والتفرق والتمزق ويتوقف هذا المشروع على وضع نظام لجمع المال الكثير له من جميع أقطار الأرض بطريقة مأمونة موثوق بها يقتنع كل من وقف عليها بأن ما يدفعه سيصرف في الغرض الذي جبي لأجله ، وعند المشروع في جباية المال يعلم المحبون الصادقون لآل البيت ، ويعلم المناقرون والمقلدون الذين ينحصر حبهم لهم في مآثم عاشوراء ، وتقل رعم الموتى إلى النجف والكاظمية وكر بلاء ، وما إلى ذلك من البدع التي سيقضي عليها زوح هذا الزمان بسرعة عجيبة

قد انتشر اقتراحي هذا واشتهر حتى إن بعض المخلصين من شيعة العراق طبعوه في رسالة صغيرة نشروها في الناس ، ولكن السيد محمد بن عقيل الذي كان أول من خوطب به وعرف قيمته لم نسم به همته إلى السعي لتنفيذه ولا سعى غيره من العلويين ولا من الشيعة لذلك

بيد أن الملك فيصل أنشأ في بغداد مدرسة باسم (جامعة آل البيت) لم يتبع لها من رجال العلم وأئمة الإصلاح من يعطيها حقها فتضي عليها في مهادها وأختم هذا البحث هنا بكلمة نصح اخص بها اخواني مؤسسي جمعية الرابطة العلوية في جزائر الهند الشرقية وغيرها « والرائد لا يكذب أهله » وان اتخذني الجاهلون منهم خصما لم وهي : تساهلوا ما استطعتم في الصلح بينكم وبين الارشاديين ، واعلموا أن التواضع خير لكم من التكبر ، وان تفضيل الناس لكم بشرف النسب لن يكون في هذا الزمان الا بوسيلتين أقربهما وأسهلها مكارم الاخلاق وعمل البر ، وأبعدها النبوغ في العلوم والاعمال الاصلاحية العامة التي اقترحتها عليكم من قبل ، واعتبروا بالدولة البريطانية (الارستقراطية) التي صار رئيس وزارتها من حزب العمال ، واعلموا أن تكريمكم لتسبكم ، رهين بحفظكم لحرمة بأديكم ، ولا تنسوا قاعدة الشرع في الغنم والغرم ، فمن يؤتى أجره مرتين ، يضاعف له المذاب ضعفين . وسأفصل هذا في مقال مستقل ان شاء الله (للترجمة بقية)

﴿ الشيخ مصطفى نجما مفتي بيروت ﴾

في العشر الاخير من رمضان هذا العام قضى نحبه واقي ربه صديقنا الاستاذ الكبير،
 العلم الشهير، الشيخ مصطفى نجما مفتي بيروت ورئيس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية،
 فخرت بوفاته الامة الاسلامية والبلاد السورية رجلا من أفضل رجال عصره علما
 وفضلا وديانة وصيانة ووطنية وإخلاصا ودقاقا عن الدين وقدوة صالحة في التقوى
 والعمل الصالح النافع للأمة والوطن، في مصالح الدين والدنيا. بغيرة وشدة لاهوادة
 فيها ولا مداراة، وأخذ بالمزامم لا ينجح فيه الى رخصة إلا ما صرح به الفقهاء، بيد أنه كان
 على تقليده للمقهاء في العمل والفتوى لم يبط به الجود الى غمط حق أولي الاستقلال في
 العلم والفهم، الداعين الى هداية الكتاب والسنة، اذ ارآهم من المتصمين بحبل الله والاسوة
 الحسنة برسول الله ﷺ لا من الجاهلين الأذعياء الذين يتبعون أهواءهم، ويشخذون.
 دعوى اتباع الدليل ذريعة لمخالفة علماء المذاهب وتجربة العوام على المعاصي
 كان من قراء المنار منذ انشائه الراضين عنه وعن منشئه بل المهين المشين،
 وقد نشرنا له فيه ما قرظ به تفسيرنا وكتابنا الوجيز (خلاصة السيرة المحمدية) ولم ينكر
 علينا يوما شيئا مما قررناه أو أفقينا به مخالفا لما يراه تقليداً لفقهاء مذهب الشافعية الذي
 يعتمد عليه في عبادته، أو مذهب الحنفية الذي كان يفتي به بحكم وظيفته، وكنت من
 جهتي أعذره في تشديده التقليدي فيما يقوم الدليل من الكتاب والسنة أو قواعد
 الاصول على الرخصة أو السعة فيه، وأرى أن من مصلحة الشعب أن يوجد فيه مثلي في
 الورع والتقوى والنفور من اللهو واللعب ولو مباحا تجاه ما يوجد فيه من الفساق
 والميالين الى الاباحة المطلقة ومن القدوة السوءى في بعض الذين يعدون من علماء
 الدين، وأرى أن الاعتدال في الارشاد بوضع كل من العزائم والرخص في مواضعها
 لا يظهر أنه اعتدال بين طرفين الا إذا وجد من يقفون في كل طرف منهما موقفاً ظاهراً
 أجدر بي أن يحزنني موت صديقي الشيخ مصطفى نجما، وإني لأراني أحق بأن
 أعزي عنه من أن أعزي. وكنت أرجو أن يكتب الي بعض آله أو تلاميذه ترجمة
 له أنشرها مع تآيينه وورثاته فخاب الرجاء الى الآن، وعمى أن تكون هذه الكلمة
 باعثة لأحد منهم على كتابة ما يدونه المنار من تاريخه النافع (رحمه الله تعالى)

عبد الحميد بك الرافعي

في اليوم السابع عشر من شهرنا هذا اهتزت أسلاك البرق وخفت بنمي حديقنا الكريم ، وولينا الحميم ، عبد الحميد بك الرافعي رحمه الله تعالى . وفي مثل هذا الشهر من سنة ١٣٤٨ احتفل في طرابلس بالعيد الذهبي لهذا النابغة السوري العربي ، (وقد بينا مناقبه ووصفنا أدبه في المنار يومئذ) فلم يكن بين الاحتفال بعيد مجده ، والاحتفال بتجهيزه لعيد لقائه به إلا سنتان فقط ، فسبحان الذي يحيي ويميت واليه المصير ، ولقد كان طازيا على زيارة مصر في هذا الربيع فسررنا جده السرور بخبر عزمه ، وميننا النفس بعودة ما كان لنا في سن الشباب من التمتع بأدبه ، ولم نلبث أن حزنا أشد الحزن لما حال دون إنجاز وعده ، فنسأل الله تعالى ان يجمعنا به في دار كرامته ليس المقام الآن مقام التأبين والثناء ، بل مقام الصلاة والدعاء ، والصبرة والموعظة ، والشهادة الحسنة بما نرجو به لتقيدنا الرحمة والمغفرة ، فلقد كان أحسن الله ما به ، وأجزل ثوابه ، من أحسن الناس أخلاقا وقد قال رسول الله ﷺ « ان خياركم أحسنكم أخلاقا » رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو . وقال « ان من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا » رواه الترمذي وحسنه الحاكم وصححه . وكان رحمه الله من أوصل الناس للرحم وأبرهم بالوالدين والاخوة والاهل ، فهو المرئي لغير واحد من اخوته ، ولا يزال في كنفه كثير من أولادهم ، وقد قال ﷺ « الرحم شجرة من الرحمن فقال الله : من وصلك وصلته ، ومن قطعك قطعته » رواه البخاري من حديث أبي هريرة وعائشة ، وقال ﷺ « من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه » متفق عليه من حديث أنس ورواه البخاري من حديث أبي هريرة

إن أدب عبد الحميد لا ينسى ، وإن شعره الخالد لا يبلى ، وإن ذكراه بنجابة تجليه لأدوم وأبقى ، فهما المثل الحي لأدابه وفضائله ، والمزاء للوطن عن شخصه ، وإن سميرا لشاعر عصري وكاتب مجيد ، ووطني صادق ، فلا زال هذا البيت الكريم مفخرا للعرب ، في العلم والأدب ، والفضل والحسب . آمين



قال عليه الصلاة والسلام . ان لا يدرككم حتى . ومنا . كذا الطريق

المهرم سنة ١٣٥١ ق برج الجوزاء سنة ١٣١١ هـ من مايو سنة ١٩٣٢ م

نهضة جديدة لاهياء لغة الاسلام العربية في البلاد الهندية

اعل صاحب هذه المجلة (المنار) أول من فطن في هذا القرن لما غفل عنه المسلمون منذ بضعة قرون من كون الاسلام قد جعل اللغة العربية لغة لجميع المسلمين بالتبع. لديهم الذي هو كتاب الله المنزل بلسان عربي مبين، وسنة رسوله العربي الكريم، وان هذا أمر مجمع عليه بين المسلمين وجري الخلفاء الراشدون والاميون والعباسيون على تنفيذه في جميع الشعوب غير العربية الى أن قوي الاعاجم وصار لهم دول تنحصب للغاتها وترجمها على لغة دينها بجهل ملوكها وحكامها بحقيقة الاسلام وبنائه على أساس الوحدة الدينية والاجتماعية والسياسية التي تحقق إخوة الاسلام وكون أهله أمة واحدة لا يفرق بينهم جنس ولا وطن ولا لغة

دعونا المسلمين إلى احياء لغة دينهم منذ عشرات السنين وكان أكبر أملنا في إجابة هذه الدعوة من قبل الشعوب الاعجمية الشعب الهندي لان تمسكه بلغته الاوردية ليس مقترنا بعصية دولية كعصية الفرس والترك بل بعصيته الاسلامية أقوى من كل عصية، وانما كان جعله التعليم العام بلغته الوطنية وجعله العربية لغة علماء الدين فقط لاسباب عارضة لا محل هنا لبسطها، وطالما كتبت العلماء والزعماء منهم الذين كنت ألقاهم بمصر في وجوب احياء اللغة العربية في بلادهم فيعترفون بالوجوب ويعتدرون بالعجز عن أداء هذا الواجب

ولما زرت الهند في سنة ١٣٣٠ إجابة لدعوة جمعية ندوة العلماء لرياسة مؤتمرها العام كتبت كثيراً منهم في هذا الواجب ونوهت به في بعض الخطب العامة التي ألقيتها في معاهد العلم ولا سيما مدرسة ديوبند العلماء فرأيت منهم قبولاً وارتياحاً

وأبشر العالم الاسلامي اليوم بأنه قد وصل اليها قبل اتمام تحرير هذا الجزء من المنار (الذي تأخر صدوره عن وقته ليصدر مع الذي بعده) مجلة عربية أنشئت في لاهور مركز ندوة العلماء باسم (الضياء) لأجل هذا الغرض وجعلت تحت اشراف صديقينا الاستاذين الجليلين العلامة السيد سليمان البدوي والعلامة الشيخ تقي الدين الهلالي المغربي - فاننا نمجل بنشر فاتحتها لأول في هذا الجزء وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم طلوع الضياء

(١) بقلم العلامة الجليل الأستاذ السيد سليمان الندوي رئيس دار المصنفين

باسمك اللهم نفتتح وبك نستعين ، فنعم الفاتح أنت ونعم المعين ، فاشرح لنا
ربنا صدورنا ، ويسر لنا أمورنا (واهدنا) سبيل الرشاد ، وأهضنا طريق
السداد ، واحلل عقدة من لساننا ليفقهوا قولنا ، ونصلي ونسلم على النبي العربي
الأمين ، الذي انزل عليه الكتاب بلسان عربي مبين

(وبعد) فللاسلام مزايا تفوت الاحصاء دررها ، وتستغنى عن الانباء
غورها ، إحداها انه دين وحدة الشعوب والامم ، ودين مؤاخاة البشر ، والنصيحة
لعامة الصالحين - ومن الوسائل التي اتخذها لتحقيق بؤيته هذه أن جعل للمؤمنين
بقرآنه ، والخاضعين لسلطانه ، على اختلاف ألسنتهم وبلدانهم ، وجنسياتهم
وألوانهم ، لغة خاصة وهي لغة كتابه المنزل من السماء ، يتفاهمون بها معاني القلوب ،
ويتعارفون بها (١) هو اجس الافكار ، ويخطب بعضهم بها مودة بعض ، فهي
على قلب من الاحوال ، لغة عصبة الامم الاسلامية منذ قرون وأجيال

قد رأى الآن رجال من نصارى الافرنج في حلهم أن يدعوا امهم الى
الوحدة الانسانية ، والمودة البشرية ، فأحدثوا لغة واحدة يسهل عليهم أخذها ،
يتحدثوا (٢) بها الاقوام ، وينادوا (٣) بها الى الالتحام ، ولكن أولى النهى ممن يرون
العواقب رأى العين يفتنون أن لا بقاء للغة إلا اذا كانت لها دعاوى من الدين
والسياسة يتعصب لها ذووها ، ويسعى لها بنوها ، وان الاسلام قد قضى وطره
منها منذ خاق ، فجعل لأئمة المنتشرة في أكنان الارض مشارقها ومغاربها لغة
تعم أطرافها ، وتضم أشنتها ، وهي لغة نبيها المصطفى ، ودينها المرتضى ، وكتابها
المتقى ، وهي لغة علومهم ، وآدابهم وحضارتهم ، ولها أهل يحمون حوضها

(١) المنار : تعارف الناس عرف بعضهم بعضا وهو لازم كما في التنزيل

ويذبون عن حماها ، فهي تبقى معهم مها بقوا ، وترحل معهم أينما رحلوا ، وتحمل معهم بأي أرض حلوا ، وهي تجمع بين دفتيها دفاتر أربعة عشر قرناً ، فيها الدين والشرع ، والرواية والاثار ، والتاريخ والخبر ، والشعر والادب ، والجد واللعب ، تلم بين طرفيها شعث ما تركه سلفهم ، وكسبه خلفهم ، وما جادت به طبائعهم ، وفاضت به ينابيعهم (١) وفاقت به مجامعهم ، وزرعتهم أفهامهم ، وحصدته أقدامهم ، وما أبدعوا من أنواع الطرف ، وما أودعوا من أوراق الصحف ، فلغتهم هذه كنز خير لهم لا يفتي ، وثوب فخر لهم لا يبلى

لا تسكاد نجد قرية احتلها المسلمون من بلاد الأرض إلا وفيها رجال ينطقون بالضاد ويتقنون بالقرآن ، ويفهمون لغة قريش ، ويتدارسون آداب العرب ، وإن كانت في لسانهم عقدة ، وفي بيانهم عجمة ، هذه بلادنا الهند فيها نحو (من) ثمانين مليوناً من المسلمين ، وفيها نحو (من) مليون من يفهم لغة القرآن ويعرفها ، وإن لم تكن لهم قدرة على التكلم بها ، وتقدر مدارسهم العربية بألف من صغارها وكبارها ، وطلبة العربية فيها نحو (من) مائة ألف أوبزيدون ، فإن صقماً واحداً من أصقاع الهند يعرف ببلاد بنغال يضم بين جناحيه ستين ألفاً من طلبة العلوم العربية وتلامذتها ، ونجد في مدينة واحدة وهي دلهي عاصمة الهند نحو مائة مدرسة عربية بين صغيرة وكبيرة أتراها مدرسة جامع فتحبوري ، وأمرها المدرسة الامينية ، وتلقى في مدرسة واحدة وهي المدرسة العالية في ديوبند أكثر من خمسمائة طالب تدر على أكثرهم المدرسة رواتب شهرية تعفي بما كلهم وملابسهم ، ودع عنك دار علومنا التي قامت بتأسيسها ندوة العلماء بلكنؤ فهي أحدثها عمراً ، ولكل منها من المزايا ما لا يخفى على ذي عينين

وعلى ذلك ما يؤلنا ذكره ، ويشو كنا نشره ، ان هؤلاء الجم الغفير ، والعدد الوفير ، أكثرهم بكم عن التكلم (٢) باللغة العربية ، ولهم عي عن الكتابة البديعة السلسلة المنسجمة ، فضلاعن الخطابة فيها من تجلين ، وليست كتابتهم إلا في أمور طفيفة من الحق ، أو أبحاث سمجة في المنطق ، سمجها الآذان ، ولا تسمن ولا تعفي من جوع العلم ، وتنبو طباعهم عما تنشره الصحف والمجلات الاردية ، فلا يقرؤنها فيستفيدوا

فيحرمون من حظ وافر من العلم الذي يتزايد أمره كل يوم ، وينمو شأنه كل صباح ومساء ، وزادك (٤) أسفا لورأيت مناهج دروسهم العقيمة ، وما فيها من الكتب السقيمة ، ذات الاساليب الرميمة

وأول من تنبه لسد هذا الخلل ، وملافة هذا الخطأ ، دارالعلوم التي أسستها ندوة العلماء بلكناؤ، فافرغت جهدها في تعليم اللغة العربية قديمها وحديثها كتابة وخطابة ، وزادت في قائمة دروسها كتب الادباء المجيدين ، من السلف الكرام المجيدين ، الذين كتبهم ينبوع الأدب ، ومادة لفسة العرب ، مثل مصنفات ابن قتيبة الدينوري ، وعبد القاهر الجرجاني ، وقدامة بن جعفر البندادي ، وأبي الهلال العسكري ، وجاحظ البصري ، واستبدلت دواوين قدماء الشعراء بما تكلفته خواطر المحدثين المتأخرين بعد القرن الرابع

ثم وضعت بعض كتب ابتدائية لدرس المبتدئين وألفت معجما جديداً يضمن شرح الكلمات الدخيلة والمعرفة التي لا غنى عنها في فهم الجرائد والمجلات العربية ، وعينت معلماً خاصاً لتعليم اللغة الحديثة فيها

وآثرت لتعليم الآداب العربية رجالاً معروفين من العرب أنفسهم لكون اللغة لهم طبعاً وذوقاً ، ولنا تكلفنا وتعمقنا ، فأسندت أولاً رئاسة أساتذة اللغة العربية الى الاستاذ العلامة الشيخ محمد طيب المهدي ، ثم الى الاستاذ الفاضل الكامل الشيخ محمد بن حسين الخورجي الباني رحمهما الله تعالى ، وأخيراً يملأ هذا الفراغ فيها صديقنا الاستاذ الكبير الشيخ تقي الدين الهلالي المغربي

وقد كان لمساهما دوي في سائر أندية المدارس العربية ، وأخذت تبذل ما في وسعها من الجهد في مباراتها ، والحق أحق أن يقال ، إنه بعد ما تملك صديقتنا العزيزة ، ورفيقنا في طلب العلم ، ورفيقنا في تلقي الدروس ، وشريكنا في الشيوخ وأوتانا في الجمع بين علوم الشرق والغرب ، الشيخ ضياء الحسن العلوي الندوي. (م ، ع) زمام تفتيش المدارس العربية ورئاسة امتحاناتها في ولايتنا البلاد المتحدة صار لهذه المدارس العربية وامتحاناتها في العلوم الشرقية طور آخر ، ودور زاه زاهر ، فانه أدخل فيها تعديلات نافعة ، واتخذ لاصلاح أمرها تدابير ناجعة ،

فجعلها متسقة النظم ، ومتحدة النظام ، وانتقى لها مناهج درس ، وقوائم كتب ، تضمن بالنجاح ، وتؤذن بالفلاح ، فجعل فيها للأدب العرب محلا يليق به ، والزم متعلمي المدارس العربية الكتابة وإنشاء المقالات بالعربية

وكذلك فعلت رياسة المدارس العربية في ولاية بنجاب فجعلت الكتابة والانشاء بالعربية من مواد امتحاناتها الشرقية التي لا غنى عنها لطالب وتلتها الجوامع الانكليزية الرسمية ، فانها أدخلت تحسينات نافعة في فرعها العربي بأيدي أساتذة فضلاء دكاترة في العلوم العربية نالوا شهادة الدكتورية من جوامع ألمانيا وانكلترا ، ولهم يد بيضاء في استبدال المناهج الجديدة المفيدة بالمناهج القديمة العقيمة . وقد أسفرت مساعيهم عن نتائج ذات بال ، ولجامعتي لاهور ودهاكة خطوة في هذا السبيل بعيدة الشوط ، وتبعتهما جوامع اله آباد ولكنؤ وبتنة وكلكتة ، واهتمت بهما من المعاهد العربية التي للحكومة الكلية الشرقية بلاهور ومدرسة شمس الهدي بيتنة ، والمدرسة العالية بكلكتة

وأشد الجوامع الانكليزية اعتناء باللغة العربية جامعة دهاكة ، فانها خصصت لها قائمة درس تدرس فيها اللغة العربية وعلومها مع بعض العلوم الجديدة واللغة الانكليزية ، وتمنح الناجحين فيها شهادة تؤهلهم للدخول في كل ما يمكن الدخول (فيه) للناجحين في العلوم الانكليزية المحضة من الوظائف والمناصب ، أما جامعتنا الاسلامية بمليكة فارادت أن تقتفي أثر جامعة دهاكة في جعل العربية وآدابها فرعاً لها خاصاً فقررت لجنة لتحقيق أمنيها ، ونيل بغيتها ، وعسى أن تأتي باثر يذكر ، وعمل يشكر ، وأما الجامعة العثمانية بحيدر آباد الدكن فهي أكثر الجوامع انفاقاً على فرعها العربي وأشدّها اهتماماً بأمره ، واکراماً للناجحين في علومه وآدابه ، وأسماها منحة بالمناصب والوظائف لهم

هذا - ولكن هذه الاموال المنفقة ، والجهود المفرغة ، تكاد أن تذهب سدى ، ولا تأتي بمجدوى ، لان جو الهند غير عربي ، يكدر فضاءها زعازع هوجاء من العلوم الافرنجية ، والآداب الانكليزية ، فتعقد الطلبة الصحف الاردية ، والجرائد والمجلات الانكليزية ، وترد عليهم النشرات الاردية والانكليزية

ترى ، فلا تدع لهم جانباً فارغاً للعربية ، فلا تجد للهند صحيفة عربية يقرأونها ولو مرة في الشهر ، ويكتبون فيها ولو مرة في السنة ، فيتمرنوا في الانشاء العربي ويحذقوا فيه ويسهل عليهم الكتابة في اللغة العربية ويستطيعوا ابداء المعاني العلمية غير الخيالية التي يقرأونها في الكتب ، فيخيل اليهم من سحرها أنهم في جيل غير جيلهم ، ويقتدروا على إبراز المعاني المستحدثة في طراف حلل تسر الناظرين ، وتجري أعلامهم في نقد السيامة والاخلاق ونشر التربية والتعليم ، وسرد الانباء والحوادث ، وقرض الشعر ونسج الادب ، ويضربوا بسهم نافذ في معرفة الآداب العربية المستطرفة المستظرفة ، ويتمكنوا من الخوض في كل موضوع ، والاستغراف (١) من كل حوض ، وتكون لهم صلات متواصلة بالبلاد العربية ، فتقوى بها بينهم وسائل التعارف والتداني ، ووسائل التصافح والتصافي ، ولا تغني عنهم الجرائد والمجلات العربية التي تجلب من البلاد الاجنبية ، لبعدها شقتها ، وغلاء أثمانها ، واختلافها عن ذوق متعلمي العربية بالهند ، (وآتي لهم التناوش من مكان بعيد ؟)

فذلك مادعانا الى اصدار مجلة عربية ، واضطرنا أن نتحمل هذا العبء الثقيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولقد ألقينا بأيدينا إلى التهلكة ، ونصبنا أنفسنا غرضاً لسهام الحوادث ، ونعلم ما أصاب إخواننا السابقين من خيبة المسمى وكبوة القدح فكان أحد سلفنا رحمه الله أصدر جريدة الرياض فظهرت وزهرت ، ثم تقلبت بها الرياح ، فأصابها أعصار من نار الفقر فاحترقت ، وتلتها مجلة البيان ، فقضت من عمرها سنين ثم أناخ الدهر عليها بكلاكه ، فخرست (١) عن النطق ، ثم جاءت على فترة من رسل الكلام ، الجامعة لأبي الكلام ، فلم تبلغ أشدها حتى دهاها ما فرق جمعها ، وشقت لها ، فذهبت مع أعيان أدراج الرياح ، وغيرها من الصحف العربية التي لم ترزق الحياة إلا شهر أو شهرين ، فنغشى علينا ما أصابهم من خيبة الامل ، وقربة لاجل

(١) في الاصطلاح خرصت بالصاد وهو من غلط الطبع . وخرس لازم ومعناه العجز عن النطق فقوله عن النطق تفسير أو تضمين لمعنى العجز

وليس لدينا قوة لنقتحم بها هذه العقبات الا التوكل على الرحمن، ولا من زاد لهذا السفر الشاسع الا الثقة بنصر من الخلاق، ولا من بضاعة لهذه التجارة الكاسدة، الا حسن الظن بناصري العربية في هذه البلدان، فمن أحسن اليها فأجره على الله ان الله يحب المحسنين .

وليحتسب حماة العربية في الهند أن خلوجوها من صوت صحيفة عربية عار لم غير ظاهر (؟) فكم من لغات ميتة تدون لها في هذه البلاد ألسنة حال تنطق . وعيون حياء لها تندفق، وما ذلك إلا بناصر من الدعاية، وهاجر في صدورهم يحس بفرض الكفاية، وكم من بلاد مثل أمريكية فيها جالية من العرب يقل عددهم عن عارف اللغة العربية في الهند، ولم يصحف سائرة، فالرجاء من القائمين بالمعاهد العربية ومدرسيها الكرام، وأساتذتها الفخام، وتلاميذها النجباء ومحبيها الاخيار، ان يأخذوا بأيدينا، وينصروا من ليس له قوة ولا ناصر، (وما النصر إلا من عند الله وهو العزيز الحكيم)

وليعلم أن المجلة مواد بحثها ومواضع انشائها تنحصر في علوم الدين وفنون العلم وآداب اللغة وطرق التربية والتعليم وما يناصبها من المسائل والاخبار، وأنها لا تعزو نفسها إلى معهد دون معهد و (لا) تنعصب لأحد على أحد، بل هي لسان حال المعاهد العربية كلها في هذه الديار

ونرجو أساتذة لغة العرب، وجهابذة نقد الادب، ولا سيما أمراء القول من العرب، ومالكي أزمة البيان منهم أن يسبلوا علينا ذيل الستر، ويمنوا علينا بغض البصر، فلسنا إلا متطفلين على ما تدتهم، ومتكففين لرقاتهم، والحمد لله أولاً واخراً وظاهراً وباطناً .

[المنار] نرحب بأختنا مجلة الضياء، ونرجو أن نرى منها خير مدد نوري للمنار، ونحث قراء العربية في كل مكان على الاشتراك فيها وإمدادها بالمساعدة المالية والقلمية، ونوجه عناية صديقتنا الفيورين المشرفين على المجلة بأن يبذلا كل العناية لتصبحها قاننا رأينا في الجزء الاول أغلاطا أكثرها من غلط الطبع، في مثل هذا المقام، ويعتفر في الابتداء ما لا يغتفر في الدوام، وسنعود الى تقريرها والتقل عنها ان شاء الله

نداء للمجنس اللطيف

يوم المولد النبوي الشريف

(في حقوق النساء في الاسلام، وحظن من الاصلاح المحمدي العام)
 نشرنا في جزء المنار الماضي ما اقترحتة علينا لجنة (ذكرى يوم النبي)
 في لاهور الهند من كتابة رسالة في هذا الموضوع، لاجل ترجمتها بأشهر
 لغات العالم المدني ونشرها في يوم المولد من سنة ١٣٥١ - واننا قد شرعنا
 في كتابتها في شهر ذي الحجة الذي صدر الجزء الرابع من المنار في آخره
 وأقول الآن اني لما شرعت في كتابة الرسالة توخيت فيها الاختصار، وفاقا
 لما اقتراح لجنة لاهور في كتاب خاص، وقد أرسلت ثلاث كراسات (ملازم)
 منها بالبريد الجوي في رابع المحرم وكرستين آخرين في الحادي عشر منه، وبمذة
 ثالثة في ١٨ منه، ولما لم يرد إلي جواب من اللجنة ترجع عندي انها لن تتمكن
 من ترجمتها ونشرها في يوم مولدها هذا العام، وكان عرض لي أن أبسط بعض
 المسائل ولا سيما مسألة تعدد الزوجات، وحكمة كثرة أزواج النبي ﷺ بأكثر
 مما تطلبه اللجنة على أن أختصر الرسالة لها إذا أرادت ترجمتها لسنة أخرى
 بيد أنني رأيت أن أنشر الرسالة كلها في المنار، ثم أطبعها على حدة
 وأنشرها في يوم المولد الشريف من هذا العام، مشاركة لآخواننا مسلمي
 الهند في إحياء هذه الذكرى ببيان ما اشتدت اليه حاجة هذا العصر من بيان
 الاصلاح الاسلامي العام للبشر، الذي يعلم به أن محمدا ﷺ بعث رحمة للعالمين،
 ومكملا لدين الله على السنة النبوين والمرسلين، ومصاحبا لما أفسده البشر من
 الاديان والشرائع وشؤون الاجتماع البشري كلها. وهذا نص الرسالة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله وخاتم النبيين ، الذي ارسله لاصلاح جميع البشر في أمور دينهم ودنياهم ، وازالة التعادي والتناكر بين شعوبهم وقبائلهم بالتعارف والتآلف بينهم ، وإثبات المساواة في الحقوق والاحكام بين اجناسهم ، وأفراد رجا لهم ونسائهم ، على اختلاف شعورهم وألوانهم ، وبقايعهم واقطارهم ، ومنع التمايز بين الطبقات والعشائر بالانساب والتقاليد العرفية أو الوراثية ، وتحقيق التوحيد بينهم في جميع المقومات الانسانية ، والاخوة الروحية ، والتفاضل بالفضائل النفسية ، من علمية وعملية ، فقال عز وجل

(١٣: ٤٩) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا

وَقَبَائِلَ لَتَعَارَفُوا إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتُمْ كُمْ إِنْ أَلَّا اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)

أما بعد فيقول محمد رشيد آل رضا الحسيني الحسيني منشئ مجلة المنار الاسلامي ، ومؤلف التفسير السلفي المصري الاثري السياسي الاجتماعي في مصر القاهرة : إن الجماعة التي تألفت من اخواننا مسلمي الهند في مدينة لاهور لا ذاعة سيرة رسول الانسانية الاعظم ، وهدية واصلاحه الاقوام ، وخصصت لذلك يوم مولده من كل سنة ، قد اقترحت علي ان اكتب رسالة في أهم ما جاء في كتاب الله تعالى المنزل عليه وفي سنته المبينة له من حقوق النساء ، والاصلاح الذي يجب على الجنس الطيف أن يعرفه في كل شعب ويطالب به الرجال ، لترجم بالغات المشهورة وينشر في الآفاق في يوم ذكرى مولده ﷺ من سنة ١٣٥١ هجرته الشريفة

فقبلت الاقتراح ، وأجبت الدعوة بالارتياح ، شاكرًا لاهواني تفضلهم علي واختصاصهم إياي ببيان هذا الواجب الكفائي العظيم ، داعيًا أن يلهمني الله تعالى فيه الصواب ، ويؤتيني الحكمة وفصل الخطاب ، وقد استعجنت أن ابدأ ما أكتب بنداء عام للنساء ، ليعرفن حقوقهن ويعرفن الرجال ، فأقول :

نداء للجنس اللطيف

يوم ذكرى المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

في

﴿ حقوق النساء في الاسلام ، وحظن من الإصلاح المحمدي العام ﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
(سورة الروم ٣٠ : ٢١)

ألا يا معشر النساء ، وبنات حواء ، في الشرق والغرب والجنوب والشمال ، هل
تدرين كيف كانت عيشة جداتكن قبل بعثة مصلح البشر الاعظم ، محمد النبي الامي
(ص) ؟ أم تدرين أن البشر لما يفقهوا كنهه الاقاييم الثلاثة للحياة الزوجية التي
نزل بيانها من لدن رب العالمين ، على قلب محمد خاتم النبيين . أعني السكون النفسي
الجنسي الذي يتحد به الزوجان فيكونان حقيقة واحدة كالماء والهواء - والمودة التي
تتعدى الزوجين الى أسرتهما فيسري بها الحب والتعاون من الاقارب الى البعداء ،
والرحمة التي تكمل لها بالولد المنفصل منهما الممثل لهما فينتشر التراحم بين الاحياء ؟
تعالين أحدنكن عما كانت عليه جداتكن بالاجمال ، وبما جاء به محمد (ص)
بشيء من التفصيل : لقد كان جميع نساء البشر ، مرهقات بظلم الرجال في البدو
والحضر ، لا فرق فيه بين الاميين والمتعلمين ، ولا بين الوثنيين والكتابين
كانت المرأة تشتري وتباع ، كالبييمة والمطاع ، وكانت تكره على الزواج وعلى
البناء ، وكانت تورث ولا ترث ، وكانت تملك ولا تملك ، وكان أكثر الذين يملكونها
يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون اذن الرجل ، وكانوا يرون للزوج الحق في
التصرف بما لها من دونها ، وقد اختلف الرجال في بعض البلاد في كونها انسانا ذا نفس
وروح خالدة كالرجل أم لا ؟ وفي كونها تلقن الدين وتصح منها العبادة أم لا ؟

وفي كونها تدخل الجنة أو الملكوت في الآخرة أم لا ؟ فقرر أحد المجامع في رومية انها حيوان نجس لا روح له ولا خلود ، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة وأن يكفها كالبعير والكب العقور لمنعها من الضحك والكلام . لانها أحبولة الشيطان ، وكانت اعظم الشرائع تبيح للوالد بيع ابنته ، وكان بعض العرب يرون أن للاب الحق في قتل بنته بل في وأدها «دفنها حية» أيضا . وكان منهم من يرى أنه لا قصاص على الرجل في قتل المرأة ولا دية

وكان أم لانصاف للمرأة منحها إياه الشعب الفرنسي في أوروبة بعد ميلاد محمد (ص) وقبل بعثته ان قرروا بعد خلاف وجدال أن المرأة انسان الا انها خلقت لخدمة الرجل ولد محمد (ص) في سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام ، وأصدر الفرنسيين هذا القرار النسوي في سنة ٥٨٦ أي بعد مولده بخمس عشرة سنة ، ولم يكن يدري هو ولا غيره بما سيحييه به من الاصلاح البشري العام ، والاصلاح النسوي الخاص فهل أتا كن يا بنات حواء أبناء ما جاء محمد نبي الرحمة من التعاليم في حقكن ؟ هذا ما اقترح علي ان أقصده عليكن وعلى رجال الامم كلها في هذه الرسالة في هذا اليوم من ذكرى مولد محمد (ص) سنة ١٣٥١ من هجرته

بعث محمد (ص) في أوائل القرن السابع للمسيح عليه السلام مبشرا ونذيرا للبشر كافة يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وإلى اصلاح انفسهم التي أفسدتها التقاليد الدينية ، والعصبيات القومية والوطنية ، وكان للنساء حظ كبير من هذا الاصلاح لم يسبق الاسلام به دين ، ولم يبلغ شأوه تشريع ، ودونكن التفصيل :

١- المرأة انسان هي شقيقة الرجل

قام محمد (ص) يتلو على البشر آيات الله عز وجل في كون النساء والرجال من جنس واحد ، لا قوام للانسانية إلا بهما وهذه أربع شهادات منها :

(١٣: ٤٩) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنٰكُمْ شُعُوبًا

وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَهَكُمْ دُونََ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَليمٌ خَبِيرٌ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

وَاحِدَةٍ وَخَاقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
 (٧: ١٨٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا
 زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا

(١٦: ٧٢) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ
 مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفِيدَةً

وكان ﷺ يقول: «انما النساء شقائق الرجال»^(١)

٢- إيمان النساء كالرجال

قام محمد (ص) يملو على الناس ما أئبته الله تعالى من إيمان النساء كالرجال، فمن
 ذلك قوله تعالى (٦٠: ١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُْ الْمُؤْمِنَاتُ
 مُهْجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمَ بِالْإِيمَانِ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ
 فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ) الْآيَةُ

ومنه قوله تعالى (٣٣: ٥٨) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا

وقوله (٨٥: ١٠) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ
 يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ

وأخبرهم بأن الله تعالى أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات جميعاً بقوله (٤٧: ١٩)
 (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرِ لِذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)

(١) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْبَزَارِ عَنْ أَنَسٍ

ومن المجمع عليه المعلوم من دين الاسلام بالضرورة ان على النساء ما على الرجال من أركان الاسلام الا ان الصلاة تسقط عن المرأة في زمن الحيض والنفس مطلقا فتتركها ولا تعيدها لكثرتها. وأما الصيام فيسقط عنها في زمنها ورضعها ما أفطرته من أيام رمضان لقلتها، وأما حجبها فيصبح في كل حال ولكنها لا تطوف بالبيت الحرام إلا وهي طاهرة.

٣ — جزء المؤمنات في الآخرة كالمؤمنين

وقام بملو على العالم في جزء المؤمنات كالمؤمنين آيات من الله تعالى منها قوله تعالى (١٦: ٩٧) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

وقوله تعالى (٤٠: ٤١) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ

وقوله تعالى (٤: ١٢٣) لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَتَمَلَّ سَوْءًا يُجْزَىٰ بِهِ وَلَا يُجْزَىٰ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَئِنْ لَمْ يَنْصَرُوا (١٢٤) وَمَنْ يَتَمَلَّ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا

وقوله تعالى في أولي الباب الذين يذكرونه كثيرا ويتفكرون في خلق السموات والارض ويدعونه (٣: ١٩٥) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ (الآية، وفيها وعدم جميعا بادخالهم الجنة وحسن الثواب

وقوله تعالى (٢٣ : ٣٥) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَأَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ
وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ
مَغْنَمًا وَثَاجِرًا عَظِيمًا

وقوله (٩ : ٧٢) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ
وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

٤ - مشاركة النساء للرجال في الشرائع الشرعية

(والاعمال الاجتماعية والسياسية)

النساء يشاركن الرجال في العبادات الاجتماعية كصلاة الجماعة والجمعة والعيد
فشرع لهم ولكن لا يجب عليهن تخفيفا عليهن، وصح ان النبي (ص) أذن للحيض (منهن)
بمحضور اجتماع العيد في المصلى دون صلاته. وعبادة الحج الاجتماعية مفروضة عليهن
كالرجال كما قدم ويحرم عليهن وضع النقاب على وجوههن ولبس القفازين في أيديهن
مدة الاحرام، وقد شرع لهم من الامور الاجتماعية والسياسية ما هو أكثر من ذلك

قال الله تعالى (٩ : ٧١) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

(*) الحيض بتشديد الياء جمع حائض، وهي على العيد كل خارج البلد

المنار : ج ٥ م ٣٧ أمان المرأة للحريين: وانكارها على الخلفاء والسلاطين ٢٥٩

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (فأنبت الله للمؤمنات الولاية المطلقة مع المؤمنين فيدخل فيها ولاية الاخوة والمودة والتعاون المالي والاجتماعي ، وولاية النصرة الحربية والسياسية ، إلا أن الشريعة أسقطت عن النساء وجوب القتال بالفعل ، فكان نساء النبي وأصحابه يخرجن في الغزوات مع الرجال يسقين الماء ، ويجهزن الطعام ، ويضمدن الجراح ، ويحرضن على القتال . وقد ثبت في الصحيح ان بنت رسول الله (ص) قاطمة عليها السلام كانت تحمل قرب الماء هي وأم سليم وغيرها الى الجرحى في غزوة أحد يسقينهم ويغسلن جراحهم . ولما جرح رسول الله (ص) تولت قاطمة غسل جرحه وتضميده .

٥ - (أمان المرأة للحريين)

ومن حقوق المرأة السياسية في الاسلام انها اذا أجارت أوأمنت أحدا من الاعداء المحاربين فهذا ذلك ، فقد قالت أم هانيء للنبي (ص) - وهي بنت عمه أبي طالب - يوم فتح مكة : انني أجرت رجلين من أحمائي . فقال (ص) « قد أجرتنا من أجرت يا أم هانيء » وهذا حديث صحيح متفق عليه . وفي بعض الروايات أنها أجارت رجلا فأراد أخوها علي كرم الله وجهه قتله فشكته الى النبي (ص) فأشكاها وأجاز جوارها . وفي حديث حسن عند الترمذي عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال « إن المرأة لتأخذ للقوم » يعني تجهيز على المسلمين أه وفي معناه عن عائشة أم المؤمنين قالت : إن كانت المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز . ونقل ابن المنذر ان المسلمين أجمعوا على صحة اجارة المرأة وأمانها

٦ (أمر المرأة بالمعروف ونهيها عن المنكر)

وما في الآية من فرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على النساء كالرجال يدخل فيه ما كان بالقول وما كان بالكتابة ، ويدخل فيه الانتقاد على الحكام من الخلفاء والملوك والامراء فمن دونهم ، وكان النساء يعلمن هذا ويعملن به رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تعالى الناس في مهور النساء حين اتسعت دنياهم في عصره فخاف ماقيه ذلك وهو ما يشكو منه الناس منذ عصور ، فنهى الناس أن يزيدوا فيها على أربع مائة درهم فاعترضت له امرأة من قريش فقالت أما سمعت ما نزل الله؟ بقول (وَأَتَيْتُم لِحَدَاهُن قُنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا) فقال اللهم غفرا ، كل الناس أقمعن عمر . وفي رواية انه قال : امرأة أصابت وأخطأ عمر . وصعد المنبر وأعلن رجوعه عن قوله

٧ - مبايعة النبي ﷺ للنساء كالرجال

كان النبي (ص) يبايع الرجال على السمع والطاعة والنصرة وكانت أولبيعة منه لتبليغ الانصار في عقبه من قبل الهجرة على بيعة النساء كما في السيرة ولكن آية بيعة النساء لم تكن نزلت ، وبايعهم البيعة الثانية الكبيرة على منعه - أي حمايته - مما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم . وبايع المؤمنين تحت الشجرة في الحديبية على أن لا يفروا من الموت ، سنة ست من الهجرة - وخصت بيعة النساء بذكر نصها في سورة الممتحنة وهو قوله تعالى (٦٠ : ١٢) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِيْهْتِنٍ يَفْزِينَ بَيْنَ أَيْدِيْنَّ وَأَرْجُلَيْنَّ وَلَا يَمْعِيْزُنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَآسِئْغِرْنَ لَكُنَّ لِلَّهِ إِذَا غَفَرْتَ رَحِيمٍ) نزلت يوم فتح مكة وبايع النبي (ص) بها النساء على الصفا بعد ما فرغ من بيعة الرجال على الاسلام والجهاد . وكان عمر بن الخطاب يبلغه عنهن وهو واقف أسفل منه . وقد حضرت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان بن حرب بيعة النساء هذه وهي متغلبة متنكرة مع النساء لئلا يعرفها رسول الله (ص) وهي التي كانت أخرجت بكبد عمه حمزة (رض) يوم قتل في أحد فضغتها ولا كتبها شمانة وانتقاما . ولكنها كانت تحكلم عند كل جملة . قال رسول الله (ص) « أبايعهن » (على أن لا يشركن بالله شيئا) فرفعت هند رأسها وقالت : والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال - وكان يبايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد - فقال النبي (ص) (ولا يسرقن) فقالت هند : إن أبا سفيان رجل شحيح واني أصبت من ماله هبات فلا أدري أبجل لي أم لا ؟ فقال أبو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غير فهو لك حلال ، فضحك رسول الله (ص) وعرفها فقال لها « وانك لهند بنت عتبة ؟ » قالت نعم قاعف عما سلف عفا الله عنك ، فقال (ولا يزنين) فقالت أو تزني الحرة ؟ فقال (ولا يقتلن أولادهن) فقالت هند بينا هم صغار أو قتلتموهم كبارا فانهم وهم أعلم ، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر ، فضحك عمر رضي الله عنه حتى

استلقى وتبسم رسول الله (ص) فقال (ولا يأتين بيهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) وهو أن تقذف ولداً على زوجها وليس منه - قالت هند والله إن البيهتان لقيسح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ﴿ ولا يعصيك في معروف ﴾ قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء . فآقر النسوة بما أخذ عليهن وكان « ص » يقول لمن عند المبايعة « فيما استطعتن وأطقتن » فيقلن : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا . ﴿ أقول ﴾ وأية رحمة ويسر في الاسلام أوسع من تقييد الله طاعة رسوله بالمعروف ، وهو لا يأمر إلا بالمعروف (ومنه منع طادات الجاهلية في الموتى) ثم تقييد الرسول نفسه ذلك بالاستطاعة والطاقة وفقاً لقوله تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ وقوله ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ وقوله ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ وقوله ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾

وقتل الاولاد يدخل فيه ما كان يفعله بعض العرب من واد البنات أي دفنهن . حيات اتهاء لعارهن أن يسبين أو يفجرون ، وقتل الصغار لاجل الفقر أو خوف الفقر اذا كبرن ، وقال بعض المفسرين إن منه تعدد المرأة اسقاط الجنين لأي سبب من الاسباب . وأما البيهتان الذي أخذ عليهن ألا يفترينه بين أيديهن وأرجلهن فهو أن يلحقن بالرجل ولداً ليس له كما فسر في الحديث — أي ولو لقيطاً يلتقطنه فإن المرأة تضع طفلها كذلك وهذه الكناية من أبدع كنايات القرآن بلاغة ونزاهة . ثم بايع رسول الله « ص » الرجال بيعة النساء كما في حديث عبادة بن الصامت . المتفق عليه : قل كنا مع رسول الله « ص » في مجلس فقال « تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم — وقرأ الآية التي أخذت على النساء : اذا جاءك المؤمنات - فمن وفي منكم فاجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه »

وروى الامام أحمد ان فاطمة بنت عتبة جاءت تبايع رسول الله (ص) فآخذ عليها « أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يزني » الآية فوضعت يدها على رأسها حياء . فاعجبه ما رأى منها فقالت طائشة : أقري أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلا على هذا . قالت : فنعم إذا . فبايعها بالآية

٨ - حقوق النساء في التعليم والتأديب

بين الله تعالى في مواضع من كتابه انه أرسل نبيه محمداً (ص) في الاميين ليخرجهم من الامية فيتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . ومدح العلم في آيات كثيرة ومدحه رسوله في مواضع لا يحل لسرد شيء منها هنا ، وقد فسر بعضهم الكتاب في هذه الآيات بصناعة الكتابة لانه في الاصل مصدر كتب ثم اطلق على المكتوب ، وكان النبي بحث اصحابه على تعلم الكتابة وقد أمر الله بها في آية الدين (٢ : ٢٧٢) وقد ثبت من عدة طرق ان الشفاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العدوية علمت حفصة بنت عمر أم المؤمنين الكتابة

وقد اشتركت النساء مع الرجال في اقتباس العلم بهداية الاسلام فكان منهن راويات الاحاديث النبوية والآثار ، يرويه عنهن الرجال ، والاديات والشاعرات والمصنفات في العلوم والفنون المختلفة . وكانوا يعلمون جوار بهم وقيانهم كما يعلمون بناتهم وقد أجمع المسلمون على ان كل ما فرضه الله تعالى على عباده وكل ما نذبهم اليه فالرجال والنساء فيه سواء الا ما استثنى مما هو خاص بالنساء لا توثهن في الطهارة والولادة والحضانة وما رفع عنهن من القتال وغير ذلك مما هو معروف

وقد بلغ من عناية محمد رسول الله وخاتم النبيين بتعليم النساء وتربيتهن ان ذكر فيمن يؤتيهم الله تعالى اجرهم مرتين يوم القيامة - اي مضاعفا - قوله « ايما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فاحسن تعليمها ، وأدبها فاحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله اجران » فقرن ثواب التعليم والتأديب بثواب العتق الذي كان يرغب فيه كثيراً فوق ما شرعه الله تعالى فيه من أسباب تحريره وعتقه . والحديث متفق عليه عن أبي موسى (رض) وله الفاظ أخرى

وان حديث « طالب العلم فريضة على كل مسلم » يشمل المسلمات باتفاق علماء الاسلام وان لم يرد فيه لفظ (ومسامة) وقد صحح في الجامع الصغير بعض طرقه . وأما متنه فصحيح بالاجماع

وسياتي في الكلام على أمهات المسلمين ان الغرض الاول من تعددهن ان يكن معلمات للنساء وبناتهن ، بل كان الرجال حتى الخلفاء يرجعون اليهن فيما يشكل عليهم من بعض الاحكام الشرعية ولا سيما السيدة عائشة (رض)

٩- حقوق النساء المالية

قد أبطل الاسلام كل ما كان عليه العرب والعجم من حرمان النساء من التملك، أو التضييق عليهن في التصرف بما يملكن، واستبداد أزواج المتزوجات منهن بأموالهن، فأنيت لهن حق الملك بأنواعه والتصرف بأنواعه المشروعة، فشرع الوصية والأرث لهن كالرجال وزادهن ما فرض لهن على الرجال من مهر الزوجية والنفقة على المرأة وأولادها وإن كانت غنية، وأعطاهن حق البيع والشراء والإجارة والهبة والصدقة وغير ذلك. ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن مالها كالدفاع عن نفسها بالتقاضي وغيره من الأعمال المشروعة، وإن المرأة الفرنسية لا تزال إلى اليوم مقيدة بإرادة زوجها في جميع التصرفات المالية والعقود القضائية

١٠- حقهن في الميراث

قال الله تعالى في إبطال ظلم الذين كانوا يمنعون النساء من الإرث ويجعلونه للرجال خاصة من سورة النساء (٤ : ٧) لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا

ثم بين نصيب كل وارث من الرجال والنساء في آيات الموارث من هذه السورة (اعني ١٠-١٢ و ١١٦) وهي مبنية على قاعدة « للذكر مثل حظ الأنثيين » من الآية العاشرة المفصلة في سائر الآيات. وحكمة جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل أن الشرع الاسلامي أوجب على الرجل أن يتفق على المرأة. فهذا يكون نصيب المرأة مساويا لنصيب الرجل قارة وزالداً أعليه قارة أخرى باختلاف الأجيال إذا مات رجل عن ولدين ذكر وأنثى وترك لهما ثلاثة آلاف دينار مثلاً كان للذكر ألفان ولاخته ألف. فإذا تزوج هو فإن عليه أن يعطي امرأته مهرأ وان يجد لها مسكناً وأن يتفق عليها من ماله سواء أكانت فقيرة أم غنية، ففي هذه الحالة تكون الألفان له ولزوجته، فيكون نصيبه بالفعل مساويا لنصيب أخته أو أقل

منه . ثم إذا ولد له أولاد يكون عليه نفقتهم وليس على أمهم منها شيء . وفي هذه الحالة يكون ماله الموروث دون مال أخته . فانها إذا تزوجت كما هو الغالب فانها تأخذ مهرًا من زوجها وتكون نفقتها عليه فيمكنها ان تستغل ما ورثته من أبيها وتنميها لنفسها وحدها ، فلو لم يكن للوارثين الا ما يرثونه من أمواتهما لكانت أموال النساء دائما أكثر من أموال الرجال ، اذا اتحدت وسائل الاستغلال ، فيكون إعطاؤهن نصف الميراث تفضيلا لهن عليهم في أكثر الأحوال ، إلا أن سببه ان المرأة أضعف من الرجل عن الكسب ، ولها من شواغل الزوجية وما يحصل بها من حمل وولادة ثم من شواغل الأمومة ما يصرفها عن الكسب الذي تقدر عليه وهو دون ما يقدر عليه الرجل في الغالب . فمن ثم لم يكن فرض نفقة الزوجية والدار والأولاد على الرجل ظلما له وتفضيلا للمرأة عليه في المعيشة ووجه إعطاء المرأة ما يعطى من الميراث أن يكون لها مال تنفق منه على نفسها إذا لم يتح لها الزواج أو مات زوجها ولم يترك لها ما يقوم بأودها ، فهو من قبيل المال الاحتياطي لها وللأسرة « وقد شرحنا هذه المسألة بالتفصيل في مقالات أخرى »

١١ - مهر الزواج

إن مما امتازت به الشريعة الإسلامية المحمدية في تكريم النساء على جميع الشرائع والنظم التي يجري عليها البشر في الزواج أنها فرضت على الرجل أن يدفع لمن يقتن بها مهرًا مقدما على البناء بها ، من حيث تفرض الشعوب غير المسلمة على المرأة أن تدفع هي المهر للرجل - ولكنهم يسمونه باسم آخر - فترى البنت العذراء مضطرة إلى الكد والكدح لأجل أن تجمع مالا تقدمه لمن يقتن بها إذا لم يكن لها ولي من والده أو غيره يبذل لها هذا المال ، وكثيرا ما تركب الاوانس الناعمات أخشن المراكب وتعرض للعنت ، والتفريط في العرض والشرف ، في سبيل تحصيل هذا المال . وشريعة اليهود تفرض للمرأة مهرًا لكنها لا تملكه بالفعل إلا إذا مات زوجها أو طلقها لانه ليس لها أن تتصرف بما لها وهي متزوجة

فرض الله المهر على الرجل للمرأة فرضا حتما وحرم عليه أن يأكل شيئا منه بعد الزواج بدون رضاها وطيب نفسها فقال ﴿ ٤ : ٣ ﴾ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴿ ٥ ﴾ والنحلة في اللغة العطاء الذي لا يقابله عوض فقول الفقهاء ان المهر في معنى ثمن

الاستمتاع مخالف للغة ورد عليهم شيخنا الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده نقي الديار المصرية رحمه الله) فقال : كلا ان الصلة بين الزوجين اعلوا وأشرف من الصلة بين الرجل وفرسه أو جاريته ولذلك قال « نحلة » قلندي ينبغي أن يلاحظ ان هذا العطاء آية من آيات المحبة وصلته القربى وتوثيق عرى المودة والرحمة ، وانه واجب حتم لا تخيير فيه كما يتخير المشتري والمستاجر ، وترى عرف الناس جاريا على عدم الاكتفاء بهذا العطاء بل يشفعه بالهدايا والتحفاه كلامه ولكنه قال في موضع آخر ان حكمة المهر للمرأة أن تطيب نفسها برياسة الرجل عليها ، وهو مع ذلك تكريم لها ، وسأني

والخطاب يحتمل وجهها آخر وهو ان الخطاب للاولياء الذين يزوجون اليتامى وغير اليتامى فقد كان ولي المرأة في الجاهلية يزوجهها ويأخذ صداقها لنفسه دونها فنهى الله الاولياء في الاسلام أن يفعلوا ذلك . قال تعالى (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْثًا مَرِيثًا) أي فان طابت أنفسهن عن شيء من المهر فاعطينه من غير إكراه ولا إلجاء بسبب سوء العشرة ، ولا إكجال بالخلابة والخديعة ، وقال ابن عباس (رض) : من غير ضرار ولا خديعة (فكلوه هنيئاً مريئاً) أي سائغاً لا غصص فيه ولا تنقيص ، فإذا طلب منها شيئاً فحملها الخجل أو الخوف على إعطائه ما طلب فلا يحمل له ، وعلامات الرضا وطيب النفس لا تنفى

١٢- الزواج وحقوق النساء فيه

كان عند العرب في الجاهلية انواع من الزواج الفاسد الذي كان يوجد عند كثير من الشعوب ولا يزال بعضه الى اليوم في البلاد التي تطلب عليها الهمجية - فمنها اشتراك الرهط من الرجال في الدخول على امرأة واحدة وإعطاؤها الحق في الولد ان تلحقه بمن شاءت منهم

ومنها نكاح الاستبضاع وهي ان ياذن الرجل لزوجته ان تمكن من نفسها ورجلا معيناً من الرؤساء والكبراء الممتازين بالمشجاعة او الكرم ليكون لها منه ولد مثله وهذا النوع لا يزال موجوداً بصفة مطلقة دائمة في بعض البلاد كالهند وغيرها وكان عند العرب موقفاً ومقيداً بما ذكرنا

(ومنها) السفاح بالبقاء العلي وكان عند العرب خاصاً بالاماء دون الحرائر (ومنها) اتخاذ الاخذان اي الصواحب العشيقات، وكان عرب الجاهلية يستترون به ويعدون ما ظهر منه لؤماً وخسة — وهذان النوعان عامان شائعان في بلاد الافرنج كلها. جبراً، وقد سرى فسادهم منهم الى بلاد الشرق التي غلب نفوذهم عليها او على حكامها كالمند وتونس والجزائر ومصر وسورية ولبنان والعراق وقد قررت حكومة فرنسة أخيراً جعل اولاد الاخذان كاولاد الشرعيين في الميراث وغيره بعموم الفساد فيه (ومنها) نكاح المتعة وهو الموقت وقد شاع في بلاد الافرنج أخيراً ويسمونه نكاح التجربة وتبيحه الشيعة الامامية من المسلمين (ومنها) نكاح البدل والمبادلة وهو ان يرل رجلان كل منهما عن امرأته للآخر. ونكاح الشغار وهو ان يزوج كل من الرجلين الآخر بنته او اخته او غيرها من ممن تحت ولايتهما بدون صداق — وهذان النوعان مبنيان على قاعدة حسابان المرأة ملكاً للرجل يتصرف فيها كما يتصرف في بهائمه وأمواله، ولا يزالان يوجدان في بعض الشعوب الفاسدة او الممجية كالنجر. والغب في كل ذلك على النساء فهن اللائي يحملن اثقاله واوزاره الجسمية والادوية والمالية

وأما المرتقون من العرب كقريش فكان نكاحهم هو الذي عليه المسلمون وبعض الشعوب الراقية من الخطبة والمهر والعقد، وهو الذي اقره الاسلام مع ابطال بعض العادات الظالمة للنساء فيه من استبداد في تزويجهن كرها او عضلن اي منعهن من الزواج او اكل مهورهن، وكذا تعددهن بغير حد في العدد ولا قيد في المصلحة ولا شرط في العدل ولا في الحقوق — ابطال الاسلام كل المظالم الخالصة وقيد منها ما فيه وجهان بما يرجح المصلحة على المتسدة والعدل على الظلم

١٣ — (ولاية النكاح وحرية المرأة واختيارها فيه)

جمع الاسلام بين جعل حق التزويج لولي المرأة وحق المرأة في قبول من ترضاه من الأزواج ورد من لا ترضاه، فمنع الاولياء من الاستبداد في تزويج موليائهم من بنات و اخوات وغيرهن بغير رضاهن وكان من ظلم الجاهلية لهن، بل لا يزال الوالدان يكرهن بناتهن على الزواج بمن يكرهن من الرجال في جميع الامم على ما فيه من الشقاء

والفساد، كذلك منع المرأة من الزوج بغير كفؤ برضاها وأولياؤها وعصبتها فيكون
تزوجها به سببا لوقوع العداوة والشقاق بينهم وبين عشيرته بالتبع له، بدلا من
تجديد مودة وتعاون بمصاهرة. وليس الأولياء ولا للوالد نفسه أن يمنع من
زواجها بأي كفؤ ترضاها

روى الجماعة كلهم (١) عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال «لا تنكح الائم (٢)
حتى تستأمر». ولا البكر حتى تستأذن - قالوا يا رسول الله وكيف أذننا؟ قال ان
نسكت « ورووا (الا البخاري) عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) «الطيب
أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها وأذنها صانها» أي سكوتها يكتفى
به فلا تكلف التصريح لحياها كما روي عن عائشة أنها سألت النبي (ص) عن استئذان
البكر فقالت ان البكر تستأذن فتسحى فتسكت فقال «سكاتها أذننا» متفق عليه
وروى الجماعة الا مسلمان عن خنساء بنت خدام الانصارية أن أباهما زوجها وهي
ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله (ص) فرد نكاحها أي أبطله. قال بعض
المحققين لا يكون سكوت البنت أذنا للاب بتزويجها الا اذا كانت تعلم ذلك. فان
كانت لا تعلم فينبغي اعلامها.

وروى احمد والنسائي من حديث ابن بريدة وابن ماجه من حديث عبد
الله ابن بريدة عن أبيه قال جاء فتاة الى رسول الله (ص) فقالت ان أبي زوجني
من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته. قال فجعل (ص) الامر اليها، فقالت قد أجزت
ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم النساء انه ليس الى الآباء من شيء. يعني أنه
ليس لهم اكراهين على الزوج بمن لا يرضينه.

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة أنه (ص) قال «إذا خطب اليكم من
ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير» ورواه
من حديث أبي حاتم المزني بلفظ «إذا أناكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه»
الخ ورواه أبو داود في المراسيل

(١) الجماعة أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن الاربعة
(٢) الائم بتشديد الياء غير المتزوجة بكراً كانت أم ثيباً

١٤ - أركان الزوجية الفطرية في الإسلام

أرشد الله البشر بكتابه القرآن الحكيم الى ان للحياة الزوجية ثلاثة اركان (أو أقانيم) يجب عليهم تحريها فيها وهي ما اشرنا اليه في صدر هذه الرسالة وصدرناها بآيتها من قوله عز وجل (٢١:٣٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً

قال سكون النفسي الجنسي وهو الركن الاول من هذه الاركان خاص بالزوجين وهو تعبير بليغ عن شعور الشوق واللذة والحب الذي يجده كل منهما باتصالها والملازمة بافضاء أحدهما الى الآخر الذي به تم انسانيتهما فتكون متبعة ناسي مثلها، وبه يزول أعظم اضطراب فطري في القلب والعقل لا ترتاح النفس وتطمئن في سريرتها بدونه

وانما نكون المحافظة على هذا الركن بما أرشد كتاب الله تعالى اليه من قصد الاحصان في النكاح وهو أن يقصده به كل من الزوجين احصان الآخر أي إعفافه وحفظه من صرف داعية النسل الطبيعية الى المسافحة أو اتخاذ الاخذان لاجل اللذة فقط، وقصارى هذا الاحصان أن يقصر كل منهما هذا الاستمتاع على الآخر ويقصد حكمته وسيلة النسل وحفظ النوع البشري على أسلم وجه وأفضله قال الله تعالى بعد بيان محرمات النكاح من سورة النساء (٤ : ٢٤) وَأَحِلَّ

لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً (الآية). ثم قال بعدما في نكاح الاماء (٢٥) فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصِنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ وقال في سورة المائدة (٥ : ٤) الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ

وَالْمُحَصَّنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحَصَّنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) والركن الثاني من اركان الزوجية المودة اي المحبة التي يظهر اثرها في التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين وأهـرة كل منها - والركن الثالث الرحمة التي لا تكـل للانسان إلا بعواطف الامومة والابوة ورحمتها لا ولا دهما، فيكون اكل البشر او الاحياء حظ من هذه الرحمة الكاملة، إذا لم يكن فساد التربية والمعاشرة أو تعاليم العداوات والعصبيات بين البشر منسدة لها او قاصرة لها على المشاركين في القومية او العقيدة أو الوطن ومن تفكر في هذه الاركـان الثلاثة حق التفكير علم أن عليها مدار سعادة الزوجية التي هي جل سعادة الانسانية . ولذلك قال تعالى بعد بيانها (إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ) (*)

المساواة بين الزوجين ودرجة الرجال عليهن

ان الاصلاح الاكبر الذي جاء به الاسلام، وتزل به القرآن في شأن النساء هو الآية (٢: ٢٢٨) من سورة البقرة فهذه الآية قد هدمت جميع ما كان من النظريات والدعاوي والعادات والتقاليد التي يستبد بها الرجال الاقوياء ويستعلون على النساء الضعيفات في انفسهن وأموالهن وأولادهن . وقد فسرنا هذه الآية في الجزء الثاني من تفسيرنا بما بينا به هذه الدرجة ونشر هنا ملخصه وهذا نصه :

(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)

هذه كلمة جلية جداً جمعت على إيجازها ما لا يؤدي بالتفصيل إلا في سفر كبير، فهي قاعدة كلية ناطقة بان المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلا أمراً واحداً عبر عنه بقوله (وللرجال عليهن درجة) وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى (٤: ٣٤) الرجال

(*) قد أنشأنا عدة فصول في شرح هذه الاركـان نشرناها في مجلد المنازج الثامن

«المجلد الثاني والثلاثون»

قوامون على النساء في الآية . وقد أحال في معرفة ما هن وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشراتهم ومعاملاتهم في أهليهن ، وما يجري عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم ، فهذه الجملة تعطي الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجته في جميع الشؤون والاحوال ، فاذا هم بمطالبتها بأمر من الامور يتذكر أنه يجب عليه مثله بازائه ، ولهذا قل ابن عباس رضي الله عنهما « اني لا تزني لامرأتي كما تزني لي لهذه الآية »

وليس المراد بالمثل المثل لالعيان الاشياء وانما اراد ان الحقوق بينهما متبادلة وانها أكفاء ، فما من عمل عمله المرأة للرجل الا وللرجل عمل يقابله لها إن لم يكن مثله في شخصه ، فهو مثله في جنسه ، فهما متماثلان في الحقوق والاعمال ، كما انها متماثلان في الذات والاحساس والشعور والعقل ، أي ان كلا منهما بشر تام له عقل يفكر في مصالحه ، وقلب يحب ما يلائمه ويسر به ، ويكره ما لا يلائمه وما يشق منه ، فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر ، ويتخذ عبداً يستذله ويستخدمه في مصالحه لاسيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة التي لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه

قل الاستاذ الامام قدس الله روحه : هذه الدرجة التي رفع النساء اليها لم يرفعن اليها دين سابق ، ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل اليها امة من الامة قبل الاسلام ولا بعده ، وهذه الامة الاوربية التي كان من تقدمها في الحضارة والمدنية أن بالفت في تكريم النساء واحترامهن وعنت بتربيتهن وتعليمهن العلوم والفنون — لاتزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون إذن زوجها . وغير ذلك من الحقوق التي منحتها إياها الشريعة الاسلامية من نحو ثلاثة عشر قرناً ونصف وقد كان النساء في أوروبا منذ خمسين سنة بمنزلة الارقاء في كل شيء ، كما كن في عهد الجاهلية عند العرب او أسوأ حالا — ونحن لا نقول ان الدين المسيحي أمرهم بذلك لا نعتقد أن تعليم المسيح لم يخلص لهم كاملاً سالماً من الاضافات والبدع . ومن المعروف ان ما كانوا عليه من الدين لم يرق المرأة وانما كان ارتقاؤها من أثر المدنية الجديدة في القرن الماضي

وقد صار هؤلاء الاقربى الذين قصرت مدنيتهن عن شريعتنا في إعلاء شأن النساء ينخرون علينا بل يرموننا بالهمجية في معاملتنا النساء ، ويزعم الجاهلون منهم

بالاسلام أن مانحن عليه هو أثر ديننا — ذكر الاستاذ الامام في المرس ان احد السائحين من الافرنج زاره في الازهر وبيناهما ماران في المسجد رأى الافرنجي بنتا مارة فيه فبهت وقال ما هذا؟ أتى تدخل الجامع ا فقال له الامام: وما وجه الغرابة في ذلك؟ قال اتنا نعتقد ان الاسلام قرر أن النساء ليس لهن ارواح وليس عليهن عبادة. فبين له غلطه وفسر له الآيات فيهن. قال فانظروا كيف صرنا حجة على ديننا؟ والى جهل هؤلاء الناس بالاسلام حتى مثل هذا الرجل الذي هو رئيس لجمعية كبيرة (١) فما بالكم بعامتهم؟ إذا كان الله قد جعل للنساء على الرجال مثل ما لم عليهن إلا ما يزم به من الرياسة، فالواجب على الرجال بمقتضى كفالة الرياسة أن يعلموهن ما يمكنهن من القيام بما يجب عليهن، ويجعل لهن في النفوس احتراماً يعين على القيام بحقوقهن ويسهل طريقه، فان الانسان بحكم الطبع يحترم من يراه مؤدباً عالماً بما يجب عليه فاملا به ولا يسهل عليه أن يمتنه أو يهينه، واذا بدرت منه بادرة في حقه رجع على نفسه باللائمة فكان ذلك زاجراً له عن مثلها

خاطب الله تعالى النساء بالايان والمعرفة والاعمال الصالحة في العبادات والمعاملات كما خاطب الرجال، وجعل لهن عليهم مثل ما جعل لهم عليهن، وقرن أسماءهن بأسمائهم في آيات كثيرة وبايع النبي (ص) المؤمنات كما بايع المؤمنين، وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما أمرهم، وأجمعت الامة على ماضى به الكتاب والسنة من انهن يحزيات على اعمالهن في الدنيا والآخرة — أفيجوز بعد هذا كله أن يحزم من العلم بما عليهن من الواجبات والحقوق لربهن ولبعولتهن ولاولادهن ولذي القربى وللأمة والملة؟

العلم الاجمالي بما يطلب فعله شرط في توجه النفس اليه إذ يستحيل ان تتوجه الى المجهول المطلق، والعلم التفصيلي بالمبين لقائدة فعله ومضرة تركه يعد سبباً للعناية بفعله والتوفى من إهماله — فكيف يمكن للنساء أن يؤدبن تلك الواجبات والحقوق مع الجهل بها إجمالاً وتفصيلاً؟ وكيف تسعد في الدنيا او الآخرة أمة نصفها كالبهائم لا يؤدي ما يجب عليه لربه ولا لنفسه ولا للناس؟ والنصف الآخر قريب من ذلك لانه لا يؤدي الا قليلاً مما يجب عليه من ذلك ويترك الباقي ومنه إغانة ذلك النصف الضعيف على القيام بما يجب عليه أو إلزامه إياه بما له عليه من السلطة والرياسة

(١) كان سبب هذا ما اذا عر رجال الكنيسة من الكتب والرسائل والا ناشيد في ذم الاسلام والاقتراء عليه

ان ما يجب أن تعلمه المرأة من عقائد دينها وآدابها وعباداته محدود ولكن ما يطلب منها لنظام بيتها وتربية اولادها ونحو ذلك من امور الدنيا كاحكام المعاملات - إن كانت في بيت غنى ونعمة - يختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال، كما تختلف بحسب ذلك الواجب على الرجال : ألا ترى الفقهاء يوجبون على الرجل النفقة والسكنى والخدمة اللائقة بحال المرأة ؟ ألا ترى ان فروض الكفایات قد اتسعت دائرتها فبعد أن كان اتخاذ السيوف والرماح والقسي كافيا في الدفاع عن الحوزة صار هذا الدفاع متوقفا على المدافع والبنادق والبوارج ، وعلى علوم كثيرة صارت واجبة اليوم ولم تكن واجبة ولا موجودة بالامس ؟ ألم تر ان مريض المرضى ومدأواة الجرحى كان يسيراً على النساء في عصر النبي (ص) وعصر الخلفاء رضي الله تعالى عنهم وقد صار الآن متوقفاً على تعلم فنون متعددة وتربية خاصة ؟ أي الامرین أفضل في نظر الاسلام : أتمرّض المرأة لزوجها إذا هو مريض أم اتخاذ ممرضة اجنبية تطلع على عورته وتكتشف غيبات بيته ؟ وهل يتيسر للمرأة أن تمرض زوجها أو ولدها إذا كانت جاهلة بقانون الصحة وباسماء الادوية ؟ نعم يتيسر لكثيرات قتل مرضاهن بزيادة مقادير الادوية السامة او يجعل دواء مكان آخر

(وقد ذكرنا في التفسير هنا كلاماً للمحدثين والفقهاء في حقوق كل من الزوجين على الآخر كقول الأكثرين : ان المرأة لا يجب عليها للرجل غير الطاعة في نفسها وحفظ نفسها وماله دون خدمة الدار، ورده بامر النبي (ص) بنته فاطمة بخدمة البيت و بامر علي بما كان في خارجه ، وجزم بعض المحققين من الحنابلة أن ذلك يرجع الى غرف الناس . ثم قلنا)

وما قضى به النبي (ص) بين بنته وربيبة وصهره عليها السلام هو ما قضى به فطرة الله تعالى وهو توزيع الاعمال بين الزوجين : على المرأة تدبير المنزل والقيام بالاعمال فيه : وعلى الرجل السعي والكسب خارجه ، وهذا هو المأثلة بين الزوجين في الجملة ، وهو لا يناق في استعانة كل منهما بالخدم والايحاء عند الحاجة الى ذلك مع القدرة عليه ، ولا مساعدة كل منهما للآخر في عمله إذا كانت هناك ضرورة ، وإنما ذلك هو الاصل والتقسيم الفطري الذي تقوم به مصلحة الناس وهم لا يستغنون في ذلك ولا في غيره عن التعاون (٢ : ٢٨٦ لا يكلف الله نفساً الا وسعها — وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله)

وإذا أردت أن تعرف مسافة البعد بين ما يعمل أكثر المسلمين وما يعتقدون من شريعتهم فانظري معاملتهم لنسائهم تجدهم يظلمونهم بقدر الاستطاعة، لا يصد أحدهم عن ظلم امرأته إلا العجز، ويحملونهم ما لا يحمله إلا بالتكلف والجهد، ويكثر الشكوى من قصيرهن، ولئن سألهم عن اعتقادهم فيما يجب لهم عليهن ليقولن كما يقول أكثر فقهاءهم إنه لا يجب لنا عليهن خدمة ولا طبخ ولا غسل ولا كنس ولا فرش، ولا ارضاع طفل، ولا تربية ولد، ولا اشراف على الخدم الذين نستأجرهم لذلك، إن يجب عليهن إلا المسكن في البيت والتمكين من الاستمتاع، وهذان الامران عديان، أي عدم الخروج من المنزل بغير إذن وعدم المعارضة بالاستمتاع، فالغنى أنه لا يجب عليهن للرجال عمل قط بل ولا للأولاد مع وجود آبائهم وأما قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) فهو يوجب علي المرأة شيئا وعلي الرجال أشياء، ذلك أن هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المنسرة بقوله تعالى (٤ : ٣٤) الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس لأن المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الامور، ولا تقوم مصلحة مجتمع إلا اذا كان لهم رئيس يرجع إلى رأيه في الخلاف، لتلا عمل كل على ضد الآخر فتتفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام، والرجل أحق بالرياسة لانه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وماله، ومن ثم كان هو المطالب شرعا بحماية المرأة والنفقة عليها وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف الخ

مقتضى الفطرة في أعمال الزوجين

هذا وان ماقرر في السنة من اقتسام أعمال الزوجية بين الرجل والمرأة هو مقتضى الفطرة - والاسلام دين الفطرة - فقد فضل الله الرجل في خلقته بقوة في الجسم والعقل كان بها أقدر على الكسب والحماية والدفاع الخاص بالاسرة، والعام للامة والدولة، ومن ثم فرض عليه النفقة، وبها كان الرجال قوامين على النساء، يتولون الرياسة العامة والخاصة التي لا يقوم النظام العام ولا الخاص بدونها،

فعلية جميع الاعمال الخارجية في أصل الفطرة ، وهذا ما عليه جميع أمم الحضارة ومن مقتضى الفطرة اختصاص المرأة بالحمل والرضاع وحضانة الاطفال وبيتهم وتدير المنزل بجميع شؤونه ، ولها الرياسة في جميع الاعمال الداخلية المحضة فيه قال النبي (ص) « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها » الحديث وهو متفق عليه ولا ينازع في تفضيل الله الرجل على المرأة في نظام الفطرة الا جاهل أو مكابر ، فهو أكبر دماغاً وأوسع عقلاً ، وأقوى عضلاً ، وأعظم استعداداً للعلوم وأقدر على مختلف الاعمال ، بل هو يؤدي وظيفته من حكمة الزوجية وهي النسل كإفراغ مادته بإرادته واختياره في طامة أحواله ، والمرأة ليس لها قدرة على مثل هذا وانما تنشأ فيها بويضات النسل في أوقات مخصوصة لا إرادة لها فيها ، والحيوان المنوي الذي يلقي هذه البويضات هو الذي يسمى البها في مكانها من مدخل الرحم الى مسيره فيلقحها وليست هي التي تسعى اليه ، بل هي لا تشاركه أيضاً في هذا السعي وانما تنتظره انتظاراً ، فمنه الحصول والفعل ، وعليها القبول والانفعال ، ويجد في البيضة التي يلقيها الغذاء الذي يكون به النمو . وانما الحركة والنمو من خاصيته لامنها . الى أن تتكون النطفة المتحددة بالتئمل في الاطوار فتكون جنينا لانسان كامل ، فكذلك يسعى الرجل ويكدح ويثقل ما يكسبه الى المرأة في الدار فتصرف فيه بما تقتضيه حاجته الاسرة من غذاء وغيره

ومن استقرأ طباع النساء السليات الفطرة من جنانية سوء التربية وفساد النظام يرى أن الثابت في غرائزهن ان خير الأزواج وأولام بالاختيار من كان قادراً على الكسب وحماية النسل وصيانتهم . وما تتوقف عليه تربيته الى أن يبلغ أشده . وقد ألفت غير واحدة من الصحف الانكليزية والاسيائية أسئلة على النساء فيمن يفضلن من الأزواج وصفات الرجال فجاءت أكثر أجوبتهن على ما ذكرنا . على أن هذا النظام الفطري الشرعي في الزوجية لا يمنع غير الزوجات والامهات من المسلمات أن يشتغلن بالتوسع في بعض العلوم والاعمال العامة بقدر استعدادهن ورغبتهم ، وانما الافضل والنافع لهن ولامتن وللانسانية كلها أن يتقن العلوم والاعمال الخاصة بالزوجية والامومة ، وقد صارت في هذا العصر كبيرة وكثيرة

(١٧ — رياسة الرجل في الاسرة شورية لاستبدادية)

وردت النصوص الكثيرة في كتاب الله وسنة رسوله محمد خاتم النبيين في جعل ادارة المنزل والاسرة مقيدة باوامر الشريعة ونواهيها وبالعرف المرعي بين الناس في المعاشرة بالمعروف وحفظ الكرامة في حالي الحب والكراهة والرضا والسخط قال الله تعالى (٤ : ١٩) وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَعَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)

وقال النبي (ص) «لا يفرك (١) مؤمن مؤمنة : إن كره منها خلقا رضي آخر» . رواه مسلم من حديث جابر - والفرك ضد العشق بين الزوجين . فالحديث بمعنى الآية . والنهي فيه مبني على أن الاصل في الزوجين التعاطف التام ، فان حرمانته فليتنجنا اسباب الكراهة والبغض . وخص النبي (ص) الرجل بالنهي عن الفرك لزيادة العناية بشأن المرأة - وهو يتضمن نهيا عن فركه بالاولى - لان العرب كانت تسند الفرك الى النساء في الأكثر ، والتمارك منهن ضد العروب بفتح العين المتحبة الى زوجها والقاعدة الشرعية في نظام المنزل التزام كل من الزوجين العمل بارشاد الشرع في كل ما هو منصوص عليه ، والتشاور والتراضي في غير المنصوص عليه ومنع الضرر والضرار بينهما وعدم تكليف احدهما الآخر ما ليس في وسعه ، والاصل في قاعدة هذه الاحكام كلها قوله تعالى (٢ : ٢٢٣) وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوَائِينَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْصَبَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، لا تكلف نفس إلا وسعها ، لا تضار ولدة بولدها ولا مولوداه بولديه ، وعلى الوارث مثل ذلك فإن ارادا فصلا عن تراضٍ منهما وتشاورٍ فلا جناح عليهما) الآية . وهي في الوالدات المطلقات فالتابات الزوجية أولى منهن بالتراضي والتشاور مع الوالد فيما فيه المصلحة لولدها . وهو يدخل في وصفه تعالى للمؤمنين بقوله (٤٢ : ٣٨)

(١) فرك مثال ضرب يضرب

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَنَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

وقال (ص) استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج (١) ومعناه أن في طبع المرأة عوجاً في صلابة خلقية لحكمة في ذلك فهي كالضلع في عوجها وتقوسه لحكمة، فيجب على الرجل أن لا يحاول تقويم هذا العوج بالقوة، وإن يستوصي بها خيراً على ما هي عليه مما هو طبع لها، وإنما يكون التأديب على العوج والميل عن الصواب والمصلحة في الأمور العادية التي يمكن تركها بدون مقاومة للطبع

وقال (ص) خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي (٢) وقال «خيركم خيركم للنساء» (٣) وقال خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم (٤) وقال (ص) لعمر حين سأله عن آية الوعيد على كنز للذهب والفضة «ألا أخيرك بخير ما يكثر؟ المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته» (٥)

واننا نزيد موضوع تفضيل الرجال على النساء والمساواة شرحاً لما قد تجدد في هذا العصر من البحث فيه ومن طلب المساواة التامة بين الجنسين التي جرت نساء أوربة على المطالبة بها وإلحاحهن في الطلب بعد الحرب العالمية الكبرى أنهن تولين فيها أكثر أعمال الرجال في الكسب والاتفاق ووجدنهن ألوف الألوف أرامل وعوانس لا كافل لهن من الرجال، فنشرجه بما يعلم به القارىء أن نساء العرب استشرفن إلى مثله في صدر الإسلام بما نفعه من روح الحياة فيهن، وأن الوحي طالعهم فلا جأ لا يمكن أن يعالج في بلاد الأفرنج إلا به فتقول :

(١) رواه الشيخان في صحيحيهما، وفي رواية كالضلع (٢) رواه الترمذي عن عائشة وابن ماجه عن ابن عباس والطبراني عن معاوية وهو صحيح (٣) رواه الحاكم عن ابن عباس (٤) رواه ابن عساکر عن علي وهو صحيح كما علم عليه السيوطي في الجامع الصغير (٥) رواه ابن أبي شيبة وأبو داود وأبو يعلى وغيرهم

١٨ - وظائف الرجال والنساء وأعمالهما

قال الله تعالى في سورة النساء (٤ : ٣٢) وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)

ذكرنا في الجزء الخامس من تفسير المنار انه ورد في سبب نزول هذه الآية و موضوعها ثلاث روايات (الاولى) عن مجاهد ان ام سلمة زوج النبي (ص) قالت يا رسول الله : يخزو الرجال ولا تغزو ، وانما لنا نصف الميراث (الثانية) عن عكرمة ان النساء سألن الجهاد فقلن : وددنا ان الله جعل لنا الغزو فنصيب من الاجر ما يصيب الرجال (الثالثة) عن قتادة والسدي قالوا لما نزل قوله تعالى (للذكر مثل حظ الانثيين) قال الرجال : انا لندرجو ان تحصل على النساء بحسناتنا كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون اجرنا على الضعف من اجر النساء . وقالت النساء : انا لندرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كالنساء الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا . كل هذا قد قيل ونزلت الآية فاصلة فيه وفي غيره مما في معناه . ونقلنا عن استاذنا الامام في تفسيرها ما نصه :

سبب تلك الروايات الحيرة في فهم الآية ومعناها ظاهر وهو ان الله تعالى كلف كلا من الرجال والنساء أعمالا فلما كان خاصا بالرجال لهم نصيب من أجره لا يشاركهم فيه النساء ، وما كان خاصا بالنساء لهم نصيب من أجره لا يشاركهن فيه الرجال ، وليس لاحد أن يتمنى ما هو مختص بالآخر ، وجعل الخطاب عاما للفريقين مع أن الرجال لم يتمنوا أن يكونوا نساء ولا أن يعملوا عمل النساء وهو الولادة وتربية الاولاد وغير ذلك مما هو معروف وانما كان النساء هن اللواتي تمنين عمل الرجال ، وأي عمل الرجال تمنين ؟ تمنين أخص أعمال الرجولة وهو حماية الدمار والدفاع عن الحق بالقوة ، وفي هذا التعبير عناية بالنساء وتلطف بهن وهن موضع للرأفة والرحمة لضعفهن واخلاصهن فيما تمنين . والحكمة في ذلك أن لا يظهر ذلك التمني الناشئ عن الحياة المليئة بالشرف (منهن) فان تمنى مثل هذا العمل

تخريب من النساء جدا ، وسببه أن الامة في عنفوان حياتها يكون النساء والاطفال فيها مشتركين مع الرجال في هذه الحياة وفي آثارها ، وانها تسري فيها سر يانا عجيبا ، ومن عرف تاريخ الاسلام ونهضة العرب به وسيرة النبي (ص) والمؤمنين به في زمنه يرى أن النساء كن يسرن مع الرجال في كل منقبة وكل عمل فقد كن يأتين ويبايعن النبي (ص) تلك المبايعة المذكورة في (سورة الممتحنة) كما كان يبايعه الرجال ، وكن ينفرن معهم اذا تفرعوا للقتال ، يخدمن الجرحى ويأتين غير ذلك من الاعمال ، فاراد الله أن يختص النساء باعمال البيوت والرجال بالاعمال الشاقة التي في خارجها ليتقن كل منعهامه ، ويقوم به كما يجب مع الاخلاص له . وتنكير لفظ « نصيب » لافادة أن ليس كل ما يعمله العامل يؤجر عليه وانما الاجر على ما عمل بالاخلاص - أي في الكلام حث ضمنى عليه - (واسألوا الله من فضله) أي ليسأله كل منكم الامانة والقوة على ما ينط به حيث لا يجوز له ان يمتنى ما ينط بالآخر . ويدخل في هذا النهي تمنى كل ما هو من الامور الخلقية كالجمال والعقل إذ لا فائدة في تمنى ما لم يعطها . ولا يدخل فيه ما يقع تحت قدرة الانسان من الامور الكسبية اذ يحمد من الناس أن ينظر بعضهم الى ما نال الآخر ويتمنى لنفسه مثله وخيرا منه بالسعي والجهد ، كأنه يقول وجهوا أنظاركم الى ما يقع تحت كسبكم ، ولا توجهوها الى ما ليس في استطاعتكم ، فانما الفضل بالاعمال الكسبية فلا تتمنوا شيئا بغير كسبكم وعملكم اه المراد نقله

١٩ - درجة الرجال على النساء - الرياسة

(وكونهن معهم قسمين صالحات وناشرات)

بعد هذا النهي لكل من الرجال والنساء عن تمنى ما اختص به الآخر يقتضى الفطرة التي أكلها الله بدين الفطرة بين لنا عز وجل سبب التفضيل بقوله :

(٤ : ٣٤) الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا

وقد كتبت في تفسيرها من الجزء الخامس ما نصه :

أي ان من شأنهم المعروف المعهود القيام على النساء بالحماية والرقابة والولاية والكفاية ومن لوازم ذلك أن يفرض عليهم الجهاد دونهن فانه يتضمن الحماية لهن، وأن يكون حظهم من الميراث أكثر من حظهن، لان عليهم من النفقة ما ليس عليهن، وسبب ذلك أن الله تعالى فضل الرجال على النساء في أصل الخلقة، وأعطاهم ما لم يعطهن من الحول والقوة، فكان التفاوت في التكاليف والاحكام، أثر التفاوت في القطرة والاستعداد، وثم سبب آخر كسبي يدعم للسبب القطري، وهو ما يتفق الرجال على النساء من أموالهم، فان في المهور تعويضا للنساء ومكافأة على دخولهن بمقصد الزوجية تحت رياسة الرجال، فالشريعة كرمت المرأة إذ فرضت لها مكافأة عن أمر تقتضيه القطرة ونظام المعيشة وهو أن يكون زوجها قيا عليها فجعل هذا الامر من قبيل الامور العرفية التي يتواضع الناس عليها بالمعقود لاجل المصلحة، كأن المرأة تنازلت باختيارها عن المساواة التامة، وسمحت بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة هي درجة القيامة والرياسة ورضيت بعوض مالي عنها، فقد قال تعالى: ٢٢٧.٢ ولهن مثل الذي عليهن المعروف وللرجال عليهن درجة) فالآية أوجبت لهن هذه الدرجة التي تقتضيها القطرة، لذلك كان من تكريم المرأة اعطاؤها عوضاً ومكافأة في مقابلة هذه الدرجة، وجعلها بذلك من قبيل الامور العرفية لتكون طيبة النفس مثلجة الصدر قريرة العين. ولا يقال ان القطرة لا تحير المرأة على قبول فقد يجعلها مرءوسة للرجل بغير عوض، فاننا نرى النساء في بعض الامم يعطين الرجال المهور ليكن تحت رياستهم، فهل هذا إلا بدافع القطرة الذي لا يستطيع عصيانته إلا بعض الافراد ؟

الاستاذ الامام : المراد بالقيام هنا هو الرياسة التي يتصرف فيها المرءوس بإرادته واختياره، وليس معناها أن يكون المرؤوس مقهوراً مسلوب الإرادة لا يعمل عملاً الا بما يوجهه اليه رئيسه، فان كون الشخص قيا على آخر هو عبارة عن ارشاده والمراقبة عليه في تنفيذ ما يرشده اليه أي ملاحظته في أعماله وترتيبه، ومنها حفظ المنزل وعدم مفارقتها ولولنحو زيارة أولي القربى الا في الاوقات والاحوال التي يأذن بها الرجل ويرضى (قال) والمراد بتفضيل بعضهم على بعض تفضيل الرجال على النساء ولو قال (بما فضلهم عليهن) أو قال (بتفضيلهم عليهن) لكان أخصر وأظهر فيما قلنا انه المراد، وانما الحكمة في هذا التعبير هي عين الحكمة في قوله (ولا تمنوا ما فضل الله

به بعضكم على بعض) وهي اقادة أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الاعضاء من بدن الشخص الواحد : فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن (أقول) يعني أنه لا ينبغي للرجل أن يبغي بفضل قوته على المرأة ولا للمرأة أن تستغل فضله وتعدده خافضا لقدرها، فانه لا طار على الشخص ان كان رأسه افضل من يده وقلبه اشرف من معدته مثلاً، فان تفضيل بعض اعضاء البدن على بعض يجعل بعضها رئيساً دون بعض انما هو لمصلحة البدن كله لا ضرر في ذلك على عضوما، وانما تتحقق وتثبت منفعة جميع الاعضاء بذلك . كذلك مضت الحكمة في فضل الرجل على المرأة في القوة والقدرة على الكسب والحماية ، ذلك هو الذي يتيسر لها به القيام بوظيفتها الطبيعية وهي الحمل والولادة وتربية الاطفال وهي آمنة في سربها، مكفية ما يهملها من أمر رزقها. وفي التعبير حكمة اخرى وهي الاشارة الى أن هذا التفضيل إنما هو للجنس على الجنس لا لجميع افراد الرجال على جميع افراد النساء، فكم من امرأة تفضل زوجها في العلم والعمل به وفي قوة البنية والقدرة على الكسب؟ الخ

٢٠ - صفة الزوجات الصالحات

ثم قال تعالى ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ هذا تفصيل لحال النساء في هذه الحياة المنزلية التي تكون المرأة فيها تحت رياسة الرجل ، ذكر أنهن فيها قناتان: صالحات وغير صالحات. وأن من صفة الصالحات القنوت وهو السكون والطاعة لله تعالى وكذا لاوزاجهن بالمعروف ، وحفظ الغيب

قال الثوري وقتادة : حافظات للغيب يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال، وروى ابن جرير والبيهقي من حديث ابي هريرة ان النبي (ص) قال «خير النساء التي اذا نظرت اليك سرتك ، واذا أمرتها أطاعتك ، واذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها ، وقرأ (ص) الآية . وقال الاستاذ الامام الغيب هنا هو ما يستجيب من اظهاره اي حافظات لكل ما هو خاص بأمور الزوجية الخاصة بالزوجين فلا يطلع أحد منهن على شيء مما هو خاص بالزوج

أقول ويدخل في قوله هذا وجوب كتمان كل ما يكون بينهما وبين أزواجهن في الخلوة ولا سيما حديث الرفث فما بالك بحفظ العرض . وعندي ان هذه العبارة أبلغ ما في القرآن من دقائق كنايات الزهامة، تقرأها خرائد العذارى جهرًا، ويختمون

ما توميء اليه مما يكون سرا ، وهن على بعد من خطرات الخجل أن تمس وجدانهن الرقيق بأطراف اناملها ، فقلوبهن الامان من تلك الخبايا ، التي تدفع الدم إلى الوجنت ، تاهيك بوصل حفظ الغيب (بما حفظ الله) فلا تقال السريخ من ذكر ذلك الغيب الخفي ، الى ذكر الله الجلي ، يصرف النفس عن التماذي في التفكير فيما يكون وراء الاستار ، من تلك الخفايا والاسرار ، وتشغلها بمراقبته عز وجل وفسروا قوله تعالى (بما حفظ الله) بما حفظه لمن في مهوذهن وايحاب الثقة لمن - يريدون انهن يحفظن حق الرجال في غيبتهن جزاء على المهر ووجوب الثقة المحفوظين لمن في حكم الله تعالى . وما أراك إلا ذاهبا معي إلى وهن هذا القول وهزله ، وتكريم اولئك الصالحات بشهادة الله تعالى أن يكون حفظهن لذلك الغيب من يد تلمس ، أو عين تبصر ، أو أذن تسترق السمع ، مطلا بدراهم قبضن ، ولقيات يرتقبن . ولعلك بعد أن تسمع هذا القول قبل ذوقك ما قبله ذوقي وهو أن الباء في قوله (بما حفظ الله) هي صنو باء (لا حول ولا قوة إلا بالله) وأن المعنى حافظات للغيب يحفظ الله أي بالحفظ الذي يؤتيهن الله إياهن بمصالحهن فان الصالحة يكون لها من مراقبة الله تعالى وتقواه ما يجعلها محفوفة من الخيانة ، قوية على حفظ الامانة . وحافظات له بسبب أمر الله بحفظه ، فهن يطمعن ويمعنن الهوى ، فعسى ان يصل معنى هذه الآية الى نساء عصرنا اللواتي يتفكهن بأفشاء اسرار الزوجية ولا يحفظن الغيب فيها (١)

٢١ - حكم الزوجات الناشئات

الاستاذ الامام : ان هذا القسم من النساء ليس للرجال عليهن شيء من سلطان التأديب وانما سلطانهم على القسم الثاني الذي بينه وبين حكمه بقوله عز وجل : واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن (النشوز في الاصل بمعنى الارتفاع - فالمرأة التي تخرج عن حقوق الرجل قد ترفعت عليه وحاولت ان تكون فوق رئيسها بل ترفعت ايضا عن طيعتها وما يقتضيه نظام العشرة

(١) قال رسول الله (ص) « ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم ينشر احدهما سر صاحبه » وفي رواية التعبير عن ذلك بأنه (من أعظم الاهاية عند الله) رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وفي المسند والسنة أحاديث في هذا المعنى

في التعامل فتكون كالناشر من الارض الذي خرج عن الاستواء . وقد فسر بعضهم خوف النشوز بتوقعه فقط وبعضهم بالعلم به . ولكن يقال لم ترك لفظ العلم واستبدل به لفظ الخوف ؟ او لم يقل (واللاتي ينشزن) ؟ لا جرم ان في تعبير القرآن حكمة لطيفة وهي ان الله تعالى لما كان يجب ان تكون المعيشة بين الزوجين معيشة محبة ومودة وتراض والتسام لم يشأ ان يستند النشوز الى النساء إسنادا يدل على ان من شأنه ان يقع منهن فعلا بل عبر عن ذلك بعبارة توميء الى أن من شأنه ان لا يقع لانه خروج عن الاصل الذي يقوم به نظام الفطرة وتطبيب به المعيشة - ففي هذا التعبير تنبيه لطيف الى مكانة المرأة وما هو الاولى في شأنها ، والى ما يجب على الرجل من السياسة لها وحسن التلطف في معاملتها ، حتي اذا آنس منها ما يخشى ان يؤول الى الترفع وعدم القيام بحقوق الزوجية فعليه اولا ان يبدأ بالوعظ الذي يرى انه يؤثر في نفسها

والوعظ يختلف باختلاف حال المرأة فمنهن من يؤثر في نفسها التخويف من الله عز وجل وعقابه على النشوز ، ومنهن من يؤثر في نفسها التهديد والتحذير من سوء العاقبة في الدنيا كشمانة الاعداء والمنع من بعض الرغائب كالثياب الحسنة والحلي والرجل العاقل لا يخفى عليه الوعظ الذي يؤثر في قلب امرأته

واما الهجر فهو ضرب من ضروب التأديب لمن تحب زوجها ويشق عليها هجره إياها ولا يتحقق هذا بهجر المضجع نفسه وهو الفراش ، ولا بهجر الحجرة التي يكون فيها الاضطجاع ، وانما يتحقق بهجر في الفراش نفسه . وتعمد هجر الفراش او الحجرة زيادة في العقوبة لم يأذن بها الله تعالى وربما يكون سببا لزيادة الجفوة ، وفي الهجر في المضجع نفسه معني لا يتحقق بهجر المضجع أو البيت الذي هو فيه لان الاجتماع في المضجع هو الذي يهيج شعور الزوجية فتسكن نفس كل من الزوجين الى الآخر ويزول اضطرابها الذي اثارته الحوادث قبل ذلك فاذا هجر الرجل المرأة وأعرض عنها في هذه الحالة رجي أن يدعوها ذلك الشعور والسكون النفسي الى سؤاله عن السبب ويهبط بها من نشز المخالعة ، الى صنف (١) الموافقة ، وكأني بالقاريء وقد جزم بأن هذا هو المراد ، وان كان مثلي لم يره لاحد من الاموات ولا الاحياء ،

وأما الضرب فشرط فيه أن يكون غير مبرح وروى ذلك ابن جرير مرفوعا إلى النبي (ص) والتبريح الإيذاء الشديد، وروى عن ابن عباس (رض) تفسيره بالضرب بالسواك ونحوه . أي كالضرب باليد أو بقطعة صغيرة

وقد وردت أحاديث كثيرة في تقبيح الضرب والتنهي عنه منها حديث عبد الله ابن زهرة في الصحيحين وغيرهما قال قال رسول الله (ص) «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم؟» وفي رواية عن عائشة عند عبد الرزاق «أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد؟ يضربها أول النهار ثم يجامعها آخره» يذكر الرجل بأنه إذا كان يعلم من نفسه أنه لا بد له من ذلك الاجتماع والاتصال الخاص بامرأته وهو أقوى وأحكم اجتماع يكون بين اثنين من البشر يتحد أحدهما بالآخر اتحادا تاما، فيشعر كل منهما بأن صلته بالآخر أقوى من صلة بعض أعضائه ببعض - إذا كان لا بد له من هذه الصلة والوحدة التي تقتضيها الفطرة. فكيف يليق به أن يجعل امرأته وهي كنفه، مهينة كهانة عبده، بحيث يضربها بسوطه أو يده؟ حقا أن الرجل الحلي الكريم ليتجافى به طبعه عن مثل هذا الجفاء، ويأبى عليه أن يطلب منتهى الاتحاد بمن ارتطها مترلة الاماء. قال حديث ابلغ ما يمكن أن يقال في تشنيع ضرب النساء

وأذكر أنني هديت إلى معناه العالي قبل أن اطلع على لفظه الشريف، فكنت كلما سمعت أن رجلا ضرب امرأته أقول يا لله العجب كيف يستطيع الإنسان أن يعيش عيشة الأزواج مع امرأة تضرب؟ تارة يسطو عليها بالضرب، فتكون منه كالشاة من الذئب، وتارة يذل لها كالعبد، طالبا منتهى القرب. ولكن لا ننكر أن الناس متفاوتون فمنهم من لا تطيب له هذه الحياة، فإذا لم تقدر امرأته بسوء تربيتها تكريمه إياها حق قدره، ولم ترجع عن نشوزها بالوعظ والمعجران، فارقها بمعروف وسرحها بإحسان، إلا أن يرجو صلاحها بالتحكيم الذي أرشدت إليه الآية، ولا يضرب فإن الاختيار لا يضربون النساء، وإن أيسح لم ذلك للضرورة فقد روى البيهقي من حديث أم كلثوم بنت الصديق (رض) قالت كان الرجال نهوا عن ضرب النساء ثم شكوهن إلى رسول الله (ص) بأنهن تمردن عليهم حتى قال عمر يا رسول الله قد ذئر النساء على أزواجهن، أي تمردن وعتين في النشوز والجرأة، فغلى بينهم وبين ضرمن ثم قال «ولن يضرب خياركم» فما أشبه هذه الرخصة بالحظر. وجملة القول أن الضرب

علاج مر، قد يستغني عنه الخير الحر، ولكنه لا يزول من البيوت بكل حال، او
يعم التهذيب النساء والرجال.

قال تعالى (فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) قال الاستاذ الامام أي ان اطعنكم
بواحدة من هذه المصالح التأديبية فلا تبغوا بتجاوزها الى غيرها طريقا، فابدأوا بما
بدأ الله به من الوعظ، فان لم يغد قليهجر، فان لم يغد فليضرب، فاذا لم يغد هذا ايضا يلجأ
الى التحكيم، ويفهم من هذا ان الصالحات القافات لاسيلا عليهن حتى في الوعظ
والنصح، فضلا عن الهجر والضرب (ان الله كان عليا كبيرا) فان سلطانه عليكم
فوق سلطانتكم على نساكنكم، فاذا بغيت عليهن ما قبكم، واذا تجاوزتم عن ذنوبهن
كرما وشما تجاوزهنكم، قال الاستاذ أني بهذا بعد النهي عن البغي لان الرجل انما
يبغي على المرأة بما يحسه في نفسه من الاستغلاء عليها وكونها كبر منيا واقدرا، فذكره
تعالى بعلوه وكبريائه وقدرته عليه ليتعظ وينشع ويتقي الله فيها. واعلموا ان الرجال
الذين يحاولون بظلم النساء ان يكونوا سادة في بيوتهم، انما يلدون عبيدا لنيرهم اه يعني
ان اولادهم يتربون على ذل الظلم فيكونون كالعبيد الاذلاء لمن يحتاجون الى المعيشة معهم

٢٢ - التحكيم بين الزوجين

قال تعالى بعد ما ذكر (٤ : ٣٥) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَغُوا
حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا
الخلاف بين الزوجين قد يكون بنشوز المرأة وقد يكون بظلم من الرجل، فالنشوز يعالجه
الرجل بأقرب التأديبات الثلاثة المبينة في الآية التي قبل هذه الآية فاذا تبادى هو في ظلمه
او عجز عن إزالتها عن نشوزها وخيف ان يحول الشقاق بينهما دون إقامتهما للحدود
الله تعالى في الزوجية باقامة اركانها الثلاثة : السكون والمودة والرحمة - وجب على
المؤمنين المتكافلين في مصالحهم ومنافعهم ان يمشوا حكاما من اهلهم وحكاما من اهلها، طرفين
بأحوالهم وأحوالها. ويجب على هذين الحكيم ان يوجها إرادتهما إلى إصلاح ذات
البلين. ومضى صدقت الارادة كان التوفيق الالهي رفيقها ان شاء الله تعالى. ويجب
الخنوع لحكم الحكيم والعمل به - فخوف الشقاق توقعه بظهور أسبابه.
والشقاق هو الخلاف الذي يكون به كل من المختلفين في شق اى في جانب. والحكم
(بالتحريك) من له حق الحكم والتفصل بين الخصمين. والمراد ببعثها ارسالها
الى الزوجين لينظرا في شكوى كل منهما، ويعرفا ما يرجي أن يصلح بينهما،
ويسترضوها بالحكيم، واعطاؤهما حق الجمع والتفريق اه المراد هنا من تفسيرنا للآية

٢٣ - نشوز الرجل وإعراضه وعلاجه بالصلح أيضا

قال الله تعالى في نشوز الرجل (١٢٨:٤) وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا - وَالصُّلْحُ خَيْرٌ - وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) ارشد الله الزوجين إلى الصلح عند خوف المرأة نشوز زوجها وإعراضه التام عنها ، وذكرهما بما يحول دون الوفاق من طباع النفس ، وهو بخل كل منهما بأداء ما عليه من الواجب وحرصه على استيفاء كل ماله من الحق ، بل يقصر كل فيما عليه ، ويطالب الآخر بأكثر مما عليه ، ولا سيما المرأة — فإن الشح جامع لمعني البخل والحرص ، فاحضار الانفس الشح عبارة عن كونها حاضرة له بطبعها لا تكاد تفارقه الا بمعالجة وعزيمة قوية . ثم وصف لها هذا العلاج بما يرغبها فيه وهو الاحسان في المعاملة الذي قد يكون فوق أداء الواجب ، واتقاء الله في منع الحقوق او المطالبة بأكثر منها طاعة لشح النفس . وما خلاصة معنى الآية من تفسير المنار (ص ٤٤٥ ج ٥)

اي وان خافت امرأة (من بعلها نشوزاً) وترفعاً عليها (أو إعراضاً) عنها، بأن ثبت لها ذلك وتحقق ولم يكن وهماً مجرداً ، او وسواساً عارضاً ، وذلك ان المرأة إذا رأت زوجها مشغولاً بأكبر العظائم المالية او السياسية، أو حل أعوص المسائل العلمية، او بغير ذلك من المشاكل الدنيوية او المهمات الدينية — لاتعد ذلك عذراً يبيح له الاعراض عن مسامرتها او منادمتها، او الرغبة عن مناعاتها ومبايعتها . والواجب عليها أن تتبين وتتثبت فيما تراه من أمارات النشوز والاعراض فإذا ظهر لها ان ذلك لسبب خارجي لا لكراهتها والرغبة عن معاشرتها بالمعروف فعليها أن تعذر الرجل وتصبر على ما لا تحب من ذلك . وان ظهر لها ان ذلك لكراهته إياها ورغبته عنها فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً أي فلا جناح عليها ولا عليه في الصلح الذي يتفقان عليه بينهما كأن تسمح له ببعض حقهما عليه في النفقة او المبيت معها.

أو بحقها كله فيما أو في أحدهما لتبقي في عصمته مكرمة (١) أو تسبح له ببعض المهر ومتعة الطلاق أو بكل ذلك ليطلقها — فهو كقوله تعالى في سورة البقرة (فلا جناح عليهما فيما اقتصدت به) وإنما يحل للرجل ما تعطيه من حقها إذا كان برضاها لا اعتقادها انه خير لها، من غير أن يكون ملجئا إياها إليه بما لا يحل له من ظلمها أو إهانتها

قال تعالى ﴿ والصالح خير ﴾ أي من التسريح والفراق وإن كان باحسان وأداء المهر والمتعة وحفظ الكرامة كما هو الواجب على المطلق — لأن رابطة الزوجية من أعظم الروابط وأحقها بالحفظ، وميثاقها من أغلظ المواثيق وأجدرها بالوقاة .
﴿ وأحضرت الانفس الشح ﴾ البخل الناشئ عن الحرص ، ومعنى إحضاره الانفس انها عرضة له ، فإذا جاء مقتضى البذل ألم بها ونهاها ان تبذل ما ينبغي بذله لأجل الصالح وإقامة المصلحة ، فالتساء حريصات على حقوقهن في القسم والنفقة وحسن العشرة شحيحات بها ، والرجال أيضا حريصون على أموالهم أشدة بها ، فينبغي لكل منهما ان يتذكر ان هذا من ضعف النفس الذي يضره ولا ينفعه ، وأن يعالجه فلا ييخل بما ينبغي بذله والتساع فيه لأجل المصلحة — فإن من أقبح البخل ان ييخل أحد الزوجين في سبيل مرضاة الآخر بعد ان افضى بعضهما الى بعض وارتبطا بذلك الميثاق العظيم ، بل ينبغي ان يكون التسامح بينهما أوسع من ذلك وهو ما تشير اليه الجملة الآتية :

﴿ وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ أي وإن تحسنوا العشرة فيما بينكم فتراحوا وتعاطفوا ويحذر بعضكم بعضا وتتقوا النشوز والاعراض ، وما يترتب عليهما من منع الحقوق أو الشقاق ، فإن الله كان بما تعملونه من ذلك خبيرا لا يخفى عليه شيء من دقائقه وخفائيه ، ولا من قصدكم فيه ، فيجزى الذين احسنوا منكم بالحسن ، والذين اتقوا بالعاقبة الفضلى اه باختصار

ثم بين لنا في الآيتين اللتين بعده هذه أن عدل الرجل بين النساء غير مستطاع ولا سيما في الحب وإنما عليه ما يملك من العدل في النفقة والمعاشرة وأن يكبح جماح الميل النفسي بقوة الإرادة حتى لا يفحش فيه فتكون المائل عنها كالمعلقة التي لا هي متزوجة ولا خلية — وأنهما إذا تفارقا لتعذر إقامة حدود العدل والتراضي فإن الله يعني كلامهما عن الآخر بفضلله

(١) هذا ما فسرت به الصالح عائشة أم المؤمنين (رض) قالت هي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها (أي من معاشرتها لكبر سن أو مرض أو غير ذلك) فريد طلاقها أو يزوج غيرها فتقول امسكني ولا تطلقني ثم تزوج غري فأت في حل من النفقة علي . القسمة لي الخ رواء البخاري وغيره عنها . ومثل هذا يقع كثيرا باختيار المرأة لمصلحتها

تعدد الزوجات

أيتها السيدات الكرام

كأنني بكن وقد سمعتن أو قرأتن ما كتبت له لكن مما جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين من تكريمكم وإثبات مشاركتكم للرجال في جميع الأمور الدينية والحقوق الإنسانية — ترفضن أصواتكم قائلات : آمنا وصدقنا بأن هذا إصلاح لم يسبق للإسلام إليه دين، ولم يبلغ شأوه محمد فيه نبي ولا حاكم ولا حكيم، ولكن ما بال تعدد الزوجات بقي في دينه، باحاً حتى أنه هو نفسه لم يشره عنه، بل أباح له شرعه الإلهي منه أكثر مما أباح لغيره من رجال أمته ؟
ألا إن لكن أن تسألن هذا السؤال، وعلى أن أدلي اليكن بالجواب :

٢٤ — مقدمة في تاريخ تعدد الزوجات وأصله

يقول الباحثون في طبائع البشر، وتواريخ البدو والحضر، أن تعدد الزوجات في الاقطار الكثيرة التي اعتاده أهلها هو أثر ما كان من ابتزاز النساء واتخاذ الأقوياء والأغنياء العدد الكثير منهن للاستمتاع والخدمة والعظمة، ولذلك كان خاصاً بالملوك والأمراء والرؤساء والأغنياء، وكان يكثر في البلاد الحارة التي يغتن أهلها بشهوة الاستمتاع، وكثرة التنقل بين الحسان وصغار السن من النساء — وكان عند بعضهم استرقاقاً محضاً، ثم وجد الجمع بين نكاح الحرائر والاستمتاع بالجوارى المملوكات. فقدماء اليونان الإثنيين كانوا يبيعون النساء في الأسواق، ويبيحون تعدد الزوجات بغير حساب. وقد أباح الإسبرطيون تعدد الأزواج للمرأة الواحدة كاهل (البيت) دون تعدد الزوجات للرجل. وكان التعدد قاشياً في أوروبا عند الغولوا في زمن سيزار ومعروفاً عند الجرمانيين في زمن ناسيت. وقد فشا في الرومان فعلاً لا قانوناً حتى حظره جوستيان في قوانينه ولكنه ظل قاشياً بالفعل، وأباحه بعض البابوات لبعض الملوك بعد الإسلام كشرلمان ملك فرنسا الذي كان معاصراً للخليفة المهدي والرشيد من العباسيين. وقد اختلفت عادات الناس فيه بين الأمم

في جميع القارات والجزائر الجنوبية وما شذ عن ذلك إلا اهل اوربة في القرون الاخيرة، ولكنهم استبدلوا بتعدد الزوجات الشرعيات السفاح واتخاذ الاخذان كما تقدم، وسيأتي مزيد بسط له في بحث التسري

على ان النساء في اوربة قد كن مهيئات كالاماء عند اولئك الوثنيين حتى في اعراضهن، الى ما بعد ظهور الاصلاح الاسلامي الحمدي بقرون. والشواهد التاريخية على هذا كثيرة

يقول الفيلسوف هربرت سبنسر الانكليزي في كتابه (علم وصف الاجتماع) إن الزوجات كانت تباع في انكلترا فيما بين القرن الخامس والقرن الحادي عشر، وانه حدث اخيراً في القرن الحادي عشر ان المحاكم الكنسية سنت قانوناً ينص على ان للزوج ان ينقل (أو يعير) زوجته الى رجل آخر لمدة محدودة حسبما يشاء الرجل المنقولة اليه المرأة (١) وشر من ذلك ما كان للشريف النبيل (الحاكم) روحانياً كان اوزمينا من الحق في الاستمتاع بامراة الفلاح الى مدة اربع وعشرين ساعة من بعد عقد زواجها عليه (اي على الفلاح)

وفي سنة ١٥٦٧ ميلادية صدر قرار من البرلمان الاسكوتلاندي بأن المرأة لا يجوز ان تمنح اي سلطة على اي شيء من الاشياء

واغرب من هذا كله ان البرلمان الانكليزي اصدر قراراً في عصر هنري الثامن ملك انكلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد أي يحرم على النساء قراءة الانجيل وكتب رسل المسيح. فأين هذا من وضع الصحابة المصحف الاول الذي كتب في خلافة أبي بكر عند امرأة وهي حفصة أم المؤمنين ثم كتابة نسخ المصاحف التي وزعت على الامصار في خلافة عثمان عن ذلك المصحف. ولم تخل البلاد الاسلامية من نساء يحفظن القرآن كله حفظاً تاماً من عصر الصحابة إلى عصرنا هذا (٢) ومن العجيب ان بعض الناس الذين جمعوا بين الزواج والتسري كانوا يحرصون على شرف الزوجات ويذلون جواربهم لضيقهم وأكابر قومهم يستمتعون بهن كما

(١) من الغرائب التي نقلت عن بعض صحف انكلترة في هذه الايام انه لا يزال يوجد في بلاد الارياك الانكليزية رجال يبيعون نساءهم بمن يخس جداً كتلاتين شلنا وقد ذكرت اسماء بعضهم

(٢) كان المناسب وضع هذه النصوص التاريخية في مقدمة الرسالة

قل عن اهل جزيرة فيني . ونقل عن بعض وثني امريكا الشمالية ان من تزوج امرأة منهم حلت له جميع اخواتها ، وقالوا ان هذا قد انتشر كثير في كولومبيا وغيرها . وكان تعدد الزوجات شائعا بين اليهود قبل المسي في ملوكهم وانبيائهم وناهيك بدادود وسليمان عليهما السلام . وكانت البنت مهينة عندهم حتى كان بعضهم يبيع لايها يبيعها . وهالك النص المقدس عندهم لا عندنا في نساء اعظم انبيائهم وملوكهم داود وسليمان عليهما السلام

جاء في الفصل الخامس من سفر صموئيل الثاني ٧ فقال ناثان لداود انت هو الرجل ، هكذا قال الرب اله اسرائيل : انا مسحك ملكا على اسرائيل واخذتك من يد شاول واعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك ثم وبخه على قتله لاوريا الحثي واخذ زوجته وقل (١١) هكذا قال الرب : ها نذا اقيم عليك الشر من بيتك واخذ نساءك امام عينيك ، واعطيهن لقرييسك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس) وسأذكر خير اوريا مع داود عند الكلام على زينب أم المؤمنين وفي الفصل الحادي عشر من سفر الملوك الاول مانعه ٨ واحب سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون . موآيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحثيات ٢ من الامم الذين قال عنهم الرب لبي اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم يدخلون اليكم لانهم يجعلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ٣ وكانت له سبعائة من النساء السيدات وثلاثمائة من الجوارى فأهالت نساؤه قلبه ٤ الخ

٢٥- الاصلاح الاسلامي في تعدد الزوجات

لما بعث الله محمدا خاتم النبيين في العرب وأبطل شرعه الزنا وكل ما هو في معناه من انواع الانكحة وكل ما هو مبني على عد المرأة كالمتاع او الحيوان المملوك ، لم يحرم تعدد الزوجات تحريما مطلقا ولم يدع الرجال على ما كانوا عليه من الابراف في العدد وفي ظلم النساء ، بل قيده بالعدد الذي قد تقتضيه مصلحة النسل وحالة الاجتماع ويوافق استعداد الرجال له وهو ان لا يتجاوز الاربع وبالقدرة على النفقة عليهن واشترط فيه العدل بين الزوجين او الازواج لمنع ما كان من ظلم النساء بقدر الاستطاعة وهو ما قد ينفي بالمعدين بالاسلام الى الاختصار على زوج واحدة إلا لضرورة

٣٩٠ الاسلام ما أوجب التعدد ولا حرمه بل أباحه للمصلحة النار : ج ٥ م ٣٢

قال تعالى في سورة النساء (٤ : ٣) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْتِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِي وَثَلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا)
العول الجور - أي ذلك الاقتصار على امرأة واحدة أو ملك اليمين اقرب الوسائل لعدم وقوعكم في الجور والظلم المانع من تعدد الزوجات لمن خاف الوقوع فيه .
الآية تدل على تحريم التعدد على من يخاف على نفسه ظلم زوجة محابة لاخرى وتفضيلا لما عليها - وعلى تحريره بالاولى إذا كان عازما على هذا الظلم بأن كان يريد ان يضارها لكرهه لها . ثم قال تعالى في الآية ١٢٩ من هذه السورة نفسها (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فإذا قرنت هذه القضية بقضية (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) أنتجتا وجوب الاقتصار على امرأة واحدة - ولكنه قال بعدها (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) فعلم به ان غير المستطاع هو العدل في الحب وأثره من ميل النفس ، فيجب ضبط النفس في أثره وما يترتب عليه من المعاملة المستطاعة في النفقة والمبيت وغيرها وهو العدل المشروط في الاولى
هنا ثلاث مسائل قطعية (إحداها) ان الاسلام لم يوجب تعدد الزوجات ولم يندب اليه ، وانما ذكره بما يدل على انه قلما يسلم قاعله من الظلم المحرم . وحكمة هذا وقائده أن يتروى فيه الرجل الذي تطالبه نفسه به ويحاسبها على قصده وعزمه وما يكون من مستقبل أمره في العدل الواجب
(الثانية) انه لم يحرمه تحريما قطعيا لا هوادة فيه لما في طبيعة الرجال وماداتهم الراسخة بالوراثة في جميع العالم من عدم اقتصارهم في الغالب على التمتع بامرأة واحدة - ومن حاجة بعضهم الى النسل في حال عقم المرأة أو كبرها أو علة أخرى مانعة من الحمل - ومن كثرة النساء في بعض الأزمنة والامكنة ولا سيما اعقاب الحروب بحيث تكون الالوف الكثيرة منهن أيام لا يجدن رجالا يحصنونهن وينفقون عليهن مع وجود الاقوياء الاغنياء القادرين على إحصان امرأتين أو أكثر الراغبين فيه
(الثالثة) انه لهذا وذلك تركه مباحا إلا انه قيده بما تقدم بيانه آفا من العدد والشرط الذي يتق به ضرره ويرجى به نفعه إذا التزم قاعله جميع أحكام الاسلام وآدابه في معاملة النساء وقد تقدم أهمها . وقد رأينا بأعيننا وسمعنا بأذاننا من

أهل عصرنا ان من المتدينين المتقين من لم يرزق ولداً من زوجه الاولى فعز عليهم ذلك فرغبهم في التزوج بغيرهن وخطبن لهم وعشن مع الزوج الثانية كمشة الاخوات في حبر والدهن . وقد كان هذا هو اكثر حال المسلمين في قرون الاسلام الاولى ولكنه قل في هذا الزمن بما طرأ على اكثر الشعوب الاسلامية من الجهل بالاسلام، وبحكمه واحكامه وآدابه في الزواج ، فسدت تربيتهم بالتبع لفساد حكوماتهم ، فصار تعدد الزوجات في الامصار مثارا لمفاسد لا تحصى في الازواج والاولاد وعشائر الزوجين حتي اقلب ما بيناه من اركان الزوجية الثابتة في كتاب الله تعالى من حب ومودة ورحمة إلى أصدادها - وقد حمل شيخنا الاستاذ الامام في سياق تفسيره للآية في الازهر حملة منكرة شديدة على هذه المفسدة في مصر وقرر انه يستحيل تربية الامة تربية صحيحة مع كثرة هذا التعدد الافسادي الذي صار يجب منعه عملاً بقاعدة « لا ضرر ولا ضرار » الثابتة في الحديث (١) وقاعدة تقديم دره المفاسد على جلب المصالح وهي متفق عليها . وقد نشرنا اقواله في تفسيرها من الجزء الخامس وذكرنا في أول المجلد ٢٨ من المنار انه افتى فتوى غير رسمية بأن للحكومة منع التعدد لغير ضرورة مبيحة لا مفسدة فيها

وشرحنا في تفسيرها أيضاً ما اجملناه في المسألة الثانية هنا من وجوه الحاجة الى التعدد من شخصية وطبيعية واجتماعية وآراء بعض علماء الافرنج ونسائهم الكائنات في تفضيله على بذل النساء من أبكار وبنات أعراضهن للرجال في اختلاطهن بهم في المعامل وخدمة البيوت وما في ذلك من المفاسد والمضرات التي لا يعد تعدد الزوجات بالنسبة اليها شيئاً قبيحاً او ضاراً اذا التزم فيه شرع الاسلام . وقد زادما كتبناه في موضوعها على ثلاثين صفحة ولا تتسع هذه الرسالة لنقله كله ، فراجع تفصيله في محله (٢) بيد انني أكتب هنا كلمة في استعداد كل من الزوجين للنسل الذي هو غاية الزوجية ومقصدها الفطري بما تظهر به حكمة جعل الحد الاقصى في عدد الزوجات أربعاً . وأقضي عليه ببيان الاسباب التي يكون بها التعدد حاجة أو ضرورة تقتضيها مصلحة الزوجية بل مصلحة الانسانية ، ثم انقل بعض ما اشرت اليه من ذلك التفصيل

(١) رواه احمد وابن ماجه عن ابن عباس (٢) راجع ص ٣٤٤-٣٧٥ ج ٤ تفسير المنار

٢٦ — استعداد كل من الذكر والانثى للنسل

من المعلوم بالمشاهدة أن الذكر قد يكون مستعداً لوظيفة النسل من سن البلوغ الى نهاية العمر الطبيعي وهو مائة سنة، وأن الانثى بتقطع استعدادها في سن الخمسين الى ٥٥ ثم إنها اذا حملت كان حملها شاغلاً لها عن غيره الى نهاية مدته وهي تسعة أشهر في الغالب ثم الى انتهاء النفاس وهو اربعون يوماً في المتوسط وقد يمتد الى شهرين ولكن لا حد لاقله، ثم ان استعدادها للحمل في مدة الرضاعة يكون ضعيفاً جداً ومن مصلحتها ومصلحة طفلها ان لا يقع وان كان ممكناً ومدة الحمل والرضاعة المشتركة بين البدو والحضر سنتان ونصف كما قال تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) ولكن الرجل يكون في كل هذه المدة مستعداً للقيام بوظيفته الزوجية ان لم يكن في كل يوم ففي كل اسبوع أو أقل أو أكثر على حسب قوة المزاج وسلامة البنية وحسن الغذاء وما يقابل ذلك من الاضداد ، فاذا فرضنا ان زوجين اقترنا في متوسط سن البلوغ وهو ١٥ سنة كان اقصى ما تلده له ٢٠ ولدا في اربعين عاماً وهو على كونه نادراً يبلغ ربع ما يمكن ان يولد له من اربع نسوة الى سن الثمانين

وقد بينت في آخر فصل المساواة بين الزوجين ما يفضل به الرجل على المرأة في مادة النسل وعملها في العلوق والحمل الذي للمرأة فيه ما هو معروف بما هو خاص بها . وقد علم بالاختبار أنه يوجد من النساء الزاهدات في الرجال لضعف استعدادهن للنسل أضعاف ما يوجد في الرجال من الزاهدين في النساء وأن موانع الخلقية فيهن أكثر من موانعهم ،

٢٧ — مصلحة الزوجية أو الانسانية في تعدد الزوجات

سبق لي ان بينت هذا الموضوع في فتوى عن سؤال ورد من طالب طب في امريكا نشرت في مجلد النار السابع (سنة ١٣٢١) ثم في جزء التفسير الرابع - وبدأتها بخمس مقدمات بقيت عليها بما يلي :

إذا أنصت إلى نظر في هذه المقدمات كلها، وعرفت قرعها وأصلها، تتجلى لك النتيجة أو النتائج الآتية : ان الأصل في السعادة الزوجية والحياة الينية هو أن يكون الرجل زوجة واحدة ، وان هذا هو غاية الارتقاء البشري في بابه، والسكال الذي ينبغي

أن يرى الناس عليه ويقتنوا به، وأنه قد يمرض له ما يحول دون اخذ الناس كلهم به، وقد تمس الحاجة إلى كفالة الرجل الواحد لاكثر من امرأة واحدة، وأن ذلك قد يكون لمصلحة الافراد من الرجال والنساء جميعاً كأن يزوج الرجل بأمرأة طاهر فيضطر إلى غيرها لأجل النسل، وقد يكون من مصلحتها أو مصلحتها معاً أن لا يطلقها وترضى بأن يزوج غيرها، لأنها إذا كان ملكاً أو اميراً - أو تدخل المرأة في سن اليأس ويرى الرجل أنه مستعد الاعقاب من غيرها وهو قادر على القيام بأود غير واحدة وكفاية أولاد كثيرين وتربيتهم، أو يرى أن المرأة الواحدة لا تنكفي لأحصانه، لأن مزاجه يدفعه إلى كثرة الافضاء ومزاجها بالعكس، أو تكون قلة من شأها (أي تكره الزوج طبعاً) أو يكون زمن حيضها طويلاً ينتهي إلى خمسة عشر يوماً في الشهر ويرى نفسه مضطراً إلى أحد الأمرين: الزوج بثنائية أو الزنا الذي يضيع الدين والمال والصحة، ويكون شراً على الزوجة من ضم واحدة إليها مع الهدل بينهما كما هو شرط الاباحة في الاسلام، ولذلك استبيح الزنا في البلاد التي يمنع فيها التعدد بالمرءة

وقد يكون التعدد لمصلحة الامة كأن تكثفها النساء كثرة قاحشة كما هو الواقع في مثل البلاد الانكليزية وفي كل بلاد تقع فيها حرب مجتاحة تذهب بالآلاف الكثيرة من الرجال فيزيد عدد النساء زيادة قاحشة تضطرهن إلى الكسب والسعي في حاج الطبيعة ولا بضاعة لاكثرهن في الكسب سوى أبضاعهن، وإذا هن بذلن فلا ينحصر على الناظر ما وراء بذلها من الشقاء على المرأة التي لا كافل لها إذا اضطرت إلى القيام بأود نفسها، وأود ولد ليس له والد ولا سبب عقب الولادة ومدة الرضاعة بل الطفولية كلها. وما قال من قال من كآبات الانكليز بوجوب تعدد الزوجات إلا بعد النظر في حال البنات اللواتي يشتغلن في المعامل وغيرها من الأعمال العمومية وما يمرض لهن من هتك الاعراض، والوقوع في الشقاء والبلاء، ولكن لما كانت الاسباب التي تبسح تعدد الزوجات هي ضرورات تقدر بقدرها وكان الرجال إنما يدفعون إلى هذا الامر في الغالب إرضاء للشهوة لا عملاً بالمصلحة. وكان الكمال الذي هو الاصل المطلوب عدم التعدد - جعل التعدد في الاسلام رخصة لا واجباً ولا مندوباً لذاته، وقيد بالشرط الذي نطقت به الآية الكريمة، واكدته تأكيداً مكرراً، فتأملناه وكتبنا في الرد على لورد كرومر إذ ألقى خطبة انتقد بها الشريعة الاسلامية مانعه نقلاً عن (ص ٢٢٥) من مجلد المنار العاشر :

طالما انتقد الاوربيون على الاسلام نفسه مشروعية الطلاق وتعدد الزوجات ،
 وما لم يطلبوا ولم يحمدوا فيه ، وانما أحيزا لانهم من ضرورات الاجتماع كما بينا ذلك غير
 مرة ، وقد ظهر لهم تأويل ذلك في الطلاق فشرعوه وان لم يشرع لهم كتابهم (الانجيل)
 الا لعله الزنا . وأما تعدد الزوجات فقد تعرض الضرورة له فيكون من مصالحة النساء
 أنفسهن كأن تقتال الحرب كثيراً من الرجال فيكثر من لا كافل له من النساء فيكون
 الخبير لمن أن يكن ضرراً ولا يكن فواجراً يأكلن بأعراضهن ويمرضن أنفسهن بذلك
 لمصائب ترزحن أنفسها . وقد انشأ القوم يعرفون وجه الحاجة بل الضرورة الى
 هذا كما عرفوا وجه ذلك في مسألة الطلاق وقام غير واحدة من نساء الانكليز الكاتبات
 الفاضلات يطالبن في الجرائد بإباحة تعدد الزوجات رحمة بالعاملات الفقيرات ،
 وبالبنات المضطرات . وقد سبق لنا في المنار ترجمة بعض ما كتبت إحداهن في جريدة
 (لندن تروت) مستحسنة رأي العالم (تومس) في انه لا علاج لتقليل البنات الشاردات ، إلا
 تعدد الزوجات ، وما كتبت الفاضلة (ميس اني رود) في جريدة (الاسترن ميل)
 والكاتبة (اللادي كوك) في جريدة (الالبكو) في ذلك (راجع ص ٤٨١ م ٤ منار)
 إن قاعدة اليسر في الامور ورفع الحرج لهي من اقواعد الاساسية لبناء الاسلام
 (٢ : ١٨٥ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر — و — ٥ : ٦ ما يريد الله
 ليجعل عليكم في الدين من حرج) ولا يصح أن يبنى على هذه القاعدة تحريم أمر
 تلجىء اليه الضرورة أو تدعو اليه المصلحة العامة أو الخاصة (كما بينا ذلك في مقالات
 الحياة الزوجية وغيرها) وهو مما يشق امثاله دفعة واحدة لاسيما على من اعتادوا
 المبالغة فيه كتعدد الزوجات ، كذلك لا يصح السكوت عنه وترك الناس وشأنهم فيه على ما
 فيه من المفسد ، فلم يبق الا أن يقال العدد يقيده قيد ثقيل وهو اشتراط انتفاء الخوف من
 عدم العدل بين الزوجات ، وهو شرط بمنزلة محققه ومن فقهاء واختبر حال الذين يزوجون
 بأكثر من واحدة يتجلى له ان أكثرهم لم يلتزم الشرط ومن لم يلتزمه فزواجه غير إسلامي
 وجملة القول في هذه المسألة أن القرآن أتى فيها بالسكال الذي لا بد أن
 يمتثل به جماهير الاوربيين ولو بعد حين ، كما يمتثل به بعض فضلائهم وفضلياتهم
 الآن . وأما المسلمون فلم يلتزموا هدايته فصاروا حجة على دينهم ، ونحن أحوج الى الرد
 عليهم والعناية بأرجاءهم الى الحق . منا الى إقناع غير المسلمين بفضل الاسلام ، مع بقاء
 أهلنا على هذه المخازي والاثام ، إذ لو رجعوا اليه ، لما كان لاحد أن يتعرض عليه اه

٢٨ — أقوال بعض فضليات الانكليزيات في تعدد الزوجات

أما ما أشرنا اليه من اقتراح بعض كاتبات الافرنج تعدد الزوجات فهو ما أودعناه
مقالة عنوانها (النساء والرجال) نشرت في (ص ٤٨١ م ٤) من المنار (*) وهاك المقصود منها
بما تنبه أهل أوربا إلى إصلاح شؤونهم الاجتماعية وترقية معيشتهم المدنية اعتنوا
بترقية النساء وتعليمهن فكان لذلك أثر عظيم في ترفيتهم وتقدمهم ولكن المرأة لا تبلغ
كمالها الا بالتربية الاسلامية وأعني بالاسلامية ما جاء به الاسلام لا ما عليه المسلمون اليوم
ولا قبل اليوم بقرون فقد قلت آنفا إنهم مارعوا تعاليم دينهم حق رعايتها . ولهذا وجدت
مع الترية الاوربية للنساء جرائم الفساد وامت هذه الجرائم قتولت منها الادواء
الاجتماعية والامراض المدنية، وقد ظهر اثرها بشدة في الدولة السابقة اليها وهي فرنسا
فضعف نساها، وقلت مواليدها قلة تهددها بالانقراض، والذنب في ذلك على الرجال
حذر منبهة هذه الامراض المغفلة ، وحذر من عواقبه السكتاب الاذكياء
وصرح من يعرف شيئا من الديانة الاسلامية ، بمعنى الرجوع الى تعاليمها المرضية،
وفضائلها الحقيقية ، وصرحوا بأن الرجل هو الذي أضل المرأة وأفسد تربيتها وان
بعض فضليات نساء الافرنج صرحن بتبني تعدد الزوجات للرجل الواحد ليكون
لكل امرأة قيم وكفيل من الرجال

(١) جاء في جريدة (لانغوس ويكلي ركورد) في العدد الصادر في ٢٠ ابريل
(نيسان) سنة ١٩٠١ نقلا عن جريدة (لندن ثروت) بقلم كاتبة قاضلة ما ترجمته ملخصا :
« لقد كثرت الشاردات من نباتات ورم البلاء وقل الباحثون عن أسباب ذلك، وإذا
كنت امرأة أراني انظر الى هائيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزنا ، وماذا
عسى يفيدهن بقي وحزني وتوجعي وتفجعي وان شاركني فيه الناس جميعا ؟؟ لا قائدة
إلا في العمل بما يمنع هذه الحالة الرجس ولله در العالم الفاضل (تومس) فانه رأى
الداء ووصف له الدواء الكافل الشفاء وهو (ان يباح للرجل الزوج بأكثر من
واحدة) وبهذه الوسطة يزول البلاء لاحالة وتصبح نباتات ربوات يوت، قابلاء كل
(*) هو الذي صدر في جمادى الآخرة سنة ١٣١٩ هـ الموافق سبتمبر سنة ١٩٠١ م

٣٩٦ أقوال بعض الكواكب الانكليزيات في تعدد الزوجات المنارة: ج ٣٢م ٣٢

البلاء في اجبار الرجل الاوربي على الاكتفاء بامرأة واحدة . فهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شوارد وقذف يهن الى التماس أعمال الرجال، ولا بد من تفاهم الشر اذا لم يسع للرجل الزوج بأكثر من واحدة .

« أي ظن وخرص يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا كلا وعالة وعاراً على المجتمع الانساني ؟ فلو كان تعدد الزوجات مباحاً لما حاق بأولئك الاولاد وبامهاتهم ما هم فيه من العذاب المون، ولسلم عرضهن وعرض أولادهن فان مزاحمة المرأة للرجل ستحل بنا الدمار . ألم تروا أن حلل خلقتها قتادي بأن عليها ما ليس على الرجل وعليه ما ليس عليها أو باباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة بيت وأم أولاد شرعيين

ولشريت الكاتبة الشهيرة (مس ارود) مقالة مفيدة في جريدة (الاسترن ميل) في العدد الصادر منها في عشرة مايو (أيار) سنة ١٩٠١ فتعطف منها ما يأتي « لأن يشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالحوادم خيراً وأخف بلاء من اختنا لمن في العامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها الى الابد . ألا ليت بلادنا كبلاذ المسلمين فيها الحشمة والنفاد والطهارة رده الخادمة والرقيق يتيمان بأرغد عيش ، ويأملان كما يأمل أولاد البيت ، ولا تمس الاعراض بسوء . نعم انه لعار على بلاد الانكليز أن تجعل بناتها مثلاً للذائل بكثرة مخالطة الرجال ، فما بالنا لا نسمي وراء ما يجعل البنت تعمل على ما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها ؟

وقالت الكاتبة الشهيرة (اللادي كوك) بجريدة ألابكو ما ترجمته وهو يؤيد ما تقدم « ان الاختلاط يألفه الرجال ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها ، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا ، وهنا البلاء العظيم على المرأة ، فالرجل الذي علفت منه يتركها وشأنها متقلب على مضجع الفاقة والناء ، وتذوق مرارة الذل والمهانة والاضطهاد بل الموت أيضاً . أما الفاقة فلان الحمل وثقله والوجع ودواره من موانع الكسب الذي تحصل به قوتها ، وأما الناء فهو أن تصبح شريرة حائرة لا تدري

النار : ج ٣٢ م ٥ أقوال بعض الكواكب الانكليزيات في تعدد الزوجات ٣٩٧

ماذا تصنع بنفسها، وأما الذل والمار فأني عار بعد، وأما الموت فكثيراً ما تبخع المرأة تقسها بالأتجار وغيره

هذا والرجل لا يلزم به شيء من ذلك . وفوق هذا كله تكون المرأة هي المسئولة وعليها التبعة مع ان عوامل الاختلاط كانت من الرجل

« أما آن لنا أن نبعث عما يخفف - إذا لم نقل مما يزيل - هذه المصائب العائدة بالمار على المدينة القرية ؟ أما آن لنا أن نتخذ طرقاً تمنع قتل ألوف الألوف من الاطفال الذين لا ذنب لهم بل الذنب على الرجل الذي أغرى المرأة المحبوسة على رقة القلب المتقضي تصديق ما يوسوس به الرجل من الوعود ويمنى به من الاماني، حتى اذا قضى منها وطراً تركها وشأنها تقاسي العذاب الاليم

« يا أيها الوالدان لا يغرركما بعض دربهات تكسبها بناتكم كما يشتغلن في المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرنا . علموهن الابتعاد عن الرجال، أخبروهن بمقايمة الكيد الكامن لمن بالمرصاد، لقد دلتنا الاحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال . ألم نروا أن أكثر أمهات أولاد الزنا من المشتغلات في المعامل والخاديات في البيوت وكثير من السيدات المعرضات للانظار، ولولا الاطباء الذين يعطون الادوية للاسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن، لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الامكان، حتى أصبح رجال مقاطعات من بلادنا لا يقبلن البنت زوجة ما لم تكن مجربة، أي عندها أولاد من الزنا ينتفع بشغلهم ١١١ وهذا غاية الهبوط بالمدينة، فكم قاست هذه المرأة من حرارة هذه الحياة حتى قدرت على كفالتهم، والذي علفت منه لا ينظر إلى أولئك الاطفال ولا يتهدم بشيء، وبلاء من هذه الحالة التبعة : ترى من كان معنا لها في الوحم ودواره، والحمل وأثقاله، والوضع وآلامه، والفصال وحرارة ؟ » اهـ

ذلك ما قلناه في وجه الحاجة تارة والضرورة تارة الى تعدد الزوجات ويزاد عليه ما علم منه ضمناً من كثرة النسل المطلوب شرطاً وطبعاً، فإذا كان منع التعدد ولا سيما في أعقاب الحروب وكثرة النساء يفضي الى كثرة الزنا وهو مما يقلل النسل كان مما يليق

٣٩٨ أقوال بعض الكواكب الانكليزيات في تعدد الزوجات المثار: ج ٥ م ٣٢

بالشرعية الاجتماعية المرغبة في كثرة النسل والمشددة في منع الزنا ان تبيح التعدد عند الحاجة اليه لاجل ذلك مع التشديد في منع مضراته. وقد صرح بعض علماء أوروبا بأن تعدد الزوجات من جهة اسباب انتشار الاسلام في افريقية وغيرها وكثرة المسلمين. ومما يكن من ضرر تعدد الزوجات فهو لا ينافي ضرر قلة النسل الذي ثبت به فرنسا بانتشار الزنا وقلة الزواج وستتبعها انكلترا وغيرها من الامم التي على شاكلتها في التساهل في الفسق

واما منع تعدد الزوجات إذا نشأ ضرره وكثرت مفسده وثبت عند أولى الامر ان الجمهور لا يعدلون فيه في بعض البلاد لعدم الحاجة اليه بله الضرورة فقد يمكن ان يوجد له وجه في الشريعة الاسلامية السبعة اذا كان هناك حكومة اسلامية فان للامام ان يمنع المباح الذي يترتب عليه مفسدة مادامت المفسدة قائمة به والمصلحة بخلافه، بل منع عمر (رض) في عام الرمادة ان يخدم سارق ولذلك نفاثر اخري ليس هذا محل بيانها : وللاستاذ الامام قنوي في ذلك (تقدم انها في أول المجلد ٢٨ من المثار) لكن الافرنج يبالغون في وصف مفسد التعدد وكذا المتفرنجون كدأب الناس في التسليم للامم القوية والتقليد لها . وما قال الاستاذ الامام ما قاله في التشنيع على التعدد الا لتغير القوافين من المصريين وأمثالهم الذين يتزوجون كثير او يطلقون كثيرا لحض الثقل في اللفة والاغراق في طاعة الشهوة مع عدم التهذيب الديني والمدني ألا ان التهذيب الذي يعرف به الانسان قيمة الحياة الزوجية يمنع صاحبه التعدد لغير ضرورة فهذه الحياة التي ينشأ الله تعالى في قوله (٣٠ : ٢١ ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) قلما تتحقق على كمالها مع التعدد ولا سيما اذا كان لغير عذر ولذلك يقل في المهذبن من يجمع بين زوجين، وانني لا أعرف أحداً من أصحابي في مصر وسورية له أكثر من زوج واحدة اه المراد منه

يا معشر النساء المحصنات

أرايتن ما قلته اليكن عن بعض نساء الشعب الانكليزي الذي هو أسلم من الشعب الفرنسي أخلاقاً، وأمثل ثرية وأكثر اسلاً؟ ذلك ما كتبت منذ ثلاثين عاماً، فما رأيكن فيما يقوله أمثالهن من الكاتبات والكاتيب في هذه الاعوام، وقد فقدت أوربة في حربها العالمية الكبرى زهاء عشرين مليون رجل أسى مثلهم أو أكثر منهم من النساء محرومات من الحياة الزوجية والنسل وكفالة الرجل (١) فترجل للملايين منهن وصرن يزاحمن الرجال في الاعمال على كثرة الماطلين منهم والباطالين، ويطلبن مساواتهم في كل شيء، فقلت الرغبة في الزواج وتفاقم شر الطلاق، واستشرى فساد الحثا والبغاء، حتى صرح بعض كبار العقلاء من الكتاب بأن البيوت الانكليزية تهددة بالسقوط والزوال، بعد أن كانت أشد رسوخاً وثباتاً من الجبال، وان الحال فيها عدا ايطالية من الدول الحرة أسوأ ولا سيما الولايات المتحدة الاميركية فان اسراف نساها ورجالها في الطلاق وفي نكاح التجربة قد أوشك أن يقوض فيها بناء الامرة وينتهي باستقلال النساء وأمر النسل الى الشيوعية المحضة. وان آخر ما قرأناه عن نسبة عدد الطلاق الى عدد الزواج فيها انه الخمس أي ٢٠ في المائة ويقال انه يتوقع بلوغه النصف بعد سنين قليلة

٢٩ — كلمات لبعض كبار علماء أوربة في التمدد والاسلام

ولولا أن تطول هذه الرسالة بما يخرج مما اقترحه طابعوها من القصد فيها لقلت لكن كثيراً من أقوال الصحف الافرنجية في اثبات ما ذكرت ولكنني أختم هذه المسألة بحكم حكيمين من أكبر علماء الاجماع وفلاسفة التاريخ الواسعي الاطلاع على تاريخ المسلمين وغيرهم في المسألة

(الاول) الدكتور غوستاف لويون الفرنسي صاحب المصنفات . وله في تعدد الزوجات وأقوال علماء الافرنج فيه أقوال كثيرة في مصنفاته أو سمها بسطاً وتحقيقاً ما نشره في كتابه (حضارة العرب) فأثبت به عدالة حكم الاسلام بالتعدد واقتضاء

(١) جاء في بعض الجرائد أن عدد النساء الايامي في أوروبه ٢٥ مليوناً

• • • كلمات لبعض كبار علماء أوربية في التمدد والاسلام المئارج • م ٣٢

الضرورة الاجتماعية له . وله فيه عبارة مختصرة في كتابه روح السياسة قالها في سياق الكلام على اصلاح أمور المسلمين في الجزائر هذه ترجمتها :

« وأهم اصلاح يراه الموسيو (لروا بوليو) هو تحريم تعدد الزوجات ، وقد أسهب في بيان فوائد الاقتصار على زوجة واحدة فقال : « ان تدير المنزل يقوم على الزوجة الواحدة فقط . فيتعدد الزوجات نزول روح العائلة وهناء البيت وينحط المجتمع العربي » « ولا أريد أن أبين هنا الاسباب التي جمعت الشرقيين بقولون بتعدد الزوجات وأن أذكر أن تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين خير من . تعدد الزوجات الحثي المؤدي الى زيادة القحطاء في أوربا . فعلى القارىء أن يطالع كتابي « حضارة العرب » . ففيه يجد إيضاحاً كافياً لهذه المسائل وغيرها ويرى أنه ظهر أيام سلطان العرب نساء فاضلات مائلات كما يظهر عندنا في هذه الأزمنة .

« وقد ثبت في أيامنا أن توقف ارتقاء المسلمين لم ينشأ عن تعدد الزوجات . وهل من الضروري أن أذكر أن العرب وحدهم هم الذين أطلعونا على العالم الاغريقي الروماني وأن جامعات أوربا ومنها جامعة باريس لم تعرف في ستة قرون لها مورداً علمياً غير مؤلفات العرب وتطبيق مناهجهم في حضارة العرب هي إحدى الحضارات التي لم يعرف التاريخ ما هو أكثر منها نصارة . ولا تنكر أنها ماتت ككثير من أخوانها غير أننا نرى من البذاحة أن نمزو إلى مبدأ تعدد الزوجات نتائج صادرة عن عوامل أكثر أهميتها » « ولاندرك السبب في حقد ذلك الأستاذ الفاضل على مبدأ تعدد الزوجات وهو الذي يخبرنا باقتصاره على مائلات العرب المثربة وبأن ظله يتقلص بالتدريج وإذا كان الرجوع اليه نادراً فلماذا يراد إلغاؤه وكيف يكون » من الاسباب الكبيرة في انحطاط المجتمع العربي » « وأما العالم الثاني فهو الأستاذ (فون أهر مسلس) الالماني فإنه قد صرح بأن قاعدة تعدد الزوجات لازمة أو ضرورية للسلاسل الآرية . أي نموها وبقائها .

وهكذا يرجع علماء الافرنج وحكامهم الى قواعد الاسلام قاعدة بعد قاعدة ، بل جزم الملامة برناردشو الانكليزي في كتابه (التزويج) أو الحياة الزوجية بأن الدولة الانكليزية ستضطر الى اتحاد الاسلام ديناً لها قبل انقضاء هذا القرن . ونقلت عنه بعض الصحف العربية أنه جزم بأن شعوب أوربية وأمريكا كلها ستهتدي بالاسلام قبل انقضاء قرن . وهذا ما نجزم بانتهاء جميع الافرنج اليه بالتبع لما جزم به قبلنا حكما الاسلام السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده (رح) وسيصدق عليهم قول الله عز وجل (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)



نَحَالُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّهُ لَاسْلَامٌ صَوِيٌّ « وَمَنَّا » كُنَّا الطَّرِيقُ

صَفَرُ سَنَةِ ١٣٥١ هـ قِ بَرَجُ السَّرَطَانِ سَنَةِ ١٣١١ هـ شِ يُونِيَّةِ سَنَةِ ١٩٣٢ م

نراء للجنس اللطيف

يوم ذكرى المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

﴿ في حقوق النساء في الاسلام ، وحظهن من الاصلاح المحمدي العام ﴾
﴿ تابع لما نشر في الجزء الماضي ﴾

٣٠- أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين

﴿ وحكمة تعددهن بعد الهجرة وفوائده ﴾

(الزوج الاولى خديجة رضي الله عنها)

تزوج (ص) وهو ابن خمس وعشرين سنة بالسيدة خديجة بنت خويلد وهي ثيب بنت أربعين سنة فعاشت معه خمس عشرة سنة قبل البعثة وعشرا بعدها وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وكانت عجوزاً بنت ٦٥ سنة وهو في مستوى العمر الطبيعي فقد قضى معها زهرة شبابه فلم يتزوج عليها، ولا أحب أحداً مثل حبه لها، وظل طول عمره يذكرها، ويكرم أصدقاءها ومعارفها، وزارته مرة عجوز في بيت عائشة فأكرم مثواها وبسط لها رداءه فاجلسها عليه فلما انصرفت سألتها عائشة عنها لتعلم سبب اكرامها لها فأخبرها أنها كانت تزور خديجة، وقد صبح عن عائشة أنها غارت منها وهي لم ترها حتى تجرأت مرة عليه عند ذكرها فقالت له: هل كانت العجوزاً ابداً لك الله خير أمها؟ - تعني نفسها وكانت تدل بمحادثتها وجمالها وكونه (ص) لم يتزوج بكراً غيرها وبكرتها بنت صديقه الا كبر ابني بكر رضي الله عنه، عنها - قالت فغضب وقال « لا والله ما ابذلني الله خيراً منها : آمنت بي اذ كفر الناس وصدقني اذ كذبني الناس واستنني بما لا اذ حرمتي الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء » قالت : فقلت في نفسي لا اذ كرها بعدها بسنة ابداً رواه بن عبد البر والدولابي وروى الشيخان عنها انها قالت : ما غرت على احد من نساء النبي (ص) ما غرت على خديجة وما رأيتها قط ولكن كان النبي (ص) يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة (أي صديقاتها من النساء) وربما قلت له لم يكن في الدنيا امرأة الا خديجة؟ فيقول « انها كانت وكانت، وكان لي منها ولد » زاد في رواية : قالت وتزوجني بعدها بثلاث سنين ، وفي صحيح مسلم عنها : كان اذا ذبح الشاة قال « أرسلوها إلى أصدقاء خديجة » فذكرت له يوماً فقال « إني لأحب حبيبها » وكانت خديجة أعقل المقاتل، وفضل الفواضل، وكانوا يلقبونها من عهد الجاهلية بالطاهرة وهي أول من آمن بالنبي (ص)

وقد كنت سئلت عن حكمة تعدد أزواجه (ص) سنة ١٣٢٠ فأجبت جواباً نشر في المجلد الخامس من المنار ثم في الجزء الرابع من التفسير (ص ٣٧) ثم طرقت هذا البحث في فتاوى (٢٨م) من المنار وأؤذ كرهنا معنى ما هنا لك مع فوائد أخرى فأقول:

٣١

الحكمة العامة لتعدد أزواج النبي ﷺ

ان الحكمة العامة لهذا التعدد بعد الهجرة، في سن الكهولة، والقيام باعباء الرسالة، والاشتغال بسياسة البشر، ومصاهرة المعادين، ومداخلة المعتدين، ودون سن الشباب، وراحة البال، هي السياسة الرشيدة، وتربية الامة وضرب المثل الكامل لها في معاشر النساء بالمعروف، والعدل بينهن، وتخرج بضع معاملات للنساء، يعاينهن الاحكام الشرعية الخاصة بهن، مما كان (ص) يستحي أن يخاطب به النساء فيما كان يخصهن به أحياناً من مواعظه، كما كان أكثرهن يستحيين أن يسألنه عن أحكام الزوجية والجنابة والطهارة، وقد كان نساء المهاجرين أشد حياء من نساء الانصار في هذا بل كان من نساء الانصار من يهينه أن يسألنه عما لا يستحي منه

ومن الشواهد عنهن في ذلك ما روي عن عائشة (رض) ان امرأة من الانصار سألت النبي (ص) عن غسلها من المحيض فأمرها كيف تغتسل ثم قال « خذي فرصة من مسك فتطهري بها » قالت كيف تطهري بها؟ قال « تطهري بها » قالت كيف قال « سبحان الله تطهري » قالت عائشة فاجتذبتها الي فقلت تتبعني بها أثر الدم. وفي رواية أخرى أنه قال لها « خذي فرصة ممسكة (١) فتوضأي ثلاثاً » ثم إنه صلى الله عليه وسلم استحيا أو اعرض بوجهه حياء. أي منعه الحياء بأن يصرح لها بوضع القطن المطيية بالمسك في المكان الذي كان يخرج منه الدم اتماماً للطهارة فاجتذبتها عائشة وأفهمتها المراد. والحديث في المسند والصحيحين وأكثر السنن وفي صحيح مسلم أن أسماء - وهي بنت شكل (٢) سألت النبي (ص) عن غسل المحيض فقال « تأخذ احداً كن ماءها وسدرها (٣) فتطهر فتحسن الطهور

(١) الفرصة الممسكة بثلاث القاء قطن أو صوفة مطيية بالمسك (٢) هي أنصارية أيضاً وقيل انها الاولى نفسها. وشكل بفتح المثناة والكاف وقيل انه محرف (٣) السدر بالكسر شجر النبق وكانوا يدقون ورق البستاني منه دون البري ويستعملونه في الغسل لانه نبات منظف كالصابون. وقوله فتطهر بفتح التاء أصله تنطهر وتنحذف لحدى التائين من مثله للتخفيف

فتصب على رأسها فتدلكه دلكا شديداً حتى يبلغ شؤون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها « قالت أسماء وكيف تطهر بها؟ قال « سبحان الله تطهري بها » سبح الله تعجبا من عدم فهمها المراد بالأياء والتعريض، وطلبها للتصريح به والتكشيف، ومنعه الحياء منه، حتى كفته زوجته عائشة ذلك، وقد ورد في وصفه (ص) أنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها (متفق عليه)

وكان المؤمنات يسألنه عن كل ما يعرض لهن على اختلاف درجاتهن في الحياء حتى كان بعضهن يشكون إليه هجر بعولتهن لهن اشتغالا بالتعبد أو لغر ذلك. وكان لا بد له من تعليمهن وانصافهن من بعولتهن، وكان أزواجه خير مبلغ لهن عنهن ولهن عنه في حياته، وخير مرجع في الاستفتاء النسوي بعد وفاته، ومن ذا الذي يقول إن زوجا واحدة كانت تقوم بهذا الواجب وحدها؟

بل كان الرجال يرجعون بعده إلى أمهات المؤمنين في كثير من أحكام الدين ولا سيما الزوجية فمن كان له قرابة منهن كان يسألها دون غيرها، فكان أكثر الرواة عن عائشة اختها أم كلثوم وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث وابنا أخيه القاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبي بكر، وحفصة وأسماء بنتا أخيه عبد الرحمن، وعبد الله وعروة ابنا عبد الله بن الزبير من اختها أسماء. وروى عنها غيرهم من أقاربها ومن الصحابة والتابعين وهم كثيرون جدا -

كذلك كان أكثر الرواة عن حفصة أخوها عبد الله بن عمر وابنه حمزة وزوجة صفية بنت عبيد وأم بشر الانصارية الخ - وأكثر الرواة عن ميمونة بنت الحارث ابنا أخواتها ولا سيما أعلمهم وأشهرهم عبد الله بن عباس - وأشهر الرواة عن رمة بنت أبي سفيان ابنتها حبيبة وأخوها معاوية وعنبسة وابنا أخيه وأختها وهكذا نرى كل واحدة من أمهات المؤمنين قد روى عنها علم الدين كثير من أولي قرباها ومن النساء والرجال الآخرين حتى إن صفية اليهودية كان لها ابن أخ مسلم روى عنها فيمن روى - فهل كان يمكن أن ينقل ذلك كله زوج واحدة يروى عنها كل من روى عن أمهات المؤمنين؟ ولعل أكثر ما سمعه النساء منهن لم يصل إلى الذين دونوا أحاديثهن

وجملة القول أن أمهات المؤمنين التسع اللاتي توفي عنهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كن كلهن معلمات ومفتيات لنساء أمته ولرجالها ما لم يعلمه عنه غيرهن من أحكام شرعية وآداب زوجية، وحكم نبوية، وكن قدوة صالحة في الخير وعمل البر

٣٢ — (الاسباب الخاصة لكل زوج منهم بعد خديجة)

(١ - سودة بنت زمعة (رض))

كانت سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة خديجة وكان توفي عنها زوجها ابن عمها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية . والحكمة في اختيارها انها من المؤمنات المهاجرات المأجرات لاهل بن خوف الفتنة والتعذيب لارجاعها عن الاسلام ولو عادت إلى أهلها لا كرهوها على الشرك أو عذبوها عذاباً نكراً ليفتوها عن الاسلام . فاختار «ص» كفالتها . وفيه تأليف لبني عبد شمس أعدائه وأعداء بني هاشم وتشريف لبني النجار أخوال عترته واكرم انصاره فان أمها الشموس بنت قيس بن زيد الانصارية من بني عدي بن النجار . وكانت أول من ذكر له مع عائشة فكفلها ﷺ . وقد تزوجها بمكة قبل الهجرة في عامها كما يأتي فهو لم يجمع بمكة بين زوجين بالفعل

(٢ - عائشة بنت الصديق الأكبر رضي الله عنهما)

روى ابن سعد بسند مرسل رجاله ثقات وابن أبي حاتم من طريق عائشة قالت: لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون (رض) للنبي ﷺ أي رسول الله ألا تزوج؟ (١) قال «من؟» قالت إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً قال من البكر؟ قالت بنت أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر ، قال «ومن الثيب؟» قالت سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك قال «فاذهبي فاذهبي فاذكريهما علي» — وفي رواية ابن سعد قالت أفلا أخطب عليك قال «بلى فانكن معشر النساء أرفق بذلك» قالت عائشة فجاءت فدخلت بيت أبي بكر فوجدت أم رومان (تني أمها) فقالت ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة . قالت وما ذاك؟ قالت أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة ، قالت وددت لو تنظرين أبا بكر . فجاء أبو بكر فذكرت له فقال وهل تصاح له وهي بنت أخيه؟ فرجعت فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال «قولي له أنت أخي

(١) تزوج بفتح التاء والزاي وتشديد الواو أصله تزوج

في الاسلام وابنتك تحمل لي « وفي رواية ان أبا بكر هو الذي قال له هذا القول وأجابه ﷺ بهذا الجواب . ولم تكن نزلت في ذلك الوقت آية محرمات النكاح ولا آية (إنما المؤمنون أخوة)

وكانت مائشة أذكي أمهات المؤمنين وأحفظهن بل كانت أعلم من أكثر الرجال قال الزهري لو جمع علم مائشة الى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم مائشة أفضل . بل قال أبو الضحى عن مسروق رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الاكابر يسألونها عن الفرائض . وقال عطاء بن أبي رباح كانت مائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا في العامة . وقال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من مائشة . وقال أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه : ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه مائشة إلا وجدنا عندها علما فيه . وقال أبو الزناد ما رأيت أحدا أروى لشعر من عروة (بن الزبير) فقبله : ما أرواك ! فقال : ما روايتي في رواية عائشة ؟ ما كان ينزل بها شيء الا أنشدت فيه شعرا وجملة القول ان مصاهرة الرسول ﷺ لاول أصحابه وأعلام قدرأ وإخلاصا له ولنصرأء على ما كان من مودة بينهما قبل الاسلام — كانت أعظم منة ومكافأة وقرعة عين له ، وخير وسيلة لنشر سنته وفضائله الزوجية وأحكام شريعته ولا سيما النسوية . ولم يرد في الصحيح عن أحد الرجال أكثر مما روي عنها من الاحاديث إلا أبي هريرة وعبد الله ابن عمر (رض) وقد دخل بها رسول الله ﷺ في شوال من السنة الثانية للهجرة (٣ - حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما)

كانت حفصة زوجا لحسن بن حذافة وهو ممن شهدوا غزوة بدر وتوفي بعدها في المدينة فلما اتقضت عدتها عرضها عمر على أبي بكر فسكت فعرضها على عثمان بن عفان بعد موت زوجته رقية بنت رسول الله (ص) فقال له ما اريد أن أتزوج اليوم . وانما كان يرجو ان يزوجه النبي (ص) بنته ام كلثوم . وقد ساء عمر ما كان من أبي بكر وعثمان وهما الكفوآن الكريمان لبنته فذكر ذلك لاني (ص) فقال « يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة »

قلني ابو بكر عمر فقال لا تجدد علي فان رسول الله (ص) ذكر حفصة فلما اكن لانثي
سر رسول الله (ص) ولو تركها لتزوجتها

نعم ان رسول الله ﷺ تزوج عائشة في السنة الثانية من الهجرة فكان هذا
قرة عين لصاحبه ووزيره الاول وخير مكافأة له في الدنيا علي صدقه واخلاصه
فلما توفي زوج حفصة بنت وزيره الثاني رأى أن يساوي بينه وبين أبي بكر في
تسريتهما بمصاهرة، ولم يكن في الامكان أن يكاتهما في هذه الحياة بشرف أعلي من
هذا . فتزوج حفصة في السنة الثالثة وقيل في الثانية ولولا ذلك لكانت حيرة في قلب
عمر ، فما أجل سياسته ﷺ وما أعظم وقاهه للاوفياء له

ويقابل ذلك اكرامه لعمان وعلي (رض) بزويجهما بيناته وهؤلاء الاربعة اعظم
اصحابه في حياته وخلفاؤه في اقامة ملته ونشر دعوته بعد وفاته

(٤- زينب بنت جحش الاسدية رضي الله عنها)

زوجها النبي ﷺ بأمر الله تعالى لولاه (عتيقه) ومتبناه زيد بن حارثة ثم زوجه الله
إياها بعد طلاق زيد لها لحكمة لاتعلوها حكمة في زواج أحد من أزواجه وهي ابطال
بدعة التبن التي كانت متبعة في الجاهلية. وكان ذلك سنة ثلاث وقيل خمس من الهجرة
ذلك أنه كان من عادات العرب الباطلة التي اتخذت ديناً تقليدياً أنهم يتخذون
لا أنفسهم أبناء أدياء يباعونهم بأنسابهم ويعطون الدعي منهم جميع حقوق الابناء
حتى في الموارث ومحرمات النكاح. وما كان الاسلام ايقظهم علي باطل فحرم الله التبن
وهو يعلم ماعاق بالطباع ولصق بالوجدان من تأثير هذا النسب المقتل وأن إبطاله
وإبطال لوازمه مما يثقل على الناس امتاله كما هو شأن التقاليد العامة الراسخة .
لأعلى أصحاب الايمان الكامل والمزائم المرفهة الحد، الذين لا يباليون بشعور
الجاهير ، ولا يرميهم لخالفهم بنعوت التحقير وقليل مالم

علم الله تعالى هذا فألهم نبيه من قبل ازال وحيه عليه وارساله الى الناس
مبشراً ونذيراً أن يتبن غلاماً كان ملكاً لتزوجه خديجة فوهبته له وأشرب قلبه حبه،
على ما كان من كرهه لعادات الجاهلية الباطلة، ليجعله هو القدوة الصالحة في إبطال التبن

وكل ما كان له من الاحكام، وكان هذا الغلام زيد بن حارثة . ومن زيد بن حارثة ؟
كان زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من كرام النرب وكانت أمه سعدى
بنت ثعابة من بني معن بن طيء ، وقد زارت قومها وهو معها فأغار عليهم جيل لبني
العين بن حرسبوه وهو غلام يفقه واحتملوه إلى عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه
حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد في الجاهلية فلما تزوجها رسول الله (ص)
وهبته إياه لما رأت من إعجابه بأدبه وفطرته الزكية وكان أبوه ينشده وينشد فيه
الشعر موصيا أولاده بالبحث عنه فخرج ناس من قومه فرأوا زيدا بمكة فعرفوه وعرفهم
وحملهم شعرا في حنينه إلى قومه فبلغوا والده حارثة خبره فخرج هو وأخوه كعب
بن فدائه فقدموا مكة فسألا عن النبي (ص) فقيل لهما هو في المسجد فدخلوا عليه فقالا :
يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله تفكون العاني وتطمعون الاسير .
جئتكم في ولدنا عندك قامن علينا واحسن في فدائه فأناسدفع لك . قال وما ذاك ؟
قالوا زيد بن حارثة . فقال « أو غير ذلك : أدعوه نخبروه فان اختاركم فهو لكم
بغير فداء : وان اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء »

قالوا فدعاه فقال « هل تعرف هؤلاء » ؟ قال نعم هذا أبي وهذا عمي . قال « فانا
من قد علمت وقد رأيت صحبتك لك فاخترني أو اخترهما » فقال زيد ما أنا بالذي أختار
عليك أحدا . أنت مني بمكان الاب والعم . فقالا ويحك يا زيد آتختر اليهودية على
الحرية وعلى أهلك وعمك وأهل بيتك ؟ قال قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا
بالذي أختار عليه أحدا .

فلما رأى رسول الله (ص) ذلك أخرجه إلى الحجر فقال « اشهدوا أن زيدا
ابني يرثني وأرثه » فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما . فدعي زيد بن محمد
حتى جاء الله بالاسلام . رواء ابن سعد ونحوه في سيرة ابن اسحق

وروى الحاكم خبر أسرهم وحجهم والده وأهله في طلبه مطولا وفيه انه كان بعد
النبوة وإن أباه أسلم ولكن هذه الرواية لا تصح

ومن تدبر خبر اختيار زيد بن حارثة للرق عند محمد ﷺ على الحرية عند أبيه

وقومه - وهو كخديجة أعلم الناس بأخلاقه وأعماله - يحكم حكما عقليا وجدانيا بأن محمداً كان من قبل النبوة آية من أكبر آيات الله تعالى في فضائله وآدابه فكيف يكون بعدها؟ وإذا كان بعض علماء الأفرنج يستدل بإيمان خديجة به وتقديسها لفضائله وفواضله من قبل البعثة على أنه كان ساذقا في دعوى النبوة، لا طالبا لمنفعة أو رياسة - فأحررهم أن يعدوا لإثبات زیدله على حریته وأبيه وأمه وعشيرته برهانا مثل ذلك البرهان على صدقه (ص) وكأله بل أظهر منه

تضاعف حب النبي ﷺ لزید بهذا الإثبات واعتقه وتبناه وكان النبي أعظم شيء مستطاع في تكريمه وتعظيم قدره، وقد كان يلقب بحب رسول الله ﷺ أي حبيبه وفي صحيح مسلم أن عبد الله بن عمر كان يقول: ما كنا ندعو زید بن حارثة إلا زید بن محمد حتى نزل في القرآن (ادعواهم لا بآبائهم هو أقسط عند الله) وفي الصحيحين عن ابن عمر أنه سمع يقول: بعث رسول الله بعنا وأمر عليهم اسامة بن زيد فطعن الناس في إمرته فقام رسول الله ﷺ فقال «إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمره أبيه من قبل وإيم الله إن كان خليقا للأمرة وإن كان لمن أحب الناس إلي وإن هذا من أحب الناس إلي بعده» وفي رواية لمسلم أنه قال هذا على المنبر وإن لفظه في زيد وابنه «وإيم الله إن كان لأحب الناس إلي»

وروي عن الشعبي أنه قال: ما بعث رسول الله ﷺ سرية قط وفيهم زيد بن حارثة إلا وأمره عليهم. أقول وإنما طعن بعض الناس في إمارة زيد على السرايا لأنه كان عتيقا فكيف يقدمه على كبراء المهاجرين والأنصار؟ وأما طعنهم في إمارة ولده حارثة بعده فلا نه كان صغير السن لم يبلغ العشرين. ولكن هذا من أفضل سياسته ﷺ في خفض استعلاء العصبية وكبرياء النسب (الارستقراطية)

بعد هذه المقدمة أقول لما أراد الله تعالى أن يبطل دعاية التبنّي وأحكامها الجاهلية أمر رسوله (ص) أن يزوج زينب بنت جحش بن رباب من عمّة النبي (ص) أميمة بنت عبد المطلب لزید بن حارثة ولده، وهو عز وجل يعلم أنهما لا يتفقان على بقاء هذه الزوجية، لأنها تتكبر عليه بالطبع، وهو عزيز النفس لا يحمل ذل الكبرياء عليه

فذهب (ص) إلى زينب فقال «إني أريد أن أزوجك زيد بن حارثة قاني قد رضيته لك» قالت يا رسول الله لكفي لا ارضاه لنفسي، وأنا أيم قومي وبنت عمك فلم أكن لأفعل. فنزلت الآية (وما كان يؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم. ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا) فقالت زينب للنبي (ص) قد اطعك فامنع ما شئت. فزوجها زيدا ودخل عليها فكانت تفلظ له القول وتتعظم عليه بالشرف فيذهب إلى النبي (ص) شاكية منها ويستأذنه في طلاقها فيقول له (ص) أمسك عليك زوجك واتق الله. وهو يعلم أنه لا بد له من طلاقها وإن الله يأمره بالتزوج بها بعده إبطالا لبدعة التبني وما كان من تحريم الجاهلية لامرأة الدعي كما رآه ابن الحقيق، ولكنه (ص) لم يكن يظهر هذا له ولا لغيره، وكان يفتضي الشعور الطبيعي يخشي ما يقوله الناس ولا سيما المشركين: أن محمدا تزوج امرأة ابنه. فانزل الله تعالى في ذلك قوله

(٣٣: ٣٧) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ

أي واذكر أيها الرسول اذ تقول للذي أنعم الله عليه بالاسلام، وأنعمت عليه بالعتق والاكرام (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ) في معاشرتها بالمعروف ولا تطلقها (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ) ان يقولوا تزوج امرأة ابنه. او متنباه (وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) ولا تبالي بما يقول الناس في تنفيذك لشريعة واقامتك لدينه (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا) الوطر الحاجة المهمة او التي ليس بعدها مأرب. وتضاؤه إياه عبارة عن تطليقها بمحض ارادته ورغبته لانه لم يبق له حاجة فيها ولا رجاء في معاشرتها بالمعروف. وتذكير الوطر هنا دون اضافته الى زيد للدلالة على انه شيء اراده الله تعالى منه وسخره له، وهذا من دقائق البلاغة في تحديد المعاني باللفظ المفرد الشكر، وقوله تعالى (ازوجناكها) نص في ان هذا التزويج كان من الله تعالى لما ذكر من حكمة التشريع فيه ولم يكن برغبة النبي (ص) وميله.

وقد صح أنه (ص) لم يعقد عليها كما عقد على سائر ازواجه لأن تزويج ربه إياها
بقوي وأثبت. والعقد بعده لغو لا نه تحصيل حاصل

ثم قال ﴿لَكِنِّي لَا يَكُونُ دَلِيلُ الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾
وهو تصريح بأنه تزويجه إياها أي لاجل أن لا يجد أحد من المؤمنين في نفسه
أدنى ضيق صدر ولا مبالة بلوم في الزوج بنساء ادعيائهم بالتبني وكفى برسول
الله (ص) قدوة في ذلك ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ فطلقوهن بإرادتهم لعدم بقاء
شيء من الرغبة لهم فيهن كما فعل زيد ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي وكان
قضاؤه في التكوين والتشريع نافذا لا مرد له ولا رأي لاحد فيه

ثم أكد الله تعالى هذا الأمر برفع الحرج عن النبي (ص) فيه لانه هو الذي
قضاء واختاره له فما كان له ان يختار لنفسه غيره، ولا ان يخشي غير الله في تنفيذه
وان تلك سنته تعالى في رساله بما يلبثون من رسالته وينفذون من احكامه ويخشونه
ولا يخشون غيره فقال

(٣٨) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ، سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ
خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٩) الَّذِينَ يُبْتَغَوْنَ رِسَالَتِ
اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا
أي ما كان عليه ﷺ وهو نبي الله ورسوله أدنى حرج وضيق فيما فرضه ونسبه
الله من مثل هذا الزواج من التشريع وتنفيذ الاحكام وفاقاً لسنته تعالى في اخوانه
التيين الذين خلوا من قبله ، وكان أمر الله الذي يريد من إقامة شرعه يجري على
حكم القدر وهو النظام والتقدير الذي يكون به السبب على قدر السبب ، والمعلول
تابعاً للعلة ، كما وقع لإبطال التبني . ولما كان هذا من تبليغ الرسالة الالهية كان من
شأن رسل الله أن يخشوا الله ولا يخشوا أحداً غيره في تبليغ رسالته ، وكفى بالله
حقيماً عليهم ومحاسباً لهم فلا يبالون بغيره

وقفى على هذا بنفي أبوة محمد (ص) ازيد ولغيره والرد على من قالوا أنه زوج

المنارج ٢٢م ٢٢ فرية للرواة في تفسير وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ٤٤٣

حاجية ابنه ، كما رواه الترمذي عن عائشة - تأكيذاً لما بينه في أول السورة من
نهي بنوة الادعاء والامر بنسبتهم إلى آباءهم أو وصفهم باخوة الدين وولاية العتق فقال

(٤٠) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ

وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً

فرية لبعض الرواة، في تفسير : وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه

لقد كان من منار العجب ، وغرائب سفاه العقل وسوء الأدب ، أن خطر لبعض
وضاع الاحاديث ، وصناع الروايات في التفسير . أن يحرف هذه الآيات الجليلة كلها عن
مواضعها ، ويحملها على غرض ينأى عنه منطوقها ، ويتبرأ منه مفهومها ، وتأباه حكمه
التشريع فيها ، ويستلزم الطعن بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،
والنيل من خلق رسول الله وأدبه ، الذي قال الله فيه (وانك لعلى خلق عظيم) فاخترع لها
سبوا زعم فيه أن النبي ﷺ مر بيت زيد وهو غائب فرأى زينب فوقه في قلبه
منها شيء فقال «سبحان مقلب القلوب» فسمعت التسييحه زينب فنقلتها إلى زيد فوقه
في قلبه أن يطلقها ، فكان هذا سبوا لاستئذان النبي ﷺ في طلاقها ، وزعموا أن
هذا هو المراد من قول الله تعالى (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) وهذه
الرواية لم يثبت لها سند وإنما نقلها بعض المفسرين كعادتهم في نقل كل ما يسمعون
وقد صرح بتلفيقها المحققون لأنها مخالفة للآيات الصريحة المحكمة من جهات كثيرة ،
ومنافية لامقول المستقلة في الفهم والحكم أيضاً فإن تزويج النبي ﷺ زينب لولاه ، ووجه
وريديه ومبتناه ، يكون بحسب الطباع الكريمة مانعاً من الميل إلى الزوج بها ، وناهيك بما
اجتهد به من اقناعها . وهو يعرفها من صغرها ، وهذا إذا كان تزويجها مباحاً مادياً لكونها
زوجين مابقاء ، فكيف وهو (ص) يعلم أنه تزويج موقت بالنسبة إلى عاقبته وغايته التي
يجهلها كل منهما . ثم انه على حسب زعمهم أمر وقع في نفسه ، وتنسمته زينب بالقرينة
من تسييحه ، ولفظ ذلك التسييح لا يدل عليه ، ولم يعلم به الناس فيخشي أن يخوضوا
فيه ، ويمانبه ربه على خشيته أيام وينزل ذلك في قرآننا يتلى ويتعبد به ، ثم ان زيدا

كان يعلم بما شرته له من سن الصبا أن نفسه أجل وأكبر من أن يلزمها ذلك . وإن كان لا ينافي عصمة النبوة . ولولا هذا العلم بملو نفسه ومحو فضائله لما آثر الرق عنده على الحرية عند والده وفي قومه ، وقد أبي الحافظ ابن كثير ذكر هذه الرواية السخيفة في تفسيره لتجنبه رواية الموضوعات ، وذكر الاباطيل الواضحة فيه ، وإن كان ينقل الاحاديث الضعيفة المعقولة أحيانا . وشنع ابن العربي وغيره على ناقلها لولا أن دعاة النصرانية يذكرون هذه القرية في كل كتاب يلقونه في الطعن على الاسلام والنيل من مصلح البشر ، وأفضل النبيين والرسول ، لما ذكرتها في هذه الرسالة الوجيزة ، وإن لشيخنا الاساذ الامام مقالة خاصة في تفنيدها بالمعقول والمنقول ولي مقالة أخرى في ايضاح مقالته والرد على أدب نصراني انتقدها ، وقد نشرتها في المجلد الثالث من المنار وطبعتهما مع تفسير الفاتحة وبعض مشكلات القرآن

ولو كان عند هؤلاء الدعاة (المبشرين) عرق حياء ينبض لنهم الجذع الكبير الذي في أعينهم . من رؤية قذاة ضئيلة في عين غيرهم أي لمنعتهم قصة داود النبي الذين يصلون ويبعدون الله بمزاميره مع امرأة أوريا التي اذراها كما يروي كتابهم المقدس تغسل فأعجبته فاستحضرها وضاجعها فحملت وأمر بجعل زوجها في مقدمة الحرب وتعرضه للقتل فقتل لينفرد بها من دونه ، كما هو مفصل في الفصل ١١ من سفر صموئيل الثاني ، والمسلمون يروون نبي الله داود عليه السلام بما ترويه عنه كتب قومه المقدسة عندهم وعند النصارى ، وقصة داود في سورة (ص) لا تدل على اقترافه الفاحشة وجريمة القتل لإرضاء للشهوة . حاشاه من ذلك

﴿ ٥ — هند أم سلمة الخزومية رضي الله عنها ﴾

هي هند أم سلمة بنت أبي أمية الخزومية . كان أبوها من أجواد العرب المشهورين وزوجت ابن عمها عبد الله بن عبد الاسد الخزومي وهو من السابقين الاوائل الى الاسلام ، أسلم بعد عشرة أنفاس وهو ابن عمه رسول الله (ص) وأخوه من الرضاعة ، وكان أول من هاجر إلى الحبشة وكانت معه وولدت له سلمة في أثناء ذلك . ثم عاد إلى مكة ولما أراد الهجرة بها إلى المدينة صدها قومها وانزعوها منه هي وابنها سلمة

ثم انزع بنو عبد الأسد آل زوجها ابنها سلمة من آملها بالقوة حتى خلعوا يده، فكانت كل يوم تخرج الى الابطح تبكي حتى شفع فيها شافع من قومها فأعطوها ولدها فرحلت (١) بغيراً ووضع ابنها في حجرها وهاجرت عليه، فكانت أول امرأة هاجرت الى الحبشة، ثم كانت أول ظعينة هاجرت الى المدينة. وكانت تحبل زوجها أيما اجلال حتى ان أبابكر وعمر خطباها بعد وفاته من جرح أصابه في غزوة أحد فلم تقبل، وعزاها النبي ﷺ عنه بقوله «سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك ويخلفك خيراً» فقالت: ومن يكون خيراً من أبي سلمة؟ فلم ير لها عزاء ولا كافلاً لها ولا ولادها ترضاه غيره صلوات الله تعالى عليه وعلى آله، ولما خطبها لنفسه اعتذرت بأنها مسنة وأم أيتام وذات غيرة، فأجاب ﷺ بأنه أكبر منها سنّاً وبأن الغيرة يذهبها الله تعالى وبأن الأيتام الى الله ورسوله. فاجتمع اها من الفضائل النسب الشريف، والبيت الكريم، والسبق الى الاسلام وعلو الاخلاق ولاسيما الوفاء وكفالة الأيتام وكل منها سبب صحيح لاختيار صاحب الخلق العظيم المبعوث لانعام مكارم الاخلاق لهذه المرأة الفضلى ان تكون من أزواجه الطاهرات، وامهات المؤمنين ومعلمات المؤمنات.

على أن لها فوق ذلك فضيلة أخرى هي جودة الفكر وصحة الرأي، وحسبك من الشواهد على هذا استشارة النبي ﷺ لها في أهم ما حزنه وأهمه من أمر المسلمين في مدة البشة، وما أشارت به عليه. ذاك أن الصحابة رضي الله عنهم كان قد ساءم سلاح الحديدية الذي عقده ﷺ مع المشركين على ترك الحرب عشر سنين بالشروط المعلومة التي تدل في ظاهرها على أن المسلمين مغلوبون ولم يكونوا مغلوبين وإنما حبه ﷺ للسلم ولاختلاط المسلمين بالمشركين - وكان دونه خراط القتاد - وكرهته للحرب التي اكرهه المشركون عليها بعدوانهم - هما اللذان حبا اليه قبول شروطهم لهم في الصلح، وكان من أثر استياء المسلمين من شروطهم أن أمرهم ﷺ بالتحلل من عمرتهم بالخلق أو التقصير لاجل العود الى المدينة فلم يمثل أمره أحد، ولم يقع مثل هذه المخالفة من قبل ولا من بعد، فلما استشارها رضى الله عنها في ذلك وقال

(١) رحلته بتشديد الحاء جعلته راحلة تركب

« هلك الناس » هونت عليه الامر وأشارت عليه بأن يخرج اليهم ويحاق رأسه ، وجزمت بأنهم لا يلبثون أن يقتدوا به ، لانهم يعلمون أنه صار أمراً لا مرد له ، ولان تأثير العمل في القدوة أقوى من تأثير القول وحده - وكذلك كان : خرج فامر الحلاق محاق رأسه ، فتافسوا في التبرك بشعره ، وبأدروا الى الاقتداء به ، وكانت من اعلم ازواجه ، وروى عنها كثيرون من الرجال والنساء فهي تلي عائشة في كثرة الرواية والعلم وتفضلها في الروية والرأي

٦ — جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

وفي سنة خمس تزوج برة بنت الحارث سيد بني المصطلق وسماها جويرية وكان أبوها هو وقومه قد ساعدوا المشركين على المؤمنين في غزوة أحد سنة أربع ، ثم بلغ النبي (ص) أنه يجمع الجموع لقتاله فخرج له فالتقى الجمعان في المريسيع وهو ماء الخزاعة ، فأحاط بهم المسلمون وأخذوهم أسرى بعد قتل عشرة منهم وكانت برة بنت سيدهم في الأسرى فكاتب عليها من وقعت في سهمه (١) فجاءت النبي (ص) فتعرفت اليه بأنها بنت سيد قومها وذكرت له سبيها ، واستعانت به على كتابتها لتحرير نفسها ، فقال « أواخر من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك » قالت نعم ففعل ، فقال المسلمون : أصهار رسول الله (ص) فاعتقوا جميع الأسرى والسبايا فأسلموا كلهم فكانت اعظم امرأة بركة على قومها ، وكان لهذا العمل أحسن التأثير في العرب كلها ، وروى أن أباهما جاء النبي (ص) فقال ان يلق لا يسبي مثلها نخل سبيلها ، فأمره (ص) أن يخبرها فسر بذلك فخبرها فاحتارت الله ورسوله ، وكانت من أعبد أهبات المؤمنين وروى عنها ابن عباس وجابر وابن عمر وعبيد بن السباق وابن أختها الطفيل وغيرهم

٧ — صفية بنت حيي الاسرائيلية رضي الله عنها

وفي سنة ست تزوج صفية بنت حيي بن أخطب الاسرائيلية من ذرية نبي الله هارون أخي موسى عليها السلام ، كانت من بنى النضير وأسرت بعد قتل زوجها في غزوة خيبر ، فأخذها دحية في سهمه ، فقال أهل الرأي من الصحابة يا رسول الله

(١) الكتابة اشتراء الرقيق نفسه من سبيهم بما لا يؤديه ولو أقساطا

انها سيدة بني قريظة والنضير لاتصاح إلا لك، فاستحسن رأيهم وأبى أن تذل هذه السيدة بالرق عند من تراءدونها، فاصطفاهَا وأعتقها وزوجها - كراهة لرق مثلها في نسبها وقومها، ووصل سيده بنى اسرائيل لعله يخفف مما كان من عداوتهم له، وروى الامام أحمد أنه خيرها أن يعتقها وتكون زوجته أو يلحقها بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته. وكان بلال قد مر بها وبابنة عم لها علي قتلى اليهود فصكت ابنة عمها وجهها وحشت عليه التراب وهي تصيح وتبكي فقال له النبي (ص) « أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما » ؟ رواه ابن اسحاق. وفي حديث الترمذي ان صفية بلغها أن عائشة وحفصة قالتا نحن أكرم على رسول الله منها فذكرت ذلك للنبي (ص) فقال « ألا قلت : وكيف تكونان خيراً مني وزوجي محمد وأبى هارون وعمي موسى » ؟ وقد لقبتهما زينب مرة باليهودية احتقاراً لها فهاجرها النبي (ص) شهراً كاملاً عقوبة لها فتأمل هذه الشرائل المحمدية والتربية الاسلامية روى عنها ابن أخيها وموليان لها وعلي بن الحسن بن علي عليهم السلام وغيرهم

(٨ -- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الاموية رضي الله عنها)

وفي سنة ست او سبع تزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الاموي اشد أعدائه تحريراً عليه وحرباً له (ص) وكان قومه بنو عبد شمس أعداء بنى هاشم قوم النبي (ص) وكان تزوجه بها تأليفاً له ولقومه وقد كانت أسامت بمكة وهاجرت مع زوجها عبدالله بن جعش الى الحبشة، فتصر زوجها هناك وقارقها، فأرسل النبي (ص) الى النجاشي نخطبها له وأصدقها عنه أربع مائة دينار مع هدايا نفيسة: ولما طادت الى المدينة بنى بها، ولما بلغ أبا سفيان الخبر قال هو الفحل لا يقدر أعنفه . فهو لم ينكر كفائه (ص) بل افتخر به . ولكنه ما زال يقاتله حتى يئس بفتح مكة وكان من تأليفه (ص) له يوم الفتح أن قال « من دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » وقد آمن يومئذ رياه وتقية ثم كان من تأليفه له (ص) بعد غزوة حنين أن أعطاه من غنيمة هوازون مائة ناقة، فهذا التأليف بعد التأليف لأبي سفيان

يدل على تزوجه «ص» بيته كان لئلا ذلك على أن تركها أرملة مهينة بعد مصابها
بتنصر زوجها وعداوة أبيها وأُمها لم يكن يهون على رسول الله «ص» روى عنها
ابنتها وأخوها وابن أخيها وابن أختها ومولياها وآخرون

(٩ — ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها)

وفي أواخر سنة سبع تزوج ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية وكان اسمها
برة فسماها ميمونة . وكان ذلك في إبان عمرة القضاء وهي آخر أزواجه أمهات
المؤمنين زواجا وموتا كفا في بعض الروايات، وقد قالت فيها طائشة أما أنها كانت من
أتقانا لله وأوصلنا للرحم، ولم أقف على سبب ولا حكمة خاصة لتزوجه بها ولكن ورد أن
عمه العباس رغب فيها وهي أخت زوجها لبابة الكبرى أم الفضل وهو الذي عقد لها عليها
بأنها، ولولا أن العباس رأى في ذلك مصالحة عظيمة لما عني به كل هذه العناية لارضاء
أمراته، روى عنها أبناء اخواتها ومواليهم وآخرون أجابهم ابن عباس

وجملة القول انه «ص» راعى المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه عليهن
الرضوان في التشريع والتأديب والمودة والتأليف وكفالة الأرامل واليتام، فجذب
إليه كبار القبائل بمصاهرتهم وعلم أتباعه احترام النساء وإكرام كرائمهن والعدل بينهن
وقرر الأحكام بذلك وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين يعلمن نساءهم من
الأحكام ما يلبق بهن مما ينبغي أن يتعاملن من النساء دون الرجال، ولو ترك واحدة
فقط لما كانت تغني في الأمة غناء التسع

ولو كان «ص» أراد بتعدد الزواج ما يريد الملوك والأمراء من التمتع بالحلل
فقط لاختار حسان الأبقار على أوثق اثنيات المكتهلات منهن كما قال لمن استشاره في
التزوج بأمرأة ثيب «هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك» وفي رواية زيادة «وتضاحكها
وتضاحكك» وهو من حديث جابر في الصحيحين

وأذكر القاريء بأن تعدد الزوجات في ذلك العصر كان من الضروريات
لكثرة القتلى من الرجال وحاجة نسائهم إلى من يكفلهن لأن أكثر أهلن من

المشركين. فالصلحة فيه للنساء لا للرجال إما بالكفالة والنفقة وإما بالعرف والتكرمة ولذلك كن يسمين أو يسمي الآباء أو غيرهن من الأقربين لمن يقتل زوجها أو يموت بكفو يزوجها وإن كان له زوج أو أزواج غيرها كما فعل عمر بعرض بنته حفصة على أبي بكر وعثمان وأما النبي (ص) فكان النساء يعرضن أنفسهن عليه كما يعرضن بعض أولي القربى منهن وسيأتي بعض الروايات في ذلك فهل يتصور أحد أن تعدد الزوجات كان في ذلك العهد هضمًا لحقوقهن، وقد أعطاهن الإسلام من الحقوق والتكريم ما أعطاهن؟ وما هيك بشرف الزوج برسول الله (ص) وسيأتي ما يؤيد ذلك كله

٣٣

(سيرة النبي ﷺ في معاشرته نسائه)

كان رسول الله (ص) للمثل الكامل والاسوة الحسنة للرجال في حسن معاشرته أزواجه بالمعروف، والقسمة ينفق بالعدل في كل من الميت والنفقة والطيب والتكريم، وفي احتمال غضبهن وغيرتهن وتآزرهن بالأناة والرفق واللوعة الحسنة. وكان يزورهن كلهن صباحًا للوخط والتعلم ومساءً للمجاملة والمؤانسة، وكان يجتمعن معه في بيت كل منهن. وكان يخدم في بيته ويقضي حوائجه بيده. قالت عائشة: ما ضرب رسول الله (ص) يده امرأة له ولا خادما قط (١) ومثلت: ما كان النبي (ص) يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة (٢) ولها أحاديث أخرى، فصلة في خدمته في بيته وقيامه بحاجة نفسه. ومن وصفه: كان ألين الناس وأكرم الناس وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان يساماً (٣)

وكان (ص) إذا أراد السفر ضرب الفرعة ينفق إذ لا يمكن السفر بين كلين، وترجيح إحداهن يسقط سائرهن، وإن كان فيها من المرححات ما يقتضي الترجيح إذ لا يتساوى النساء في استعدادهن للسفر ومشقاته. ولكنه لما حج أخذهن كلهن معه ولما مرض مرضه الأخير شق عليه أن يتنقل بين بيوتهن كل يوم كما كان يفعل في حال صحته فكان يسأل «أين أنا غدا؟ أين أنا غدا؟» يريد يوم طائفة فأذن له أزواجه كلهن أن يكون حيث شاء، فاختار بيت عائشة وفيه توفي (٤)

(١) رواه النسائي وله تسمية (٢) رواه البخاري والمهنة بكسر الميم ونقصها الخدمة (٣) رواه ابن سعد (٤) رواه البخاري

وروي عنها أنه يموت في مرضه إلى لسانه فاجتمع فقال « أني لا أستطيع أن أدور بينكن فان رأيتن أن تأذن لي أن أكون عند عائشة » فأذن له (١) ومن حكمة ذلك أن يدفن في بيتها وقد كان صرح بأنه يدفن حيث يموت

ولما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها وليتها لعائشة فبني رضا رسول الله «ص» عنها (٢) وفي رواية عنها : كان رسول الله «ص» لا يفضل بوضا على بعض في القسم من مكته عندنا ، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً فبدنو من كل امرأة من غير مسيس ، حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها . ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وقرقت (أي خافت) أن يفارقها رسول الله «ص» يا رسول الله يومي لعائشة . فقبل رسول الله ذلك منها (٣)

وقد كان لعائشة بنت الصديق رضي الله عنهما من قلب رسول الله «ص» ما لم يكن لأحد من لسانه بعد خديجة «رض» فكانت الحبيبة بنت الحبيب ، وكانت هي أكثر من إدلالا عليه . وفي الصحيحين عنها قالت قال لي رسول الله «ص» « أني لأعظم إذا كنت راضية عني وإذا كنت علي غضبي » فقلت من أين تعرف ذلك ؟ قال « أما إذا كنت عني راضية فأنك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبي قلت لا ورب إبراهيم » قلت أجل والله يا رسول الله ما أعجز إلا اسمك

وكان هذا الحب الطبيعي الذي تعددت أسبابه أعظم دليل على عدله «ص» بين أزواجه، فهو لم يكن يفضيها على أقلهن مزايا في الخلق والخلق والذكاء والقلب بشيء من التفقة أو الميعة أو حسن الشرة ، ولذلك كان يقول في نفسه ينهن بالعدل « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » (٤) يعني الحب ولو أزمه الطبيعية غير الاختيارية . وما ابتلي الرجال بشيء أبست على الجور والحماة كفتة حب النساء فان الرجل الضيف الدين والارادة ليظلم أولاده ونفسه مرضاة لمن يحبها ولو أجنبية فكيف لا يظلم ضربها ؟

(١) رواه ابوداود (٢) رواه الشيخان واصحاب السنن

(٣) رواه احمد واصحاب السنن وفيه زيادة رأي عائشة انه نزل في هذه واشباهها (وان امرأة خلفت من بعلها نشوزا او امراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا) وقد تقدم . وفي رواية عند ابن سعد أنه فارقها فتأشده ان بمسكها وقالت انه ليس لها في الرجل حاجة وانما تريد ان تكون معه في الجنة . ولكن هذه الرواية مرسله (٤) رواه ابن أبي شيبة واصحاب السنن الاربعه وابن المنذر عنها

﴿ تغاير نسائه ﷺ وتحزبن ومناشدتهن إياه العدل ﴾

لما كان من طباع البشر أن العدل بينهم يغريهم بالمطالبة بأكثر من حقوقهم، والظلم يسكتهم على مادونها ولا سيما النساء، ورأى نساء النبي (ص) أنه لا يفضل إحداهن على غيرها بشيء ما إلا أن الناس يتعرون بهداياهم يوم مائتة رأين أن في هذا حضبا لحقوقهن وكرامتهن، وإن كان هذا الحضم ليس من فعله ﷺ وكان يتألمن من الهدايا كلهن، فطالبته بالنصافهن، وأغلظن في المطالبة وألحقن حتى أسكتتهن بما يكرهن

قالت عائشة : إن نساء رسول الله (ص) كن حزبين لحزب فيه مائعة وحفصة وصفية وسودة . والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء النبي (ص) وكان المسلمون قد علوا حب رسول الله (ص) مائتة فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله (ص) أخرها حتى إذا كان رسول الله (ص) في بيت مائعة يث صاحب الهدية بها إلى رسول الله (ص) في بيت مائعة، فكلهم حزب أم سلمة (أم سلمة) فقلن لما كلف رسول الله (ص) بكل الناس فيقول من أراد أن يهدي إلى رسول الله (ص) هدية فليهدا إليها حيث كان من بيوت نسائه، فكلته أم سلمة بما قلن فليقل لها شيئا، فسلتها فقالت ما قال لي شيئا، فقلن لها كلبه قالت فكلته حين دار إليها أيضا فلم يقل لها شيئا فسلتها فقالت ما قال لي شيئا فقلن لها كلبه حتى يكلمك فدار إليها فكلته فقال لها لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة . قالت فقلت أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله . ثم أتتهن وجعن قاطعة بنت رسول الله (ص) فأرسلت إلى رسول الله (ص) تقول إن نساءك يشدنك الله العدل في بنت أبي بكر فكلته فقال « يا بنية ألا تحبين ما أحب ؟ » قالت بلى، فرجعت إليهن فأخبرتهن . فقلن أرجعي إليه فأبى أن يرجع . فأرسلان زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت إن نساءك يشدنك العدل في بنت ابن أبي قحافة فرفعت صوتها حتى تناولت مائعة وهي قاعدة فبنتها، حتى أن رسول الله لينظر إلى مائعة هل تكلم ؟ فكلته مائعة زد على زينب حتى أسكتها قالت : فظفر النبي (ص) إلى مائعة

وقال « أنها بنت أبي بكر » (١) بنى أنها مثل أبيها في الذكاء والنقل والحجة ،
 برواية مسلم عنها : أرسل أزواج النبي (ص) قاطمة بنت رسول الله (ص) إلى
 رسول الله (ص) فاستأذنت عليه وهو مضطجع ممي في مرطى فأذن لها فقالت يا رسول
 الله إن أزواجك أرسلتنى إليك بسألك العدل في ابنة أبي قحافة - وأنا ساكنة -
 فقال لها رسول الله (ص) « أي بنية أأستبحن ما أحب ؟ » قالت بلى قال « فأجبي
 هذه » فقامت قاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله (ص) فرجعت إلى أزواج رسول
 الله (ص) فأخبرتهن بالذي قال رسول الله (ص) فقلن ما نراك أغيت عنا من شيء
 فأرجعي إلى رسول الله (ص) فتقولي له إن أزواجك يشعنك العدل في ابنة أبي قحافة
 فقالت قاطمة والله لا أكله فيها أبداً (قالت) فأرسل أزواج النبي (ص) زينب بنت
 جحش وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند النبي (ص) ولم أرقط امرأة خيراً
 في الدين من زينب وأتقى الله وأصدق حديثاً وأوصل لرحم وأعظم صدقة وأشد
 ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرّب به إلى الله تعالى ما عدا حورة من
 حدة فيها كانت تسرع منها الفيتنة (أي الرجعة إلى الحلم) الخ
 ولما مع زينب مهاترة أخرى ذكرها النس ملخصها أن نساء النبي كن يجتمعن
 كل ليلة في بيت صاحبة التوبة منهن فدخلت زينب بيت عائشة فداليا النبي ﷺ
 يده فقالت عائشة أنها زينب فكف النبي (ص) يده فتناولتا حتى ارتفعت أصواتهما
 فرأى أبو بكر فسمعهما فقال يا رسول الله أأحدث في أفواههن التراب وجاءت الصلاة فخرج
 «ص» ولم يكلمهما ولكن أبا بكر طأ بعد الصلاة فتفث عائشة (٢) وهو المشهور
 بالحلم ، وأين جلمه من حلم رسول الله ﷺ ؟

غيرة أزواجه ﷺ وصبره عليهن فيها

الغيرة الزوجية قرينة أو ماطفة في الرجال والنساء وهي فيهن أشد ولا سيما إذا نكدن
عند الرجل وكان يحابي بعضهن على بعض . ولئن كان أزواج النبي (ص) كلهن يغرن
 (١) رواد البخاري ومسلم . وقوله هل تكلم بفتح التاء أصله تتكلم تخفف (٢) رواد مسلم

من عائشة لظهن بأنها أحب إليه ، فلم يـ سكـانت أشدهن غيرة عليه ، حتى كانت تغار من خديجة زوجة قباها وهي لم ترها كما تقدم ، فكانت على شدة ما ترى من عدله ومساواته بين لـهـاه تطـبع ما يوسوس اليها الشيطان إذا خرج من عندها في ليلتها أنه يذهب إلى غيرها ، حتى نبته مرة من حيث لا يشعر فإذا هو قد ذهب إلى البقيع (مقبرة المدينة) يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء قالت فقلت بأبي أنت وأمي : أنت في حاجة ربك وأنا في حاجة الدنيا . فاعترفت فدخلت حجرتي ولي نفس عال ولحقني رسول الله ﷺ فقال « ما هذا النفس يا عائشة ؟ فقالت بأبي أنت وأمي : أنتني فوضعت ثوبيك ثم لم تستم أن أقت قلبستها فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بسـص صويحباني حتى رأيـتـك بالبقيع تصنع ما تصنع فقال « يا عائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله » (١) وخرج مرة قالت فترت عليه أن يكون أتى بهـض لسانه فجاء فرأى ما أصنع فقال « أغرت ؟ فقلت وهل من لي لا يغار دلي منك ؟ فقال « لقد جاءك شيطانك » قلت أومى شيطان ؟ قال « نعم » قلت ومع كل إنسان ؟ قال « نعم » قلت ومعك قال « نعم ولكن ربي أمانني عليه حتى أسلم » (٢) يعني انتي أسلم من طاعة وسوسته ، أو هو أسلم فلا يأمر بشـر

وقالت ما رأيت ضامة طعام مثل صفية ، صنعت لرسول الله (ص) طعاما وهو في بيتي فأخذني أفكل (هو بالفتح الرعدة والقشعريرة) فترعدت من شدة الغيرة فكبرت الاناء ثم ندمت . فقلت يا رسول الله : ما كفارة ما صنعت ؟ قال « اناءه مثل اناءه وطعام مثل طعام » (٣) وقالت تيب صفية لتغيرها منها : يا رسول الله حسبك من صفية قهرها ! فقال لها « لقد فات كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » (٤) أي إن كلمتها في فـبـعها وخـبـثـها لو ألقيت في البحر لآثرت فيه كله وخـبـث بها

٣٦

تواطؤ أزواجه وتظاهرها من على الكيد له ﷺ

شرب مرة عملا عند زينب كان أهدي إليها وكان يحبه فأغرت عائشة به جميع نساته فتظاهرن على الكيد له حتى لا يعود إلى شرب العسل عندها بأن تواطأن على أن ينكرن (١) رواه البيهقي (٢) رواه مسلم عنها وعن ابن مسعود بلفظ آخر (٣) رواه أبو داود والنسائي (٤) رواه أبو داود والترمذي

رائحته مما شرب فنعان، وكان شديد الكراهة للرائحة الحبيثة فامتنع من شرب ذلك
المسل عندها وحرمه على نفسه فلما علم بكيدهن وكذبهن عليه غضب عليهن كلهن (١)
وتواطأت عائشة مع حفصة في حادثة تحريم مارية القبطية وكان سببه غضب
حفصة لاجتماعها في بيتها فاسترضاهما بتعريضها عليه وأمرها أن تسكنم الخبر فأفغته
لعائشة . وروي أنه أسراها حديثاً آخر في مسألة الخلافة وتظاهرتا - أي تماوتا -
عليه في ذلك وفيهما نزل قوله تعالى معاتباه ومنذراً لمن

(١:٦٦) ياء بها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبغني مرضات
أزواجك والله فقورٌ رحيم (٢) قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم
والله مولكم وهو العليم الحكيم (٣) وإذا أسر النبي إلى بعض
أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض
عن بعض، فلما نبأها به قانت من أنباءك هذا قال نبأني العليم الخبير
(٤) إن تموتوا إلى الله فمعدنتم فلو بكها وإن تظاهرا عليه فإن الله
هو مولاه وجبريل وصليح المؤمنين والمليكة بمد ذلك ظهور (٥) عسى
ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات
فتمت تسببت عيبت سبعت قبيبت وأبكاراً

حاصل معنى الآيات أنه لا ينبغي لك أيها النبي أن تبائع في مرضاة أزواجك
فتبائع منها أن تحرم لأجلهن ما أحل الله لك، والله غفور رحيم غفر لك هذه فلا تمودن إلى
مثلها. وإن الله قد شرع لكم كفارة أيمانكم ومنعكم من تحريم المرأة أو الأمة، فهو كاليمين
بالله تعالى (أي يكفره) إطعام عشرة مساكين مرة واحدة أو كسوة كل منهم ثوباً أو عتق
رقبة فمن لم يستطع إحدى هذه الثلاث وهو مخير فيها فصيام ثلاثة أيام (والله هو
العليم بأفعالكم ونياتكم فيها الحكيم بما يشريه لكم فيها يرض لكم من مقتضى

الطباع البشرية فيريكم به ويزكيكم . ثم ذكر ذنب التي أفشت سره (ص) وهي حفصة بما هو ظاهر المعنى في الجملة ، وليس تفصيله من موضوع هذه الرسالة — وأرشدنا هي والتي أفشت لها السر وهي عائشة إلى التوبة من ذنبها وما صفت أي مالت إليه قلوبها ووافق أهواءها من تلك الواقعة ، وأنذرنا أن أصرنا على التظاهر أي التعاون والتماثل على الرسول (ص) بأن الله هو مولاه الذي ينصره ويتولاه في كل أمر وكذلك جبريل وصالحو المؤمنين والمراد بهم هنا أبواهما أبوبكر وعمر (رض) والملائكة بعد ذلك كله يظهرونه ويؤيدونه «ص» ثم هددها بأن الرسول إذا طلقهاها وسائر أزواجه المتحزبات عليه فإن الله يبدله خيراً ممنهن في كل ما يتفاضل به النساء عنده من صفات السكال ، ولو كان «ص» يهيم التمتع الجسدي لوصف الله بالبدل بصفات الحسن والجمال ، ولكنه لم يكن يحفل به ، ولو لم يكن نقصاً في نفسه

٢٧

(غضبه ﷺ على أزواجه وإبلاؤه منهن شهراً)

(فتخير إياهن بين الطلاق وبقاء الزوجية المرضية لله ورسوله)
علمنا من الشواهد الصحيحة التي رويتها في حسن عشرة النبي «ص» لأزواجه بما هو أعلى من المعروف من عدل وحلم واطمئنان ، وصبر على تفايرهن وإثمارهن ، ليكون أسوة حسنة لرجال أمته ولا سيما المهاجرين في ذلك — علمنا أنه آلا أمرهن إلى الإثمار يشهن والتظاهر عليه واحتياحة الكذب وإفشاء السر ، وكدن يكن أسوة سيئة للنساء المؤمنات ، على خلاف ما يراد من تربية الرسول لمن يكن قدوة صالحة لمن ، وكان قد اضطرب أمر النساء مع الرجال إذ زادت جرأتهم عليهن بتأثير ما أعطاهن الإسلام من الحقوق وما أوصى بهن النبي «ص» من التكريم حتى أنه قد اجتمع عند نسائه «ص» مرة سبعون امرأة كل تشكو زوجها — فلما انتهى نساؤه معه إلى هذا الحد مع العدل الكامل ، والاعطف الشامل ، غضب غضبة الحليم ، وحلف أن لا يقربهن شهراً ، واعتزل من كلهن تربية لمن ، ولا تم التزمية إلا بوضع الحليم في موضعه والنصب في

موضعه - واتي أستخلص من الصحيحين خبر غضبه وحلقه هذا بما فيه زيادة البيان، لما كان عليه حال النساء في أول الاسلام، وأبدأ بسياق مسلم فأقول
 روى مسلم في صحيحه ان عبد الله بن عباس قال : مكثت سنة وأنا أريد ان أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما استطيت أن أسأله هية له حتى خرج حاجا فخرجت منه فلما رجعت فكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أبا عبد المؤمن من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه؟ فقال تلك حفصة ومائشة، قال فقلت له والله إن كنت لأريد ان أمالك عن هذا منذ سنة فما استطيت هية لك، قال فلا تقل ما ظننت أن حدي من علم نسائي عنه فإن كنت اعلمه اخبرتك (قال) وقال عمر والله ان كنا في الجاهلية مانعون للنساء أمراً حتى انزل الله تعالى فيهن ما انزل وقسم لمن ما قسم قال فبينما انا في أمر أعمره إذ قالت لي امرأتي لو صنت كذا وكذا، فقلت لها وما لك أنت ولما هنا؟ وما تكلفك في أمر أريده؟ فقالت لي عجباً لك يا ابن الخطاب ما تريد ان تراجع انت وان ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان اقل عمر فأخذ ردائي ثم اخرج من مكاني حتى ادخل على حفصة، فقلت لها يا بنية انك لتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان؟ فقالت حفصة والله انا لتراجعه، فقلت فليمن أي احذرك عتوبة الله وغضب رسوله؟ يا بنية لا يترنك هذه التي قد اعجيبها حسننا وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها. ثم خرجت حتى ادخل على أم سلمة لقراي منها فكلمتها فقالت لي أم سلمة عجباً لك يا ابن الخطاب قد دخلت في كل شيء حتى تبتغي ان تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه؟ قال فأخذتني اخذاً كسرتمني عن بعض ما كنت اجد (١) فخرجت من عندها (هذه مقدمة مسلم لحديث عمر وأذكر تنبيهه من رواية البخاري عنه).

(١) أي كسرت ما اجدته في نفسي ودفعني عنه حتى لم أقله لها وفي رواية لابن سعد انها قالت له : اي والله انا لتكلمه فإن تحمل ذلك فهو أولى به وانها ناهته كان اطوع عندنا منك

(قال) ثم استقبل عمر الحديث بسوقه قال كنت أما وجاري من الانصار في بني أمية بن زيد وهم من هوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على النبي (ص) فينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فل مثل ذلك، وكنا معشر قريش نهاب النساء (١) فلما قدمنا على الانصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطلق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الانصار، فصعبت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني قالت ولم تنكر أن أراجعتك فوالله إن أزواج النبي (ص) ليراجعنه وإن إحداهن لم تجره اليوم حتى الليل، فأفزعني ذلك وقالت لها قد خاب من فل ذلك من، ثم جئت علي ثيابي، فنزلت فدخلت على حفصة فقات لها أي حفصة أتناضب إحداكن النبي (ص) اليوم حتى الليل؟ قالت نعم فقات : قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لن غضب رسوله (ص) فتهلكي، لا تستكثري النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ولا تراجعيه في شيء ولا تهجره وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم - يريد طائفة - قال عمر وكنا قد تعهدنا أن نعد الحبل لنزولنا فنزل صاحب الانصار يوم نوبته، فرجع إلينا عشاء ففرب بابي ضربا شديداً وقال أثم هو؟ ففزعت فخرجت إليه، فقال قد حدث اليوم أمر عظيم، قات ما هو أجاء غسان؟ قال لا، بل أعظم من ذلك وأهول، طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه، فقات خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا بوشك أن يكون، فجئت علي ثيابي، فصلبت صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مشرباً له (٣) فأنزل فيها، ودخات على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت ما يبكيك ألم أكن حذرتك هذا؟

- (١) وفي رواية: كنا ونحن بمكة لا يكلم أحد امرأته إلا إذا كانت له حاجة...
وفي رواية: كنا لا نعتد بالنساء ولا ندخلهن في أمورنا. هذا وقد قال النبي (ص):
«خير نساء ركن الابل صالح نساء قريش: احنا على ولد (وفي رواية يقيم) في صغره
وارعاه على زوج في ذات يده» رواه البخاري ومسلم وتذكير العمل وافراجه فيه مسدوع:
(٢) أي لا تطلي منه الشيء الكثير (٣) المشربة بضم الراء الفرفة او العلية

أطاعة كن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت لا أدري ها هوذا منزل في المشربة، فخرجت فجلست إلى المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم فجلست معهم قليلاً، ثم غلبني ما أجده فجلست للمشربة التي فيها النبي صلى الله عليه وسلم فقلت للفلان له أسود: استأذن لعمري فدخل الفلام ثم كلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع فقال كنت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرك له فصمت، فأنصرفت حتى جاست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجده فجلست للفلان استأذن لعمري، فدخل ثم رجع فقال قد ذكرك له فصمت فخرجت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجده فجلست للفلان استأذن لعمري، فدخل ثم رجع إلي فقال قد ذكرك له فصمت. فلما وليت منصرفاً (قال) إذا الفلام يدعوني فقال قد أذن لك النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو مضطجع على رمال حصير (١) ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئاً على وسادة من آدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم يا رسول الله أطلقت نساءك؟ فرفع إلي بصره فقال «لا» فقلت الله أكبر، ثم قلت وأنا قائم أسألك يا رسول الله لو رأيته وكنا معشر فريش فغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قالت يا رسول الله لو رأيته ودخلت على حفصة فقلت لها لا يفر منك أن كانت جارتك أَوْضاً منك وأحب إلي النبي صلى الله عليه وسلم (يريد عائشة) فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى، فجلست حين رأيته تبسم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيته في بيته شيئاً يرد البصر غير أهبة ثلاثة (٢) فقلت يا رسول الله فليوسع علي أمّك فان قارساً والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله (٣) فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان

(١) وفي رواية رمال سرير والرمال اسم لضلوع الحصير التي ينسج بها فتكون معداخلة كالخيوط في الثوب (٢) الآية بفتحين وبضميتين أيضاً الجلود مدبوغة أولاً. واحداً إهاب (٣) وفي رواية فبكيت فقال ما ينيك يا ابن الخطاب؟ فقلت ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أتر في جنبك وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ما أرى وذلك قيصر وكسرى في الأنهار والثمار واثبات رسول الله وصفوته. وأما الذي رآه في خزائنه فهو قدر صاع من شعير ومثله قرظ مجموع في ناحية الغرفة. والقرظ حب شجر يدبغ به الجلود

منكثا فقال «أوفي هذا ألت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عجلوا طياتهم في الحياة الدنيا» فقلت يا رسول الله استغفر لي . فأنزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعا وعشرين ليلة وكان قال «ما أنا بداخل شورا» من شدة موجدته عليهن حين طابه الله تعالى، قالت عائشة ثم أنزل الله تعالى آية التخيير فبدأني أول امرأة من نساءه فاخترته ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة انفتت الروايات على أن تخيير النبي «ص» أزواجه بين تطليقهن وإبقائهن على عصمتهم على الوجه الذي يريد منهن وهو أن يكن قدوة صالحة للنساء في الدين كان بعد حادثة غضبه وهجره لمن شهرا ثم رضاء عنهن، وقد صح أنه حدث في أثناء ذلك سبب آخر للتخيير وهو إلفاقهن بطلب التوسعة في النفقة والزينة

٣٨

مطالبة أزواجه ﷺ بإياه بسعة النفقة والزينة

كان من السهل على النبي «ص» أن يعيش مع نساته حياة الترف والنعمة، وأن يتمتع بما أحبين من اللباس والحلي والزينة، بما كان له من الحق في خمس الغنيمة، ومنها غنائم بني النضير ثم بما كان له من الأرض في خيبر، وكانت غاية توسعته عليهن إعطاؤهن مؤنة سنة كاملة من التمر والشعير الذي كان يتخذ منه الخبز في الغالب وكان ربما يتصدق ببعض ما آتاهن أو به كله إذا وجد من هو أحوج إليه من الفقراء، بل ذبح مرة شاة فتصدق بها كلها فقالت له عائشة «لا أبقيت لنا قطعة منها فطر عليها فقال «لو ذكرتني لفعلت» وقد وقع لها بعد ذلك بعينه فقالت لها مولاه لما قالت لانيبي (ص) وأجابها بما أجابها به: فهذه هي التربية المحمدية لأمهات المؤمنين، ولواتبع أهواءهن في الترف والزينة والامة في طور التأسيس، لمد من فضائل الدين - على ذم القرآن للمترفين والمسرفين

ولقد بشر النبي «ص» أصحابه بفتح بلاد الشام والفرس ومصر والاستيلاء على خزائن كسرى وقصر والسيادة فيها وفي غيرها من الأرض، وحذرهم من الاسراف

فما أباح الله لهم في كتابه من الزينة والطيبات. وقال « ما تركت بعدني فتنة أخرى على الرجال من النساء » (١) ومن هذه الفتنة أنهن الداعيات إلى الإسراف في النفقة والزينة. فلما أراد نساؤه ذلك جعل الله تعالى له مخرجاً منه بتخيرهن بين بقاؤهن على عصمته وإثارة لحظ الآخرة، وبين تمتيعهن بما يطلبن مع طلاقهن وتسريحهن بإحسان وإثارة منهن لمناج الحياة الدنيا ورزقتها، فلو أن نساءه صلى الله عليه وسلم غلب عليهن التمتع بالنعمة والزينة والترف لاقتدى بهن جميع النساء من ذلك العهد ولما استطاع الرجال صرفهن عنه، ولما قامت الأمة قائمة، فإن الإسراف في الترف والزينة يهلك الأمم الغنية، فكيف تقوى به الأمم الفقيرة؟ أم كيف يمكن أن تؤسس أمة قوية عزيزة مصلحة لمساد البشر وظلمهم بتشتتها على التنافس في الشهوات والزينة؟

ولما أباح الله الزينة والطيبات في حال السعة والثروة، بدون إسراف ولا بطر ولا غيلة، والتعرض من كثرة أزواجه أن يكن قدوة للنساء في الفضائل النسائية كما أنه هو القدوة العليا والاسوة الحسنى للأمة كلها في معاملة النساء وفي سائر الأمور، وملاك ذلك كله إثارة سعادة الآخرة على منافع الدنيا

٣٩

تخيرہ ﷺ لأزواجه بين الدنيا والآخرة

قد ثبت أنه كان لهذا التخير سببان (أحدهما) غضبه وموجدته عليهن فيما كان من تظاهرن عليه وقد ذكرنا أصح الروايات فيه، وأما السبب الآخر وهو مطالبتهن له بالتوسع في النفقة والزينة فهو ما دلت عليه الآية الأولى من آيتي التخيير الآيتين وذكر بعض المفسرين بعض ما طلبن من ذلك. وأما اختار من الروايات المبرجة فيه حديث جابر من صحيح مسلم وهذا نصه:

عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله (ص) فوجد الناس جلوساً باباً لم يؤذن لأحد منهم قال فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل ثم قال فاستأذن فأذن له فوجد النبي (ص) جالساً جوله نساؤه واجماً ساكتاً قال فقال

١٠ رواه الشيخان وأصحاب السنن ما عدا أبا داود عن أسامة بن زيد

(ابوبكر) لا قولن شيئا أضحك النبي (ص) فقال يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني التفقة ففقت اليها فوجأت عتقها (١) فضحك رسول الله (ص) وقال «من حولي كماري يسألتني التفقة» فقام ابوبكر الى عائشة بجأعتها فقام عمر الى حفصة بجأعتها كلاهما يقول تسألن رسول الله (ص) ما ليس عنده ؟ فقلن والله لا لسأل رسول الله (ص) شيئا أبداً ليس عنده. ثم اعزلهن شهراً أو تسعا وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية (يا أيها النبي قل لازواجك - حتى بلغ - للمحسنات منكم أجراً عظيماً) قل فبدأ بمائشة فقال يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تسجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وما هو يا رسول الله ؟ قلنا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله تستشير أبوي ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر أمراً ممن أسألك بالذي قلت ، قال « لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها ، إن الله لم يعثني مستأزراً ولا متعتاً وإني بعتي معلماً مبسراً » ثم خيرهن كلهن فاخترن ما هو خير لهن - فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة وهذا نص آيتي التخيير :

(٢٨: ٢٣) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكِ إِن كُنْتُنَّ تُرِذْنَ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّمِكُنَّ وَأُسَرِّحَكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً

(٢٩) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِذْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ

أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً

خلاصة معنى الايتين : قل لهن إن كنتن تردن من حياتكن الزوجية حفظوا الدنيا وشهواتها وزينتها فاتي لم أبيت لذلك ولا تزوجتكن لذلك فتعالين أعطكن المنة المالية التي شرعها الله للمطلقات وأمرحكن إلى أهليكن سراحاً جميلاً لإهانة فيه ولا إساءة كما أمر الله كل من احتاج إلى تطليق امرأته لعدم استطاعته أن

(١) بنت خارجة زوجها ووجأ عتقها لكز به أولواه إظهار الانكار

لا لاجل الايلام

يعيش معها عيشة راضية مرضية لله ثم له ولها . وهو دليل على أنه (ص) لا يستطيع أن يقوم بوظيفة نبوته مع نساء همهن من جاتهن التعم والزينة . وان كنتن تردن من هذه الزوجية مرضاة الله تعالى ومرضاة رسوله بالقيام بأعباء الدين ، وإصلاح أمور المؤمنات والمؤمنين ، وثواب الدار الآخرة ، تؤثرنه على نعمة الدنيا العاجلة ، فإن الله قد أعد للمحسنات منكن في ذلك أجراً عظيماً هو أعظم وأكبر مما أعدهن للنحسنات من سائر المؤمنات . وقد بين هذا في الآيات التي بعد هذه . وهي وما سبق من أسباب نزولها تدل على اقتراء أعداء الإسلام الذين يقولون إنهم محمد من حياته التمتع بالذات والعهوات ، وأنه لذلك أكثر من الزوجات

٤٠

(تأديب الله لأزواج نبيه ﷺ وتعليمهن ما يراد منهن)

أمر الله تعالى رسوله أن يبلغ أزواجه ما ذكر من التخيير على أنه من ربه لامن عند نفسه ، ووصل الأمر بمواعظ وحكم عرفهن بها منزلتهن وتفضيلهن على سائر النساء بجهلهم قدوة لمن في التقوى وحسن معاملة الأزواج ، بما أتاحه لمن من مباشرة مصلح البشر الأعظم محمد رسول الله وخاتم النبيين وما يتلقينه منه من آيات الله والحكمة ، وما يشاهدنه من معاملته وعلو أخلاقه من الأسوة الحسنة ، وأن مقتضى ذلك أن يكون أجرهن على العمل الصالح مضاعفاً ، وعقابهن على الأعمال الفاحشة مضاعفاً ، على قاعدة الترم والنم ، وكون الذي يقتدى به في الخير له أجره ومثل أجور من يقتدون به فيه ، والذي يقتدى به في الشر عليه وزره ومثل أوزار الذين يقتدون به فيه . وفي ذلك حديث نبوي في صحيح مسلم معروف . ولو كانت سيرة أزواج الرسول (ص) قاسدة لقسدت سيرة سائر المؤمنات بل لكان ذلك من أسباب فساد اعتقاد كثير من الرجال ، قال الله عز وجل مخاطباً لمن :

(٣٣ : ٣٠) يَمَسَّاءَ اِنِّى مَن يَاتِ مَسْكَنٌ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُعَذِّبُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣١) وَمَنْ يَفْعَلْ

مِنْكَنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
 رِزْقًا كَرِيمًا (٣٢) يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسْتَنْ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتَنَّ فَلَا
 تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
 (٣٣) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ
 الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
 عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٤) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى
 فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)

الفاحشة الميمنة هي الفعلة الظاهرة القبيح كالكذب في مسألة المسلم دون الهفوة
 والدم بما قد يخفى قبيحه على قاعله . والقنوت لزوم الطاعة مع الخضوع واذعان النفس ،
 والعمل الصالح أعم منه . والتقوى اتقاء مخالفة الله ورسوله وكل ما تدور عاقبته . والخضوع
 بالقول لين الكلام الاتوي الذي يطمع الرجل الخبيث الضيف الايمان في المرأة لا رغبة
 في عفتها . والقول المعروف هو الحسن البريء من الريبة الذي لا ينكر نزاهة قائمته من
 يسمه (وقرن في بيوتكن) أمر من القرار أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن منها
 لغبر حاجة . والتبرج التبخر مع اظهار الزينة لجذب الابصار وهو من منكرات
 الجاهلية القديمة . والرجس الدنس المعنوي وهو كل ما يمس الدين أو الشرف . وقوله
 (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) تليل لهذه الاوامر والتواهي كلها فان امثالها
 ينافيه وتم به الطهارة باكل مانيها . وذكر الضمير (عنكم) يشمل صاحب البيت
 صلوات الله وسلامه عليه فان شرف أزواجه شرف له فان علق بإحداهن رجس أصابه
 ألمه وطاره . أعلى الله كرامته ونزهه ساحته . وقد يشمل بعمومه سائر اهل بيته غير نسائه
 المقصودات بالذات ، وتؤيده بعض الروايات . وآيات الله كتابه وبراهينه ، والحكمة
 المعارف المعقولة المرقية للمقول المذكية للنفس ، الحاملة لها على معالي الامور

(توسعة الله على نبيه ﷺ بما تكمل به تربية أزواجه)

بالغ أزواج النبي (ص) في التصديق عليه بباعث القيرة وجرأهن عليه حلمه الواسع ولطفه ، واعتقادهن ان المساواة بينهما واجبة عليه ، وتوهمهن ان منها المساواة في الحب ، وفي امره الناس بان يردى اليه من شاء منهم حيث كان من بيوتهن . فكان من تربية الوحي لمن ما ذكرنا آتفا من تهديد زوجتيه عائشة وحفصة وإنذارهن الطلاق وإبدال ربه إياه خيرا منهن ، ثم ما خاطبه به في الآية الحسين من سورة الاحزاب من أنه احل له أزواجه اللاتي تزوجهن بمهورهن وغيرهن من قريباته المهاجرات وبما أقام عليه من ملك اليمين ومن تهبه نفسها ليتزوجها بدون مهر خاصا به ، مع بقاء ما فرضه على سائر المؤمنين من المهور ، وتقييد الزواج بان لا يزيد على اربع نسوة في حال القدرة مع العدل والمساواة ، وعلى واحدة عند الخوف من الظلم ، وكان بعض النساء يبين انفسهن له (ص) وبعضهن يمرضن عليه قريباتهن حتى نهاهن عن ذلك (*) ثم افتاء الله تعالى في الآية التي بعدها برفع الحرج عنه في معاملة أزواجه كهن بما يشاء ليعلمن ان مساواته بينهما فضل منه (ص) - ليعلمن واحسان بهن لا واجب عليه من الله تعالى لمن تلا يمدن إلى مثل ما كان منهن قال تعالى (٣٣ : ٥١) **تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ**

(*) روى البخاري وغيره عن ثابت قال كنت عند انس وعنده بنت له فقال جاءت امرأة تعرض نفسها لى رسول الله (ص) فقالت ألك بي حاجة ؟ فقالت بنت انس ما اقل حياءها واسوأناها واسوأناها فقال هي خير منك رغبت في رسول الله (ص) فعرضت نفسها عليه ، وروى البخاري وغيره ان خولة بنت حكيم كانت من اللاتي وهبن انفسهن للنبي (ص) فقالت عائشة أما تستحي المرأة ان تهب نفسها للرجل . وروى ان ام حبيبة عرضت عليه اخبتها ليتزوجها فتشاركها في خيرها فاخيرها بعدم حلها له معها وقال « فلا تعرضوا علي بناتكن ولا اخواتكن »

وَمَنْ ابْتَغَيْتَ يَمِّنَ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ، ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَ
أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي
قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيمًا

رفع الله عن نبيه بهذه الآية ما فرضه على أمته من القسم والمساواة بين الأزواج ،
وأباح له ما يشاء من إرجاء نوبة بعضهن أي تأخيرها ، وإيواء من شاء إليه متى شاء ،
وعزل من شاء وابعادها ، ولكنه ﷺ ظل على ما كان من مساواته يئمن بالعدل ، فرضين
منه لأنه بحض الفضل ، ولم يزوج عليهن أحداً ممن أبيع له في الآية التي قبلها ، ولو كانت
رغبته في تعدد الأزواج للاستمتاع بهن لفعل ولاختار حسان الأ بكر على الثيبات
ولما نزلت هذه الآية قالت عائشة له كلمة شاذة لعلها أشد ما صدر عنها من
إدلال حب الزوجية وغرارة الحداثة : قالت له ما أرى إلا أن ربك يسارع في
هواك (١) تعني بهواء رغبته وميله النفسي فقابل (ص) هذه الكلمة الجريئة الثانية
عن الأدب بحله الواسع حتى علمت عائشة وغيرها أنه (ص) لم يكن له أدنى هوى
نفسى في هذه التوسعة عليه فانه لم يعمل بها ، وإنما كانت لأجل تربيتها هي وسائر أزواجه
واقناعهن بكمال عدله فيهن وفضله عليهن فيما لم يوجب ربه عليه

وكانت عائشة على حداتها قوية الإيمان والاحلال له (ص) ولكن القيرة النسائية
كانت تغلب على وجدانها - ولقد أقنعتها حفصة في سفرهما مع النبي (ص) بأن تستبدل
بغيرها يغيرها ففعلت فرأته (ص) يكلم حفصة ظاناً انها عائشة فاشتعلت نار غيرها فلما
بزلت وضعت رجلها في الأذخر (نبات عطر معروف) وصارت تدعو الله أن يرسل إليها
حية أو عقرباً تلدغها وتقول : انه نبيك ولا أستطيع أن أقول له شيئاً . رواه البخاري
روت معاذة عن عائشة قالت ان رسول الله كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد
أن أنزلت هذه الآية (ترجي من تشاء منهم الخ فقلت لها ما كنت تقولين ؟ قالت كنت
أقول له إن كان ذلك إلي فاني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحداً ٢) وفي رواية
لم أوثر أحداً على نفسي . فأين هذا الجواب من انكارها عليه مد يده إلى زينب
لمصافحتها في بيتها ومن تجسسها عليه إذ أبطأ في زيارته لها يوم شرب العسل عندها ؟

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرها (٢) رواه البخاري (يتبع)

العقيدة السلفية والاستاذ الدجوي

حديث فاطمة بنت أسد

(لم يجد الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي طريقة لخدمة الاسلام والمسلمين في مجلة الأزهر (نور الاسلام) إلا الطعن في العقيدة السلفية وأهل الحديث والطعن على متبعيها عامة وأهل نجد خاصة ، وترويج البدع ، وقد جاءتنا عدة رسائل في الرد عليه أينما نشر شيء منها ، ولو اخترنا أمثلها حجة وأدبا لفضلنا منها ما كتبه الاستاذ العالم العامل الشيخ محمد بهجة اليطار الشهير إذ كنا اطلعنا على أوله فاستحسنناه . وقد نشر أربع مقالات منه في مجلة الرابطة الاسلامية الدمشقية ثم عطلت هذه المجلة فأرسل اليها الخامسة فقرأنا أن تنشرها ضنا بها أن تضع وهذا نصها والعنوان من الاصل)

قال الاستاذ الدجوي [وقد توسل ﷺ بالانبياء السابقين بعد موتهم كما في الحديث الصحيح] ثم أورد حديث فاطمة بنت أسد ، والشاهد منه [اغفرا لي فاطمة بنت اسد ووسع لها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي فانك ارحم الراحمين] قال [اخرج الطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم بسند صحيح] أقول قوله : في الحديث الصحيح وبسند صحيح . هو حكم غير مسلم ولا صحيح فان في سنده روح بن صلاح المصري ، ضعفه ابن عدي . والحديث لم يرضه الشيخان ولذا لم يخرجاه في الصحيحين ولا سائر اصحاب الكتب الستة ، ويعلم النقاد البصرون بعلى الاحاديث أن كل ما لم يخرجوه هؤلاء كلهم قلعة قوية فيه ، وعلى الحديث يعلمها الراسخون في علم السنة ، ولست الآن في صدد التصحيح والتضعيف فأورد ما قاله أئمة هذا الشأن فيه وعلى فرض صحته لا شاهد فيه ، إذ هو توسل بحق النبيين صلوات الله عليهم وحقهم هو ما فضلهم الله به على غيرهم من النبوة والرسالة ، وما خصهم به من الخصائص والزايا كاجتنابهم واصطفاؤهم ، وما وعدهم به من النصر والتمكين والعز والتأييد ، وقبول شفاعتهم إذا شفّعوا بعد الاذن والرضا ، فهذا توسل اليه تعالى بأفعاله ، وأفعاله سبحانه ليست من مخلوقاته ، بل هي من مقتضى أسمائه وصفاته ومثل حديث فاطمة ما رواه أحمد وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري

رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « من خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم أني أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشي هذا » الحديث وفي سننه عطية العوفي وهو ضعيف كما قالوا ، ولكن معناه صحيح فهو توسل إلى الله بعمل المتوسل من دعائه والمشي إلى الصلاة وبما وعد على ذلك ، فحق السائلين عليه الإجابة ، وحق الماشين إلى المساجد الإثابة : قال تعالى (ادعوني أستجب لكم) وقال (أجيب دعوة الداع إذا دعان) وقال (ان تنصروا الله ينصركم) وقال (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) فالسائلون يسألونه تعالى لتحقيق ما وعدهم به ، وقد تفضل فجعله حقاً لهم عليه سبحانه ، وتحقيق وعده هو من صفاته تعالى الفعلية ، وليس ذلك من محل النزاع في شيء .

وفي الصحيحين (واللفظ للبخاري) عن معاذ بن جبل (رض) قال قال النبي ﷺ « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال الله ورسوله أعلم قال « أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أتدري ما حقهم عليه ؟ قال الله ورسوله أعلم . قال « أن لا يعذبهم » وقد قدمنا عن الامام أبي حنيفة وصاحبيه رحمهم الله قولهم يكره أن يقول الداعي أسألك بحق فلان ويحق أنبيائك ورسلك ، ويحق البيت الحرام والشعر الحرام ، لانه لا حق لغير الله عليه وإنما الحق لله تعالى على خلقه

وبوافقهم في هذا جميع المتمسكين بهدي السلف وآثارهم ممن يقول كشيخ الاسلام ابن تيمية [اللهم بجاه فلان عندك أو ببركة فلان أو بحرمته فلان عندك افضل بي كذا وكذا ، فهذا يفعله كثير من الناس لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الامة انهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء] وقد يظن بعض من لانصيب له من التحقيق - وبعض الظن إثم - أن هؤلاء ينكرون حرمة الرسل وجاههم وكرامتهم على ربهم في حياتهم أو بعد وفاتهم ، مع أن ثبوت الجاه لهم وارد في القرآن . قال تعالى في حق موسى عليه السلام (وكان عند الله وجيباً) وقال في حق عيسى عليه السلام (وجيباً في الدنيا والآخرة)

قال شيخ الاسلام في كتاب التوسل فاذا كان موسى وعيسى وجيبين عند الله عز وجل فكيف بسيد ولد آدم ، صاحب المقام المحمود الذي يضبطه به الاولون

والآخرون ، وصاحب الكوثر والحوض اللورد الذي آتته عدد نجوم السماء وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلا من العسل ، ومن شرب منه شربة لم يظأ بعدها ابداً ، وهو صاحب الشفاعة يوم القيامة حين يتأخر عنها آدم وأولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم اجمعين ، ويتقدم هو إليها ، وهو صاحب اللواء ، آدم ومن دونه تحت لوائه ، وهو سيد ولد آدم وأكرمهم على ربه عز وجل وهو إمام الانبياء إذا اجتمعوا وخطيبهم إذا وفدوا ، ذو الجاه العظيم ﷺ وعلى آله . ولكن جاء المخلوق عند الخالق ليس كجاء المخلوق عند المخلوق فإنه لا يشفع عنده احد الا باذنه (إن كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد احصاهم وعدم عدأ) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) الآية . والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه فهو شريك له في حصول المطلوب والله تعالى لا شريك له لما قال سبحانه (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) اهـ

فقد علمت من هذا أنه ليس الخلاف في جاء الرسل الثابت لهم عند ربهم والذي لا يزايلهم ولا ينفك عنهم أبداً ، بل هو في مزيد عنده تعالى يرفعهم به أعلى الدرجات فكيف بسيد ولد آدم وروحي له الفداء ﷺ ، وإنما الخلاف في فهم المراد من التوسل بالجاء ، أو الحرمة أو الحق ، وهل جعله الله سبباً شرعياً في إجابة الدعوات فإن كان المراد منه معنى يرجع الى أفعاله تعالى وصفاته - كما صفتائهم واجتباائهم وما وعدهم به تعالى من النصر والتمكين ورفع الدرجات في الحياة الدنيا وفي الآخرة فيه نقول ونحن متفقون بيد ان ههنا مسألة مهمة ، وهي أن حقوق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، وصالح الصالحين ، ليست من أعمال السائل التي يستحق عليها الجزاء ، ولا رابطة بينها وبين إجابة سؤاله ، فإذا قال الداعى أسألك بحق فلان الصالح أن تقضي حاجتي . فمعنى ذلك اقض حاجتي لكون فلان صالحاً ، فاي مناسبة بين قضاء حاجتك وصلاحه ، وإذا قلت بجاء فلان اغفر لي ، كان المعنى أطلب المغفرة لكون فلان ذائماً ، وأي ملازمة بين جأه ومغفرة ذنبك ؟ فصلاحه أو جأه ليس

منفياً عنه لافي حياته ولا بعد مماته ، ولا هو محبل نزاع ، ولكنه ليس من عملك الذي تستفيد أنت منه ، وتستحق الجزاء عليه ، وإنما العامل هو الذي يجني ثمرة عمله في الدنيا والآخرة ، قل تعالى (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) يقول الأستاذ الدجوى في خاتمة مقاله الثاني : « على أن التوسل بالأعمال متفق عليه منا ومنهم فلماذا لا نقول : ان من يتوسل بالانبياء والصالحين هو متوسل بأعمالهم التي يحبها الله تعالى ، وقد ورد بها حديث أصحاب الغار ، فيكون من محل الاتفاق ، ولا شك أن المتوسل بالصالحين إنما يتوسل بهم من حيث هم صالحون ، فيرجع الأمر إلى الأعمال الصالحة المتفق على جواز التوسل بها ، كما قلنا في صدر المقالة » اهـ

أقول : قوله هذا غير مسلم على إطلاقه ، بل فيه نظر ظاهر ، فإن المتفق عليه هو توسل كل عامل بعمله ، ويشهد له حديث أصحاب الغار الذي استدلل به ، فهو حجة عليه لا له ، لأن كل واحد من أولئك للنفر الثلاثة توسل بعمله الصالح الذي اخلص فيه لله تعالى ولم يتوسل بعمل غيره . والاصل في هذا قوله تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) فالقول بأن الأعمال الصالحة تنفع العاملين وغير العاملين ، ومنفعتنا وثمرتها تشمل الصالحين والطارحين والمؤمنين والفاسقين ، مما يجري على ترك العمل والزهد فيه ، والاكتفاء بالتوسل بدلا عنه ، ويجعل المتقين والفجار سواء في العاقبة والجزاء : الاولون ناجون بعملهم ، والآخرين يتوسلهم بعمل غيرهم . ولكن الله يقول (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) ويقول (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحيام وحماتهم؟ ساء ما يحكمون)

لو كان التوسل بصلاح الصالحين وعمل العاملين يفيد التوسلين لكان الأمر علينا معشر المسلمين ، ولنا لنا كل خير من ذلك ، إذ كان يمكننا ان نقول مثلاً اللهم أزل ضعفنا وآمن خوفنا وانصرنا على عدونا بجاء سلفنا الصالح الذين جاهدوا في سبيلك لأعلاء كلمتك ، ففتحت لهم فتحاً ميبناً ، ونصرتهم نصراً عزيزاً ، ربنا هب لنا الملك والسلطان ، والعلم والعرفان ، والحضارة والعمران ، مثل ما وهبت لهم ، نسألك اللهم أن

تمنحنا ذلك كله بجهادهم وسعيهم وعلمهم وعملهم، إذ نحن لا جهاد لنا ولا سعي، ولا علم ولا عمل، وإنما نحن طالة على غيرنا يا ارحم الراحمين — أفترى انه تفيدنا هذه التوسلات بحجاء أسلافنا وقوتهم وسعة سلطانهم واستبحار عمرانهم، ونحن قد تداعت علينا الامم فجعلتنا مغنا ونهباً متسماً؟

وهكذا شأن التوسل الديني الاخروي، من وقفه الله وألممه رشده يتقي عقاب الآخرة بما شرعه الله لا تقائه من التوبة والايان والاعمال الصالحة قرب الدارين واحد وحكمته واحدة لا يناقض بعضها بعضاً ولا يبطل بعضها بعضاً، كاحققة الامام ابن القيم وأثرناه عنه في المقال المتقدم فجدد به عهداً (ومثله في كتابي المعجب والقرور من احياء الغزالي) والاصل في ذلك قوله تعالى (ربنا آتنا بما أنزلنا واتبعنا الرسول) فاكثبنا مع الشاهدين) فهو توسل الى الله تعالى بالايان والاتباع ومثله قوله (ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان ان آمنوا بربكم فآمنوا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار) فقد رتب الله عليه الاستجابة بقوله (فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم) الآية. وفي معناها آيات أخرى

فانظر رحمك الله الى هذه الآيات الكريمة، والادعية الجليلة، كيف ارشدتنا الى التوسل الى الله عز وجل بما شرعه من الاخلاص في الدعاء له وحده، والايان بما أنزله من عنده، واتباع الرسول ﷺ على الوجه الذي جاء به من عند ربه، ثم تأمل كيف جعل ذلك سبباً لاستجابة الدعاء بمغفرة الذنوب وتكفير السيئات والوقاية من النار، والنظم في سلك الابرار — وأين هذا التعليم الالهي والتوسل الشرعي، من المعامل التوسلية التي أنشأها المبتدعة لانفسهم ولغيرهم وهم يصدرون منها كل حين من التوسلات المبتدعة أنواعاً متنوعة ما أنزل الله بها من سلطان (قل لتأتم اهل الله) وهل كان دين الله ناقصاً فأكتموه بهذه المبتدعات المحدثات؟

أختم بهذا مباحثي في موضوع التوسل وألوي عنان القلم عنه لا أجيب عما هو اهم منه كباحث الالهية والصفات على طريقة السلف الصالح بما يوضح للمشتبهين أن مذهبهم هو الاسلام والاعلم والاحكم إن شاء الله تعالى

انباء العجالة الإسلامية

(الخطر على الاسلام بسيطرة الانكليز على الحجاز)

(ألفت الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة) والسلمون لاهون غافلون ، وأعداء الاسلام داثبون مسرعون ، يسخرون خوة المسلمين في فتح دار الاسلام ، والقضاء على ملك الاسلام ، ويشغلون أذكياهم بظواهر الامور عن بواطنها ، وبمحقراتها عن عظامها ، فالدولة البريطانية [أقوى اعداء الاسلام] تريد تأسيس امبراطورية عربية بريطانية جديدة تحمل محل الامبراطورية الهندية التي يعلمون قرب أجلها تمتد من مصر الى خليج فارس وتشمل جزيرة العرب كلها بشكل معين . وتقسيم مدبر ، ينفذ في زمن مقدر ، ومن مقاصده الاساسية القضاء على دين الاسلام نفسه من نواحيه السياسية والاجتماعية والعسكرية ، بالسيطرة على الحجاز وقطع الطريق على منصب الخلافة الحق ، ولو بالتوصل اليه بخلافة باطلة مدينة لها خاضعة لنفوذها وقد بينا من قبل ان أعظم تهديد بدأت به هذه الدولة الجشمة للقضاء على استقلال الاسلام والعرب هو استخدام شريفين شهيرين من شرفاء الحجاز لتمليكها أعظم مواقع الحجاز البحرية والبرية (أحدهما) صاحب الجلالة الهاشمية (الملك علي) الذي نصبه الحزب الوطني الحجازي ملكا على الحجاز عند ازمام والده صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين الرحيل من مكة الى حيث تشاء الدولة الانكليزية ليقينه باستيلاء ابن السعود على مكة (وثانيهما) صاحب السمو الهاشمي الامير عبد الله بن الحسين الذي استقدمه بعض اعضاء حزب الاستقلال العربي من الحجاز الى شرق الاردن عقب استيلاء الجنرال غورو الفرنسي على دمشق وإخراج جلالة الملك فيصل منها . لاجل أن ينظم لهم وسائل الدفاع في منطقة شرق الاردن العربية الحرة لانها ليست من فلسطين التي قيدها الانكليز بالوطن القومي لليهود ، وايدست من منطقة النفوذ الفرنسي . فحضر وكان من خدمته للعرب والعربية أن جعل شرق الاردن مقيدة بالانتداب للبريطاني وخاضعة لنفوذ الانكليز العسكري مباشرة ، وتشريد الحزب الذي استقدمه

وأما الخدمة التي اشترك فيها هو وأخوه الملك علي في التمهيد لامتلاك الانكليز للحجاز فهي اتفاقهما على جعل خليج العقبة الحجازي الذي هو من أعظم مواقع البحار الحربية في العالم والأرض الممتدة منه الى معان أهم محطات سكة الحديد الحجازية في أرض الحجاز تابعة لإمارة شرق الاردن ، وخاضعة للانتداب البريطاني السيامي ونفوذ جلالة ملك الانكليز العسكري

أصدر الملك علي الهاشمي وهو تحت حصر الجيش السعودي في جدة إرادته الهاشمية باقتطاع منطقة العقبة - معان من مملكة الحجاز وإلحاقها بإمارة شرق الاردن التي وضعها أخوه تحت السيطرة البريطانية، فعدّها هذا فتحاً ميثاقاً وأمر بإطلاق مائة مدفع ومدفع ابتهاجاً بهذا الفتح ، لان سيطرة الانكليز على الحجاز بعنه أو كله احظى عندهما من سيطرة عبدالعزيز بن السعود، وان كان دين الاسلام لا يبيح لأمثال الخلفاء الراشدين مثل هذا التصرف في أرض الحجاز ولا في غيرها من بلاد المسلمين بل صرح الامام الشافعي ولم يخالفه غيره بأنه لا يجوز لامام المسلمين الاعظم أن يأذن لغير المسلمين بالاقامة في ثغور الحجاز ولا في جزيرة من جزائره فكيف يبيع الاسلام لثل علي بن حسين الذي لم تكن له سلطة شرعية على الحجاز ولا نفوذ فعلي فيما عدا مدينة جدة مثل هذه الهبة ؟ ومن عجائب افتتان هذه الشعوب الجاهلة بلقب «ملك» ان بعض السوريين يتمنون أن يكون «الملك علي» هذا ملكا لسورية وان بعض كتابها يتشرف بسؤاله عن سياستها وينقل أقواله السخيفة في الجرائد فتناقضها !! ان هذه الهبة ليس لها قيمة شرعية ولا قانونية بيد ان قوة الدولة البريطانية وقي الله الاسلام والعرب شرها ، وأدال لمصر والسودان والهند منها - تكتفي بهذه الالفاظ لانشاب برائتها في مقتل أي أمة ضعيفة إذا لم تجد مستنداً قانونياً أقوى منها ، وقد حاولت هذا المستند فحيل بينه وبينها ذلك بأنه لما تم لابن السعود الاستيلاء على الحجاز أرادت الدولة الانكليزية ان تحصله على إقرار إلحاق العقبة ومعان بشرق الاردن في المعاهدة التي عقدت في بحره لوضع الحدود بين مملكته وإمارة شرق الاردن فأبى الا ان تكون منطقة العقبة ومعان تابعة للحجاز كما كانت، وقد طالت المشادة والمحادثة بين المندوب البريطاني

(الجنرال كلينتون) وبينه في ذلك و كادت تمشل المعاهدة فاقترح الندوب البريطاني بعد استئذان حكومته تأجيل البت في ذلك الى مفاوضات أخرى مدة سبع سنين لا يحدث أحد الغريتين في ذلك حدثاً جديداً قبل الاقتراح

لماذا اقترح الانكليز تأجيل هذه المسألة ؟ الجواب عن هذا السؤال يؤخذ من كلمة اشتهرت عنهم وصارت هجرام وهي قولهم « ان الوقت معنا - او لنا » وذلك انهم اصحاب روية وأناة، لا اصحاب بديهة وبادرة، واصحاب حزم وثبات، لا اصحاب عجلة، وقد طفقوا يكيدون لابن السعود ويتخذون الوسائل لا خضاعه لم بما فعلوا على حدود العراق ثم على حدود شرق الاردن من الماقل والقوى العسكرية، وبما كان لهم من الدسائس والفتن في الثورة النجدية (ثورة فيصل الدويش) وبدسائسهم الخفية المضعفة لثروة المملكة وملكها وغير ذلك مما ليس لنا أن نخوض فيه الآن ، حتى اذا ما اعتقدوا أن العسيرة قد اشدت خناقها بضيف موسم الحج في هذا العام ، ظنوا ان احداث فتنة جديدة في الحجاز أو ثورة في أطرافه لا تلبث أن يطير شررها الى اعرابه فمدته وان يمتد ليهيها الى نجد ، فتتضي على ملك هذا الزعيم العربي المسلم الشديد البأس قبل أن يوفق الى تنظيم قوته وتوطيد استقلاله ما كادت ترتفع حرارة الصيف من هذا العام الا وقد ارتفعت حرارة الفتن والدسائس السياسية السرية ، مقترنة بالحركات العسكرية الغلنية ، فالانكليز يجمعون قواهم الامبراطورية والعربية الهاشمية في اماره شرق الاردن على حدود الحجاز ونجد . والجيش الانكليزي تنقل بالطيارات من مصر الى شرق الاردن ، وبعض بوارج الاسطول البريطاني ترسو في خليج العقبة الحجازي الذي هو أهم وأمنع موقع بحري حربي في بلاد العرب وكذلك جلالة ملك الحجاز ونجد يجمع قواته أيضاً ، ولماذا كل هذا وكل ذلك ؟

قيل ان سبب هذا وذاك ان ابن رفاة أحد شيوخ الاعراب (البدو) الحجازيين الذي كان فر من الحجاز بعد استيلاء ابن السعود عليه ولجأ الى مصر قد جمع شرذمة من البدو وزحف بها من شبه جزيرة سيناء لاجل مهاجمة الحجاز وإخراج الدولة السعودية منها !!

وقد عتيت الانباء البرقية من لندن ومن شرق الاردن بالظمن في الحكومة السعودية وإضعاف أمرها وادعاء كراهة أهل الحجاز وكذا سائر المسلمين لما حق أهل نجد ... وعظمت في مقابلة ذلك أمر ابن رفاعة هذا وشأن قوته التي قيل انها تبلغ أربعمائة نسمة فارتقت بها بعض الانباء الى أن رآدتها ألف رجل أو أكثر (!!) ثم عظمت أنباء أنصاره وأعوانه الذين يمدونه بالمال والمؤن والذخائر ومنها ان هذا المدد كله من مصر تحمله اليه سفن مخصوصة، وقد صرح بهذا بعض رجال الانكليز الرسميين، فانصرفت أذهان الناس الى الدولة المصرية نفسها، اذ لا يوجد في مصر من يمكنه ذلك غيرها، اذا كانت متفقة مع رجال الانكليز عليها،

نعم أن في مصر جمعية حجازية تكره الحكومة السعودية ولكنها جمعية فقيرة، وان في مصر بعض الشرفاء الذين يودون الادالة لاسرهم من الملك عبدالعزيز آل سعود ولكنهم عاجزون عن مد هؤلاء الثائرين، فلا مال ولا رجال، ولا وسائل لنقل المال والرجال من مصر الى حدود الحجاز، ولو وجد كل ذلك لسيهم لما اقدموا على هذا العمل الا اذا كانت الدولتان البريطانية والمصرية إحداهما أو كلاهما تستخرم لتنفيذ مقاصدها بما يعتقدون به ان هذه الثورة الحظيرة ستكون مهداً لقلب حكومة الحجاز ونزعها من يد ابن السعود

والمنقبون عن خفايا الدسائس في مصر يقولون ان بعض الشرفاء موعود بان يجعل أميراً على الحجاز بعد الحاقه بمصر، وان يجعل راتبه ثمانين الف جنيه في السنة، وان يجعل له حامية مصرية مؤلفة من ستة آلاف من الجيش المنظم وجملة القول ان الانكليز ظنوا ان الفرصة الآن سانحة لا يقادير ان ثورة في الحجاز تنهض من ثورة نجد السابقة، اما ان تنتهي باخراج ابن السعود من الحجاز أو باضطراره الى الاعتراف لهم بالحق العقبة ومعان بشرق الاردن، لأن الاوان قد آن لاجداث ما يريدون فيها من الاعمال التجارية والعسكرية لقرب وصول أنابيب زيت البترول من العراق الى البحر المتوسط ولكن ابن السعود قد شعر بالمراد، وجمع من القوات النجدية والحجازية ما يفوق ما جمعه الانكليز استعداداً لدرء الفتنة إن أقوال الجرائد الانكليزية الكبرى كالتيمنس والديلي تفراف في تكبير حركة

ابن رفاة الصغيرة وفي اراجيفها الكثيرة فيما تحكيه عن اهل الحجاز وعن سائر المسلمين من عندهم لزوال سلطة « الوهابيين » عن الحجاز بفسرها للمسلمين استعداد الانكليز العسكري على حدود الحجاز ونجد من العقبة الى آخر حدود شرق الاردن وتفسره اقوال الامير عبد الله الذي وضع هذه البلاد تحت سيطرتها العسكرية من تصريحه بعد اودة ابن السعود وسعيه طول حياته لاستعادة ملك الحجاز الى نفسه وتفسره اقوال مستر كلوب (ابو حنيك) الانكليزي وأعماله في تنظيم قوات شرق الاردن العربية والانكليزية الذي يعيد فيها سيرته الاولى بين نجد والعراق التي أعقبت ثورة الدويش، وهذه الاقوال نشرتها الجرائد كلها فحسبنا العبرة بها من ذكرها وحاصل هذه الاقوال والافعال أن الانكليز يريدون نقض ما عاهدوا عليه ملك الحجاز ونجد من أنهم لا يحدثون حدثاً في منطقة العقبة ومعان مدة سبع سنين أو يحملوه على مطاردة ابن رفاة فيها اذ الجأ اليها فيتهموه بتهريبها ويعلنوا احتلالها للضرورة والافانهم يسخرون العرب للقضاء على ملك العرب ، ويسخرون المسلمين لتمكينهم من هدم الاسلام واذلاله بوضع الحرمين الشريفين تحت نفوذهم وسلطانهم كشرق الاردن ومصر فان خليج العقبة من الحجاز كزقاق البوسفور من مدينة الاستانة أو أعظم وان الطريق منها الى العراق من جزيرة العرب وسورية والعراق كنياط القلب وهو الشريان الأعظم في الجسم كما بينا ذلك في النار مراراً

كذب الانجليز في دعواهم أن المسلمين لا يسوءهم اخراج ابن السعود من الحجاز فما هي ذي جميع الجرائد الاسلامية في مصر وغيرها تعلن سخطها على ابن رفاة الخائن ، وتمدد كل من يساعده خائناً لامته ودينه ، وكل مسلمي مصر ساخطون على حكومتهم لعدم اعترافها بحكومة ابن السعود ولعدم ارسالها الى الحجاز حقوقه وحقوق أهله في أوقاف الحرمين في العهد السعودي مع اشتداد العسرة في هذا العام. كل هذا وأكثر مما يشعروا بمقاصد الانكليز في العقبة ومعان وشرق الاردن والعراق ، وانهم يريدون تأليف امبراطورية عربية لا تقوم معها للعرب ولا للاسلام قائمة ولا تطمع بعدها مصر ولا جزيرة العرب باستقلال ديني ولا دنيوي فيجب على الصحف الاسلامية في مصر والهند وغيرهما من الاقطار أن ينبهوا

العالم الاسلامي لهذا الخطر الانكليزي على حرم الله وحرم رسوله وعلى الصحف العربية ان تذكر امتها بان كل جهادها في سبيل الاستقلال يكون عبثاً اذا تم للانكليز ما يريدون من الحجاز وقد صار من المعلوم بالضرورة أنه لا سبيل لحفظ الحرمين الشريفين من نفوذ الاجانب الا بالحكومة السعودية التي حفظت فيه الامن على أهله وعلى الحاج كما كان في صدر الاسلام

إلا أن الامة العربية لا تزال غافلة متخاذلة بفساد بعض امرائها وكبرائها واستعباد الطامعين لهم وانما الرجاء الاكبر في ايقاظ مسلمي الهند لهذا الخطر فيجب عليهم السعي لدرثه أو الاتحاد مع الهندوس للقضاء على هذه الدولة للتجربة المتكررة قبل أن تستولى على مهد دينهم وسنفردهم لهذا مقالا خاصا نوجه اليهم

وفيات الاعيان

﴿ الأمير سيف الاسلام محمد أمير لواء الحديدة وملحقاتها ﴾

في منتصف شهر ذي الحجة الحرام غائمة سنة ١٣٥٠ رزئت الملكة البمانية، والامة العربية بوفاة هذا الأمير الجليل، والسيد النبيل، النجل الثاني من أنجال جلالة (أمير المؤمنين، المتوكل على الله رب العالمين، الامام يحيى بن حميد الدين) توفي شهيد الشهامة الهاشمية، والنجدة العربية، غريقاً في سبيل إنقاذ غرقى من أتباعه في ساحل الحديدة، فنبضت اسلاك البرق بنعيه لمصر وغيرها من الاقطار، فاضطربت لها القرى والامصار، وأكبرت الخطب صحف الاخبار على اختلاف سياستها وأحزابها، ونوحت بمناقب الفقيد الشهيد التي كانت خاتمتها هذه النجدة التي بذل روحه الكريمة فيها، وتواترت التعازي البرقية والبريدية على جلالة والده العظيم من جميع الارحاء وكان أحسن الله عزاءه وأطال بقاءه يحيب كل معز بما يليق به من الطريق الذي جاءت به تعزيتة. واننا نسجل في المنار ما كان من صفة شهادته، والمهم من ترجمته، ملخصاً من جريدة (الايان) الغراء الشهرية التي تصدر في صنعاء عاصمة اليمن ثم تنشر تعزيتنا لجلالة والده الامام ورده الكريم :

هو صفة امتشاده من رسالة مكاتب الجريدة في الحديدة قال :
 خرج رحمه الله في يوم الخميس الموافق ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٥٠ في جمع من
 خاصته الى مكان من شاطئ البحر الاحمر يبعد عن ميناء الحديدة بنصف ساعة
 بالسيارة تقريباً ، وكانت الخيام قد نصبت فاستراحوا قليلاً وتزولوا يستحمون
 في البحر . وكان رحمه الله يجيد السباحة فكشوا مدة ثم خرجوا بعدها الى الخيام
 يتجاذبون أطراف الحديث ويتذاكرون ، وجلس سمو الامير يحدث الجميع - بتلك
 البساطة ، وذلك التواضع الذي هو خير من عرف به - عن المشاريع التي بعدها
 لاسعاد اليمن والحديدة خصوصاً ، وعن عظيم آماله في أن يرى اليمن وسائر الاقطار
 العربية تخطو الخطوات الواسعة الى الامام في القريب العاجل ، وجلسوا طول
 تلك الليلة وسموه يحادثهم بمذنب حديثه إلى ما بعد منتصف الليل حيث قام الجميع
 الى النوم فنام وقام بعد ساعة يحدث الجميع عن رؤياه التي رآها وهي [انه خرج
 من جميع ماله وتصدق بالباقي على الفقراء وسافر لأداء فريضة الحج وهو باك]
 فجعل كل يفسر تلك الرؤيا تفسيراً تطمئن له القلوب ، ثم تناولوا طعام الافطار
 بعد أداء فريضة الصلاة وجلسوا يتحدثون الى قريب الظهر ، فأظهر سموه رحمه
 الله الرغبة في الاستحمام ودفع الجميع الى البحر ولكن سرعان ما اشتدت الريح وقوي
 الد ، وصار كل يجاهد ويغالب الموت الذي كان ينشر رايته المشثومة

وعند ذلك تتجلى شجاعة ذلك الامير العظيم فيندفع بنفسه يغالب الامواج
 الثائرة والأمواج المتلاطمة مسرعاً لينقذ من كن في خطر ، أنقذ الاول ورجع
 للثاني والثالث ثم ما رجع للرابع يريد إنقاذه إلا وتعلق به وفي تلك اللحظة حم
 القضاء ونفذت إرادة العظيم القادر فهبط إلى قاع البحر وذهب سموه الى رحمة
 ربه شهيد المروءة والانتقاد شهيد الشهامة والشجاعة - وما علت تلك الامواج
 الثائرة التي اختطفتها انها اختطفت آمال امة جزعت وذهلت لهول المصاب
 الذي عقد اللسن منها

عصم الله تلك القلوب الدامية بمجمل العبر أما ذكراه الطيبة الطاهرة فخالصة الى الابد

مولده ونشأته

«ولد رحمه الله ورضي عنه في رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف بمقام جده مولانا الامام المنصور بالله رب العالمين أبي يحيى محمد بن حميد الدين رضوان الله عليه ونشأ في حجر والده إمام الزمن أمير المؤمنين أيده الله وأمد مدته مغارس طالتي في ربي المجد والتقت على أنبياء الله والخلفاء وعلى هذا يكون عمره الشريف عند وفاته أربعاً وثلاثين سنة وأشهرًا. ونشأ بمحروس قفلة عذر وهنالك كرع من بحر الفضائل، وجثى بين أيدي العلماء الفطاخل، فاشتري نفيس الفوائد بنوم أجفانه، حتى تفرد بعرقاته، وكان المجلى على أقرانه في تحصيل العلوم، والتحلي بمنطوقها والمفهوم. وله مشايخ كثيرون في جميع العلوم والفنون - منهم في مبادئ الطلب الفقيه لطف بن سعد السميني والسيد الفاضل محمد بن عبد الله المقدي الاهنومي والقاضي يحيى بن محمد النشم الأنسي والفقيه المحقق أحمد بن قاسم الشمط الاهنومي

وعند أن قوي ساعده في الادراك رشف من معين القاضي العلامة عبد الوهاب بن محمد المجاهد الشامي. والقاضي المحدث اسحاق بن عبد الله المجاهد الصنعاني والسيد العلامة حسين بن محمد أبوطالب والمولى العلامة شيخ الاسلام علي بن علي البماني. والسيد العلامة المحقق عباس بن أحمد بن ابراهيم الحسني وغيرهم كثير وقد أجازهم كثير من أعلام العلماء الذين تشدد اليهم الرجال، وتضرب بعلو درجاتهم الامثال، في المعقول والمنقول، فمن أجازهم إجازة عامة والده جلالة مولانا أمير المؤمنين أيده الله ومتع الاسلام والمسلمين بمضاعفة أيامه

وأجازهم المولى العلامة الحجة شرف الاسلام القاضي الحسين بن علي العمري حفظه الله والمولى العلامة سيف الاسلام أحمد بن قاسم حميد الدين والمولى العلامة رئيس المحكمة الاستئنافية السيد زيد بن علي الديلمي والسيد العلامة الحافظ أحمد ابن عبد الله الكبسي والمولى شيخ الاسلام علي بن علي البماني. والاستاذ العلامة خليل أسعد افندي رئيس محكمة التدقيق الخفية: والسيد الحافظ أحمد بن محمد

الغاري المغربي الحسني، والاستاذ الشهير محمد حبيب الله الشنقيطي المغربي نزيل
القاهرة وسواهم كثير وجم غفير. اهـ وللقيد شعر كثير ذكر منه الترجمة هذين البيتين
وما هذه الدنيا سوى كسب مقتم لأجر جزيل أو لذكر مجمل
فمن جاد منها لم يكن خاسراً بها ولا ناقصاً والفضل للمتقبل

(المزار) كان ينبغي لكاتب الترجمة أن يذكر ما تولاة القيد من الاعمال
وسيرته فيها، وسفره إلى ايطالية وما استفاده منه ، وما كان له من الآمال في
خدمة أمته ووطنه التي أشرنا إليها في تعزية والده .

﴿ تمزيقنا لجلالة الامام الهمام ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رشيد آل رضا إلى حضرة أمير المؤمنين الامام يحيى حميد الدين .
سلام الله عليه وعلى آله الطاهرين
أما بعد فان مصابكم بنجلكم الكريم الهمام، الامير محمد بسيف الاسلام، هو
مصاب لنا وللأمة العربية والسلة الاسلامية : هو مصاب لنا لاننا منكم نشعر
بشعوركم ، ونألم لآلامكم ، كما نسر بكل نعمة يسبغها الله عليكم - وهو مصاب للأمة
العربية لان نجلكم أمير من أعظم أمرائها، وزعيم من خير زعمائها ، كانت ترجو
أن يكون من أرسخ دعائم نهضتها ، بملوهمته ، وزكاء قريحته ، وحسن تربيته ،
وسعة علمه وخبرته : في شرف أرومته ، وكرم منبته ، وقد ظهرت لها بوادر أعماله
الاصلاحية ، من إدارية وعسكرية ، وشهد لها سبب شهادته بكبر شهامته ، وإثارة
ونجدته - وهو مصاب الأمة الاسلامية بما كان سيقاً من سيوقها السلولة ، ورباباً من
ربابنة سفينة نجاتها المأمولة - فهذا ما بلغنا من نعوته وشماله ، وما روي لنا عن آرائه
وآماله ، المستنبطة من أقواله وأعماله

فأجدر بأولي الشعور من شعوب أمته ، وبمعجبي الاتفاق من أهل المذاهب
المختلفة في ملته ، أن يعدوا شهادته مصيبة عامة ، وكارثة طامة ، تملأ القلوب حزناً

وخشوعا ، وتفيض لها العيون دموعا ، وتردد الالسن فيها حوقلة واسترجاعا
وأما أنت أيها الامام العظيم، والأب الرؤف الرحيم ، فلئن كنت أجدر
بمحزن القلب وفيض الدمع ، بمقتضى سلامة الطبع وهدى الشرع ، فلأنت أحق
بأنصبر الجميل ، وأحرص على صلوات الله ورحمته للصابرين المسترجعين ، بما أوتيت
من قوة الايمان ، وثبات الجنان ، وسعة العرفان ، وقيامك في محراب الامامة
في الدين ، والاسوة الحسنة في جدك محمد رسول الله وختم النبيين ، صلوات الله عليه
وعلى آله الطاهرين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

﴿ جواب جلالة الامام ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد العلامة والمرشد الفاضل الفهامة ، الشريف محمد رشيد آل
رضا صاحب المنار ، حرس الله مهجته ، وأطال في الرشاد مدته ، والسلام الكريم
عليه ورحمة الله وبركاته ، أيها السيد الفاضل ما أوفي كتابكم الكريم باداء سنة
الدين ، وأشفاء بيانا لحسن العزاء بمن مضى شهيداً ولحق بسلفه الصالحين ، وأراع
بالفراق قبل الامتاع ، ولبي نداء ربه ممتطياً صهوة الاسراع ، فلئن كان المصاب
بوقاته عظيماً ، والرزاء بمفاجأة يومه جسيماً ، قد بلغ الغاية من مرارة النكابة ، واضرام
حرارة الاحزان ، واثارة عواصف الاشجان ، فما في كتابكم الكريم من تحلية
الفقيد رحمه الله بنعوت المهادح ، والتوصية بالصبر الجميل في المصاب الفادح ، والتسلية
بذلك الاسلوب المرغوب من القول الشارح ، قد باغ الغاية في الافادة ، وحسن
البيان والاجادة ، فشكراً لكم على تلك اليد البيضاء المجلوة في الكتاب ، وامتنانا
يزف اليكم مقرونا بثناء مستطاب ، والله سبحانه يجبر المصاب بما نرجوه من وفور
الاجر ، والاعانة على دوام الاعتصام بالصبر ، والتحلي بالرضا والتسليم ، لحكم الرب
الحكيم ، واسبال شايب الرحمة والرضوان على الفقيد الشهيد ، والاستعداد ليوم المعاد ،
وبلوغ المراد من حسن الختام ، والدعا مستمد وشريف السلام . في ١٨ المحرم سنة ٥١



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام ضوى « وضاء » كمنار الطريق

ربيع الاول سنة ١٣٥١ هـ في برج الاسد سنة ١٣١١ هـ من يولييه سنة ١٩٣٢ م

نراء للجنس اللطيف

يوم ذكرى المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

(في حقوق النساء في الاسلام ، وحظن من الاصلاح المحمدي العام)
(تابع لما نشر في الجزء الماضي)

٢٤

تحريم النساء على النبي ﷺ بعدما تقدم

قال تعالى بعد هذه الآية من سورة الاحزاب في التوسيع على نبيه ﷺ في أمر النساء وما كان لها ولما قبلها من اتعاط نائه وتأديهن ومن اختيارهن البقاء معه «ص» مع القشف والزهد ، على الحياة الدنيا وزينتها مع فراقه

(٥٢) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا

ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية نزلت في مكافأة أزواج النبي التسع على اختيارهن مرضاة الله ورسوله وثواب الدار الآخرة على نعيم الحياة الدنيا وزينتها فحرم عليه أن يتزوج عليهن أو يستبدل بهن أزواجا أخرى ، وإن قوله تعالى (من بعد) معناه من بعد هؤلاء التسع اللاتي في عصمتك أو من بعد اختيارهن لك ، وروي عن مجاهد وسعيد بن جبير من كبار مفسري التابعين أن المعنى لا يحل لك النساء بعد الذي أبيع لك في الآية السابقة أي من اتصرف في معاملة أزواجك التسع كما تشاء ، وما له أنه لم يبق لمن من سبيل إلى إزعاجك ، ما كن يزعمونك به ، الذي أدى إلى تهديدن بالطلاق ، والتخير بين الامساك والفراق

وقوله تعالى (ولو أعجبك حسنهن) ظاهر في حبه (ص) للحسن والجمال وكيف لا وهو الكامل الذوق والحلال ، القائل « ان الله جميل يحب الجمال » ١ ولكنه

(١) رواه مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود

النار: ج ٧ م ٣٢ آية الحجاب لما يجب على المؤمنين من الادب مع أزواجه (ص) ٥٠٩

كان يؤثر المصلحة على التمتع النفسي، ويشرع الله له ما هو أليق بمقامه الاصلاحى،
لما تادل عليه كلمة عائشة بقرينة غيرها الزوجية من كل ما تمواه نفسه

واستثنى ههنا ملك اليمين وهو ما يسوء من لو حصل ولكنه لم يحصل فهو لم يسترق
سبية ولم يشترأة يتسرى بها وإنما كان تسريه المعروف قبل ذلك . والمراد بكل هذا
أكمال تربية الأزواج الطاهرات المختارات حتى لا يمدن إلى تلك الصغائر النسائية
المرعجات له (ص) وبذلك كمل إيمانهم بكأله

ومن المعلوم بالطبع ان أم ما بهم المرأة من زوجها هو وظائف الزوجية ووسائل
المعيشة وان المرأة أعلم الناس بضعف بعلمها البشري، وان صفاته الزوجية قد تحجبها
عن خصائصه الروحية والعقلية، وتعد الصغير من ذنبه معها كبيراً، والقليل من تقصيره
كثيراً، وقد قال (ص) في بعض مواضعه للنساء «يا معشر النساء تعبدن وأكثرن من
الاستغفار فاني رأيتكن أكثر أهل النار» فسألته عن السبب فقال « انكن تكثرن
اللعن وتكفرن العشير » يعنى الزوج أي ينكرن فضله ومعروفه. (١)

فمن ثم قال بعض علماء الافرنج إن سبق خديجة إلى الايمان بمحمد وبقينها فيه من
أقوى الدلائل على صدقه، وكذلك كان سائر نساءه (ص) في قوة الايمان به واتباع
هديه وإظهار الشرف بزواجه مع القشف والشطف، على كل ما في الدنيا من زينة وترفه.

٤٣

آية الحجاب

(بيان ما يجب على المؤمنين من الادب مع الرسول (ص) وأزواجه)

(وما يحرم عليهم من إبدائه)

قد فطر الله محمداً على مكارم الاخلاق وعقائل الآداب، وكل أخلاقه وآدابه
بوحيه اليه هذا القرآن، ينبوع الحكمة وشمس العرفان، ووصفه فيه بقوله:

(وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ عَظِيمٌ) وقوله (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَآوَى

كَنتَ فَمَا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا تُفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

(١) رواه البخاري ومسلم وله تمة

وكان على رحمته ولينه ولطفه وحلمه — وقوراً مهيباً وشجاعاً بأسلاً، وجليلاً
حلالاً، حتى كان بعض من بحيته معادياً يريد القتل به ترتعد فرائضه عند رؤيته
فيقول له ﷺ «هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد» (١)
فكان يهون على الناس مهابته بالمبالغة في التواضع فينهى عن الغلو في تظيمه وعن
الوقوف بين يديه وكان كما قال عند بن أبي هالة: من نظر إليه بديهة هابه، ومن طأشره
معرفة أحبه. وكما قال ابن الفارض

بجلال حجته بجمال هام واستعذب العذاب هنا كما

ومن شواهد مهابته (ص) ما رواه الشيخان عن زينب السقفية امرأة عبدالله بن
مسعود قالت قال رسول الله (ص) «تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن» قالت
فرجعت إلى عبد الله بن مسعود فقلت إنك رجل خفيف ذات اليد وإن رسول الله
(ص) قد أمرنا بالصدقة فأتته فأسأله فإن كان ذلك يجزي عني وإلا صرفها إلى غيركم
فقال عبدالله بل أئتم أنت، فأنطلقت فإذا امرأة من الانصار ياب رسول الله (ص)
حاجتها حاجتي وكان رسول الله (ص) قد ألقيت عليه المهابة فخرج علينا بلال فقلنا
له أنت رسول الله (ص) فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك أتجزي الصدقة عنهما
على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن، قالت فدخل بلال على
رسول الله (ص) فسأله فقال له رسول الله «من هما؟» فقال امرأة من الانصار
وزينب فقال رسول الله (ص) «أي الزيانب؟» قال امرأة عبدالله بن مسعود فقال
«لها أجر القرابة وأجر الصدقة»

وكان قومه العرب أوسم الاقوام حرية وأجراً ثم على العطاء لعدم وجود
ملوك جبارين فيهم يستذلونهم، ولا رؤساء دينيين يرعونهم على الخضوع لهم، فكانت آداب
أتباعه معه ﷺ دينية وأزعا نفسي لا قهري ولا عرفي، وتعاليمهم فيها مستمدة
من كتاب الله تعالى ومن سنته (ص) والتأسي به — ولهذا كانت في كمالها ونقصها تابعة
لقوة الايمان وسعة المعرفة — وكان فيهم الاعراب الجفاة، المنافقون العتاة، ومرضى
القلوب. وكان الجميع يدخلون بيوته ويتحدثون إلى أزواجه في أي وقت من ليل او نهار
كان هذا الامر يثقل عليه وعلى علماء الصحابة وفضلائهم وكان عمر بن الخطاب
من أشد من غيرة وجرأة وحزماً وأجمعهم لهذه الصفات على أكملها فكان بطالب النبي
«ص» يحجبون عن الرجال — فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قاله

(١) رواه الحاكم عن جرير وصححه على شرطهما

قال عمر بن الخطاب يا رسول الله ان لساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرت أمهات المؤمنين بالحجاب فانزل الله آية الحجاب أي فكان هذا مما وافق رأيه القرآن وروى الطبراني بسند صحيح عن عائشة قالت كنت آكل مع النبي (ص) في قعب (١) فر عمر فدعاه النبي «ص» فأكل فأصابته أصبعه أصبعي فقال: أوه! لو أطاع فيكن ما رأتهن عين. وروى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أنس قال لما زوج النبي (ص) زينب دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فأخذ كأنه يتبها للقيام فلم يقوموا. فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام و قد ثلاثة نفر فجاء النبي (ص) ليدخل فإذا القوم جلوس (فرجع) ثم انهم قاموا فانطلقت فجئت فأخبرت النبي «ص» انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقي الحجاب بيني وبينه فانزل الله آية الحجاب:

﴿ آية الحجاب وسبب نزولها ﴾

(٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِ بْنِ إِثْنَةٍ - وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا - وَلَا مَسْتَنِينَ يَلْمِذِينَ، إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَعِجِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا تَأَلَّوْهُنَّ مَتَمًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا

حاصل معنى الآية نهي المؤمنين عن دخول بيوت النبي «ص» على أزواجه كما كانوا يفعلون لاجل الطعام أو الكلام أو غيرها من الحاج (٢) إلا في حال الاذن

(١) القعب بالفتح إماء ضخم كالقصعة (٢) الحاج بتخفيف الجيم جمع حاجة

لهم ودعوتهم منه أو من قبله إلى طعام ناضج حاضر غير متظرين لانه أي نضجه حتى لا يطول مكثهم فيها (قال) ولكن إذا دعيت إليه والحال مذكر فادخلوا ، فإذا طعمتم أي اكتم الطعام فانتقموا ، أي اخرجوا وفرقوا بلا تربت ولا بطء كما يدل عليه المطف بالفاء - ولا تدخلوها مستأنسين لحديث أي طالبين للانس والنسلية بالكلام مع أهلها ولا بينكم فيها - فنع دخولهم لأجل الطعام إلا بدعوة إليه بشرطها ، ومنع دخولهم لأجل الكلام مطلقاً ، وعلى المنع بأن ما كان من دخولهم بيوتهم ومكثهم فيها كان « يؤذي النبي » أي يؤلمه ولم يقل « يؤذيه » للتذكير بأن إيذائه بصفة النبوة اعظم من إيذائه بصفته الشخصية — وانه لفرط حياته وأدبه كان يخفي عنهم أذاه وألمه منهم ، فلا يصرح لهم به ولا يعمل بموجبه فيتهام عن الدخول والمكث (والله لا يستحي من الحق) أي لا يمتنع أن يظهره بالأخبار به والامر بالإنذار والنهي عما ينافيه — لانه تعالى لا يرض له الانفعال البشري الذي يمنع الانسان عن مواجهة غيره بما يكره ولما كان هذا المنع لدفع الاذى عن الرسول لا لحرمان المؤمنين من الاتفاع من أزواجه بما اعتادوا أن يطلبوه من بيوتهم قال (واذا سألتهم من ماعاً) وهو كل ما يتفع به من ماعون وغيره ، ومثله السؤال عن العلم بالأولى (فاسألوه من وراء حجاب) أي ستر مضروب دونهن بحيث يسمعن ما يطلبون من غير مواجهة ولا استئناس في المخاطبة ، والله بقوله (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) أي ذلكم السؤال من وراء حجاب ، أو الذي ذكر كله من نهي وأمر بشرطها (أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الخواطر الطبيعية ، والوساوس الشيطانية ، التي يثيرها تلاقي النساء والرجال ، واسترسالها في حديث الاستئناس وشجونه ، واختلاف الافهام والتأويلات فيه

(وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) وما كان من شأنكم ولا بما يصح أن يقع منكم ايها المؤمنون إيذاء رسول الله بحال من الاحوال ، لان تعمد إيذائه ينافي الايمان ، فوجب أن يتقى وتسد ذرائعه (ولا أن تسكحوا أزواجه من بعده أهدأ) فان الله تعالى جعلهن أمهات لكم ، وجعله أولى بكم من آبائكم بل من أنفسكم — وكل صحيح الايمان يشعر من نفسه بان رسول الله أجل في قلبه من أمه وإبيه وأحب إليه من نفسه التي بين جنبيه — ومن لوازم إجلاله لإجلال حالته وإحلاله من قلبه محل الكرامة الدينية الروحية ، البعيدة عن شهور الشهوة الجنسية ، بأشد من صرف إجلال الام الجسدية لانفس عن اشتهاها — فكيف يسمع له وجدانه الديني أن يحل

من إحداهن محل رسول الله ﷺ ؟ أوليست ذكرى الرسول عند إرادة قرب به منها - إن حصل - كافية لاثارة عاطفة الحياء منه والاحلال له الصارفة له عن ملامستها ؟ بلى والله ولكن روي عن بعض المنافقين ومرضى القلوب أنهم تحدثوا بنكاح فلانة وفلانة من أمهات المؤمنين بعد وفاته ﷺ فيبين الله تعالى في هذه الآية أن هذا ليس من شأنه أن يفهم من المؤمنين ليعلموا أن من يتحدث به لا يكون إلا من المنافقين . فان قوله تعالى (وما كان لكم) نفي لاشأن لا مجرد الفعل وهو يقتضي نفي الفعل بالدليل - وان كل مؤمن ليشرح في كل زمن بأن إيداء الرسول ونكاح بعض أزواجه يتنافى الإيمان بأنه رسول الله ﷺ وقد أكد ذلك بما يدل على الوعيد الشديد على مخالفته فقال (ان ذلكم كان عند الله عظيماً) أي خطباً عظيماً وحبوا كبيراً

فلم من نص الآية وما ورد في سبب نزولها أن الامر بحجاب ازواج النبي (ص) قد كان لتقرير ما يجب على المؤمنين من توقيره وتعظيم حرمة، وسد منافذ التذرائع دون كل ما يكون من إيدائه، وقطع طرق الشهوات وزغات الشيطان أن تطوف بقلوب مجالسهن ومحدثهن بما يمس مقامه في منصب النبوة والرسالة، أو يهبط بهن من أوج أمومة المؤمنين الروحية، إلى خواطر الزعات الزوجية ، ولا ننسى أن المنافقين إذا لاحت لهم شبهة في إحداهن بنوا عليها من الافك والبهتان ما يمن لهم ويوسوس به الشيطان كما فعلوا في رمي السيدة عائشة بما أنثر في قلوب بعض سذج المؤمنين حتى نزلت برأيهما من السماء ومن هذا القليل في سد الذريعة على الخواطر والوسوسة أن صفية أم المؤمنين زارت النبي ﷺ وهو معتكف في العشر الاخير من رمضان في المسجد فتحدثت عنده ساعة من المشاء فلما قامت تنقلب راجعة قام معها النبي (ص) حتى إذا بلغا باب المسجد مر بهما رجلا - لان من الانصار فسما على رسول الله (ص) ثم تقفدا (المطلقا مسرعين) فقال لهما (ص) « على رسلكما انما هي صفية بنت حيي » قالا سبحان الله يا رسول الله ، وكبر عليهما ما قال . فقال (ص) إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا » رواه الشيخان

ولا تدل الآية بتصريح ولا تعريض على تعليل الحجاب بالخوف على شرف صيانهن وحصانهن ، لا منهن ولا عليهن ، كما يتوهم بعض المعارضين من غير المسلمين على مسألة الحجاب في الاسلام إذ يقولون ان المسلمين يحجبون نساءهم عن الرجال لعدم تقهيم بعفتهم ، وهذا باطل . وسأعود لهذه المسألة في الكلام على آداب النساء ، وأختم الكلام في مسألة الازواج الطاهرات ببيان تبيجها وتمررتها

﴿ نعمة هداية القرآن والسنة في أزواجه ﷺ ﴾

هذا الوحي الالهي، والمهدي الحمدي، علم أولئك الضرائر التسع ان الاصلاح
الاعلامي للبشر يكافهن أن يكن لسوء لا كالنساء، وأزواجاً لا كالأزواج، يكلفهن
أن يحتقرن التنافس في الطعام والشراب، والمباراة في زينة الحلي واللباس، والتحاسد
على الخطوة عند هذا الزوج العظيم في حب الزوجية، وتناسي وظيفته العليا وهي
النبوة — علمن بما ذكر أن الله تعالى ورسوله يريدان منهن أن يكن قدوة صالحة وأسوة
حسنة لجميع النساء، ومعلمات للمؤمنات، ومثلاً بارزة في البر والتقوى، والعلم والحكمة، ومعالي
الأمور ومكارم الاخلاق، من العفة والصيانة والامانة والديانة، وأن يرحثن ما يشتهين
من الزينة والنعمة إلى الدار الآخرة (فامتاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل)
خيرهن الله ورسوله بين الأبررين فاخترن خيرهما، وأتم الله نعمته عليهن بما
شرعه لرسوله ولهن مما يزيهين من مساوس الغيرة ودنيا المضاورة، فمهن لمن مراد الله
تعالى بها وبما شرعه للمؤمنين من جعلهن أمهات لهم، وضرب الحجاب عليهن دونهم،
حق لا يفكر مؤمن فيما دون أمومتهم الروحية، وإجلال منصب النبوة، إذ قال
تعالى في هذه السورة (٣٣: ٦ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)
ولقد كان لساء المؤمنتين يلجانن إليهن بالشكوى من تقصير رجالهن في حقوق
الزوجية حتى حقوق الفراش أنقط لهما للعبادة فيلفن النبي (ص) ذلك فيشككن،
ويذهبن رجالهن عن التنطع والخلق في العبادة والامتناع من أكل الطيبات وحجر
الأزواج في الفراش، مبالغة في صيام النهار وفيام الليل، ويقول لأواحد منهم
« إن لجسدك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً » الخ ولا محل أبسط ذلك هنا
وقد نقل لنا المحدثون والمؤرخون عنهن من فضائل الزهد والبر والصدقات
والإيثار على النفس بعد رسول الله ﷺ إذ أقبلت الدنيا على المسلمين وأنجز الله
لهم ما وعدهم به من الفنى والملك ما ثبت انكل عالم بذلك أن تعددهن كان خيراً وملاحاً
للأمة وإعلاء لشأن المرأة فيها، إذ كن أفضل سيرة من جميع نساء الإنبياء والمرسلين،
بل لا يكاد يفضون من نساء الامم إلا مريم ابنة عمران، ومن هذه الأمة غير قاطبة
بنت محمد عليهما السلام، وصلى الله على محمد وأهل بيته وعلى رسل الله أجمعين

التسري وملك اليمين والمخادنة

٤٥

(تمهيد في الرق واصلاح الاسلام فيه)

هذه المسألة مما يجب علينا بيان الاصلاح الاسلامي والهدي المحمدي فيها بما هو مصلحة للنساء وعناية بالجنس اللطيف ، وهي تعد من فروع تعدد الزوجات في أحد الاعتبارين ومن فروع الاسترقاق في الاعتبار الآخر ، وكل منهما كان شائماً في الشعوب والقبائل الهمجية وفي أئم الحضارة والملل السماوية ، وبما في الاصلاح الاسلامي من ضرورات الاجتماع البشري التي تقدر بقدرها . أما الرق فقد مهد الاسلام السبل للقضاء عليه من غير تكليف الامم التي اعتادته وصار منوطاً بمآشها ومصالحها أن تبطله مرة واحدة ، فتختل مصالحها فتعصي أمرها ، وما كان الاسلام دولة عسكرية تقهر الناس على شرعها بالقوة ، وإنما أخذ الناس من طرق الاقتناع والوازع النفسي ، والله يقول لنبيه في كتابه (ان عليك الا البلاغ) فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر * وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)

وهذا التمهيد له طريقان (أحدهما) سد ذريعة الاسترقاق بمحصره في سبب واحد وهو أن يرى إمام المسلمين المصلحة العامة تقضي باسترقاق الاسرى والسبايا في قتال الكفار الشرعي كحماية دعوة الاسلام وداره (وطن المسلمين) من الاعتداء عليهم ، وترجيح ذلك على مصلحة المن عليهم بالعق لاظهار فضل الاسلام وسماحة وعلى مصلحة فداء أنفسهم أو فداء أسرى المسلمين وسباياهم عند الاعتداء بهم فملا بقوله تعالى (حتى إذا أنختهم فشدوا الوثاق فاما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)

وانما تكون مصلحة الاسترقاق أرجح من هاتين المصلحتين في حالات قليلة نادرة لا تدوم كأن يكون المحاربون للمسلمين قوماً قليلي العدد (كبعض قبائل البدو) يقتل رجالهم كلهم أو جلهم فاذا ترك النساء والاطفال لا تقسم لا يكون لهم قدرة

٥١٦ مآشرعه الاسلام لتحور الارقاء. الرقيق الأبيض في عصرنا النار: ج ٧ م ٣٢

على الاستقلال في حياتهم فيكون الخير لهم أن يكفلهم الغالبون ويقوموا بشؤونهم المعاشية (١) ثم تجري عليهم أحكام الطريقة الثانية في تحريرهم

(الطريقة الثانية) مآشرعه لتحرير الرقيق من الترغيب في الاجر وجملة كفارة لكثير من الذنوب، وتوسيع أبواب ما يتق به العبد، حتى قال مصلح الانسانية الرؤف الرحيم « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه » رواه أحمد ومسلم وأبو داود عن ابن عمر (رض) وقد بينا هذا بالتفصيل في المآر ولا محل له هنا، فان موضوع رسالتنا مصالحة الجنس اللطيف في الشرع الاسلامي والاصلاح المحمدي ومنها مسألة التسري قلنا ان مسألة التسري من فروع مسألة تعدد الزوجات، وقد بينا من قبل أن أكثر شعوب البشر قد جرت على هذا التعدد بصور مختلفة، وان سببه القديم الاعظم فيها هو الرق، ثم اختلفت صفاته وتعددت أساؤه، فالشهور الان أن أهل أوربة هم الذين توالطوا بدعوة الدولة الانكليزية على إبطال الرق من العالم كما أنهم هم الذين يتشددون في تحريم تعدد الزوجات ولكننا بينا أيضاً أن أهل أوربة هم أشد شعوب الحضارة المليئة اسباحة للسفاح واتخاذ الاخذان، وانهم هم الذين أفسدوا على أهل البلاد الشرقية التي تقلد في حضارتهم عفتهم وصيانتهم، ونكفوا حماية البنايا والقوادين والقوادات في بلادهم، اذا كانوا من رعاياهم، وناهيك بخزي الرقيق الأبيض

٤٦

(مقدمة ثانية في التسري والمخادنة عند الافرنج والرقيق الأبيض)

ان نخاسة الرقيق الأبيض التي تصدر أوربة بضاعتها إلى كل قطر توجد فيه روة تبذل المال في شهوة السفاح، لا شد خزيا للانسانية وافساداً لها وامتها بالشرفها وجناية على النساء من نخاسة الرقيق الاسود التي يتجربها من يختطفون البنات والولدان من زنوج أفريقية، فان أكثر هؤلاء يباعون ليكونوا خدما في بيوت الاغنياء وأقل الافات منهم يستمتع بهن فان كان مبتاعوهن من المسلمين الذين يظنون

(١) قد ثبت ان الارقاء الذين حررم الانكليز في السودان المصري لم يقدروا على الاستقلال بالمعيشة ولم تقدر الحكومة على كفائتهم فعادوا الى سادتهم كما كانوا الا أن الحكومة تمنعهم من بيعهم. وكذلك جرى في أمريكا عند تحرير رقبته

ان هذا رق جائز ورزق اولادا، ممن يكون اولادهم اولاداً شرعيين لا بائهم، ويكن
هن بذلك أمهات حرائر بعد وقائهم

وأما هذا الرقيق الابيض فهو سوق للالوف المؤلفة من البنات الحسنات من
المراهقات والمصرات والبالغات كالانعام ونقلن من بلد إلى بلد ومن قطر إلى
قطر لأجل التجارة بأعراضهن بالسفاح والخادنة التي تفسد الزوجية الشرعية على
أهلهما، وتنتشر ميكروبات الامراض التناسلية في أجسام المتأين بها، وتعمل سموها
المعنوية في الاخلاق والارواح، شراً مما تفعل ميكروباتها في الابدان، وقد تقام
بعد حرب المدينة العامة شرها، وتضاعف وزرها، وهالكما كتبه بعض علماء الحقوق
في تاريخ التسري وحاله في أوربة في القرن الماضي

جاء في كتاب المقارنات والمقابلات نقلاً عن الاصل الفرنسي منه مانعه
١٥١ « ويكاد التسري واتخاذ الجوازي والاخذان يكون عام الوجود في جميع
بلاد الدنيا حتى في البلاد المحلل فيها تعدد الزوجات وهو مستعمل في أفريقيا
وامريكا وأوربة بكيفيات مختلفة » الخ ثم قال

(١٥٢) « وقد كان التسري معروفاً عند قدماء اليونان بطريقة تقرب من تعدد
الزوجات لان الاولاد المرزوقين من التسري كانوا ياملون معاملة المرزوقين من
النكاح المشروع . وفي زمن من الازمان وجد عندهم نوع آخر من التسري خلاف
الاول كانت الجارية في عبارة عن رقيقة يتخذها الرجل لتتمتع خارج بيته ولا
علاقة شرعية ولا قانونية بينه وبينها

(١٥٣) « وأما التسري عند قدماء الرومان فكان مشروعاً في قوانينهم وتقرب
كثيراً من النكاح الصحيح لانه كان يعتبر الرجل من الزوج بغير الخدن التي يستفرشها
فهو في الحقيقة شكل من أشكال النكاح المحرم فيها تعدد الزوجات

وكان الاولاد المرزوقون منه ينسبون لابيهم ولكنهم ياملون معاملة أمهم، أي
لا يرثون من أبيهم كالمرزوقين من النكاح المشروع. وكان يطلق عليهم اسم (اولاد
طبيعيين) لتمييزهم عن الاولاد الشرعيين . ومعنى الطبيعيين هنا المرزوقون من

٥١٨ مصائب النساء .النسل من تسري الافرنج الباطل المنازع ج ٧ م ٣٢

النكاح المباح طبعاً لا شرطاً . وقد كان حالهم كثير الشبه بحال الاولاد المرزوقين من التسري في زمنا هذا ، لان واضع أحكام الشرع الفرنسي نقل عن شرع الرومان معظم أحكام التسري

(١٥٤) وقد نسخ هذا التسري الروماني بحكم النمراية ولكن الاوربايين لا يزالون يتخذون الاخذان ، ولم يتبعوا شرعهم الديني في تحريم تعدد الزوجات كما يتبع عربان قبائل المغرب شرعهم الديني ويتمسكون بأحكام النكاح وتحريم الزنا ، فان هؤلاء الاقوام يقتلون المرأة التي تلد من الزنا ويسلمون ولدها ثم يبحثون عن الزاني بها ويحاكمونه ، أما الاورباويون فلا يماقبون على التسري واتخاذ الاخذان ، وينضون الطرف عنه ولو أنه غير جائز شرطاً ، والسبب في انتشار التسري في أوروبا كثرة الاجراءات الواجبة الاستيفاء لفقد الزواج المشروع وقيود وتكليفات أخرى سبق ذكرها وأكثر ما يكون التسري في أوروبا بين أرباب الصنائع من الذكور والاناث وبين أرباب الاموال من الرجال وآسافل نساء المدن . وحكم التسري عندنا هدم تقييد الطرفين بأي رابطة بحيث يجوز لكل منهما الانفصال في أي وقت شاء وعدم تكليف الرجل بأي حق للمرأة سواء آتت بولد أو لم تلد . أما الاولاد المرزوقون منه فحالم أدنى من حال الاولاد المرزوقين من النكاح الصحيح وكانوا قبل بضع سنين مجردين عن كل حق على آباءهم ، وقد كثر عددهم في باريس كثرة عظيمة جداً من كثرة انتشار التسري ، إذ يقال أن عشر أهلها يعيشون في تسري أي بدون زواج مشروع . ويقال ان العدد أعظم من ذلك في بعض جهات ألمانيا مثل بلاد « ساكس » و « بواريا » و « سلبورغ »

« ١٥٥ » وقد يرى الباحثون في أمور المعاش وأحوال الناس أن تحريم التسري في أوروبا جاء مضرراً بالنساء والاولاد المرزوقين من التسري ، وقولهم هذا قاصر على النظر في الامر من هذه الوجهة بقطع النظر عن مخالفته للدين اهـ هذا ما كتبه الاساذ موسيو جان ديفيلي في القرن الماضي وان حال بلاد الافرنج كلها في هذا القرن لشر مما كانت عليه قبله في تجارة الاعراض وكثرة سبايا

الرفيق الابيض ولكن فراسة جمعت أولاد الزنا بالاخذان كالأولاد الشرعيين في
اثبات النسب والارث كما رأينا في بعض الصحف

كل ما أثبتته هذا الكاتب المؤرخ القانوني عن التسري وما في معناه في الشعوب
الأوروبية وغيرها فهو من أفظع الجرائم والاهانة للنساء وإلقاء هذا الجنس
اللطيف الضعيف في مواخير الفحش والفساد، وبؤر الادواء والأمراض . أفهذه
هي الشعوب التي حررت النساء ؟ أم هذا هو القرن العشرون الذي كرمت مدنيته
النساء ؟ كلا إن نساء الأفرنج ما أخذن حقاً من حقوقهن المضمونة إلا بقوة العلم
وقوة الإرادة وقوة الاجتماع التي اكتسبها بتأثير التربية والتعليم العام كما أن الشعوب
الأوربية ما نالت حقوقها السياسية من ملوكها ونبلائها إلا بالقوة القاهرة . وستضطرم
قوة النساء واستقلالهن إلى ما هو شر لم ولن كالبلشفية، أو ما هو أضر، وأدهى
وأمر ، من فوضى الحياة الزوجية وانهيار بناء الأسرة ، وقلة النسل المفضي إلى
الانقراض إلا أن ينقذ الله هذه الحضارة بهداية الاسلام

الاسلام هو الذي قرر جميع الحقوق الانسانية وخص النساء بالمعطف والتكريم
فقال نبيه « ما أكرم النساء إلا كريم وما أهان إلا لئيم » على حين لم تكن
الشعوب ترفعهن فوق الحيوانية ، إلا إلى الرق والعبودية ، وانني أدين بكلمة مختصرة
حكم الإصلاح الاسلامي الحمدي لهذا المرض الاجتماعي البشري

٤٧

التسري الصحيح في الاسلام

كل ما كانت عليه الامم القديمة وكل ما عليه الامم الحاضرة من التسري واتخاذ الاخذان
فهو في شرع الاسلام من الزنا المحرم قطعاً الذي يستحق فاعله أشد العقاب وكل من
يستبيح هذا الفجور الخفى وما هو شر منه من السفاح الجلي فهو بريء من دين الاسلام
وأما التسري الشرعي المباح في الاسلام فهو خاص بسببها الحرب الشرعية إذا
أمر إمام المسلمين الأعظم خليفة الرسول «ص» باسترقاقهن وإنما يكون له أن يأمر

بذلك إذا ثبت عنده بمشاورة أهل الحل والعقد أن المصلحة فيه أرجح من المنع عليهم بالعتق ومن اقتداء أسرى المسلمين وسباياهم بهم إن وجد عند الأعداء سبباً وأسرى منا ، فليس الاسترقاق واجباً في الاسلام ولكنه يباح إذا كان فيه المصلحة التي لا يارضها مفسدة راجحة ، ولكل حكومة إسلامية أن تمنع بل منعه من مقاصد الاسلام العامة ، والاسترقاق المهود في هذا المصير للسود والبيض كله باطل في الاسلام قالتسري بالنساء اللاتي يختطفهن النخاسون ، أو يبيعهن الآباء والأقربون ، أو يفرين التجار والقوادون ، كله عصيان لله ولرسوله

تلك الطريقة الشرعية لوجود السبايا في بلاد المسلمين ، وهل يرتاب ما قلنا من أن الخير لمن إن وجد أن يتسرى بهن المؤمنون فيكون في الغالب أمهات أولاد شرعيين كسائر الأمهات الحرائر ؟ فإن الجارية التي تلد لسيدها تعتق بموته اذ لا يصح ولا يجوز في الشرع أن تكون مملوكة لولدها بمقتضى ارثه لو والده ، وفي بعض الآثار أنه يحرم بيعها منذ ولادتها ، ولكن لا تجب لها أحكام الزوجية المعروفة بيد أنها قد تكون أحظى عند الرجل بأدبها وقلة تكاليفها وعدم تحكها كالزوجة التي تدل بحقوقها الشرعية والاعتزاز بأهلها

هذا هو المهود في السراري في الاسلام وأقل أحوالهن أن يكن كالزوجات في حصاتهن وشرقهن وضمان رزقهن وحفظ كرامتهن ، فمن وسايا مصلح البشر ونبي الإنسانية في الرقيق أن يعبر عن الذكر بالفتى لا بالعبد وعن الانثى بالفتاة لا بالامة وهو في الصحيحين . وقال (ص) « هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه » وهذا متفق عليه من حديث أبي ذر . وفي حديث أبي هريرة عند الجماعة كلهم ما يقتضي استحباب جلوس الخادم مع سيده على الطعام وقال أنس كانت عامة وصية رسول الله (ص) حين حضرته الوفاة وهو يغرر بنفسه « الصلاة وما ملكت أيمانكم » رواه الامام أحمد وأصحاب السنن إلا الترمذي

بل مضت سنة المصلح الاعظم العملية في السبايا أن يستقن ويتزوج بهن معتقوهن كما فعل (ص) بتق حفية الاسرائيلية وتحرير جويرية العربية وزوجه بها وجعلها

المنازج ٧ م ٣٢ امتياز الاسلام في الرق والتسري على شريعة التوراة والانجيل ٢١ •

من أمهات المؤمنين ليستن به غيره وتقدم ذكر ذلك في أسباب تزوجه بها
وحدث على ذلك ورغب فيه بقوله «أبما رجل كانت عنده وليدة وفي رواية
جارية- فاعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران»
والحديث متفق عليه (*) وتقدم ذكره في تعليم النساء.

نعم إنه (ص) قد تسرى بمارية القبطية وهي من رقب أهل الكتاب لأنه أفر
أهل الكتاب على أنكحتهم ورقبهم وقد اتخذ التسري بها ذريعة للوصية بأهل مصر
إذ تفتح بلادهم لأصحابه وعلل ذلك بأن لم «ذمة ورعاً» ولو عاش إبراهيم ولده
منها لكانت أمه به سيدة نساء هذه الأمة

والحكمة العامة المقصودة من التسري في الاسلام هي حكمة الزوجية نفسها، وحق
النساء فيها أن يكون لكل امرأة كافل من الرجال لأحصانها من الفحش، وجعلها أمة
تنتج وتربي نسلاً للانسانية - إلا ما يشذ من ذلك بأحكام الضرورة

فاية- أمل النساء والرجال من جميع الأمم والممل هذا الإصلاح الاسلامي
والهدي المحمدي في تكريم المرأة وحفظ شرفها حتى التي ابليت بالرق هل يجدون
مثل هذا في دين من الأديان أو قانون من القوانين؟ وهل يمكن أن يوجد في بلد
تقام به شريعة الاسلام مواخير للفجور وأنجار بأعراض الجنس اللطيف الضعيف؟
أرأيت أيها المحيط خبيراً بتاريخ الامويين في الاندلس والعباسيين في الشرق
لو وجد الان بلد في الدنيا تعيش فيه السراري كما كن يعيشن في بغداد وقرطبة وغرناطة
ألا نهاجر اليه ألوف الایامى والبنات من أوربة ليكن سراري عند أمثال أولئك
المسلمين إن صح عندهم استرقاقهن؟ فكيف لا يتمنن أن يكن أزواجاً لهم مع التعدد؟ ألا
يفضّلن هذه العيشة على ما تعلمن من عيشة «واخير البناء الجهرية والسرية ومن عيشة
الاخذان الموقته السيئة العاقبة على الجسم بعد ذهاب الشرف وجميع مزايا البشر؟ دع
الأنجار بهن وسوقهن من قطر إلى آخر كقطمان الخنازير والفم

*) بل رواه الجماعة كلهم بزيادة وأبو داود باختصار . وفي رواية لاحمد إذا
أعتق الرجل امته ثم تزوجها بمهر جديد كان له أجران والمراد بالمهر الجديد ان
لا يجعل عتقها مهراً لها بل بمهرها كالحرائر

٥٢٢ امتياز الاسلام في الرق والتسري على شريعتي التوراة والانجيل المنارج ٣٢م

هذا وانا قبل طبع هذه الكراسة قرأنا في بعض الصحف أنه صدر حكم قضائي نهائي في باريس بأنه يجوز للرجل أن يوصي بما شاء من تركته لمعشوقته التي يستريح معها ويوجد من عنايتها مالا يجد من زوجته الشرعية، والثمر يعقب الشر

ألا نأمل النصراري في أحكام الرق في الاسلام والرق في التوراة والانجيل وحينئذ يوقن العاقل المستقل الفكر منهم أن ما جاء به الاسلام أعدل وأفضل وأكمل فهو إما وحي مكمل لما قبله وإما أن رأي محمد (ص) أعلى وأكمل من وحيهم !

هاهي ذي شريعة التوراة تباع للبراني أن يستعبد أخاه العبراني ويسترقه بثلاثة أسباب «أحدها» الفقر فكان يبيع نفسه لبني دية (١) ثانيها السرقة فهو يسترق جزاء ما سرقه إذا لم يجد مالا يعرض به المسروق ٢ « ثالثها يبيع الوالدين لبناتهم ممن يتسرون بهن » ٣ « وأما استعباد العبراني للأجنبي فقد كان يكون بالاسر في الحرب وبالاتباع من النخاسين كما كان عند الوثنيين وليس فيهما ما في الاسلام من أحكام الرقيق وحقوقه والوصايا فيه وقد ذكرنا بعضها هنا

وهاهي ذي الديانة المسيحية لم تنسخ شيئاً من أحكام هذا الرق والعبودية الشديدة التي في العهد القديم بل فيها أن المسيح عليه السلام قد أوصى البيد في مواضع شتى بطاعة ساداتهم ولم يأمر السادة بعتقهم ولا أوصاهم بالرفق بهم بمثل ما فعل أخوه محمد عليهما السلام وتعليل ذلك عندنا أن شريعة موسى خاصة بشعب نسبي أريد تفضيله على أئم الوثنية لاظهار التوحيد وهي موقته كما يقول النصراري معنا - وأما الإصلاح المسيحي فيها فهو موقت بقدر ما سمح به ذلك الزمن - وإن هذه المسألة من جملة الاشياء الكثيرة التي قال المسيح عليه السلام انه لا يستطيع أن يقول لها لم لا نه سيأتي بمده البارقليط روح الحق (٤) الذي يقول لهم كل شيء (راجع انجيل يوحنا) (لها بقية)

١ « راجع سفر اللاويين (٢٥ : ٣٩) (٢) راجع سفر الخروج (٢٢ : ١ - ٤)

(٣) سفر الخروج (٢١ : ٧ و ٨)

(٤) هو محمد خاتم النبيين اذ لم يصدق هذا الوصف علي غيره ﷺ

الشعر التاريخي

أوصفي

(تاريخ الدعوة إلى الاسلام ، في حياة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام)
نظمت بمناسبة احتفال الأمة الإسلامية بمولده الشريف ﷺ

(بقلم الشاعر الاديب (اليوزباشي) محمد توفيق افندي علي المزارع بالواسطي)

افتتاح وتمهيد - دعوته القبائل للتوحيد - احتماله أذى المشركين - تكذيب
ثقيف لدعوته - رجاء الناظم في شفاعته - إيمان الضعفاء برسائله وتمذيب المشركين
لم - هجرة المؤمنين إلى الحبشة أي إحمائهم معتدلي التصاري من اضطهاد المشركين
إيمان الخزرج وبيعة العقبة الصغرى - بيعة العقبة الكبرى والهجرة إلى يثرب -
مؤاخاة الرسول بين أصحابه وشبه السرايا - غزوة بدر الكبرى - غزوة أحد -
واستشهاد أسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب - غزوة الخندق ومكيدة نعيم بن
مسعود النبطاني .. مثال من معجزات الرسالة - فتح مكة ومثال من تسامح الرسول
غزوة حنين ومثال من شجاعة الرسول وثباته - تغفل الدعوة في الأرض ودخول
الناس في دين الله أفواجا

(افتتاح وتمهيد)

طيف سرى فشفي صبياً من السقم سرى الموم وجلى حالك الظلم
متعم الخلق من حسن ومن عجب مكل النور من علم ومن حكم
أرنو إليه فتصبني مناظره فأخضع الطرف خوف الفتنة العم^(١)
في موقف بجلال الحسن متشيع بالطهر مؤثر بالصدق متصم
حتى إذا سكنت نفسي سموت له أرى الجمال وأخشى زلة القدم

(١) العميمة الشاملة - ولو قال : اجلالا لذا العظم - لكان أليق

تبارك الله كم في الحُسْن من بدع وفي الملاحق من سر ومن عظم
 لا أكذب الوصف، بدرٌ التَّمَّ يمشقه (والشمس رأد ١) الضعى من أطوع الخدم
 وأين للبدر منه سحرٌ مكتحلٍ وأين للشمس منه دُرٌّ مبتسمٌ؟
 يا لينَ راحته، لا الزهرُ ملمسُها ولا الدمقسُ (٢) ولا ماشئت من نَعَم
 قبلتُها وشذاه الروض ينفعني وفوه يُسممني من أعذب النعم
 يدلي إليَّ بسر من محبتنا قدس الصحيفة في حرز عن التهم

* *

يا لآثمي أن دمي في هواه جرى أقصِر فدمي قليل في الهوى ودي
 دمي وشعري معاً من منبع جريا في الحب منسجم في لآثر منسجم
 لولا الجمال ولولا ما يطالني من البدائع لم أعشق ولم أهِم
 تدعو المحاسن من باد ومستتر له المحبين من باك ومبتسم
 لو جنة الخلد لي من وجهه عرضت لا أشتريها بما في القلب من حرم
 لو أن صباً يعير النصح واعية لم تلغيني عن نذير الشيب في صمم

* *

يا ويح نفسي قد كلفتها شطاطا شرح الشباب ولم أخشم لدى الهرم
 وشاب فودي وظلت في طفولتها ترعى وترتع في مستوًى بل وخم
 توبي لربك واخشي هول غضبته وعانقي سنة (المختار) واعتصمي

وقد مي عملا ترضي عواقبه وأجلى الصبر في الطاعات واعتزني
هل نال رتبته الهادي وسؤدده إلا بإدمانه صبرا على الألم
وبالهواجر يطويها على ظلم وبالدجاجر (١) يحياها على ودم
دعوته القبائل للتوحيد واحتماله أذى المشركين

لم يثنه قومه يشتد غيظهم في إثره بالأذى في الحل والحرم
أن يلبس الدعوة السماء رهبها بين القبائل لم يجزع ولم يخيم (٢)
ماضاه أن (كندآ) ربه كندت و (عامرآ) عمرت دهرًا مع النعم
وأن (كلبا) على أربابها كلبت (ودوس) كالقوس لما بعد تستقم
ما زار (مكة) ذو فضل ولا شرف إلا دعاه فلم يهسدا ولم ينم
ماذا لقيت — فذاك الناس كلهم من (الشياطين) يحدوهم (أبو الحكم) (٣)
من زمعة (٤) وأبي (٥) والوليد (٦) ومن حرث (٧) ونضر (٨) وعاص (٩) باري النسم
ونوفل (١٠) لم يجيء يوما بنسافة ولا بفرض ولم يركم ولم يعم
والاسودين (١١) من استسقى فمات من دعا الرسول عليه بالعمى فسمي

(١) الظلمات (٢) خام من الأمر عجز عنه بعد ما م به (٣) أي شياطين الانس
من مشركي مكة . وأبو الحكم هو أبو جهل بن هشام (٤) ابن الاسود (٥) ابن خلف
(٦) ابن المغيرة (٧) ابن الطلائة بن عمرو (٨) ابن الحرث (٩) ابن وائل
(١٠) ابن خويلد (١١) الاسودان هما اللذان دعا الرسول عليهما فهلك منهما
بالاستسقاء ابن عبد يغوث والذي عمي ابن المطلب — وكل أولئك من شياطين
خريش الذين كانوا يؤذون الرسول في بدء الدعوة

﴿ تكذيب ثقيف لدعوته ﴾

وآسفتك « ثقيف » اذ نُدبت لها تدعو لربك في سهل وفي علم
أغرّوا بخير الوري عبدانهم سَفَها وجهل صديانهم إغراء منتقم
حتى الى حائط ألجبت منحرفا عن وجهة السيل ، سيل المحنة العرم
جلست لله تدعوه وتذكره باؤلؤ من نثار الشهب لا الكلام
تشكو لمولاك ضعفا في قواك وما كنت الضعيف اذا لاقاك ألف كي
لكن على الحلم تهدي والسباح وفي بحبوحة الرفق كالراعي مع الغنم
ما كان يفتك المولى لتدعوه إلا لينثر أغلى الدر تحسيرا فم
كم في دعائك من ظرف ومن أدب وفي بيانك من نور ومن حكم (١)
وفي الخايل من نبل ومن شرف وفي الشمايل من عتق ومن كرم
الله والاه بالنعمى وقرّبه وزانه بكمال الخلق والشيم

﴿ رجاء الناظم لشفاعته ﷺ ﴾

وقف عليك رسول الله تشفع لي أن كنت جارك فاشفع سيد الامم
وقد عقدت جواردي أنني وجل أملت جاهك دون العرب والمعجم
إذ القيامة يوم أنت فارسه وأنت في ساحته صاحب العلم

(١) كان دعاؤه يومئذ « اللهم أشكو اليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على
الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى
بعد تبجهمني أو إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن
طافيتك هي أوسم لي ، أعود بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر
الدنيا والاخرة أن ينزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتي حق ترضي ،
ولا حول ولا قوة إلا بك »

المنار: ج ٧ م ٣٢ إيمان الضعفاء به (ص) وإيذاء المشركين لهم ٥٢٧

آليت ألقاك عند الخوض مبتهما أن كنت جاري وأوفى الناس بالذمم
كم في جوارك من أمن ومن سعة وفي فؤادك من عطف ومن رُحم
وفي جنابك من عز ومن شرف وفي رحابك من أهل ومن نعم
وفي جبينك من شمس ومن قمر وفي يمينك من بحر ومن ديم
كم فيك من حسب، كم فيك من نسب كم فيك من نجدة، كم فيك من هم
﴿إيمان الضعفاء برسالة ﷺ وأمذيب المشركين لهم﴾

وآمن الضعفاء المتقون به من كل مستبصر بالخسائر وتسم
جمال في بضة الاوثان كل أذى ماضٍ على شريعة التوحيد معتزم
وعائد الأقوياء الحق وانعرج السطفيان يقذف كالبركان بالحجم (١)
لله در أبي بكر (٢) ونجدة (٣) إذ الوالي (٣) بشر غير منحصر
يعدّون على الاسلام من سنة ويفتنون عن التوحيد من لم
فكان يتساءهم عطفًا ويعتقهم هيبات يقبل فيهم ظلم محتكم
والبذل في نصرة الاسلام شيمته والصدق والرفق في بدء ومختتم
﴿هجرة المؤمنين الى الحبشة - أي احتماؤهم بمعتلي النصاري من اضطهاد المشركين﴾
وهاجر الحنفاء المتدون الى ملك النجاشي قلم يختر (٤) ولم يضم
له (أصمّة) (٥) في الخير من مالك أبدي الهدى نعمة مرعية الجرم

(١) ما يقذفه البركان من مواد ساكنة (٢) الصديق الأعشى ست رقاب من موالي
المشركين غير لبال بن رباح (٣) العبيد (٤) خفرو حماه وأجاره وفي بعده
وأخفوه ضد ذلك أي أسلمه ونقض عهده (٥) ابن البحر وتفسيره «عطيه»
اسم نجاشي ذلك العهد

٥٢٨ هجرة المؤمنين الى الحبشة وإيمان الخزرج وتبعمهم له ﷺ النار: ج ٧ م ٣٢

هى من الجهل والطغيان وإفدنا ورد كيد العدو الناقم الخصم
فى الركب بذت رسول الله يصعبها عثمان فى تبيع الامواج والأتجم
هل زار (أثيويا) من قبلها ملك حالى الذوامل باهى مضرب الخيم
لو يخرده طالع الأحباش شارته لكان يبيض منهم حالك الأدم

ما أجهل الشرك ، يرمينا بشيرته *
لا نسأم البني والمدوان يتبعنا *
امل فتحنا الى الاوطان يرجعنا فان حالا على الايام لم تدُم
ماذا يحاول عمرو (١) أرسلوه لنا يردنا للأذى والبني والنقم !!
أهدى النجاشي فلم يقبل هديته وقال : لا أرتشي فى الله من نعم
فعد لقومك يا ابن (الماص) مكثبا فان جار النجاشي أي محترم

﴿ إيمان الخزرج وبيعة العقبة الصغرى ﴾

وقد أتى الخزرج الداعي فأسمعها وحي يكاد يرد الروح فى الرمم
وكان قبل يهود يذكرون لهم إضلال عهد رسول صادق علم (٢)
فآمنوا واشتروا يهدوث قومهم باكين فوق رحال الايق الرثم
وأبنع الوحي فى الانصار فانبعث وفودهم فى طلاب الحق من أتم
فتت البيعة الصغرى لطاعته فى الخير والنشر يغلي غلي محترم
وكان بينهم خلاف فالفهم نور من الله كم أوصى على الرحم

١ ابن الماص فأنصرهم وذلك قبل إسلامه ٢ كانت يهود حيرانا للخزرج فى البلاد
فذا كان بينهم شيء قالت يهود وهم أهل كتاب وعلم : انه سيظهر رسول قد أظلم زمانه
مصدق به وتقتلكم معه فلما ظهر آمن الخزرج وكذبت يهود

وجمع الجمع الانصار يرشدهم من (مصعب بن عمير) خير ما تزم
لله مدرسة في يثرب فتحت يديرها فضل ذاك المقريء الفهم
كذلك ساس رسول الله أمته بالحلم والعلم والقرآن والقلم
(بيعة العقبة الكبرى والهجرة الى يثرب)

وأوفت البيعة الكبرى لنصرته في الحرب من ظالم باغ ومنقسم
وذاع أمر رسول الله والتأمت مجامع الشرك فيه أي ملتأم
يمارضون إمام المرسلين وهل يمارض الوحي إلا كل منهم ؟
فكان « حاميم » يتلوها فتعرفهم كالسيل طبق من مستشرف الأكم

وأرسل الله جبريلا بهجرتنا ليثرب، فزمت حسنا على إرم
في كل يوم يوافيها ويقصدها ركب "لتوحيد رب العالمين نبي
المؤمنون"، وجلت تلك مرتبة وقسمت شيمتها على القسم
حتى تكامل وفد الحق واستلمت جماعة الله ركنا غير منهم
فهاجر المصطفى الهادي وصاحبه (١) وأمر ربك مقدور من القدم
فتحت الهجرة العظمى التي حطمت ظهر الضلال وما أبت على صنم
(مؤاخاته بين أصحابه وبثه سرايا - غزوة بدر الكبرى)

آخي نبي الهدى بين الصعابة في رفق فأضوا لقيفا غير منقسم
وأصبحوا قوة تخشى بوادرها لو آذنت جبلا بالحرب لم يتم
مهاجرون وأنصار قد ارتبطوا في وبهم برباط غدير منقسم
بث السرايا (٢) على الاعداء يرهبهم من كل مستبسل بالنفع ملتئم

(١) أبو بكر الصديق (رض) (٢) السرية لغة القطعة من الجند، سميت بذلك من التمر
وهو السير لبلاب كيتلا ينذر بها الاعداء، واصطلاحا الغزوة التي لم يخرج النبي ﷺ فيها
« المنار: ج ٧ » « ٦٧ » « المجلد الثاني والثلاثون »

يا يوم بدر جزاك الله صالحة طلعت للآت (١) بالويلات والعقم
 ولاح جبريل في نصر الرسول على خيل الملائك قد مضت على اللجم
 رمى النبي بحصباء فشردهم في البيد منهزما في تر منهزم
 إلا أسارى وصرعى من حماتهم ملء القليب (٢) وتحت النار لا الرجم (٣)
 أبلى ملي (٤) وأغنى حمزة (٥) وبدا عشق الشهادة فينا غير منكم
 سل عتبة (٦) وأبا جهل (٧) وفلها آلات أمضى ظبي في كل مختصم
 أم أجمت لقتال المصطفى فته أو سارجيش عليه الطير لم تحم
 نهى عن المسئلة (٨) الهادي وحذرنا ولو أراد بها الفجار لم يلم
 أوصى بأسرى المدي خيراً صحابته إن القوي كريم الغفو ذو الشم
 غزوة أحد واستشهاد أسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب

كيف الشهادة لا تحلو وفي أحد وجه الشنيع بأيدي الظالمين دمي
 وظل في الروح يرمي في نحورهم مفرقا جمعهم في كل مزدحم
 فر الاعداء وقد ريت نساؤهم فهند (٩) مذعورة تبدي عن الخدم (١٠)
 وخالف ابن جبير (١١) في الرماة هدى أمر النبي لهم حين القتال هي
 رأوا قطوف المدي في الروح دانية فضيع الشر منهم كل مقتنم
 فكان أن حطموها اختلا وأن ندموا يخالف الرسل لا يخلو من الندم

١ صم (٢) البئر مطلقاً أو العادية أي القديمة (٣) أحجار تقام على القبور لتدل
 عليها (٤) ابن أبي طالب (٥) ابن عبد المطلب (٦) ابن ربيعة (٧) ابن هشام (٨) تشويه
 القتل تشفياً (٩) بنت عتبة وأم معاوية قبل إسلامها قتل أبوها في بدر فكانت بالمعنة
 في أحد تعرض على المسلمين التماساً للثأر وحسداً (١٠) الخلفاء (١١) عبد الله بن جبير
 كان أمره الرسول على الرماة في أحد ونهاهم أن يروحوا موقفهم يخالفوه عند
 ما انكسر المشركون فأنكشف ظهور المسلمين فكر عليهم المشركون فأمعنوا فيهم قتلاً

أبو دجانة (١) أعطى السيف قيمته ضرباً يجمل عن التقدير والقيم
أغنى علي وأبلى حمزة ومضت لله لبدة ليث المسلة القرم
أف لحربة وحشي (٢) لقد تركت في جانب البأس جرحاً غير ملتئم
يا (حمز) للعرب يذكىها بمنصلت في كنه كشاب الرجم مضطرم
لا يهنيء الشرك كأس أنت شاربها في الله معسولة تشفي من السقم
يا حمز، قرت قلوب كنت مرجعها من طائر حين تلتقاء ومخترم
ماذا فعلت ببسدر إذ تمزقهم ؟ فادرتهم طعم العقبان والرخم
وكم فرست من الإبطال في أحد يا ليت دين الهدى في كل مصطدم
ماضر سيف رسول الله (ثلثه في النوم) والعزم صعب غير مثلم
أبقى لنا الله فيه نجدة هدمت ركني أبي (٣) وطوداً شاخ القم
﴿ غزوة الخندق ومكيدة نعيم بن مسعود الطفاني ومثال من معجزات الرسالة ﴾

ويوم خندق لا قلت عزائه فأصبح الغيل يعني كل متمتع
حشوا المطايا وقادوا الجرد واحتشدوا حول المدينة في بأس وفي بهم (٤)
قريش حالفها غطفان شايعها يهود من ناقض حلفها ومرتعلم
جالوا ليستأصلوا الهادي ويثربه بكل منصلت يهوي على اللهم
فيها الرسول وجبريل وربها يميت من شاء أو يحيي من العدم
فأرسل الله ريحاً في معسكرهم رمت محرضهم بالي والبكم
تذري الوقود وتكفي من قدورهم خوفا عليهم من الطغيان والبشم

(١) ممالك بن خرشة أعطاه الرسول سيفاً في أحد بحقه وحقه أن يقاتل به حتى ينحني

(٢) قاتل حمزة وهو غلام جبير بن مطعم (٣) ابن خلف قتله الرسول بيده في أحد إذ أراد قتله ولم يقتل (ص) بيده غيره رحمة بالناس (٤) جمع بهمة بالضم وهو الشجاع

وجاءنا مؤمنا منهم وما علموا شهم تفرد بالاخلاص في الخدم
هذا نعم بن مسعود قيلته غطفان يُربي على غطفان كلهم
يقول هل خدمة أرضي الجهاد بها أن كنت عند الاعادي غير منهم؟
قال الرسول له ثبت عزائمهم إن استطعت وشرّد خادعا بهم
فرزق الجيش تمزيقا بحيلته كأنما كان جيشا زار في حلم (١)
وأصبح الجو خلواً من خيامهم إذ قوضت عن حساب جد منخرم
كانت يهود له ذبحا رجالهم بصارم العدل إلا غير محتلم
وقد أفيوا على الهادي وعثرته وصحبه طعمة من أطيب الطعم

﴿فتح مكة ومثال من نسامح الرسول ﷺ﴾

يا فتح مكة أوست الضلال لظى والرشد برداً بجاري نصرك الشيم (٢)
يد الاله من التوحيد قادرة رمت بسهم قلوب الشرك منتظم
خانت قريش هود المصطفى فمضى في الخيل كالبحر بالمأذي (٣) ملتطم
منّت كنيسته الخضراء (٤) ظافرة على المدى فأضافتهم الى الحشم
سماهم الطلقاء (٥) المصطفى كرما ومن من الخلق أولى منه بالكرم؟

(١) كانت خدعته أن ذهب الى معسكر يهود فقال لهم انكم إذا غلب محمد الشمر
حلفاؤكم الى بلادهم البعيدة وتركوكم في وجه محمد ولا طافة لكم به والرأي أن
تطلبوا من أشراف حلفائكم رهائن حتى لا يتركوكم إن كانت الدائرة عليكم وذهب الى
حلفائهم فقال ان يهود كاتبوا محمداً أنهم ندموا على مشايعة أعدائه وسيقدمون
له رجالا من أشراف حلفائهم يقتلهم ثم يكونون معه عليهم فقبل منهم — ففرقت كلمة
أعداء الرسول والشمر الى بلادهم (٢) أي البار (٣) السلاح ٤ سميت خضراء
لكثرة سلاحيها (٥) أي العتي وذلك أنهم صاروا عبيدا وسبايا بحق الفتح فأعتقهم

﴿ غزوة حنين ومثال من شجاعة الرسول وثباته ﴾

وفي حنين وان راعت مواكبهم فانها لقمة تهدي للثقم
 جاءت هوازن تردى (١) في أعنتها لغزو مكة في سبيل وفي جشم
 لم تن كثرتنا شيئا وقد طلعا بالسهرية والمهندية الخدم (٢)
 وأت جحافلنا إلا الرسول مضى للنصر يهذر في درع من الصم
 يصيح في الجيش إذ ولوا يشجعهم أنا النبي ، الى عهدي ، الى القسم
 أنا محمد يا أنصار أين إذا عني الفرار؟ ويا خيل العدى انحطمي
 حتى تشجع من أصحابه مئة صفا يجالد — قال الآن فاستقم
 الآن يحى الوطيس ، الآن نزمهم في الله نركم لحما على وضم
 وقد تشتت شمل الشرك واغتثمت نساؤم والذراري أي مقبتم
 من الرسول عليهم في حريمهم وفي بنينهم ، وكانوا نهب مقتسم
 ووزع النبي تأليف التلوب على قسطاس (٣) يدل رضاه الله مرتهم

﴿ تغفل الدعوة في الارض ودخول الناس في دين الله أفواجا ﴾

شامت ثقيف ضياء الحق فابتدرت نهج السداد وألقت راحة السلم
 وحرّم الله حجّ المشركين بما طغوا ، وما أسلفوا من كيد مجرم
 وأوذنوا بقتال يستجرّ الى أن يُشربوا الله فردا كاشف الغم
 وجاء يوم تبوك يوم منخرة فالجزية الروم أعطوها على رغم (٤)

(١) تردى كثرى من ردى الخيل وردبائها وهو ضرب من مشبها (٢) الخدم
 بضمين جمع خذوم وهو كالخدم (ككتف) من الحيوف السريم القطع (٣) الميزان
 (٤) الرغم بالفتح الكره والفهر وقتحت الفين لغزوة الشعر

٥٣٤ انتشار الدعوة ودخول الناس في دين الله أفواجا النار : ج ٧ م ٣٢

وقام في الارض دين الله معتليا ولو أقيم بغير الله لم يقم
سمت اليه وفود العرب طائفة من ساكني وبر أوساكني أطم (١)
بالحرث، سعد بن بكر، بالهدى سعدوا ملوك حمير من كهل ومن هرام
بنو حنيفة، طيء، الأزد، قد قنعوا بالله فردا وبالقرآن من حكم
وتم نخر تيم عند ما هدبت وآض مجد جذام غير منجذم
زيد، كندة، عبد القيس، مذحج، مسدان، مراد، نجوا من نار منتقم
(وما من) عمرت في الله أفئدة كانت خرابا — وكم من وافد — وكم
كل لقد طاق الاسلام والتزموا يا حسن مستنق، يا طيب ملتزم

الدعوة انتشرت في الارض وانبعث الى الممالك والاقطار من اضم
الى عمان، لفسان، الى يمن للفرس، للروم، للبحرين، للهم
الى النجاشي الى ملك الشام الى دان وقاص من الاصقاع والتخم

هذي رسالة خير الخلق باهرة كفرة الصبح تجلو فحة الغسم
يكفي المكابر والفرقان في يده مفصل بفريد الدر والتوم (٢)
بحار علم من الامية انفجرت وعبقرية آداب عن اليتم

توفيق

ترجمة القرآن

﴿ وكون العربية لغة الاسلام ، ورابطة الاخوة والسلام ﴾ (*)

٢

بيننا في المقدمة الاجمالية لهذا البحث عشر مسائل أساسية لا مجال للمراء والجدل فيها يعلم منها جملة ما أصاب فيه الكتّابون الكثيرون في مسألة الترجمة وما أخطأوا ، ولكن ذلك الاجمال لا يغني عن البيان والتفصيل الذي تقوم به الحجج على الصواب ، وتدحض الشبهات التي لبست على المحطتين الحق بالباطل وهو ما أعقد له الفصول الآتية ، مبتدئا إياها بما اعلم من سبب إثارة هذا البحث وحقيقة الامر فيه

(غرض حكومة الترك الجمهورية اللادينية من ترجمة القرآن وكتابته بالحروف اللاتينية)

﴿ وما قيل في حظ الشعب التركي من هذه البدعة ﴾

لقد كان عمل الترك الذي اعلنوا تنفيذه في شهر رمضان ، هو الذي فتح باب البحث في ترجمة القرآن ، وكان أول ما كتب فيه تخطيطهم بحجج الاسلام ، والدفاع عنهم وتصويب عملهم بحجة التجديد وتطور الزمان ، الذي خلاصته ان الشعب التركي قد ارتقى في مدارج المدنية الاوربية ارتقاء ما عاد يليق به اتباع الشريعة الاسلامية العربية ، ولا الكتابة بحروفها ، وان الغرض الديني من القرآن معانيه لا عبارته ، والفاظه ، ولا نظمته وإعجازه ، وانه مهما تكن الحال فلا يليق بالشعب التركي الراقي أن يترك لغته لاجل القرآن ، ولا أن يحافظ على الكتابة العربية لاجل المحافظة على القرآن المنزل باللسان العربي ، ومثل هذه الحجج الداحضة لا يقول بها أحد يؤمن برسالة محمد ﷺ وبكتاب الله المنزل عليه ، وإنما يقول بها من يفضل عليها سياسة الحكومة التركية الحاضرة التي أحدثت هذا الامر ، ومن عجب

(*) كتبنا هذه المقالة في العام الماضي ثم رأينا أن نجعل للموضوع مقدمة وهي

مانشرناه في الجزء الثالث الذي صدر في شهر ذي القعدة منه

٥٣٦ . تبديل حكومة الترك القرآن لغة وكتابة وأنصارها بمصر المنار: ج ٧ م ٣٢

ان كان فارس ميدانها كاتب كان قد اشتهر بالدفاع عن الاسلام والتنويه بمزاياه ، ثم تذبذب فيه ثم صرح بنصر التجديد الاوربي وتفضيله عليه

فعلت هذه الحكومة فعلتها هذه متبعة ماسماه رئيسها « سياسة المراحل » التي كان اولها إلغاء الخلافة السياسية فالغاء الخلافة الروحية التي استبدلوها بها ، فحذف مادة « دين الدولة التركية الاسلام » من القانون الاساسي ، وإبطال المحاكم الشرعية والمدارس الدينية الاسلامية والاقواف ، فالغاء اللغة العربية وكتبها الدينية والعلمية ، فالغاء حروفها ، ثم وصلوا اخيرا إلى مرحلة القرآن ، وما أدراك ما القرآن ، هو كلام الله المنزل المتعبد بلفظه العربي وتلاوته ، كالتعبد بعقائده وأحكامه ، هو كلام الله الذي يستند كل مسلم أن تغيير شيء منه أو تبديله كفر يخلد فاعله في جهنم ، فماذا يفعلون ؟

(تبديل الحكومة التركية القرآن لغة وكتابة وأنصارها بمصر)

ان الحكومة العسكرية التي قهرت الشعب على الخضوع لها في قطع تلك المراحل كلها وقمع كل مقاومة بددت منه بحكم الارهاب والتنكيل لانهاب قطع هذه المرحلة وهي العقبة الكؤود : أمرت بتعجمة حرفية جديدة للقرآن على أن تسمى قرآنا يتعبد به من يختار أن يبقى مسلما من الترك بشرط أن يكتب بالحروف اللاتينية كغيره من كتب الدولة وشعبها ، وبدأت باعلان ذلك في ليلة القدر من شهر رمضان (٢٧ منه) فلقن قارئ حسن الصوت آيات منه فقرأها في جامع (أياصوفيا) المشهور ووضعت بجانبه آلة (الراديو) الناقلة للصوت الموزعة له فنقلتها إلى مواضع وبلاد كثيرة إن هذا الحينث عظيم ، وانه لخطب في الاسلام خطير ، وان كربه على المسلمين لكبير ، وقد توقعناه قبل وقوعه ببضع سنين ، فصرحنا به وينا مفاصله في المنار وفي تفسيره من خمسة عشر وجها ، فلم يكن عندنا شيئا جديدا ، وكنا نرجو من هذا الشعب العريق في الاسلام أن يوقف هذا الاعتداء على دينه شعوره النائم ، ويحيي ما أماته الجهل وإلغة البدع وتزغات الاتحاد المادية من عزة نفسه ، ونرى انه سيصبر إلى أن تتيج له الفرص نحو هذه البدع الاتحادية والرجوع بالاسلام إلى أصله ، وقد جاءتنا الانباء من مصادر كثيرة مؤيدة لرأينا هذا

نقلت انا الصحف خبر تنفيذ هذه البدعة الجديدة فلم نجد في إنكارها قولا غير الذي قلناه ونشرناه من قبل ، ولكن ذكرها احد اخواننا المسلمين في مقال له بالعرض مستنكراً لها ، ولم يستنكر فيه ما عرفه من التراجم قبلها ، فحرك من أنصار هذه الحكومة بمصر ما كان ساكناً ، وهاج من شيعتها ما كان كامناً ، فسددت إلى طعنه اسنة الاقلام ، مقدسة لهذه الحكومة ومنزهة لها عن الملام ، بأنها اجاءت بالمعجزات ، وفاقت جميع البشر في التجديد الذي تقتضيه حال الزمان ، والقضاء على ذلك البالي القديم من دين الاسلام ... وانما هو دين الله العام الباقي الى آخر الزمان ومن التجديد الذي يليق « بالقرن العشرين » عندهم أن تترك الشريعة الاسلامية ، وينقل القرآن الى اللغة التركية ، ويكتب بالحروف الافرنجية ، لانها أضبط وأفضل من حروف العربية التي وصفها نصيرهم في مصر بالوثنية ، وزعم ان الغرض من ترجمته فهم الترك له واهتداؤهم به ، واستفادتهم من عقائده وقواعده ومواعظه وأحكامه ، وأن من الجهل والعبث تكليفهم التعبد بكلام لا يفهمونه ، فمن فضائل حكومة الترك اللادينية الجديدة انها جددت الاسلام لاهله من شعبها ، بما جهله أو ضل عنه جميع المسلمين من قبلها ، من عهد رسول الله ﷺ الى هذا القرن الرابع عشر للاسلام ، والعشرين للمسيح عليه السلام ، فهو من معجزاتها ومنها على رعايتها الاسلامية

وربما كان هذا الذي فعلته هذه الحكومة اجدر بوصفه بالمعجزات (بالمعنى اللغوي) من الانتصار على اليونان واخراجهم من عقد دار الترك ، فان هذا على حسنه وحمدنا له في وقته ، دون انتصار الحكومة الحميدية بقيادة آدم باشا على اليونان في بلاد اليونان نفسها ، ودون انتصار فرنسة والولايات المتحدة في أمريكا على المتغلبين على بلادهم ، ودون انتصار صلاح الدين الايوبي وغيره على الدول الصليبية كلها ، وإخراجها من البلاد المقدسة وغيرها ، وما وصف شيء من ذلك بالمعجزات. واما هذا الانقلاب الديني الجديد فقد عجزت عن مثله كل دولة تولت السيادة والحكم في الشعوب الاسلامية ، ولكن فعل اكبر منه بطرس الاكبر ثم البلشفك في روسية دافع المنكر الاول لهذه الفعلة عن نفسه ، وكتب المقال في اثر المقال في تأييد

رأيه ، وانتصر له آخرون ، وحى وطيس الجدال بين الفريقين ، وكثر اعتراض كل كاتب على مناظره حتى فيما هو خارج عن موضوع المناظرة من مسائل تاريخية أو كلامية ، حتى طرق بعضهم باب البحث في كلام الله تعالى الذي هو صفة ذاتية له ، وكتبه المنزلة على رسله بألسنة أقوامهم ، وفي هذه البحوث من الفلسفة القديمة والنظريات الغربية من المتكلمين ما كان من مصائب المسلمين في عصر رواج تلك الفلسفة ورجع بعض المدافعين عن الحكومة التركية الى كتب الفقه لعلمهم يجدون في آرائها الشاذة ما ينصبونه حجة على جعل القرآن العربي المنزل خاصا بالعرب ، وجواز ايجاد قرآن تركي للترك ، وقرآن فارسي للفرس ، وقرآن هندي للهنود ، وقرآن صيني للصينيين الخ فوجدوا فيها رأيا لابي حنيفة في جواز الترجمة ولكن نقل فقهاء مذهبه انه رجع عنه ، وأن المعتمد في المذهب رأي اصحابه في حكم من يعجز عن أداء ما فرض الله عليه في الصلاة من قرآن بالنطق به كما أنزله الله عربيا غير ذي عوج ، وهو أنه يترجم له بلسانه ، وهي ضرورة تقدر بقدرها فلا نباح لغير العاجز عن النطق مادام عاجزا ، وسواء أصبح هذا الرأي أم لم يصح فرأي المجتهد ايس حجة في الاسلام على غيره ، ولكنه هو يعذر به ، وكذا من قلده فيه لثقتة به ، وسواء أصبح دليله أم لا فهو لا يتضمن جواز ترجمة القرآن كله بلغة غير لغته يستغنى بها عن المنزل من عند الله تعالى . فهذا مما اجمع المسلمون كلهم على عدم جوازه ، وعلى أن من يفعله متعمدا فهو زنديق مارق من الاسلام

ووجدوا في بعض كتب الحنفية من الاحتجاج لابي حنيفة في جواز الترجمة ان سلمان الفارسي رضي الله عنه ترجم سورة الفاتحة لمن طلبها من قومه ، فأجازها النبي ﷺ . ولم يرو هذا عنه أحد من حفاظ الحديث في الصحاح ولا في السنن ولا في المسانيد المعروفة ، والفرس لم ينتشر فيهم الاسلام في عصر النبي ﷺ وهذه علة في متن الحديث زائدة على كونه لا يعرف له سند يحتج به ، ومن اليهود في بعض كتب الفقه ولا سيما كتب الحنفية ذكر بعض الاحاديث الضعيفة وكذا الموضوعة ، ونقل النووي لهذا القول في كتابه المجموع في فقه الخلاف لا يمد دليلا على انه روي بسند صحيح ولا سقيم كما توهمه بعضهم ، وهو لم يقل هذا والحكم مخالف لمذهبه ، على أن النووي

ليس من حفاظ الحديث الذين عنوا بروايتهم وتدوينه ، وإنما هو فقيه عالم بالحديث يرجع في نقله والحكم عليه الى مخرجه من أصحاب دواوين السنة ويقل غلطه فيما يعتمد منه من تحقيقهم

﴿ أقوى الشبهات للقائلين بترجمة القرآن ﴾

بيد أن الشبهة النظرية التي قبلها كثير من الناس الذين ليس لهم هوى في تأييد الحكومة التركية من عصبية جنسية ، ولا نعمة إلحادية ، هي أن الاسلام دين عام خاطب الله تعالى به جميع البشر المختلفي اللغات ، ومن غير المعقول ولا الممكن (عندهم) أن يتكلف الله تعالى كل أمة وكل شعب أعجمي أن يتروك لغته ويتعلم العربية لاجل أن يمثل ما أمره به من الاهتداء بكتابه وتدبره والاتعاظ به وامثال ما فيه من الاوامر والنواهي ، وإنما المعقول الممكن (بزعمهم) أن يترجم القرآن لكل قوم بلغتهم لاجل تبليغهم الدعوة الى الايمان به أولاً ، ثم تعليم من آمن منهم ما أوجبه وما حرمه الله عليهم فيه ، وتنفيذ الايمان بتدبره والتعبد بتلاوته

ومن لا ينكر منهم أن تكليف الشعوب توحيد لغة دينها ممكن ، ولا انه وقع بالفعل يقول ان شعوب الاعاجم لم يمثلوه بل خافطوا على لغاتهم ، وحرموا من هداية القرآن نفسه اكتفاء باحكام الاسلام التي دونها لم علماءهم بلغاتهم ، فالخير لم أن يترجم لم القرآن فيستفيدوا من اخباره وحكمه وأحكامه ومواعظه ، وإن خلت الترجمة من تأثير بلاغته ، وروعة أسلوبه ونظمه ، وما نذل عليه عبارته العربية من إعجازه ، على أنه لم يعد أحد يفهم هذا منه بزعمهم !

هذه هي المسألة الوحيدة التي راجت شبهتها في شوق القائلين بجواز الترجمة أو وجوبها ، ولم تر أحدا اقتنع بما حاول خصومهم دحضها به ، وقد التجأ بعضهم الى علماء الازهر فنشروا رأيهم ولكن لم يوجد في كلام أحد منهم ما يشفي الغليل ، ويقيم الحجة على ان الاسلام جعل العربية لغة المسلمين كافة ووجبها عليهم ولقد كثر علي المقترحون بأن أكتب في المسألة ما يحق الحق ويبطل الباطل ، بما يزيح الشبهة ويكشف الغمة ، كما تعودوه مني في أمثال هذه المشكلة ، فكنت أحيلهم

على ما كتبه من قبل في المنار وفي الجزء التاسع من تفسير القرآن الحكيم، وقد جمع وطبع في رسالة مستقلة يسهل على غير مقتني مجلدات المنار والتفسير مراجعتها بين انني رأيت بعضهم يقول انه لا بد من كتابة مقال جديد في المسألة فاستجبت لهم إنني لا أجادل ولا أماري أحداً من أولئك السكانيين، ولا أتوخي الرد على قول من أقوالهم بالمناقشة في لفظه، وإنما أتحرى بيان الحق الذي ينطبق على الواقع، فأبدأ بكلمة تختص بمحظ الشعب التركي من هذه الترجمة، ثم أبين كيف كان تبليغ الرسول ﷺ للقرآن ودعوته الى الاسلام، وكيف كانت مسيرة خلفائه الراشدين ودول الاسلام وأثبتته في نشر هذا الدين، وكيف اهتدى به العرب والمسلمون، وكيف يدعو النصارى الى دينهم أيضاً، وهل تتوقف دعوة الاسلام على ترجمة القرآن أو دعوة النصرانية على ترجمة كتب العهد القديم والعهد الجديد عند النصارى؟ ثم أبين معنى كون اللغة العربية هي لغة الاسلام التي لا يتم بدونها كون المسلمين من الشعوب المختلفة أمة واحدة كآقر القرآن، وكون أفرادها اخوة في الدين كما وصفهم القرآن، وأقيم الخجة على إمكان هذا ووقوعه بالفعل، وعلى كونه من أعظم أركان الإصلاح البشري الذي كان به الاسلام دين السلام، والتوحيد الانساني العام. الذي هو العلاج الترياقى لادواء العداوة والبغضاء بين البشر التي شككتها الحكماء الاولون، ويشكو منها الحكماء الحاضرون

حفظ الترك من هذه الترجمة

ان الاهتداء بالقرآن منه ما هو فرض عين على كل مسلم من ذكر وانثى كالقدر الذي لا تصح الصلاة بدونه، وما هو واجب أو مندوب (على ما بين الفقهاء من الخلاف في مفهوم الفرض والواجب) في الصلاة لاجل كمالها، وفي غير الصلاة من تدبره لتغذية الايمان والعبرة والموعظة بما فيه من الترغيب والترهيب ومنه ما هو فرض كفاية كالعلم بما فيه من أصول الايمان، وقواعد الاسلام، وأنواع الاحكام، في العبادات والمعاملات والحظروالاباحة، والآيات البيّنات على تلك الاصول والقواعد ولا سيما إعجاز القرآن

ومنها ما هو من الفضائل والآداب ، التي هي مزيد كما في الدين
فأما القسم الأول فقلما يوجد مسلم تركي يجمله ، فالترك شعب مسلم يعلمون
أولادهم متى دخلوا في سن التمييز فاتحة القرآن وبعض السور القصيرة بالعربية ، وكذا
سائر أذكار الصلاة ويعلمونهم الطهارة الشرعية ويعودونهم الصلاة ، كما يفعل
غيرهم من الشعوب الإسلامية عربها وعجمها ، كما يعلمونهم معاني هذه التلاوة والاذكار
في الجملة ، والذين يقصرون في تعليمهم معانيها من جهة عوام القرى والجبال
تعمسه أو تعذره قد يسهل عليهم هذا التعليم في المكاتب والمدارس التي تعي
حكومتهم بتعميمها لنشر لغتها وآدابها ودينها إذا ظلت إسلامية ، ويمكن أيضا
أن يستفيدوها من الوعاظ والمرشدين الطوائف إذا لم تمنعهم الحكومة اللادينية
من ذلك ، فاذا منعهم كان منعها أظهر برهان على تمعدها إخراجهم من الإسلام
وأمله لا يكاد يوجد فبهم أحد يعجز عن النطق بالفاتحة والسورة الصغيرة
بالعربية فيأتي في حقه ما ذكره فقهاء الحنفية من القول بالصلاة بترجمتها وسقوط
وجوبها مدة المعجز ، كما يسقط القيام في الصلاة عن العاجز عنه ما دام عاجزاً ، وإنما
يوجد هذا المعجز عادة في الكبار الذين يدخلون في الإسلام وقد ملكت المعجمة
عليهم أنفسهم ، وكان هذا يكثر في القرون الأولى التي يدخل فيها الكبار في الإسلام
أقواجا ، وهو قليل في هذا الزمان ولا سيما عند الترك التابعين للحكومة الجمهورية ،
على أن أكثرهم وقلتهم سواء في سهولة تعليمهم ما ذكر

وأما أخوانهم في تركستان الصينية وهم الترك الخالص - فشكل التعليم عندهم
باللغة العربية وإنما التركية هنالك لسان العامة لا لسان القراءة والكتابة

وليعلم القارئ العربي في مصر وغيرها أن المسلم التركي — وكذا الهندي
والفارسي والافغاني وغيرهم — يجد من الخشوع ولذة وجدان الإيمان في قلبه كلما
قرأ أو سمع شيئاً من القرآن المنزل مالا يجد مثله أكثر العوام من مسلمي العرب ، وإن
لم يفهم شيئاً مما قرأ أو سمع ، وإنما سبب هذا الخشوع والوجدان ما يستولي على قلبه
من تصويره سماع كلام الله المنزل على أفضل النبيين وخاتمهم صلوات الله وسلامه
عليه وعلى آله ، فمثل كمثل من يسمع نشيداً موسيقياً لوطنه وهو من رجال الوطنية أو

نشيد ماسكه وهو من معلمي الملكية وهو لا يفهم معنى هذا النشيد وأما يعظمه ويهتز له قلبه بقدر الباعث من حب الوطن أو الملك وتعظيمه (والذين آمنوا أشد حبا لله) ولا نعي بهذا أنه ينبغي أن يستغنى به عن فهم المعنى الخاص لكلام الله وذكره ولكننا لا نستبعد أن يكون فهم المعنى المجمل الوجيز من عبارة تركية رسمية أقل تأثيرا في قلبه مما يجده من شعور الايمان عند تصويره الاجمالي أنه يقرأ أو يسمع كلام الله تعالى تعبدا كما أمره الله ووعد به بالاجر والثواب في دار المآب، فجعل له بكل حرف عشر حسنات

ومما ينقص الترجمة ولا سيما التركية انها لا يتأتى بها الترتيل والتجويد بالصوت الحسن الذي نعهده بالقراءة العربية ، فان من حكم هذا النظم البديع ، والفواصل التي هي مرتبة فوق مرتبتي الشعر والتسجيع ، ان يرتل بها القرآن بانواع النغم الذي يملك العقل والوجدان ، وقد كانت تلاوة النبي ﷺ له اقوى الاسباب لقبول الايمان ، واللغة التركية غير مستعدة لمثل هذه النغمات حتى انه ليس فيها من المد مثل ما في العربية

ومن المعلوم عندنا بالبداهة ان هذه الحكومة اللادينية لا تقصد بمنع قراءة القرآن بالعربية ثم منع كتابة ترجمته بالعربية ان يفهم المصلون من شعبها ما يقرؤنه في الصلاة او غيرها

وأما التعبد بقراءة ترجمة القرآن لاجل تغذية الايمان ، والاعتبار والاتعاظ بما فيه من الهدى والفرقان ، فقد علم مما قلناه أنه لا يحصل بالترجمة الحرفية التي أوجبوها ، وإنما يرجى حصول شيء منه بالترجمة المعنوية التفسيرية التي يمنعونها ، وأن لديهم ترجمة منها لخصها بعض علماءهم من تفسير مطول بالتركية وافقت عليه واستحسنته اللجنة الخاصة التي كانت مؤلفة من هيئتي تدقيق المؤلفات من قبل مشيخة الاسلام التي ألقتها الحكومة الحاضرة ومن وزارة المعارف

هذه الترجمة طبعتها ونشرتها المكتبة المعروفة في الاستانة باسم (سهولت كتيبخانه سي) سنة ١٩٢٧ لصاحبها سميح لطفي افندي ، وكتب في طرتها مايلي :

قرآن كريم ترجمه سي

تور كچه مصحف شريف

« ملغامشيخت ومعارف نظارتي تدقيق مؤلفات هيئتاري طرفندن متشكل قومسيون مخصوصهجه تدقيق وتقدير اولنان مفصل تفسيردن ملخص در »
 وكتب في رأس كل ورقة منه « تور كچه قرآن كريم » وهذا خطأ عظيم ونظن ان هذه الترجمة أقرب الى الصحة من سائر الترجمات التركية الحرفية التي بينا بعض اغلاطها في المنار وفي الجزء التاسع من تفسيرنا وجمع في رسالة مخصوصة وطبع وحده. ولكني لا أشهد بصحتها كلها ولا أكثرها لأنني لا افهم التركية، وبما رأيت فيها من الخطأ تفسير الحروف المفردة في أوائل بعض السور كالم والمروطن وحـم - بما فسرهما به بعض المفسرين من كونها مقتطعة من أسماء الله البدوءة بها ومن مزايا هذه الترجمة ان مترجمها وضع لها حواشي كثيرة لايضاح مايجني من معانيها لتوقف فهمه على معرفة سبب النزول أو بيان المجمل أو غير ذلك مما يستحيل أن يفهم المراد منه بالترجمة الحرفية، ووضع في أثنائها جملا تفسيرية بين أهلة للايضاح أيضاً

فلو كانت الحكومة التركية تريد تسهيل فهم معاني القرآن على رعيته المسلمة لاكتفت بهذه الترجمة لمن يكتفي بالاجمال، وأباحث نشر ذلك التفسير التركي لمريد التفصيل. وامكنها لم تفعل

ومن المعلوم لنا باليقين ان تأثير القرآن المنزل في تغذية الايمان، وتزكية نفس الانسان، وخشوعه اعظامه الديان، واتعاظه بما فيه من الهدى والفرقان، وقصص الرسل عليهم الصلاة والسلام، مما لا يمكن الوصول الى معشاره بقراءة أي ترجمة له بأي لسان، وضيأتك شرح هذا وأدلتها بوضح بيان

وأما الاعتماد على هذه الترجمة التركية الرسمية المقترحة - ولما تم في معرفة عقائد الاسلام وقواعده واستنباط الاحكام الشرعية منه فهو أبعد عن التصور والتصديق مما قبله، فان الاستنباط الصحيح من القرآن لا يكون الا من نصوحه المنزلة من عند الله تعالى من علم بآياته مفرداتها وأسايلها، وما فيه من مجمل ومبين، ومطلق ومقيد،

وحقيقة ومجاز وكناية ، وأسباب نزول لا يفهم المراد بدونها ، وبيان السنة لما أمر الله تعالى رسوله ببيانه منها ، وكتب السنة كلها ممنوعة بلفتها العربية وباللغة التركية أيضا - الى غير ذلك مما سنفصله بعد في تحقيق الكلام في الترجمة

وناهيك بترجمة تركية واللغة التركية اضيق اللغات المدونة المعروفة في مادتها الأصلية فان أكثر مصادرها عربي وفارسي ، وهم يستعملون العربي منها كثيرا في غير ما يستعمله العرب ، وقد حاولوا من زهاء ربع قرن أن يستبدلوا بالالفاظ العربية فيها ألفاظا أخرى غير مألوقة ، ثم ان كتابتهم للعربي وغيره بالحروف اللاتينية يضع على أهلها العلم باصله الذي يجب الرجوع اليه في تحقيق المعاني ، بل ثبت ان كتابتهم للتركية بالحروف اللاتينية قد أضعفتها ووقفت حركة انتشار العلوم والفنون فيها ، فما عسى ان يكونوا قد استفادوه من ضباط الالفاظ في النطق ، قد خسروا اضعافه بسوء الفهم وضعف انتشار العلم

وجملة القول أنه ليس للترك فائدة كبيرة يستفيدونها من هذه الترجمة الحرفية للقرآن وكتابتها بالحروف اللاتينية تجاه الفوائد والمفاسد التي فيها ، وقد بيناها بالتفصيل في رسالتنا المطبوعة وسنزيد بها بيانا في هذا البحث

فهذا ما يتعلق بعمل الحكومة التركية الذي اثار الجدل في المسألة. وجملة القول فيه انها أرادت بالترجمة التركية أن يستغني بها شعبها عن القرآن العربي المنزل من كل وجه ، لا بعاده عن معرفة حقيقة الدين الاسلامي الذي لا يمكن العلم به من القرآن وحده بدون بيان الرسول ﷺ له . وبليه تحقيق الموضوع في نفسه من كل وجوهه ، ودحض كل شبهة تعترض دونه

هذا وان ما ذكرناه في هذه المسألة ليس هو مقاصد هذا البحث الاساسية ، فان ارتاب فيه أحد القارئ او اعترض عليه فلا يعني ان ارد عليه او اتصدى لاقناعه ، وانما المقصود عندي بالذات فهو اثبات الحق في توحيد الاسلام للمسلمين في عقائده وآدابه وعباداته وسياسته واحكامه وانته ليكونوا امة واحدة كل شعب وكل فرد منها كالعضو من بدن الشخص ، وبالله التوفيق

أنا والاديب الشنقيطي

طالعت مقال الاستاذ الاديب (محمد الامين الشنقيطي) الذي رده على مقالتي المنشور في الجزء الخامس من مجلة (الرابطة القراء) تحت عنوان (الوهابيون والتوسل) أو (التوسل - والاستاذ البيطار) ويلخص هذا الرد بما جاء في طليعته من قوله : « لم يكن قصدي في هذا المقال إلا اثبات ما أنكره الاستاذ من أن رجال مذهبه الوهابي لم يكفروا المشركين »

أقول : أما المشركون فهم بما أشركوا في غنى عن التكفير لأن الشرك كفر وزيادة ، بل هو شر أنواع الكفر على الإطلاق قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال عز وجل (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) وقال سبحانه (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ، أروني ماذا خلقوا من الأرض ؟ أم لهم شرك في السموات إئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ، ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال عز من قائل : (ذلكم بانه إذا دعي الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به تؤمنوا ، فالحكم لله العلي الكبير) وقال سبحانه (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) فان قيل ان هذه الآيات قد نزلت في المشركين الاولين ، أجيب بان هذا حق ، ولكن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما يقول علماء الاصول (١) فيتناول عمومها كل من اتصف

(١) المنار : إن هذه الآيات وأمثالها لا يقال فيها إنها نزلت في سبب خاص وإنما تصدق على أمثال من نزلت فيهم بما تدل عليه صيغ العموم فيها ، كما لا يقال مثل ذلك في آيات التوحيد والبعث والامر بالاعمال الصالحة من العبادات والفضائل والنهي عن المعاصي فان كل أولئك عام لجميع المكلفين من كان منهم في عصر التبليغ المحمدي ومن بعدهم لانه أصول الدين الكلية وإنما يقال ذلك في مثل امتحان المؤمنين المهاجرات وآيات الظهار

يوصفهم ، وتلبس بشرهم والعباد بالله تعالى ، ومناط الحكم فيها هو دعاء غير الله
بما لا يدعى به الا الله ، فهي تتم كل من شمله عمومها ، وتناوله حكمها ، من المشركين
الاولين والآخرين الى يوم الدين

أما اذا كان الغلط الواقع في كلام الاخ الأمين مطبعياً ، وكان أصل المراد
أن رجال المذهب الوهابي يكفرون المسلمين فهذا غلط عليهم ، وحاشا لله أن يكفروا
مسلماً موحداً ، وسيأتي مزيد بيان لذلك ان شاء الله

وأما استدلاله بحديث الأعمى الذي هو أقوى ما في هذا الباب ، فقد تقدم
في كلام الاستاذ الدجوي ، وأجبنا عنه بأنه على فرض صحته قد دل أوله وآخره
على أنه توسل الى الله تعالى بصلاته ، وبما علمه اياه الرسول ﷺ من الدعاء ، ثم
بدعاء النبي ﷺ له ، وهو العمدة في ذلك ، وقول الاستاذ الشنقيطي في تعليل
رجحان التوسل بالذات على الدعاء الصادر منه ﷺ : « لان الضرير جاء طالبا
الدعاء فعدل عن الدعاء وأمره بهذا التوسل » غير مسلم ، لانا نقول ان هذا التوسل
نفسه من الدعاء ، ولا أدري من أين فهم أن الرسول ﷺ لم يدع له ، مع أن الله
تعالى قبل شفاعته النبي فيه ودعائه له ، فرد عليه بصره ، وكان ذلك معجزة للنبي
صلوات الله عليه مصدقة لرسالته ، مؤيدة لدعوته ، كسائر معجزات الرسل ،
وكانت خاصة بذلك الاعمى الذي دعاه ، دون عبد الله بن أم مكتوم مثلاً وقد
كان مؤذنه ﷺ وأشد لصوقاً به من ذلك الاعمى ، لكنه لم يدع له ولم يسأله
هو ذلك بل صبر كما أمر ، بل دون سائر عبيان الصحابة رضوان الله عليهم لأنه
ﷺ لم يدع لهم ، بل دون سائر العبيان في كل زمان ومكان ، ولو كان التوسل فيه
بالذات الطاهرة ، التي لا تنقص حرمتها بعد الانتقال إلى الدار الآخرة ، للزم منه
أن كل أعمى دعا بهذا الدعاء ، وتوسل بسيد الانبياء ، يرتد بصيراً ، واللازم باطل
فاللزم مثله كما هو ظاهر ، على أن توسل الاعمى واقعة عينية يثبت الحكم في نظائرها
وأشباهاها في مناط الحكم ، وقد علمت أن الاعمى طلب في أول الحديث الدعاء فعلمه
النبي ﷺ ما يدعو هو به لنفسه أيضاً ، وأمره أن يقول في دعائه « اللهم فشفعه في »
فدل ذلك على أن معنى قوله يا رسول الله إني أتوجه بك الى ربي لتقضي حاجتي اللهم

فشفعه في « أي أتوجه به بدعائك وشفاعتك ، والفرق بين من دعا له النبي ﷺ وشفعه فيه وبين من ليس كذلك كالفرق بين الاعمى والبصير ، والظلمات والنور ، والظل والحرور ، والاحياء والاموات ، والذين يعلمون والذين لا يعلمون
ثم إنا نأخذ على الاستاذ الشنقيطي قوله عن كاتب هذه السطور « رجال مذهب الوهابي » وكنت أرجو أن ينزه قلبه عن الغمز والنز باللقب ، فان رجال الوهابية لا مذهب لهم في الفروع الا اتباع امام السنة أحمد بن حنبل ، ولا في أصول الدين الا مذهب السلف الصالح ، فهل في هذا أوداك ما يعاب ؟ وهنا أذكر الاديب الشنقيطي بقول القائل

ان كان تابع أحمد متوهباً فانا المقر بأنني وهابي
وبما يعزى الى الامام الشافعي رضي الله عنه

ان كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أي رافضي

وقد زعم الاستاذ الشنقيطي أن كتب الشيخين : ابن تيمية وابن عبد الوهاب طاحتان بتكفير التوسلين ، وعجب لي كيف لم أدرسها وأنا بمكة ، ثم رجح أي جنحت الى الانكار بمد الدرس والاطلاع ، وود لو ذهبت في دفاعي إلى سبيل غير الانكار ، وأفصح عن ذلك بقوله [فالانكار مدته قصيرة ، وعلماء الاسلام لا يزالون بخير ينفون عن الدين كل ما أريد أن يلصق به] ثم ضرب لنا مثلاً بقول الشيخ ابن عبد الوهاب : اعلم أن شرك الاولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين (أحدهما) أن الاولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والاولياء والاولثان مع الله إلا في الرخاء ، وأما في الشدة فيخلصون لله الدين الخ كلامه

وأقول : قد علمت أيها القارئ الكريم مما تقدم من كلامي وتكرر ، ومن قول الشوكاني الذي استشهد به الدجوي « والتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ، ولم يدع غيره دونه ، ولا دعا غيره معه » ان الكلام منحصر في التوسل الخلاق المشهور بين العلماء ، المحصور في دعاء الله وحده مع التوسل اليه بصالح عياده ، ولكن الشنقيطي قد أغفل ذلك كله وتغاضى عنه ، وجاءنا بتوسل آخر لا يعرفه إلا الغلاة والجهال ، وهو دعاء أهل القبور أنفسهم ، والاستنجاد بهم ، وطلب الفوت منهم ،

لا نقاذ الفرقى، وشفاء المرضى، ورد الغائبين، وإغاثة الملهوفين، وإغاثة المستعنيين، وهذا لا يسمى توسلاً بهم، بل هو دعاء لهم وطلب منهم، وهو خارج عن موضوعنا السابق، وليس هو منه في شيء.

والمعجب كل المعجب كيف تفاقل الأستاذ الشنقيطي عن كل ما سبق من كلامي وكلام الدجوي والشوكاني وابن القيم وابن تيمية على كثرة تقريره وتكريره، وأغفل ذكره، وأتانا بشيء يجري على لسان بعض الجهلة الساكنين، أو الغلاة المستعدين، ولا يقول به أحد من علماء المسلمين!! أهذا هو الذي أراد بمثله الأستاذ الشنقيطي أن يفحمني ويلزمني الحجة، وهو أنه يوجد في كلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب أن المشركين الأولين إذا وقعوا في شدة كخوف الفرق في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وإن بعض أهل زمان الثاني إذا وقعوا في مثل ذلك دعوا من ألقوا دعوتهم من المخلوقين، وهتفوا بأسمائهم مستجيرين مستغيثين، لينقذوهم من الضيق أو ينجوهم من الفرق! أهذه هي الشواهد التي يقول أن كتب الشيخين طالحة بها، ثم يرميني بانكارها أو الغفلة عنها، ويقول أنه مستعد لأن يورد لي الكثير منها!! وأنا أقول حسبك هذا الشاهد الواحد، وأنشد قول القائل:

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

أيها الأستاذ الأمين ألم تقرأ قوله تعالى في وصف أهل الجاهلية (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) وفي معناه آيات أخرى. وقوله سبحانه فيما قص علينا من أمر فرعون (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر، فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الفرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) فيكون أهل الجاهلية وفرعون الذي ادعى الربوبية والالوهية أولى بدعاء الله وحده عند الشدائد ممن يتنجحون بالاسلام والتوحيد!! وبديهي من عقيدة المسلمين أن جميع المخلوقات لا يملكون لأنفسهم - ولا لغيرهم بالاولى - في الرخاء ولا في الشدة ضرراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فكيف تتفق هذه العقيدة المستندة إلى النصوص القطعية المجمع عليها مع دعاء غير الله تعالى في الرخاء وفي الشدة أيضاً??

فان قلت : ان الداعي لم يرد بدعائه إلا الله متوسلا اليه بمن يدعوه وان قلبه منطو على عقيدة صحيحة لو كشف الغطاء لشهدت صحتها ، وهلا شقت عن قلبه ؟ (الجواب) ان مافي القلب لا يعلمه إلا علام الغيوب وان الكلام منحصر في دائرة الاقوال والافعال التي تناقض صحة العقيدة القلبية كل المناقضة ، والشارع ناط الاحكام بالظاهر والله يتولى السرائر . ولا يرد حديث « هلا شقت عن قلبه » إلا على من يدعي معرفة الباطن وانه مناقض أو موافق للظاهر ، وإنما البحث فيما يبدو للحس من قول او عمل مصادم للشرع . وقد انكر النبي ﷺ على أسامة قتل من أتى بكلمة التوحيد ولم ينقضها بقول ولا عمل فادعى أسامة (رض) انه لم يأت بها عن عقيدة قلبية فأنكر ذلك عليه صلوات الله عليه وقال « هلا شقت عن قلبه ؟ » وأبن هذا من ذلك ؟ فان قلت إنا نحمل قوله على المجاز العقلي فالجواب كما قال بعض المحققين من وجوه : (الاول) ان هذه الالفاظ دالة دلالة مطابقة على اعتقاد التأثير من غير الله تعالى (الثاني) لو سلم هذا الحل لاستحال الارتداد وانسد باب الردة الذي يعتده الفقهاء في كل مصنف وكتاب من كتب اهل المذاهب الاربعة وغيرها فان المسلم الوحيد متى صدر منه قول او فعل موجب للكفر يجب حمله على المجاز والاسلام والتوحيد قرينة ذلك المجاز

(الثالث) أنه يلزم على هذا ان لا يكون المشركون الذين نطق كتاب الله بشركهم مشركين فانهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق الضار النافع وان الخير والشر بيده ولكن كانوا يعبدون الاصنام وغيرها بالدعاء والندور لتقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عنده . فالاعتقاد المذكور قرينة على ان المراد بالمعبادة ليس معناها الحقيقي بل المراد هو المعنى المجازي أي كالتكريم مثلا - فما هو جوابكم فهو جوابنا »

قال صديقنا العالم السلفي الشهير الشيخ ابوبكر خوير المكي [رح] في كتابه (فصل المقال) ناعيا على من يسعى الطلب من غير الله توسلا : فيا ليت أوئلك القوم يقولون بكرة الطلب من الميت فيما لا يقدر عليه بدلا عن تصريحهم ان ذلك توسل وقربة ، وليتهم ينصحون العامة بترك التغالي في ذلك ، وليتهم يكتبون رسائل في تبحيح ذلك أو ليتهم يسكتون - إلى ان قال - وكأنهم لا يشعرون إلى الآن بما

٥٥٠ نقول الفقهاء في تكفير عبدة القبور بدعاء موتاهما النار: ج ٧ م ٣٢

حل بالامة من جراء ذلك من الانحطاط في النفوس والعقول والدين والدنيا
ثم قال (رح) ولو ترك بعض اولئك الرؤساء العناد وتنازلوا قليلا عن الغلو
الذي هم فيه لوجدوا امامهم في كتب الفقه عبارات كثيرة تمنع ذلك :
قال في طوابع الانوار شرح تنوير الابصار مع الدر المختار للشيخ محمد عابد
السندي الحنفي : ولا يقول يا صاحب القبر يا فلان اقض حاجتي او سلها من الله
او كن لي شفيعا عند الله بل يقول يا من لا يشرك في حكمه احدا اقض لي حاجتي هذه
وحيداً كما خلقتني ، وقال في الفتاوى البرازية : من قال ان ارواح المشايخ حاضرة
تعلم يكفر . وقال ابو الوفاء بن عقيل الحنبلي : لما صعبت التكاليف على الجهال
والطفام عدلوا عن اوضاع الشرع الى اوضاع وضموها لأنفسهم فسبوا عليهم اذ لم
يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور
وإكرامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى للحوائج
وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا او اخذ تربتها تبركا وإفاضة الطيب
على القبور وشد الرحال اليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى
وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه (سيف الله على من كذب على
أولياء الله) هذا وانه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات ، يدعون ان للاولياء
تصرفات في حياتهم وبعدهم ماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبليات ، وبهم تنكشف
المهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات (الى أن قال) وهذا الكلام
فيه تفريط وافراط . بل فيه الهلاك الابدي ، والعذاب السرمدي ، لما فيه من روائح
الشرك المحقق ، ومصادرة الكتاب العزيز المصدق ، ومخالف لعقائد الائمة وما جمعت
عليه الامة اهـ

فهل بعد ما سمعت ما قاله فقهاء المذاهب في حكم الاستغاثة بغير الله في الشدائد
وما صرحوا به من ان فيه روائح الشرك المحقق ومصادرة الكتاب العزيز وانه
مخالف لعقائد الائمة وما جمعت عليه الامة اقول هل يروج عليك بعد ذلك كله
ان هذا كلام الوهاية لا كلام اهل السنة والجماعة ؟

(فان قيل) ان هذا الاسلوب منفر لكثير من الناس وان الدعوة الى الله

يجب ان تكون بالحكمة والموعظة الحسنة قلنا هذا حق ونحن اذا كنا متفقين على ان مايجري على حول القبور مما حاصله دعاء غير الله عز وجل هو خطأ وجهل كان لا بد لنا من انكاره والسعي في ازالته واستئصاله ..

وقد قرأت لنا بغة الشام (عن) الامام ابن تيمية قدس الله روحه انه اقبى بعدم كفر من اشرك عن جهل الا اذا تبين له الحق وأصر مستكبرا وقرأت للامام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى انه كان يقول لمن يدعو زيد بن الخطاب من دون الله: الله خير من زيد . وعللوا بذلك بغلبة الجهل على الناس في ازمانهم حتى في بعض امور الدين المعلومة منه بالضرورة فكيف في زماننا الذي تراخى فيه العهد اكثر فضعف العلم بآثار الرسالة جدا واستولى الجهل على الناس !؟

بقي علينا قول الاستاذ الشنقيطي « فالانكار مدته قصيرة وعلماء الاسلام لا يزالون بخير »

فأنا الآن انادي بأعلى صوتي واتحداه واتحدى معه من يحب من العلماء بأن يأتوني بشاهد واحد من كتب ابن تيمية او أحد السلفيين الى عصرنا هذا يؤيد دعواهم انهم يكفرون من يبتهل الى ربه ويدعوه وحده متوسلا اليه بأحد من خلقه وأنا امهله اياما بل أشهراً واعواما ان شاء فان لم يأتوني به فليعلم الاخ الامين آني لم أنطق الا بالحق المبين، ولم أقل ما قلت إلا عن سابق علم واختبار، واني توخيت بذلك جمع الكلمة وتقريب مسافة الخلف، وازالة الوحشة والجفاء واحلال المودة والرحمة محلها في هذا الوقت المصيب والله هو الموفق والمعين

وقد سألتني الاستاذ الاديب في هذا المقام عن وقائع العراق وشرق الاردن والحجاز، وهو سؤال أقرب إلى السياسة منه إلى الدين، على آني أوجز ما أعده وأدع ما ليس لي به علم ان وقعة الطائف كانت فائدة، وسمعت جلالة الملك الامام عبد العزيز يردد قول الرسول ﷺ « اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد » (*) وقد امر أيده الله بتأليف لجنة بمكة للتعويض على المنكوبين، وأخرى في الطائف وكنت أحد أفرادها

(*) المنار: يعني الشريف خالد بن لؤي قاتح الطائف بما كان من فعلته المشابهة لفضلة خالد بن الوليد (رض) التي تبرأ منها النبي (ص)

٥٥٢ الفرق بين تكفير الشخص المعلن وبين احكام الردة النار: ج ٧م ٣٢

وأما إنشاء حصون العراق وحواجزه فهو من جنس ما نشكو منه في بلادنا ونحاول إزالته، لانه مقطع لروابطنا ممزق شملنا

وأما كلامه في شرق الاردن فلو تتبع الوقائع لعرف أن ليس له حجة يحتاج بها وأما البادية فلا راحة لها ولا لغيرها إلا بدخولها في الدين والطاعة، وقد تم ذلك والله الحمد

محمد مهجت البيطار

دمشق

(ثلاث كلمات للنار تتعلق بالموضوع)

انني أقني على هذه الرسالة بثلاث كلمات [إحداها] انني اري جميع الذين يجادلون في هذا العصر فيما اتبع فيه بعض المسلمين سنن من قبلهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع مصداقاً لحديث الرسول الصحيح ﷺ ومنه الشرك الصريح والشرك الذي يحتمل التأويل - يغفلون عن مسألة مهمة جداً وهي الفرق بين تكفير الشخص المعلن وتكفير من يقول كذا او يفعل كذا من اقوال الشرك والكفر وأفعال اهلها، فالشخص المعلن يراعى في حقه درء حد الكفر وتنفيذ احكامه عليه بالشبهات والتأويل ويقال فيمن لا يراعى ذلك إنه جريء على تكفير المسلمين . وأما الذي يبين احكام الردة للناس فلا يعترض عليه إذا فعل كثير من الناس ما يكونون به مرتدين بحسب تلك الاحكام، ولا يقال انه يكفر المسلمين. وبهذا يظهر لك غلط الذين يزعمون ان مذهب الوهابية مبني على تكفير المسلمين ورميهم بالشرك، بل لم يتورع بعض سدنة هياكل القبور المعبودة وأكلة نذورها الوثنية وأوقافها الباطلة من وصف شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية بذلك. والواقع ان الشيخ محمد عبدالوهاب وعلماء نجد من ذريته وغيرهم قد صرحوا بانهم لا يكفرون احداً من المسلمين بشيء مما سماه فقهاء المذاهب الاربعة كفراً وردة إلا إذا كان مجعاً عليه، وكان ابن تيمية من اشد علماء عصره وغير عصره احتياطاً وتدقيقاً في مسألة التكفير حتى نقل عنه انه يرى عوام عصره معذورين بجهل بعض المسائل التي اجمع الفقهاء على التكفير بها لدخولها في جحود ما هو معلوم من الدين بالضرورة، فانه رأى ان بعض ما كان معلوماً بالضرورة في القرون الاولى لم يعد معلوماً كذلك في عصره لان دعوة الاسلام

على حقها لم تبلغ كل أهل ذلك العصر . وإنما كان مما أمتاز به ابن تيمية أنه نبه المسلمين لما فشا في جهلهم من الشرك بالله تعالى بدعاء الصالحين والمتقدين تعبدًا فيما لا يطلب من غير الله تعالى . وقد اعترف له بعض علماء عصره بذلك كالشيخ كال الدين الزمكاني وقالوا إنه نبهنا لشيء كنا غافلين عنه بسبب الفتنة وكثرته ، ونرى من أنكر عليه بعض المسائل الاجتهادية منهم كالنكتي السبكي لم ينكر عليه شيئًا من ذلك [الكلمة الثانية] ان من اعظم الاسباب ترك كثير من المسلمين لاقامة دينهم والعمل به كما كان سلفهم هو جعل الاسلام رابطة جنسية لا يشترط فيها أو لا يراعى فيها علم ولا عمل ، ولا يؤاخذ فيها أحد على ترك شميرة ولا فريضة ، ولا على ارتكاب كبيرة ، حتى الردة ، فهي على كثرة وقوعها تمضي السنون بل القرون ولا ينفذ الأحكام شيئًا من أحكامها على أحد إلا نادرًا ولا سيما أحكام الدولة العثمانية والمصرية فالحدود الشرعية كلها معطلة

فكان مما أمتاز به الاصلاح الديني في نجد إحياء الاسلام بالعلم والعمل والحكم ، ألغى الوهابيون أهل جزيرة العرب ولاسيما البدو قد فشا فيهم الشرك واستحلل دماء الناس وأموالهم وترك الفرائض فنقدوا فيهم احكام الشرع بالعلم والعمل والمقوبات من حدود وتعزيرات ، فكان هذا هو السبب لما أذاعته عنهم الحكومة العثمانية وانصارها بالتبع لها من تكفير المسلمين

نعم اننا لا نشكر أن أهل نجد يسيثون الظن بأهل البلاد التي لا تنفذ فيها أحكام الشرع ولا يبالي أحد بتلقيهم عقائد الاسلام الصحيحة وأحكامه على مذاهب أهل السنة ولا غيرهم وان منهم من لا يثق بدينهم فيطلقون عليهم لقب المشركين لما يرونه من أعمال الشرك بغير تكبير وفي هذا الاطلاق شيء من الغلو المنكر كما بيناه مرارًا في النار

ولكننا لم نر حكومتهم في الحجاز وعلى رأسها القضاة من علمائهم نفذت أحكام الردة على شخص بعينه لما بيناه من الفرق بين بيان أحكام الردة العامة والاطلاق في الانكار ، وبين تكفير الشخص المعين الذي يراعى فيه درء الحدود بالشبهات (الكلمة الثالثة) استطراد الامتاز الشنقيطي في الرد على الامتاز الدمشقي

إلى ما فعل الوهابية من القسوة في غزو الطائف وشرق الاردن فنقول فيها انها من الامور العملية التي لا يورد ما ثبت فيها من منكر إلا على من يرى الوهابية من كل فعل منكر ، ولا يكاد يسلم القتال من المنكرات الشرعية والقانونية عند أهلها ، ولكن ما بال الاستاذ الشنيطي لا ينكر على من يخدمهم ويدافع عنهم من أولاد الملك حسين - إعطاءهم بلاد شرق الاردن وأعظم بقعة حربية من أرض الحجاز للدولة الانكليزية صارت يتمكنها فيها أعظم خطر على الحرمين وعلى سائر جزيرة العرب ؟؟

أبناء العلم الإسلامي

جمعية علماء المسلمين في الجزائر

نبغ في بلاد الجزائر في هذا العهد جماعة من العلماء المصلحين يبشرون في البلاد الدعوة إلى الحق والخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالدروس والخطابة والكتابة في الصحف حتى إنهم أنشؤا عدة جرائد ومجلات عطلت حكومة الجزائر بعضها فخلفها غيرها .

وأشهر هؤلاء العلماء الاستاذ الشيخ عبد الحميد باديس منشيء مجلة الشهاب الإصلاحية التي خلفت جريدته (المنتقد) والاستاذ الشيخ الطيب العقبي والاستاذ الشيخ سعيد الزاهري وكلهم ممن جمع بين العلم والعقل والرأي وحسن البيان قولاً وكتابة وخطابة ، وقد فكر هؤلاء منذ سنين في تأليف جمعية علمية تكون المرجع المعتمد لمسلمي هذا القطر في جميع أمور دينهم نزول بها هذه الفوضى الدينية العامة التي تصدى للتعليم والارشاد والافتاء في ظلماتها كثير من الجاهلين والدجالين المضلين ، وبعد التشاور مع إخوانهم من العلماء ومحبي الإصلاح والارشاد من وجهاء المسلمين المستنيرين وفقوا لتأليف هذه الجمعية في العام الماضي واختاروا لرياستها الاستاذ العلامة المصلح الشيخ عبد الحميد باديس صاحب الشهاب المنير ، وظاهرهم على

تأليفها جميع أهل البصيرة والمهدي من العلماء والادباء وأصحاب الصحف الاسلامية ويسرنا اتم السرور أن حكومة الجزائر قد أباحت لهم تأليف هذه الجمعية لاقتناعها بانها تنفع المسلمين في أخلاقهم وآدابهم واستقامتهم في معاملاتهم مع جميع الناس من حيث لا تغرها هي في شيء لما ثبت عندها من اجتناب هؤلاء العلماء للخوض في سياستها وإدارتها أو تنفير العامة عنها . وقد أحسنوا كل الاحسان في سيرتهم العجيلة التي أقنعت الحكومة بهذا فان السياسة مداخلت في عمل إلا أفسدته كما قال شيخنا الاستاذ الامام ، وعلى المشتغل بالعلم والاصلاح الديني ان يعطيه كل وقته وعلى المشتغل بالسياسة أن يعطيها كل هزيمته ولا يلبس لها غير لباسها وإنا نشكر لحكومة الجزائر هذه الحرية لهذه الجمعية الرشيدة كما تنكر على دولتها ما تفعله خلاف ذلك في المغرب الأقصى لتعلم الدولة الفرنسية أننا لسنا أعداء لها لذاتها وإنما نقول لها أحسنت إذا أحسنت ، ونقول لها أسأت إذا أسأت هذا وإن الاستاذ الكبير رئيس الجمعية قد زار في هذا الصيف أشهر بلاد الجزائر فلتقاء أهلها بالحفاوة التي يستحقها والتكريم اللائق بمقامه العلمي الاصلاحى وبكرمهم الاسلامي، وقد أسممهم من دروسه ومواعظه الحكيمة مأخيا هداية القرآن والسنة فيهم

المؤتمر الاسلامي العام، لجنته التنفيذية ومكتبها

(٣)

نشرنا في الأجزاء الثاني والثالث والرابع فصولا في المؤتمر الاسلامي العام وما سبقه وما جرى فيه وسيرتنا فيه مما لم ينشر في الصحف التي اطلعنا عليها كما وقع ولكننا كتبنا كلمة وجيزة في شأن اللجنة التنفيذية ومكتبها تنشر في السادس فضاق فضاق عنها وها هي ذه: أخطأ المؤتمر العام في الطريقة التي اختارها لانتخاب لجنته التنفيذية إذ انتخب ٢٥ عضواً من أقطار بعيدة عن المركز (القدس) لا يمكن اجتماعهم فيه، منهم الهندي والجاوي في الشرق، والراكشي والاوربي في الغرب، وآخرون مما بينهما، وقد اجتمع هؤلاء الاعضاء كلهم مرة واحدة في مساء اليوم الذي انتخبوا فيه وانتخبوا من أنفسهم

ومن غيرهم بضعة أعضاء لإدارة مكتب اللجنة من المقيمين في فلسطين وسورية ومصر
تصوروا أنه يمكن اجتماعهم ولكن مضى على ذلك بضعة أشهر - أو نصف سنة - ولم يجتمعوا،
وانما كان خيراً ما وقت له اللجنة التنفيذية اختيارها للرجل الاحوذى الكبير ، السيد
ضياء الدين الطباطبائي الشهير ناموساً لها (السكرتير العام) ومقامه في أوربة فلم يتيسر
له العودة إلى القدس إلا بعد المدة التي ذكرناها . عاد فشر عن مساعد الجدد واكتفى
في إدارة أعمال المكتب بمن يوجد في القدس من أعضائه ، ونفذ . كثيراً من قرارات
المؤتمر ، واتخذ الوسائل لتنفيذ غيرها ، وأولها تأليف اللجان للمؤتمر في جميع الاقطار
الاسلامية لنشر مقررات المكتب وجمع المال لأعماله وأهمها إنشاء المدرسة (الجامعة
الاسلامية) وكان أول ما بدأ به من طلب المال أن كتب إلى أعضاء المؤتمر أنفسهم
بالتبرع للمكتب بما تجود به انفسهم ولا أدري ما فعلت المسرة المالية بهذا الطالب ،
إلا أنني عجزت عن التبرع بأقل ما يسمى تبرعاً ، وإن صديقي محمود بك سالم الذي
كان تبرع في المؤتمر بمائة جنيه مصري يؤديها في يوم عرفة كان يسألني لمن يؤديها
وألح في السؤال من أول ذي الحجة : ماذا يفعل بها ولجنة المؤتمر لم تعين أميناً للمال ؟
فأقول له اصبر ، حتى إذا علم مني ومن غيري أن السكرتير العام نظم مكتب
للمؤتمر وهو محمد في العمل أرسل المبلغ ، وكذلك التاجر المحسن أحمد افندي حلاوة
أرسل مائة جنيه كان تبرع بها ، (وأخيراً تبرع له صاحب الدولة مصطفى النحاس
باشا بمائتي جنيه مصري وأرسلها) وماذا تغني المائة والمئات والعمل يتوقف على
الآلاف من الجنيحات ، وأكثر الناس معسرون ، ولكن الأغنياء الواجدون كثيرون ،
وأكثرهم يبخلون بما يجب عليهم ، فاني يجودون بالتبرعات للمنافع والمصالح العامة
وهم لا يبقون لها معنى ، ويستندون بالمسرة وإن كانوا لم يذوقوا لها طعماً ؟

والرأي عندي أن لا يشرع المكتب الآن في جمع المال لإنشاء المدرسة الجامعة
بل يجب أولاً أن يعنى بوضع النظام والرسم الهندسي لبنائها ، وتقدير النفقات الدقيقة
لها ، ثم يضع النظام لجمع المال من جميع الأقطار الاسلامية التي يعلم أن لاهلها من
الحرية ما يمكنهم من البذل لمصلحة الاسلام العامة ، فإن الترك في الجمهورية اللادينية

لا حرية لهم في مثل هذا ، ومثلهم بعض المسلمين الذين منبهم المستعمرون كل انواع الحريات البشرية

والواجب أن يراعى في هذا النظام المالي أن يثق كل من يطلع عليه أن ما يبدله من المال لهذا العمل يوضع في قرار مكن وحرز أمين فلا ينفق شيء منه إلا فيما وهب لاجله ، لا يخشى أن يضيع منه شيء من أيدي الجباة له ولا من أيدي غيرهم ، وبعد أمام النظام وطبعه وتأليف اللجان في الاقطار كلها تستشار هذه اللجان في كل قطر في الوقت المناسب للبدء بالعمل

وأرى أنه يجب على مكتب المؤتمر أن يستعين برأي بعض كبار الماليين والاداريين في وضع هذا النظام ولا يستقل هو به وانما له أن يستقل بما يطلبه من التبرع للأعمال الادارية العامة كالذي طلبه أولا

هذا وانني رأيت لجنة الجامعة التي ألفها المكتب قد وافقت السكرتير العام على البدء بثلاثة فروع من كلياتها : وهي الشرعية والصناعية والطبية ، وأهملت الدعوة والارشاد التي هي أهمها ، وجل مباحث المؤتمر كانت تدور حولها ولكن المكتب كلتي تأليف لجنة لها ، ولم يبين لي صفة هذه اللجنة ولا عملها الآن ، فاما نظام الادارة ومناهج التعليم فقد سبق لنا وضعها وتنفيذها ، ولا نحتاج الا الى تنقيح قليل ، واما جمع المال فهو الآن متعذر على انه لا بد ان يسبقه ما اقترحنا من النظام العام له ، وانتهاز الفرص في كل قطر بحسبه

هذا وان ما عرض لنا في هذا الشهر وما قبله من كتابة الرسالة المقترحة في حقوق النساء في الاسلام وطبعها قد اضطررنا الى تأخير نشر خطبتنا الجامعة في المؤتمر العام الى جزء آخر

وقد أرسل اليها مكتب المؤتمر عدة بلاغات ونداءات للنشر أهمها النداء

الآتي الذي صدر في هذا الشهر ، وهو :

﴿ نداء إلى مهندسي المسلمين بشأن جامعة المسجد الأقصى ﴾

بما أن المكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي العام الذي تألف بعد انقضاء المؤتمر لتنفيذ مقرراته والنهوض بالواجبات الجليلة التي رسمها في اجتماعاته قد أتم بعون الله وتوفيقه تأليف لجنة من الفضلاء وأهل الرأي للشروع في إنشاء جامعة المسجد الأقصى الاسلامية التي كانت بلامراء من أعظم وأجل المشروعات التي أقرها المؤتمر والتي سيكون لها في تجديد نهضة المسلمين المقبلة أبلغ الأثر ولما كانت جامعة المسجد الأقصى ستألف في أبان إنشائها من ثلاث شعب

١ - شعبة العلوم الشرعية الالهية

٢ - شعبة الفنون والصناعات

٣ - شعبة الطب والصيدلة

ولما كان الركن الاساسي في نجاح هذا المشروع الخطير قائماً على تعاون المسلمين وتسابقهم في مضمار الخير فإن المكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي العام يدعو كل مهندس مسلم يأنس من نفسه استعداداً لخدمة هذا المشروع الجليل ابتغاء مرضاة الله أن يتفضل بإخبار المكتب باستعداده للشخص إلى القدس الشريف لوضع الخرائط والتصميمات وفق القواعد التي يبينها المكتب لمن يعتمد من حضرات المهندسين ويتمهد مكتب المؤتمر بأن يقدم لكل من حضراتهم نفقات الذهاب والاياب والاقامة بالقدس مدة العمل ، أما المشاق التي يتكبدها مثل هؤلاء المجاهدين الفنيين فاجرها عند الله عظيم، وتقديرها عند العالم الاسلامي أجليل، وإن كل مهندس تنال خرائطه وتصميماته الرجحان سينقش اسمه الكريم على باب هذا المعهد الاسلامي. كسرف محله ومأثرة تبقى على ممر الدهور

(وما تفعلوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) . (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً)

أمين السر العام

ضياء الدين الطباطبائي

أمين المال

محمد علي علوبة باشا

لجنة بحث موضوع البغاء الرسمي

(المشكلة بموجب قرار مجلس الوزراء الصادر في ١٢ ابريل سنة ١٩٣٢)

[أرسل الينا صاحب السعادة محمد شاهين باشا رئيس هذه اللجنة الاسئلة الآتية كما أرساها الى كثير من الجماعات وأفراد العلماء الباحثين منذ شهر يونيو ، وكنا أخرنا أجوبتنا لاجل أن ندرس الموضوع من جميع أطرافه فتكون مفصلة ، ولما رأينا من سبقنا إلى الكتابة في الموضوع قد أطلوا في كل جواب رأينا الاكتفاء بما يوجبه علينا الشرع من بيان حكمه في الموضوع . وهذا نص الاسئلة مع أجوبتنا :

(أسئلة يراد الاجابة عليها)

﴿ السؤال الاول ﴾

هل ترون إلغاء البغاء الرسمي أو إبقائه ، وما هي الاسباب التي تبنيون عليها رأيكم ؟
(جوابه) انني أرى وجوب إلغاء البغاء الرسمي وغير الرسمي وعقاب الزناة والزواني لان الزنا فاحشة حرمها الله تعالى بنص القرآن وعلى السنة جميع الانبياء ، فإباحته واستباحته - اعني استحلاله - ارتداد عن الاسلام . وما حرمه الله تعالى إلا لما فيه من المضار والمفاسد البدنية والنفسية والاجتماعية التي تضاعفت في هذا الزمان بفشوه في جميع العائلات ، ومنه بعض الامراض السرية التي لم تكن كلها معروفة في المصور السابقة ، وان من اكبر العار على الامة المصرية ولا سيما علمائها وعلى الحكومة المصرية التي وضعت في دستورها ان دينها الاسلام أن تبيح الزنا في هذا القطر الاسلامي الذي يدين جميع أهله بتحريم الزنا وقبحه لا يشذ منهم إلا زعانف من الملاحدة الاباحيين هم أكبر خطر على هذه الامة فإن هذا الاسراف في الفسق يهلك الامة القوية فكيف يكون فتكه بالامم الضعيفة التي هي في سن التكوين السياسي والمدني والاقتصادي ومن العجب أن كثيراً من أهل هذه البلاد وغيرهم يرون أن مصر أولى الاقطار الاسلامية بزعامة العالم الاسلامي وبأن تكون مقر الخلافة الاسلامية وأن تكون

٥٦٠ وجوب منع البغاء الرسمي وغيره ووسائله دفعة واحدة المنار : ج ٣٧م

الحجاز تابعة لها وتحت سيادتها وهي تبيح الزنا والسكر والربا والميسر إلا بعض أنواعه بل يجب على الحكومة المصرية سد ذرائع الزنا من تهتك النساء ورقصهن وتبرجنهن في الأسواق والشوارع « كاسيات عاريات مائلات مميلات » كما ورد في الحديث الصحيح في صفات أهل النار ولا سيما استحجامهن على شواطئ البحار مع الرجال ، ورقصهن معهم وخلوتن بهم في هذه الحال ، وتلك الحال ، بل خروجهن بسفرة الحمام الرقيقة إلى الشوارع والملاهي والمقاهي . وهذه الإباحة شر من إباحة الزنا في مواخير لا يراها إلا من يدنس نفسه بدخولها ، ولا يمكن منع الزنا مع إباحتها

❦ السؤال الثاني وجوابه ❦

في حالة الإلغاء ماهي الطرق التي تشيرون بها لمعاملة البغايا المرخص لهن الآن ؟ (ج) ان الاطباء ورجال الادارة اوسع رأيا مني في هذه المسألة وانما اقول ان كل معاملة يعاملن بها خير لهن وللناس من إباحة هذه الحرفة الملعونة

❦ السؤال الثالث وجوابه ❦

ماهي الوسائل التي تقترحونها لمكافأة البغاء السري ؟ (ج) لعل أقرب الوسائل الى ذلك وضع العقوبات الشديدة على الزنا والقيادة وأصحاب المواخير السرية مع مراقبتهم بالدقة التي يراقب بها شر الجناة والمجرمين ومنع إباحة تهتك النساء جهرا في شواطئ البحار وامثالها

❦ السؤال الرابع وجوابه ❦

ماهي الوسائل التي تقترحونها لتلافي أضرار الامراض السرية (ج) ان خير وسائلها منع أسبابها ، ومصلحة الصحة في غنى عن رأي مثلي في طرق علاجها

❦ السؤال الخامس وجوابه ❦

إذا كنتم ترون إلغاء البغاء الرسمي فهل يكون ذلك تدريجاً أم دفعة واحدة ؟ أي هل يكتفي مبدئياً بعدم الترخيص لبغايا جديدات فيندثر البغاء الرضعي تدريجاً ؟ أم يحرم على البغايا الموجودات في الوقت الحاضر ممارسة مهنتهن فيقضي على البغاء دفعة واحدة (ج) الواجب القطعي الذي لا تخيير فيه شرعا ولا مصلحة إلغاء البغاء دفعة واحدة بقانون صريح يتضمن العقاب الشديد على مخالفته ، وتحريمه فعلا كما حرمه الله حكما ، ورجال القانون أعلم بأقرب الطرق الممكنة لتنفيذه



قال عليه الصلاة والسلام ان الاسلام صرى « وشارا » كشار الطريحي

جمادى الاولى ١٣٥١ برج الميزان سنة ١٣١١ هـ من سبتمبر سنة ١٩٣٢ م

فتاوى المنار

(أكل لحم الخنزير : هل يشمل شحمه وكل ما يؤكل منه ؟)

(س ٥٠) استفتي في هذه المسألة زميلنا الكريم الاستاذ سيف الدين رحال الشهير محرر جريدة الفطرة القراء ونا موسى مؤتمر الجمعيات العربية بالبرازيل فأجاب عنها بالجواب الآتي المتضمن لحكمة التحريم وأرسله إلينا لننشره في المنار ونعلق عليه رأينا في الفتوى فلم يسعنا إلا إجابته . وهذا نص ما جاءنا منه مبدوءاً بخطابه للمستفتي دون خطابه لنا الذي تركنا نشره لطوله

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الصالح السيد أحمد حديد أدام الله بركته عليه آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد وصلتني فتواكم حال انعقاد (مؤتمر الجمعيات الاستقلالية السورية العربية) للبحث في قضية الاستقلال وما يرتبط بها من القضايا المتعددة وليس في الامكان إجابته بالتفصيل فأبادر بالاجاز مرجئاً التطويل لفرصة أخرى :

نذكر هنا نص سؤالكم ونجيب عليه حسب معلوماتنا القاصرة ونعتقد بمن هو أكنى منا في هذا الميدان ، فلاضير عليكم أن تلجثوا إلى ساحته فإنكم ولاشك تجلبون فيها خيراً جواباً وخيراً سنداً

﴿ السؤال ﴾

تقولون : « ما هو المحرم أكله في الخنزير ؟ هل هو لحمه فقط أم لحمه وشحمه وكل ما فيه ؟ نرجو الافادة شرعاً ولكم الفضل والثواب »

﴿الفتوى﴾

(حكم كتاب الله في ذلك)

نجيب على سؤالكم بالإيجاز :

إن آيات التحريم في القرآن قد وردت بصيغة التخصيص في أن المحرم من الخنزير لحمه ، فقد ورد في سورة المائدة قول الله تعالى (حرمت عليكم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع - إلا ما ذكيت - وما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق ، اليوم يثبث الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم وأنعمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ، فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم . يسألونك ماذا أحل لهم قل : أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب اليوم أحل لكم الطيبات الخ ...)

وورد في سورة البقرة قوله عز شأنه : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ، إن الله غفور رحيم)

وورد في سورة الانعام قوله جل جلاله : (قل لا أجد في ما أوحى إلي محرماً على طاعم بطعمه إلا أن يكون ميتة ، أو دماً مسفوحاً ، أو لحم خنزير فإنه رجس ، أو فسقاً أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم) .
فالتأخر في الآيات المذكورة يبعد أن لحم الخنزير محرم تحريماً قطعياً لورود النص الصريح فيه ، سواء ورد لفظ «لحم» بالمعنى الحقيقي أم ورد مجازاً مرسلًا مراداً به كل الخنزير ، فإن كان ورود المعنى لاجل الحقيقة فظاهر كون لحم الخنزير حراماً . وإن أريد المجاز فالمعنى أن الخنزير كله لحمه وشحمه ودهنه وكبدته وطحاله

محرم ، فيكون تحريم الجزء الاكبر مراداً به السكل ، هو تحريم قطعي للسكل ايضاً أي لما بقي من السكل غير اللحم . فمن أصر على أن لفظ «اللحم» وارد وقاصر على معناه الحقيقي جاز له القول بالتحريم القطعي في اللحم وبالظني في غيره اذا قام عليه دليل من السنة والاجماع أو بقياس أهل الحل والعقد ، فان لم يقدح كان التحريم ظنياً من باب سد الذريعة . اذ في تحريم السكل سد ذريعة اقتناء الخنزير للانتفاع بما هو غير اللحم مما يميل المترخص الى تحليله جموداً عند النص ، وفيه قطع دابر ما يؤدي اليه الانتفاع من التفريط في التحريم للمحرم بحج المنفعة لما دونه المظنون في حله . ولا يصح ضرب المثل بضرورة منع زرع العنب والتمر منعاً لاستخراج الخمر منها ، فانه مثل فاسد لوجود الفرق العظيم في الأمرين لان شحم الخنزير ودهنه وكبده وطحاله موجودة فيه بالذات ملاصقة لما حرم الله بالنص بصريح اللفظ والمعنى ، وانما الخمر محدثة يأنم عاصرها وبائعها ومشترها وحاملها والمحمولة اليه لشربها . ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى قد قال : (تلك حدود الله فلا تقربوها) ومعنى ذلك أن للحلال حدوداً ينتهي عندها حيث يتبدى الحرام فاذا تطرف المرء فقد ينتهي منها الى الحرام أو يختلط عليه آخر المحلات بأوائل المحرمات فيلج أبواب الشبه والالتباس نجاة الله منها فانها أبواب الريبة والحيرة وانك لتجد في آية الانعام قوله تعالى (أوحلّم خنزير فانه رجس) . والهاء في (إنه) يحتمل أن تعود على لحم الخنزير كما يحتمل أن تعود على الخنزير نفسه ، بل قال النحاة ان الضمير يعود على الاقرب . فالقول بان تأكيد النعت بالرجس راجع الى الخنزير ذاته صحيح ، وهو تشنيع وصف الله به عبادة الاوثان في نهيه عنها بقوله : (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) كما وصف به الخمر والميسر (والانصاب والازلام) في آية أخرى.

نعم قد وردت صيغة التحريم في آية البقرة بصيغة الحصر (بانما) كما وردت في سورة الانعام حصراً (بالا) . ولكن الحصر وارد هنا لبيان أن الله جل شأنه لم يحرم على المسلمين جميع ما حرمه على غيرهم من الامم الاخرى وانما حرم عليهم ما ذكره فقط من المحرمات قليلة العدد التي ذكرها وتكرّم بحل غيرها مما دعا الى

يأس المخالفين الذين ذكرهم بقوله: (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون). وقد ذكر في آيات التحريم من قواعد سننه ما فيه يسر للمسلمين فذكر ثلاث قواعد هي أصل التشريع الصحيح عند العلم والاجتماع:

❖ القاعدة الاولى) - تحليل الطيبات . (يسأؤونك : ماذا أحل لهم ؟ قل، أحل لكم الطيبات - اليوم أحل لكم الطيبات)

❖ القاعدة الثانية) - ان تحريم الله لما حرم لم يكن لمجرد التحريم بل لغاية أخرى وهي تطهير الانسان من الواجفات الحيوانية كاكل الموتى ولعق الدم المسفوح أو أكل ما هو رجس سواء أكان لغيره أم لما فيه من الجرائم المؤذية ، ولتبرئته من الفسق والشرك الخفي بتجنبه استيعاب ماذبح للأوثان أو لغير الله مطلقاً مثل ما ذبح على النصب الخ

❖ القاعدة الثالثة) - منع الحرج عن الانسان وإرادة اليسر له لا المسر بالترخيص له بالاستعمال عند الضرورة (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم - فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم - فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم)

فاذا تقرر ذلك جاز لنا أن نسأل: هل شحم الخنزير ودهنه وكبدته من الطيبات أم لا ؟ والجواب على ذلك يمكن معرفته بتقرير أهل العلم العاديين في هذا الصدد وأنا ذاكر لك ما يحضرني فيها وأنا في مجال بعيد عن المراجعة والتفصيل

طلعت في دليل (كشر نوفتش) الطبي تحت كلمة (تريكينه) مامعناه (التريكينه جرثومة خبيثة توجد خاصة وعلى الغالب في لحم الخنزير ولها تأثير سيء جداً في الجهاز الهضمي وعلى المصران ولا تنمو الا بغليان - يبلغ (٧٥) درجة من الحرارة بميزان (فرنهيت) فاذا صادفت انساناً لا استعداد له على تحملها فقلما تركته سائماً بل قد تقضي عليه في أقل من ٢٤ ساعة

وقد ثبت علمياً أن شحم الخنزير وكبدته خاليان خلوا كاملاً من هذه الجرثومة المضرّة وقد كنت طالعت في كتب أخرى عن الجراثيم ما اتفق في التقرير مع المرشد المذكور، ولكنني قرأت أيضاً في كتب الطب فوجدت بعضها في حال وصفه

الجرب والجذام والحكة يقول: «إنها تنتج في بعض الاحيان فيمن يفرط في أكل شحم الخنزير وذهنه أو في ذريتهم» ومن هذه الكتب كتاب (ادرس نفسك للاستاذ الكبير الفارس دي توليدو) (١)

فأنت تستخلص من ذلك أن شحم الخنزير خال من الجرثومة المضرة الا انه يرث على الغالب كثيرا من الامراض المؤذية مباشرة لا كاله ولورثته من بعده، فهو بذلك لا يدخل بين الطيبات ولا يعطي حكما فيكون تحريم لآكله ولو تحريما ظنيا جائزا من باب الحيطة وسد الدريعة، اذ لم يثبت تحريمه القطعي بالنص الصريح ولقد طالعت فتوى على مذهب الامام مالك عند حدادتي ولا ادري ابن طالعها بعدم حرمة شحم الخنزير ولا ادري مقدارها من الصواب ولا يبعد استفتاء علماء بذلك في امكانكم استشارتهم أو استشارة كتبهم وربما عدت فكتبت اليكم بتفصيل عند خفة عملي الكثير والله سبحانه وتعالى أعلم . الخادم الفقير سيف الدين رحال

(تعليق المنار على الفتوى)

تقول (أولا) ان اطلاق لفظ اللحم في تحريم الاكل يشمل الشحم وكل ما يؤكل منه من كبدة وورثة وقلب وطحال وكليتين ومعى وغدد: يشمل هذا بالنص الاغوي الحقيقي كما حققه القاضي أبو بكر بن العربي المالكي فقد قال في تفسير آية البقرة من كتابه أحكام القرآن ما نصه : اتفقت الامة على أن الخنزير حرام بجميع اجزائه والفائدة في ذكر اللحم أنه حيوان يذبح للقصد إلى لحمه ، وقد

(١) - ومع ذلك فشحم الخنزير يستخدم في صنع بعض العقاقير مثل (الديادرمين) وهو صابون قشطي مرهمي ناصع البياض يستخدم في الامراض الجلدية ومن خواصه تنعيم البشرة وإزالة الجلد حظه من الجمل (والديادرمين) تتألف من شحم الخنزير المسلى والبوتاسه الكاوية والغلسرين ومثله (الكوتيدرمه) وهي تتألف منه ومن البوتاسه فقط ، وغير ذلك من المراهم والتشطات الكثيرة الداخلة في اداة التجميل والتحسين النسوي وفي الطب فاقول بجواز استخدامه يرجع الى الحكم بنجاسته او طهارته وليس هذا بمجاله .

شغفت البدعة بأن تقول فما بال شحمه بأي شيء يحرم؟ وهم أعاجم لا يعلمون أنه من قال «لحماً» فقد قال «شحمًا» ومن قال شحمًا فلم يقل لحماً، اذ كل لحم شحم، وليس كل شحم لحماً من جهة اختصاص اللفظ وهو لحم من جهة حقيقته اللحمية، كما أن كل حمد شكر وليس كل شكر حمداً من جهة ذكر النعم، وهو حمد من جهة ذكر فضائل النعم. ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء أنه نجس وقال مالك أنه طاهر الخ اه المراد منه (ثانياً) ان الفقهاء قد أجمعوا على تحريم أكل كل ما يؤكل من الخنزير أطلق الجمهور حكاية الاجماع واستثنى بعض المفسرين بعض الظاهرية وهو مبني على ان مدلول لفظ اللحم ما هو معروف عند العوام من جسم الحيوان المتصل بأعضائه بالمماسكة بمظامه دون ما في جوفه مما ذكر

(ثالثاً). إذا قيل ان إطلاق لفظ اللحم في الآيات مجاز مرسل من إطلاق الجزء على الكل أو معظم الشيء على جملة فانه يصح الاستدلال بالآية على تحريم ما ذكر كله عند غير الحنفية من أصحاب المذاهب الثلاثة وعلى الكراهة التحريمية عندهم لانهم يشترطون في التحريم الدلالة القطعية من النص وليس هذا منها (رابعاً). ان علة تحريم أكله وهي الضرر الجسمي والادبي كما حققه الاطباء متحققة في كل ما يؤكل منه، فيكون تحريم اللحم بالنص وتحريم غيره بالقياس المساوي (خامساً) ان الخنزير نجس العين عند جمهور الفقهاء طاهر عند الامام مالك. ولعل الاستاذ سيف الدين رأى فتوى بطهارة الخنزير عند مالك وطهارة ما يتخذ من شحمه أو يدخل فيه شحمه كالصابون فنسبها ثم ظن أنها فتوى بحل أكل شحمه. وجملة القول أن كل ما يؤكل من الخنزير محرم فأما لحمه فنص القرآن والمختار عندنا أنه يشمل الشحم وكل ما يؤكل منه. وبالإجماع على قول الجمهور به وعدم اعتدادهم بمن خالف فيه من الظاهرية، وأما شحمه على القول بأنه لا يسمى لحماً والاعتداد بخلاف بعض الظاهرية فبدلالة المجاز من إطلاق المقصود بالذات وإرادة كل معناه وبالقياس وقد سبق لنا في المنار وفي التفسير اثبات قول الاطباء بضرره الشديد في البدن بكونه سبب داء الدودة الشريطية، وضرره في الأخلاق كما أثبتته بعض المجريين فما أفتى به الاستاذ سيف الدين الرجال صحيح في جملة

الوجود والمادة والقوة والخالق عز وجل

(رأي الاستاذ الإمام في الحدوث والقدم *)

حضرة الاستاذ صاحب الكوكب المنير

قرأت فيما نشره الكوكب أمس (السبت) من ترجمة مذكرات مستر وفرد بلنت المشهور ما ذكره من حديث الاستاذ الامام مع الفيلسوف سبنسر في عقيدة المسلمين في الخالق عز وجل وفي حالة أوربة والشرق ، وما ذكره من حديثه هو مع الاستاذ الامام في علم الله تعالى بالجزئيات ، وفي قدم المادة والخالق عز وجل فأما حديث أستاذنا مع الفيلسوف سبنسر فقد كان بسطه انا بعد عودته من أوربة ورأيت كلمة عنه في مذكرة له ونشرت هذا وذلك في لئار وفي الجزء الاول من (تاريخ الاستاذ الامام) فراجعوه في (ص ٨٦٨) من التاريخ إن شئتم . وأما حديثه مع مستر بلنت في الخالق وعلمه وقدم المادة في أثناء عودتهما من زيارة الفيلسوف فلم يذكر لنا عنه شيئاً ، ولكننا نجزم بأن ما نقله عنه مستر بلنت من القول بقدم المادة خطأً سببه عدم فهمه لما قاله الاستاذ الامام لدقته وكونه من اصطلاحات كلامية وفلسفية لم يعرفها عقله ولم يألفها فهمه . وانا قد تلقينا عنه هذا البحث مطولاً منفصلاً في الكلام على الوجود من درس المنطق حتى قلنا مع أذكي الاساتذة الذين حضروا ذلك الدرس : اننا لم نفهم معنى الوجود إلا في هذا اليوم ، وفي الكلام على الوجود الواجب والوجود الممكن من رسالة التوحيد . ثم في مباحث أخرى من دروس التفسير وأهمها الكلام على المادة والقوة الذي أثار إشكالا في بعض الاذهان اقتضى أن يوضحه الاستاذ كتابة ، وقد نشرت رأيه وما كتبه في إيضاحه في الجزء الاول من التفسير

أقام الاستاذ الامام البراهين العقلية القطعية على حدوث العالم قولاً وكتابة.

(*) نشرنا هذه المقالة في جريدة كوكب الشرق الغراء في ١٢ من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٥١ رداً على حديث لمستر بلنت مع الاستاذ الامام فهم منه أن الاستاذ قال : له إن المادة قديمة

المنار : ج ٨ م ٣٢ حديث الاستاذ الامام مع الفيلسوف سبنسر وبلنت ٥٨٩

وقدم خالقه واجب الوجود وحده ، فلا يمكن أن يقول مستر بلنت ولا لغيره إن المادة لهذا العالم قديمة كقدم واجب الوجود ، إلا إن كان يقول بوحدة الوجود كالشيخ محي الدين بن عربي وأمثاله من فلاسفة الصوفية الغلاة الذين يقولون ان الوجود الحق واحد في ذاته متعدد في مظاهره وهي أعيان الموجودات في الخارج وشخصها ، وهو قد ذكر للفيلسوف سبنسر مذهب المسلمين الثلاثة في نسبة الخالق الى العالم : مذهب السلف الذين يقولون انه فوق جميع خلقه بائن منهم بلا تمثيل ولا تحديد . ومذهب المتكلمين الذين يقولون انه لافي داخل العالم ولا في خارجه - فيقولون كالسلف بالبينونة وبنصوص الملو والفوقية مع تأويلها - ومذهب الصوفية الذين يقولون بالوحدة . وهو قد صرح في رسالة التوحيد وفي دروس التفسير أنه يقول بقول السلف ، ولا يصيب قول الخلف

ولكنه كان في تقرير المسائل الاعتقادية يلزم اصطلاحات علماء الكلام (إلا في التفسير) وأما في الرد على الشبهات وتقرير الحقائق الاسلامية للفلاسفة والماديين فكان يحاول تقريب الاصطلاحات العلمية المختلفة بعضها من بعض إذا كانت هي سبب الاختلاف في فهم الحقيقة ، ثم يبين ان الحق ما أثبتته الاسلام ، وقد كان الفيلسوف سبنسر يرى ان إثبات ذات للقوة المدبرة لامر العالم وان لهذه الذات صفات قائمة بها كما يعتقد المسلمون يقتضي انهم يقولون بتشخصه تعالى ، فأعلمه الاستاذ الامام باننا نقول انه موجود ولا نقول انه شخص مشخص ، بل نقول انه لا يدرك كنهه . ففهم الفيلسوف كلامه ودهش من الاعجاب به كما يقول مستر بلنت ، ولكن مستر بلنت لم يفهم كلامه كما فهمه الفيلسوف ، ولذلك سأله بعد الخروج من عنده عن علمه تعالى بالجزئيات فأثبته له ، وسأله عن قدم المادة كقدمه تعالى ، وادعى أنه أثبتهما معاً ونحن نجزم بأنه لم يفهم جوابه لضيق الوقت عن إيضاحه فأخطأ في بيانه والراجح عندي في سبب ما فهمه مستر بلنت من قدم المادة ان الاستاذ الامام أراد أن يكشف له شبهة الماديين في اعتقادهم قدمها وهي استحالة وجود شيء من المدم - أو شيء من لا شيء كما يقولون - ثم يبين له حجة المسلمين على حدوثها ، فوافقه أولاً على ان المدم لا يكون مصدراً للوجود ، بل يبين له كما بين لنا في دروس المنطق بالآزهر ان المدم لاحقيقة له في نفسه وإنما هو أمر اعتباري فرضي محض .

وإنما الشيء الثابت هو الوجود ، وإن الوجود المطلق أزلي أبدي لأن مقابله وهو
العدم المطلق محال لا يمكن ثبوته ولا تحققه ولا تصوره ولا تخيله ، وإنما يتصور
الذهن العدم الإضافي وهو نقي نسبة موجود الى موجود كعدم وجود شمسين وقمرين
لهذه الأرض . فتوهم الرجل من هذا أن وجود المادة قديم لأن العدم محال
ثم أخذ الأستاذ الامام يبين له أن الوجود قسمان : وجود واجب لذاته ،
وجود ممكن لذاته ، ومن الثاني أعيان العالم المادي الذي نعرفه بحواسنا وتقيس
مالم ندركه منه على ما أدركناه ، فنه ما نرى بأعيننا حدوثه بعد أن لم يكن ، ومنه
ما نعلم حدوثه بالأدلة كهذه النجوم والكواكب اللامعة فوقنا ، فلا يوجد عالم من
علماء المادة أنفسهم يقول أنها قديمة أزلية ، ومعنى كونه كله ممكناً أن ذاته
لا تقتضي الوجود في نظر العقل لثبوت سبق أعيانها بالعدم ولا فرق في نظر العقل
بين أعيانها المركبة من عنصرين أو عدة عناصر وبين عناصرها البسيطة . وكل مالم يكن
وجوده من ذاته لذاته لا لعلته خارجة فلا بدله من علة وسبب يهبه الوجود ، وهذا
السبب لا يمكن أن يكون عدمياً لأن العدم لا ثبوت له في ذاته فيكون سبباً لوجود غيره .
— فوجب أن يكون سبب وجود الممكنات كلها هو الوجود الواجب أي الذي
له الوجود لذاته لا لعلته أخرى ، وهو الذي لا يتصور عدمه ، وهو الله عز وجل .
هذا هو البرهان العقلي عندنا على حدوث العالم كله ، وكأني بالأستاذ الامام
قد ذكره لصديقه مستر بلنت مختصراً في طريقتيهما من دار الفيلسوف سبنسر
إلى المحطة فلم يفهمه منه ولكن بقي في ذهنه قوله أن العدم لا يكون منشأ ولا سبباً
للوجود ، وتوهم أنه يستلزم أن تكون المادة قديمة أزلية كالخالق تعالى وهذا محال
أزيد في بيان الموضوع أن الله تعالى قال في الاحتجاج على المعطلين (أم خلقوا من
غير شيء ؟ أم هم الخالقون ؟) أي لا يمكن أن يكونوا خلقوا من غير شيء (أو من
لا شيء كما يقال) لأن العدم لا يكون سبباً ولا مصدراً للوجود ، ولا يمكن أن يكونوا هم
الخالقين لأنفسهم ولا لغيرهم ، وهذا إنما لا ينكرونه ، فيتعين أن يكون الخالق لهم هو
الله واجب الوجود لذاته . وما يصدق على الخاطئين بهذه الحجة يصدق على غيرهم من
الممكنات الوجود عاقلها وغير عاقلها كعناصر المادة بالاولى ، وإذا أمكن الجدل والمراء
في جزئيات الممكنات فلا يمكن المراء في جملتها . وإني أذكر هنا عبارة رسالة التوحيد

في ذلك لاستاذنا وهو قوله بعد بيان حقيقة الواجب والممكن والمستحيل ما نصه :
 « جملة الممكنات الموجودة ممكنة بداهة ، وكل ممكن محتاج إلى سبب يعطيه
 الوجود ، فجملة الممكنات الموجودة محتاجة بتمامها الى موجد لها . فاما ان يكون
 عينها وهو محال لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه ، واما ان يكون جزأها وهو
 محال ، لاستلزامه ان يكون الشيء سبباً لنفسه ولما سبقه إن لم يكن الاول ، ولنفسه
 فقط ان فرض أول . وبطلانه ظاهر — فوجب ان يكون السبب وراء جملة
 الممكنات (اي غيرها) : والموجود الذي ليس بممكن هو الواجب ، إذ ليس
 وراء الممكن إلا المستحيل والواجب ، والمستحيل لا يوجد ، فيبقى الواجب —
 فثبت ان للممكنات الموجودة موجداً هو واجب الوجود »

ثم أورد البرهان من وجه آخر أخصر وأدق من هذا . وقد علم من هذا وما
 قبله من مقدماته وما بعدها من الكلام في الوجود الواجب وما ثبت لواجب الوجود
 من وجل وحده من القدم انه يستحيل ان يقول صاحب هذه البراهين ان المادة
 قديمة أزلية ، وان المبعول ان يكون السبب في فهم مستر بلنت ما ذكر منه هو ما فصلناه ،
 أو يكون الكلام في القدم اللغوي أو الإضافي ، وهو قدم عناصر المادة على مركباتها
 والى كاتب هذا المقال طريقة غير طريقة شيخه الاستاذ الامام الفلسفية في
 إثبات حدوث المادة في مناظراته للقائلين بقدمها جدلاً أو اعتقاداً بينتها في مواضع
 من مجلة النار منها مناظرة بيني وبين صاحبي المقتطف منذ ثلث قرن تقريباً .
 ملخصها ان جميع ما نعرفه من هذا العالم المادي والارضى حادث بالاتفاق بين العلماء ،
 ولكنهم يتخبطون في تصور تكوينه وتصويره بصورة معقولة ولا يزالون مجمعين
 على ان منشأ الكون ومصدره الاول مجهول الكنه مع الجزم بأنه موجود ذو قوة
 أوحكمة يدل عليهما النظام العام في جملة وفي كل نوع من أنواعه ، أو جنس من
 جناسه ، وهو مانع عنه بالسنن أو النواميس ، وهذا الموجود المجهول كنهه وحقيقته ،
 المعلومة صفاته بما يدل عليها من العالم ، هو الذي نسميه نحن بالاصطلاح العلمي
 واجب الوجود ، وبالاصطلاح الديني « الله رب العالمين »

هذا وانه قد ثبت عند علماء المادة ان عناصرها البسيطة قد يتحول بعضها إلى بعض
 كتحويل غاز الراديوم إلى عنصر الهليوم موافقا لنظرية وحدة المادة في الاصل ، ونظرية

٥٩٢ قولهم ان تموجات الكهرباء سبب وجود الكون النار : ج ٨ م ٣٢

من قال من فلاسفتنا وفلاسفة اليونان ان الواحد لا يصدر عنه إلا واحد - تقريباً
ثم ثبت أخيراً ان القوة تتحول الى مادة او تصدر عنها مادة . ومن المعلوم
ان كنه المادة وكنه القوة مجهولان ، وكنه القوة أعرق في الخفاء من كنه المادة ،
فصح لنا معشر المؤمنين بأن الله تعالى خالق كل شيء . أن نقول لهؤلاء الماديين
ان هذه القوة التي صدرت عنها المادة هي قدرة الله تعالى ، وهي عندنا مجهولة
الكنه ، كما ان ذات الخالق تعالى مجهولة الكنه *

وقد بينت هذا البحث في مقال طويل عنوانه (السنن الكونية والاجتماعية ونظام
الكون) نشرته في الجزء الاول من مجلد النار - مجلد هذا العام قلت فيه مانصه :
« ومالي لا آتي إلى أساس هذا الكون والسنن التي قام بها تكوينه في
الاطوار المختلفة ، ألم يكونوا يقولون إنه مؤلف من مادة ذات عناصر بسيطة وقوة
هي منشأ التركيب الذي حدثت بها الصور المختلفة في العالم كله ؟

« قد هدم هذا الأساس إن لم يكن بما ثبت من تحول عنصر الى عنصر ،
فما ثبت من ان مانسميه المادة والقوة اصطلاح لا تعرف له حقيقة ، وان هذا
الوجود الذي نعرفه في أرضنا وسمائنا ليس سوى مظهر من مظاهر تموجات
الكهرباء - وان كل ذرة من ذراته تتألف من كهارب سلبية تدور حول كهرب
إيجابي (والكهرب هو الوحدة من الكهرباء) وهذه الكهارب لا يمكن أن يقال
إنها مادة ، ولا إنها قوة ، وانما حقيقتها مجهولة - إلى ان قلت :

« فاذا كانت المادة تصدر عن القوة كما قالوا (أولاً) فما المانع من القول بان
هذه القوة هي قوة الله وقدرته ؟ واذا كان الوجود الممكن كله مظهرآ من مظاهر
تموجات الكهرباء المجهولة الكنه كما قالوا (أخيراً) فأبي قولهم هذا وقول
اتباع الوحي : ان الوجود الممكن الظاهر ، صادر عن الوجود الغيبي الباطن ؟ وقول الله
تعالى يصف نفسه « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم »

(*) لا يبعد ان يقول بعض أدعياء العلم الجاهلين الجامدين اذا اطلع على هذا ان
صاحب النار ينكر وجود الله تعالى ويقول كما يقول الماديون ان مادة العالم صدرت عن
قوة مجهولة هي التي نسميها الخالق . فيجعل برهانا الذي أقننا به بالحجة على وجود
الخالق وأقنعناهم به عين انكار وجوده عز وجل ، كما فعل في مسألة الملائكة
والقوى الطبيعية ، وهكذا يقلب الجامدون المحرفون الحقائق بالجهل وسوء النية

ذكرى صلاح الدين ومعركة حطين (*)

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

سلام عليكم أيها المتذكرون المذكرون بتاريخ هذا الرجل العظيم، المنتدلا ووطنكم وأمتكم من عدوان المعتدين، المجاهد في سبيل الله لأعلاء كلمة الحق والعدل، بصلة سيطرة العرب عن الشرق،

لقد أحسنتم صنعا بإحياء هذه الذكرى، واختياركم لها تاريخ معركة حطين الكبرى، التي كانت هي الفاصلة، لأن معارك النصر بعدها كانت متواترة متعاقبة، إلى أن تم طرد تلك الزخوف الباغية، عن هذه البلاد المقدسة، وعن غيرها من البلاد العربية، حتى جزيرة العرب التي شرفها الله تعالى على جميع الأرض بيئته الحرام، ومرقد رسوله خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام، فقد كان بعض زعماء الأفرنج يأتمرون بفتح الحرمين الشريفين، ولاغرو، فإن ثاث الحرمين أقرب الأبواب إليهما، وقد عاد الأمر كما بدا، فهل نجد على نار الأحداث المشاهدة هدى...؟
أيها الإخوان المجتمعون لهذه الذكرى المقدسة، في هذه الأرض المقدسة، أنكم قد رفتم عن بلادكم وأمتكم كلها عارا كبيرا وتقصيرا معيبا بالسكون والسكوت عنها إلى الآن، وهم يرون شعوب العرب يتنافسون في إحياء ذكرى معارك الحروب التي هي دونها من كل وجه، وأما الرجال العظام فانهم ينصبون لهم التماثيل، وإن كانوا عندهم دون صلاح الدين عندنا، ويؤلفون في مناقبهم الكتب التي ترفع ذكرهم، وتعظم قدرهم، وترشد الأمة إلى الاقتداء بهم

نصب التماثيل ممنوع في الإسلام لانه من شعائر الوثنية، وأما تصنيف الكتب وإلقاء الخطب في عبر التاريخ فكل منهما مشروع، لانه من الحكمة والوعظة الحسنة،

(*) خطاب لنا ألقى في حفلة هذه الذكرى بحيفا في ٢٥ ربيع الآخر

وقد دون بعض علمائنا تاريخ صلاح الدين ، وتوهوا بجهاده ومناقبه في كتب أخرى ، ولكن جمهور الامة يجهلها ويحتاج الى التذكير بها ، بالاسلوب الذي يبعث المبرة ، ويحمل النفوس على حسن الاسوة

فضائل صلاح الدين كثيرة : من قوة إيمان ، وعلو أخلاق ، وصلاح أعمال ، وعدل أحكام ، ولكن منته السكبرى على أمم الشرق كافة ، وعلى العالم الاسلامي والعرب خاصة ، انما هي كفايته ايام طغيان الاستعمار الغربي ، والطوفان الاوروبي ، الذي فاضت سيوله باسم التعصب الصليبي ، في زمن كانت فيه جميع الشعوب الاوربية في ظلمات حالكة من الممجية والقسوة والخرافات والجهل المطلق ، والبعد الشاسع عن هداية الدين المسيحي الصحيح ، الذي ارتكبوا جميع الشرور والفظائع باسمه ، ووالله انهم قد كانوا وما زالوا أبعد خلق الله عن دين المسيح وفضائل المسيح ووصايا المسيح عليه الصلاة والسلام ، ولولا صلاح الدين لا غرق طوفانهم الشرق كله منذ القرن السادس للهجرة ، فاهلكوا الحرث والنسل ، وطامسوا نور الحق والعدل ، وأفسدوا جميع الارض ،

لم يكن صلاح الدين رحمة من الله تعالى بالشرق وحده ، بل كان رحمة بالعرب وبلوكه وقواده الوحشيين المهجيين وشعوبه المظلومين أيضاً ، فقد أراهم بجهادهم فيهم ، وبنصر الله عليهم ، ما طبعه عليه الاسلام من الحق والعدل ، والرحمة والفضل ، وعلو الاخلاق والشيم ، فان كانوا قد خسروا بسيفه نتيجة الحرب كلها ، فقد ربحوا بمعرفة فضائله وفضائل امته ما كان خيراً لهم ولشعوبهم منها .

رأوا من صلاح الدين ، ومن أمة صلاح الدين ، ومن جيوش صلاح الدين ، وعلموا من أمر رعايا صلاح الدين من اليهود والمسيحيين ، خلاف ما كانوا يعلمون من ملوكهم وشعوبهم ، ورؤساء دينهم ودنياهم ، وما زال علماءهم ومؤرخوهم يجلونه وينوهون بفضائله ، ولم تنس سورية ما كان من عاهل المانية الاكبر عند زيارة ضريحه في دمشق من إجلاله له ، ووضع ذلك الاكليل على قبره

رأوا أن سلطان المسلمين خادم للامة ، لا يتعدى سلطانه عليها تنفيذ الشريعة ، فلا سلطان له على أموال الناس ولا على دماءهم ولا على نسائهم ، ولا تحكمه في أنفسهم ولا في شرفهم

فضلا عن عقائدهم وآرائهم، بل هو أرفق بهم من آرائهم وأهوائهم وأولي أرحامهم (*)
 رأوا أن المسلمين أحرار في دينهم وضماؤهم، ليس عليهم سيطرة باباوية ولا
 كنسية فيها، على خلاف ما كان عليه ملوك أوربة ورؤساء الدين فيها من استبداد في
 الأحكام، واستعباد للناس، رأوا بأعينهم وسمعوا بأذانهم وعلوا باختبارهم،
 أن كل ما حاجتهم به الكنيسة لقتال المسلمين من الخطب والقصاص والناشيد فهو كذب
 وبهتان، ورأوا أن النصاري يعيشون مع المسلمين كالأخوان، لهم ما لهم، وعليهم
 ما عليهم، بل لهم أكثر مما عليهم. فلما انقلبوا مغلوبين على أنفسهم في الحرب، رجعوا
 عليهم باللائمة، وشعروا بحاجتهم إلى تقليد المسلمين والاقتداء بهم في عدل حكاهم
 وحرية شعوبهم، وتقييد تلك السلطة المطلقة والسيطرة المقدسة اللتين استبدلتاهم
 فكان انكسارهم في معارك الغزال هو الحافز لهم بهم، والمثير لا فكارهم والمرشد
 لهم إلى الإصلاح السيامي والديني، وما يتوقف عليه من استقلال العقل، وحرية
 العلم، فتحولوا عن جهادنا إلى جهاد أنفسهم،

جاهدونا عدة أجيال، ثم جاهدوا ملوكهم وكنيستهم عدة أجيال، وطفقوا
 يترجمون كتب حكمائنا وأطبائنا وفقهائنا وأدبائنا، يتقنون شعوبهم بها، على حين
 كنا نعود القهقري بتخريب الأعاجم لبلادنا، ودكهم لما قل قوتنا، وتقويضهم
 لصوص حضارتنا، وإغراقهم لكتب أمتنا، ثم بقضائهم على سلطان خلافتنا،
 وإضعاف لغتنا، وإماتة علومنا، وإذلال نفوسنا بسلطة عسكرية قاهرة استنزفت
 ثروة عمراننا، وألحقنا بمنابت الشيخ والقيصوم من جزيرتنا

هذا - وإن هؤلاء الأوربيين لم ينسوا عداوتنا معشر العرب، فقد كانت لنا
 عدة ممالك عربية في شطر أفريقية الشمالي قضوا على استقلالها كلها بأسماء مختلفة،
 حتى أنهم كانوا هم الحائلين دون تأسيس السلطنة (الإمبراطورية) العربية التي
 (*) شكوا إلى السلطان صلاح الدين أحد ما ليكده المتميزين لديه بالخطوة والأثر
 مستعديا على جمال ذكر أنه باعه جملا معيبا أو صرف عليه جملا بعيب لم يكن فيه
 فقال السلطان له ما عسى أن اصنع لك وللمسلمين فاض يحكم بينهم والحق الشرعي
 مبسوط للخاصة والعامة وأوامره ونواهيده ممثلة وإنما أنا عبد الشرع وشعنته - والشحنة
 عندهم صاحب الشرطة - فالحق يقضي لك أو عليك اه من رحلة ابن جبير

٥٩٦ عداة أوربة للعرب وسلبها لاستقلالهم جزاء مساعدتهم لها المنار : ج ٨ م ٣٢

شرع فيها محمد علي الكبير في مصر وسورية والسودان ، وأكرهوه على أن يظل خاضعاً
للسياسة العثمانية عدوم الكبرى في الشرق ، لعلمهم انها سائرة الى الانحلال
والاضمحلال ، وان الدولة المصرية الجديدة حية داخلية في سن الشباب ، ثم ما زالوا
يتربصون الدوائر بالدولة العثمانية ، إلى أن تم انحلالها في الحرب العامة الاخيرة ، فكان
حظهم من انحلالها الاستيلاء على ولاياتها العربية ، والاعتراف باستقلال ولاياتها
التركية وحدها ، وإعلان الحماية على مصر العربية ، ولما اضطرتهم الثورة المصرية
إلى إلغاء هذه الحماية والاعتراف باستقلال مصر قيدوا ذلك بقيود تجعل الاستقلال
اسماً لغير مسماه الاغوي والسيامي ، وعجلوا بالاستئثار بالسودان كله ، فطردوا منه
موظفي الحكومة وضباط الجيش من المصريين ، حتى ان حاكم السودان الانكليزي
لم يسمح لحكومة مصر بتولية ملكها لقاضي السودان الشرعي ، على انهم لولا مساعدة
مصر والحجاز العربيين لم في الحرب ، لكان النصر فيها للامان والترك ، ولزال
الاستعمار البريطاني والفرنسي من الارض

فعلم من ذلك كله ان دول أوربة العسكرية الاستعمارية تعد الامة العربية أعدى
أعدائها في الشرق ، وان وجودها فيه ذنب لا يقاس به ذنب ، ولذلك جزتها على
مساعدتها لما على قتال الترك بما تعلمون وتشاهدون ، وتسمعون وتذوقون ، وانما
تشاهدون ظلماً لا يصبر عليه إلا غير الحي والود ، وتسمعون من النذر ما يدل
على أن المستقبل المعد لكم ، شر من الحاضر الذي يعنتكم ، وتذوقون من مرارة الفقر
والذل ما لا يوصف بالقول ، فان الذوق أقوى أنواع الادراك فلا يحتاج الى الوصف
وانكم أنتم يا عرب فلسطين ، ويا من شرفكم التاريخ بمركة حطين ، قد
خصصتم بما لم يصب به أحد من العالمين ، من الظلم والذل والعذاب المبهين ، لافرق
فيه بين المسلمين والمسيحيين ، بما تحشره الدولة البريطانية في وطنكم من شذاذ اليهود
الصهيونيين ، لتطردكم منه وتعيد فيه ملك اسرائيل ، تكديماً لوعيد الله لهم على
لسان المسيح ومحمد عليهما من الله أفضل الصلاة والتسليم

على أن هذه الدولة المشهورة عند أدباء أوربة وساستها بالرياء الفريدي قد
صبغت الاستيلاء على القدس بالصبغة المسيحية ، ووصفت هذه الحرب بأنها آخر

الحروب الصليبية ، وأقامت الاحتفالات لفتح أورشليم في الكنائس الانكليزية ،
فلينظر مسيحيو أورشليم والناصرية وبيت لحم وسائر البلاد التي تشرفت بولادة
المسيح ونشأته ، وتجوالة ومعيشته ، وسمع أجدادهم فيها مواعظه العالية ، ووصاياه
الاصلاحية السامية ، ورأوا آياته وعجائبه الدالة على صدقه ، وتكذيب أعدائه
الذين طعنوا وما زالوا يطعنون في دعوته ، ويقذفون أمه العذراء الطاهرة شيدة نساء
العالمين ، بما برأها الله منه على لسان رسوله محمد خاتم النبيين ، وسماه بالبهتان العظيم
لينظر هؤلاء المسيحيون ماذا كان من حظهم من هذا الفتح المسيحي الصليبي ،
الذي هو أجدر أعمال الانكليز باسم الرياء الفريسي ، وليتذكروا ان صفقتهم
كانت تكون أخسر مما هي لولا كنائس أوربة المسيحية وشعوبها المسيحية ودولها
المضطرة الى مراعاة شعورهم ، وحسبهم مما هم فيه تفضيل أعداء المسيح الصهيونيين
عليهم ، وجعل وطنه ومطنا لهم ، ليقيموا فيه مسيحيهم الذي يجد لهم ملك داود وسليمان
المادي الذي يزعمون أن أنبياءهم بشروهم به ، ويكذبون ابن مريم الصادق الامين ،
الذي قال مؤيداً بروح القدس إنه هو المسيح الحق الذي بشر به أولئك النبيون ،
وان ملكه سماوي لا أرضي ، وروحي لا مادي ، فانهم كانوا وما زالوا عبيد المادة ،
فاذا جاءهم ملك مادي لا يزيدهم إلا طغيانا وغلوا في عبادة المال ، وانما كانوا
وما زالوا في أشد الحاجة الى تلك التعاليم الانجيلية الروحية التي تصدهم عن هذه
العبادة للمال ، والطمع والاثرة على الناس ، حتى بغضتهم الى أكثر شعوب البشر ،
فان تجددهم ملك وهم على ما يعلم جميع الناس فانهم لا يكونون إلا كما قال الله عز وجل
(أم لهم نصيب من الملك ؟ فإذا لا يوثقون الناس فقيرا) حتى لا يستطيع أحد أن يعيش
معهم ولو فقيرا (النقيير النسكتة في ظهر نواة النمرة وهي كناية عن الشيء الحقير)
أيها العرب الكرام : المحتفلون بذكرى السلطان صلاح الدين العربي العبداني
كما روى ابن خلدون المؤرخ الشهير - وبذكرى معركة حطين العربية الفلسطينية -
يجب أن تبشوا في الامة العربية كلها أن الخطر عليها من الاستعمار الاوربي في هذا
الزمان ، بل في هذا العام ، أكبر وأخطر مما كان قبل معركة حطين الفاصلة ، وان
ما يجب عليها لدفع هذا الخطر من الجهاد بالاموال والانفس ، هو أعظم وأشق مما

٥٩٨ أكبر الخطر على العرب خيانة كبرائهم بمساعدة الأجانب على استعبادهم

قام به أجدادهم في حطين ، تحت لواء صلاح الدين ، فغازوا بالنصر المبين
ربما يتوهم بعضكم أنني أعني بهذه المشقة أن الأمة العربية لا تملك ما يملك
المعتدون عليها ، والجادون في السعي لاستعبادها ، من المدافع والديابات والطيارات
والأساطيل ، فتقاتلهم بمثل سلاحهم كما أوجب الشرع عليها ، كلا ان هذا أهون
الخطرين ، وإنما الخطر الأكبر الذي يندفع باندفاعه كل مادونه هو قتال العرب
بالعرب ، وتخریب بيوتهم بأيديهم ، بما يبذله هؤلاء المستعمرون لهم من مال
يستأجرونهم به لقتل أنفسهم ، وما هو الا مما يسلبونه من بلادهم في الحال أو المآل ،
وبما يستخدمون به طلاب الامارة والوزارة وما دونهما من المناصب لخيانة
أمتهم وهدم معاقل استقلالها ، وإنما هو ألقاب باطلة لا يخرجون بها عن كونهم
خدما أذلة للمستعمر السالب لسلطانهم الصحيح ، ومجدهم التليد ، فلعنة الله على
أمثال هذه الامارات والوزارات والمناصب الصورية المدنسة برجس الخيانة ،
وعلى هذا السحت الذي يبيعون به أوطانهم لأعدائهم

وان أمة يعيش فيها أمثال هؤلاء الخونة مكرمين مخدومين مزينين بألقاب الجلالة
والعظمة ، والسمو والفخامة والسعادة ، لا يمكن أن تكون أمة عزيزة مستقلة ، بل لابد ان
يسلب منها ما بقي لها من استقلال ومال وشرف وحرية ، إلا أن تتوب الى ربها ، وتبحث
شجرة الخيانة من بلادها كلها ، فالامة العربية مستعدة للحياة ، ولا تلبث بعد تطهيرها
من هؤلاء الانذال ، أن يظهر فيها مثل صلاح الدين فيقودها الى الوحدة ومجد الاستقلال
لا أقول لكم عاقبهم بمثل ما عاقبت وتماقبت به الامم الحية أمثالهم ، وما أشار به
حكيم الشرق وموقفه السيد جمال الدين الافغانى قدس الله روحه في معالجة فتنهم ،
بل أقول إن ما دون ذلك من العقوبة الادبية قد يفضي الى تطهير الامة من رجسهم
العقوبة الادبية يملكها الكتاب والخطباء والشعراء والمصنفون والجمعيات العلمية
والاحزاب السياسية ، فعلى هؤلاء كلهم أن يتعاونوا على تنفيذ العقوبة بما ينظمون من
القصاص والمقاطيع والاغاني الوطنية في تشهيرهم ، وتشويه خيانتهم ، وتسجيل اللعنة عليهم ،
وبما يلقون من الخطب في مثل هذا المحفل الحافل ، وفي الاندية والسمار والمساجد ،
وبما يكتبون من المقالات التاريخية والاجتماعية في المجلات والجرائد ، وبما يصنفون

المنار : ج ٨ م ٣٢ ما يجب من عقاب اكابر الخونة للامة من عمل ومقاطعة ٥٩٩

من الكتب والرسائل ، وبما يلتقون من علم الاخلاق والاجتماع لطلاب المدارس
وأما الاحزاب السياسية فعليها فوق هذا أن تسعى لاستقاط سلطتهم ،
وتأليب الامة عليهم ، واجباط كل سعي لهم في تأليف عصبية لهم في أي عمل من
أعمالهم ، حتى لا يجدوا في الامة رجلا قادرا على العمل يكون آلة للاجنبي المعتدي
على بلادها ، أو آلة للآلة الخائن لها ، فان لبعض الامور السلبية من التأثير
والبلاء في بعض الاحوال ، ما لا يكون للحديد والنار

أتدرون أيها الاخوان لماذا رفع الانكليز الحماية عن مصر .؟ إنهم لم يرفعوها
لما قتل الثائرون من رجالهم القليلين ، وإنما رفعوها لثورة السلبية التي اتفق عليها
الموظفون في الحكومة بامتناعهم من حضور الدواوين ، واشتغالهم فيها تحت سيطرة
الانكليز ، بل ما تسنى للانكليز احتلال مصر الا باستعداد حكومتها إياهم على
طلاب النصفة والاصلاح من شعبها ، وبخيانة الخونة من باشاواتها لها ، (وقد بينا
هذا في تاريخ الاستاذ الامام الذي هو التاريخ الوحيد للنهضتين المصرية والاسلامية)
ثم لم يتمكنوا من سلب نفوذ حكومتها وجعلها آلة صماء في أيدي مستشاريهم
ومن دونهم المفتشين وغيرهم ، إلا بأيدي تلك الجماعة التي كانوا يسمونها مجلس
النظار أو الوزراء ، وأطلق عليها شيخنا الاستاذ الامام اسم (جمعية الصم البكم)
وإنكم لتجدون أيها الاخوان لثورة السلبية في هذه الايام مثلاً أكبر وأوسع
حما كان في الثورة المصرية ، وهو الثورة الهندية ، ولكن ينقصها أن ساسة الاكثريين
من الوثنيين ، قد عجزوا عن ارضاء جميع الزعماء من المسلمين ، ولو اتفق الفريقان
كما اتفق المسلمون والقبط في مصر ، لامكنهم أن يعمموا ثورتهم السلبية بعدم
التعاون مع الانكليز على أعمال الحكومة ، وبعدم دفع الضرائب لها ، وإذا
بمكان استقلال الهند قاب قوسين أو أدنى .

أيها الاخوان — أيها العرب الكرام

إنه لا خير لكم في هذا الاحتفال ولا فائدة لكم من هذه الذكرى لسلفكم ،
إلا اذا استفزتكم للجهاد في حفظ ما بقي لامتكم العربية من الاستقلال في جزيرتها ، منبت
شجرتها ، وموطن قوتها ، ومصدر حضارتها ، وما رزها عند شمسها ، وفي استرداد

٦٥٥ مازال ولا يزول شيء من ملك المسلمين الا بأيديهم المنار : ج ٨ م ٣٢

ما قدم من بلادها ، ولا تم وانكم عظمة المعتدين الحربية ، ولا ثروتهم المالية ، فانكم اذا جمعتم كلمة أمتكم ، ووقتم لنبد الخونة الذين يقاتلكم الاجني بهم ، فان شعوب أوربة العاقلة المقتعدة لن تسمح لحكوماتها الطامعة بتجهيز جيوش صليبية جديدة مجهزة بالآلات الحربية الحديثة لفتح جزيرتكم ، والاستيلاء على الحرمين كما استولوا على الثالث ، وإنما يفعلون كل شيء من إذلالكم بكم ، وانتزاع بقية استقلالكم بأيديكم ، كما قلنا آنفا لكم ، وقلنا ذلك وكتبناه من قبل لقراء مجلتنا (المنار) وتفسيرنا وغيرهم في بعض الصحف

ومما كتبناه في مباحث هذه المسألة خاصة ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان (رض) مرفوعا إلى النبي ﷺ قال : « إن الله زوى لي الأرض فزأيت مشارقها ومغاربها ، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض . وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة (أي القحط) وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم (أي ملكهم وسلطانهم ومستقر قوتهم) وإن ربي قال لي : يا محمد اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، وإني أعطيتك لامتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا » صدق رسول الله ﷺ في كل ما بشر به وأندر — وما كان إلا صادقا ، وما كان خبره عن الله إلا حقا ، فقد أعطى الله أمته كل ما وعداها ، وما سلب أعداؤها شيئا من بلادها ، ولا سلطوا على شعب من شعوبها ، إلا بمساعدة المسلمين أنفسهم إياهم على أنفسهم ، كما يعلمه كل واقف على تاريخ الاستعمار ، وآخره استيلاؤهم على هذه البلاد العربية من فلسطين إلى العراق . قال متى تسكت الامة للخونة الذين رضوا أن يكونوا شر سلاح للأجانب تفتح بهم بقية بلادها ، لتقضي على البقية القليلة من ملكها ؟؟

الاخوتان الدينية والقومية

هذا — واني أوصي إخواني في الدين وإخواني في القومية العربية والوطنية بالحد والتمام من التفريق بينهم بدسائس الاجانب الطامعين ، وأعوانهم من الوطنيين المنافقين المأجورين ، والمتعصبين المفرورين ، الذين يخونون التفريق بينهم باختلاف

الدين، فان مصلحتهم القومية والوطنية واحدة، وقوميتهم واحدة، ولغتهم واحدة، وان المسلمين لا يرون في اخوة الدين الروحية ما يعارض اخوة القومية، لان الله قد اثبتهما في كتابه العزيز، فقال في الاولى (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم) وقال في الثانية (كذبت قوم نوح المرسلين) اذ قال لهم اخوهم نوح ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين) وقال مثل ذلك في اخوة هود وصالح الرسولين العربيين وغيرهما لأقوامهم المشركين وان المطلبين على التاريخ من اخواننا في القومية العربية يعلمون أن دولتنا العربية لم تفرق بين المختلفين في الدين في العدل، والمساواة في حرية الاعتقاد والعبادة والنفس والعرض والمال، وان بغى الصليبيين وتمصبهم وما سفكوه من الدماء البريئة باسم الصليب ونزعة الدين المسيحي إفسا وزورا لم يكن له من التأثير بين المسلمين والنصارى في هذه البلاد العربية عشر معشار ما كانوا يظنون، بل كان الجميع يعيشون متحدين متعاونين في أمور دنياهم، وكل منهم حر مستقل في أمور دينه، على قاعدة الشرع الاسلامي [لهم ما لنا وعليهم ما علينا] فلم يستطع الصليبيون الاولون ولا الآخرون أن يفسدوا علينا من اخواننا في القومية ما أفسده علينا خلفهم من اخواننا في الدين والقومية مما يحب الامارة والوزارة والمال

أذكر في هذا شهادة لعالم مسلم عربي النسب والادب، أوربي الوطن، وهو الرحالة ابن جبير الاندلسي الذي مر ببلادنا سائحا بعد عودته من الحجاز في عهد الحرب الصليبية سنة (٥٨٠) فانه قال في رحلته عند ذكر جبل لبنان الذي كان فاصلا بين البلاد الساحلية التي احتلها الصليبيون وبين غيرها و ذكر من كان في هذا الجبل من عباد المسلمين ما لفظه:

« ومن العجب ان النصارى المجاورين لجبل لبنان إذا رأوا به أحد المنقطعين (أي للعبادة) من المسلمين جلبوا لهم القوت وأحسنوا إليهم، ويقولون هؤلاء ممن انقطع إلى الله عز وجل فتعجب مشاركتهم، وهذا الجبل من أخصب جبال الدنيا فيه أنواع الفواكه، وفيه المياه المطردة، والظلال الوارفة، وقاما يخلو من (أهل) التبتل والزهادة، وإذا كانت معاملة النصارى لضد ملتهم هذه المعاملة فما ظلك بالمسلمين بعضهم مع بعض؟ ومن أعجب ما يتحدث به أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى

وربما يلتقي الجمعان ويقع المصاف بينهم ، وورق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم « إلى أن قال بعد ذكر حرية التجارة للجميع بين البلادين « مع الاتفاق والاعتدال في جميع الاحوال ، وأهل الحرب مشتغلون بحربهم ، والناس في عافية ، والدنيا لمن غلب - هذه سيرة أهل هذه البلاد في حربهم وفي الفتنة الواقعة بين أمراء المسلمين وملوكهم كذلك » انتهى

ولا يخفى على أحد منكم أيها الاخوان في هذا العهد أن هؤلاء الاجانب المستعمرين لاهم لهم في بلادنا إلا استعبادنا وسلب ثروتنا ، وانه لا فرق عندهم بين المسلمين والنصارى في ذلك ، ولكن الانكليز يفضلون اليهود على النصارى كالمسلمين في فلسطين لان لهم ربحا ماليا وسياسيا من مساعدتهم ، فهم يرغبون ان يكونوا مانعا من بقاء هذه البلاد للعرب وحدهم ، فحائلا دون تأسيس الوحدة العربية التي شعر العقلاء في جميع البلاد العربية بوجوب التعجيل بتأسيسها قبل قطع المستعمرين طريقها عليهم (*)

وكذلك تفعل فرنسة بتفضيل النصارى عامة والماورنة خاصة على الطوائف الاسلامية ، وإنما غرضها من ذلك التفریق بين الطوائف حتى لا يكون لهم وحدة قومية ولا وطنية ، والدولتان ماديتان ماليتان ، والدين عندهما من بضائع التجارة المعنوية ، ومنها ما لا ربح له إلا في المستعمرات ، فلذلك تساعد فرنسة الجزويت في مستعمراتها (وهي ترى أن سورية ولبنان منها) ولكنها لا تسمح لهم بالمقام في بلاد فرنسة نفسها فظهور هذه النية السوءى من الدولتين الماديتين للعرب مسلميهن ومسيحيهين أفضل فرصة تمكنهم من جمع كلمتهم ، والحرص على قوميتهم ، ووحدة أمتهن ، فلم يبق حائل متعلم منهم تغرهم الدسائس الاستعمارية التي كانت تخدع الفريقين بما يحملهما به على التعادي ، فتخوف النصارى من كثرة المسلمين ، وتغري المسلمين بالنصارى لميلهم إلى أعداء أمتهن وبلادهم ، وقد أحبطت مصر العربية هذه الدسيسة ، وان

(*) ولما رفعوا الانتداب عن العراق لفتك ثورته وشدة شكيمته ودهاء ملكه وكثرة ثقافته واستبدلوا به معاهدة تمكنهم من استغلال ثروته وحفظ مواصلات الامبراطورية فيه والتمكن من تقوية سلطتهم العسكرية من حوله

المنار : ج ٨ م ٣٢ العرب لم يعرفوا التعصب الذميم الا من الاوربيين ٦٠٣

أهل سورية وفلسطين لأشد شعوراً من أهل مصر بحاجتهم الى الاتفاق والوحدة ، فجميع زعمائهم يدعون اليهما إذا كان سعد باشا قد انفرد بقوة وفده باتمامهما في مصر ، وان للجميع من تاريخ الدول العربية خير قدوة فيه

أما الاخوان في القومية والوطن

ان الغلو في المعصية الدينية لم تعرفه البلاد العربية ولا الامة العربية الا مما بثته فيها الحرب الصليبية ثم المدارس الاوربية ، فقد كانت المدارس هي التي دست سم التفريق والتماذي في دسم العلم والحضارة الغربية ، لان الذين تعلموا في مدارس الافرنج أحسنوا ظنهم بهم ، وجعلوا مقاصدهم منهم ، وسبب ذلك أنه لم يكن لهم دولة رشيدة ولا جمعيات قومية توجه أولادهم الى التربية والتعليم الذي يعزز الدولة وينهض بالامة ، وانما كان الرجل يعلم ولده لاجل الاستعانة بعلمه على أسباب المعيشة وكان المستعمرون ودعاتهم الذين ربوهم وعلموهم يظنون ان بلادنا اذا آل امرها اليهم يسقطت الدولة العثمانية فان أهلها يكونون من اغنى الناس وأعز البشر ، لافرق بينهم وبين الافرنج محوريهم في شيء ، وكانوا يبتشون لهم هذه الدعاية . فلما زال سلطان الدولة العثمانية عن البلاد ظهر لاولئك الدعاة ولسائر الناس ان الدولة العثمانية كانت أبر وارحم منهم ، لانها كانت الى آخر عهد السلطان عبد الحميد ترضى من البلاد بقليل من الضرائب وشيء من رشوة الحكام ، وترك لهم الحرية في اديانهم ومذاهبهم ولغاتهم وقومياتهم وتربيتهم وتعليمهم وكسبهم ، وما كان في آخر العهد الحميدي من الضغط السياسي فسيبه خوف السلطان على شخصه وسلطته من أحرار قومه وأعوانهم

وظهر لهم وتغيرهم أيضاً أن هاتين الدولتين لا يتركان لاهل البلاد (التي رزئت بنفوذهم وما سموه بالانتداب لمساعدتهم على استقلالهم) استقلالاً ، ولا ثروة ولا قومية ، ولا وطناً ولا حرية ، ولقد رأينا أليهما ملهسا في الاستعمار أشدها وطأة علينا في هذه البلاد المقدسة ، فقد ابتدع انتدابها فيها بدعا من الظلم لم يسبقها اليه أحد من الظالمين المستبدين ، وهوبة وطننا الى أوزاع وأشتات من شعب

ذي اثرة وعصبية تستغيث منها جميع شعوب الارض، حتى إننا نرى أرقى هذه الشعوب في كل علم وعمل وقوة وهو الشعب الألماني يخاف منه وينأوته، فماذا يرجو الشعب الفلسطيني الصغير الفقير الضعيف من البقاء معه؟ وأنى يأمن اخوانه في شرق الاردن على أرضهم وديارهم ومعايشهم، وهم يعلمون أن أرض فلسطين وحدها لا تكفي اليهود لتأسيس وطنهم القومي وإعادة ملك إسرائيل، فلا بد لهم من شرق الاردن وما ضمه الانتداب اليها من أرض الحجاز، بل لا بد لهم من إعادة ملك سليمان كله؟؟ ونحن أولى منهم بإعادة ملك العرب كله أو ما تقطنه الشعوب العربية منه على الأقل، فانه لا حياة لنا ولا بقاء فيما دون ذلك، بل لا حياة لنا في أوطاننا التي نسكنها ونملك رقبة أرضها منذ قرون طويلة إلا باتحادها كلها، وتعاونها على إحياء الحضارة العربية والعمران الذي تقتضيه علوم هذا العصر وفنونه، وجعلها ركنا من أركان السلم العام، وهي أكبر خطر عليه الآن بضعفها وطمع الطامعين فيها

الجامعتان العربية والاسلامية

أيها القوم:

لا يطوفن في خاطر أحد منكم أن الجامعة الاسلامية التي كثر حديث الافرنج عنها وحسبانهم لما كل حساب تعارض ما قام عليه الدليل من وجوب الجامعة العربية وتوقف حياتكم عليها، ولما يدعو اليه كثير من ساسة الشرق من وجوب تأسيس جامعة شرقية أيضا، فان كل جامعة من هذه الثلاث لها دائرة خاصة بها، من حيث يؤيد بعضها بعضا في دفع عدوان الغرب عن الشرق كله

يا قوم: إن الواضع لهذه السياسة الشرقية من جميع أركانها وجوانبها هو حكيم الشرق الاكبر وموقفه من رقاده السيد جمال الدين الافغاني، وكان معينه الاكبر عليه وتاشره بلسانه القصيح القوال، وقله البليغ السيال، شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده المصري، وقد شرحنا ذلك في المنار وفي تاريخنا الحافل المستقل واتبعناهما فيه، وما كان الزعيم السيامي الكبير (سعد باشا زغلول) الذي وحد القومية المصرية مع حرية

كل ذي دين في دينه إلا ريب الشيخ محمد عبده وتلاميذه، وما تلقى هذه السياسة إلا منه، كما شرحناه في هذا التاريخ وأيدناه ببعض خطوط سعد باشا منقولة فيه برسمها الشمسي العكسي، فالوحدة القومية والوطنية، لا خلاف فيها بين رجال الدين ورجال المدنية

أيها الفلسطينيون

ان لديكم شاهدين عدلين على عدم التعارض بين الجامعتين: هما جريدة الجامعة العربية في القدس، وجريدة الجامعة الاسلامية في يافا، ألا ترون كلاهما داعية إلى القومية العربية واتحاد جميع الناطقين بالضاد فيها، وأصحابهما من خيار المسلمين؟ وان لديكم شاهداً حاضر ايضاً من شواهد كثيرة. وهو جعل هذا الاحتفال بذكرى السلطان صلاح الدين ومعركة حطين، مشتركاً بين المسلمين والمسيحيين، والداعي اليه من أشهر علماء المسلمين، وخطباءؤه من الفريقين

وأما الاسلام نفسه فهو أوسع صدرًا مني ومن الشيخ محمد كامل رئيس هذا الاحتفال القومي الوطني، ومن سعد باشا زغلول، ومن أستاذه الجميع: الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين. بل به اهتدينا في دعوتنا هذه

الحق أقول لكم ان الاسلام يسمح لنا أن نتفق مع اليهود الوطنيين المستعربين الذين يعيشون معنا على قاعدة شرعنا « لهم مالنا، وعليهم ما علينا » ولكنه لا يسمح لنا بأن نتفق مع الصهيونيين الاعاجم الذين يريدون سلب وطننا منا وجعله وطنًا عبرانيا لهم، فنحن خصوم لهؤلاء دون سائر اليهود

قال الله عز وجل (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)
لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ . وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

وهؤلاء الصهيونيون يريدون إخراجنا من ديارنا، وغلبنا على أوطاننا، وإنما

هم آلة من آلات المستعمرين في قتل أمتنا كلها ، فالواجب علينا ديننا وقومية ووطنية أن نجمع كلمتنا ، ونوحد أمتنا ، وأن يستعين المسلمون منا على مسخري هذه الآلة وغيرها . في استعمارنا بالرأي العام الاسلامي ، وأن يستعين المسيحيون منا عليهم بالرأي العام المسيحي ، فبهذا الاتحاد دون سواء يرجى أن ندفع هذا البغي والعدوان عن أنفسنا ، فإن لم نفعل كنا نحن الظالمين لأنفسنا ، (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم * ولا يظلم ربك أحدا) والسلام على من اتبع الهدى . اهـ

﴿ كلمتان كتبتهما لشايبين من اخواننا المغاربة على رقتين لهما بطلبهما ﴾

الكلمة الاولى وهي سياسية

نواحي الحياة كثيرة والمسلمون مهددون من كل ناحية منها ، والخطر عليهم في مغرب بلادهم أشد منه في مشرقها ، فإن مستعبدتهم لم يقنعوا بسلب ثروتهم وحريةهم العلمية والمدنية وحقوقهم السياسية ، بل شرعوا بتحويلهم عن دينهم بطريقة علمية نظامية ، فوجب عليهم بذل النفس والتفيس لتأمين حرية دينهم وإعادة ماسلب من ملكهم بالوسائل الممكنة ، ولا يمكن أن يصيبهم من الضرر في هذا الجهاد أكثر مما هو واقع بهم والتوقع مع الاستسلام أعظم . (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)

محمد رشيد رضا

الكلمة الثانية في اختيار الكتب والصحف

كثرت في هذا العصر الصحف والكتب في الادب والسياسة وعلم الاجتماع ومرجت فيها الآراء ، وتناوحت الاهواء ، فهي بين أهلها فوضى ، والناس في أمر مريب منها ، فعلى العاقل الحريص على عمره ان يتفقه في ترقية مداركه وتزكية نفسه ، واعلاء كلمة ملته وبناء مجد أمته ، عليه ان يختار لنفسه من أمثل الصحف والكتب ما يضيء له سبيل العمل ، ويبصره بمآثر الزل ، وأن يجتنب ما يجذبه اليه الالهو وتستهبويه فيه اللذة وإنما آفة للعقل الهوى والسلام على من اتبع الهدى

محمد رشيد رضا

وكتب في القاهرة - بتاريخ شوال سنة ١٣٥٠

نراء للجنس اللطيف

يوم ذكرى المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

﴿ في حقوق النساء في الاسلام وحظهن من الاصلاح المحمدي العام ﴾

(تابع لما نشر في الجزء الماضي وما قبله)

الطلاق

وما في معناه من فسخ وخلع وإيلاء وظهار، ومراعاة حقوق النساء في ذلك

٤٨

﴿ مقدمة في أسبابه وحكمه عند أهل الكتاب وإسراف الاقرب فيه ﴾

(والاسباب المتتضية للفراق)

ان من مصلحة الزوجين التي تقتضيها الفطرة ويوجبها الشرع ويؤيده العقل أن يبذل كل منهما جهده لاقامة حقوق الزوجية المشتركة بينهما بالتحاب والتواد والتعاون والتسامح مع الاخلاص في ذلك كله ، فان سعادة كل منهما رهينة بسعادة الآخر ، وخدمتهما للانسانية لا تتم إلا به - وما أطلق على كل منهما اسم « زوج » الذي مدلوله « اثنان » إلا لان انسانية كل منهما تتم بالآخر فهو به يكون زوجا ويكون انسانا ينتج أناني مثله، وكل تقصير يعرض لحما في ذلك فوباله عليهما معاً سواء وقع من كل منهما أو من أحدهما، فمن ثم وجب عليهما تلافيه بالحسنى والصبر والمغفرة والعفو، وأقل درجات المعاملة بينهما أن تكون بالتواصف والعدل، فان عجزا عن أداء الحقوق وإقامة حدود الله فيها، وعز عليهما الصبر، كان علاجهما الاخير هو التفراق، تفادياً من الشقاء الدائم بالشقاق

ومن ثم كان مشروعاً في التوراة معللاً ببعض الشرور التي تقتضيه . والذي دون في الشريعة عند اليهود وجري عليه العمل ان الطلاق يباح بغير عذر كرغبة الرجل بالزوج بأجل من امر أنه ولكنه لا يحسن بدون عذر . والاعذار عندهم قسبان : عيوب الخلقة ومنها العاش والحول والبخر والحذب والعرج والعمه - وعيوب الاخلاق وذكرها منها الوقاحة والثرثرة والوساخة والشكاسة والعناد والاسراف والهمة والبطنة والتأنق في المطاعم والفخفخة - وأي امرأة تخلو من ذلك كله ؟ والزنا أقوى الاعذار عندهم غير كفي فيه الاشاعة وان لم تثبت الا أن المسيح عليه السلام لم يقر منها الا علة الزنا . وأما المرأة فليس لها أن تطلب الطلاق مهما تكن عيوب زوجها ولو ثبت عليه الزنا ثبوتاً وكان الطلاق معروفاً عند غير أهل الكتاب من الوثنيين ومنهم العرب ، وكان يقع على النساء منه ظلم كثير عند الجميع فجاء الاسلام فيه بالاصلاح الذي لم يسبقه اليه سابق ولم يلحقه به لاحق كسائر ما جاء به من الاصلاح

واكن خصوم الاسلام من الافرنج ومقلديهم كانوا يعدون الطلاق من أقبح مساوي الشريعة الاسلامية على إصلاحها فيه حتى اضطروا الى تفريره والاسراف فيه بما لا يبيحه الاسلام وجعله حقاً مشتركاً بين الرجال والنساء

وأما الاسلام فقد جعل الطلاق من حق الرجل وحده لانه أحرص على بقاء الزوجية التي أنفق في سبيلها من المال ما يحتاج إلى اتفاق مثله أو أكثر منه إذا طلق وأراد عقد زواج آخر ، وعليه أن يعطي المطلقة ما يؤخر عادة من المهر ، ومتعة الطلاق ، وان ينفق عليها في مدة العدة وقد تطول على رأي بعض الفقهاء ، ولانه بذلك وبمقتضى عقله ومزاجه يكون أصبر على ما يكره من المرأة فلا يسارع إلى الطلاق لكل غضبة يغضبها ، أوسيرة منها يشق عليه احتمالها ، والمرأة أسرع منه غضباً وأقل احتمالاً ، وليس عليها من تبعات الطلاق وثقاته مثل ما عليه ، فهي أجدر بالمبادرة إلى حل عقدة الزوجية لادنى الاسباب او لما لا يعد سبباً صحيحاً إن أعطي لها هذا الحق والدليل على صحة هذا التعليل الاخير أن الافرنج لما جعلوا طلب الطلاق حقاً للرجال والنساء على السواء كثر الطلاق عندهم فصار أضعاف ما عند المسلمين ، وقد جاء في الاحصاءات التي نشرتها الصحف في هذا العهد أن نسبة الطلاق إلى عقود

المنار: ج ٨ م ٣٢ امراف الافرنج في الطلاق ولا سيما أهل أمريكا ٦٠٩

الزواج في أمريكا بلغت ٢ في المائة كما تقدم في مناسبة أخرى (*) ولن تبلغ هذه النسبة في البلاد الإسلامية واحداً في المائة ولا في الألف أيضاً إلا أن يكون في مصر ومما قرأناه في الصحف من اخبار طلب نساء الانكليز للطلاق الذي قبل وحكم به ان إحداهن طلبت الطلاق لان زوجها كان بغير لحيه عند ما تزوج بها ثم اطلق لحيته فسأله القاضي عن السبب فقال انه يرى اللحية جمالا وكالا للرجل فلم يقبل عذره وحكم بالطلاق وان امرأة أخرى طلبت الطلاق لان زوجها لا يلتزم تغيير لباسه بحسب التقاليد بأن يلبس للمائدة لبوسها وللشهرة لبوسها فكان هذا ذنباً مقبولاً موجبا لاجابة طلبها ومن احكام الطلاق عند اليهود ان من لم يرزق من زوجته بذرية مدة ١٠ سنين وجب عليه ان يفارقها ويتزوج بغيرها - والاسلام لا يوجب طلاقها عليه إذا لم يهبها الله تعالى ولداً ولا الزوج عليها ولكن يستحب له او يندب ان يتزوج طلباً للنسل ، وان يمسك المرأة المحرومة منه ويعدل بينها وبين المرأة التي يهبه الله منها النسل، الا ان تطلب هي الطلاق وتري انه خير لها فيستحب له اجابة طلبها إذا لم يكن عنده مانع ديني يرجح به إمساكها عنده كاعتقاده ان طلاقها يكون مفسدة لها ومن احكامه عند اليهود ان الرجل متى نوى طلاق امرأته حرمت عليه معاشرتها بمجرد نيته ووجب عليه تنفيذ عزمه على الطلاق حالا .

(*) جاء في جريدة الجهاد بتاريخ ٤ المحرم سنة ١٣٥١ ١٠ مايو سنة ١٩٣٢ تحت عنوان جنون الطلاق في أمريكا مانعه .

« أكثر من نصف مليون رجل وامرأة وطفل يتغير مجرى حياتهم كل سنة بسبب حوادث الطلاق » ١٠٠ ما ذكر في بيان احصائي أذاعته الحكومة الأمريكية وجاء فيه : ان أغلب حوادث الطلاق تقع عادة في العام الرابع بعد الزواج ... وان قضايا الطلاق قد نقصت قليلا في العامين الاخيرين بسبب الازمة الاقتصادية وقد كان عددهم هذه القضايا في سنة ١٩٢٩ التي تعتبر من سنوات الرخاء ٢٠١٦٤٦٨ قضية حكم فيها بالفصل بين الزوجين ويفهم من هذا الاحصاء أن عشرين في المائة من حوادث الزواج في أمريكا تنتهي بالطلاق وقد كانت حوادث الطلاق في سنة ١٩٢٩ بمعدل حادث في كل دقيقتين ... أما في سنة ١٩٣٠ فقد نقصت الحوادث بنسبة لا بأس بها وقد ذكر البيان الآنف الذكر أنه في المدة بين سنة ١٨٦٧ وسنة ١٩٢٩ قد زاد عدد الطلاق بنسبة ٢٠٠ في المائة وزاد عدد السكان بنسبة ٣٠٠ في المائة وحوادث الزواج بنسبة ٤٠٠ في المائة وإذا ظل الحال على هذا المتوال واستمرت زيادة حوادث الطلاق بالنسبة الآنف الذكر فإن عدد الزيجات الفاشلة قد يربح في سنة ١٩٦٥ على ٥١ في المائة والسبب الشائع في أكثر حوادث الطلاق هو العريضة وسوء المعاملة وعجز الزوج عن الاتفاق . وقد ذكر البيان المشار إليه أن ٩ في المائة فقط من المطلقات يطلبن من أزواجهن نفقة شرعية . و ٦ في المائة ممن يحكم لهن بالنفقة

(عوائق الطلاق في الاسلام ومراعاة حقوق النساء فيه)

الطلاق مكروه في الاسلام ولذلك وضع أمام الرجل موانع وعوائق تعصده عنه :
(منها) الترغيب في الصبر على ما يكره الرجال من النساء من خلق وخلق وعمل بما للصبر من الفوائد والثواب عند الله تعالى وبما يرجى أن يكون للمرأة المكروهة من ولد صالح يكون سعادة لأهل بيته ولا مته . قال تعالى (فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) وفي معناها حديث تقدم في الوصايا بالنساء (ومنها) ما تقدم يئانه من تأديب المرأة الناشئة بما يرجى به صلاحها (ومنها) ما تقدم من بعث حكم من أهلها وحكم من أهلها يبدلان جهدهما في اصلاح ذات البين

(ومنها) ما ورد عن النبي (ص) من ذم الطلاق وبغض الله له للترغيب عنه كقوله « ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق » وقوله « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » رواهما أبو داود من حديث ابن عمر وكقوله « أما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير ما بأس فحرام عليها راتحة الجنة » رواه أصحاب السنن إلا النسائي وابن حبان والبيهقي من حديث ثوبان وكقوله (ص) من حديث آخر « وإن المختلعات هن المنافقات » وقد أبطل الله في كتابه كل ما كان عليه العرب من مضارة للنساء في الطلاق ونذكر بعض الآيات في ذلك من غير تطويل في تفسيرها :

فما أبطل الاسلام به ظلم العرب للنساء في أحكام الطلاق (١) تحديده العدد الذي يملك الرجل الرجعة فيه بمرتين ولم يكن عندهم محدوداً (٢) تحريمه أخذ المطلق ما كان أعطاه للمطلة عند الزواج من مهر أو غيره كله أو بعضه (٣) تحريمه إمساك المرأة المطلقة في عدة بعد عدة مضارة لها (٤) تحريمه عضل أولياء المرأة لها أي منعها بعد انقضاء العدة من الزواج مطلقاً أو الرجوع إلى زوجها بسقط جديد إذا راضيا على ذلك بالمعروف وقد جعل الله زوجها الأول أحق بردها إذا أراد اصلاح ما كان فسد من أمر معاشرتها بالمعروف

قال الله تعالى (٢٣٩:٢) الطلاق مران فانساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ، فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به ، تلك حدود الله فلا تمتدوها ومن يمتد حدود الله فأولئك هم الظالمون)

المنار : ج ٨ م ٣٢ تحديد عدد الطلاق لمصلحة النساء . تحريم عضلهن ٦١١

وقد كتبنا في تفسير هذه الآية من تفسير المنار (ج ٢) ما نصه :

كان للعرب في الجاهلية طلاق ومراجعة في العدة ولم يكن لطلاق حد ولا عدد فان كان لمفوضة عارضة عاد الزوج فراجع واستقامت عشرته ، وان كان لمفوضة المرأة راجع قبل انقضاء العدة واستأنف طلاقاً ثم يعود الى ذلك المرة بعد المرة أو يفيء ويسكن غضبه فكانت المرأة الدوبة بيد الرجل يضارها بالطلاق ما شاء أن يضارها ، فكان ذلك مما اصلحه الاسلام من امور الاجتماع . وكان سبب نزول الآية ما اخرج به الترمذي والحاكم وغيرهما عن عائشة وأورده السيوطي في اسباب النزول قالت كان الرجل يطلق امرأته ما شاء ان يطلقها وهي امرأته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها مئة مرة وأكثر حتى قال رجل لامرأته : والله لا اطلقك فتبيني ولا آوبك ابداً ، قالت وكيف ذلك ؟ قال اطلقك فكما همت بذلك ان تنقضي راجعك فذهبت المرأة فأخبرت النبي (ص) فسكت حتى نزل القرآن (الطلاق مرتان فامسك بمعروف او تسريحاً بحسان) اه ثم قال تعالى

(٢: ٢٣١) وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو

سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتمدوا، ومن يفعل ذلك فقد

ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل

عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم

(٢٣٢) وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تمضوهن ان ينكحن

ازواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن

بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

نهى الله تعالى أولياء المرأة أن يعضلوها أي يمنعوها أن تعود إلى زوجها الاول

إذا رضي كل منهما بذلك وانما يكون هذا بعد انقضاء العدة بعقد جديد ومهر

جديد ، وقال في الآية التي قبلها تين الآيتين (وبمولتهن أحق بردهن في ذلك

إن أرادوا أصلاً) وهي في ردها الى عصمته قبل انقضاء العدة . والافضل

للرأة ألا تعرف إلا زوجاً واحداً

(منع مضارة النساء بالايلاء والظهار)

أما مضارة الايلاء فهو ان يغضب الرجل على امرأته فيحلف ألا يقربها، وهو الايلاء منها، فالشرع ضرب له أجلا أربعة أشهر فان قام أي رجوع عن يمينه إلى أداء حق الزوجية الذي حلف على تركه غفر له ما كان فعله أو قصده من ضررها، فان لم يفعل وجب منع الضرر بالطلاق، فبعض الائمة يقول إن الطلاق يقع باقضاء الاربعة الاشهر ويكون بائنا لا رجعة له فيه، وبعضهم يقول يلزمه القاضي أحد الامرين : الرجوع عن اليمين أو الطلاق . وأصل ذلك الآيتان من سورة البقرة (٢: ٢٢٦ و ٢٢٧) وأما الظهار فهو أن يحرم الرجل امرأته بتشبيهها بأمه وكان أشهر الفاظهم في الجاهلية به قوله لها، أنت علي كظهر أمي، وقد حرمه الاسلام وجعل كفارته أن يعتق عبداً قبل أن يمسه امرأته فان لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا . ويان ذلك في أول سورة المجادلة

(حق النساء في فسخ عقد الزوجية ومخالفة الرجل)

ان حل رابطة الزوجية ثلاثة طرق فسخ الحاكم للعقد، والخلع، والطلاق فأما الفسخ فيكون بأسباب مشتركة بين الرجال والنساء كالعيوب الخلقية المانعة من أداء الوظيفة الزوجية والامراض العضالة المعدية، ويكون بطلب المرأة اذا امتنع الرجل أو عجز عن النفقة عليها أو غاب غيبة منقطعة بشرطها . والعيوب المرضية التي كان يثبت بها الخيار في الزواج ولكل من الزوجين فسخها من عهد الصحابة (رض) هي الجنون والجذام والبرص وزاد بعضهم النسل لما عرفوه (وفي معناه كل داء معد بالتجربة الثابتة عند الاطباء) وقد صرح ابن رشد بتعليل بعضهم للمرض المبيح للخيار والفسخ بسرايته الى النسل . وأما عيوب الخلقة فالمنصوص عليه منها ما يمنع أداء وظيفة الزوجية وهي العنة والجب والخصاء في الرجل، والرتق والعقل والقرن في المرأة . وللفقهاء خلاف في هذه العيوب وأحكامها، وانما غرضنا هنا أن نبين أن الاسلام يحكم في أمثال هذه المسائل بالعدل والمساواة بين الرجل والمرأة في العيوب لانها مشتركة قد يوجد في كل منهما ما يعد من الظلم قبول الآخر به بالاكرام، ومن قواعد

الاسلام «لا ضرر ولا ضرار» (١) ثم انه يعطي للمرأة حق طلب الفسخ في حالة امتناع الزوج أو عجزه عن أداء حقها لان له في مقابله حق الطلاق وأما الخلع فقد جعل مخرجاً للمرأة من الزوجية اذا كرهت الزوج لسبب غير الاسباب التي يثبت لها بها حق طلب الفسخ وهو أن تقتدي بما تبذله له من العوض عما بذله لها من مهر وغيره وما أتفق عليها ليرضى بحل عقدة الزوجية ويكون غير مغبون ولا مظلوم ، وحكم هذا الخلع حكم الطلاق البائن الذي ليس للرجل فيه حق الرجعة بدون قبول المرأة

٥٢

عدة الطلاق ومتعته ونفقته

من رحمة الاسلام بالنساء وحفظه لحقوقهن ودفعه الضرر عنهن ما شرعه من أحكام عدة الطلاق والوقاة ، وهي المدة التي ليس للمرأة أن تزوج إلا بعد انقضاءها وفي حال الطلاق الرجعي وهو مرتان يجوز للرجل أن يراجعها بدون عقد جديد ولا مهر ، وسبب العدة الاصل أن يعلم براءة رحم المرأة من الحمل ولذلك كانت المطلقة قبل الدخول بها لأعدة عليها . ولعدة الوقاة حكمة أخرى هي الوقاة للزوج ومما شرعه الله من مراعاة حقوقهن في ذلك أن يطلق الرجل امرأته في طهر لم يقربها فيه لثلاث يطول عليها زمن العدة إذا كانت تعتمد بالقروء وهي ثلاثة أطهار ، وأن يكون لها حق السكنى والنفقة مدة العدة للطلاق الرجعي ، وأن يتمتع عند الفراق بما يليق بثروته من نقد وغيره ، قال تعالى (٢ : ٢٣٦) وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ

وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرَهُ مَتَّاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْحَسَنِينَ

الموسع الفنى والمقتر الفقير ، وهو بمعنى قوله في سورة الطلاق

لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَحَنَ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأُمْنُنُ مِمَّا

آتاهُ اللَّهُ لَا يَكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ، سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)

هو في النفقة على المطلقات . واختلف العلماء في متعة النساء فقال بعضهم واجبة

وقال بعضهم مندوبة والتحقيق أنها واجبة غير محددة ، وأنها من تمام ما وصف

(١) رواه الدارقطنى والحاكم والبيهقى من حديث أبي سعيد الخدرى

الله به الطلاق المشروع أنه تسريح باحسان ولذلك جمعها على قدر الثروة فالغنى لا يكون محسناً ما لم يوسع في هذه المتعة باللائق بثروته وحكمة المتعة تطيب قلب المرأة وإزالة توم احتقار الرجل لها وأورتيا به فيها . وقد كان كرام السلف يبالغون في هذا التكريم . روي عن سيدنا الحسن بن علي (ع . م) أنه تمتع مطلقته له بعشرين ألف درهم وزقاق من عسل ، و تمتع أخرى بعشرة آلاف واعتذر بقوله . متاع قليل من حبيب منارق . وقد فصلنا هذا البحث في تفسير آية البقرة من جزء التفسير الثاني المذكورة آفا

٥٣

الحداد على الزوج وغيره

النساء أرق من الرجال شعوراً بالذائد والآلام ، واستجابة لدواعي المسرات والاحزان ، ومن دأبهن النواح على موتاهن ، ومن عاداتهن الحداد عليهم ، وكان النساء في الجاهلية يسرفن في هذا وذلك ، فيخمشن الوجوه ، ويابسن الشعر ويحلقن الشعور ، ويدعون بالويل والثبور ، وقد يقضين أعمارهن في ذلك ، وقد عد لبيد الشاعر الشهير رحياً معتدلاً في توصيته بنتيه قبل الاسلام بالبكاء عليه وتعداد مناقبه طاماً كاملاً مع نهيه إياهما عن خمش الوجه وحلق الشعر وكانت المرأة العربية التي يموت زوجها تعزل الناس في شرمكان من البيت لا بسة أدنى أخلاق ثيابها ، فتظل كذلك حولا كاملاً لا تغير ثوبها ولا تغتسل ولا تمتشط ولا تقلم أظفارها ، حتى إذا انقضى الحول ألقت من مكانها جرة تنبيه به أهلها بانتهاء الحول ، فإذا خرجت تمسحت بأول حيوان تجده من كلب أو داجن أو حمار وقد يموت ما تمسح به من تنهها

وكان مما جاء به الاسلام من الاصلاح أن حرم عليهن النواح وخمش الوجوه وحلق الشعور وتمزيق الثياب والخروج مع الجنائز ، وأذن لهن بالحداد على الميت ثلاثة أيام فقط الا الزوج فقد أذن لهن بالحداد عليه مدة عدة الوفاة التي لا يباح لهن الزواج فيها وهي أربعة أشهر وعشرة أيام لغير الحامل ، وحصر الحداد في ترك الزينة

والطيب واظهار السرور، وحكمته ألا يظهر منهن التعرض للزواج وعدم المبالاة بالوفاء للزوج المتوفى، فان هذا يعد قصا وشينا لمن ، يعقب احتقار الرجال لمن ورغبتهم عنهن ونذكر هنا بعض الاحاديث في موضوع الحداد

جاء في الصحيحين والسنن الاربع وغيرها عن أمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة أن النبي (ص) نهى النساء أن يحمدن على ميت فوق ثلاث الا على الزوج أربعة أشهر وعشرا . ومن أجمع هذه الاحاديث عندهم ما رواه الستة عن حميد بن نافع قال أخبرني زينب بنت أبي سلمة بهذه الاحاديث الثلاثة قالت دخلت على أم حبيبة زوج النبي (ص) حين توفي أبوسفیان بن حرب (والدها) فدعت أم حبيبة بطيب فيه صبرة وخلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعرضها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله يقول «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج أربعة أشهر وعشرا» قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي اخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت أما والله مالي بالطيب حاجة غير أني سمعت رسول الله (ص) يقول «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر» الحديث أو ذكرت نحوه. وقالت (الراوية) سمعت أمي أم سلمة تقول جاءت امرأة الى النبي (ص) فقالت ان بنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عيني أفكعها فقال (ص) «لا» مرتين أو ثلاثا ثم قال «انما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت احدا كن في الجاهلية ترمي بالبرة على رأس الحول» قالت زينب كانت المرأة في الجاهلية اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا ولبست شر ثيابها حتى تمر عاها سنة ثم تؤتي بحيوان حمار أو شاة أو طير فتقتض به فقاما تفتض بشيء الامات، ثم تخرج فتعطى برة ثم ترمي بها ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره، قال مالك تفتض : تمسح به جلدها اه

ويظهر أن النبي (ص) علم من قرينة الحال ان الاكتحال الذي استئذن به يراد به الزينة لا التدوي فلم يأذن به وذكروا بالفرق بين ما كن عليه في الجاهلية من الحداد وما صرن اليه في الاسلام ، وفي الموطأ أنه أذن بالاكتحال ليلا وغسله نهارا. وحكمته أن الرجال يحقرن المرأة المتوفى زوجها اذا تزيفت في أثناء العدة لانه اعلام للرجال بطلبها للزواج ، وكان من عنايته (ص) بحفظ كرامة النساء ان امرأ صاحبها اذا قدموا من سفر ان يبلغوا نساءهم خبر بحببهم ليستعدن للقائهم بالنظافة والزينة وكان ينهى ان يطرقوهن ليلا بدون اعلام لئلا يروهن على صفة منشرة من الشماعة والتفل. وفي رواية كان ينههم أن يطرقوا النساء لئلا يتخونوهن ويطلبوا عثراتهن

آداب المرأة المسلمة وفضائلها

٥٤

عموم الاحكام وحكمة ماخص به النساء

ان الاصل العام في احكام العبادات والمعاملات في الاسلام من واجب ومندوب ومحرم ومكروه ، وفي آدابه من فضيلة ورذيلة ، أن تكون موجهة إلى المكلفين من الرجال والمكلفات من النساء على السواء ، وخص الشرع الرجال ببعض الاحكام ، والنساء ببعض الاحكام كما تقدم في المسائل الماضية

وعلة التخصيص وحكمته طبيعة كل من الزوجين الذكر والانثى ووظائفه المنوطة به التي يكون بها كل منهما متما ومكملا للآخر في تناسل النوع وترقية شؤونه ، فيكون الرجل رجلا قائما بشؤون الرجال ، والمرأة امرأة قائمة بشؤون النساء بالتعاون الذي يشعر به كل منهما انهما يكونان حقيقة واحدة يعمل كل منهما لحفظها كالأعضاء من جسد كل منهما كما تقدم أيضا

ولذلك كان النبي (ص) ينهى عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ويلعن قاعله فقد قال « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء » (١) وقال « لعن الله المخشئين من الرجال والمترجلات من النساء » (٢) وقال « لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل » (٣)

ومن الاحكام والآداب الخاصة بالنساء ما شرع لسد ذريعة الفساد ولحفظ شرف المرأة وكرامتها من تعدي سفهاء الرجال عليها ومحاولتهم إفسادها كدأب الفاسقين في كل زمان فقلما يوجد امرأة خبيثة في العالم إلا وقد كان المفسد لها رجل خبيث او امرأة أفسدها الرجال من قبل ، وصارت تتقرب اليهم بإفساد أمثالها ، إلا الفساد الاكبر الذي اتخذ صناعة وتجارة يشترك فيها الخبيثون والخبيثات لاجل جمع المال لا لاجل العيب نفسه

(١) رواه احمد واصحاب السنن الا النسائي عن ابن عباس (٢) رواه البخاري في الادب المفرد وابو داود عنه أيضا (٣) رواه ابو داود والحاكم من حديث ابي هريرة

أمر النساء بالمبالغة بالستر وسببه

من هذا النوع من الآداب النسوية عنايتهن بالستر الدال على الحشمة والصيانة والمانع من الريبة والظننة، وقد تقدم أن ما أمر الله به من ضرب الحجاب على أزواج النبي الطاهرات هو من هذا القبيل ، ويرى القاري بعد آية الحجاب من سورة الاحزاب أن الله تعالى ذكر المؤمنين بعلمه بما يبدون وما يخفون، وذكر الأزواج الطاهرات برفع الجناح عنهن في محارمهن، وأمر بالصلاة والسلام على نبيه، وأنذر الذين يؤذون الله ورسوله اهنته لهم في الدنيا والآخرة وعذابه المهيّن، وحكم على الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات باحتمال البهتان والاثم المبين . ثم قال

(٥٩:٣٣ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ بِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)

علل الله تعالى هذا الامر بالستر بأن تعرف به المرأة المؤمنة انها مؤمنة حرة ، فيمتنع المنافقون والفساق من إيذائها ، فالعلة الخوف عليها من أشرار الرجال لا الخوف منها - فهي كعلة آية الحجاب ومن جنسها . وما زال الرجال يسيئون الظن بالمرأة التي تظهر محاسنها وزينتها ، وما زالوا يؤذونها وما زالوا يطمعون فيها ، وما زال أهل الدين والعفة يتجنبونها ، وناهيك بما يلقاه النساء المتبرجات في زماننا في مصرنا من إيذاء سفهاء الرجال

وسبب نزول هذه الآية ان المؤمنات الحرائر كن يلبسن كلابس الاماء الفواجر على عادات الجاهلية ، وأعمها الدرع (القميص) والخمار ، وكثيراً ما كانت المرأة تلقي القناع على رأسها وتسدله من وراء ظهرها فيكون جيب الدرع مفتوحاً على نحرها وصدرها ، وكن يلبسن الجلابيب في بعض الاوقات دون بعض (والجلابيب الملحفة والملاءة التي تلبس فوق الثياب كلها) فاذا خرجن ليلاً الى الغيطان لقضاء الحاجة يلقين الجلابيب او يسدلنها وراءهن . فكان بعض الفتيان يعرض في الطريق

لمن يرونها غير مبالغة في الستر لحسابها أمة، لأن الأمة هي التي كانت تعتمد إظهار محاسنها، وهي التي تبذل عرضها، فاتخذت هذه العادة بعض المنافقين ذريعة لا يذاه المؤمنات حتى نساء النبي (ص) فإذا قيل له في ذلك عند العلم بفعلته قال كنت احسبها أمة. فأمر الله أزواجه وبناته وسائر نساء المؤمنين بأن يدين عليهن فضل جلايبهن فيسترن بها رؤسهن وصدورهن لكي يعرف انهن مؤمنات حرائر فلا يؤذيهن الفساق خطأ، ولا يكون للمنافق الخبيث أن يعتذر عن إيدانهم عمداً، وأنزل الله تعالى بعد هذه الآية قوله تعالى

(٣٣ : ٦٠) لَيْنَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا)
والا نذار فيها وفيما بعدها للمنافقين وضعفاء الايمان ومذيعي الاراجيف باغراء النبي (ص) بقايتهم وبنفيهم من مدينته ان لم ينتهوا عن جرائمهم مع عدم ذكرها يدل على العموم الذي يشمل تعرضهم لا يذاه النساء، وتجسد تفصيل موضوع الستر في آيات سورة النور وهي قوله تعالى

(٢٤ : ٣٠) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَّهُمْ إِنْ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣١) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَلْيَضْحَكُنَّ بَخْمَرِهِنَّ قُلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ خَوَاتِمَ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

أمر المؤمنات بما أمر به المؤمنون من غض وحفظ ، وزاد عليه نهين عن إبداء زينتهن للرجال إلا ما ظهر منها لضرورة التعامل والقيام بالأعمال المشروعة من دينية ودينية وفسره العلماء المختلفو المذاهب بالوجه والكفين وبالملايس الظاهرة كالقناع والجلباب فأما غض البصر فهو خفضه وعدم إرساله فيما تأمر به الشهوة البتة كأن يكون الإنسان مطرقاً رأسه لا ينظر رجل إلى امرأة ولا امرأة إلى رجل قط ، وهذا مما يشق بل لا يستطيع ، ولذلك أمر بالغض منه لا بغضه ، ومن للتبعض وهو يحصل بعدم استدامة النظر إلى العورات وما يحرم النظر إليه . وقاعدته : النظرة الأولى لك والثانية عليك . وأما حفظ العرج فهو مطلق إلا ما استثناءه الله تعالى بقوله (إلا على أزواجهن أو ما ملكت أيمانهم) لأن إرسال النظر بالشهوة مبدأ كل فتنة كما قال الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
وقال : وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وأما ضرب النساء خمرهن على جيوبهن ، فالمراد أن يدرنها على جيوب قمصهن يسترن بها نحورهن وصدورهن ، لعدم الحاجة إلى إبداء غير وجوههن في أعمالهن على مرأى من الرجال الأجانب ، وكان النساء في الجاهلية يسدن خمرهن من ورائهن ويوسعن جيوب قمصهن لينكشف ما في نحورهن وعلى صدورهن من العقود والقلائد يفتخرن بها

وأما من استثنى الله تعالى مع محارم النساء من غير أولى الأربية من الرجال فهم الذين لا حاجة لهم في النساء كالشيخ الهرم وذو العلة الطبيعية ، والأربية والأرب الحاجة المهمة ويطلق على الشهوة ومنه حديث عائشة . ايكم يملك إربه كما كان رسول الله (ص) يملك إربه ؟ كان يقبل أهله وهو صائم . وعطف على هؤلاء الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لاتحاد العلة . والمراد بعدم ظهورهم على العورات عدم فطنتهم لها ورغبتهم في الاشراف عليها . وأما النهي عن ضرب النساء بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن فهو ما كان يفعله بعض النساء في الجاهلية لتذكير السامع بما في أرجلهن من الخلاخيل افتخارا بها وتشويقاً اليهن . وجمهور المفسرين والفقهاء على أن النهي للكرامة لا لتحريم إلا اذا كان يتبعه فعل محرم

النهي عن خلوة المرأة بالرجل وسفرها بدون محرم

ومما ورد في سد ذرائع الفساد النهي عن خلوة المرأة بالرجل والسفر بدون صحبة زوجها أو ذي محرم ومنه قول النبي (ص) « لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم » متفق عليه من حديث ابن عباس (رض) بهذا اللفظ ومن حديث ابن عمر بلفظ « لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم » وروى أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعاً « لا تسافر المرأة بريداً إلا ومعها محرم يحرم عليها » البريد أربعة فراسخ وهي اثنا عشر ميلاً - وهل المطلق يحمل على المقيد كما يقول بعض علماء الأصول أم الحكم يختلف باختلاف الأحوال والأزمنة في الأمن على النفس؟ ففي صحيح البخاري من حديث عدي بن حاتم أن النبي (ص) أخبره بما سيكون من أثر انتشار الإسلام وعدله وأمنه أن الظعينة سترتحل، وحدها من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله تعالى

ومن يعلم أخبار الأسفار في هذا العصر وما يكون دائماً من تأثير اجتماع النساء والرجال في البواخر والفنادق الكبيرة فانه يفقه من حكمة هذا النهي ان السفر الطويل والقصير سواء في عدم خروج المرأة فيه مع غير ذي محرم، ولا يبيح لنا الأدب أن نذكر في هذه الرسالة شيئاً مما سمعناه في ذلك، وقد ذكر رجل للنبي (ص) حين نهى عن ذلك أن امرأته تريد الحج وهو يريد الجهاد فأمره أن يترك الجهاد ويسافر مع امرأته وجملة القول ان سفر المرأة واجتماعها بالرجل الاجنبي في الخلوة وستر شعرها وما عدا الوجه والكفين عنه كله يدخل في سد ذرائع تعديدها وإفسادها أو إغوائها إياه وما يحرم عليها منه يحرم عليه، وعقابهما في الآخرة سواء، ولكن سوء عواقب هذا الفساد في الدنيا أشد على المرأة في صحتها وفي شرفها ومكانتها في المجتمع الانساني

مسألة حجب نساء الامصار وتعريض القول فيها

كل ما استحدثه الناس في المدن والقرى الكبيرة من المبالغة في حجب النساء فهو من باب سد الذريعة، لامن اصول الشريعة، فقد أجمع المسلمون على شرعية صلاة النساء في المساجد مكشوفات الوجوه والكفين ، وأجمعوا على إحرام النساء بالحج والعمرة كذلك ، نعم انهن كن يصلين الجماعة وراء الرجال ولكنهن كن يسافرن مع الرجال محرمات ويطفن بالبيت كذلك ويقفن في عرفات ويرمين الجمار على مشهد من الرجال في عهد النبي (ص) وخلفائه الراشدين . وكن يسافرن مع الرجال الى الجهاد ويخدم الجرحى ويسقونهم الماء ومنهن نساء النبي (ص) كما تقدم وقد قاتل نساء المهاجرين مع الرجال في واقعة اليرموك . وكن يخدم الضيوف، ويقاضين الرجال إلى الخلفاء والحكام

وكان النبي (ص) يأمر الرجل الذي يريد خطبة امرأة ان ينظر اليها ولو بدون علمها مع منع التجسس على النساء والتطلع الى عوراتهن . وقد اختلف العلماء فيما ينظره الخاطب فاتفقوا على الوجه والكفين . وقال الاوزاعي ينظر الى مواضع اللحم . وقال داود يجوز النظر الى جميع البدن . والمتبادر من الاذن بالنظر اليها « وان لم تعلم » أن يراها في حالها العادية في بيتها ، ويؤيده حديث جابر عند احمد وأبي داود قال سمعت النبي (ص) يقول « اذا خطب احدكم المرأة فقد رآه أن يرى منها ما يدعو الى نكاحها فليفعل » وروى عبد الرزاق وسعيد بن منصور أن عمر خطب الى علي بنته ام كلثوم — فذكر له صغرها — فقال أبى بها اليك فان رضيت فهي امرأتك ، فأرسل بها اليه فكشف عن ساقها فقالت : لولا انك امير المؤمنين لصككت عينيك

وأجمع المسلمون على جواز شهادة المرأة للنص عليه في كتاب الله وأمره باستشهادهن — وعلى صحة بيعها وشرائها وسائر تصرفاتها فيما تملك ، وعلى تلقيها العلم عن الرجال وتلقيهم عنها على تفصيل في احكام فرض العين وفرض الكفاية والمندوب فيه . وراويات الحديث منهن كثيرات من نساء الصحابة والتابعين وخير

القرون وقليلات بعد فيما بعدها ، وأسماؤهن مدونة في كتب التاريخ وقد الرواة . وما كان يكون شيء من ذلك من وراء حجاب إلا ما كان من أزواج النبي (ص) بعد نزول آية الحجاب الخاصة بهن بالنص الصريح وبتعليل الحكم . وأخطأ من قال انه يجري فيها قاعدة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . فان لفظها خاص لامام . دع ما اجازه بعض الائمة من تزويج المرأة نفسها وغيرها وتوليها القضاء ومن دلائل السنة على عدم وجوب ستر الوجه حديث المرأة الخثعمية ونظرها الى الفضل بن العباس ونظره اليها وهو مروي عن ابن عباس في الصحيحين والسنن وعن علي عند الترمذي وحاصله في جملة الروايات ان الفضل كان رديف رسول الله (ص) في حجة الوداع فعرضت للنبي (ص) امرأة من خثعم وضيفة الوجه تسأله هل تمنع عن ايها الذي ادركته الفريضة وهو ضعيف لا يثبت على الرحلة ؟ فأفتاها بالجواز - وفيه ان الفضل جعل ينظر الى المرأة وتنظر اليه فجعل (ص) يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر . وفي بعض ألفاظه فلوى (ص) عنق الفضل فقال للعباس يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك ؟ - وفي لفظ : وجاءت عنق ابن عمك - فقال (ص) « رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما - وفي رواية - فلم آمن عليهما الفتنة » وقد استنبط ابن القطان وغيره من هذا الحديث جواز النظر عند أمن الفتنة بحيث لم يأمرها بتغطية وجهها . وقالوا لو لم يفهم العباس ان النظر جائز ما سأل به ولو لم يكن ما فهمه صحيحا ما أقره عليه النبي (ص) وهذا بعد نزول آية الحجاب قطعا لانه في حجة الوداع سنة عشر والآية نزلت سنة خمس

والتحقيق أن النظر من كل من الرجل والمرأة الى ما عدا العورات مباح فان كان بشهوة كره تكراره ، كما قلنا في تفسير (يغضوا من ابصارهم) فان خيف منه فتنة تفضي الى الحرام اتجه القول بتحريمه لسد الذريعة لا لذاته كالخلوة والسفر عند من يقولون بنبوت التحريم بالدليل الظني وقال الامام يحيى ومن وافقه من فقهاء العترة انه جائز مع الشهوة - وشدد آخرون من الفقهاء فقالوا بتحريمه مطلقا (١) بل قال بعضهم بوجوب ستر المرأة لوجهها وجرى على ذلك اهل الحضارة في الامصار حتى

(١) هذا يوافق ما نقله متى عن المسيح (٧) قد سمعتم أنه قيل للقديس (لاترن) وأما أنا فاقول لكم ان كل من نظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه) وفي رواية (ومن زنى يكون مستوجب الحكم) أي الرجم

صار من التقاليد ان لا يرى رجل اجنبي امرأة بالغة ولا يكلمها ولو من وراء حجاب بل صاروا يكتمون اسماء النساء . وبلغنا أن بعض المتنطعين من طلبة العلم في طرابلس الشام امر امرأته بتغطية رأسها في داخل الدار حتى لا تراها الملائكة

وأما أهل البوادي الذين يعيشون بالقيام على الانعام وسكان الارياف من الفلاحين وهم أكثر المسلمين فلا يعرف نسائهم هذا الغلو في الحجاب، ولا هذا التهلك والتبذل الفاشي في هذا الزمان ، وهم على ذلك اقل من أهل الامصار سقوطا في الفتنة ، ومن لطائف ما يروى في هذا الباب أنه عقد مؤتمر نسوي دولي في أوربة حضره من قبل الدولة الحميدية كامل بك الحمصي كاتب السلطان الخامس فسئل في المؤتمر عن حجاب النساء في الاسلام فقال ما خلاصته : ان هذه مكيدة من النساء ، رأين أن ذوات الجمال البارع منهن قليلات وان ظهورهن للرجال يفتنهم بهن ويقبح نساءهم في اعين اكثرهم ، فتواطأن على الاحتجاب العام ليرضى كل رجل بامرأته . فضحك النساء في المؤتمر ، وكان لكلامه عندهن وقع حسن

واذا لم يكن مقالاه كامل بك واقعا فتعليه صحيح فالعجوب محبوب بالطبع والمبذول مبتذل في العادة الغالبة ، ولما صار الهمج الذين كانوا يعيشون عراة يلبسون الثياب ، اشتد شوق رجالهم لنسائهم ورغبتهم فيهن . وتمتلك النساء في هذا العصر هو الذي أحدث ما يسمونه أزمة الزواج في مصرنا وامثالها

وجملة القول ان اصل الشرع في آداب النساء والرجال معروف ، وان سد ذرائع الفتنة والفساد مشروع ، وهو يختلف باختلاف الاعصار والامصار ، وانما الحرام ما ثبت بنص قطعي الرواية والدلالة ، وما دل على طلب تركه دليل ظني فهو مكروه ، وكل رجل وامرأة اعلم بحال نفسه ونيته ، وحال قومه وبيئته

والقاعدة العامة في مثل هذا قوله (ص) «الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه» رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث سلمان الفارسي (رض) وقوله (ص) «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا علمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كراع يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه (وفي رواية يواقع) ألا وان لكل هلك حمى ، ألا وان حمى الله في أرضه محارمه ، ألا وان في الجسد مضغة اذا صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» رواه الشيخان واصحاب السنن عن النعمان بن بشير (رض)

(نصيحة المؤلف للرجال والنساء في مسألة الزواج)

انني منذ ثلث قرن ونيف أدرس مسألة النساء والحياة الزوجية وأناقش فيها أهل العلم والرأي، وأقرأ ما صنف فيها من الكتب، وأتبع ما تنشره الصحف، وأتدبر أخبار الأفرنج فيها، وكتبت فيها شيئاً كثيراً أهمه تفسير آيات القرآن الحكيم في موضوعها، ومقالات الحياة الزوجية التي نشرت في مجلد المنار الثامن وآخرها هذه الرسالة. وناظرت الدعاة إلى المساواة بين النساء والرجال في الجامعة المصرية فحكت لي الاكثريّة الساحقة بالفلج وإصابة صميم الحق

وانني أعتقد بعد هذا الدرس الطويل العريض العميق، وما اقترن به من الاختبار الدقيق، أن ما يراه الكثيرون من أهل الغرب والشرق من نوط السعادة الزوجية بتعارف الزوجين قبل الزواج وعشق كل منهما للآخر، هو رأي أفين، أثبت الاختبار بطلانه، وأن فحاب الشيبية لا ثبات له بعد الزواج غالباً، بل كانت العرب تقول: ان الزواج يفسد الحب.

وانما القاعدة الصحيحة لهذا الزواج ما قاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) لامرأة خاصمت زوجها اليه وصيرحت له بأنها لا تحبه، فقال لها: اذا كانت احدا كن لا تحب الرجل منافلا تخبره بذلك فان أقل البيوت ما بني على المحبة. وانما يتعاشر الناس بالحسب والاسلام. يعني أن التزام كل من الزوجين لحفظ شرف الآخر والعمل بما يرشد اليه الاسلام من الواجبات والآداب الزوجية هو الذي تنتظم به الحياة الزوجية ويعيش الناس به العيشة الهنية

وينبغي لكل من الزوجين أن يتكلف التحجب الى الآخر بأكثر مما يجده له في قلبه، فان التطبع بصير طبعاً، ورحم الله عليّة بنت المهدي أخت هارون الرشيد حيث قالت: * تحبب فان الحب داعية الحب * فانه في معنى قوله ﷺ «العلم بالتعلم والحلم بالتحلم» هذه نصيحتنا أنزفها الى الرجال والنساء في هذا العصر الذي يشكو فيه العقلاء إعراض الشبان عن الزواج، فمن وفقه الله تعالى للعمل بها منهم فسيرونها أعلى وأفضل نصيحة يستحق صاحبها منهم الدعاء والشكر، ومن الله عز وجل المثوبة والاجر

وفيات الاعيان

محمد حافظ بك ابراهيم شاعر مصر الاجتماعي

في السابع عشر من شهر ربيع الاول توفي شاعر النيل الاجتماعي الكبير ،
وأديب مصر الشهير ، محمد حافظ بك ابراهيم عن سن وافست الستين ، فاهتز لموته
عالم الادب العربي واضطرب ، كما كان يهتز لشعره من حماس أو شجوة أو طرب ،
ورثاه أشهر شعراء مصر ، فشعراء العرب في الشرق والغرب ، وأبذته الصحف
فأطرت له أي أطراء ، ولا تزال تنشر القصائد في رثائه وإطرائه إلى الآن ، وقد توفي
بعده أمير من أكبر أمراء بيت الملك في البلاد ، فلم يتجاوز ذكر موته مصر ، ولم
يبلغ تأثير وفاته فيها معشار ما بلغ تأثير موت حافظ من إكبار وحزن وتأين ورثاء ،
على تفاوت ما بين مؤيدي الرجلين من داعيتي الاخلاص والرياء ، وأن بيت
حافظ ابراهيم في أهل المسكنة والبؤس ، من أعلى قصور الامارة والملك .
والعبرة في هذا أنه آية بينة على ارتقاء في الامة العربية في آدابها النفسية
والاجتماعية ، يبشرنا بقرب زوال العظمة الوهمية ، عظمة الالقاب الورثة والثروة
المادية ، وإعقاب العظمة الحقيقية لها ، عظمة العلم والادب وخدمة الامة
لو لم يمت هذا الامير الكبير في هذه الايام لكان في مقام هذه العبرة موت
غني من أكبر أغنياء مصر فيها ممن كان يحسد على ثروتهم ، ويعتاب
الاقدار على ما كان يشكو من بؤسه تجاه جدتهم ، وهو المرحوم محمد بدر اوي باشا
عاشور صاحب العقار الكبير ، والمزارع الواسعة التي تقدر بعشرات الالوف من
الفدادين ، ومئات الالوف من الجنهات المودعة في المصارف المالية (البنوك)
المديدة . مات بدر اوي باشا أغنى فلاح مصر وأحسنهم سيرة ، فلم يهتز لموته
عالم العلم والادب ، ولا أكبرت نعيه المجلات والصحف ، ولا رثاه الشعراء ، ولا
أبناه العلماء والادباء ، فكان هذا دليلا آخر على ان الشعب المصري قد ارتقى
شعوره المعنوي ، ولكنه دون الدليل الذي قبله ، . قد كان هذا الشعب أعرق
الشعوب الشرقية في إكبار الامراء والحكام والخويع هم ، نعم في معظم الاغنياء
« النار : ج ٨ » « ٧٩ » « المحاد الثاني والثلاثون »

والا زدلاف اليهم . ولكن لا يزال المال هو المقصد والغاية لطلاب العلوم والفنون
وقلما تتوجه عناية أحد منهم لبوغ الغاية من الادب والامامة فيه لذاتها

كان محمد حافظ يشكو البؤس وينظم نفسه في صمط البائسين ، وتلك شنشنة
الادباء والشعراء في كل حين ، حتى كان من القضايا المسلمة ان حرفة الادب علة
لبؤس والميشة الضنك ، وما هي بعله طبيعية ولا عقلية ، ولكن من أعطى كل عقله
وفهمه للادب او أي غلم من العلوم لا يجد من استعداده النفسي ولا من وقته
ما يصرفه في الكسب وتثمين المال الذي هو طريق الثروة الواسعة ، والشعراء
أحرص من العلماء على نعمة الدنيا وزينتها وأكثر تمنياً لها ، لتزيين خيالهم لها في أنفسهم ،
فكما يصيبهم منها - وقلما يكون وافراً يرضي طمعهم وخيالهم - فانهم يستصغرونه
ويشكون حظهم منه ، ألا ترى ان أحدهم قد ذم العيشة الوسطى بين بؤس الفقر
وطغيان الغنى وشواغله وهي أفضل حالة في الرزق يمكن أن تكون للانسان بقوله :
مذبذب الرزق لا فقر ولا جدة . حفظ لعمر ك لم يحقق ولم يكس

وكان حافظ يمثل بهذا البيت بعد ان نال راتباً شهرياً من الحكومة يكفي
لنفقة أسرة تعيش عيشة معتدلة ، وهو خفيف الحاذ لا زوج له ولا ولد ، ذلك
بأنه كان مسرفاً في الترف ، مفتقراً في التعم ، وقد أوتي من الحظ المعنوي بأدبه
وشعره ما لم يؤت أديب في مصر في عصره غير احمد شوقي بك اذ كان شاعر
الامير فصار يدعى أمير الشعراء ، ولعله لو نشأ في حجر الترف ونعمة العيش كشوقي
لما كان له من نفسه ما يبعثه إلى النبوغ في الادب النافع ، فأكثر حكماء الأدباء وحكماء
العلماء وأصحاب الافكار الاصلاحية الناضجة كانوا من أهل الكشف والبؤس في
بدايتهم إما اضطراراً وإما اختياراً كالذين سلكوا الرياضة الصوفية . ومن أمثال
الصوفية : من لم تكن له بداية محرقة ، لا تكون له نهاية مشرقة

وقد أشار شيخنا الاستاذ الامام إلى هذا المعنى في بؤس حافظ فيما قرظ له به
الجزء الاول من ترجمة كتاب البؤس ، فقد قدمه اليه حافظ وتوجه باسمه بكتاب
خاطبه به فرد عليه بجواب جعلها حافظ في مقدمة الكتاب ، وانا ننشرها هنا
فانها خير ما ينشر في ترجمة صديقنا الاديب رحمه الله تعالى

﴿ خطاب حافظ للاستاذ الامام في رفع كتاب البؤساء اليه ﴾

إلى الاستاذ الامام

إنك موئل البائس ، ومرجع اليائس ، وهذا الكتاب — أيديك الله — قد
ألم بعيش البائسين ، وحياة اليائسين . وضعه صاحبه تذكرة لولاة الأمور ، وسماه
كتاب (البؤساء) وجعله بيتاً لهذه الكلمة الجامعة ، وتلك الحكمة البالغة (الرحمة
فوق العدل) وقد عنيت بتعريبه ، لما بين عيشي وعيش أولئك البؤساء من صلة
النسب ، وتصرفت فيه بعض التصرف ، واختصرت بعض الاختصار . ورأيت
أن أرفعه إلى مقامك الأسنى ، ورأيك الأعلى ، لأجمع في ذلك بين خلال ثلاث
(أولها) التيمن باسمك والتشرف بالانتماء اليك (وثانيها) ارتياح النفس وسرور
البراع برفع ذلك الكتاب إلى الرجل الذي يعرف مهر الكلام ، ومقدار كد
الأنفهام (وثالثها) امتداد الصلة بين الحكمة الغربية والحكمة الشرقية بإهداء
ما وضعه حكيم المغرب إلى حكيم المشرق

فليتقدم سيدي الى فتاه بقبوله والله المستول أن يحفظه للدنيا والدين . وأن
يساعدني على إتمام تعريبه للقارئين .. اهـ

قدم محمد حافظ هذا الكتاب إلى الاستاذ الامام ونحن جلوس معه في حديقة
داره بعين شمس مساء يوم من الايام فأخذه منه بعد ان قرأه علينا وعليه ودخل
الدار فمكث فيها قليلاً ثم عاد اليها وقال : انني عصرت دماغى على ما به من جناف
الكلال فخرج منه هذه الكلمات : - وأعطى حافظ ورقة قرأ فيها :

تقرير كتاب البؤساء للاستاذ الامام

لو كان بي أن شكرك لظن بنا بالغت في تحسينه ، أو أحمدك لرأي لك فينا
أبدعت في تزيينه ، لكان قلبي مطمع أن يدنو من الوفاء بما يوجبه حقك ، ويجري
في الشكر إلى الغاية مما يطالبه فضلك ، لكنك لم تقف بعرفك عندنا ، بل عمت
به من حولنا ، وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لغتنا

زفنت إلى أهل اللغة العربية ، عذراء من بنات الحكمة الغربية ، سحرت

قومها ، وملكك فيهم يومها ، ولا تزال تنبه منهم خامداً ، وتهز فيهم جامداً ، بل لا تنفك تحيي من قلوبهم مأماتته البسوة ، وتقوّم من نفوسهم ما أعوزت فيه الأسوة . حكمة أفاضها الله على رجل منهم ، فهدى إلى التقاطها رجلاً منا . فجردها من ثوبها الغريب ، وكساها حلة من نسج الاديّب ، وجلاها للناظر ، وحلاها للطالب ، بعد ما أصلح من خلقتها ، وزان من معارفها ، ^(١) حتى ظهرت محببة إلى القلوب ، شيقة إلى مؤانسة البسائر ، تهش للفهم ، وتبش للطف الذوق ، وتسابق الفكر إلى مواطن العلم ، فلا يكاد يلاحظها الوهم إلا وهي في النفس مكان الإلهام حاول قوم من قبلك أن يبلغوا من ترجمة الأعجم مبلغك ، فوقف العجز بأغلبهم عند مبتدأ الطريق ، ووصل منهم فريق إلى ما يجب من مقصده ولكنه لم يمن بأن يعيد إلى اللغة العربية ما فقدت من أساليبها ، ويرد إليها ما سلبه المعتدون عليها من متانة التأليف ، وحسن الصياغة ، وارتفاع البيان فيها إلى أعلى مراتبه ، أما أنت فقد وفيت من ذلك مالا غاية لمزيد بعده ، ولا مطمع لطالب أن يبلغ حده . ولو كنت ممن يقول بالتناسخ لذهبت إلى أن روح ابن المقفع كانت من طيبات الأرواح ، فظهرت لك اليوم في صورة أبداع ، ومعنى أنفع ، ولعلك قد سننت بطريقتك في التعريب سنة يعمل عليها من يحاوله من ظهور كتابك ، ويحملها الزمان إلى أبناء ما يستقبل منه ، فتكون قد أحسنت إلى الأبناء ، كما أجملت الصنع مع الآباء ، وحكمت للغة العربية أن لا يدخلها بعد من معجمة سوى ما هو في الأسماء ، أسماء الأماكن والأشخاص ، لا أسماء المعاني والأجناس ، ومثلي من يعرف قدر الاحسان إذا عم ، ويعلي مكان المعروف إذا شمل ، ويتمثل في رأيه بقول الحكيم العربي :

ولو أني حببت الخلد فرداً لما أحببت بالخلد انفراداً

فلا هطلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تلتظم البلاداً

فما أعجز قلبي عن الشكر لك ، وما أحقك بأن ترضى من الوفاء بالفاء (٢)

(١) المعارف من وجه الانسان ما يعرف به ويمتاز من غيره كالعينين والملاغم

(٢) الفاء بالفتح القليل الذي هو دون الحق

تقول : إن الذي وصل سبيلك بسبب صاحب الكتاب ، ووقف بك على دقائق من معانيه اشتراكك معه في البؤس ، ونزولك منزلته من سوء الحل ، وربما كن فيما تقول شيء من الحقيقة ، فإن كان البؤس قد هبط على صاحبه بتلك الحكمة ، ثم كان سبباً في امتيازك من بين المترفين بتلك النعمة ، سألت الله أن يزيد وفرك من هذا البؤس حتى يتم الكتاب على نحو ما ابتداء ، وأن يجعلك في بؤسك أغنى من أهل الثراء في نعيمهم ، والسلام محمد عبده

هذا وإن مدح حافظ الاستاذ الامام واتصاله به هو الذي فجر ينابيع الحكمة في شعره ، وكان أكبر أسباب شهرته به ، بما جعل أكثر شعره في الشؤون الاجتماعية والسياسية ، والأفكار الأدبية النافعة ، كما كان سبب انتفاعه المادي بأدبه وشعره ، فالامام هو الذي وصله بصديقه احمد حشمت باشا عاشق العربية وآدابها ووصاه بمساعدته إذ كان مديراً للأسبوط ثم للدقهلية ، وحشمت باشا رحمه الله هو الذي تبرع له بطبع الجزء الاول من ديوانه والجزء الاول من كتاب البؤساء ووزع له هو وغيره من أصدقاء الامام ألقا من نسخهما ، ثم لما صار وزيراً للمعارف جعل له وظيفة كتابية في دار الكتب المصرية العامة ، ومنح بسعيه الرتبة الثانية ، فعاش بعد ذلك عيشة راضية ، وإن ظل يتمثل بالبيت الذي يصفها بالذبذبة كان حافظ يتمنى لو يكون غنياً بغير أدنى عمل يعمل له لغنى ، فهو لم يكن يقدر على احتمال أدنى تعب أو مشقة في عمل ما ، وإنما كانت فلسفته في الحياة أن يكون ناعم البال ، طيب الطعام والشراب ، دائب الفكاهة والبعاية مع الأصدقاء ، ولولا أنه كان يعشق الأدب عشقاً لما قرأ فيه كتاباً ، ولما نظم بيتاً ولا نطق خطاباً ، ولما كان أحد من الأغنياء ممتعاً بنعمة العيش مثله ، ولو أوتي من الرزق أضعاف ما أوتي لأثفقه كله في سبيل الرفاهة وبلهنية العيش ، وكان يحفظ من النكات والملح والنوادر والتنادر ما لا حد له ينتهي اليه ، على ما يحفظه من روائع الشعر وبداية النثر ، مما لو جمعه في الدفاتر لكان له منه نزوة واسعة

وقد أوتي من قوة الحفظ وسرعة الاستحضار للمحفوظ وبطء النسيان أو عدمه ما يذكرنا برواة اللغة وحفاظ الحديث ، فلو أنه غني بالحفظ والرواية لأعاد

لمصر عهد الحافظ احمد بن حجر العسقلاني (رح) وكان يحفظ كل ما ينظم وينثر ويترجم (ككتاب البؤساء) وما أراه حفظ من كتاب الاقتصاد السياسي الذي ترجمه هو وزميله خليل بك مطران شيئاً إلا أن يكون بعض المفردات أو الجمل التي اهتمت به هو الى تمثيل عربي عنها غير معروف ، ولو كان له رغبة لذة في حفظه لما شق عليه حفظه على كبره وإن كان فناً لا أدباً

وكان حافظ قوي الاستقلال العقلي والوجداني لا يقبل ولا يسلم ما لا يعقله ويرتاح له وجدانه ، لهذا كان ينكر في نفسه أموراً كثيرة من عقائد الدين فكان مما استفادته من معاشرته الاستاذ ولا سيما صحبتته في سفره الى الدقهلية لتوزيع الاعانات على منكوبي حريق ميت غمر أن استل (الامام) من قرارة نفسه تلك الشكوك والريب وهو ما حدثنا به بعد عودتهما . قال ولم يقنع مني بالايمان إلا وحاول حملي على الصلاة حتى صلاة الفجر في القلنس فكنا نسهر في دار أحمد حشمت باشا في المنصورة أكثر الليل ونام في حجرتين متجاورتين فأستيقظ بسماع حركته في آخر الليل وقيامه للتهجد . وبعد طلوع الفجر يطرق على باب حجرتي ويقول : * يراقد الليل الى كم تنام ؟ *

قم للصلاة ، قلت له بصفة المازح يامولاي انني لا أستطيع حمل الدين كله علمه وعباداته في سفرة واحدة ، كنت ملحداً فأمنت وصدقت بجميع عقائد الاسلام في هذه المرة ، ولك عليّ في سفرة أخرى أن أحافظ على جميع الصلوات . وقد ذكرت حافظاً في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام ١٢ مرة أو أكثر وأما شعره فقد كتب الكاتبون في الصحف شيئاً في وصفه ، وما كان يزينه من حسن انشاده ، وحسبي أن أشير الى ما كنت كتبت في تقريري ديوانه الاول عند طبعه وهو انه أصبح منظوم هذا العصر لغة في مفرداته المختارة وجمله الفصيحة وجمعه بين السلاسة والمتانة ، فهو يفضل شعر احمد شوقي بك في هذا دون جمال التخييل وقوة التأثير الذي هو روح الشعر فهذا يبرز شوقي جميع شعراء العصر على تفاوت في شعره وتعقيد معنوي في بعض أبياته تحول دون فهمها فهما صحيحاً من أول وهلة . فحمد حافظ ابراهيم من الادباء الذين بخلد اسمهم التاريخ رحمه الله تعالى وأحسن مثواه

فتنة الحجاز والقضاء على فئة ابن رفاة

سافر ابن رفاة ومن معه من مصر إلى الحجاز من طريق سيناء بجوازات
مصرية إلى العقبة ولقوا في كل مكان غاية المساعدة فدخلوا أرض الحجاز وتبعهم
أعوانهم الذين سافروا من شرق الأردن إلى العقبة يحملون بعض الدراهم والأسلحة
على مسرع ومرأى ممن هم من رجال الإنكليز في هذه الامكنة كلها مع إغضاء
وتصامم بحيث لا تقوم عليهم حجة بأنهم أغروا أو ساعدوا أو وافقوا على شيء، بل
كانت الدولة الإنكليزية هي التي بلغت الحكومة السعودية أنباءهم، وحملت الأمير
عبدالله على عزل محمد أفندي الاسد قائم مقام العقبة لاذنه لم يل مساعده لم على الدخول
في أرض الحجاز، ثم طفق رجال الهيئة العسكرية من الإنكليز يحصنون العقبة ويجمعون
فيها الأسلحة والذخائر الحربية والمؤن بمحبة مساعدة الحكومة السعودية على التأثيرين
عليها بمنع وصول المدد والذخيرة إلى فئة ابن رفاة من البر والبحر، ومنع فارتهم
من الالتجاء إلى العقبة وشرق الأردن إذا طاردهم الجيش السعودي، وما كان هذا
المنع ليجتاح إلى كل هذا التحصين والاستمداد الحربي، على أنه ظل مستمرا بعد
استئصال هؤلاء التأثيرين إلى أن انجالت الجنود السعودية التي رابطت أمام العقبة حامدة
شاكرا للقائد الإنكليزي الرابطة أمامها في حدودها المقتطعة من الحجاز !!!

وأما الحكومة السعودية فقد استدرجت ابن رفاة الأعور محضاء الثورة
بإرسال رجال من قبائل الحجاز إليه يعدونه بالقيام معه وتعميم الثورة في الحجاز
إذا كان لديه المال الكافي لذلك فأخبرهم بأن المال سيأتي من شرق الأردن، حتى إذا
ما اطمان أحاطت به وبفئته الجنود النجدية فقضت عليهم في معركة واحدة طاحت
فيها رموس ابن رفاة وأولاده ورأس أبي دقيقة أكبر أعوانه وأقيت رأس
ابن رفاة الأعور إلى الأولاد والرجال يدحرجونها ويدحونها ككرة الصبيان
طير البرق نبأ القضاء على ابن رفاة إلى مصر وأوربة وسائر الاقطار من
الطريق الرسمية وطريق الشركات العامة فكذبت جمعية الثورة في عمان وزورت
بامضاء ابن رفاة بلاغا أرسلته إلى صحف فلسطين ومصر والشام ينبئ بانتصاره

وفوزه وامتداد الثورة في البدو والحضر ، وأرسلت اليها مقالات أخرى ورسلا
ييثون الدعاية ، فكذب ذلك كله الا كثرون ، وارتاب فيه الاقلون ، حتى ظهر
الحق واستيقنه الناس أجمعون

استفاد الناس من هذه الفتنة أربع فوائد عظيمة الشأن

(الفائدة الاولى) أن سلطان الحكومة السعودية ثابت البواني راسخ
الاركان في بدو الحجاز ونجد مما كحضرهما فان شيوخ قبائل الحجاز ورؤساءها
استاذنوا جلالة ملكهم في قتال ابن رفاة وهو منهم ولم يكن أحد يظن هذا
لامن الانكليز ولا من غيرهم . وأما أهل نجد فقد ثارت ثائرتهم كلهم ، فاسرع
من استنفرهم الملك إلى الحجاز وحدود شرق الاردن والعقبة وطلق سائر أهل
البلاد يستأذنونه في النفير العام والهجوم على شرق الاردن للقضاء على حكومتها
وكتب اليه في ذلك علماءهم وأميرهم سعود ولي عهد الامام فيهم

(الفائدة الثانية) تنبه الامة العربية في سورية وفلسطين وشرق الاردن
لوجوب الانتصار للدولة العربية المستقلة المعترف باستقلالها المطلق من جميع الدول
الكبرى وما يهددها من الخطر بوجود الانكليز في خليج العقبة الحجازي وشرق
الاردن ، وقد أظهرت شعورها هذا في الجرائد وعلى ألسنة الاحزاب والزعماء حتى
إن أهل شرق الاردن أظهروا المقت للجمعية المحركة للفتنة عندهم ولا أميرهم أيضاً

(الفائدة الثالثة) تنبه الشعور الاسلامي العام في الشرق والغرب للخطر على الحجاز
بامتلاء الانكليز على خليج العقبة ومنطقته وسكة الحديد الحجازية وقد ظهر هذا
الشعور كالشمس فيما نشرته جرائد مصر وفلسطين وسورية وتونس والجزائر والهند في
المسألة وعجب الناس لسكوت مشيخة الازهر عن اظهار صوتها في هذه النازلة الاسلامية
التي تنذر المسلمين أكبر خطر على الحرمين الشريفين ولم نبين لهم مانع من سبب هذا

(الفائدة الرابعة) وهي نتيجة ما قبلها من الفوائد الثلاث : إحياء الدولة
البريطانية عما كانت تريد من اقتراض هذه الفتنة لاجداث احتلال عسكري بري
بحري في خليج العقبة تسميه موقناً وتعلاه بمثل ما عللت به احتلال مصر ، واحتلال
اسكندر آباد في الهند ، وقد رضيت بسبب ما تقدم وخشية تفاقم الخطر أن تبقي

منطقة العقبة ومعان تابعة لشرق الاردن في ادارتها الى أن يبت في أمرها بمفاوضة أخرى مع الحكومة السعودية

وتقد سر المسلمون كافة والعرب خاصة بتنكيل الحكومة السعودية بهذه الغثة الباغية وشمتموا بثيريتها وهنؤا صاحب الجلالة السعودية بهذا الفوز المبين ، وما كان فوزه على هذه الغثة القليلة بكبير في نفسه ، وإنما كانوا يخشون أن تكون سببا لاشتعال نار الثورة في الحجاز كله ، وأكبر ما كانوا يخشونه أن تكون عاقبتها استقرار أقدام الانكليز في خليج العقبة ومنطقتها الى معان ، وأكبر ما كانوا يرجونه أن يتخذها الملك وسيلة لاستعادة هذه المنطقة إلى الحجاز ومنع الخطر الدائم على الحرمين الشريفين ببقائها تحت سيطرة الانكليز

واقدم كانت الفرصة سانحة له بارحة للانكليز والاسباب المرجحة لفوزه كثيرة واكن رجال حكومته لم يكونوا يعرفونها ، وكانت الارجيف التي أذاعتها المصادر الانكليزية مما ترجف لها الافئدة ولا سيما أرجوفة مساعدة مصر لابن رفادة ، فكان يخيل لقراء الجرائد في الحجاز ان حكومتهم مستهدفة لمحاربة بريطانيا العظمى ومصر وشرق الاردن في وقت واحد ، وكل هذه أوهام ، وأضغاث أحلام

من المعلوم باليقين انه لم يكن يجوز للدولة السعودية أن تبدأ حكومة شرق الاردن الضعيفة بالحرب ، فضلا عن الدولة البريطانية التي هي من أقوى دول الارض ، وإنما الذي كان يجب عليها هو أن تنبئ الدولة الانكليزية بأن شعبها الحجازي والنجدي يطالبونها بما هو حق عليهما من استعادة هذه المنطقة الحجازية التي ألحقت بشرق الاردن بغير حق شرعي ولا قانوني ، وانهم مضطربون ثائرون لما جاءهم بطريق العقبة من طلائع ثورة ابن رفادة . وان العالم الاسلامي كله يطالبها بذلك . فهي لهذه الاسباب مضطرة لاحتلال هذه المنطقة الحجازية مع المحافظة على العلاقة السياسية الودية معها ، وتأمين حكومات شرق الاردن وفلسطين ومصر من أدنى اعتماد على حدود بلادها ، وتتبع القول الفعل . وقد كتبت مقالا طويلا أثبت فيه ان الدولة الانكليزية ما كان يعقل أن تحارب حكومة الحجاز واسكنني علمت قبل نشره بجلاء الجيش السعودي عن الحدود وبقاء ما كان على ما كان فأمسكت عن نشرها

جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية

هذه الجمعية أقدم الجمعيات الاسلامية التي أنشئت للوعظ والارشاد في مصر ، فاني لما هاجرت إلى مصر في منتصف سنة ١٣١٥ لم أجد فيها غيرها ، واتفق أن كانت هي الجمعية الاولى التي تعودت إلقاء الخطابة الارتجالية على منبرها ، فوجئت بذلك أول مرة مفاجأة إذ حضرت أحد اجتماعاتها متفرجا فكان من الخطباء فيه اسماعيل بك عاصم المحامي المشهور (رحمه الله تعالى) فرآني بين الناس وكان قد عرفني ، فلما فرغ من خطبته دعاني مشيداً بذكري ، مطرباً لأدبي ، وكان هذا غريباً منه وهو لا يعلم من أمر استعدادي للخطابة شيئاً ، ولكنني أعتقد أنه كان مخلصاً في طلبه لا مورطاً ، إذ قابلني بالمودعة منذ عرفته وثبت عليها طول عمره واشترك في المنار منذ سنته الاولى وكان ممن يدفعون قيمة الاشتراك في أول السنة ، ولما تم للمنار عشرة أعوام أقام له حفلة أدبية كانت هي الاولى من جنسها دعا اليها جميع أصحاب المجالات العربية بمصر ووزير المعارف وبعض رجال العلم والادب إلى مأدبة حافلة أقيمت فيها الخطب البليغة في الشناء على المنار ومذشته ، فرحمه الله وجزاه أحسن الجزاء

وأقول بعد هذا الاستطراد الذي أراه من حقه علي: انني أجبت دعوته وصعدت المنبر على غير استعداد ولا سبق حضور موقف من هذه المواقف غير للماتدة في بلدنا (طرابلس الشام) في العصر الحيدري ، وأقيمت مافتح الله به علي في موضوع مناسب للمقام ، صفق له الحاضرون مراراً وهتفوني به ، وما أظن انني أجدت الالقاء ولكنني أعتقد انني قلت حقاً نافعاً بعبارة عربية صحيحة لا خطابية ، ثم كان للرحوم الاستاذ الشيخ زكي الدين سند خطيب الجمعية المؤسس لما يدعوني إلى الخطابة في كل اجتماع يراني فيه بعد ان يستشيرني فأقبل ، ثم أسسنا جمعية شمس الاسلام فكانت خطيبها الاول

نم إن جمعية مكارم الاخلاق ضمنت بعد وفاة المرحوم الشيخ زكي الدين سند ، ثم غني بانعاشها ومساعدة مجلته بمحمد سعيد باشا الاسكندري في عهد وزارته و خليل باشا حمادة البيروني الذي تولى امانة الجمارك في الاسكندرية فادارة الاوقاف العامة

بمصر فصار يطبع من مجلتها ألوف كثيرة من النسخ ثم عاودها الضعف والذبول ، حتى كادت تزول ، فتداركها الله باللفظ ونهضت نهضة جديدة بهمة أصحاب النجدة والغيرة رئيسها ووكيلها ومراقبها

اتخذوا لها أولا مكانا مشهوراً في القاهرة هو القاعة الاثرية المشهورة بدار السادات الوقائيه المسماة بام الافراح ، يتبعها حجرة للادارة وباحة واسعة من وراء الدار ، فكانت الخطب والمحاضرات تلقى في القاعة مدة فصل الشتاء و زمن البرد ، ثم تلقى في الباحة سائر أيام السنة ، وموعدها بعد صلاة المغرب من يوم الجمعة ، وكان أكثر من يحضرها طلبة الجامع الازهر ، وقد دعيت الى إلقاء محاضرات كثيرة فيها كانت الادارة تعلن خبرها في الجرائد اليومية فيحضرها خلق كثير من جميع الطبقات ، ولا أزال أدعى فأجيب ، بعد نقل الجمعية الى مكانها الجديد هلت الجمعية الى حي شبرا لمقاومة دطاة النصرانية فيه إذ كثرت جمعياتهم وتصددهم فيها لاغواء عوام المسلمين فانخذت لها داراً فسيحة ذات حجرات كثيرة وباحة واسعة وأنشأت في الدار مدرسة ابتدائية تعلم فيها أطفال المسلمين بأجرة زهيدة مع تربية عملية مفيدة وقد أنشئ لمجتها (مكارم الاخلاق الاسلامية) مطبعة خاصة بها وأنشئ لها مجلة أخرى باسم (المصلح) فالمجلة الاولى في السنة الثامنة من حياتها الجديدة وهي تصدر في منتصف كل شهر عربي في أربع كراسات بقطع المنار وقيمة الاشتراك فيها ١٥ قرشا في السنة لطلاب المعاهد والمدارس و ٢٥ قرشا لسائر الناس . وأما صحيفة المصلح فتصدر في كل شهر أو شهرين في كراستين أو ثلاث بقطع أكبر وقيمة الاشتراك فيها في القطر المصري خمسة قروش وأجرة البريد وفي خارج القطر ١٠ قروش . ويرى القاريء لها في كل منها فوائد كثيرة من تفسير السور الصغيرة التي تقرأ في الصلاة وشرح بعض الاحاديث الصحيحة و بيان السنن النبوية المتروكة لا حياتها ، والبدع الفاسية مع النهي والتنفير عنها ، والمسائل الفقهية والادبية والتاريخية والمواعظ وغير ذلك ونرى جل ما في الصحيفتين بقلم وكيل الجمعية الاستاذ العالم الكاتب الخطيب الشيخ محمود محمود الاستاذ في مدارس الحكومة العليا ، حمد الله سعيه وأدام توفيقه

(نداء جمعية الهداية الاسلامية في دمشق)

(أرسلت اليها هذه الجمعية كتابا ذكرت فيه انها أرسلت كتبها الى ملوك المسلمين وأمرائهم وصحفهم وأغنيائهم لاعانة الحرمين الشريفين ومعه صورة ما أرسلته الى ملكنا المعظم وهذا نصه) :

(خطابها الى جلالة ملك مصر المعظم)

لصاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر المعظم أعز الله به الاسلام والمسلمين لقد استفاض الخبر ، وصح النقل باشتداد الضائقة على إخواننا أهل الحرمين الشريفين وتضاؤف العسر عليهم ، فقد أخبر المظلمون بانهم أصبحوا يحالة تدمي القلوب وتفتت الاكباد . وذلك لتعاس الناس عن أداء فريضة الحج وتلكؤهم عن زيارة تلك الاماكن المقدسة

ان الازمة في البلاد الحجازية قد اتسع نطاقها ، وتفاقم خطبها ، فشمّل الكبير والصغير ، وعم أكثر السكان والمجاورين ، في هذين البلدين الشريفين وهي اليوم آخذة بالازدياد والعياذ بالله تعالى

لم يختلف أحد من الناس في استتباب الامن في بلاد الحجاز كلها حتى أصغر بقعة فيها - فلو فرض أن شخصاثر هناك آلاف الدنانير الذهبية على رؤوس الناس في الطريق العامة لما تجاسر أحد على مس دينار واحد منها ، على حين ان هؤلاء الذين نثر الذهب على رؤوسهم فزهدوا فيه يتسابقون إلى التقاط ما يلقي في الارض من قشر البرتقال والبضيخ قليلا لسورة جوعتهم ، وشدة ألامهم

إلى هذا الحد وصل أولئك الاخوان المجاورون والمقاطنون في تلك البلاد الشريفة ، ولاشك أن هذا الحال أدى وسيؤدي إلى موت انكثيرين منهم بلا سبابة جناية ولا تقدم ذنب أو جريمة

ان هؤلاء الضعفاء المساكين الذين أعوزتهم الحاجة وبلغ بهم الفقر مبالغاً حماهم يذكرون أيام الحرب العامة بتزيد المدح والثناء - يموت الكثيرون منهم على قارعة الطريق في أشراف بلاد الله ، يموتون وبطونهم جائعة ، وأجسامهم عارية ، وعيونهم شاخصة تتطلع الى السماء شاكية ما حل بهم من قسوة أخيها الانسان وجوره وعتوه وظلمه

فرحة بأولئك البؤساء الذين ذهب الفقر بأرواحهم ، وأحاطت الحاجة بأولادهم وبناتهم ونسائهم ، وقيامنا بالواجب الديني والانساني — اجتمع أعضاء (جمعية الهداية الاسلامية) بدمشق ، وبعد المذاكرة وتتبع الموضوع من عامة أطرافه رأوا أن يستصرخوا غيرتكم وحيثكم باسم كونكم أعظم ملوك الاسلام والمرجع الاعلى لمختلف شؤونه لتملوا على مساعدة هؤلاء البائسين ، وتمدوا يد المعونة اليهم بارسال ما تراكم لهم في خزانة الاوقاف من مال الحرمين الشريفين ، وبذلك تحيون أنفساً قضي على حياتها الفقر ، وأجساماً أضربها الجوع والعري ، وذلك كما لا يخفى من أفضل الاعمال ، وأشرف الخلال . ففي حديث أنس رضي الله عنه عند الديلمي مرفوعاً « ما عمل أفضل من اشباع كبسدة جائعة » . ومن حديثه أيضاً عند أبي يعلى يرفعه إلى النبي ﷺ « من اهتم بمجموعة أخيه المسلم فاطممه حتى يشبع ، وسقاه حتى يروى غفر الله له » . على ان في هذا العمل أيضاً براءة للذمة مما هي مطوقة به من وجوب العمل بنص الواقف الذي هو كنص الشارع ، وليت شعري هل يرضى الواقف للحرمين الشريفين بصرف ثمرة أوقافه على غير خطان تلك البلاد الشريفة ، وخصوصاً عند حاجتهم ، وتحقيق ضرورتهم .

ان اختزان أموال الحرمين أو صرفها لغير أهلها في أيام اليسر جريمة يجب أن تنتزه عنها الحكومات الاسلامية ، فكيف والوقت عسر ، والمستحقون لهذه الأموال في أشد درجات الضيق ، وأقصى أحوال الجهد والعناء .

قال أهل العلم : من منع المال مستحقه فقد خان الله ورضوله والمؤمنين ، وعد غاصبا للبال ، وظالماً من جملة الظالمين ، ومن صرفه حيث أمر الله هد من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وكان خير أمين فيما أسند اليه .

ولما كنتم أدام الله عز المسلمين بكم ممن لم السابقة في خدمة الدين ، والاهتمام بأمور المسلمين ، تحذبون عليهم حذب الوالد على ولده والراعي على رعيته خصوصاً أهل الحرمين الشريفين — أتينا بكتابنا هذا مرفوعاً لسدة جلالكم راجين أن تكونوا لاهل حرم الله تعالى وحرم رسوله المعظم عند حسن ظننا بكم ، لازلم هؤلاء البائسين ، وعضداً متيناً لمعوم المسلمين سيدي .

﴿ اقتراء مجلة مشيخة الازهر علينا وهجوها ومجرها فينا ﴾

قد رأى قراء المنار ما أفتينا به في الجزء الرابع في بدعة زيادة بعض المؤذنين في آخر الأذان وهو أنها بدعة في شعار ديني محض تدخل في عموم قول النبي ﷺ « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ولكن مجلة مشيخة الازهر أفتت بأنها بدعة حسنة . ولما رآه مفتيها بهذه البدعة كفتاويه بما هو أضل منها من البدع انقطع في بيته وعكف مع بعض أعوانه على مجلدات المنار يبحث فيها عن أمور يتخذها مطاعن على صاحب المنار وجمع ما وجده قابلاً للتحريف والشبهة مما صادفه فيها في مقال طويل بدأه بالاحتجاج لبدعة الأذان بطريقته الازهرية في المراء وجدل الإلفاظ وإيراد الاحتمالات

وقفى على ذلك ببهاثت بهت بها صاحب المنار وافترى عليه بأنه كذب الله ورسوله وخطأهما وخالف الإجماع ورد الأحاديث الصحيحة تباعاً لهواه وأنه ليس لكتاب الله وسنة رسوله عليه سلطان وأنه أنكر وجود الملائكة بتقريره أنهم عبارة عن القوى الطبيعية وأنكر وجود الجن وزعم أن الجن عبارة عن الميكروبات وأنه يتأول القرآن بما ينافي اللغة والدين والعقل تقرباً إلى الماديين لا لشبهة علمية وأنه ليس عنده أدنى استعداد للعلم والفهم ، ولا المنطق والعقل ، ولا للأدب والذوق ، وأنه من دون ذلك كله أفتى تلاميذ المدارس النصرانية من المسلمين بالصلاة مع النصارى في كنائسهم لاجل تنشئتهم على دين النصرانية عقيدة ووجداناً ، يعني مفترى هذا البهتان أن صاحب المنار لا غرض له من إنشاء مناره ولا من تفسيره لكتاب الله تعالى إلا هدم دين الاسلام وتحويل المسلمين عنه إما إلى النصرانية وإما إلى المادية ، وأب ما اشتهر به في العالم الاسلامي بل في العالم كله حتى مستشركي الافرنج ووزارات أوربة الخارجية والاستعمارية المشتركة فيه من أنه داعية الاسلام والحامي عنه في هذا العصر ، والذي استطاع أن ينزله عن البدع والخرافات ويوفق بينه وبين أعلى ما وصل اليه البشر من الارتقاء في العلم والعمران — فهو اشتهار بالباطل ، لأن هذا المحرر في مجلة الازهر وهو من هيئة كبار علمائه الرسمية قد علم من حقيقة هذا الرجل وفهم

من مجلته وتفسيره ما لم يعلمه ولم يفهمه أحد. كلا انه ظن أنه يقدر على هدم منار الاسلام بمقالة أو مقالات في مجلة مشيخة الازهر انتقاما لنفسه ولها، وما هو بهادم الا لنفسه ولها، فقد كانت بما يسخما به من تأييد البدع والخرافات ثم بهذه الشتائم والفقرات فضيحة للازهر الذي يريد الاعتزاز باسمه وبمشيخته الرسمية !!

ظهر مقاله في الجزء الذي صدر في غرة جمادى الاولى وكان هذا الجزء من المنار قد حرر ليصدر في سلخ ربيع الآخر وطبع اكثره فأخرته ليصدر في سلخ جمادى الاولى فأرى في أثناء الشهر ما يكون من أمر هذا الحدث الجديد في مشيخة الازهر أما كاتب المقال فقد سبق له مثل هذا التصدي للتصدي منذ ١٦ سنة فلم أكرث له، ولا رأيت أهلا للرد عليه، فهو غير كفؤ للمبارزة بعلم ولا أدب ولا يصدق في القول ولا أمانة في النقل ولا اخلاص في النية. وأما مشيخة الازهر فهي كفؤ لمنازلة المنار، بغير هذا الفارس العاجز الغواره ولا يشمر صاحبه بأقل ضعف عن هذه المنازلة في حدود العلم والدين وآدابه، ولكنه في منتهى الضعف والعجز عن كتابة جملة واحدة من أمثال هذا المقال الذي افتتحت الحرب به، وله إذا ولاها الدبر، أسوة بجده علي أمير المؤمنين حين تولى عن عمرو، على انه رأى وجوب التروي في النضال العلمي حتى يعلم تعتمد المشيخة له بدأت بكتابة مقال في الدفاع عن حقى وحق القراء الذين اطلعوا على الطعن علي في تلك المجلة ليعلموا ما عندي من الدلائل على تفنيد الافتراء علي، والقول الحق في التهم التي نسبت إلي، وأرسلت المقال إلى رئيس تحرير المجلة، ولزيادة التحري سألت صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية عن هذا الحدث الجديد لئلا يظن بطله وصدقه وإخلاصه على قلة الجامعين لهذه الفضائل اثلاث. سألته بالمسرة (التلفون) هل رأيت الجزء الجديد من مجلة المشيخة؟ قال لا، قلت انظروا فان فيه كيت وزيت ثم علمت انه قرأ المقال فتفظله، ففزع به إلى شيخ الازهر فأقرعه، بموافقة إياه على استنكاره، وجوب تلافيه بالسعي إلى الصلح بين الطاعن والمطعون، والاتفاق بين الغابن والمغبون، فبادر المفتي إلى هذا السعي الحميد للوافق لطبعه، وكاشفني بذلك بالمراسلة فالمكاملة بالمسرة فزيارتي للمشافهة بذلك في دار المنار، وأكد لي خبر استيلاء الاستاذ الأكبر كاستيائه مما حصل ورغبته في الصلح، وأعطاني

الحق في الدفاع عن نفسي في مجلة نور الاسلام على الوجه الذي ارتضيته انفسى من نفسي وهو اجتناب الطعن الشخصي في كاتب المقال بمثل طعنه علي ولا بما هو دونه، وذلك بان اذكر التهم التي اتهمني بها وأرد عليها، واقترح أيضا أن أنقح مقدمة المقالة التي أرسلتها إلى المجلة فوعده بذلك، وقال أنه هو والاستاذ الاكبر يكفلان إرضاء الطاعن بالصلح، وحمله على كتابة شيء يرضيني. قلت ان ذلك خير له ولمشيخة الازهر ومجلتها، وهو لا يهمني

أرسلت مقالة الرد إلى رئيس تحرير المجلة المذكورة في ١٤ جمادى الاولى وتلاه السعي إلى الصلح إلى أن دخل الشهر الذي بعده وقد صدرت في غرته المجلة وفيها مقالة أخرى في الطعن على صاحب المنار، وقد كثرت في هذا الشهر مكاتبة الناس إياي بوجوب الرد على هذه المجلة وجاءتني مكتوبات في ذلك من مصر ومن الحجاز بعضها في الرد وبعضها في انتظار الرد مني، وأنشأ بعض العلماء يردون عليها في الجرائد، وأنا لا أزال أنتظر ثمرة سعي الاستاذ المفتي إذ وعدته بالامساك عن النشر فيها إلى أن تظهر لي النتيجة لهذه المقدمات، وقد تأخر اصدار هذا الجزء الى أن ظهرت نتيجة الصلح بنقض الخصم له يوم عقده وبقيت نتيجة ما يضره شيخ الازهر من خبيء في المسألة فهي خباة طلعة وقد شرعت في الرد على مجلتها، فلينتظر قراء المنار الجزء الآتي ولي أن أقول الآن ان هذا الطعان الشيخ يوسف الدجوي لجدير بنقبة صديقه وإمامه للرحوم الشيخ يوسف النبهاني، ولكن النبهاني كان يفوقه في الادب، وهذا يفوقه في السباب والمراء والجدل، فهو من الذين قال فيهم الاستاذ الامام انهم يتعلمون كتباً لا علماً، وانه لم يبق عندهم «إلا تحاور في الالفاظ أو تناظر في الاساليب في قبيل من الكتب اختارها الضعف وفضلها القصور» وهو لم يحذق شيئاً من تلك الكتب التي حذقها كثيرون منهم ولكنه حذق شيئاً آخر ما أسف اليه أحد منهم فيما نعلم وهو ما يجد الناس نموذجاً في مقالاته الدالة على انه ليس له أدنى حظ من العلوم التي يجادلنا في مسائلها وهي التوحيد والتفسير والحديث والبدع والسنن، وكأني بقارى بهاته يتلو قول الله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ
وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ

الْمَسْحُورُ

أُتُنْتُ ١٣١٥

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَالِدُونَ الْأَلْبَابِ

قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام ضوى « ومنار » كنار الطريق

جمادى الآخرة ١٣٥١ برج العقرب سنة ١٣١١ هـ من أكتوبر سنة ١٩٣٢ م

فتاوى المنار

(الطريقة الشاذلية)

(س ٥١) من صاحب الامضاء بيافا

في رجب سنة ١٣٤٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨

إلى حضرة السيد الامام مفتي الاسلام سيدي محمد رشيد رضا مفتي المنار
الضياء حفظه الله . انني مسلم موحد الله (لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ)
وأريد أن أطلع على الحقوق المطلوبة مني للحق عز وجل ، وأريد أن أسألكم سؤالاً
واحداً يكون جوابه من لطفكم وعواطفكم لا حرماناً الله من تمتعكم بالدينية ،
وأريد نشره في مجلتكم (مجلة المنار) التي أتمنى لها خير النجاح وهو كما يأتي ، ولكم
الاجر والثواب عند الله الواحد القهار

ماهي الطريقة الشاذلية ؟ منافها . مضارها . تأثيرها . مقصودها . خطتها .
نشوءها . نموها . وان كان عندكم شيء زيدوا على ما سألت أنا ولكم الفضل سيدي
ملاحظة : ان الذي أجبرني على أن أسأل حضرتكم هذا السؤال هو شيء
واحد وهو أخى يعرض على دخول هذه الطريقة ومسلكتها ، وأيضاً الذي جعلني

بأن أمتنع عن القبول هو كلام الناس يحكون في حقها ما لا تقبله المسامع ، فيأتوني هذا الكلام صحيح أم لا ؟ أخبرنا فإن كان لا فتكون أولاً نفعتني وثانياً نفعت الذي يريد أن يسلك في هذا المسلك فلماذا سألت هذا السؤال وأملني بأن ينشر على صفحات مناركم مع جوابه ولكم الفضل سيدي ومولانا رجب برزق

أحمد مستخدمين السيد أحمد محمود الشريف

(ج) كان سبب تأخير الجواب عن هذا السؤال انني كنت أريد أن أكتب خلاصة تاريخية لهذه الطريقة وفروعها ولا سيما الفرع الذي انتشر واشتهر في فلسطين بدعوى الحلول والجمع بين النساء والرجال في الاذكار والخلوات وغير ذلك من المنكرات التي أشار اليها السائل بقوله «يحكون في حقها ما لا تقبله المسامع» وهذه الخلاصة تتوقف على بحث ومراجعة ، ولذلك مرت هذه السنوات ولم أجد لها فراغاً ، ونسيت هذا السؤال بل ضل عني بين الاسئلة المهمة لاسباب مختلفة منها سبق الجواب عن مثلها ومنها انتظار الفرص للبحث عن موادها وأدلتها كهذا السؤال . وإن أكثر فتاوى المنار في هذه السنين تكتب بدون مراجعة شيء من الكتب ، وأقلها بعد مراجعة لا تستغرق وقتاً طويلاً ، ولما نجد فرصة لكتابة هذه الخلاصة والذي ننصح به للسائل عن الطريقة الشاذلية أن يتجنبها ويتجنب امثالها من هذه الطرائق التي بين غرضها أحد كبار رجالها في القرن الماضي وهو السيد محمد الزعبي الجبلائي شيخ الطريقة القادرية في طرابلس الشام وهو والد الاستاذ الكبير السيد عبد الفتاح الزعبي نقيب السادة الاشراف والخطيب المدرس في الجامع الكبير المنصوري من زهاء قرن فقد أخبرني هذا الاستاذ ان بعض مريدي والده سأله عن سبب اختلاف أصحاب هذه الطرائق في عمامتهم وشاراتهم وأعلامهم وأورادهم وأذكارهم مع دعواهم ان الغرض من سلوك كل طريقة منها معرفة الله تعالى وعبادته الصحيحة ، فقال له السيد المنصف رحمه الله تعالى (تغيير شكل ، لاجل الاكل) . وأخبرني الاستاذ الشيخ محمد الحسيني أشهر علماء طرابلس لهذا العهد انه كان مرة في درس الشيخ الحضري الكبير في الجامع الازهر فر بالتقرب من الجامع موكب لاهل الطريق بدقوفهم وصنوجهم وضجيجهم فسكت الشيخ عن تقرير

الدرس الى أن بعدوا وخف صوتهم وقال لتلاميذه : ان جميع طرق الصوفية دخلتها البدع إلا الطريقة النقشبندية والطريقة الدمرداشية اهـ
ولكنني انتظمت بعد سماع هذا القول في سلك الطريقة النقشبندية فأنفيتما لم تخل من البدع ، ثم اختبرت الطريقة الدمرداشية فوجدتها كذلك ، ولكن بدعها أهون من بدع غيرها فليس فيها معازف ولا ملاح ولا أغاني ولا عبادة قبور ، ولا اوراد غير ذكر الله تعالى . وقد تكلمت على بدعة الرابطة عند النقشبندية وبدعة الذكر بالاسماء المفردة عندهم وعند غيرهم من قبل . وأين هي من التيجانية والحلولية والاباحية من الشاذلية والترشيحية وغيرها . فعليك أيها المسلم أن لا تقرب أحداً منهم ، وان لبعض من تفقه من شيوخهم فائدة في إرشاد العوام إلى الصلاة والصيام وذكر الله وإن كان بعضه غير ماثور أو مبتدع كذكر بالاسماء المفردة ، وهو هو ، وأهـ ، فلو اعتصموا بالماثور لكان خيراً لهم . وقد فصلنا هذه المسائل مراراً . وعليك بتلاوة القرآن والاذكار والاوراد الماثورة في السنة الصحيحة ، وحسبك من مختصراتها كتاب (الكلم الطيب من أذكار النبي ﷺ) لشيخ الاسلام ابن تيمية ، فان أحببت المزيد فعليك بكتاب الاذكار للامام النووي أو الحصن الحصين للمحدث الجزري

استعمال الماء الممزوج بالسموم وجرائيم الامراض المديية

س ٥٢ و ٥٣ من صاحب الامضاء في زنجبار

حضرة العلامة الاستاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا متعنا الله بوجوده
(١) ما تقول فيمن بنى مسجداً وجعل فيه موضعاً لقضاء الحاجة وموضعاً للطهارة بالحيطان وكان الاسم ينطلق بالمسجد فهل يجوز ذلك والحال ان الاسم اسم المسجد
(٢) وما تقول في ماء بلغ قلتي وتوضأ صاحب القروح فيه وأهل الامراض العدوية وحكم أهل الخبرة بحدوث الامراض بالمتوضئين فهل يعمل قولهم بالاجتناب عن هذا الماء الذي بلغ القلتي ولم يحمل خبثاً ؟ افتوني أثابكم الله تعالى

من العبد المسيء

لازتم عامرين لما اندرس من المعالم الدينية

قناوي بن عيسى بزنجبار

(ج) يجب اجتناب استعمال الماء الذي دخلت فيه جرائم الامراض البوائية والادواء المعدية في الوضوء وغيره كالمبيضة البوائية وقروح الزهري والطاعون والسل لا لتجاسده الفقية ، بل لاتقاء ضرر سوءه المرضية — وأما السؤال الاول فلم نفهمه فان كان المراد منه أن المستنجين ينحسرون جدران المسجد فعملهم غير جائز ولا يعقل أن يعد الواقف جدران المسجد لذلك

﴿ أمثلة من جادة في ولادة عيسى عليه السلام ﴾

(س ٥٤ - ٥٦) من الاستاذ المرشد الشيخ محمد بسيوني عمران إمام مهراج (محبس برنيو) حضرة صاحب الفضيلة الامام العلامة الحجة ، مولاي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الانور نفعي الله تعالى والمسلمين بعلومه آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فاني قرأت في بعض المجلات الملاوية مقالة مطولة لبعض الطلبة الملاويين في بيان ولادة عيسى بن مريم قال فيها إنه لا بد لولادته من أب لان الله قال في كتابه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) وقال تعالى (ولن تجد لسنة الله تحويلا) ورفض الاقوال المؤيدة بدلائل القرآن أن عيسى ولد بغير أب . وقال غيره من بعض أصحاب المجلة ليأتنا من يعتقد أن ولادة عيسى بلا أب بآيات القرآن والاحاديث النبوية مع بيان درجتها وما أخذها

هذا — واني قد قرأت تفسير المنار لسورة آل عمران في بيان ولادته بلا أب ورأيت فيه ما يشفي الغليل من الذين يريدون الحق وإزهاق الباطل وفهم مراد الله من كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ولكن لما صارت هذه المسألة موضع النزاع الآن عندنا بين طالاب الادلة من الكتاب والسنة جثت باب فتاوى المنار سائلا عن هذه المسألة ليكون جوابه عنها هو القول الفصل كما سبق له مما به أجاب ، انه الحكمة وفصل الخطاب وهأنذا أصور الاسئلة كما يأتي

١ — هل ولادة عيسى بن مريم بلا أب تجمع عليها أم لا؟ وهل يكفر من جحد ها أم لا؟

٢ - هل آية (قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسني بشر) قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، بل قد قطي أمراً قائماً يقول له كن فيكون (نص في أن ولادة عيسى لم يمسسها بشر ولا أب أم لا) وهل كذلك آية سورة مريم (قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسني بشر ولم يك بغي) أم لا ؟

٣ - هل وردت أحاديث نبوية يصح الاحتجاج بها على هذه المسألة أم لا ؟ فإذا وردت فما هو مجتهد من الصحة وفي أى كتاب أو كتب هي ؟

هنا وتفضلوا بالجواب عن هذه الأسئلة في أقرب وقت ممكن ولكم منى ومن الثامن شكر الجليل ، ومن الله الانجر الجزيل

سبب برثيو الغرية ٢٥ صفر سنة ١٣٥١ محمد بسيوني عمران

[لحيوة المثار] ولادة عيسى عليه السلام من غير أب مجمع عليها ومستند الاجماع فصوص القرآن المجيد يكفر من يجحد بها على علم . وأما الآيتان اللتان في السؤال الثاني فهما في البشارة به وبأنه يكون بقدره الله تعالى لا بالسن العامة في الحمل والوضع وفي بقية القصة خبر الولادة وجملة الآيات نص قطعي في المسألة . وورد فيها أحاديث مختلفة الدريجات في الصحة وما دونها دلالتها دون دلالة آيات القرآن القطعية الرواية والدلالة . فلا ينبغي لمسلم أن يلتفت إلى ما يهذي به الملاحدة ولا أتباع مسيح المنتسبات إلى (غلام أحمد القادياني) وراجع ما كتبناه في الرد على ملحد ذمهور في شبهة السن الكونية وهي في الجزء الأول من منار هذه السنة ، فقد بينا بها جهل من يماري في هذه الآيات بأنها على خلاف سنن الله تعالى في الخلق ، وكذلك الفصل الذي عقدناه في (الآيات الكونية) من بحث انوحي وهو في الجزء الثامن الماضي ، وفيه القول بالفصل في معنى سنن الله وآياته وبقته المسيح وأمه عليهما السلام

المنار ومجلة مشيخة الازهر

نشرنا في أشهر الصحف اليومية الإسلامية مقالات عنوانها (يان للامة في جرائدها) فيما شجر بيننا وبين مجلة مشيخة الازهر من التنازع في نصرها للبدع الاعتقادية والعملية وتأويلها لما يخالف النصوص والسنن القطعية — وانكارنا عليها بما يؤيد النصوص والسنن التي كان عليها النبي (ص) وأصحابه وسلف الامة الصالح وطعننا فيها وافترائها علينا لعجزها عن الرد العلمي. واننا ننشر هذه المقالات (ولما تم) في المنار لانها من أهم مسائل تاريخ الاصلاح الذي أنشئ له ونهض به ، ولنا ان نختصر وننقح هنا بعض العبارات اجتنابا للتكرار الذي لا يحسن في المجلات)

المقال الاول

(في موضوع التنازع بين المجلتين أو بين الاصلاح والجمود والبدعة والسنة)
ونشر في الجرائد في ٢٠ جمادى الآخرة الموافق ٢٠ أكتوبر

(وَقُلْ رَبِّ اَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَاَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاَجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا * وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبٰطِلُ اِنَّ الْبٰطِلَ كَانَ زَهُوْقًا)

وقع تنازع بين مجلة المنار ومجلة الازهر والمعاهد الدينية الرسمية (نور الاسلام) تعدت هي فيه البحث العلمي إلى الطعن الشخصي فأجبت أن ينحصر ردي عليها فيها ليعلم قراؤها الحق فيما نشرته من العلم والدين، فارسلت اليها المقالة الاولى من الرد فلم تنشرها بل نشرت في الجزء الذي كان ينتظر نشر الرد فيه مقالا آخر في الطعن علي ، وانتقل البحث الى الصحف اليومية فنشر فيها مقالات لأفراد من العلماء يذكرون فيها مسائل مما اتهمني به « الشيخ يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء في الازهر وأحد محرري مجلته » ويردون عليه فيها، ثم رأيت له مقالات يرد « المنار: ج ٩ » « ٨٥ » « المجلد الثاني والثلاثون »

فيها على بعضهم ويظمن عليّ وعليهم ، ثم رأيت في بعضها خبر سعي صاحب الفضيلة العلامة المصلح الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية للصالح وتماها في داره — ووصل إلي بعد عقد هذا الصلح رسالة مطبوعة باسم أخص تلاميذ الاستاذ الدجوي من علماء الازهر، وهو قريبه وامين مره المساعد له على الطعن الذي يكتبه له، نشر فيها بعض ما كتبه الاستاذ الدجوي في الطعن في مجلة الازهر أخيراً وما كان نشره في بعض الجرائد من الطعن قديماً مع تعليقات وقصائد في اطراء أستاذه بل اطراء الاستاذ لنفسه بأنه إمام المسلمين وحامي حى الدين . . . وهجوي وتكفيري بما يتعجب كل من رآه لصدوره عن أحد من رجال العلم والدين كقوله :

أترى انك البصير بشيء أنت فيه كالكلب والخنزير
وكفى ان عافاها الله من رؤى وجه كوجهك المقدور

وهذا الطعن مما يعاقب عليه القضاء قطعاً ولكنه هو نفسه أشد عقاباً لجهلته في نظر أهل الدين والعلم والادب أو كما قال المتنبي * فذاك ذنب عقابه فيه * ورأيت الناس يطالبونني قولاً وكتابة بالرد على مطاعن مجلة الازهر ويتمتعون من سكوتي عنها حتى نشر هذا بعضهم في جريدة السياسة الفراء . وإنما كن سكوتي الى الآن أنني وعدت به فضيلة المفتي إلى أن يبلغ غاية شوطه من السعي للصالح ، وقد وفيت له بوعدى، وظهر له صدقي وخداع الدجوي

وبقيت مجلة الازهر والمشيخة التي تصدرها ، فسرى ويرى الناس ما سيكون من أمرها بعد ظهور هذه الجرائم من اثنين من علماء المشيخة في مجلة المشيخة وفي رسالة تباع في الازهر نفسه، فالاستاذ الاكبر شيخ الازهر هو المسؤول عن شرفه وشرف مجلته وعلمائه ، ولم نعلم انه صدر عنهم في زمن من الازمان مثل هذا ولا ما يقرب منه

وهاءنذا أبين للامة في جرائدها اليومية موضوع الخصام والصلح الذي يسألونني عنه لأنه يتعلق بأمر دينها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما طرأ عليه من البدع والشبهات ، وموقفها بين الاصلاح والخرافات ، وما يجب عليهما من معرفة الفصل فيه بين الحق والباطل ، إذ لم تعد المسألة نزاعاً واختلافاً

بين مجلتيه يحسن ألا تعدو صحائفهما ، ولا بين شخصين مختصمين ، بل تعدتهما إلى مسألة الاصلاح الاسلامي الذي يتوقف عليه حفظ الاسلام في هذا العصر . ومسألة الجمع بين الاسلام الصحيح وعلوم العصر التي تتوقف عليها عزة الامة واستقلالها ، ومسألة جهود الازهر الماضي وتجديده الحاضر والمستقبل ، والتنازع بين النابتة التي نجحت فيه باصلاح الاستاذ الامام ، وبقايا أعشاب الجهود الضارة التي تعوق نماءها ، واستواءها على سوقها ، وإيتاءها أكلها باذن ربها

ضاق الازهر الحديث ذرعا بما كان من جهوده في القرون الاخيرة فطفق يذسوخ منه ببطء ثم بسرعة واستعجال يخشى ان يكون معه الزال ، فيتبع مدرسة دار العلوم في نزع آخر مشخصات رجال الدين عنه ، فان جذب الاستقلال المصري له صار أقوى من جذب الجهود السابق ، وهو في أشد الحاجة إلى موقف الاعتدال في الوسط الذي اختطه له الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وفيه بعض تلاميذه ومريديه ولكنهم يسترون لاجراج بعضهم منه اخراجا اداريا غريبا ويحتاجون الى قوة وزعامة تمكنهم من موقفهم في الوسط ، وحمل الميزان القسط ، ، وقد شعر أنصار الجهود بقرب زوال دولتهم وجاههم الازهري فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون ، ونهضوا بحملة جديدة على الاصلاح ساء شرحها بعد بما يدهش عقلاء الامة ويشغل صحفها ، وأقتصر في هذه المقالة على مثار الخلاف بين المجلتيين فأقول :

كانت طريقة الازهر في التعليم قبل مجيء السيد جمال الدين الاقناني الى مصر إلزام الطلبة قبول كل ما في كتب التدريس وما يقوله لهم المدرسون بالتسليم وعدم الاعتراض ، عقولهم أم لم يعقلوه ، وطريقة الاستاذ الامام التي استفادها من الافغاني وجرى عليها بالدعوة والعمل في دروسه الدينية والفنية والعقلية أن لا يقبل أحد كلام أحد بالتسليم الاعمى بل يجب الفهم والاستدلال المؤدي إلى الاقناع والتفرقة بين كلام المعصوم وغير المعصوم

في كتب التعليم في الازهر وغيرها ما يخالف اليقينيات القطعية حتى الحسية منها ، ويرى طلابه وغيرهم في كتب التفسير وشروح الاحاديث مشكلات اضطرب العلماء في حل عقدها ، ويرون في بعض أجوبتهم عنها مالا يقنعهم من يريد

أن يفهم ويعلم ، ويرون أن طالما واحداً من المحدثين الفقهاء قد ألف أربع مجلدات في الاحاديث المشككة سماء (مشكل الآثار) وهو الامام الطحاوي ، ويرون مع هذا كله في علمائهم المدرسين من يفتي بكفر من يستشكل حديثاً صحيحاً أحد المحدثين ولا سيما الشيخين رضي الله عنهما ، ويلتمس لنفسه مخرجاً من الاشكال ، وكلما كان أحد منهم يجتري ، على سؤال شيوخه الجامدين عن ذلك لئلا يرموه بالكفر

مثال ذلك أنه يوجد في الصحيحين وغيرهما حديث مرفوع خلاصته أن الشمس تذهب حين تغرب في آخر النهار فتغيب عن الدنيا وتصعد فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها بالطلوع في اليوم التالي فيأذن لها فتطلع وأنه سيأتي وقت تستأذن فيه فلا يؤذن لها ثم تؤمر بالطلوع من مغربها

استشكل هذا الحديث كبار علماء الإسلام المتقدمين والمتأخرين ولا سيما الذين عرفوا علم الفلك والمواقيت والجغرافية بأنه مخالف للحس وما تقرر في علم الهيئة الفلكية ، وصرح إمام الحرمين الشهير في القرن الخامس بما يصرح به علماء هذا العصر من أن الشمس في كل وقت تغرب عن قوم وتطلع على قوم الخ ولكن لا يزال في علماء الازهر وغيرهم من يفتي بكفر من لا يؤمن بظاهر الحديث ويسمونه مكذبا لله ولرسوله ، صرح بذلك الشيخ يوسف الدجوي في مجلة الازهر الرسمية ، ولما تنكر ذلك عليه مشيخة الازهر المستولة عن هذه المجلة . فكيف يستطيع الموقن بأن الشمس لا تغرب عن الارض طريقة عين أن يكون مسلماً على رأي هؤلاء العلماء ؟ وجميع طلبة الازهر الذين يدرسون فيه علم الجغرافية يوقنون بأن الشمس لا تغيب عن الارض طريقة عين ، وجميع المتعلمين في المدارس النظامية موقنون بهذا ، ومنهم أمراؤنا وحكامنا ومحررونا مجمعون أجمعون أكتعون أبصرون

وانني قد ذكرت في النار وفي تفسيره علة علمية تنفي صحة سند الحديث على طريقة المحدثين ومخرجاً من دلالة متنه على ما بنا في الحس لم أزل أحداً وفق لها قبلي ، وسأذكرها في الرد العلمي على مجلة المشيخة

كان الاستاذ الامام مرجماً لكل من يعرض له اشكال أو شبهة في دينه ، ومن خطلة النار التي جرى عليه من أول نشأته التصدي لادحض الشبهات وحل المشكلات

الدينية والعقلية والعلمية بالادلة الجذمة بين المعقول والمنقول

وقد علمنا أن بعض الجامدين كان يظعن علينا بما نكتبه لنحفظ على المشتبهين والمستشكلين إيمانهم بصحة كل ما جاء في كتاب الله وما صح عن رسوله ﷺ من أمر الدين، وطمعني هذا على أن أنشر في أول كل جزء من كل مجلد من مجلدات المنار (إعلاناً) أدعو فيه العلماء وغيرهم إلى الكتابة إلي بما يرونه من نقد آ فيه من المسائل الدينية وغيرها، مع الوعد بأن أنشر ما يرسلونه إلي بشرط أن يقتصر فيه على المسائل المتقدمة والدلائل على ما يراه الكاتب من الخطأ فيها من غير زيادة ولا استطراد، وأبين رأيي فيه، وما زلت أفى بما وعدت

كبر على الجامدين والخرافيين اشتجار مجلة المنار في العالم الاسلامي وما يرونه فيها من استفتاء مسلي الشرق والغرب إياها في كل ما يشكل عليهم من أمر دينهم ولا سيما شبهات الماديين والمبشرين وغيرهم، وكبر عليهم نشرنا لمناقب الاستاذ الامام واصلاحه وتجديده للاسلام فيها وفي تفسير المنار وفي التاريخ العظيم الذي دوننا فيه مناقبه في ثلاث مجلدات بلغت صفحات الجزء الاول منها ١١٣٤ صفحة. اعدا المقدمة. وصاروا لا يدرون كيف يقاومونها

تصدى الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي منذ بضع عشرة سنة (١٣٣٥) للظعن على الاستاذ الامام والتحرش بالمنار فبدأ بنشر مقالات في جريدة الافكار في الانكسار على ما نشرناه في تفسير قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) من أن النفس الواحدة ليست نصاً في أيينا آدم عليه السلام وأنه إن فرض ثبوت قول الذين يقولون إن للبشر عدة أصول أو نظرية دارون في اختلاف الانواع، فإن القرآن يبقى على عصمته لا ينقضه شيء. هذا مجمل ما قرره شيخنا الاستاذ الامام في الازهر وقرره قبله أستاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر في كتابه (الرسالة الحميدية) التي قرظها أكبر علماء سورية وعلماء الترك وغيرهم اذ ترجموها باللغة التركية وكانت سبب حفوة مؤلفها عند السلطان عبد الحميد ولم ينكر عليه أحد هذا القول في مذهب دارون ولكن أحد علماء تونس الاذكياء انتقد عبارتنا في تفسير آية سورة النساء وموافقنا للاستاذ الامام على مقاله في المسألة يقال نشرناه في المنار أجبنا عنه

من بضعة عشر وجهاً أقنعت هذا الاستاذ . وأما الشيخ يوسف الدجوي فلم أرد على ما نشره في جريدة الافكار لانه كان تحرشا وطعنا شخصيا بسوء نية غير مبني على دليل علمي فضلا عن كونه نشره في جريدة يومية ولو كان بحثا علميا لأرسله الى النار كالاستاذ العلامة الشيخ محمد البشير النيفر التونسي

ثم ان الاستاذ الدجوي كتب في سنة ١٣٤٨ رسالة في الطعن على متبعي السلف من عهد شيخ الاسلام ابن تيمية الى الآن غمز فيها الاستاذ الامام بقوله بعد اعترافه بأنه غني عن الثناء والاطراء « ولسكننا نمجبه له وقد تربى تلك التربية العقلية الفلسفية كيف يسير وراء كل ناعق من الاوربيين فيردد صدى صوته بلا نقد ولا تمحيص، وقد يكون ذلك عندهم محل الظن والتخمين أو الفرض والتقدير، وربما أول له الآيات الصريحة، أو السنة الصحيحة، قبل أن يقام عليه البرهان، أو يباحر محل الاستحسان - إلى أن قال - ولا داعي لان نفيض في بيان تلك الآراء ففي النار منها شيء كثير » اهـ

انني على الزامي لتنفيذ كل من يطعن في الاستاذ الامام قدس الله روحه أعرضت عن الاستاذ الدجوي ولم أعرض له لانه ليس بمن يرد عليهم في نظري، ولكنني أشرت في فائمة المجلد الحادي والثلاثين من النار إلى قوله اشارة ولم أسمه . وقلت ان الاستاذ الامام لا يضير مثل هذا القول فيه ...

هل يسمع قول مثل الدجوي في الاستاذ الامام انه يسير وراء كل ناعق من الاوربيين وهو هو الذي علم الازهر استقلال الفكر وعدم قبول قول لغير المعصوم بدون دليل ؟ وهو هو الذي شرف مصر والامة الاسلامية أمام أوربة باكبار شيخ الاسلام هربرت سبنسر لعلمه وعقله، وبرده على موسيو هانوتو ذلك الرد الذي اهتزت له أوربة والشرق وألجأ ذلك الكاتب الكبير والوزير الشهير إلى الاعتذار للامام المصري بما هو مشهور . وهو الذي كتب في حق العلامة المستشرق أدوارد براون من أساتذة جامعة كامبردج الانكليزية « انني ما رأيت في الشرق ولا في الغرب مثله » ؟

بيد انني أنكرت على مجلة نور الاسلام الازهرية الرسمية ما تنشره له من

للقالات والفتاوى في تأييد البدع الفاشية في عامة الامة ولا سيما بدع القبور ومثكراتها والطمع على السلفية عامة والوهابية خاصة في هذا المصر الذي أظهر فيه العالم الاسلامي كله في الشرق والغرب والوسط كصر حرسها الله العطف على الدولة السعودية والدفاع عنها ، والاتقاد على الدولة المصرية لعدم اعترافها بها ، ولمنع حقوق الحرمين الشريفين وأهلها من الحقوق الثابتة لهم في أوقاف مصر - ولو كتب الاستاذ الدجوي ما ذكر في غير مجلة الازهر الرسمية لما عنيت هذه العناية بالرد على بعض ما كتبه ولم أقرأه كله

وإنما أغنى بما يكتب فيها لصفحتها الرسمية ولأنني أعد فضيلة شيخ الازهر مستولا عن الطعن الذي وجهته إلي مع كاتبه ورئيس تحرير المجلة جميعاً

ظهرت مجلة (نور الاسلام) فأحسنتم تقريرها في المنار وتمنيت لها أن تكون خيراً منه في خدمة الاسلام لما يرجى من دوامها بكونها لمصلحة اسلامية غنية لا لشخص قد مات بموته ، ونصحت لها بما أملاه علي اختبار ثلث قرن في مثل الخدمة التي أنشئت لها ، وذكرت محردتها ومشيخة الازهر ورياسة المعاهد الدينية بأن تبعة ما ينشر فيها ليس كتبعة ما ينشر في المجلات والصحف الشخصية ليتحروا فيما يكتبون

كان المثير الظاهر لهذا الطعن فتويين مختلفتين في مسألة البدعة التي ابتدعتها المؤذنون بمصر في القرن الثامن وهي زيادة السلام على النبي ﷺ في آخر الاذان ثم زيادة الصلاة مع السلام وزيادة نداء السيد البدوي أيضاً بعد أذان الفجر . أفقيت في المنار بأنها بدعة في شعار ديني تدخل في عموم قوله ﷺ من حديث كان يقوله ﷺ في خطبته « وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » رواه مسلم في صحيحه وأفتت مجلة نور الاسلام بأنها بدعة حسنة

ثم نشرت للاستاذ الدجوي مقالا طويلا في الرد على ما كتبه المنار في هذه المسألة أكثر فيه من الطعن والتهكم والعميزة والزراية على صاحب المنار والتجھيل والتكفير له ، وقذفه بأنه كذب الله ورسوله ، وعزا اليه مسائل لا يقول بها كلها ولا ببعضها أحد يؤمن بالله وبما جاء به محمد خاتم النبيين عنه عز وجل وهي :

(١) انكار الملائكة وتقرير أنهم عبارة عن القوى الطبيعية

(٢) إنكار الجن وتقرير ان الجن المذكورين في القرآن عبارة عن الميكروبات
(٣) جواز تطبيق القرآن على مذهب داروين المخالف لقوله تعالى (ان مثل
عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) الآية

(٤) افتاء التلاميذ المسلمين بالصلاة مع النصارى في الكنائس « ليفرس في
قلوبهم النقية تلك الطقوس النصرانية وينتش في نفوسهم الساذجة ما يسمعون من
القسوس والمبشرين هناك » — بهذا علل الفتوى المفتراة أي انني أفتيهم بهذا
لاجل أن يكونوا نصارى، فجعل العالم المسلم داعية الاسلام ومدرسه داعياً الى
النصرانية وهو الذي قال القس زويمر أجراً للمبشرين على الطعن في الاسلام حتى
إنه طعن عليه في الجامع الازهر : انه لا يوجد في علماء المسلمين من يدافع عن الاسلام
بحجة وعقل إلا صاحب النار

(٥) قوله [كبرت كلمة تخرج من فيه] وعليه إنمها وعلى المجلة التي نشرتها
والشيخة المتولية إصدارها مانصه « بل وصل الامر من مجتهدنا (الذي يبحث في
جميع شؤون الإصلاح الديني والمدني والسياسي) كما يقول في مناره — أن اجتراً
على تكذيب رسول الله ﷺ فيما اتفق عليه البخاري ومسلم من ان الشمس تسجد
تحت العرش » وأطال في هذه التهمة بما خرج به عن موضوعها كمادته حتى قال
« فالشيخ إذاً مخطئ » والله ورسوله مكذب للقرآن والسنة وإن شئت قل مجهل لها !!
قال الشيخ يوسف الدجوي لا يستغرب منه مثل هذا الاقتراء والبهتان وإنما يستغرب
نشر مجلة الازهر له وهي لسان حال مشيخته .

(٦) قوله « رد الاحاديث التي في البخاري وغيره الناطقة بان آية (الشيخ
والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) كانت قرآناً يتلى » وقدرده كبار الفقهاء من قبل
(٧) « رد الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في سحر النبي ﷺ رد
ذلك بتمويهات وخيالات لا تطيل بها » والذي طعن في صحة هذا الحديث هو

الاستاذ الامام وسبقه إلى رده الامام الجصاص . والنمويات والخيالات التي زعمها هي تنزيه النبي ﷺ أن تؤثر في نفسه القدسية التي تتصل بروح الله الامين أن تسلط عليها نفس ساحر يهودي مدة سنة في بعض الروايات وستة أشهر في رواية أخرى حتى يتوهم ﷺ انه يقول الشيء ولم يكن قاله ويخيل اليه انه فعل الشيء الذي يترتب عليه حكم شرعي كالغسل ولم يكن فعله !! هذا مبلغ تعظيمهم للنبي ﷺ يجوزون عليه هذا ويحملونه من قبيل الامراض البدنية حتى لا يجوزوا على البخاري انه أخطأ في تعديل أحدهم الرواة الذين روى عنهم هو وغيره هذا .

هذه هي التهم التي أوردتها في مقالة بدعة الزيادة على الاذان وحدها في سياق طويل فلما رأيتها شرعت في الرد عليها وأرسلت النبذة الاولى إلى فضيلة رئيس تحرير المجلة مع كتاب خاص قلت له فيه انه أهان نفسه وعلمه بقبوله لرياسة تحريرها والقيت التبعة عليه وعلى فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في نشرها ، وان المخرج لما من التبعة السامح لي بما يوجب عليها الشرع وكذا القائلون من نشر ما أكتبه من الرد عليها ، وبأثني أرضى بتحكيم فضيلة مفتي الديار المصرية العلامة التقي الشيخ عبد المجيد سليم في ردي وما عسى أن يردوا عليه لا لمنصبه بل لعلمه وإنصافه وتنزهه عن المحاباة

وقد كبر على فضيلة المفتي ما نشرته المجلة وأخبرني ان فضيلة شيخ الجامع استاء منه وانها اتفقا على السعي للصلح . وسأبين للامة ما كان من أمر الصلح وخداع الخصم فيه في المقال التالي

المقال الثاني

﴿ في السعي للصلح والمرحلة الاولى له في دار المفتي ﴾

نشر في الجرائد في ٢٨ و ٢٩ جمادى الآخرة

بينت في المقال الاول ما كان من التنازع بين المنار ومجلة مشيخة الازهر (نور الاسلام) وأبين في هذا كيف كان الصلح بدءاً وختاماً

قد راع صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية ، وشق عليه أن يرى في مجلة مشيخة الازهر مثل تلك المقالة التي نشرتها في الجزء الخامس بعنوان (صاحب المنار . والصلاة والسلام على النبي ﷺ بعد الاذان) وإمضاء (يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء بالازهر) وهو هو الغيور على شرف علماء الدين وعلى مجلة الازهر ، واستغرب ما فيها من التهم التي رشقت بها مجلة المنار وصاحبها ، وهو من أعلم العلماء بقيمة المنار وما خدم به الاسلام مدة ٣٥ سنة ، ويقتني جميع مجلداته ، ويعرف شخص صاحبه معرفة علم وأخلاق ، وقد عرف مثار الشبهات لبعض التهم ، وما فيها من تحريف الكلم ، لعله بما كان قرره الاستاذ الامام أو كتبه فيها كسالة الملائكة ومسألة سحر اليهودي للمصطفى أعزه الله عز وجل وأجله . وصلى عليه وسلم ، وبما نشره المنار في بعضها أو فيها كلها .

وكان أروع ما راع فضيلته وأغربه وأبعده عن الشبهات ان يرمى صاحب المنار بافتاء طلاب العلم في المدارس الاجنبية بأن يصلوا مع طلبة النصارى صلاتهم في كنائسهم لاجل أن يكونوا نصارى !! فلم يملك نفسه ان سألني بالمسرة (التلفون) ^(١) عنها وهل يوجد في شيء من مجلدات المنار عبارة يمكن أن تتخذ شبهة عليها ؟ فقلت بل يوجد حجج كثيرة على ضدها آخرها فتوى طويلة في الجزء الثالث من منار هذه السنة

ثم ان الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر أخبر الاستاذ المفتي بأنني أرسلت

(١) كنت في أيام طلب العلم أطلقت على التلفون اسم المسرة من قول القاموس المسرة بكسر الميم الآلة التي يسار بها كالطوماراه ثم سماها الكتاب السوريون الهاتف

إلى مجلة (نور الاسلام) مقالة في استنكار جريمتها والرد عليها ، وإن مقدمة الرد شديدة الهجة ، خلافا لما قاله كل من رآها في دار المنار إذ وصفوها بأنها في منتهى اللين واللفظ ، في مقابلة طعن هو في منتهى المهجو والمنف ، واتفق الشيخان على وجوب الصلح ، ونيط السعي له بالمفتي للاجتماع على إخلاصه وإنصافه ، فأرسل إلي رسولاً يكشفني به ويعلم ما عندي تجاه هذا البهتان المبين ، فسمع الرسول مني ما لم يكن يحسب من آيات الحلم وسعة الصدر وهو أنني لا أشرط للصلح إلا أن تنشر لي المجلة كل ما أرد به على التهم التي قدفتني بها رداً علمياً لا طعن فيه ولا سباب ، ولا نيز بالالقاب ، وإن الغرض منه أن يعلم الذين قرؤوا تلك التهم الباطلة ما عندي من الأدلة العلمية على اقتراف بعضها وبطلان بعض وتحقيق الحق في مسائلها ، وهي مسائل اعتقادية وعملية شرعية يجب لهم على المجلة وعلى ممحيص الحق فيها ، وأنه ليس لي حظ نفسي في تحقير كاتبها بمثل ما قاله في — فبلغ المفتي شيخ الازهر هذا الجواب ، فاتفقا على أن هذا حق

ثم دار الحديث بيني وبين المفتي في الموضوع بالمسرة ثم بالمشافة في دار المنار إذ تلمظ بزيارتي فيها في أول هذا الشهر (جمادي الآخرة - أكتوبر) وكان مما قاله إنه متفق مع الاستاذ الأكبر على أن لي الحق في الدفاع عن نفسي وفي كتابة كل ما أعتقد أنه حق وخدمة للاسلام والمسلمين ، فإن هذا مما ليس لأحد أن يطالبني بتركه ، وإن على مجلة نور الاسلام أن تنشر لي ما أكتبه من الرد العلمي الذي طلبته ، وإنما المراد من الصلح عدم العود إلى طعن أحد في شخص الآخر بتجهيل ولا غيره ، وإنها برغبان إلي ترك الرد إلى أن نجتمع به ونبرم الصلح . فوعده بذلك

ثم جاني في ضحوة اليوم الرابع من الشهر الاستاذ الشيخ محمد حامد المفتي رسول المفتي الاول وقال ان فضيلة الاستاذ المفتي بقرئك السلام ويخبرك بأنه كلم الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي فيما اتفقنا عليه من أمر الصلح وشرطه فرضي به ووعد بان يكتب هو في مجلة نور الاسلام عبارة يعترف فيها بخدمة المنار للاسلام ومواقفك المحموده فيها . . . وان الاجتماع لعقد الصلح سيكون بدار فضيلته بعد عيد الجلوس الملكي لانهم سيسافرون كلهم إلى الاسكندرية لاجله

ثم بلغني المفتي في يوم الثلاثاء الحادي عشر من الشهر دعوته إيانا إلى الغداء في داره، لأجل الصلح في يوم الخميس الثالث عشر منه فأجبت، ثم أرسل إليّ سيارته بعد الظهر من ذلك اليوم فوجدت عنده أصحاب الفضيلة الاساتذة الشيخ فتح الله سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا والشيخ احمد حسين مفتي وزارة الاوقاف والشيخ محمد الخضر رئيس تحرير مجلة نور الاسلام والشيخ طه حبيب المدرس بالازهر والمحرر في مجلة نور الاسلام والشيخ محمد حامد الفقي من علماء الازهر وخطباء المساجد وكان معي ابن عمي السيد عبد الرحمن عاصم . وبعد وصولنا بقليل جاء الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي فقامت له مع القائمين وصاحته ، واعتذر الاستاذ الاكبر عن الحضور بالتيات صحته، ولم نلبث أن قمنا الى المائدة النفيسة الدالة على سخاء صاحبها وحسن ذوقه

وبعد الطعام خرجنا الى حجرة القهوة والحديث . فافتتح فضيلة المفتي الكلام بالشكر لنا على قبول دعوته إلى طعامه والى ما هو خير منه وهو الصلح بين المجتئين الاسلاميتين والمحررين لها ، وقال ان مجلة المنار تخدم الاسلام خدمة جليلة منذ خمس وثلاثين سنة ولصاحبها فلان من البلاء والجهاد في هذه السبيل ما عرف له فضله فيه جميع العالم الاسلامي وأصبح لمجلته مركز عظيم في نفوس المسلمين في مشارق الارض ومزاربها . ومجلة نور الاسلام قد أنشئت أيضا لأجل هذه الخدمة للاسلام بعينها وتتولى إصدارها ونشرها أكبر هيئة دينية اسلامية فالمرسوم واحد والقصد واحد ، والحاجة الى التعاون بينهما شديدة ، وخصوصا الاسلام من الملاحدة ودعاة النصرانية (البشرين) والقائمين للعامة باباحة الفسوق والشهوات كثير من المصلحة الاسلامية قاضية بتوحيد عملهما . وفضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي يخدم الاسلام بعلمه وبالتحرير في مجلة نور الاسلام ، فأجدر بالشيخين وبالمجلتين أن يتحدوا ويكونا إلباً واحداً على العدو المشترك ، وقد شجر بينهما من الخلاف ما أسفله الجميع ، وغرضنا من هذا الاجتماع ان يتصالحا ويتصافيا ويتناسيا الماضي المؤسف ، فهذا ما يهمننا ويهم كل مخلص للدين وأهله هذه خلاصة ما فاه به الاستاذ المفتي ، وتلاه الاستاذ الدجوي فقال انه لا بد

من ذكر سبب الخلاف والشقاق وما يبنى عليه الصلح وهو ان يكف الشيخ رشيد اخوانه او جماعة الوهابيين عن تكفير المسلمين وحملهم على عقائدهم او مذهبهم بالقوة واستباحة دمائهم ، ويكف أتباعه — أو قال أذنا به — عن الكتابة في الصحف وغيرها ... وطلق يفيض في هذا الموضوع. فعارضه المفتي قائلا نحن لا نريد نبش الماضي وبعثه من قبره بل نريد دفنه وتناسيه، ولا شأن لنا الآن بالوهابية ولا بغيرهم ، لأننا لا نحاول الصلح والاتفاق لمصلحة جماعة دون جماعة ولا هيئة دون هيئة ، بل نريد مصلحة المسلمين جميعا ، على أن يخدم كل منكم الاسلام بما يعتقد من غير أن يحس كرامة الآخر

حينئذ قلت : أما وقد قال الاستاذ الدجوي ما سمعتم فلا مندوحة لي عن جوابه لان الاتفاق والتعاون يتعذر مع سوء ظن كل منا بالآخر

قد سمعتم ما يقول في الوهابية وما يرميهم به وانه يعدني منهم مع سوء اعتقاده أو ظنه بهم . وقد كتب كثيرا في الطعن عليهم وكان يذكرني في أثناء مطاعنه بدون أدنى مناسبة ويلقبني بمفتيهم وزعيمهم ، فلهن في خياله أقبح صورة تتمثل في شخصي

القول الحق في الوهابية وسبب الطعن عليهم

انني أعلم حق العلم انه ليس في الدنيا مذهب يصبح أن يسمى مذهب الوهابية وان أهل نجد الذين يلقبهم غيرهم بالوهابية لا يلقبون أنفسهم بهذا اللقب ، وهم حنابلة ليس لهم مذهب غير مذهب الامام احمد بن حنبل أحد الأئمة الذي يعترف له جميع أهل السنة بالامامة ، بل انتهت إليه إمامة السنة في عصره بغير منازع ، وانما ينسبون أنفسهم الى السلف في العقائد وما كان أحد الا إمام السلف في عصره . وما زال أهل الحديث كلهم ينتمون اليه . وقد صرح الامام أبو الحسن الاشعري باتباعه له

أما سبب اتهامهم بابتداع مذهب جديد في الاسلام فهو ان الدولة العثمانية قد رأتهم قاموا بنهضة دينية في جزيرة العرب أبدتها إمارة آل سعود ، فخافت أن يؤسسوا دولة عربية تنزع منها سيادتها على الامة العربية فخاربتهم بالسلاح ، وبنيزم

بالابتداع في الاسلام، وجعلت قتالهم لها - وهي المعتدية - دليلاً على تكفيرهم المسلمين واستباحة دماء من لا يتبعهم في مذهبهم، وأغرت بعض العلماء الذين يخضعون للسلطين والحكام ويخضعونهم بكل ما يهونون أن يردوا عليهم، فألفوا الرسائل في الطعن عليهم في دينهم، لتكفير عرب الجزيرة وغيرهم وصددهم عنهم، كما أغرت الامارة المصرية العلوية بقتالهم بعد أن استولوا على الحجاز وعجزت عن إخراجهم منه وأما صاحب النار فيعلم السادة الحاضرون وكل من يقرأ المنار أنه لا يقلد في عقيدته أحداً من الأئمة فكيف يعقل أن يقلد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - على فرض أن مذهبها خاصاً غير مذهب الإمام أحمد وسلف الأئمة؟ فمن لا يقلد الإمام الأشعري وقد نشأ على مذهب الأشعرية فأجدر به أن لا يقلد الشيخ محمد بن عبد الوهاب الأستاذ الدجوي وجه عنايته في مجلة مشيخة الأزهر وغيرها إلى الطعن في الوهابية وجعلهم شر خلق الله، وإلى تأويل البدع والخرافات الفاشية عند غيرهم ونرى رزاياها ومفاسدها في بلادنا من توجه الألوف بل الملايين من الجاهلين في قضاء حاجتهم وشفاء مرضهم والانتقام من أعدائهم إلى أضرحة الميتين حتى من لا يعرف لهم في الاسلام ذكر ولا قدم صدق، وربما كانت أضرحتهم مزورة، فيشدون إليها الرجال ويحملون إليها النذور ويقربون لها القرابين، ويفتيهم بجوار ما يفعلون من استغاثة الموتى ودعائهم ويتأول لهم ذلك بالمجاز العقلي والمجاز اللغوي بقرينة كونهم مسلمين موحدين، وكلنا نعلم أن السواد الأعظم منهم لم يتلق عقيدة الاسلام من عالم ولا من كتاب من كتب الاسلام الصحيحة، وإنما يتلقونها عن أمهاتهم وجداتهم وأقربائهم ولداً لهم ثم انه يعلم بما عليه الألوف من أهل البلاد من ترك الصلاة ومنع الزكاة، وكذا الصيام، ومن استباحة السكر والزنا والقمار وغيرها من الموبقات، وأعني بهذا عدم الاذعان النفسي العملي للأمر والنهي وهو حقيقة الاسلام، ثم انه لا يكتب شيئاً في مجلة مشيخة الأزهر في النصيح لهؤلاء ولا لاولئك، وإنما يوجههم إلى الوهابية فيطعن عليهم ليردوهم عما يتهمهم به من تكفير المسلمين واستباحة دمائهم، وهو يعلم أنه ينسدر فيهم من يقرأ كلامه، وإن من عسى أن يقرأه منهم لا يعتقد بطله ولا باخلاصه، وهم يعلمون من أنفسهم - كما يعلم كل من اختبرهم - أنه لا يكاد يوجد

في بلادهم كلها من يترك صلاة الجماعة ، ولا من يجهر بفاحشة معينة ، والسرائر علمها عند الله . وعلماء الوهابية لا يكفرون أحداً من أهل القبلة إلا بما أجمع فقهاء أهل السنة على أنه كفر وردة عن الاسلام ، فهم يخالفون مذهب الامام احمد في هذه المسألة وفي مسألة أخرى لا أعلم لهم غيرها ، وأعني بالمسألة الاخرى أنهم يقدمون العمل بالحديث الصحيح المخالف لرواية المذهب عليها ، ولكن اتفاق الأئمة الاربعة على ترك العمل بحديث آحادي يعدونه دليلاً على وجود مانع من العمل به ؛ كحالة في سنده أو معارض لنته من نسخ أو غيره ، وما يذكرونه في كتبهم من أحكام الردة فيقال فيه ما يقال في سائر أحكام الردة عند غيرهم من علماء سائر المذاهب : إنها بيان للحكم منوط بالدليل قوة وضعفاً ، ونحن نرى فقهاء المذاهب كلها يختلفون في المسائل الاجتهادية من هذه الاحكام حتى ان ما يعد كفراً وردة عند الحنفية (مثلاً) قد يكون حراماً أو مكروهاً عند الشافعية . فمثل هذا البيان لا يسمى تكفيراً للمسلمين بالفعل لكثرة من تنطبق عليهم هذه الاحكام ، ولا يترتب عليه سفك الحاكم المسلم لدمائهم وإجراء أحكام الردة عليهم . فإن تكفير الشخص المعين لا يصح إلا بحكم يبنى على ثبوت الردة مع مراعاة درء الحدود بالشبهات ، كالتأول والجهل فيما يعذر به الجاهل ونحو ذلك ، ولهذا يحتاط جميع العلماء فيه ويشددون في النهي عن تكفير الشخص المعين . مثال ذلك ان الامام احمد يقول بكفر تارك الصلاة ، فعلى قاعدة الاستاذ الاجوي يصح ان يقال ان هذا الامام الجليل يستبيح دماء هؤلاء الالوف الذين تراهم في وقت صلاة الجمعة تفص بهم أسواق القاهرة وشوارعها ، وتكتظ بهم ملاهيها وحاناتها ، دع سائر الصلوات التي يمكن التماس العذر لمن يترك جماعتها بأنه قد يصليها في بيته ، فان صح هذا القول عند الاستاذ في إمام الأئمة أحمد بن حنبل فكيف يعاب به أتباعه الملقبون بالوهابية ؟

ان النجديين يخالفون امامهم في مسألة التكفير بترك الصلاة لأنها ليست اجماعية في غير المستحل للترك ، الذي لا يدعن للأمر والنهي ، كما قلت آنفاً . هانحن أولاء نرى حكومتهم في مكة المكرمة تقيم حدود الشرع كلها ، فتقطع يد السارق ، وتقتل القاتل ، وتقيم الحد على السكران ، إذا ثبت عليهم ذلك شرعاً ،

ولم ترها ولا سمعنا عنها أنها أقامت حد المكفر على أحد ممن على غير مذهبها الحقيقي وهو مذهب أحمد بن حنبل، ولا مذهبها المزعوم الذي يقول الاستاذ الدجوي أنها تجبر الناس عليه بالقوة، مع علم الملايين من الناس أن أهل الحجاز لا يزالون على مذاهبهم ولا أنكر مع هذا البيان أنه يوجد في النجديين غلاة في الدين، ولا سيما قريبي العهد بالبدأة وجفوتها وجهالتها، وهؤلاء الغلاة الجاهلون يجتهدون ما حكمهم بتحضيرهم وتعليمهم، وقد قاتل في العامين الماضيين طائفة منهم كما هو مشهور، ولا تجد مثل هذا الغلو في الحضر منهم، وأكثرهم أو كلهم يعرفون أمور دينهم، وأنا أرى وكل حكومتهم في مصر الشيخ فوزان السابق يصلي الجمعة في المساجد المتعددة فلو كان يعتقد أن أئمتها والمصلين فيها كفار لما كان يصلي معهم

وإذا كان حال بدو زماننا على ما نعلم فماذا نقول فيهم قبل بث النجديين للدين فيهم؟ كانوا يجهلون جل عقائد الاسلام ويتركون أركانه، ويستحلون قتل الحجاج وغيرهم، لتوم ريال واحد يوجد عند أحدهم، وقد بطل هذا من نجد ثم من الحجاز بارشاد هؤلاء الوهابيين وتنفيذ حكومتهم للشرع

هذا ماقلته في مجلس الصلح ردّاً على الاستاذ الدجوي بإيضاح ما في العبارة المكتوبة دون زيادة في أصل الموضوع

وقلت أيما! نتي أنصح لهم بل للمكهم نفسه في كل المسائل التي تشرع فيها النصيحة بمكتوبات خاصة لا بالشهير في المنار أو الصحف، فإن هذا هو الذي يرجى نفعه ويعد امثالاً للامر بالتواصي بالحق والصبر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد أبلغ في النصيحة والموعظة بما يستكبره ويستنكره بطانة الملك السعودي لأنني أسلك فيه طريقة السلف الصالح في موعظة الخلفاء والامراء وهو يجب هذه الطريقة وقد ألفها من علماء قومه

ثم ان الاستاذ الدجوي ادعى أنني أنا المعتدي عليه بالرد والتحقيق وأنه ليس الا مدافعاً عن نفسه فاخرجت من جيبي كتاباً كان أرسله الي منذ ١٣ شهراً هو نموذج من رسالته التي أشرت اليها في المحو والتكفير... فامتقع وقبع، وثني صدره ليستغني منه، وشخصت اليه أبصار القوم حتى تمنى السيد عاصم لو كان بصيراً

خيرام، ولكنه قال انني اعترضت عليه قبل هذا فقلت عند دخول مجلة نور الاسلام في سنتها الثانية انها كانت جديرة بالتهمة لولا ما ينشر فيها للشيخ الدجوي... فقلت له وهل تعد هذا كله عملاً بقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله) ؟

ثم قال الاستاذ المفتي : حسبنا ما ذكر عن الماضي ويجب أن ننظر الآن في أمر الحاضر والمستقبل ، ونعقد الصلح على عدم إثارة شيء مما تقدم ، قال الدجوي : لا بد أن يكف الشيخ رشيد أذنبه عما يكتبون في الجرائد انتصاراً له . فقلت أنا انه ليس لي أذنب ولا أتباع ، وهؤلاء الذين يردون على الاستاذ الدجوي وعلى مجلة الازهر في الجرائد ليسوا من أتباعي ولا من تلاميذي وإنما هم من علماء الازهر . والمعروف منهم من أصدقائي وإخواني مستقلون في آرائهم وعلمهم ، وأنا من أشد الناس احتراماً لاستقلال الرأي وحرية العلم والمناظرة لاهلها حتى تلاميذي منهم

ووافقتني بعض الاشياخ الحاضرين على قولي وقال أحدهم ان هؤلاء الذين يكتبون في جريدتي السياسة والجهاد في الرد على مجلة المشيخة هم من علماء الازهر الذين فصلتهم المشيخة منه في العام الماضي والسيد رشيد غير مسئول عنهم لان لهم مرمى آخر ووجهة أخرى ، وما أظن انهم يرجعون عن الكتابة مما يكن من امر الصلح والنهي ، فلا يصح أن نجعل كمنهم شرطاً للصلح ، وهذا لا يمنع ان يرجوهم فضيلة السيد رشيد او غيره أن يخففوا من حدة اقلامهم ويقصروا كلامهم على المناقشة العلمية الهادئة ثم دار البحث في الطريقة التي يعمى بها ما كان لما كتبه الاستاذ الدجوي في مجلة نور الاسلام من أثر فاتفق الجميع على أن يجاب السيد رشيد إلى ما طلبه من الرد على المسائل التي اتهم بها كتابة علمية لا يعرض فيها لفضيلة الشيخ الدجوي ولا لغيره بما يسوء من طعن شخصي ، بان يذكر التهم واجدة واحدة ويرد عليها بما عنده من الأدلة والشواهد من مجلته وتفسيره ، ويرسلها إلى رئيس تحرير المجلة فينشرها فيها ، ولا تمحى الفضيلة المفتي ونائب المحكمة الشرعية العليا ومفتي الاوقاف الحاضرين الحكم الفاصل في موافقة ما يكتبه السيد لهذا الشرط أو عدم موافقته ، فرضى الفريقان بهذا

وسأل الاستاذ الشيخ فتح الله سليمان من المسئول بالتزام النشر في مجلة نور الاسلام؟ قال الاستاذ رئيس التحرير الشيخ محمد الحضر والاستاذ الشيخ طه حبيب المحرر فيها بموافقة الشيخ الدجوي إننا ننشر
ثم ذكر الاستاذ المفتي ما كان سبق اقتراحه في مقدمات الصلح من كتابة الاستاذ الدجوي في المجلة ثناء على الاستاذ صاحب المنار لاجل تحديده، فأبى الدجوي البحث في تحديد ذلك وقال انه هو سيكتب ما يرجي أن يمحوا أثر المقاتلين وينشره واتفق الجميع على انه يحسن في اتقاء تجدد النزاع أن يتشاور الفريقان فيما يعرض للكتابة من المسائل الخلافية ويتقيا على الطريقة التي يكتبان فيها ، كما يحسن أن يتزاورا الشيخ الدجوي والسيد رشيد لتأكيد المودة وتوطيدها ، وتمنوا لو يكون هذا الاتفاق مهيئاً لعقد مؤتمر علمي لتحصيل المسائل وحل عقد المشاكل بين العلماء واصلاح حال المسلمين .

ثم نهضوا إلى صلاة العصر مسرورين مقتبطين شاكرين لفضيلة صاحب الدار ومفتي الديار صفيه ، وقدم هو السيد رشيداً للصلاة بهم إماماً ، فسروا باقتداء الشيخ الدجوي به في الصلاة إذ ظهر به أن ما كتبه في تكفيره نصاً أو اقتضاء فهو عقوبة لا عقيدة . وبعد أداء الصلاة بالجماعة قاموا لشرب الشاي والتحاور الاخوي في شجون الكلام . ثم انصرف الجمع مسرورين

ولم نكد نصل نحن الى دار النار حتى علمنا منها ان مطبعة الاستاذ الدجوي التي يتولى إدارتها ابنه فهمي افندي بدأت توزع في القاهرة أثناء عقد الصلح رسالة اسمها (صواعق من نار في الرد على صاحب المنار) فعلمنا انه حضر مجلس الصلح من جهة ونقضه في وقت عقده من جهة أخرى

فهذه خلاصة خبر المرحلة الاولى لعقد الصلح . وسأبين في المقال التالي ما كان من دعوة فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الازهر الى استئناف الصلح واجتماعنا له في إدارة المأهدين الدينية وفشل هذه المرحلة الثانية أيضاً ، ويتلو ذلك الرد على البهتان الذي ذكرت أمهات مسائله في المقال الاول من غير ذكر اسم الشيخ الدجوي لأنني لا أَرْضَى أن أكون مناظراً له ولا خصماً ، واعلم ان العاقبة للمتقين

المقال الثالث

(الرحلة الثانية من مراحل الصلح في إدارة المشيخة والمآهد الدينية)

في مساء يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة (وأكتوبر) التقيت في احتفال وزير دولة الاقنات المقوض بعيد جلوس ملكهم (صاحب الجلالة محمد نادر خان) بأصحاب الفضيلة شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وهيب السادة الاشراف وشربت الشاي معهم على مائدة واحدة وجرى في حديثنا ذكر الصلح، فقلت ان الشيخ الدجوي قد قضى الصلح في أثناء عقده بتوزيعه لرسالته البذيئة. قال المفتي ولكنك أنت لا تنفضه، قلت وهل يكون الصلح من طرف واحد؟ وسألت شيخ الجامع هل اطلعت على الرسالة؟ قال لا. فأخرجتها من جيبى وقرأت له بعض الايات التي تخاطبني بالكذب والتحذير والوجه المقذور، وقلت أهكذا تكون آداب علماء الدين؟ فامتعض وامتقع ووجم، وقال المفتي ان مثل هذه الرسالة لا تؤثر في مقامك من العلم والدين وسعة الصدر. أو كلاما بمعنى هذا. قلت ولكنها تحط من قدر علماء الدين وشرفهم الذي يجب على الاستاذ الاكبر أن يحافظ عليه. وأما أنا فأتمثل فيها بقول المتنبي * فذاك ذنب عقابه فيه * فلا أجازي على هذه السيئات بمثلها ولا يستطيع عدو أن يبلغ من مجترحها ما بلغته منه. ولكن لا يسعني بعد اليوم السكوت عن رد المطاعن والتهم التي افترت علي، وقدأكثر الناس من مطالعتي بذلك مشافهة ومكاتبة ونشراً في الجرائد

قال المفتي انني أرسلت الى الشيخ الدجوي صديقا له يكلمه في وجوب الامساك عن نشر الرسالة ووعدته بان أدفع ثمن نفقة طبعها للطابع ونعود الى إتمام الصلح. قلت ان الطابع لها هو ابن الشيخ الدجوي في المطبعة التي أنشأها له والده وان هؤلاء لا يصدقون، وأنا لا يهمني نشرها ولا جمعها، ولا يهمني قبض الدجوي للصلح ولا وقاؤه به، وإنما يهمني شيء واحد وهو ان تنشر لي مجلة مشيخة الازهر ما أفند به التهم التي نشرتها له، وأنا على شرط من اجتناب الطعن والهجو الشخصي وفي اليوم التالي كتبت مقالاً في الاول وأرسلته الى الجرائد فنشرته في ٢٠ و ٢١ من الشهر،

فلما قرأه شيخ الازهر اهتم بالامر، فكم المفتي في وجوب تداركه في ابانه، وأخذه بربانه، قبل أن أبسط المسألة في الجرائد، يتسع الخرق على الراقع، فكلمني المفتي بالمسرة وهو معه مبتدئا بعتابي على النشر في الجرائد، فكان هذا أول تجاذف منه وتزاور عن موقف القسط الذي كان يقيم ميزانه، فطفقت أحتج فقاطعني قائلا ان الاستاذ الاكبر معي يدعوكم الى الاجتماع في إدارة المعاهد الدينية يوم الاربعاء للنظر في المسألة فإذا قبلت فلك هنالك أن تدلي بكل ما عندك وتنظر فيه بالانصاف. قلت لا بأس واني لحبيب، قال واني أرسل اليك السيارة عند انتهاء الساعة العاشرة، ونرجوك ان تمسك عن النشر حتى نجتمع وتنظر في الامر

اجتمعنا في الساعة العاشرة و ٣٠ دقيقة وكان في المجلس أصحاب الفضيلة شيخ الجامع والمفتي ووكيل الازهر والمعاهد الاستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف القحام والاستاذ السيد الشنواني وهو نائب عن الاستاذ الدجوي الذي سافر الى بلده في الريف لحضور مأتم فيها

بدأ الاشياخ الكلام بعتابي على النشر في الجرائد فقلت هل من العدل والانصاف أن يطلب مني السكوت عن الدفاع عن نفسي وبيان حقي في مسألة تداولتها الصحف اليومية، وتناولتها أيدي جميع طبقات الامة، وكثر تساؤل الناس كيف يسكت صاحب المنار عن الرد على الصجني عليه وبهته بأفحش البهائم في دينه وعلمه وأدبه؟ والقاعدة الاصولية انه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، وهو قد تجاوز الحاجة معي الى الضرورة، قال متى ينتظر مني أن أسكت وقد سكت أكثر من شهر ونصف شهر؟ قل المفتي لا تقول إنه لاحق لك في البيان، ولكني لم أفهم منك في دار سفارة الاقنان أنك عزمت على الرد في الجرائد، وقد تعرضت في مقالك للكلام في الازهر ولا يصح ان نجعل الازهر مضغة في الافواه بنحوض الجرائد فيه وأنت تحرص على كرامته مثلنا

قلت نعم ولكن اللوم كله على مشيخة الازهر فالطعن على قد ظهر في مجلتها في أول الشهر الماضي، ثم تكرر في أول هذا الشهر بعد السعي من قبلها في الصلح وكان من أمر قرض الصلح ما علمت، فأنا أصارحكم هنا بأنني لا أبالي بطعن الشيخ الدجوي ولا بكفيره لي، ولا بتفضيه للصلح، ولا برسائله البذيئة التي ذكرت لكم

بدار سفارة الافغان رأيت فيها، وفيما يجب على مشيخة الازهر تجاه صدور مثلها عن رجل من كبار علمائها الرسميين، وخاطبت شيخ الازهر مصرحاً له بما كنت أقبله لحفظ شرف الازهر لو كنت في منصبه (ولكنني لا أنشر هذا ولا مناقت عليه الدليل من حرصي على كرامة فضيلته واجتنابي مشايعة الجرائد على خوضها فيه) وقلت ان السيد طاصاً قال للذي يبيع الرسالة البذيئة في الازهر انني اطلب ما اني نسخة لارسالها الى الخارج فأين أجدها؟ قال عند فضيلة الاستاذ الدجوي، فخطر في بالي انه ربما كان يريد نشرها في الخارج لاجل فضيحة الازهر بها ولكن قاعل هذا الانتقام يدخل في عموم (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) فهذا نهيتهم عنه.

ثم قلت ولكن الذي أباليه وأهتم به محصور في مجلة المشيخة. هذه المجلة التي أقيمت الدليل في تقييها على أنني أتمنى لو يكون توفيقها لخدمة الاسلام والمسلمين أكبر وأتم مما وفقت له في المنار، لان خدمة المنار لا يرجى أن تتجاوز عمري وقد دخلت في سن الشيخوخة ولم يبق من العمر إلا قليل، ومجلة نور الاسلام تابعة لهيئة اسلامية غنية يرجى بقاؤها وأقسمت على صدقي في شعوري هذا (وكادت تغلبني الدموع على الكلام، فدما لي الشيخ الأكبر ومن معه بطول العمر ودوام التوفيق)

ثم قلت وانه ليحزنني أن يحجب أمني وأمل كل من أعرف من فضلاء الازهرين وغيرهم في المجلة بل زارني من لم أكن اعرف من الخطباء الذين يطوفون في البلاد لبث الوعظ والارشاد من قبل المشيخة، فسمعتهم يقولون ان هذه المجلة أوقعتنا في مشكلة فنحن ننهي الناس عن البدع ولا سيما بدع المقابر والموالد ثم نجيء بمجلة المشيخة والمعاهد تدافع عن هذه البدع وتتأول لفاعليها بما يعد أعمالهم هذه مشروعة (وذكرت من اقوال ارقى علماء الازهر فيها ما لاحاجة الى اذاعته في الصحف الآن) حتى انتهى امرها الى نشر المقالتين الاخيرتين في الطعن على، ولا شك في انه طعن بسوء النية لما فيه من الافتراء والبهتان وتحريف الكلم في النقل، ولم يترك كاتبهما شبهة ولا خاطر أيرى انه يثبت للناس فيه جهل صاحب المنار إلا وكتبه ونشره حتى انه يذكر أصغر الأمور التعافيه مع التكفير وكبائر الموبقات كتجديله لصاحب المنار بالنحو لاستعماله كلمة

القبوريين واظهاره لحجته بإيراد قول ابن مالك * والواحد اذا كر ناسبا للجمع * ولا يجهل مثله ان شرط امتناع النسبة إلى الجمع ألا يكون علما أو جرى مجرى العلم كالجزائري والمقابري والانصاري والكرايسي والمصاحفي، وقد ذكرت أمثلة أخرى من أنساب العلماء والمحدثين. وقلت إن كلمة القبوريين قد جعلت علما على المفتونين ببدع القبور وقد استعمل العلماء هذا في كثير من الكتب المطبوعة ومن أشهرها كتاب (صيانة الانسان) الذي رده أحد علماء السند على الشيخ احمد دحلان في طعنه على الوهاية ويعاذ طبعه الآن

ومن الغريب انه اتهمني بانني أحل الربا وافتائي بجواز الانتفاع بالرهن وانما كانت فتواي بهذا نقلا لعبارة كتاب المفتي في المسألة، وهو وأجل كتب الفقه او من أجلها ولم أزد عليها إلا قولي: ومنها يعلم الحكم في المسألة — وأرى جميع علماء الازهر يأكلون الربا والله تعالى قد توعد آكلي الربا بأشد الوعيد لا من يتقل قول أئمة الفقه في الرهن وغيره قال المفتي: وهل مال الحكومة كله أو أكثره من الربا؟ قلت انني لا أعني مال الحكومة المختلط وانما أعني ان المخصص لميزانية الازهر والمعاهد الدينية من ميزانية الحكومة العامة يوضع في البنك الاهلي ويضاف عليه من الربا مثل ما يضاف على سائر ميزانية الحكومة، ومشيخة الازهر تسحب من البنك كسائر مصالح الحكومة فهل كنت أنا الذي أفيت مشيخة الازهر بهذا؟ وجرى كلام آخر في حكم المال المختلط من حرام وحلال لا محل لبسطه هنا وعلمت منه أن المفتي لا يأخذ من الازهر راتبا.

ثم قل الاستاذ الا كبير اننا اجتمعنا هنا لنضع حدا لهذا النزاع والمطاعن بصلح ثابت نمنع به نشر هذه الردود في الجرائد لانها تزي بالعلماء قلت انني أكرر ما قلته مراراً وهو أن لي الحق ان انشر في مجلة نور الاسلام وفي الجرائد رد أعلى التهم التي افترت علي ملتزماً فيه بما وعدت به من تلقاء نفسي قبل الاجتماع لعقد الصلح وبعده من اجتناب الطعن الشخصي في الشيخ الدجوي. واذا رضيت المشيخة بعزو تلك التهم الى المجلة من دون ذكره فاني ارضى بهذا. وقد غيرت مقدمة المقال الذي كنت ارسلته إلى رئيس تحريرها بهذه الصيغة وأخرجته من جيبي وقرأت لهم أكثرها — فوافقوني على النشر في مجلة نور

المنار: ج ٣٢م ٩ حرص المفتي على التعاون بيني وبين شيخ الازهر على الاصلاح ٦٩٥

الاسلام بعد اطلاعهم على ما اكتبه ورؤيته موافقا لما اشترطته على نفسي فيه وعدم نشرشي في الجرائد ولا كتابة ما بعد طعنا على الازهر

قلت انه ليس من دأبي الطعن على الازهر ولا على أحد ولكن الكتابة في إصلاح التعليم والتربية في الازهر وغيره من أهم مقاصدي التي أنشأت المنار لاجلها وهذا معروف فيه منذ ٣٥ سنة

قل المفتي هذا صحيح ولا يطالبك أحد بترك الكتابة في الاصلاح ولكن إذا عرض لك أن تكتب في إصلاح التعليم في الازهر فتقترح عليك أن تعرض رأيك أولا على الاستاذ الاكبر للتشاور فيه ثم تكتب ما تنفقان عليه - أو قال ما يقرب من هذا - وكانت هذه الكرة الثانية التي تحيز فيها فضيلة المفتي إلى جانب المشيخة بما فيه مضم لحفي في حرية الكتابة ، وهي لا تقل عندي عن حرية الرقبة

وقد تذكرت بمناسبة ما رواه لي المرحوم الاستاذ الشيخ احمد ادريس عضو المحكمة الشرعية العليا عن الاستاذ الامام أنه قيل له في الاسكندرية : نرجو لك أن تمنع صاحب المنار من الطعن في السلطان والدولة العلية فان هذا من السياسة وهي ليست من موضوع مجلته الدينية . فقال لهم الاستاذ الامام : انني والله لا أعرف أحداً من الناس أشد استقلالاً في الرأي من صاحب المنار ، وكيف أقول له هذا وهو يعلم كما أعلم أن دين الاسلام دين سياسة لادين عبادة فقط ، وكل ما يمكن أن أقوله له في هذا الموضوع إنني رأيت كثيراً من عبي المنار يسوءم الانتقاد فيه على الدولة وانني أنا أظن انه غير مفيد لما يرجوه منه - أو ما هذا معناه

بيد أنني أعتقد أن المفتي بحسن النية فيما قال ، وانه يريد به الاتصال بيني وبين شيخ الازهر للتعاون على خدمة الاسلام - فأجبت بما يفهم منه رد اقتراحه بالقوى وهو أن رأيي قد يخالف رأي الاستاذ الاكبر في هذا الاصلاح وأنني ذكرت تفضيلته منذ أشهر رأيي فيما أعتقد على تعليم الازهر للعقائد وما يجب من الاصلاح له بدار الدكتور عبد الحميد سعيد بحضور كثير من أهل العلم والرأي فلم يردده ولم يقبله ، ولعلك تذكر اذالتقينا في هذا المكان في العام الماضي وما تبني الاستاذ الاكبر على عدم زيارتي له قائلاً اننا اخوان ومقصدنا في خدمة الاسلام واحد وان كنا نختلف في بعض المسائل ، وذكرت أنت - الخطاب للمفتي - ان من الضروري أن نجتمع وتعاون على خدمة الاسلام . ولعلك تذكر أيضاً انني اعتذرت يومئذ

٦٩٦ اقتراح شيخ الازهر أن يثني كل منا على الآخر : النار : ج ٩ م ٣٢

للاستاذ الاكبر عن عتابه اللطيف المتواضع بانني رجل صاحب شغل كثير فلا أجد فراغا للزيارات . ولكن فضيلته اذا دعاني في اي وقت لاجل عمل او تشاور في خدمة الاسلام وهو شيخ العلماء ورئيسهم فاني أمثل أمره

فهم الشيخان بل الاشياخ الثلاثة من هذا الجواب ان هذا الاقتراح لا يعقل ان يقبل ، وظللنا متفقين على ان أرد على التهم وحدها وان ينشر ردي في مجلة نور الاسلام بشرطه ، ولكن الأستاذ الوكيل قال ان الرد على تلك المسائل كلها بالتفصيل بطول واقتراح الاكتفاء بمقالة واحدة . قلت لا يمكن دحض التهم بمقالة ولا ثنتين ولا ثلاث

ثم اقترح الأستاذ الاكبر ان يكتب الأستاذ الدجوي اعترافا منه بخدمة السيد رشيد رضا للاسلام بمضيه وينشر في النار ، ويكتب السيد رشيد اعترافا مشله بخدمة الأستاذ الدجوي للاسلام بمضيه وينشر في مجلة نور الاسلام 111 وكانت هفوة من الأستاذ الاكبر

قلت يا سبحان الله أأكون انا صاحب الحق المعتدى علي وأكلف ان أزكي الجاني الطاعن تزكية تنشر في المجلة التي نشر فيها بهتي بالكفر والتجهيل ، كأني اقول لقرائها انه مصيب فيما كتب 11 وتذكرت ما لم أكن أذكر من قول الشاعر :
ولم أر هضما مثل ظلم ينالنا يساء الينا ثم يؤمر بالشكر
وقول الآخر * وتذنبون فئاتكم ونعتذر *

ولكن الأستاذ فطن لهفوته فقال بل ينشر كل من الاعترافين في المجلتين وفي الجرائد وبهذا ينتهي كل القيل والقال — او ما هذا معناه

قلت قد عرفتم رأيي في الأستاذ الدجوي واني لا أرى خصما لي فيما نحن فيه الا مجلة المشيخة ، وان حتى الشرعي عليها وحق قرائها ان تنشر لي ما أرد به على ما نشر بشرطي المقبول عنكم ، وحسي ألا أظن فيه على شخص الدجوي فهل أكلف أيضا ان أزكيه ؟ فان كانت المشيخة ترى من الحق والعدل أن يكتب شيئا يكفر به عن مطاعنه فذلك شأنها او حق عليها ، وان كتب ما أراه مبرئا لي فقد أكتب خيرا أما كتب

ودارت أحاديث أخرى في بعض مسائل الطعن ومسألة البدعة في الاذان

المنار: ج ٣٢م ٩ أمر شيخ الازهر بجمع الرسالة البديثة وعدم تنفيذه ٦٩٧

وأمر الاستاذ الاكبر السيد الشنواني ان يجمع نسخ رسالة الطعن من الازهر والمطبعة والمكاتب ويأتي بها كلها الى إدارة المعاهد لحفظه فيها . فقلت الى متى ؟ قل الاستاذ المفتي هذه النسخ يجب اتلافها او احراقها . ثم انصرفنا ، وقد علمت أن أمر الاستاذ الاكبر بجمع الكتاب ووضعه في إدارة المعاهد لم ينفذ وهو لا يزال يباع في مطبعة الدجوي وفي بعض المكاتب ولكن أعطيت المشيخة ٢٧٠ نسخة منه (فاعتبروا يا اولي الابصار) *

ولم يكتف الاستاذ الدجوي بهذا بل عاد الى الطعن علي برسالة نشرها في جريدة الجهاد (٢٣ من الشهر) فأرادت المشيخة ان تستأنف معي قطع مرحلة ثالثة للصالح ، لمنعي من النشر في الجرائد وان تكون حكما بين الخصمين وتكررت مخاطبتها لي بذلك مراراً بالمسرة (التلفون) لاجل الاجتماع في إدارة المعاهد فأبيت ، ثم عرض صحيفة لامضائها فاستنكفت ، وكان جوابي في كل مرة عين ما قررته في المرحلة الثانية وصرحت لفضيلة الاستاذ الوكيل من قبله بان التنازع انما هو بيني وبين المشيخة ، فلا يصح أن تكون هي الخصم والحكم ، وان الصالح يتنا انما يكون بان تنشر لي في مجلتها ما أرد به على تهمها بالشرط الذي تكرر ذكره . وأما الشيخ الدجوي فهو من رجالها الموظفين فلها حكما في عمله وفي كفه عن عدوانه ، او اطلاق عتائه ، وهي المسئولة عنه عند الله وفي عرف عباده ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)

(*) انني رأيت كل من كلمني في هذا السعي للصالح وما وقع فيه يعتقدون أن شيخ الازهر هو المغربي للدجوي بما كتب أولاً وآخرأ وأنه لم يكن له غرض في الصالح إلا منعي من فضيحتهم في الجرائد إذ لا يعقل أن يكون عاجزاً عن منعه من نشر الكتاب وصرح لي أيهم أشد حرية معي بأنني خدعت ، وأما ألا فكل غرضي من موالاتهم السباح لي بالرد في مجلة الازهر ليعلم قراؤها الحق من الباطل ، والعلم من الجهل . وهو حق شرعي وقانوني

المقال الرابع

(مقدمة تاريخية للرد على مجلة مشيخة الازهر في تصدي المنار
للاصلاح ومقاومة الشيوخ له)

ان هذا النزاع والتخاصم بين مجلة المنار ومجلة مشيخة الازهر تنازع في مسائل من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) وطريق فهمها ودفع ما يرد عليها من الشبهات العصرية وما طارضاها من شوائب البدع، فمن حق الامة أن تعرفه وأن يكون لها حق الحكم فيه، وأرى من المفيد لها في أسباب صحة الحكم أن أقدم على الرد العلمي على مسائل التهم البهتانية مقدمة تاريخية وجيزة في تصدي المنار لاصلاح التعليم والتربية في الازهر ومقاومة البدع والخرافات في المسلمين وعداوة بعض الاشياخ له - حملني عليها استعداد الشيخ يوسف الدجوي مشيخة الازهر علي في مقالته التي نشرها في جريدة الجهاد يوم الاحد ٢٣ جمادى الآخرة واغرائه اياها بما يرجوه من سعيها لاسقاط المنار، وهو شيء سعى له هو وغيره من قبل نخاب سعيهم، وقد دونت هذا بالتفصيل في مجلدات المنار وفي الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام (رح) وأذكر هنا حكاية فكاهية في الموضوع لم تدون من قبل كان قصصها علي أحد علماء الجامع الاحمدي خلاصتها أن أحد وجهاء طنطا الموافقين لمذهب المنار في محاربة البدع زار شيخ الجامع الاحمدي في أيام مولد البدوي منذ سنين خلت وكلمه في المنكرات التي تقع في المسجد الجامع وعند ضريح السيد وما يجب عليه من العمل لابطالها واتخاذ المسلمين من فضائحتها التي يعيرنا بها الاجانب، فوافقه الاستاذ على ذلك ووعدته بالسعي لابطالها بالتدريج. وبعد أن انصرف زار الشيخ رجل آخر من القبور بين فقال له: يا مولانا الشيخ ان مجلة المنار قد فضحتنا بما تكتبه في منكرات الموالد والتوسل بالاولياء وآل البيت فالى متى أتم ساكتون عنها؟ فقال له الشيخ اننا فكر في تأليف لجنة من العلماء لبيان أغلاط المنار المخالفة للشرع والرد عليها ثم بلغنا في سنة ١٣٣٥ انه قد ألف بعض علماء الازهر جمعية لمثل هذا الغرض الذي كان وعد به شيخ الجامع الاحمدي الذي يسمى الآن (معهد طنطا) بعد أن أعلن الحرب على المنار اثنان منهم أحدهما الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي والآخر المرحوم

الشيخ عبد الباقي سرور . فشرحا في نشر مقالات لهما في جريدة اسمها الافكار ، وكانت معركتهما الاولى مسألة من المسائل التي أثارها الشيخ الدجوي في معركته الحاضرة واشرت اليها في المقالة الاولى وهي ابوة آدم عليه السلام للبشر وما يعارضها من مذهب دارون وقول الاستاذ الامام انه إن فرض ثبوت نظريته في تعليل الانواع فانها لا تنقض شيئا من نصوص القرآن القطعية فيظل القرآن فوق كل شيء . فلما رأيت ان مطاعنها تدل على انها يكتبان ما لا يعتقدان وما لا يفهمان بمحض البغي والعدوان ، دعوت البادى . منها وهو الشيخ عبد الباقي إلى المذاكرة والمناظرة في المسألة بالمشافهة ومعاودة الله على الاخذ بما يظهر من الحق وإلا رفعت عليه قضية الى محكمة الجنايات ، فأبى المناظرة فرفعت القضية وفي يوم الجلسة حضر المحكمة كثير من علماء الازهر . وانتهت القضية بالصلح الذي ساء أولئك الشيوخ فقالوا له : والله ان الحكم عليك بأشد العقوبات كان يكون خيرا لك من هذا الصلح المخزي ولقد كان عفا الله عنه ذكيا قريبا من مذهب المنار الاصلاحى بمقدار بعد زميله عنه ، وانما دفعه الى الطعن حب الشهرة ، وقد عاد بعد أمة من الزمن لما كان سبق له من مودتي ، ولما كتبت مقدمة المغني في أسباب خلاف الامة في الفقه وبيان المخرج من مضاره وما يجب على جميع المسلمين من أحكام الاسلام ، وما لا يجب إلا على من ثبت عنده — قال لي انه لم يكتب مثلها في الاسلام وهي جديرة بأن يطبع منها مئات الالوف من النسخ ويطلع عليها جميع طلاب العلم الاسلامي . وخاف الاستاذ الدجوي أن أرفع عليه قضية تنتهي بحكم مبین ، أو صلح خزي مبین ، فتوصل إلى بعض أهل الفضل بالسعي لصلح شريف بالجمع بيننا فاجتمعنا واعتذر الاستاذ عما كان يكتبه بأنه كان عن سوء فهم لا عن سوء قصد ، وأن سببه ان الذي قرأ له عبارات المنار عرف بعضها وأعرض عن بعض الخ فقلنا عفا الله عما سلف ثم ان الاستاذ الدجوي نقض الصلح الاول كما نقض الصلح الاخير في هذه الايام ، وألف جمعية للبحث عن هفوات المنار لاجل الطعن والتشهير ، وما هو شر منها من استعداد مشيخة الازهر والحكومة على صاحب المنار للانتقام منه ، وهذا ما يحاوله اليوم بما له من المكانة في هيئة كبار العلماء ، والقلم الطعان في مجلة المشيخة الرسمية ، وبما للمشيخة من النفوذ في الحكومة .

ولكن المشيخة كانت أعقل منه وأعلم بسوء تأثير كلامه وما فيه من العار عليها

وعلى الازهر اذا اقترته، فقد سمت لا تياشه مما تهوك (١) فيه فعجزت عنه فلم تستطع منه من استمرار الطعن علي في أثناء المفاوضة في الصلح ولا بعد عقده، لضعفها عن تنفيذ سلطتها الرسمية عليه، حتى ان رئيسها الاستاذ الاكبر أمر بجمع الرسالة البديشة ووضعها في إدارة المعاهد وصرح بتألمه منها فلم ينفذ أمره (كما تقدم) وهو مرهوس له وموظف عنده، وأجدر بعجز الرئيس عن المرهوس فيما هو صريح حقه عليه في قانون الازهر أن يكون مثار العجب، فهل سببه قوة الارادة وضعفها، أم هنالك قوة خفية يعتز المرهوس بها. ومن مظاهر هذا العجز أن يكون الغرض من الصلح إقناعه بالكف عن هذه الكتابة التي لا تسلم المشيخة من عارها، بل لا يعرف في تاريخ الازهر وسيرة شيوخه مثلها - وأن يكون هذا الصلح بأخذ وثيقة مني بدفن الماضي قبل أن تظهر براءتي من مطاعته، وأن ترضى المشيخة بعمل الرد عليها وعلى مجتهدونه. وأن يظل هو مع هذا كله يستعديها علي، ويوجب عليها الانتقام مني، ويصفها بقوله «وهي المشرفة على جميع المسائل الدينية وصاحبة السلطان على ذويها بنص القانون» كأن قانون الازهر وضع للسيطرة على غير أهله، والانتقام لشيوخه من غيرهم بالباطل (٢) فكانت المشيخة بسعيها هذا كمن يحاول انقاذ الغريق فغرق معه، فهي استأرغبت إلي بأن أقدّمها

(١) الاتياش من النوش وأصل معناه التناول واستعمل الاتياش في الاقذار من الملحكة وما في معناها. قال ابن دريد :

ان ابن مكيال الامير اتاشني من بعد ما كنت كالشيء اللقا

واللقا الذي يلقي ويهمل لانه لا قيمة له. والتهوك التهور والتعير. وتهوك في الشيء وقع فيه بلامبالاة ولا روية، واضطرب في القول وجاء به على غير استقامة

(٢) ألف طالب علم نجدي مجاور في الازهر كتابا في الرد على الشيخ الدجوي، عجز عن الرد عليه سماها (البروق النجدية) في اكتساح الظلمات الدجوية) فانتقمت له. المشيخة منه بقطع رزقه من الازهر وفصله من الاتساب الى الازهر. وروي لنا أن الاستاذ الاكبر سعي لدى الوزارة لمصادرة الكتاب فامتنعت. ولكن مجلة المشيخة كذبت هذا الخبر وخير محاولتها شراء كتاب الطالب النجدية. وقد يكون الخبر أصمدق من المجلة بدليل افتراءها علينا في ديننا وهو لا يستحل هذا

وأقذه ، وقد علمت الامة اني واتيت ، ثم عجزت بعجزها عنه فاشتيت . وأمسكت
عن بيان الحق شهراً ونصف شهر

وأما هو فرأى في عدوانه الاخير كراي في عدوانه الاول (سنة ١٣٣٥) ولولا ان كان
عدوانه هذا في مجلة مشيخة الازهر الرسمية ، وأن كان الساعي للصلح معه الاستاذان
الاكبران : شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية ، لاجتنب ذكر اسمه اليوم كما
اجتنبته من قبل حفظاً لكرامة الازهر وكرامتي كما علمت ذلك في وقته ، ورأى في جمعيته
واستعدائه اليوم هو رأى في مثلها بالامس . ومنه ان مثلي لا يرد على مثله ، لانني لا
أستطيع ان أناظره بمثل هجوه الذي أتزه عن وصفه ، لئلا يقال انني شاركته
في شيء منه ولو بتسميته باسمه ، ولانه يفترى التهم ، ويحرف الكلم ، ويقول ما
لا يعلم وما يعلم خلافاً ، وذلك لا يمكن أن يكون خدمة للعلم ولا لبيان الحق . وسرى
القراء الشواهد على هذا فيما ننشره من الرد . ولو أنني أعرف كلمة في اللغة أخف من
الافتراء والتحريف تؤدي معناهما ككتمانها . وأحمد الله أن رضى المشيخة بعمل
الرد على مجلتها لا عليه ، لانه يغنيني عن عزو كلامه اليه

وانني اقل للامة في جرائدها ما كتبت بشأن عدوانه الاول في فاتحة المجلد العشرين
من المنار الذي صدر في شوال سنة ١٣٣٥ بعد بيان مذهب المنار في الاصلاح وهذا نصه

﴿ كلمة المنار في المجلد العشرين سنة ١٣٣٥ ﴾

« تلك دعوة المنار ، التي رددت صداها الاقطار ، فكانت كالبرق المبشر بما يؤوله
من المطر ، في نظر سليمي العقول صحيحي الفطر ، وكالصواعق المحرقة على أهل
البدع ، ومتعصي الاحزاب والشيع ، وقد آذانا لاجلها للظالمون نصيرنا لله بالله ،
ولم نكن كمن أودى في الله فجعل فتنة الناس كعذاب الله ، وجهل علينا بعض أحداث
السياسة المغرورين ، وبعض أدعياء العلم الجامدين ، فقلنا « سلام عليكم لانبغي
الجاهلين » وكاد لنا أعداء الدعوة كيداً خفياً ، أضربنا ضرراً جلياً ، إذ حجب
للمنار عن كثير من قرائه الاخيار ، وحرماناً بذلك وبغيره كثير أمن المال ، وحسبنا
أن حمد الدعوة كل من عرفها من طلاب الاصلاح ، وأهل الروية والاستقلال ،
« وأما الازهريون خاصة ، فقد كانوا أزواجاً ثلاثة ، قليل من الشيوخ وكثير من
الشبان ، يرون أن المنار من ضروريات الاسلام في هذا الزمان ، وكثير من الشيوخ

والشبان يكرهون منه حمد الاستقلال ودم التقليد ، ورمي جماهير علماء العصر بالجهود والتقصير ، والسواد الأعظم منهم مشغولون بأمور معيشتهم ، وبمطالعة دروسهم ومناقشات طلبتهم ، عن النظر في مثل المنار لتقريظ أو انتقاد ، وعن كل ما يجدد في الدنيا من إصلاح وإفساد .

« وقد دخل المنار في السنة العشرين ، ولم ينتقده أحد من الازهريين ، إلا أنه قام في هذا العام شاب متخرج في الازهر فنشر في بعض الجرائد الساقة مقالات . سب فيها صاحب المنار وكفر ، بآيا ذلك على زعمه أنه أنكر كون آدم أبا لجميع البشر ، على أن المنار قد صرح بأثبت هذه الآبوة تصريحاً آخرها ما في الجزء الأول من المجلد التاسع عشر ، وزعمه أنه فضل شبلي شميل على الخلفاء الراشدين ، ويعلم كذب هذا الزعم مما نشرناه في شميل من ترجمة وتأبين ، ومن لا يزعمه هدي القرآن ، عن النسب والكذب والبهتان ، قد يزعمه عقاب السلطان ، لهذا رفع أحد كبار المحامين عنا أمر هذا الطعن إلى محكمة الجنايات ، بعد أن أنذرتنا بذلك كاتب المقالات ، ونصحننا له بلسان بعض ذوي رحمه وصحبه ، بأن يستحلنا تأبياً من ذنبه ، فلم يزد ذلك إلا اصراراً على الذنب ، وتآمداً في الطعن والسب ، ولكنه جنح في المحكة للسلم ، وطلب هو وصاحبه الجريدة من رئيسها الصلح ، على أن يعتذرا عما اتهمنا به من المطاعن الشخصية ، ويعترفوا باحترام عقيدة صاحب المنار وآرائه الدينية ، وأمضيا عبارة في ذلك أثبتت في محضر القضية . وقد قبلنا ذلك منها ، وكان خيراً لهما لو فعلا من تلقاء أنفسهما ، على أنهما عادا إلى هذيانهما ، ولا قيمة عندي لمثل هذا الكلام ، فانه مما يقال لصاحبه سلام ، وإنما ذكرناه في قاتحة المنار ، التي نشر فيها عادة إلى ما تجدد في تاريخ الإصلاح ، تمهيداً لذكر ما قيل أنه ترتب على تلك القضية ، من تأليف جمعية أزهرية ، لأجل البحث عن أغلاط المنار الدينية والعلمية ، ويانها للناس وللحكومة المصرية ، ذكرت ذلك الجريدة التي وقعت نفسها على الطعن في صاحب المنار ، متوهمة أنه سيقرب عليه ابطال المجلة أو اخراج صاحبها من هذه الديار ، لان عند أعضاء هذه الجمعية من حقائق العلوم الازهرية ، ما ليس عند صاحب المنار الذي تلقى العلم في البلاد السورية ،... فنقول للواهمين ، ولن يمدونهم في غيهم من المغرورين : انا نعلم من كنه علم الازهر ما لا تعلمون ، فاعملوا على مكانتكم انا ماملون ، وانتظروا

المنار : ج ٩ م ٣٢ رأينا في تأليف لجنة أزهرية لاغلاط المنار ٧٠٣

انا منتظرون (٩ : ١٠٦) وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ،
وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)

« انا ندعو الى الله على بصيرة ، ونكتب ما نكتب عن علم و بينة ، ولكننا
كثيرا نعرضة للخطأ والغلط ، كما هو شأن غير المعصومين من البشر ، فلهذا ندعو
قراء المنار في كل عام ، الى أن يكتبوا الينا بما يرونه فيه من الاغلاط والاهام ،
لنشره فيه ، فيطلع عليه جماهير قارئيه ، وانا لنتمنى ان تؤلف لجنة من علماء
الازهر ، تقرأ مجلدات المنار التسعة عشر ، وتحصي ما نراه من الاغلاط المتفق
عليها ، بقدر ما يصل اليه علمها وفهمها ، وان تتحرى في ذلك ما يليق بكرامة اهل
العلم ، من صحة النقل والتروي في الحكم ، واجتناب الطعن والبذاء ، والسخرية
والاستهزاء ، وانا نعد ذلك اذا سمت اليه مهمة بعض الازهريين ، أعظم خدمة للمنار
يخدم بها العلم والدين ، ونعد بأن ننشر لهم ما يكتبونه فرحين مغبوطين ، مقرين
إياهم على ما نراه فيه من الصواب ، مبينين ما نراه من الخطأ مع التزام الآداب ،
وترديد عبارات الحمد والشكر ، التي تبقى بقاء الدهر ، ولثواب الله خير للذين
يصلحون في الارض ولا يفسدون ، والذين هم على البر والتقوى يتعاونون (ولكن
منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)
« وانا على ضعف أملنا بتحقيق تلك الامنية ، واحتقارنا لكل ما يكتب بجحالة
وسوء نية ، ليعزتنا ان يقوم في الازهر بعض علمائه ، ورئيس جمعية من جمعياته ،
ينتقم ممن يقاضي بعض أصحابه ، بافتراء الكذب عليه (١) ونسبة ما ينقله عن
غيره اليه (٢) وتحريف آيات القرآن ، استدلالا بها على ما رماه به من الكفر

(١) ادعى ان صاحب المنار قال ان آدم عليه السلام من سلالة القرود وانه
ليس أبا لجميع البشر — وهذا كذب وافتراء — وادعى انه عضو في لجنة ألفت
لنشر كتب شميل وهذا كذا كذب مفترى أيضا (٢) عزا الى صاحب المنار أقوالا
في خلق الانسان وفي تكفير من يحكم على السارق بغير الحد الشرعي وتلك
الاقوال من منقول المنار لا من أقوال صاحبه بل مخالفة لها من الاصل

والفسوق والعصيان (١) بذلك الكذب والبهتان ، الذي زاد فيه على ما سبقه اليه

بذلك الطعان ، واننا لنكرم كلا من المنار والازهر بعدم ذكر اسمه ، وعسى ان

يثوب الى رشده ويثوب من لآئه (٤٩ : ٦ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين — ١١ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون)

انتهى ما قلناه من مقدمة المجلد العشرين من المنار ، وكأنه كتب في هذه الحادثة ، وما أشبه الليلة بالبارحة !

هذا وإنني أختتم هذه المقدمة بالتنويه بأولئك الشيوخ الكبار الذي كنا نتقدم فيما نكتبه في إصلاح الازهر ، فانهم لم يتقوا من المنار صده عن البذع والخرافات ، ولا ما كتبته في افتتان الناس بالكرامات ، ولا إنكار عبادة الاموات ، ولا طعن أحد منهم في ديننا ، ولا بهتان ولا افتراء علينا ، فرحم الله من مات منهم وأطال عمر من بقي ، كالاستاذ العلامة الشيخ محمد بنيت المطيعي ، الذي لم نصح في المنار بمناظرة أحد منهم غيره ، وإنما كانت مناظرة علم ، لا عدااء فيها ولا إثم ، وقد أثنى أخيراً على مقدمتنا للمغني أكد الثناء ، وهي خلاصة رأينا في الإصلاح (٢)

وقد حاول الخديو أن يحمل بعض الكبار من أولئك العلماء على طعن في المنار يتوسل به الى نفي صاحبه من مصر ، فأبوا ذلك عليه على ما يعلم الناس من ضعفهم أمامه . فلم يصل الضعف بهم الى مثل هذا العدوان على عالم يخدم الدين بقيدة وإخلاص ، احتمال في سبيلهما عداوة الخديو والسلطان . وسترى الامة في المقالات الآتية مبلغ المعتدي عليه من العلم والدين الآن

(١) استدلل بآيات سورة الممتحنة في النهي عن موالات أعداء الله على عدم ما حمل عليه وأهل ما قيدته به السورة من كونه فيمن قاتلونا في الدين اطلع من الاصل (٢) قد نشرنا هذه المقدمة في كتابنا (الوحدة الاسلامية)

تراء للجنس اللطيف

يوم ذكرى المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

﴿ في حقوق النساء في الاسلام وحظن من الاصلاح المحمدي العام ﴾

(تابع لما نشر في الجزء الماضي وما قبله)

٥٨

(بر الوالدين وتفضيل الامهات فيه على الآباء)

أوصى الله تعالى في مواضع من كتابه بالاحسان بالوالدين وقرنه بالامر بعبادته والنهي عن الشرك به ، وأمر بالشكر لها متصلا بالشكر له ، وخص الام بالذكر في بعض هذه الوصايا للتذكير بزيادة حقها على حق الاب ، ونذكر هنا أجمعها

قال تعالى في سورة الاسراء (١٧ : ٢٣) وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَمْبُدُوا

إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ

كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

الاف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراها ويقال لكل مستخف به استقذارا واحتقارا له كما قل الراغب وكذا لكل ما يتضجر منه . يقال تأفف به اذا قال له أف لك . ومنه (٤٦ : ١٧) والذي قال لوالديه أف لكما اتعداني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي ؟) وخص هذا النهي بحالة كبر الوالدين او احدهما لان الكبر مظنة وقوع ما يتضجر منه او يستقذر منها ، وهو يدل على تحريم ذلك في غير هذه الحالة بالاولى . والنهر والانتهاز الزجر بغلظة وخشونة . والتكريم من الاقوال آدبها والطفها ، ومن الاعمال اشعها واشرفها ، ومن الاشخاص افضلهم واجلهم

(٢٤) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلْمِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا
رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا (٢٥) رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا
صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا

يعبر عن العطف في المعاملة بخفض الجناح ، وأصله أن الطائر يخفض جناحه
لتهرخه بفيه به تارة ويعلمه الطيران أخرى . وخفض الجناح من الذل ابلغ من
خفضه لأجل العطف ، فهذا من رعاية الكبير للصغير ومنه قوله تعالى لرسوله (واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) وذلك من عناية الصغير بالكبير ، ولم يؤمر
أحد به لغير الوالدين . وفي تشبيهه ما أمر الولد أن يطلبه من رحمة ربه لوالديه برحمتهما
له عندما رياه في صغره تعظيم كبير لرحمة الوالدين ليتدبر الأولاد ذلك ويعلموا أن رحمتهم
لوالديهم في الكبير والتدلل لهما لا يكفي في أداء حقوقهما ، وإنما عليهم أن يدعوا الله
تعالى أن يكافئهما عنهم برحمته التي وسعت كل شيء ولا يعلمها شيء . ذلك بأن
رحمة الوالدين للولد في صغره ولا سيما الام التي تتولى إزالة أقداره وغير ذلك إنما تكون
مع اللذة والرغبة والسرور ولن تبلغ رحمة الولد بهما هذا الحد

ولما كان بلوغ هذا الحد من البر والاحسان بالوالدين عزيز المنال ذكر الله
عباده بأن المدارفة على حسن النية وصلاح النفس فإن وقع مع ذلك تقصير ما فانه
لا بد أن يقرن بالتوبة وحسن الآوبة إلى التشمير بعد التقصير ، والله تعالى غفور للآوابين
أي الكثيرين الرجوع إلى الحق والخير كلما عرض لهم ما يصدمهم عن المضي فيه أو الثبات عليه

وقال تعالى في سورة لقمان (٣١ : ١٤) ووصيناك بالانسن بوالديه حملته أمه

وهنا على وهن وفصله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير

الوهن الضعف أي ذات وهن أو تن مدة حملها وهنا على وهن بالوجم والانتقال
والوضع . وفصله أي فطامه في انتهاء عامين يكون كل هما فيها أرضاعه وتغذيته
وتنظيفه - والجلتان معترضتان بين الوصية والموصى به وهو الشكر لله الذي خلقه
ولوالديه اللذين غنيا بربيته ولا سيما الام التي كانت أكثر تعباً وعناية به فقرن شكرهم
بشكر الله تعالى وجعله ثانياً للايدان بأن فضلها عليه يلي فضل ربه وقوله بعده (إلي
المصير) تذكري بأن جزاء الشكر وضده في الآخرة لله وحده

(١٥) وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا

تُطِيعُهُمَا وَصَايَاهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ
إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّشُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

هذه الآية أدل على عظم حق الوالدين على الولد فإن الله يأمره بها أن
يُصَاحِبَ والديه المشركين في الدنيا بالمعروف من البر والاحسان إلا في شركهما وما
يلزمه من معاصي الله تعالى فإن جاهداه على أن يشرك بالله تعالى فلا يطعهما لأن حق
الله تعالى عليه أكبر من حقهما وتوحيده وطاعته هي الوسيلة إلى سعادته ونعيمه
الذي لانهاية له. وقوله (واتبع سبيل من أناب إلي) أي واتبع في الدين سبيل من أناب
إلي من النبيين والمرسلين، ومن اهتدى بهم من المؤمنين دون تقليد الآباء الكافرين
قال (ثم إلي مرجعكم) أي مرجعك ومرجع والديك (فأنبشكم بما كنتم تعملون) عند
حسابكم وأجازي كلا بما يستحق فعلي حساب والديك وجزاؤهم لا عليك، والآية
نص في البر والشكر للوالدين الكافرين فيما عدا الكفر ولو أزمه فهي أرحم مما ينقله
النصارى عن المسيح عليه السلام من التفرقة والعداوة بين الوالدين والأولاد
ففي الإنجيل متى (١٠ : ٣٤) لا تظنوا أنني جئت لآتي سلاماً على الأرض ما جئت
لآتي سلاماً بل سيفاً ٣٥ فاني جئت لافرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها
والكنة ضد حماها ٣٦ وأعداء الانسان أهل بيته)

وأما قول الله تعالى (ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) فقد
نزلت في قوم من أهل مكة أسلموا فأبى أزواجهم وأولادهم ان يدعواهم ومع هذا
فقد قال الله تعالى فيهم ﴿وَأَن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

وقال في سورة الاحقاف (٤٦ : ١٥) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا
حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْبَحَ
لِي فِي ذُرِّيَّتِي لَئِي تَبْتَ إِلَيْكَ وَلَئِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

ثبتت القراءة بلفظ الاحسان ولفظ الحسن ، و بفتح الكره وضمه ومعناها
واحد (كالضعف والضعف) وهو المشقة ، وهو أقسام منه ما يكرهه الانسان
ويشق عليه طبعاً وان أحبه عقلاً أو شراً وبالعكس كالدواء والصبر على المكروه

ومنه قوله تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) وكره الام لمشقات الحمل والوجم طبيعية لاعقلية ولا شرعية ولا فطرية . وقوله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) معناه أن مدة تعب الام في حملها الى فطامه ثلاثون شهراً وهو مبني على ان مدة الرضاعة الغالبة ٢٨ شهراً وهو ما كان عليه الناس في الغالب لانه تشرع ، الا تحديد اكثر الرضاعة بستين في آية البقرة فان الام لا تكلف أن ترضع طفلها أكثر من ذلك لانه بعد اكتمال الستين لا يضره التغذية بغير لبنها مما جرت العادة والتجربة بتغذي الاطفال به ، ويوجد في هذا العصر من الالبان الحيوانية المجعدة او المجففة ومن المستحضرات الاخرى (كالقوسفاتين) ما يوافق كل طفل في كل وقت ولم يكن هذا في زمن التنزيل ، على ان لبن الام افضل وافق باجماع الاطباء

الاحاديث النبوية

(في وجوب بر الوالدين وتحريم عقوقهما وتخصيص الام بترجيح حقها)

جاء في حديث أبي هريرة المتفق عليه أن رجلاً جاء الى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابي؟ قال « أمك » قال ثم من؟ قال « أمك » قال ثم من؟ قال « أمك » وفي رواية زيادة « ثم أمك » ثم أمك » وفي حديث المقدم بن معدي كرب عند أحمد والبخاري في الادب المفرد وابن عسكارة وصححه الحاكم قال (ص) « ان الله يوصيكم بآبائكم ثم يوصيكم بآبائكم ثم يوصيكم بآبائكم »

وفي حديث أبي رزمة عند أحمد وأصحاب السنن الثلاثة والحاكم واللفظ له قال انتهيت الى رسول الله (ص) فسمعت يقول « أمك وأباك ثم أختك وأخاك ثم أدناك » فقدم ذكر الأخت على الأخ ايضاً

وفي حديث عائشة عند أحمد والنسائي والحاكم وصححه قالت سألت النبي (ص) أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال « زوجها » قلت: فعلى الرجل؟ قال « أمه » وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند أبي داود والحاكم ان امرأة قالت يا رسول الله ان ابني هذا كان بطني له وعاء، وتدني له سقاء، وحجري له حواء وان أباه طلقني وأراد ان يزرعه مني فقال (ص) « أنت أحق به بما لم تنكحي »

وفي حديث أنس عند الترمذي والخطيب في الجامع (الجنة تحت أقدام

الامهات ﴿ وفي معناه ما رواه الطبراني عن طلحة بن معاوية السلمي قال أتيت النبي (ص) فقلت يا رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله - قال « هل أمك حية » ؟ قلت نعم قال ﴿ الزم رجلها فتم الجنة ﴾ وقال لرجل آخر مثله ﴿ فالزمها فان الجنة عند رجلها ﴾ ورواية أخرى في الوالد بن كليهما وأنه قال له ﴿ فالزمها فان الجنة تحت أرجلها ﴾ وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أنه قال لرجل استأذنه في الجهاد ﴿ أخي والدك ؟ ﴾ قال نعم قال ﴿ ففيهما فجاهد ﴾

هذه بعض شواهد البر واما العقوق فقد عد النبي (ص) عقوق الوالد بن من اكبر الكبائر وخص الامهات بالذكر فقال « ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ومنعها وهات ووآد البنات (١) وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واطاعة المال » رواه البخاري من حديث المغيرة . وقال (ص) « الا انبئكم باكبر الكبائر » ثلاثا ، قلنا بلى يا رسول الله قال « الاشرار بالله وعقوق الوالد بن - وكان متكئا فجلس فقال - ألا وقول الزور ، والا وشهادة الزور - الا وقول الزور الا وشهادة الزور » فما زال يقولها حتى قلنا : لا يسكت . وفي رواية حتى قلنا ليته سكت ، اي لما رأوا من انزعاجه وانما كررها لعرضة المتهاونين بالدين للاستخفاف بها . بخلاف ما قبلها والحديث متفق عليه

(الاحاديث النبوية في الوصية بالبنات والاخوات)

عن عائشة قالت دخلت علي امرأة ومعه ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئا غير تمر واحدة فاعطيتها اياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته فقال « من ابنتي من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من النار » رواه البخاري ومسلم والترمذي وفي لفظ « من ابنتي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار » الاجلاء الاختبار بما يظهر به التزام الحق والشرع او عدمه . وكانت العرب كأكثر الناس يكرهون البنات فلذلك احتيج في القيام بحقوقهن من التربية والاحسان الى الصبر . وعنها قالت جاءت مسكينة تحمل ابنتين لها فاطعمتها ثلاث تمرات فاعطت كل واحدة تمر ورفعت الى فيها تمر لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد ان تأكلها بينهما فأعجبني

(١) العقوق الابداء الشديد من قول أو فعل أو ترك . ولا يدخل في العقوق الحرم مخالفتها فيما يطلبان من معصية الله تعالى وتحكم الهوى الحسن فيما يضر الولد كطلاق امرأته أو منعها حقها عليه ، ووآد البنات دفنن في الحياة وتقدم ، ومنعاً وهات معناه منع الحق وطلب ما ليس بحق

شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «ان الله قد اوجب لها بها الجنة او اعتقها بها من النار» رواه مسلم وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو» وضم اصابعه اي معا رواه مسلم واللفظ له والترمذي ولفظه «من مال جاريتين دخلت انا وهو الجنة كهاتين» وأشار بأصبعيه. وابن حبان في صحيحه ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من عال ابنتين او ثلاثا او اخنتين او ثلاثا حتى يبلغن او يموت عنهن كنت انا وهو في الجنة كهاتين» وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها. وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من مسلم له ابنتان فيحسن اليهما ما صحبتاه او صحبتهما الا ادخلتا الجنة» رواه ابن ماجه باسناد صحيح وابن حبان في صحيحه من رواية شرحبيل عنه والحاكم وقال صحيح الاسناد. وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كفل يتما له ذا قرابة او لا قرابة له فأنا وهو في الجنة كهاتين» وضم اصبعيه. ومن سعي على ثلاث بنات فهو في الجنة وكان له كاجر مجاهد في سبيل الله صائما قائما» رواه البزار من رواية ليث بن سليم وروى الطبراني عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من مسلم يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن حتى يبلغن او يمتن الا كن له حجابا من النار» فقالت له امرأة او بنتان قال «او بنتان» وشواهد كثيرة. وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان له ثلاث بنات او ثلاث اخوات او بنتان او اختان فاحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة» رواه الترمذي واللفظ له وابو داود الا انه قال «فادبهن واحسن اليهن وزوجهن فله الجنة» وابن حبان في صحيحه. وفي رواية للترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يكون لاحدكم ثلاث بنات او ثلاث اخوات فيحسن اليهن الا دخل الجنة»

✽

(اقول) تحدثا بالنعمة ، ومنها أننا اهل لحسن الاسوة : نحمد الله تعالى اننا اهل بيت نعى بتكريم بناتنا فوق مانعى باخوتهن مع اتقاء الظلم الذي يثير الغيرة والعداوة بينهما ، فلا تشتم في بيتنا انتي ولا تضرب . وقد خوفت ام بنتا ذات ثلاث سنين أو اربع بضرب ايها فقالت انه لا يضربني : قالت وماذا يفعل اذا اخبرته بعنادك هذا ؟ قالت (يحايلني) اي يصرفني عنه بالحيلة والاقناع . ويشغل على ذوقه ان اذكر غير هذا مما من الله تعالى به علينا من بر والدينا وصلة ارحامنا وتكريم نسائنا ، الا انني اقول انهن يعتقدن انهن اسعد النساء وان رجالهن افضل الرجال ، وما هذا الا باتباع هداية الاسلام مع العلم الصحيح بها والله الحمد

الخاتمة

ألا يا معشر الجنس اللطيف

ها أنتم أولاء قد علمتم من هذه الرسالة الوجيزة أن محمداً رسول الله وخاتم النبيين قد جاء بدين قويم، وشرع حكيم رحيم، رفع حيف الرجال عنكن، وأمنها بهم لكن، في جميع الأمم القديمة والحديثة، وأتباع الملل السماوية والقوانين الوضعية، وإن الاهتداء بما جاء به يذهب بما بقي من الظلم لبنات جنسكن في بلاد الحضارة المادية، التي يشكو اخواتكن من مصائبها وأرزائها ولا يهتدين إلى النجاة منها سبيلاً، وشرها عليهن وعلى الإنسانية إباحة البغاء، والتسري الباطل بالتخاذل الخدان، والاتجار بأبضاع النساء بسوقهن كالشاء والخنازير من قطر إلى قطر، وقد فهن من حزن إلى حزن، فيا حسرة الإنسانية، عليهن، وبالمصائب الفضيلة بهن

إن الإصلاح الاسلامي المحمدي يقضي بأن يكون لكل امرأة كافل شرعي يكفيها كل ما يهملها لتكون بنتاً مكرمة، فزوجة صالحة، فأماً مربية، فجدة معظمة، ومن حرمت الزوجية أو الامومة، لم تحرم الكفالة والكرامة، ولو نفذ شرعه في أوربة والبلاد المرزومة بنفوذها وسيطرتها، لزال منها البغاء الرسمي، والتسري العمري، ولما وجد في أوربة عشرات الملايين من الأيامي المحرومات الحياة الزوجية، ومنهن من ينفقن على أنفسهن وعلى أولادهن شرعيين وغير شرعيين فمصائب النساء ورزاياهن في تلك البلاد بالنسبة إلى مجموعهن أعظم من رزاياهن في البلاد التي قن نساؤها بتقليدهن في الخلاعة والإباحة وطلب مساواة الرجال، وأولئك لم يطلبن هذه المساواة بالرجال في كل شيء، إلا لأن الرجال قد حرموهن حقوقهن الإنسانية التي قررها الاسلام

لوعلم نساء الافرنج في العالمين القديم والجديد أحكام الشريعة وآدابها، ودونت لهن بصورة قانون تظهر بهمزاياهن، لأنهن الأحزاب والجمعيات للمطالبة بها، واتقاز الحضارة من فتنة في الارض وفساد كبير يئناه في هذه الرسالة، فهل للمتعلات من للسلمات في مصر وغيرها أن يدرسوا هذا الموضوع، وينفقن إلى الدعوة إلى هذا

المشروع، فهو خير لمن ولامتهم وللانسانية من افتتانهن بتقليد نساء الافرنج فيما يطلبن من إعطائهن حق مساواة الرجال في كل أسباب الكسب والتصرف في الاموال، والدفاع عن الاوطان، ومجالس التشريع ودواوين الادارة، وأخاديع السياسة، وكذلك حقوق الزواج والطلاق والحمل والرضاع حتى إذا أبين وظائف الحمل والولادة لا يكرهن عليها

لا خير للجنس اللطيف في مساواة الرجال ومشاركتهم فيما يصدهن عن حق الانسانية عليهن في بقائها بالتناسل وتربية الاطفال التي يرتقي بها البشر، وقيام النساء بهذه الوظائف يتوقف في هذا العصر على علوم وفنون كثيرة روحها جميعها الاصلاح الاسلامي كما يبناه في مسألة المساواة وغيرها

ايتها النسوة المسلمات المتعلقات

دعن فتنة السياسة، واخلمن تقاليد الخلاعة، وطالبن أمتكن وحكومتمكن بعد مطالبة أنفسكن بتربية البنات والبنين، على هداية هذا الدين المين، والاصلاح الحمدي العظيم - طالبن الحكومة والامة باؤزام طلبة المدارس من الذكور والاناث أداء الصلاة والصيام، والتوسع في دروس الدين الاسلامي وآدابه وتاريخه ووجه تفصيله على جميع الشرائع والاديان، على الطريقة التي ترينها في هذه الرسالة طالبن الحكومة بابطال البغاء الجهري والسري، وتحريم معاقرة الخمر ومنع تهتك النساء واختلاطهن بالرجال في المرافق والملاهي والسباحة معهم في الحمامات البحرية عدن الى ما كان عليه خير جدا تكن في صدر الاسلام من حضور صلاة الجماعة في المساجد، وسماع ما يلقي فيها من الخطب والمواعظ، وتلقي علم القرآن والسنة، ومساعدة الرجال في الاصلاح الحق الذي ينهض بالامة، ليظهر لسائر الامم ولا سيما نساؤها ما امتاز به الاسلام من الاصلاح العام للانسانية، حتى يعلمن أن نبيها محمدا ﷺ هو مصلح النساء الاعظم، وانه لو لم يكن رسول الله وخاتم النبيين الذي جاء به دين الله الذي شرعه على السنة من سبقه من المرسلين، لما جاء للانسانية بخير مما جاؤا به كلهم أجمعون، فتكن بذلك شريكات لاختوتكن المجددين لهداية الاسلام وصلى الله وسلم على محمد وآله وعلى سائر النبيين، والحمد لله رب العالمين

عدد المسلمين في أنحاء العالم

٣٩٥ مليوناً و ٧٥٨ ألفاً

(بقلم الدكتور زكي علي المقيم في بلدة مادن - النمسة)

لا يلبث الباحث في احصائيات المسلمين في أنحاء العالم أن يبين اختلافاً كثيراً وخطأً كبيراً فيما دونه الكتاب والجغرافيون الذين عنوا بوضع احصاء شامل لعدد المسلمين على وجه الارض وجل هؤلاء الكتاب من الغربيين ، وقد وجدنا أثناء قيامنا بمثل هذا البحث تضارباً عظيماً في الآراء وخطأً شنيعاً في كثير من الارقام التي ذكرها المدونون حتى في السنوات الاخيرة أمثال السيواسيون المستشرقون الافرنسي والدكتور زويمر وغيرهما ، فمعظم تلك الارقام دون الحقيقة بكثير . وان كنا نقرر من باب الانصاف أن معلوماتنا عن عدد المسلمين في كثير من البقاع التي لا يعرف عنها سوى النذر اليسير مثل أواسط افريقيا ومجاهلها قد وصلتنا عن طرق المبشرين المسيحيين الكاثوليك أو البروتستانت الذين توغلوا في تلك البقاع بقصد الدعاية للمسيحية فانتقوا بالمسلمين هناك ثم أذاعوا تعدادهم ومن أمثلة هذا الخطأ أن بعض المؤلفين لا يزال يذكرون أن عدد المسلمين في مصر تسعة ملايين مع أنه في الواقع أكثر من ثلاثة عشر مليوناً وأن عدد مسلمي اندونيسيا ٢٥ مليوناً مع أن الاحصاء الهولندي الرسمي لها كان ٤٥ مليوناً عام ١٩٢٠ ثم أصبح ٦٤ مليوناً في الاحصاء الاخير لعام ١٩٣٠ ويكفي للدلالة على ازدحام السكان بها أنه يوجد ٣١٤ شخصاً لكل كيلو متر مربع . ثم عدد المسلمين في شبه جزيرة العرب التي تشمل الحجاز ونجد والعسير واليمن وعمان وحضرموت وما جاورها والكويت وجزائر البحرين ويقسده بعض الكتاب بثمانية ملايين وهو في الحقيقة يربو على اثني عشر مليوناً (١) كذلك الخطأ الفاحش (١) التحقيق أن أهل جزيرة العرب لا يقلون عن ثلاثين مليوناً . وقد اجتمعت انا والامير شكيب ارسلان بدار المرحوم انور باشا في برلين بالفرقة التركية عثمان باشا فرانياه يقدر أهل اليمن وحدهم بعشرين مليوناً وهو طاف اليمن بعد صلح الدولة مع الامام يحيى

في تقدير عدد المسلمين في افريقيا فيما يذكر مصدر فرنسي أن عددهم ٤٥ مليوناً يذكر مصدر ألماني قديم أنه ٧٥ مليوناً غير أن الحقيقة أن المسلمين في القارة الافريقية يزيد عددهم عن ٨٥ مليوناً كما سنرى فيما بعد معتمدين على الاحصاءات الرسمية الحديثة وأقوال المكتشفين وعلماء الجغرافيا من الاوروبيين أنفسهم :

ثم ان ما يقال عن افريقية يصح أن يقال أيضا عن تعداد المسلمين في الصين . ذهن العجب أن يرتكب بعض الكتاب غلطة شنيعة فيذكر عددهم بها عشرين مليوناً في حين أن بعض المنصفين ممن كتبوا حديثاً يذكر أنهم ستون مليوناً أو يزيدون . ويضيق بنا المقام عند ما نستعرض في سرد الامثلة للاستدلال بها على خطأ كثير انما نذكر من بين أسباب هذا الخطأ اعتماد بعض الكتاب في احصائياتهم على مصادر كتبت منذ عشرات السنين مع أن عدد السكان في ازدياد مطرد ثم العوامل التي حدث بهم إلى وضع ذلك التعداد وأكثرها عوامل دينية للمقارنة بين الاسلام والمسيحية لاغراض تبشيرية قبالوا عن ذكر الحق وذكر أرقامها هي أقل بكثير من الحقيقة وانتهوا إلى أن عدد المسلمين في العالم يتراوح بين ٥٢ و ٦٠ مليوناً فقط ، فلذلك لم نجد بدا من التحرير الدقيق للتعداد الحقيقي . ويجدر بنا في هذا المقام التنويه بمقال مسهب كتبه الامير شكيب ارسلان في مجلته الفرنسية (لانسون آراب) محصن فيه الحق في هذا الصدد كما صحح كثيراً من الاغلاط التي وردت في احصائيات الاوروبيين بالدليل القاطع

وسنذكر فيما يلي تفصيل عدد المسلمين في مشارق الارض ومغاربها مستندين إلى أحدث الاحصائيات المضبوطة في الممالك التي يوجد فيها تعداد رسمي ، أما البلاد الاسلامية التي تعتقر إلى احصاءات رسمية ، أو البلاد العربية التي يوجد فيها أقليات اسلامية فقد اعتمدنا على المعلومات الصحيحة التي استقينها من الهيئات والجمعيات الاسلامية ذوات النفوذ فيها والتي تعتبر أوثق المصادر ، وها هو ذا البيان :

(أفريقيا)	
<p>مصر والسودان - ١٨ مليوناً وخمسة الف نفس</p>	<p>طرابلس - ٨٨٥ ألف</p>
<p>تونس - مليونان</p>	<p>الجزائر - خمسة ملايين</p>
<p>مراكش - ثمانية ملايين</p>	<p>الصحراء الكبرى - ثلاثة ملايين</p>
<p>الحبشة - أربعة ملايين</p>	<p>الصومال وارتريا - مليونان وخمسة</p>
<p>الف نفس</p>	<p>زنجبار - ثمانية ألف</p>
<p>كنيا وأوغنده وتنجانيقا - ثلاثة</p>	<p>ملايين وخمسة الف</p>
<p>موزمبيق - ثلاثمائة وخمسون ألف نفساً</p>	<p>مدغشقر - سبعمائة ألف</p>
<p>جزر الاتحاد وسيشل وموريس -</p>	<p>٦٥ ألف نفس</p>
<p>جنوب أفريقيا - اربعمائة ألف نفس</p>	<p>الكنغو البلجيكية - ثلثمائة ألف</p>
<p>الكامرون وتشاد - مليوناً وخمسة</p>	<p>الف نفس</p>
<p>سوكوتو - ١٥ مليوناً</p>	<p>ليبريا - مليون ومائتا ألف</p>
<p>النيجر - مليونان وخمسمائة ألف</p>	<p>النيجر - مليونان وخمسمائة ألف</p>
<p>ساحل العاج - مائتان وخمسون ألفاً</p>	<p>ساحل الذهب - تسعون ألفاً</p>
<p>نيجيريا البريطانية - تسعة ملايين</p>	<p>فوتاجالون - خمسمائة وخمسون ألف</p>
<p>والخمسمائة ألف</p>	<p>داهومي - مائة ألف</p>
<p>غينا الفرنسية - مليونان ومائة ألف</p>	<p>غينا البرتغالية - سبعون ألفاً</p>
<p>فوتاجالون - خمسمائة وخمسون ألف</p>	<p>السنغال - مليون نفس</p>
<p>السودان الفرنسي - ثمانمائة ألف</p>	<p>غينيا البرتغالية - سبعون ألفاً</p>
<p>غينيا البريطانية مائة وخمسون ألفاً</p>	<p>سيراليون - ثمانمائة ألف</p>
<p>مجموع هؤلاء ٨٦ مليوناً ومائة وعشرة</p>	<p>آلاف من النفوس</p>
<p>آسيا</p>	<p>شبه جزيرة العرب - ١٢ مليوناً</p>
<p>سوريا ولبنان - ثلاثة ملايين</p>	<p>فلسطين وشرق الاردن - مليون</p>
<p>العراق - ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف</p>	<p>تركيا (آسيا وأوروبا) - ١٤ مليوناً</p>
<p>ايران - عشرة ملايين</p>	<p>أفغانستان - تسعة ملايين</p>
<p>الهند - ٨٧ مليوناً</p>	<p>الصين - ٧٥ مليوناً</p>
<p>روسيا آسيا - ٢٥ مليوناً</p>	<p>روسيا آسيا - ٢٥ مليوناً</p>

أمريكا وأستراليا والفلبين	سيام - خمسمائة ألف
الولايات المتحدة - ١٢ ألفا	إندونيسيا والملايو - ٦٦ مليونا
المكسيك - ألف نفس	ومجموع هؤلاء ٣٠٦ ملايين نفس
البرازيل - ٢٥ ألفا	أوروبا
الأرجنتين - ثمانية آلاف	روسيا وأوروبا - ستة ملايين
غيانة البريطانية - عشرون ألفا	يوغوسلافيا - مليونان
غيانة الهولندية - ٤٠ ألفا	ألبانيا - تسعمائة ألف
غيانا الفرنسية - عشرون ألفا	بلغاريا - ستمائة وتسعون ألفا
ترينداد - ١٨ ألفا	رومانيا - ثلثمائة ألف
جميكا - ستة آلاف	فرنسا - مئتا ألف نفس
كوبا - أربعون ألفا	اليونان - مئة وثمانون ألفا
جزر الفلبين وأستراليا وجزر	إنجلترا - ثلاثون ألفا
اللاوقيانوس مليونان	بولندا ولتوانيا - عشرون ألفا
(الخلاصة)	أسبانيا - عشرون ألفا
أفريقيا ٨٦ مليونا و ١١٠ آلاف	المجر - خمسة آلاف
آسيا - ٣٠٦ مليونا	البلجيكا - خمسة آلاف
أوروبا - ١٠ ملايين و ٤٥٨ ألفا	إيطاليا - أربعة آلاف
أمريكا - ١٩٠ ألفا	ألمانيا والنمسا - ألفان
أستراليا والفلبين - مليونان	قبرص - ٦٢ ألفا
فالمجموع الحقيقي لعدد المسلمين في	رودس - ١٢ ألفا
العالم كله ٤٠٤ مليونا و ٧٥٨ ألفا	كريت - ٢٨ ألفا
	مجموع هؤلاء عشرة ملايين وأربعمائة
	و ثمانية وخمسون ألف نفسا

النار : الاقرب الى الصواب انهم ٤٢٠ مليون أو يزيدون

وفيات الاعيان

(الشيخ محمد توفيق البكري الصديقي)

في شهر ربيع الآخر لاثنتي عشرة ليلة منه توفي عين الايمان ، ونادوة الزمان ،
الممنّ المفنّ ، ومُزن الأدب المرجح ، الذي كان له في كل جو متنفّس ، ومن كل نار
مقتبس ، عميد أرفع بيوتات المجد الديني الدنيوي في مصر عاداً ، وأرسخها في الحسب
والنسب إوتاداً ، صاحب السماحة الشيخ محمد توفيق البكري الصديقي ، بعل مرض
عصبي طال عليه الامد ، وحجبه بضع عشرة سنة عن مخادع رجال السياسة ومحافل العلم
والادب ، قضى معظمها في مستشفى بيروت المعروف بالعصفورية ، وعاد منذ
بضع سنين إلى القاهرة ، فاقطع في مكتبه للمطالعة والكتابة ، زاهداً في المزاورة
والمحاضرة والمناظرة ، على أنه وهو لم يُبلّ من مرضه كل الابلال ، ظل حاضر
الذهن ، قوي الذاكرة ، صائب الرأي ، صحيح الحكم ، فيما يخوض فيه من مسائل الادب
والعلم ، وانما كان يعثر فكره ويأفن رأيه في أمر واحد سيامي هو الذي كان سبب
مرضه ذاك ، فقاتل الله السياسة وفتنها ، فهي التي أضاعت عليه وعلى الامة
الانتفاع باستمداده النادر في مركزه الرفيع .

لقد اوتي محمد توفيق من ذكاء القواد ولو ذعية الذهن ما ينجو دونه تلذع ذكاء
وتغلغليها ، ومن سبق إلى المعالي ما تكبو في غاياته جياذ المهم ما بقيا ومصلها ،
فكان كما قال الشاعر :

وقاد ذهن إذا جالت قريحته يكاد يخشى عليه من تلبيه

أخذ حظاً من التعليم المصري واللغة الفرنسية ، في مدرسة الانجال الخديوية ،
وأصاب ذرواً من الفنون العربية والشرعية من علم الازهر ، وقبس جذوة من الحكمة
بصحبة الاستاذ الامام وحضور دروسه الخاصة في جامع عابدين ، وتلقى غريب اللغة
وأدائها عن إمامها في هذا العصر العلامة الشيخ محمد محمود الشنقيطي الكبير ،
فكتب من إملائه اراجيز العرب وشرح غريبها ، ونظم الشعر ، وأتقن النثر ،
وصنف الكتب ، وكانت داره (سراي الخرنفش) مثابة للوجهاء والسكّراء ، وناديا
للعلماء والادباء ، ونزلاً لاقامة للآدب للفضلاء والغرباء .

وكان حظياً عند أمير البلاد عباس حلمي باشا، ووجيهاً عند لوزد كرومر عميد الاحتلال البريطاني المسيطر على الحكومة المصرية حتى انه كان يزوره بداره، وولاه الحديوي نقابة الاشراف ورياسة مشيخة الطرق الصوفية، وسافر إلى الاستانة فقال من عطف السلطان عبد الحميد أن وجهه إليه رتبة قاضي عسكر الاناضول العلمية العالية، وبعض الاوسمة السامية فاذا عسى أن يطلب من المجدد الطريف على مجده التليد فوق هذا؟ بيد ان هذا كان حملاً ثقيلاً بل أوزاراً ثقالاً على شاب نحيف الجسم، عصبي المزاج، مترق المعيشة، حريص على بلوغ الغاية من حظوظ الحياة المادية والمعنوية، وانما جئت عليه السياسة فأفكته عن كل ما كان يرجى منه من خدمة لأدب اللغة التي كان يميل إليها بطبعه، وإصلاح لطرق الصوفية التي كان متمكناً منها بمنصبه، وقد اجتهدت في ترغيبه فيها منذ عرفته عقب استقراره في مصر سنة ١٣١٥ وسألم بهذا فيما أكتبه من ملخص ترجمته

وانما أقول هنا في خبر وقاته وتشيعه إن مصر قد قصرت تقصيراً منتقداً في تشيعه فكان كتشيع رجل من الطبقة الثانية أو الثالثة من الوجهاء: قصرت الحكومة فيه فلم يحضره وزراؤها، وكان في منصب وزير أو أكبر، وانما حضره سادة محافظ القاهرة، وقصر علماء الازهر فلم يشيعه أستاذم الأكبر رئيس المعاهد ولا مفتي الديار المصرية ولا هيئة كبار العلماء الرسمية ورؤساء الكليات، وانما تشيعه منهم بعض أصدقاء بيتهم الاوفياء كالاستاذ العلامة الشيخ حسين والي، وقد كان يحمل من الرتب العلمية وكسب التشريف الرسمية ما لم يصل اليه أحد منهم، إذ كانت رتبته العلمية السلطانية (قاضي عسكر اناضول) تلي رتبة شيخ الاسلام وطبقته وهي رتبة قاضي عسكر وملي، وقصر في تأيينه الخطباء، وفي رثائه الشعراء، وهو في مكاته من حملة الاقلام ومجيدي النظم والنثر، ولكن دولة القلم دخلت في هذه السنين الذي احتجب فيها عنهم في طور جديد صار فيه مثله على كونه من الطراز الاول مرغوباً عنه، كما سألته بعد، وأبين أنه ليس بعذر في تقصير طبقات مصر العليا في الحفاوة بتشيعه وتأيينه، ومن لا قديم له يحفظ، فليس له جديد يفتخر به فرحم الله الشيخ محمد توفيق البكري وأحسن عزاء خليفته وابن أخيه صاحب الفضيلة الشيخ عبد الحميد البكري وآل البكري وبقية بيوتات المجد عنه .

أحمد شوقي بك أمير الشعراء

في صبيحة ١٤ جمادى الآخرة قضى نحبه أحمد شوقي بك الذي كان يلقب
شاعر الأمير فأمير الشعراء ، ولعل صديقه الأمير شكيب أرسلان الملقب بأمير
البيان هو أول من أطلق على شوقي هذا اللقب بقوله في آخر قصيدة له ألقيت في
الحفلة التي أقامها أدباء السوريين ووجهاء مصر لمحمد حافظ إبراهيم بخاطب حافظاً
فأنت أمير النثر غير منازع وأنت أمير الشعر من بعد أحمد

مات محمد حافظ إبراهيم شاعر النيل الاجتماعي ورثاه في حفلة الأربعين أحمد
شوقي بك فذكر في رثائه أنه كان يتوقع أن يكون مرثياً لا رائيه ، ولم يلبث أن مات
فجأة بعد ذلك بقليل ، فقبل أن ترقأ دموع عالم الأدب العربي التي كانت تترقرق حزناً عليه ،
وقبل أن يقضي شعراؤه لبايتهم من رثائه ، فجأهم قد شوقي ، فكان المصاب بالبدء في
سيادة الشعر ثانياً للمصاب بالثيان^(١) في الزمن ، ولكنه صار الأول في شدة الحزن ،
والمقدم في لوعة الشجن ، فأكبر الأدباء به الخطب ، وتضاعف الأسف في الشرق
والغرب ، فان شهرة شوقي أكبر ، وعشاق شعره أكثر ، ذلك بأنه طرق جميع أبواب
الشعر القديمة والحديثة ففتحت له أغلاقها ، وكان له السلطان الأعلى على أرواح
عشاقها ، بما أجاد في كل فن من فنونها ، إلا الهجاء والمجون فقد نزه شعره ولسانه عنها
فبتنا نوجس خيفة على دولة الشعراء ، ونندعول كبارهم في مصر بطول البقاء ، وأن
لا يكون هذا موسم الرحيل لشيوخ الأدباء ، فقد تناثر من سلكهم ثلاثة متقاربون في العمر ،
حافظ فالبكري فشوقي ، وسبقهم في هذه السنة الشيخ عبد المطلب شاعر البداوة
في الحضارة رحمهم الله تعالى ، وسنعود إلى الكلام عن شعره في جزء آخر

كان حافظ يظن بل يقول منذ ثلاث قرن ان مكانة شوقي من أمير البلاد كانت ترفع
شعره إلى أعلى مما يستحقه ولكن شعر شوقي علا بعد دولة ذلك الأمير بنفسه ، فوق
ما علا به في عهده ، حتى علم ان قربه من الأمير كان سبباً لوقفه في استعداده

(١) البدء يطلق على الأول في السيادة والثيان على من يليه . قال الشاعر :

ثياننا إن اتاهم كان بدأهم وبدؤهم إن اتانا كان ثيانا

حالت دون الوثبة التي وثبها بعد إخراج الحرب العالمية إياه من قفص قصر
عابدين ، حتى ان حافظا بايعه بامارة الشعراء في الحفلة العامة التي أقيمت له في
دار الاوبرة الملكية

وتقول اليوم ان الزمان الذي كان يرتفع فيه قدر العالم والاديب والشاعر
بأبنائه إلى أمير أو ملك قد مات ودفن ، وحي أو يموت الزمان الذي يرتفع فيه
قدر الشاعر بشعره ، وقرب الزمن الذي تعلو فيه درجة العالم بعلمه ، فان كان المتنبي
خلد من ذكر سيف الدولة ما لم يخلده له حسامه وسلطانة ، وكان ابن دريد قد انتاش
ابني ميكال من موت الذكر بعد موت الجسد ، فوق انتياشها إياه من ضمة الفاقة
والجول كما قال في مقصودته الخالدة من أبيات أذكر منها قوله

بفسي الفداء لأميري ومن تحب السماء لأميري الفدا
هما اللذائب أثبتا لي أملا قد وقف الناس به على شفا
تلافيا العيش الذي رتقه صرف الزمان فاستساغ وصفا
وقلداي منة لو قرنت بشكر أهل الارض عني ماوفي
بالشعر من معشارها وكان كالاحسوة في آذي بحر قد طما

فكذلك شوقي قد يحفظ من ذكر عباس حلمي ويخلد من صيته مالا يحفظه له
إمارته ولا ثروته اللتان تتمتع شوقي في ظلها الوارف حقبة من الزمن ، إلا أن يعمل
الامير للإمة بهذه الثروة الواسعة ، وما أوتي معها من الذكاء والهمة ، عملا علميا
إصلاحيا كبيرا ، ورب مائة ألف جنيه ينقها عباس في أثر باق تعجز أن يمدح بها
ويخلد ذكره بمثل قول شوقي له من قصيدة في ديوانه الاول

عباس انك للبلاد وانه لم يبق غيرك من يقول بلادي

ولكن للعباس فضلا على شوقي في شاعريته ، يربو ربا مضاعفا على فضله عليه في
جاهه وثروته ، إذ كان هو العون له على تعليمه وثرثريته ، وتثقيف عقله وخياله كما شرحه
شوقي في مقدمة الشوقيات ، وسأقفي على هذه الكلمة في تأيينه بكلمة أخرى أرجو
أن أجد فيها متردنا يغادره الشعراء والمؤثرون الكثيرون له رحمه الله تعالى وعزه
أنجاله وصائر آله ، والشعراء من رعيته



قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام مري « وشارا » كشار الطير

رمضان سنة ١٣٥١ برج الجدي سنة ١٣١١ هـ ش سلخ ديسمبر سنة ١٩٣٢

فتاوى المنار

أسئلة من صاحب الامضاء في بيروت (س ٥٧-٦٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله العلي العظيم وصلاة وسلاماً على رسوله الكريم
حضرة العالم العلامة والمدقق الفهامة الاستاذ الشيخ محمد رشيد رضا صاحب
مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى وأدامه نصراً للدين وخذلاناً لأعدائه الملحدين.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فالتمس من فضيلتكم أن تتكرموا
بالجواب على ما يأتي في مجلة المنار الغراء ولكم جزيل الشكر

س ١ : هل يجوز دفع زكاة المال أو زكاة الفطر لجمعية خيرية إسلامية تنفق
ذلك على بناء المستشفيات ، وعمارة المساجد وفتح المدارس ، وشراء أطعمة وألبسة
وكتب وغيرها لاولاد فقراء المسلمين أم لا ؟

س ٢ : رجل أوصى قبل وفاته بأن يصرف على تجهيزه ، وختمته ، وأسبوعه
وأربعينه ، أربعين ليرة عثمانية ذهباً ، والعادة عندنا في بيروت أن في اليوم الثالث
من الوفاة ويسمون ختماً ، واليوم السابع ، والأربعين منها تولم الولائم ، ويدعى
إليها الفقراء وغيرهم صدقة عن الميت برضى الورثة . فهل تنفذ وصية هذا الرجل
بعد وفاته أم لا ؟ وما هي النصوص التي تعتمدون عليها في الجواب ؟

س ٣ : إن كثيراً من شبان هذا العصر الذين تعلموا بمدارس أجنبية ، إن
أمرتهم بإقامة الشعائر الدينية كالصلاة وغيرها أو نهيتهم عن منكر يفعلونه ،
ردوا على أمرهم وناهيهم بقولهم (المدار على القلب . نق قلبك من النيات السيئة
تكن مؤمناً ناجياً ، والله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم) فما هو الرد
الشافعي على أمثال هؤلاء والمقتنع لهم ، المدحض لأقوالهم ، وما رأي فضيلتكم فيهم ؟

س ٤ : إن مديراً من مديري المدارس الخيرية الإسلامية في بيروت ألقى خطاباً في مدرسة تبشيرية ، دعا الناس به إلى إحلال العامية محل الفصحى لغة القرآن الكريم ، أو تسكين أواخر الكلمات العربية ، لصعوبة تعلم تلك اللغة وإعرايها على زعمه فهل يتم خطابه هذا عن شيء في نفسه ياترى ؟ وما مبلغ دعواه من الصواب ؟ وما رأي فضيلتكم في ذلك ؟

أفتونا وأفيدونا مأجورين من رب العالمين ، ودمتم مقضداً للقاصدين ،
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته ٤ ذي القعدة سنة ١٣٤٨ السائل سعد الدين خضر الادلي

أجوبة المنار بالاختصار

(٥٧) إعطاء الزكاة للجمعية الخيرية الإسلامية

إذا علم المزي أن الجمعية الخيرية الإسلامية الذي يعطيها زكاته تنفقها في مصارفها الشرعية على علم كان إعطاؤه إياها جائزاً مع اعلامها بأنها زكاة وتوكيل مديرها مثلاً بصرفها في مصرفها الشرعي ، وربما كان خيراً له من تكلف توزيعها على المستحقين بنفسه لصعوبة تمييزه للمستحق من غيره إلا أن يكون في ذوي القربى له من يستحقها وهو بمن لا يجب عليه نفقتهم فتقدمهم على غيرهم أفضل . وينبغي أن يعلم أن زكاة الفطر قد شرعت لاغناء الفقراء عن السؤال في يوم العيد وهو يوم خيافة الله عز وجل للمؤمنين فلا يجوز تأخيرها عن يوم العيد لانفاقها على تلاميذ مدارسهم الفقراء بعده . فان كان المزي يعلم أن للجمعية نظاماً لا يصلح زكاة الفطر إلى فقراء البلد لينفقوها في يوم العيد فذاك وإلا فليوزعها بنفسه أو من ينوب عنه ممن يثق بهم من الخدم أو غيرهم

(٥٨) تنفيذ وصية الميت

تنفيذ وصية الميت بما خصصه من المال لتجهيزه ودفنه والصدقة المشروعة واجب باجماع المسلمين وانما تكون الوصية شرعية اذا كانت لا تتجاوز ثلث ماله ولم تكن في محرم (كوصية امرأة معصية فاسقة في هذا العام أن تضرب عندها

يوم موتها العلف وأن تسقى المعزيات عنها الحر) وأولياء الميت المتغلبون بوصيته هم الذين يجب عليهم تنفيذ وصيته على الوجه الشرعي الذي أراده بها دون ما يخالفه، فإن خفي عليهم أمر التوفيق بين لفظه والمادات المألوفة في بلد فليهم أن يسألوا الفقهاء عن تفصيل ذلك والحكم يختلف باختلاف لفظ الوصية وطريقة تنفيذها

(٥٩) شبة الاباحيين في ترك شئ من الدين

إن ما ذكرتم عن هؤلاء الشبان المتفرنجين جعل فاضح خلاصته أن الدين الذي ينجو به الانسان من عذاب الآخرة ويستحق به نعيمها انشال عبارة عن أمر سلبى باطنى وهو ألا ينوي السوء والشر، ولم يوجد دين في الارض يقول بهذا وإنما الدين إيمان وعمل صالح ونية صالحة في العمل بأن يكون المرادة الله وما شرع العمل لأجله من تزكية نفس العامل وتحليتها بالفضائل ومنفعة عبادته في مثل الزكاة من الاعمال المتعدية الفائدة، فمن استحل ترك الصلاة أو غيرها من أركان الاسلام فهو كافر بإجماع المسلمين وكذا من استحل شيئاً من المحرمات القطعية كالزنا والسكر وأكل أموال الناس بالباطل

قال عليه السلام «إنما الاعمال بالنيات» الخ الحديث المشهور وهو في أول صحيح البخاري فمن لا عمل له لانية له إلا أن ينوي عملاً ثم يصرفه عنه المجز أو عذر آخر. ومن كان عمله الدينى للرياء والسمة وهوى النفس فهو منافق لا ينفعه عمله وإنما ينفعه إذا كان يعمل اتباعاً مخلصاً لله فيه. ويؤيد هذا المعنى المنفصل في تمة الحديث قوله عليه السلام «أن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم» وهو في صحيح مسلم والمراد أن مدار قبول العبادات كلها على الاخلاص في الاعمال وصدق النية لا على الظواهر العملية التي تقع من المنافق والصادق، والمرائي والمخلص، وهؤلاء المتفرنجون الاباحيون ظواهرهم قبيحة وبواطنهم اقبح، ولا يستند باسلامهم إلا بإقامة أركان الاسلام وترك نواهيهم، حتى إذا ما زل احد هم فترك واجباً أو فعل محرماً تاب الى الله تعالى.

وأمر السوء والشر الذي حصروا الدين في عدم نيتها تختلف آراء الناس وأهواؤهم فيه حتى قال بعض المفسدين من كتبة مصر ان العفة ليس لها معنى ثابت فهي تختلف باختلاف الزمان ، فظهور المرأة عارية للرجال وسباحتها معهم في البحار ورقصها معهم في الملاهي كانت تعد في الازمنة الماضية رذيلة مناقية للعفة والفضيلة ، وهي تعد الآن من فضائل المدنية بزعمهم ، بل استحسنوا الجهر بالفواحش التي يخفيها جميع البشر بداعية الفطرة وسموها الادب المكشوف . وجملة القول ان الاسلام هو العمل الصادر عن الايمان والاذعان النفسي لما ثبت في الشرع من الاوامر والنواهي وهو يستلزم الاخلاص وحسن النية

(٦٠) من ذم الناس إلى استبدال العامية بالعربية الفصحى الخ

ان كان المدير الذي أشرتم اليه يدعو إلى أن تجعل العامية لغة القراءة والكتابة أو يترك الاعراب منها فهو إما جهول لا يعقل مصلحة الامة العربية في دينها ولا دنياها ، وإما سييء النية يخدم الاجانب في إضعاف هذه الامة وإفساد أمرها عليها ، إلا ان كان يقصد بذلك الكلام المعتاد فله عذر ما، وهذا الذي نطنه وقد يكون الناقل مخبطا في الفهم

(معجزات المولد النبوي والشبهة على المراجع)

(من ٦١) من حضرة صاحبي الامضاء في يافا (فلسطين) تأخر

صاحب الفضيلة مولانا العلامة الاكبر الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فلا يخفى على فضيلتكم تطور الحالة المدنية وانتشار العلوم المعصرية من طبيعية وفلسفية في الاصقاع الاسلامية وبما لفضيلتكم علينا من فضل التربية العقلية والتثقيف العلمي رأينا من الضروري أن نتشرف برفع هذا الاستفهام اليكم واتنا على يقين من أنكم ستلبون طلبنا

وتتكرمون بإجابتنا إلى ملتصقة خدمة للدين وتطبيقا للعلم على العلوم المصرية في هذين الأمرين المهمين اللذين هما من مباني الدين الخفيف حتى تكون سلاحا في يدنا لينتفع بكم المسلمون في مشارق الارض ومغاربها آمين

يتقسم هذا الاستفهام إلى شقين

(الاول) عن المولد الشريف ماسبقه من البشائر والعلامات وما لحقه من المعجزات وتأيد ذلك بالبراهين العقلية والنقلية اجمالية أو تفصيلية

(الثاني) عن الاسراء والمعراج وبنوع خاص نظرية الصعود واختراق السماوات وقابليتها للالتئام وإمكان اختراق الجو مع عدم وجود الهواء في الفضاء أكثر من سبعة أميال وما رآه المصطفى ﷺ في طريقه

هذان الأمران اللذان ينكرهما الطبيعيون والماديون وإن سلم بعضهم بشيء منها وأنكر بعضها . كما نرجو من فضيلتكم أن تفضلوا بالإجابة في زمن يسمح لنا بالاستعداد قبل دنو شهر الميلاد أو أن ترشدونا إلى الكتاب أو الكتب التي يمكننا الاتئاع منها في هذا الشأن والاسترشاد بها والله يحفظكم

محمد فهمي غريب م . فوزي الامام

الواعظ العام بجامعة يافا الكبير امام وخطيب جامع يافا الكبير

الجواب

(٦١) ما يذكر في قصص المولد النبوي من البشارات والعلامات وما يختص به من المعجزات لا تؤيده براهين عقلية ولا تقنية ولكن هنالك روايات آحادية ليس فيها حديث مرفوع، ومنها الضعيف والموضوع، وأكثرها مراسيل واسرائيليات منكرة أشهرها في هذه القصص ثلاثة آثار طويلة فيما وقع أثناء حمله وعند ولادته ﷺ من العجائب. وقد قال السيوطي في الخصائص الكبرى «ان فيها نكارة شديدة ولم أورد في كتابي هذا أشد نكارة منها ولم تكن تقني لتطيب بأزاءها لكني تبع الحافظ أبا نعيم في ذلك » فان شئنا قصة المولد خالية من ذلك مقتصرة على

المسيح فليكن برسالتنا (ذكرى المولد النبوي) فيها غناء وفي مقدمتها تفصيل
لحكم الاختفال بالمولد وتاريخه وما فيه من بدع. ولما مختصر يقرأ في الحفلة الرسمية
بمصر وفي غيرها

(٦٢) الاسراء ثابت بنص القرآن فهو قطعي والمعراج روي من طرق متعددة
في الصحيحين وغيرهما تدل جملتها على صحة أصله على ما فيها من التعارض والاختلاف
في كونه وقع في البقعة أم في المنام - وهما على كل حال من الأمور الغيبية الخارقة
للمادة، ويقربهما من العقل أن روح النبي ﷺ كان لها سلطان على جسده في
تلك الليلة فطفت جسده الكثيف فكانت كالجسد الذي كان يمثل به الروح الأمين
في صورة دحية الكلبي فأمكنها أن تخرج معه بمثل قوته التي لا تقل عن قوة الكهرباء.
وبهذا التقريب تستطشبه حدود الهواء، وأما شبهة اختراق السموات فيقال فيها
أن الوصول إلى السماوات السبع وتجاوزها لا يقتضي اختراقها، وإنما كان هذا شبهة
لعلماء الهيئة الذين كانوا يزعمون أن الافلاك التي ركب فيها الدراري والنجوم
أجسام صلبة شفاقة لا تقبل الخرق والالتئام بطبيعتها، وظن بعض علماء الشرع أن هذه
الافلاك المزعومة هي السماوات، وقد أبطل علم الهيئة هذا الزعم من أساسه وإنما
السموات المذكورة في حديث المعراج من عالم الغيب تسكنها الملائكة وتخرج إليها
أرواح الأنبياء عليهم السلام. وقد سبق لنا تفصيل هذه المسألة في النار من قبل
وإن هنا قاعدتين لا ينبغي أن تغيبا عن مسلم (١) أن كل ما ثبت في الكتاب والسنة
من خوارق العادات، فالواجب على المسلم قبوله على ظاهره ما لم يتم برهان قطعي
حسي أو عقلي على استحالة ظاهره فيؤول (٢) أن كل ما أخبر به الوحي عن عالم
الغيب لا يقاس على عالم الشهادة ولا يشترط في قبوله موافقة سنن هذا العالم وعاداته،
ومعجزة الاسراء والمعراج من الخوارق الروحانية الغيبية، وليست من المحال الذي
يقول علماء الكلام أن قدرة الله لا تتعلق به. وقد فصلنا مسألة الخوارق في التفسير
عبراً آخرها تفسير هذا العام. وبيننا فيها أن ما ظهر لبشر في هذا القرن من عجائب
الكهرباء وغيرها قد قرب إلى القول كل ما كانت تستبعد من المعجزات وأمور الغيب

(إخراج مصلى من صلاته وإبطاله عليه لأنه قرأ بالبسملة)

(س ٦٣) من صاحب الامضاء

حضرة صاحب الفضيلة والسماحة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار تحية وسلاما وبعد (فاني) بينما كنت قادما من حلوان بمحطة باب اللوق وجدت عند نزولي بمحطة باب اللوق رجلا اقام الصلاة وحينما قرأ الفاتحة في أول ركعة ابتدأها بالبسملة وبدأ الآية بعدها بالبسملة فمنه رجل آخر وأخرجه من الصلاة وعرفه أنه لا يجوز قراءة البسملة لا في ابتداء الفاتحة ولا في ابتداء الآية أيضاً وهذا يختص بمذهب مالك زاعماً أن الابتداء بالبسملة في وسط السورة يبطل للصلاة فهل هذا الزعم في محله وهل كان له أن يخرج من الصلاة

وإلا فما رأي فضيلتكم وأرجوكم التكرم بنشره على صفحات المجلة ولفضيلتكم الشكر والثناء وختاماً تفضلوا بقبول فائق الاحترام

عزب سيف الدين

من أهالي محطة المعصرة الجديدة

خط حلوان

(ج) مسألة قراءة البسملة في أول سورة الفاتحة اجتهادية ومذهب الشافعي أن الصلاة لا تصح بدونها وأقوى حجة له تواترها عن بعض القراء وثبوتها في المصحف الامام بالاجماع ولا يمكن أن يقال في بسملة الفاتحة ما قيل في غيرها من السور وهو أن البسملة في أولها للفصل بينها وبين غيرها ، وإن الأحاديث المتعارضة في قراءتها آحادية ويأتي فيها قاعدة تقديم المثبت لها على النافي . ومن المقرر في المذهب كلها عدم جواز الانكار على متبع مذهب بمذهب غيره . وأما قراءة البسملة في ابتداء قراءة آيات من أثناء السورة فهو غير مشروع ولم يثبت في مذهب من مذاهب الأئمة ، ولكنه لا يبطل الصلاة وفاعله لا بد أن يكون قد سبق به لسانه أو يكون جاهلاً بالحكم ، وكان ينبغي للمنكر عليه أن يقول له وهو في الصلاة أو بعدها لا تقرأ البسملة في أول الآيات فإنها غير مشروعة ، وأما إبطاله لصلاته بإخراجها منها فهو خطأ وجهل ظاهر

(الانكار على تأليف الجمعيات الدينية ، بدعوى ان قام الاسلام بالسيف)

(ص ٦٤) من صاحب الامضاء الرمزي في طنطا

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام صاحب المنار الاغر

نحية من أبنائك المتمتعين بجليل علمك وعظيم خلقك المجهجين بجهادك في
سبيل الله جهاداً صادقاً لا نشوبه شائبة رياء أو ظهور

وبعد فقد تألفت في طنطا جمعيتان دينيتان ، جمعية الثقافة الاسلامية وجمعية
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الغرض منها العمل على رفعة الدين وبث
روح الهداية في الناس مع بعدهما عن كل ما يمس السياسة وقد وجدنا من كل
الطبقات في البلد تشجيعاً صادقاً وعطفاً ذا أثر .

غير أننا والاسف يلاً جوانحنا وجدنا شيخ معهد طنطا يحارب الجمعيتين
بكل ماله من الوسائل فيرغم الطلاب المشتركين فيها والمدرسين الذين انتخبوا
في مجلس إدارتها على الانسحاب منها بحجة أنها ليست من الطرق التي رسمها
الدين لاقامته لانه لم يقم إلا بالسيف .

فهل هذا صحيح ؟ وماذا كان بملك النبي ﷺ من وسائل القوة الحربية
في بدء الدعوة .

أنيدونا على صفحات المنار أو في الجرائد اليومية ولكم منا أجزل الشكر
ومن الله حسن الاجر والسلام عليكم ورحمة الله (م.س)

(ج) ان ما حكام هذا السائل عن شيخ المعهد الديني الاحدي الذي هو ثاني
الازهر جهل فاضح يكاد يكون غير معقول فان تأليف الجمعيات لاجل الدعوة إلى الخير
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثابت في كتاب الله بقوله (ولتكن منكم أمة
يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وأولئك هم المفلحون)
ويدخل في ضمن قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) فكيف يقول شيخ
معدود من كبار علماء الازهر هذا القول الذي أسند اليه في السؤال وهو من الجبل

الفاضح بصرح القرآن وبما هو معلوم من الاسلام بالضرورة ؟ ان لنا أن نرتاب في صحة هذا القول على إطلاقه وإن كان قد بلغنا عن هذا الشيخ من تأييد الخرافات الذي ينشرها الشيخ يوسف الدجوي ما لم يبلغنا عن غيره من علماء مصر ، بل علمت من بعضهم وعن بعض آخر أنهم ينكرون عليه ما تنبه من الطعن فينا ومن فتاويه الاخرى في تأييد البدع والخرافات ويعترفون بأنه فضح الازهر ومجلته بذلك وأما شيخ المعهد الاحدي فقد نقل الينا عنه أنه أمر بقطع أحد الطلبة عن الدرس مدة أسبوع أو أسبوعين . (الشك منا) لانه اعترف أمام أستاذ له بأنه يقرأ مقالات السيد رشيد رضا في الرد على الدجوي ويحلها ويستفيد منها . فالتسنا له من المذر انه ربما يكون قد قرأ مقالة الدجوي وبهائته في مجلة مشيخة الازهر وصدقه فيما افتراه علينا ولم يقرأ شيئاً من مقالاتنا في فضيحة كذبه وبيان جهله ، وان كان المشهور عنه انه على رأيه في خرافات القبور وامثالها ، وهذا الصنف من الازهرين يقل ويضمحل ولذلك لم يجد الدجوي له في الازهر من ولى ولا نصير . ولكن لم يعرف عن احد من الازهرين إنكار على الجمعيات الدينية والوعظية بل تعددت جمعياتهم في هذا العهد

وأما ما اسنده السائل إلى الشيخ الديناري من أنه يقول ان دين الاسلام لم يقم إلا بالسيف فهو من الجهل الفاضح بالسيرة النبوية والتاريخ يؤيد به طعن أعداء الاسلام من دعاة النصرانية وساسة الافرنج فيه ، وقد سبق لنا دحضه مراراً في المنار ، ونحيل السائل وغيره على ما كتبه الأستاذ الامام في رسالة التوحيد في دحض هذه التهمة والرد على مفتريها ، وعلى بحثنا في اصلاح الاسلام الحربي الذي يرى اوله في هذا الجزء

ويبقى الكلام مع شيخ المعهد الاحدي في مسألة أخرى وهي إن كان قيام الاسلام بالسيف يقتضي أن لا يعمل لبيانه ولا لنشره عمل إلا سبل السيف فهذه المعاهد الدينية التي يرأس احدها يجب إبطالها وإرسال طلبتها الى المداوس الحربية ، وان كان يفرق بين إقامته في الشركين المعاندين وتبليغه لغيرهم ولا سيما المسلمين الجاهلين فهاتان الجمعيتان من هذا النوع فكيف ينكر على مؤسسيهما من المدرسين والطلبة ؟

(بدعة كفارة الصلوات الفائتة)

(من ٦٥) من صاحب الامضاء بعزبة علام قانة (مجمع حمادي)

حسرة صاحب الفضل والفضيلة محي السنة وميت البدعة الاستاذ السيد
محمد رشيد رضا أطال الله عمره

سيدي أشكو اليكم مر الشكوى من جماعة يسمونهم أهل فضل في بلادنا
القائمة مركز مجمع حمادي يقرؤون على الناس فائدة في جبر الصلوات الفائتة في كتاب
صغير الحجم يسمى المجموعة المباركة في صحيفة ثمرة ٧ سطر ١ منه ومضمونها ان من
يصلي أربع ركعات في آخر جمعة من شهر رمضان ويقرأ دعاء كانت كفارة له
لا لاف سنة عن الصلوات الفائتة وإن لم يش هذا العمر فيكون الباقي إلى أقاربه
وجيرانه وأهل بلده ولربما فضيلتكم اطلعت على هذا الكتاب فارجو الجواب
ولكم الثواب يا منادي الاصلاح ، أبقاك الله ذخراً للاسلام والمسلمين . والرد
يصحكون بمجلتكم المنار الغراء
ابنكم حسين محمد
بعزبة علام قانة

(الجواب) اننا أخرنا هذا الجواب مدة طويلة وهو بديهي رجاء الاطلاع على
الكتاب المسمى بالمجموعة المباركة ونبين مفاسده وبدعه المضلة ولما يتسن لنا ذلك .
وقدر أينا ان نشره الآن في هذا الجزء الذي يصدر في شهر رمضان مناسب فنقول
ان هذه الكفارة باطلة بالضرورة وكذب على الله تعالى واقتراء على شرعه القويم
بل هي مفسدة تجرى الجاهل الذي يصدقها على ترك الصلاة التي هي عماد الاسلام
ولا يصدقها مسلم يعرف ضروريات دين الاسلام ، بل يدرك بطلانها كل من له مسكة
من العقل وقليل من الذكاء فانه يدرك ان صلاة اربع ركعات من التوافل لا تغني عن
جميع الصلوات المكتوبة . ومن علامات الحديث الموضوع ان يكون فيه ثواب
عظيم جدا على عمل قليل . وأجدر بهذا التكفير لترك الصلاة أن يكون تكفيراً
بالإيمان من أصله . وليتم تجدون لنا نسخة من هذه المجموعة الضلالية المفسدة
للاسلام لنبين ما هي ان يوجد فيها من هذا الضلال غير هذه المسألة

نموذج من كتاب

الانجيل والصليب

(لعالم كبير من قسوس الاشوريين هداه الله الى الاسلام)

« الباب الثاني »

غرضه الانجيل وموضوعه ((الاسلام)) و((الاحمد))

المبشر لوقا يبشر (بالاسلام) و (باحمد)

لننظر الآن في التأويل والتفسير الحقيقي للفظ انجيل الذي يبشر بالسعادة الحقيقية وماذا يحتمل أن يكون القصد من كلمة « امل » او « ملكوت الله » ؟
فاذا انكشف هذا السر نكون قد فهمنا روح الانجيل ولبه . أسأل الله تعالى أن يمن على هذا المؤلف الاحقر بان يجعل له نصيب الفخر بكشف هذه الحقيقة التي تعدل الدنيا وما فيها بأهميتها العظمى وقيمتها التي لا يساويها شيء - مع انها وبالأسف لم تنزل حتى الآن بمجھولة لدى كل من المسلمين والمسيحيين - وتمحيصها من التحريفات والتأويلات الفاسدة ، وابرازها بتمامها وصفاتها بالادلة القاطعة والبراهين المسكتة بصورة صريحة واضحة بحيث يفهمها كل أحد

وهاءنذا أتحدى باعلان واظهار هذه الحقيقة لجميع العالم وكافة روحانيي النصراري وأشهر أساتذة الالسنه والعلوم الدينية في دور الفنون الموجودة في العالم المسيحي ، تسلية لقلوب المسلمين ، وثبيتا لايمان الموحدين ، الذين أصيبوا بأنواع المصائب ، وأمسوا هدفا للتحقير والطعن في هذه الايام الاخيرة . وهاءنذا أفتح كلامي بالحمد والشكر ونحياتي مع روحي وحياتي مشفوعة مع شهادة ان لا إله إلا الله ، تلك الكلمة الطيبة كلمة التوحيد والايمان الصحيح تقربا إلى الله الواحد الاحد ، مكون الكائنات ، وواهب العقول والافهام ، المطلع على خفايا السرائر (المنار : ج ١٠) (٩٤) (المجلد الثاني والثلاثون)

٧٤٦ ترنيم الملائكة ليلة مولد المسيح بالاسلام وأحمد (ع م) النار : ج ١٠ م ٣٢

والنيات ، جل جلاله ، وخدمة لدين حبيبه ومصطفاه سيدنا محمد ﷺ فاني قد عاهدت الله عز اسمه بان أقف نفسي على خدمة هذا الدين المبين وخدمة أمته المظلومة ، والدعاء لها ، والله وني الاجابة والتوفيق . بعد هذا أقول :

جاء في لوقا أنه ظهر في الليلة التي ولد فيها المسيح عليه السلام المرعاة الذين كانوا في البرية جمهور من الجنود السماوية يترنمون بهذا النشيد : (لوقا ٢: ١٤)
« الحمد لله في الاعالي ! وعلى الارض اسلام ! وللناس أحمد »^(١)

إن الذي فتح عيني هذا المحرر الفقير ، ووهب له مفتاح أبواب خزائن الانجيل ، وكان له دليلا في تتبع الاديان الاخرى ، وانعام النظر في الانجيل مرة أخرى ، هو هذه الآية آية الآيات الالهية .

اني مطمئن بأن هذه الآية الجليلة ستبعث اليقظة مع الحيرة والدهشة في قلوب كثير من المسيحيين كما وقع ذلك لي لاني واثق بانه يوجد في هذه الملة اليوم أناس كثيرون برءاء من التعصب والسفسطة ، وانهم لا يتأخرون عن الاذعان والتصديق للكلام الحق ، ولا يترددون في قبول الفكر الصحيح وقتاً ما

كيف ترجموا هذه الآية

كما تقدمت في هذا المؤلف الوجيز تزعجني هاتان الواهمتان . الاولى هل يوجد من يشعر باني راغب في اكتساب الشرف والعظمة بنقد المفسرين والمترجمين ؟ والثانية — هل أنا مصيب في ترجمتي وعلى حق في تفسيرتي ؟ إن في مكتبة هذا العاجز نسخة من الكتاب المقدس بالعبرانية ونسخة من ترجمته بالسريانية الجديدة ونسخة ثالثة بالتركية مع نسخة من الانجيل والتوراة باليونانية ولم أجد ما أحتاج الى مراجعته من المؤلفات في مكتبة بايزيد العامة لا كمال هذا

(١) في الترجمة العربية : وعلى الارض السلام و بالناس المسرة .
والمؤلف يعلم هذا ونقله فيما يأتي ولكنه يقول هنا ان الاصل الصحيح هو ما قاله ثم شرحه في التفصيل الآتي اه مصححه

المعمل النافع . فأنا مضطر إلى الاكتفاء بما عندي من هذه الكتب . على أنه ليس في المطبعة حروف عبرانية ولا يونانية

وهاء نذا أشرع في المقصود وقبل أن أدخل في بيان شرح الآية التي نحن في صدد الكلام عنها وأبسط تدقيقاتي فيما سأورده في إثباتها بصورة مفصلة في الفصل العاشر - أراني مضطراً إلى تقديم بعض المقدمات الإيضاحية بمبارة مختصرة فأقول : إن الرعاة السوريين الذين ذكروا في الآية لم يكونوا من خريجي أكاديمية أثينة وقد سمعوا جمهور الجنود السماوية يترنمون بتلك الانشودة المعجبية فلا يمكن إذاً أن تكون الانشودة باليونانية . هذا شيء لا يوجد من يعترض عليه ، ومن البديهي أنهم كانوا يوتلون التسييح باللغة السريانية . ولم يذكر أنشودتهم المهمة هذه متى ولا المبشرون الآخرون ، وإن لوقا كتب مواعظته باللغة اليونانية لأنه روماني أو لاتيني على ما هو معلوم من اسمه .

كلمتان وردتا في اللغة الأصلية للآية المذكورة لم يدرك أحداً محتويان عليه من المعاني تماماً ، فلم تترجم هاتان الكلمتان كما يجب في الترجمة القديمة من السريانية على وفق ما وقع في التراجم إلى اللغات الأخرى ، فبناء عليه يجب البحث عن نشيد الملائكة في اللغة الأصلية ، لأن لوقا إنما كتب كتابه متخذاً كثيراً من المؤلفات المتقدمة (١) مادة له ، ثم إن تلك المآخذ المتقدمة صارت عرضة لتفويض وتصرف مراقب مجمع نيقية (٢) الفاقد للرأفة ، وبهـد كل ما كان فإن ترجمتها باليونانية وقعت على الوجه الاتي كما في (ترجمة بايبل سوسايتي)

« الحمد لله في الاعالي ، على الارض سلامه ، في الناس حسن الرضا »

ومن البديهي ان الملائكة لم يندشوها باللغة اليونانية ، وإلا كانوا كمن يكلم الرعاة الاكراد في جبل هكاري باللغة اليابانية ، فلنبين الآن التفسير الصحيح الحقيقي للكلمتين « ايريني ، السلامة » و « ايودكيا ، حسن الرضا » فيا للمعجب ! لكن انظروا أولاً إلى هذا التفسير الذي فسروه هم .

أولاً ، كلمة « دو كسا » مشابهة لكلمة (الحمد) في العربية والعبرانية

(١) - (لوقا ١: ١ - ٤) (٢) نيقية هي بلدة أزيق من توابع خداوندكار .

والسريانية . وهي من الالفاظ المشتركة بين جميع اللغات السامية ، و«دوكسا» مشتقة من (دوكو) أو (دوكشو) .

وبناء على ذلك تكون التسيبحات ، بمعنى حمد وعقيدة وفكرة . والكلمة المستعملة في السريانية بمقابل (دوكسا) هي كلمة (تسبوحتا) وفي اللاتينية Gloria والفرنسيون والانجليز والمثلل العربية تستعمل كلمات تشبهها

كثيراً مانصادف في صحائف كتب العهد القديم كلمات بعين الكتابة مشابهة لكلمات (حمد) و (احمد) و (محمد) فما يشابه (محمد) ما جاء في ملوك أول ٦:٢٠ وهوشع ١٦:٩ ويوثيل ٥:٣ ومرثي ارميا ١٧:١١ و... الخ

فالاولى من الكلمتين اللتين هما موضوع بحثنا الآن هي (ايريني) فقد ترجمت بكلمات (سلامة) و (مسالة) و (سلام) لكني لا أفهم لماذا يترجم مترجمو (بايبل سوسايتي) اللفظ الواحد مرة (سلام) ومرة [سلامة] وأخرى [مسالة]؟ ان كلمة [ايريني] بمعنى [سلم] و [سلام] وهي من الالفاظ المشتركة بين جميع اللغات السامية^١ كما ان كلمة [حمد] كذلك موجودة في جميع تلك اللغات . ففي السريانية [سلم] وفي العبرانية (شالوم) التي يستعمل في مقابلتها الغريون للنسوبون إلى اللغات اللاتينية . Pace, Paix, Pax, Peace

من المعلوم ان لفظ (إسلام) يفيد معاني واسعة جداً ، ويشتمل على ما تشتمل عليه ألفاظ (السلم ، السلام) و (الصلح ، المسالة) و (الأمن ، الراحة) أي ان من أسلم وجهه لله واجب الوجود يكون مسلماً ، وتزول من قلبه المداوة والخصومة التي يثيرها الكفر بالآيمان الذي يحل في قلب من أسلم مع الاقرار باللسان ، فهو للقلب راحة ، وفي الآخرة أمان ، ومن المسلمين المجاورين اطمئنان على العرض والنفس والمال . وهذا الاسلام يعطي راحة للفكر ، واطمئناناً للقلب ، وأماناً يوم القيامة

ان الكلمتين (ايريني) و (سلم) تفيدان هذا المعنى بعينه ، وأما كلمة (إسلام) ، فهي مع ما تشتمل عليه من المعاني التي شرحناها آنفاً باختصار تتضمن معنى زائداً وتأويلاً آخر أكثر وأعم وأشمل وأقوى مادة ومعنى ، ولكن قول

الملائكة « على الارض سلام » لا يصح أن يكون بمعنى الصلح العام والمسالمة . لان جميع الكائنات وعلى الاخص الحية منها ولا سيما النوع البشري الموجود على كرة الارض دارنا الصنيرة هي بمقتضى السنن الطبيعية والنواميس الاجتماعية خاضعة للوقائع والفجائع الوخيمة كالاختلافات والمحاربات والمنازعات . وذلك لكي يتمتعوا بالحياة والرقى ، ويملو قسطهم من قانون الترقى والتكامل . وهذه النزعة الفطرية الضرورية من غرائز البشر تحدث لهم ضروب الاختلاف والتنازع ، وتحملهم على الشقاق والجدال والجلاد

فمن المحال أن يعيش الناس على وجه الارض بالصلح والمسالمة ، ولا يتمكن أي دين كان أن يضمن دوام السلم العام بين الامم والاقوام حتى لو تعلقت إرادة الله عز وجل بذلك لاقتضى أن يبدل سننه الاجتماعية في طباع البشر ونظام معاشهم ويغير النواميس الطبيعية فيهم ويستبدل بها غيرها

إن الحكومات المستريحة الآمنة المسالمة اذا لم تكن على حذر دائم من عدوها تكون مقضيا عليها بالتدلي والسقوط ، ولا تزال تتقهقر حتى تصير الى البداوة والانحطاط أو الاضمحلال ، واذا كانت الامم لا تخشى اعتداءاً على حياتها أو عرضها أو مالها ، والحكومات الحاضرة لا تحسب للدماء ولا للآثار حساباً ، فلماذا تراها منهمكة في السابقة لى الاختراعات الحربية المرعبة التي نشاهدها ؟ خرقوا جبال الالب من أسفلها وهي التي تمردت على ذكاء (بونايرت) و (انيبال) وهمتهما ، وعبدوا الطريق فيها حتى صارت تمر منها القطارات بالكهرباء ، وبساق فيها الجيوش

ليقم كبار العرب — الذين سافروا من حضرموت إلى الصين وجاوا — من أجدانهم ولينظروا إلى تلك البحار التي مخرروا فيها والامواج التي تسنموا غواربها ماذا يرون ؟ أما البحار فهي هي بعينها ، ولكن أي السفن أنشئت ، وأي الآلات اخترعت لطى تلك المسافات بالسرعة العجيبة ؟ وإلى الرياح العاتية والمواصف القاصفة في حو السماء ! هي وإن كانت باقية على حالها منذ القدم ، ولكن ليصروا كيف ان الفن أنفذ فيها التآخرف اللاسلكي وسخرها كخادم له ، ثم لينظروا

هذه المناطيد والطيارات ، والمدركات والغواصات والدبابات ، من مخترعات العقل والفن ، ما أوجدتها الا الضراوة بالحرب ، وعدم الثقة بماهدات الصلح ، والامان من الحرب ، واذاً يكون (السلام) الذي هتفت به الملائكة ليس عبارة عن الاستراحة والمسالمة الدنيوية ، او ان يدخل جميع الناس الكنيسة فيصبحون آمنين مرتاحين تحت إدارة الاساقفة والرهبان خدام (الاسرار السبعة) بل إن كان في الدنيا شيء قد اكتسب أكبر شهرة في اقتراف المظالم وإيقاد نيران العداوة فلا شك انها الكنيسة ، أقول لاشك ، لان تلك حقيقة تاريخية ثابتة بالفعل ويقول المسيح نفسه (ماجئت لألقي سلاماً على الارض) وأما الذين يصدقون بانه سيتأسس صلح عام ، فاولئك هم عبيد الوهم والخيال .

الاسلام

الاسلام : دين أساس ادارته وحكمه العدل المطلق الذي لا هوادة فيه ، لان الجرائم والجنايات تعاقب عليها يد العدالة ، وليكن الاشرار والمنافقين من المسلمين لا يزالون يسمعون في الارض فساداً ، ولم يخل زمن الخلفاء الراشدين — مثال العدل المطلق الكامل — من مثل هذه الاختلافات والشقاق من الحروب

إذن فماذا كانت تقصد الملائكة ؟ هل قصدت (سلام عليكم) (سلم لحن) كما يريد أن يحكي بعضنا بعضاً ، ويؤدي له رسوم المجاملة ؟ الناس يمكنهم أن يستعملوا ما يشاءون من الكلمات الرقيقة لاجل المجاملة ، ولكن لاحكمة ولا حاجة أبداً إلى ذلك في التبشير السماوي ، ولا سيما اذا كان من قبل جيش من الملائكة يترنمون في جو الافلاك .

(إبريني) أي (الاسلام) هو الدين المبين، وحبل الله المتين ، المكمل للانسان جميع وسائل ترقيه المادية والمعنوية، والكافل له سعادة الحياة والعيش الرغيد إلى الابد مها أكس حريصاً على التزام الاعتدال ، وعلى سوق القلم فيما لا يجرح عواطف للمسيحيين ، فلا بد أن أكون معذوراً اذا ما تجاوزت أحياناً هذه الخطأ

رحمك ربي ! ما أكثر ما ينبغي به أحرار الفكر ^(١) والموحدون في أوروبا وأمريكا على النصرانية من التحقير الشفهي ، والاعتداء التحريري ! ومن المعلوم بالضرورة ان مثل تلك المطاعن لا تقع في بلاد المسلمين كتركيا ما كان أجدر الكنائس بخدمة الانسانية لو صرفت عنايتها في مجامعها الكبرى من مجمع نيقية الى آخر مجمع للفاثيكان ^(٢) عن فحص الاسرار والاشياء السحرية ووجهت همتها إلى المعاني العميقة للآية التي نحن بصدد التدقيق في معناها : كم كان المسيح من طبيعة وإرادة ؟ هل كانت أمه مريم إذ كان في رحمها بريئة من الذنب المغروس أم لا ؟ عند ما يتحول الخبز والخمر إلى لحم المسيح ودمه في القربان المقدس هل يفقدان جوهرهما أم أعراضهما فقط ؟ إذا كان عقد النكاح كارتباط المسيح بعروسه الكنيسة أبدياً فيكون افتراق الزوجين وانفصال أحدهما عن الآخر محالاً حتى الموت أم لا ؟ هل ينبثق الروح القدس من الآب وحده ، أم من الآب والابن معاً ؟ وأسفاً على الكنيسة التي تشتغل بمثل هذه المسائل !

إذن فالملائكة أرادت أن تقول « سيؤسس دين الاسلام على الارض » . اقول إلى رهبان البروتستانت وواعظيهم الذين يدعون ان المسيح جاء بالسلام ان مدعائكم غلط محض ، وان المسيح قد قال صريحاً وتكراراً انه لم يأت بالسلام بل بالسيف والنار، والاختلاف والتفريق بين الناس، فلا مناسبة للسلام بالمسيح ولا بالمسيحية ، ودونكم هذه النصوص .

« لا تظنوا اني جئت لألقي سلاماً [ايريني] على الارض . ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً » (متى ١٠ : ٣٤) وفي موعظة أخرى للمسيح « جئت لألقي ناراً على الارض، أتظنون اني جئت لأعطي سلاماً على الارض ، كلا أقول لكم، بل انقساماً » (لوقا ١٢ : ٤٩-٥٣)

إن تدقيقاتنا ومطالعاتنا العميقة في هذا الموضوع مندرجة في الفصل العاشر ولكن اضطررت هنا عند تحقيق معنى الانجيل إلى تدقيق في المعاني المهمة التي

(١) أحرار الفكر - هم الذين ينتقدون كل الأديان والفرنسيون يسمون هؤلاء (ليبريانسور) (٢) مجمع الفاتيكان، معطل الآن. وكان قد دمي من قبل (يونونو)

تتضمنها الآية المذكورة لا غير ، فان الملائكة في هذه الآية تخبر وتعلن صريحا بانه سيظهر دين باسم « الاسلام » و « السلم »

فاذا كانت هذه الفكرة التي بينها باطلة ، فالآية المذكورة ليست إلا نعمة لأمنى لها [حاشا] فما دامت النصرانية تعتقد ان الآية المذكورة وحي وإلهام من قبل الملائكة حقيقة ، فيجب علينا ان نقبلها مثلهم ، ونضطر إلى الاعتقاد بانها أهم وأعظم شأنا من أية آية في الكتب السماوية ، لان هذا الإلهام ليس من قبل نبي أو رسول أو ملك واحد، بل هو إلهام من قبل جمهور من الجنود السماوية يهللون ويترنمون بالذات ، فنحن على هذا مضطرون إلى قبول ان محتوياتها أيضاً عبارة عن تظاهرات كبيرة وتجليات مهمة جداً تتعلق بمنافع البشر وبنجاتهم في المستقبل .

ولئين ان أنبياء الله قد استعملوا من قبل في أسفار التوراة (العهد العتيق) هذا المعنى اللغوي لكلمة (اسلام) بمادة هذا المصدر نفسه ومشتقاته وهي (سلم تسليم ، اسلام) العربية ، و (شلم ، شلوم) العبرانية ، و (شلم) السريانية ، على الوجه الآتي :

(اشعيا ٤٤: ٢٦ و ٢٨) اتمام ، اكمال ، اكمال النقص ، الذهاب به إلى مكانه

(اشعيا ٣٨ : ١٢) الانتهاء ، الايصال إلى المنتهى

(أمثال سليمان ١٦ : ٧) المصالحة ، الصلح مع .

(يشوع ١٠: ٤-١٠) عقد الصلح والمصالحة ، التسليم والضبط .

فالاسلام عبارة عن الدين المتم والمكمل للاديان السابقة والحاكم في الاختلافات الكائنة بين اليهودية والمسيحية والمصلح بينهما ، ومدخلها في ضمن دينه المكمل المتم ليكون الجميع شوية مسلمين لله ، مسلمين ومؤمنين

أليس لهذه الآية رابطة بصورة بليغة بآية القرآن المجيد التي نزلت على حضرة خاتم الانبياء في حجة الوداع ؟ وبلغها لا كبر مجتمع في عصره ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾

(للنموذج بقية)

المقال الخامس

البهية الاولى انكار الملائكة

زعمت مجلة مشيخة الازهر أن صاحب المنار « قرر أن الملائكة عبارة عن القوى الطبيعية » واحتجت عليه « بالحوار بينها وبين الله تعالى » وبقوله تعالى (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضللاً بعيداً) فهل يريد محرر هذه المقالة بما بهتابه أن يعتقد قراؤها الذين أنشئت لارشادهم باسان هذا المعهد الاسلامي العظيم أن صاحب المنار لا يؤمن بالملائكة وهو الذي أنشأ مجلته منذ خمس وثلاثين سنة لدعاية الاسلام والدفاع عنه وتبرئته من البدع والخرافات التي تصد عقلاء البشر عنه وتفتح لهم أبواب الطعن فيه وهو المفسر للقرآن بالجمع بين المعقول والمنقول وتزيمه عن الخرافات الاسرائيلية وغيرها - وهو المتصدي للافتاء العام في أصول الدين وفروعه حتى لقبه العلامة الشهير الشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي « بمنفي الآفاق ، على رغم أنف كل ذي حسد ونفاق » هل يريد أن يقول في هذا الرجل إنه ينكر أن لله ملائكة منهم الروح الامين مبلغ وحي الله لرسله ، ومنهم حملة العرش ، ومنهم ملك الموت وأعوانه ، ومنهم ملائكة الرحمة بملائكة العذاب والمدبرات لامور الخلق باذن الله

من كان لا يؤمن بالملائكة فهو لا يؤمن بوحي الله إلى رسله ولا يكون مسلماً ولا يهودياً ولا نصرانياً ولا ملئاً وثنياً . فان كان صاحب المنار من هذا الصنف فلماذا سكت له على كفره هذا علماء الازهر الاعلام وغيرهم من علماء الاسلام مدة ٣٥ سنة وهو يطالبهم في كل مجلد من مجلته كما يطالب جميع من يطلع عليها بأن يكتبوا اليه بما يرونه باطلاً أو منتقداً فيها مع بيان دليله لينشره لهم فيطلع عليه سائر قرائه كيلا يضلوا بما ضل هو به ؟ حتى اذا سخط عليه أحد محرري مجلة المشيخة بانتقاده لبعض ما نشره فيها من تأييد البدع والخرافات ، بتحر يف الآيات وتصحيح

الموضوعات ، أظهر للناس هذا الطعن انتقاما لنفسه ولها ، لا خدمة للدين ، ولا نصيحة للمسلمين ، فهل كانوا عاجزين أو جاهلين ، أم لا يهمهم أمر الدين ؟ هذا ما نقوله من ناحية الالتزام العقلي ، وثقي عليه ببعض الشواهد الناطقة بعقيدة الايمان بالملائكة واتباعنا عقيدة السلف الصالح فيها ، ويجب أن تكون هذه الشواهد بعضها من كلامنا في التفسير وفي مجلة المنار ، وبعضها من كلام الاستاذ الامام في تفسير المنار نفسه وفي تفسيره هو الجزء عم .

ذلك بأن شبهة المفترى في هذه المسألة هي عبارة للاستاذ الامام قالها في درس التفسير بالازهر وقلناها عنه في المجلد الخامس من المنار (سنة ١٣٢٠) فاستشكلها بعض من سمعها منه وبلغوه ذلك فوضح مراده في درس آخر ، لا يزال في علماء الازهر الذين حضروه من يذكره . وقد صرح به في مجلس الصلح أحد محوري مجلة المشيخة ، ثم كتب بيده ايضا حا آخر له نشرته في تفسير الجزء الاول معزواً اليه رحمه الله مطبوعاً بحرف أكبر من الحرف الذي نطبع به التفسير ،

فهذه مسألة فرغ منها منذ ٣١ سنة ومن مقاصد إثارتها الطعن في دين الاستاذ الامام وعلمه من وراء حجاب الطعن في صاحب المنار ، مع العلم بأن صاحب المنار اذا كتب فيها فلا بد له أن يعزوها إلى الاستاذ الامام ، فإيماء الطاعن بأنه هو الذي أظهر كفر أستاذه للناس ، وكان من حق الوفاء له عليه أن يقبل الطعن على نفسه وحده وليس كفة قليل الوفاء . وقد كتب الطاعن مثل هذا في مسألة الطعن علينا بانكار وقوع السحر على النبي (ص) والمنكر له هو الاستاذ الامام في تفسيره الجزء عم لافي المنار وله سلف فيه من أئمة العلماء ، وسيأتي بيان ذلك في محله ، وهاك الشواهد

(الشاهد الاول)

ان اول موضع ذكرت فيه الملائكة من تفسير المنار لسورة البقرة هو قولي في الايمان بالغيب من تفسير الآية الثالثة ما نصه

«الناس قسمان: مادي لا يؤمن إلا بالحسيات ، وغير مادي يؤمن بما لا يدركه الحس أي بما غاب عن المشاعر متى أرشد اليه الدليل أو الوجدان السليم ، ولا شك أن الايمان

المنار : ج ١٠ م ٣٢ . الشواهد من المنار وتفسيره على الايمان بالملائكة ٧٥٥

بالله وملائكته - وهي جنود غائبة لها مزايا وخواص يعلمها الله سبحانه وتعالى -
وباليوم الآخر - ايمان بالغيب . اهـ [من صفحة ١٢٧ من جزء التفسير الاول]
فهل هذا النص على أن الملائكة جنود لله تعالى من عالم الغيب لها مزايا خاصة
بها - يتفق هو والقول بأنهم عبارة عن القوى الطبيعية ؟

(الشاهد الثاني)

ذكرت في الكلام على الوحي من سياق اعجاز القرآن من تفسير سورة البقرة
ايضا ان ملك الوحي يتمثل للانبياء عليهم السلام وانتشدهت عليه آيات ثم قلت
« وأما تمثل الملك فكانوا يكتبون في إثباته بقولهم انه ممكن في نفسه وقد
أخبر به الصادق فوجب تصديقه . وتقول اليوم ان العلوم الكونية لم تبقى شيئا من
أخبار الغيب غريبا ، إلا وقربته الى العقل بل الى الحس تقريبا ، بل ظهر من
الاختراعات المادية المشاهدة في هذا العصر ، ما كان يمد عند الجماهير محالا في نظر
العقل - لا غريبا فقط ، فاذا كان الانسان الكيميائي يحلل الاجسام الكثيفة
حتى يصير غازات لا ترى من شدة لطافتها ، ويكشف العناصر اللطيفة فتكون كالمادة
بطيها ، فكيف يستغرب تكشف الملك لنفسه - وهو من الارواح ذات الميرة والقوة
المظلمة - بأخذ من مواد العالم المنبثة فيه هيكل على صورة الانسان مثلا ؟ دع
مخترعات الكهرباء المعجبة التي لا يوجد شيء مما أخبر به الرسل من عالم الغيب إلا
وقبها نظير له يقربه من الحس لا من العقل وحده . وهل الكهرباء إلا قوة مسخرة
للملائكة - اهـ ويليه كلام في ارواح البشر وقول الامام مالك فيها [راجع ص
٢٢٥ من جزء التفسير الاول أيضا] فهل معنى هذا ان الملائكة من القوى الطبيعية ؟

(الشاهد الثالث)

قلت في الكلام على الملائكة من تفسير آية البر مانعه : إن الايمان بالملائكة
أصل الايمان بالوحي لأن ملك الوحي روح ماقول عالم يفيض العلم باذن الله على روح
النبي ﷺ بما هو موضوع الدين ، ولذلك قدم ذكر الملائكة على ذكر الكتاب

والنبيين ، فهم الذين يؤتون النبيين الكتاب (٩٧ : ٤ تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر - ٢٦ : ١٩٣ نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ١٩٤ بلسان عربي مبين) فيلزم من انكار الملائكة انكار الوحي والنبوة - إلى أن قلت - والملائكة خلق روحاني عاقل قائم بنفسه ، وهم من عالم الغيب فلا نبحث عن حقيقتهم كما تقدم غير مرة (اهـ صفحة ١٢٣ و ١٢٤ من جزء التفسير الثاني) فهل معنى هذا أن الملائكة قوى طبيعية ؟

(الشاهد الرابع)

قلت في تفسير آية سورة النساء (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله) الآية التي اوردها علي مانصه « فالإيمان بالله هو الركن الاول ، والإيمان بجنس الملائكة الذين يحملون الوحي الى الرسل هو الركن الثاني ، والإيمان بجنس الكتب التي نزل بها الملائكة على الرسل هو الركن الثالث . والإيمان بجنس الرسل الذين بلغتهم الملائكة تلك الكتب قبلها فلها هو الركن الرابع . الخ (راجع ص ٥٩ ج ٥ تفسير) فهل يمكن أن يكون المراد بالملائكة الذين يحملون الوحي إلى الرسل (ع. م) من القوى الطبيعية

(الشاهد الخامس)

كتبت في الصفحة ٣١٦ وما بعدها من جزء التفسير السابع في الكلام على اقتراح المشركين انزال ملك على النبي (ص) والرد عليهم في تفسير الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة الانعام بحثا طويلا في عدم استعداد البشر لرؤية الملائكة في صورهم الاصلية لقوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) أذكر من هذا البحث مانصه :

«والمختار عندنا أن البشر في حالتهم العادية غير مستعدين لرؤية الملائكة والجن في حالتهم التي خلقوا عليها كما قال تعالى في الشيطان (انه يراكم هو وقييله من حيث لا ترونهم) لا لانهم لا يطيقونها لهولها بل لان أبصار البشر لا تدرك كل الموجودات بل تدرك في ظاهرها هذا بعض الاجسام كالماء وما هو كثف منه من الاجرام الملونة دون ما هو أطف منه كالهواء وما هو أطف منه كالعناصر البسيطة التي يتألف منها الماء والهواء ، والملائكة والجن من عالم آخر غيبي أطف مما ذكر. وهذا العالم

بما يهده المتكلمون في الفلسفة وراء عالم المادة ، وليس عند المتكلمين عالم غير مادي ولذلك يعدون الملائكة والجن من الاجسام اللطيفة ، ويقولون انهم قادرون على التشكل في صور الاجسام الكثيفة ، فمثل تشكلهم كمثل تشكل الماء في صورة البخار اللطيف والبخار الكثيف (كالسحاب) وصورة المائع السيل وصورة الثلج والجليد ولكن الماء يتشكل بما يطرأ عليه من حر وبرد بغير اختيار منه ، وذاتك يتشكلان باختيارهما اذ جعل الله لهما سلطانا على العناصر التي تتركب منها مادة العالم اقوى من سلطان البشر الذين يتصرفون فيها بأيديهم لا بأنفسهم وما هيأتهم ، فهم لا يقدرّون على تحليل أبدانهم وتركيبها مع غيرها من المواد فاذا تمثل الملك أو الجان في صورة كثيفة كهصورة البشر أو غيرهم أمكن للبشر أن يروه ولكنهم لا يرونه على صورته وخلقته الاصلية بحسب العادة وسنة الله في خلق طائفة وطائفة ، فاذا وقع ذلك كرؤية النبي (ص) لجبريل مرتين كان من خوارق العادات ، والخوارق لا تثبت إلا بنص ، لانها خلاف الاصل ، على أن رؤيته بصورته لا ينافي التشكل ، إذ يجوز أن تكون مادة صورته اللطيفة التي لا ترى قد ظهرت بمادة كثيفة فيكون التشكل في هذه الحالة بمادة جديدة مع حفظ الصورة الاصلية ، والتشكل في غيرها بالمادة والصورة معا ، وعلى أن لأرواح الانبياء من التناسب مع أرواح الملائكة ما ليس اغيرها ، ففي الحال التي تغلب بها روحا نيتهم على جثمانيتهم يكونون كالملائكة فيجوز أن يروهم بأي صورة وشكل تجلوا لهم فيه » اهـ

(الشاهد السادس)

كتبت في ص ١٦٢ وما بعدها من جزء التفسير السابع بحثا آخر في تشكل الملائكة والجن في الصور ورؤيتهم في هذه الحالة وفيه إثبات رؤية النبي (ص) لغير جبريل من الملائكة ورؤية بعض الشياطين

(الشاهد السابع)

قلت في تفسير (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) وهي آخر آية من سورة الاعراف ما نصه: أي ان ملائكة الله المقربين الذين هم عنده كحاملة عرشه والخافين من حوله ومن شاء قدس وتعالى بهذه العندية الشريفة التي لا يعلمها سواه وهم أعلاما مقاما من الملائكة الموكلين بالخلوقات وتدير نظامها لا يستكبرون عن عبادته الخ فراجع في (ص ٥٥٨ من جزء التفسير التاسع)

ولو شئت لب اذكر جميع الشواهد من تفسير المنار على ان الملائكة خلق روحي مستقل قائم بنفسه، وانهم انواع أولو عبادات مختلفة واعمال كثيرة لا يحيط بها إلا خالقها، وان الايمان بها واجب، وإنكارها كفر لازم لل قارى لها وهذه الشواهد نصوص قاطعة في ذلك بدحض المفترى لهذه البهية التي أراد بهتنا بها من إيهام المطلع على كلامه أننا ننكر حقيقة الملائكة ونجعلهم أعراضاً لغيرهم . وقني عليها بدحض شبهات علينا من كلام الاستاذ الامام يشتمل على شواهد أخرى من كلامه وكلامنا أخرناها لمناسبتها لها

المقال السادس

شبهة الطاعن المحرف في مسألة الملائكة

ان تفسيرنا للآيات الواردة في قصة آدم عليه السلام من سورة البقرة قد بلغت ٣٣ صفحة من الجزء الاول من تفسير المنار (صفحة ٢٣١ الى ٢٨٤) وأكثره لشيخنا الاستاذ الامام قدس الله روحه - فانتزع طعان مجلة الازهر منها عبارة واحدة فرعية محكية جعلها أصل الموضوع وعقيدة لصاحب المنار في الملائكة بقول الزور، وانما هي حكاية حكاها الاستاذ الامام عن بعض الناس ونقلها مؤلف التفسير عنه ، فلو كانت كفراً لكانت من باب حاكي الكفر ليس بكافر فكيف بالحاكي عن الحاكي، واننا نلخص الموضوع في خمس مسائل بعبارة مختصرة يفهمها كل قارئ

(المسألة الاولى)

ان آيات محاورات الملائكة للرب عز وجل في خلق آدم عليه السلام من المتشابهات الواردة في شأن عالم الغيب وان للمساء المسلمين في مثابا طريقتين (إحداهما) طريقة السلف وهي التنزيه الذي أيد العقل فيه النقل... وتفويض الامر إلى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك مع العلم بان الله يعلمنا بمضمون كلامه ما نستفيد به في أخلاقنا وأعمالنا وأحوالنا ويأتينا في ذلك بما يقرب هذه المعاني من عقولنا وتخيلاتنا

(والثانية) طريقة الخلف وهي التأويل . يقولون ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على أساس العقل فلا يخرج شيء منها عن المعقول . فاذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ولا بد له من معنى موافق يحمل عليه فينبغي طلبه بالتأويل

(قال الاستاذ) وأنا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله وصفاته وعالم الغيب . واننا نسير في فهم الآيات على كلتا الطريقتين لانه لا بد للكلام من فائدة يحمل عليها لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد له معنى هذه عبارة الاستاذ الامام التي أوردتها في ص ٤٢ من مجلد المنار الخامس ثم في ص ٢٥٢ من جزء التفسير الاول ثم زدت عليها قولي :

(وأقول) أنا مؤلف هذا التفسير انني والله الحمد على طريقة السلف وهديم عليها أحيا وعليها أموت ان شاء الله تعالى ، وانما أذكر من كلام شيخنا ومن كلام غيره ومن تلقاء نفسي بعض التأويلات لما ثبت عندي باختباري للناس ان ما انتشر في الامة من نظريات الفلاسفة ومذاهب المبتدعة المتقدمين والتأخرين جعل قبول مذهب السلف واعتقاده يتوقف في الغالب على تلقيه من الصغر بالبيان الصحيح وتخطئة ما يخالفه ، او طول ممارسة الرد عليهم »

ثم وضحت هذه المسألة في صفحة ٢٥٣ برمتها فبينت فيها للقاريء المؤمن ان الخير له ان يطامن بمذهب السلف ولا يحفل بغيره فان لم يطامن قلبه إلا بتأويل يرضاه أسلوب اللغة العربية فلا حرج عليه باتفاق أهل السنة سلفهم وخلفهم

(المسألة الثانية مذهب السلف في الملائكة)

قال الاستاذ الامام : أما الملائكة فيقول السلف فيهم انهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وبيعض عملهم ، فيجب علينا الايمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم ، فنفوض علمها إلى الله تعالى ، فاذا ورد أن لهم أجنحة تؤمن بذلك ، ولكننا نقول انها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطائر ، إذ

لو كانت كذلك لرأيناها ، وإذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالنبات والبحار فالتنا نستدل بذلك على أن في الكون عالماً آخر أطف من هذا العالم المحسوس وأن له علاقة بنظامه وأحكامه ، والعقل لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بإمكانه لذاته ويحكم بصدق الوحي الذي أخبر به . اهـ من الصفحة ٢٥٤ ج أول تفسير . فهل يتفق هذا مع زعم مجلة الأزهر أننا نقول ان الملائكة عبارة عن القوى الطبيعية ؟

ثم تكلم فيمن بحثوا في جوهر الملائكة وفقى عليه ببيان فوائد الخطاب بينهم وبين الله تعالى وهي أربع تراجع في ص ٢٥٤ و ٢٥٥ منه . وفقى على هذا بطريقة الخلف ومن تكلم منهم في حقيقة الملائكة وكون قصة آدم على طريقته « وردت مورد التمثيل لتقرب من أفهام الخلق ما تفيدهم معرفته من حال النشأة الالهية ، وما لها من المكانة والخصوصية »

(المسألة الثالثة أنواع الملائكة)

قال رحمه الله : نطق الوحي ودل البيان والاختبار على أن الله تعالى خلق العالم أنواعاً مختلفة ، وخص كل نوع غير نوع الانسان بشيء محدود معين لا يتعداه ، فأما ما لا نعرفه إلا من طريق الوحي كالملائكة فقد ورد في الآيات والاحاديث ما يدل على أن وظائفه محدودة . قال تعالى (يسبحون الليل والنهار لا يفترون * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون - والصافات صفاء ، فالزاجرات زجراً * الخ والنازعات غرقاً ، والناشطات نشطاً ، والسابحات سبحاً ، فالسابقات سبقاً ، فالمدبرات أمراً) على قول من قال ان المراد بها الملائكة - إلى غير ذلك مما يدل على أنهم طوائف لكل طائفة وظيفة محدودة ، وورد في الاحاديث أن منهم الساجد دائماً والراكم دائماً الى يوم القيامة . اهـ (من ص ٢٥٩ منه) - أفلا يعد هذا نصاً صريحاً في افتراء مجلة الأزهر علينا باننا نقول ان الملائكة عبارة عن القوى الطبيعية

(المسألة الرابعة في الملائكة والشیاطین والخواطر)

قال الاستاذ الامام في الملائكة والشیاطین ما نقلته عنه في الصفحة ٢٦٦ وما بعدها من جزء التفسير الاول ملخصاً (والعبارة لي) تقدم ان الملائكة خلق غيبي لا نعرف حقيقته ، وإنما نؤمن به باخبار الله تعالى الذي نقف عنده ولا نزيد عليه ، وتقدم أن القرآن ناطق بان الملائكة أصناف لكل صنف وظيفة وعمل ، ونقول الآن ان إلهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي ﷺ وقد أسندنا الى هذه العوالم الغيبية ، وخواطر الخير التي تسمى إلهاما ، وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منهما محله الروح . فالملائكة والشیاطین اذاً أرواح تتصل بأرواح الناس فلا يصح أن تمثل الملائكة بالتمثيل الجثمانية المعروفة لنا (لان هذه^(١) لو اتصلت بأرواحنا ، فاما تتصل بها من طرق أجسامنا ، ونحن لا نحس بشيء يتصل بأبداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور يداعي الخير من النفس ، فاذاً هي من عالم غير عالم الابدان قطعاً) والواجب على المسلم في مثل هذه الآيات الايمان بمضمونها مع التفويض أو الحمل على انها حكاية تمثيل ثم الاعتبار بها بالنظر في الحكم التي سبقت لها القصة

(وأقول) ان اسناد الوسوسة الى الشیاطین معروف في الكتاب والسنة ، وأما اسناد إلهام الحق والخير الى الملائكة فيؤخذ من خطاب الملائكة لمريم عليها السلام ومن حديث الشيخين في المحدثين وكون عمر منهم - والمحدثون بفتح الدال وتشديد هاء الملمحون - ومن حديث الترمذي والنسائي وابن حبان وهو « ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة : فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق . وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث أبي الاحوص . والرواية إيعاد في الموضعين كما أن الآية من الثلاثي في الموضعين ، فما قانونه في التفرقة بين الوعد والايعاد أغلبي فيما يظهر وإلا فهو غير صحيح . والله بالفتح الالبام بالشيء والاصابة

(١) هذا التعليل كتبه شيخنا بقلمه بعد نشر هذا التفسير في المنار وقبل طبعه على حديثه

(المسألة الخامسة وهي مشار شبهة مجلة الازهر)

جاء في صفحة ٢٦٧ وما بعدها منه مانصه :

(قال الاستاذ) وذهب بعض المفسرين مذهباً آخر في فهم معنى الملائكة وهو أن مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موكلين بالاعمال من إماء نبات وخلق حيوان وحفظ انسان وغير ذلك فيه إيماء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة ، وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والانسان ، فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الالهية في ايجاده فأما قوامه بروح إلهي مسمي في لسان الشرع ملكا ، ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمى هذه المعاني القوى الطبيعية إذ كان لا يعرف من عالم الامكان إلا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة . والامر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمراً هو مناطها ، وبه قوامها ونظامها ، لا يمكن لماقل أن ينكره ، وإن أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا وزعم انه لا دليل على وجود الملائكة ، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبيعياً ، لأن هذه الاسماء لم ترد في الشرع - فالحقيقة واحدة والمائل من لا تحجبه الاسماء عن السميات [وإن كان المؤمن بالغيب يرى للارواح وجوداً لا يدرك كنهه ، والذي لا يؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها . ولا يعلم إلا الله على م يختلف الناس وكل يقر بوجود شيء غير ما يرى وبحس ويعترف بأنه لا يفهمه حق الفهم ، ولا يصل بعقله الى إدراك كنهه . وماذا على هذا الذي يزعم أنه لا يؤمن بالغيب وقد اعترف بما غيب عنه لو قال أصدق بغيب أعرف أثره وإن كنت لا أقدر قدره ، فيتفق مع المؤمنين بالغيب ، ويفهم بذلك مايرد على لسان صاحب الوحي ، ويحظى بما يحظى به المؤمنون ؟] إماما قاله الاستاذ الامام في المسألة وهو محل التهمة ، وهذه العبارة التي بين العلامتين هكذا [قد كتبها بعقله كالتالي قبلها

﴿ خلاصة ما تقدم من الرد على هذه البهيتة ﴾

(١) ان عقيدتنا وعقيدة شيخنا الاستاذ الامام في الملائكة هي عقيدة سلف الامة الصالح وهي انهم من عالم الغيب الذي تؤمن بكل ما جاء في كتاب الله وثبت عن رسوله ﷺ من أخباره من غير تأويل ولا زيادة ولا نقصان ولا رأي ولا قياس . وقد أكثرنا من الشواهد على هذه العقيدة ، وخلصتها ان الملائكة من عالم الارواح العاقلة المستقلة وانهم أنواع لكل منها وظائف وأعمال خاصة به لا نبحث عن حقيقتها بآرائنا

(٢) ان علماء الكلام ومن تبعهم من المفسرين والفقهاء يتأولون أكثر أخبار الغيب من صفات الله وأسمائه ومنها بعض ماورد في الملائكة

(٣) اتفاق علماء السلف والخلف في الامة على من تأول شيئاً منها تأولا مبتدعاً لا ينقض شيئاً من أمور الدين القطعية المجمع عليها المألومة من الدين بالضرورة وهو مذعن للأمر والنهي يكون معذوراً في تأوله فلا يحكم بكفره .

(٤) اننا نقلنا عن أستاذنا في تفسير قصة آدم ان بعض المفسرين من علماء الخلف المتأولين ذهب الى ان مجموع ماورد في نوع الملائكة الموكلين بالاعمال « من إنباء نبات وخلق حيوان وحفظ انسان وغير ذلك لافي كل أنواع الملائكة فيه إنباء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة » وخلاصة هذا الإنباء ان الروح الالهي الذي قام به نظام هذه الاعمال هو أمر وجودي خفي لا ندرك حقيقته ، وان المعنى الإيماني لا المطابق لمعنى النصوص - يتفق مع قول الذين يثبتون هذا الروح الخفي من المنكرين للوحي وعالم الغيب ويعبرون عنه بالقوى الطبيعية في الاشياء لانهم اذا سئلوا عن حقيقة هذه القوى يعترفون بانهم لا يعرفونها ، وبهذا يكون الخلاف في التسمية فالمؤمنون بالوحي يسمون مابه نظام هذه المخلوقات بالملائكة ومن لا يؤمنون بالوحي يسمونها القوى الطبيعية . والجامع بين التسميتين ان ذلك أمر يعرف بأثره ولا تعرف حقيقته

فالاستاذ يحكي هذا عن بعض المفسرين وانهم قالوه من باب الإيماء والإشارة

لا من باب انتفسير للنص أو الظاهر من العبارة . وصرح بان غرضه منه ان من يميل اليها ويطمئن بها قلبه لا يكون كافراً خارجاً من هذه الملة السمحة ، فهو لم يكن موافقاً لهم على هذا الايمان بل لم يكن موافقاً لهم على ما قالوه من ان هذا النوع من الملائكة هم المراد بمثل قوله تعالى (والنازعات غرقا — الى قوله — والمدبرات أسراً) فانه فسر هذه الاشياء في سورتها بالكواكب لا بالملائكة

(٥) ان محور مجلة مشيخة الازهر والعضو في هيئة كبار علمائه يرى هذا كله ثم ينشر في هذه المجلة ان الشيخ رشيد رضا قد قرر في مجلته وتفسيره ان الملائكة في مجلتهم عبارة عن القوى الطبيعية واحتج عليه بحوار الملائكة لربهم في خلق آدم (ع.م) وآيات أخرى ليفهم قراء هذه المجلة التي رزى بها الاسلام ان صاحب المنار ينكر أن يكون لله ملائكة غير هذه القوى الطبيعية .

فان كان هذا العلامة لم يفهم مما ذكر كله على جلالة ووضوحه وتكراره والتكرار يعلم... ما نستمتع من ذكره ولا يجوز تغيير الامثال، ويؤثر في الاحجار، كما قال الشاعر :
أما ترى الجبل يتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا .

أقول : اذا كان لم يفهم من هذا كله ان صاحب المنار ناقل عن ناقل عن بعض المفسرين المتأولين المخالفين لاعتقادهما الثابت بما تقدم من الشواهد الصريحة وغيرها، فصرح اعدم فهمه وتمييزه بين المنقول للتقريب، والمقول المعتقد مع التأكيد، بان صاحب المنار هو الذي يعتقد لما نقله عن نقله عن غيره، دون ما صرح بأنه اعتقاده الذي يدين الله به . فكيف يوثق بعلمه وفهمه ويجعل مدرسا في الازهر ومحروراً في مجلته؟ وإن كان قد فهم هذا كله وتمسك بتحريف الكلم عن مواضعه ، وافتراء الكذب على صاحب المنار بالطمع في عقيدته ، انتقاما لنفسه ، بعد أن بين صاحب المنار في مجلته خطأ وجهله بتصحيح بعض الاحاديث التي صرح أوسع الحفاظ علما بالجرح والتعديل بوضعها ، وعدم تمييزه بين دعاء العبادة الخاص بآله العباد وربهم والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه خلقه ، وبين دعاء العادة واستغاثة الناس بعضهم ببعض في الامور الكسبية ، وعدم تمييزه بين السنة والبدعة . أقول : إن كان قد فهم هذا كله واستباح معه هذا الانتقام بالتحريف والافتراء والبهتان فكيف

المنار ج ١٠ م ٣٢ رد على من زعم ان القوى الطبيعية والميكروبات ملائكة أو جن ٧٦٥

يوثق بدينه وبنقله ، وبأمانته على العلم ، ورحم الله الشاعر الذي قال :
إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم
يجب على الامة أن تسأل شيخ الازهر عن هذا فان لم يجيبها كما امتنع إلى
الآن عن الاذن لادارة المجلة بنشر ما أرسلناه اليها من الرد على هذا البهتان ، فليرجعوا
إلى بسط شكواهم إلى السلطة العليا المسيطرة على مشيخة الازهر لعلها تنصفهم منه
واختتم هذا بأننى قد رددت في المنار على من قال بمثل ما نقله الاستاذ الامام
عن بعض المفسرين أو قريب منه وهو تسمية بعض القوى الطبيعية بالملائكة
تأكيداً لتوضيحه المفترى ومجلة الازهر

« رد المنار على من زعم أن بعض العوالم الطبيعية وقواها من الملائكة »

ان المنار كان ولا يزال بالمرصاد لتأولي نصوص الكتاب والسنة بما يخرجها عما
فهمه الصدر الاول وقد قال الدكتور محمد توفيق صدقي في كتابه (دروس سنن
الكائنات) إن كلمة ملك أصلها مألك ومعناها الرسالة فهي تطلق على كل رسول
مما يرسله الله الى هذا العالم من المادة او قواها فما يرسله منها يصح ان يسمى ملكا بلا
نزاع فالريح تسمى ملكا ورسولا من الله ولذلك قال تعالى في الرياح (والمرسلات عرفا) الخ
وان انواع المسكروبات الخفية المؤثرة في تغير بعض الاشياء وتحولها وفي الامراض -
كلها من قبيل الملائكة والجن

وقد نشرت له هذا في ص ٦٠٣ من مجلد المنار الثامن عشر وعلقت عليه في الحاشية
بالرد الآتي

« المنار : ما قاله الكاتب في هذا البحث ضعيف لغة وشرعا ، إلا انه مذهب
له واصطلاح خالف فيه الناس كما قال ، ولكن له فائدة لاجلها أجزنا نشره ، وهي
أن المغرورين بما أصابوا من علم البشر القليل بشئون الكون يتوهمون أنهم بذلك
القليل من القليل قد أحاطوا علما بهذا العالم العظيم وبخالقه أيضا ، وان ما لا ينطبق
على علمهم لا يكون صحيحا وان كان ممكنا في نفسه . فمثل هذه التأويلات تقطع
ألسنة هؤلاء الواهمين المغرورين دون الاعتراض على النصوص ، أو تزيل شبهاتهم
فلا يصعب عليهم الجمع بين علمهم وبين الدين ، ولا ن يكون أحدهم متدينا مؤولا ،
خير من ان يكون زنديقا أو معطلا

أما بيان ضعف ما ذكر لغة فلان الالفاظ التي صارت حقيقة شرعية أو عرفية
لا يجوز ان يدخل في مفهومها كل ما يناسب الاصل الذي اشتقت منه ، وأما ضعفه
شرعا فهو أظهر ، والملائكة من عالم الغيب الذي يجب على كل مؤمن الايمان به كما

ورد في خبر الوحي من غير تأويل ولا تحريف ، ويكفي في ذلك كونه ممكناً عقلاً والايان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الايمان والاول هو الايمان بالله تعالى ، فهل يدخل في مفهومه هذه الميكروبات التي يصفها هؤلاء الكتاب بالدينثة الحقيرة ؟ كلا ، وأما ادخالها في مفهوم كلمة الجن فليس يبيد لغة ولا ممنوع شرعاً فقد ورد ان الجن أنواع ومنه ما هو خشاش الارض . ولا مانع في العقل ولا العلم من كون بعض عوالم الغيب من الملائكة موكلاً ببعض شؤون الكون وسبباً له . وتفصيل هذا البحث لا تتسع له هذه الحاشية اهـ

(شبهة لفظية ، يظنها الجاهل علمية)

نشرنا في صفحة ٢٥٥ من مجلد المنار الخامس سنة ١٣٢٠ تحت عنوان (الملائكة والنواميس الطبيعية) ما نصه :

سأل سائل : اذا كانت الملائكة هي عبارة عن القوى المعنوية ، والنواميس التي بها نظام العوالم الحية . فما معنى « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً » وأمثاله والجواب : ان الذي تقدم في التفسير هو أن الملائكة عالم مستقل مستر عننا وانما كان ذكر القوى والنواميس الطبيعية جذبا لمنكري الملائكة الى التصديق لان بعض ماورد يوافق ما يعتقدون فكيف يكفرون لاختلاف الالفاظ ؟ لا أن الكلام كان ارجاعاً لنصوص الدين الى أقوالهم اهـ

وأقول الآن ان هذه الشبهة التي عرضت لبعض الناس منذ ٣١ سنة وكشفنا له خطأه فيها فعقله ورضيه - هي التي يقولها الشيخ يوسف الدجوي حتى اليوم : يقول ان التأويل الذي ذكر في تفسير المنار هو صريح في ارجاع نصوص الدين إلى أقوال علماء الطبيعة ، لا إرجاعهم هم إلى نصوص الدين ، فهل يقول هذا بعد كل ما تقدم رجل بعقل أو يفهم ما يسمع وما يقرأ له ؟

بلغني أنه بنى على هذه الجملة في هذه الشبهة مقالا طويلا استدلل فيه على تأييد بهيته الاولى بالرغم من كل ما تقدم وهي أننا نعتقد أن جميع الملائكة قوى طبيعية وأننا نريد بذلك رد نصوص الدين إلى عقائد الطبيعيين ، وأراد نشرها في مجلة المشيخة فمنع شيخ الازهر المجلة من نشرها لما فيها من تسجيل فضيحة المجلة وفضيحة الدجوي . وقد تعلق الدجوي من هذه الجملة بالابهام والاجمال بكلمة (لان بعض ما ورد يوافق ما يعتقدون) أي ما يعتقد المنكرون لوجود الملائكة . فأراد أن يهدم بها جميع تلك النصوص الصريحة المفصلة المبينة التي كتب أكثرها بعدها ! لان مبلغ الدجوي وأمثاله من العلم محصور في التشكيك والمناقشات اللفظية في العبارات الخزئية ، دون تحقيق أصل الموضوع في المسائل العلمية كما تقدم.

المقال السابع

الهيئة الثانية انظار الجن

هذه أخت التي قبلها ، والكلام فيها متم لما قبله ومشارك معه في بعض شواهد
كما تقدم في خاتمة المقالة السابقة ، ولهذا قدمناها على مسألة الشمس
قال في مجلة الازهر بعد مسألة الملائكة « ومثل ذلك ماقرره في المروبات
عند ذكر الجن في القرآن . وليت شعري هل هذه المروبات الجنية هي التي كانت
تعمل لسليمان مايشاء من محاريب وتماثيل وقصور راسيات ؟ وهل هي التي قال
عفريت منها لسليمان (عم) أنا آتيك به « برش بليس » قبل أن تقوم من مقامك
وإني عليه لقوي أمين ؟ وهل هي التي قالت لقومها (إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد
موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) الخ ؟ اه بنصه -
وقد أعاد هذه المسألة في غير المجلة

يوهم محرر مجلة مشيخة الازهر من ابتلاهم الله بقراءتها أن صاحب النار يقول
ان الجن الذين أخبر الله بهم في كتابه عبارة عن هذه المروبات التي كشف
الاطباء أمرها في القرن الماضي ، وانه ما ثم شيء يطلق عليه هذا الاسم واسم العفاريت
والشياطين غيرهم. وهذا افتراء وبهتان كالذي قبله سواء

الجن خلق خفي مستتر من عالم الغيب أثبتهم جميع الأديان وطريقتنا فيهم
هي وجوب الإيمان بكل ما أخبر الله تعالى من أمرهم في كتابه وبكل ما صح عن
رسوله ﷺ من علم به وليس منه شيء قطعي يدخل في العقيدة، ولا نزيد على ما ثبت
عندنا من خبر المصوم شيئا

وقد ورد ذكر الجن والشياطين وإبليس في مواضع كثيرة من أجزاء تفسيرنا
العشرة وفي مواضع كثيرة من مجلة النار فأثبتنا في كل موضع من التفسير ما أثبتته
الكتاب العزيز بما يقربه إلى العقل ورددنا على المنكرين والمتأولين لما هو المتبادر

من النصوص . ولو أردنا إيراد الشواهد منها كالشواهد في الملائكة لطال الكلام فيما لا فائدة من نشره في الجرائد اليومية وإنما نشير الى بعض مواضعها لمن يريد مراجعتها، ونكتفي منها بما ثبت به ان محرر مجلة مشيخة الازهر وعضو هيئة كبار العلماء فيه بين أمرين لا ثالث لهما : إما انه لا يفهم ما يقرأ له ولا يعقله مما تكن درجة وضوحه وتكراره - وإما أنه يعتمد الكذب والبهتان والحياة في النقل والعزو انتقاماً لنفسه لا خدمة للعلم والدين - لتعلم الأمة أن العلم الصحيح لا يكون إلا لاقاب الرسمية، ولا بمجرد الشهادات المدرسية . وقد بينا في المنار وفي تاريخ الاستاذ الامام ما كان من قيمة شهادات العالمية في الازهر وما كان من المحاباة والرشوة فيها قبل الاصلاح الذي وضع قواعده ذلك المصلح العظيم . على أن الاصلاح لم يشف العلل كلها كما يعلم أهل الازهر أكثر من غيرهم . ومن شاء الوقوف على هذه الحقائق فليقرأ المقصد الثاني من الفصل السادس من (تاريخ الاستاذ الامام) من صفحة ٤٢٥ — ٤٨٤ باكيًا على العلم والدين

(بعض الشواهد في مسألة الجن والشياطين)

(١) جاء في تفسير (٢: ٢٤) واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس (من جزء التفسير الاول (ص ٢٦٥) مانصه ملخصاً من درس الاستاذ الامام: « أي سجدوا كلهم أجمعون الا إبليس وهو فرد من أفراد الملائكة كما يفهم من هذه السورة وأمثالها في القصة الا آية الكهف فإنها ناطقة بانه كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) وليس عندنا دليل على أن بين الملائكة والجن فصلاً جوهرياً يميز أحدهما عن الآخر، وإنما هو اختلاف أصناف عندما تختلف أوصاف، كما ترشد اليه الآيات فالظاهر أن الجن صنف من الملائكة، وقد أطلق في القرآن لفظ الجنة على الملائكة على رأي جمهور المفسرين في قوله تعالى (٣٧: ١٥٨) وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) وعلى الشياطين في آخر سورة الناس

زاد الاستاذ الامام هنا بعد نشر تفسير هذه الآيات في المنار سنة ١٣٢٠ مانصه بخطه « وعلى كل حال فجميع هؤلاء المسميات بهذه الأسماء من عالم الغيب

لا نعلم حقاقتها ولا نبحث عنها ، ولا نقول بنسبة شيء اليها ما لم يرد فيه نص عظمي عن المعصوم عليه السلام اه

فكان رحمه الله يرى ان تعريف الملائكة والجن بالحد المنطقي متعذر لانهم من عالم الغيب وقد اشتركوا في اسم الجن المفيد لمعنى الخفاء والستر والمعقول ان يكون تعريفهم بالرسم وهو الصفات كالطاعة والعصمة للملائكة دون الجن فهم في الجنس الروحي الخفي كالأنبيا في البشر ، والشياطين كأشرار البشر الظالمين المجرمين الفاسقين ، وسائر الجن كسائر البشر يتفاوتون في الصلاح والفساد مثلهم . وللراغب الاصفهاني كلام كهذا في مفردات القرآن ذكرته في تفسير سورة الاعراف (٢) ما تقدم نقله عن الاستاذ الامام في المسألة من بحث الملائكة وتعلقنا عليه

وهو مسألة اسناد الوسوسة الى الشياطين والالهام الى الملائكة وما هو بعيد (٣) ذكرت في صفحة ٩٦ من الجزء الثاني من التفسير ان قوله تعالى (٢: ١٦٧) ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) لا يقتضي معرفة ذات الشيطان وانما يعرف بأثره وهو وحي الشر وخواطر الباطل والسوء في النفس التي يفسرها قوله تعالى (انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وفصلنا ذلك تفصيلا ، وكذا تفسير هذه الجملة بعينها من آية (٢٠٧) من سورة البقرة أيضا وهو في ص ٢٥٧ من هذا الجزء وفيه تفصيل آخر

(٤) ذكرت في بحث إعادة مريم وذريتها من الشيطان الرجيم من (ص ٢٩ ج ٣) حديث « كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها » وتفسير البيضاوي للمس بالطمع في الاغواء ، وقول الاستاذ الامام ان الحديث من قبيل التمثيل ، — وحديث اسلام شيطان النبي عليه السلام وما يرد على الموضوع من قوله تعالى (١٥: ٤٢) ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) ومشغبة دعاة النصرانية المسلمين في تفضيل المسيح على نبينا وما يرد عليهم من انجيل مرقس في تجربة إبليس ليسوع المسيح أربعين يوما لم يأكل فيها طعاما مع تحقيق المسألة . وهذا كله ينافي الافتراء علينا باننا نقول ان الجن والشياطين عبارة عن الميكروبات فقط (٥) في الصفحات ٤٢٥ — ٤٣٠ من جزء التفسير الخامس تفسير لقوله تعالى

(٤ : ١١٧ ان يدعون من دونه إلا إناثا وان يدعون إلا شيطان مريداً — الى الآية ١١٩) بينت فيه نصيب الشيطان من الناس وإضلاله لهم واشغالهم بالاماني وما يأمرهم به في وسوسته وحال من يتخذونه وليا من دون الله ، وهو في جملته وتفصيله يدحض شبهة مجلة الازهر وبهتانها

(٦) في (س ٦٥ ج ٦) تفسير لقوله تعالى (١٢٧ : ٦) يا معشر الجن قد استخرتم من الانس) الآية وفي أوله « وانما يسمى كل من الجن والانس معشراً لانهم جماعة من عقلاء الخلق » وفي هذا البحث شبهنا تأثير الشياطين في النفس بتأثير الميكروبات في الجسم بعد ذكر المنكرين لوجود الجن وهذا نص عبارتنا :

فان كل انسي يوسوس له شياطين الجن بما يزين له الباطل والشر ويفريه بالفسق والفجور كما تقدم مفصلاً^(١) فان هذا الخلق الخفي الذي هو من جنس الارواح البشرية يلابسها بقدر استعدادها للباطل والشر ويقوي فيها داعيتهما ، كما تلبس جنة الحيوان الخفية الاجساد الحيوانية فتفسد عليها مزاجها وتوقعها في الامراض والادواء ، وقد مر على البشر ألوف من السنين وهم يجهلون طرق دخول هذه النسم الحية في أجسادهم وتقوية الاستعداد للامراض والادواء فيها ، بل إحداث الامراض الوبائية وغيرها بالفعل ، حتى اكتشفها الاطباء في هذا العصر وعرفوا هذه الطرق والمداخل الخفية بما استحدثوا من المناظير التي تكبر الصغير حتى يرى أكبر مما هو عليه بألوف من الاضعاف ولو قيل لا كبر أطباء قدماء المصريين أو الهنود أو اليونان أو العرب ، ان في الارض أنواعا من النسم الخفية تدخل الاجساد من خرطوم البعوضة أو البرغوث أو القملة ومع الهواء والماء والطعام وتنمي فيها بسرعة عجيبة فتكون ألوف الألوف وبكثرتها تتولد الامراض والابوثة القاتلة — انقلوا ان هذا القول من تخيلات المجانين . ولكن العجب لمن ينكر مثل هذا في الارواح بعد اكتشاف ذلك في الاجساد ، وأمر الارواح أخفى ، فعدم وقوفهم على ما يلابسها ألوف من السنين أولى . وقد روي في الآثار ما يدل على جنة الاجسام ولو صرح به قبل اختراع هذه المناظير التي

(١) سبق ذلك في مواضع أشبهها بما هنا ما في ص ٥٠٨ - ٥١٥ ج ٧ تفسير

ترى بها لكان فتنة لكثير من الناس بما يزيدهم استبعاداً لما جاء به الرسل من خبر الجن ، ففي الحديث « تنكبوا الغبار فإن منه تكون النسمة » والنسمة في اللغة كل ما فيه روح وفسره ابن الاثير في الحديث بالنفس (بالتحريك) أي تواتره الذي يسمى الربو والنهيج وتبعه شارح القاموس وغيره ، وهو تجاوز لا يؤيد الطب ما يدل عليه من الحصر . وروي عن عمرو بن العاص : اتقوا غبار مصر فإنه يتحول في الصدر إلى نسمة . وهو بعيد عن تأويلهم وظاهر فيما يقوله الاطباء اليوم وهو مأخوذ من الحديث الذي تأولوه ، وعمرو من فصحاء قريش جهابذة هذا اللسان اهـ

وذكرت في مواضع أخرى من النار ماورد من الآثار في أنواع الجن ومنها حديث « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والمقاب » أخرجه ابن أبي الدنيا والحكيم الترمذي وأبو الشيخ وابن مردويه . وفي معناه غيره

(٧) في (ص ٣٢٨ — ٣٧٢ جزء ٨) بسط قصة آدم مع إبليس . وقد فصلت في هذا البحث ما تقدم في سورة البقرة من كون الجن الروحاني جنسا يشمل الملائكة . وقالت ان لفظ الجنة اللغوي يشمل الجن الروحاني والجن المادي التي تسمى المكروبات (ص ٣٤٢) ثم فصلت هذا في تفسير قوله تعالى من هذا السياق (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) تفصيلا موضحاً لهذا البحث يراجع في ص ٣٦٤ — ٣٧١ ومنه يعلم مأخذ شبهة المفتري المحرف للكلم عن مواضعه

ولا تطيل القول في هذا لانه لا طائل تحته ، وحسبنا ما ذكرنا دليلاً على قلة اطلاع المفتري علينا وسوء فهمه وفساد نيته ، وما سيأتي في المقال الآتي أقوى دليلاً ، وأقوم قبلاً .

المقال الثامن

(البهيته الثالثة ما سماه تكذيب سجود الشمس)

هذه هي البهيته الكبرى التي افترتها علينا مجلة مشيخة الازهر وسمتها «عظيمة المظالم» لتذكرنا من حيث لا يدري محررها بقوله تعالى فيما دونها من الخوض في حديث الافك (إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم) وكل جريمة تصغر وتتضاءل دون ما سماه «تكذيب الله ورسوله وتجهيلها» وقد أكثر من إعادتها وتكرارها في الجرائد حتى كدنا نظن انه صدق نفسه في اختلاقها أو خدع الناس فصدقوها، والكلام فيها من وجوه (١) صيغة الفرية ومفهومها (٢) مأخذها من تحريف مقال لنا في نصر السنة ودحض الشبهات عليها قلبه إلى ضده ، (٣) عبارتنا التي حرفها وزعم انه نقاها بنصها ونقصها (٤) عبارة المفتري المحرف بنصها (٥) رأي الاستاذ الامام في أمثال هذا العالم (٦) جوابنا عن حديث الشمس (٧) أقوال العلماء المتقدمين في استشكله والجواب عنه

(١) صيغة الفرية ومفهومها

قال المحرر بعد افتراءه عايننا الافتاء بمحل صلاة التلاميذ المسلمين مع النصارى بالكنيسة - وقد أخرنا الكلام عليه - ما نصه باختصار لكن بدون تصرف :
« بل وصل الامر من اجتهاد مجتهدنا ... ان اجترأ على تكذيب رسول الله ﷺ فيما اتفق عليه البخاري ومسلم عن أبي ذر من أن الشمس تسجد تحت العرش وقال ان الانبياء لا تعرف هذه العلوم ، ولو كان رشيداً لم يفتق صدره بذلك ولو سمعه إيمانه بالغيب ، فان لم يسمعه إيمانه بالغيب فكان ينبغي ان يسمعه علمه بسعة لغة العرب وكثرة مذاهب البيان فيها ، فان ضاق علمه كما ضاق إيمانه فما كان ينبغي أن تضيق سياسته وهي التي وسعت الشرق والغرب . وبيان ذلك انه كان يستطيع أن يقرر في الحديث ما قرره العلماء في قوله تعالى حكاية عن الارض والسماء (قالتا أتينا طائعين)

ثم قال ما أذكره عملاً بقول العلماء « حاكى الكفر ليس بكافر » وأنه لتشعر منه جلود المؤمنين :

« وكان ينبغي إذ لم يتسع صدره ولا إيمانه ولا علمه شيء من ذلك أن تتسم سياسته لحسن المخرج منه بأية وسيلة غير تجهيل النبي ﷺ ولو أن يرمي البخاري أو غيره من رواة الحديث بالخطأ والكذب ولا يتعرض لرسول الله ، فقد كان تكذيبهم أهون من تكذيبه ﷺ فما أضيق دينه وعلمه وسياسته » اهـ بحروفه وما فيها من أدبه مع الرسول الأعظم الذي يدعي تعظيمه و...!!

وقد شعر - خلافاً لطبعه - بأن الذين ابتلاهم الله بقراءة مجلة الازهر لا يصدقون هذه الفرية فزعم أنه ينقل لم عبارة صاحب المنار بنصها وفصها ولكنه نقل لم عبارة قصيرة مقتضبة منها كن ينقل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) دون ما بعده من الآية . وستعلمون أيها المسلمون من بياني لما نقله ولا أصله ولما قررته في هذه المسألة أي الفريقين « أضيق ديناً وعلماً ... » أصحاب المنار أم هذا العضو في هيئة كبار علماء الازهر ؟ وتعلمون درجة صدق المشيخة في مجلتها ومقدار أمانتها على العلم والدين ، وصدقها في إرشاد المسلمين ، في جراتها على ما تقدم وعلى قولها في آخر هذه المقالة نعوذ بالله منها ومنه ثم من الشيطان الرجيم ^(١)

« فالشيخ إذاً مخفي لله ورسوله ، مكذب للقرآن والسنة ، وإن شئت فقل مجهل لها » !! نعم شعر بأن الناس يكذبونه ولكن لم يشعر بما يستلزمه هذا الطعن في كلام كتب سنة ١٣٢٧ في مجلة المنار - أي منذ ٢٣ عاماً - من الطعن في علماء الازهر في سكوتهم عن الإنكار عليها وهي تخاطب علماء الاسلام وغيرهم في كل سنة بما يجب عليهم من بيان ما يجدون فيها من خطأ ، أفلا يلزم من سكوتهم هذا وقوع الطعن عليهم في دينهم وعلمهم ؟ بلى لو كانت المجلة صادقة ، أما وهي مفترية فإنما يقع ذلك على من أنكر الحق المعروف ونطق بالباطل والزور ومن أقروا وهو قادر على منعه

(١) وضع المخطوط فوق الكلام الذي يراد التنبيه عليه طريقة علمائنا وأما وضعها تحته فهي طريقة أجنبية وأنا أخصها بالعناوين الفرعية

يفهم كل من قرأ عبارة هذه المجلة ان صاحب المنار رأى في الصحيحين حديثاً فيه ان النبي ﷺ أخبر ان الشمس تسجد تحت العرش فاعتقد صحة سنده أى عدالة رواته وصدقهم وسلامته من كل شذوذ وعلة، وإنما كذب خبر هذا السجود فيه لانه لم يكن عنده من العلم باللغة ولا من الايمان بالغيب ولا.. ولا .. ما يحمله على تصديق رسول الله ﷺ فيه حقيقة ولا مجازاً — وقد رأيت أدب هذه المجلة في التعبير عن هذا المعنى المفتري والبهتان الجريء.

(٢) ما أخذ التهمة من مقال في تأييد السنة والدفاع عنها

انني ذكرت حديث أبي ذر في مسألة الشمس في المجلد الثاني عشر من المنار في سياق الاحاديث المشككة وطرق الحل لمشكلاتها من مقال طويل في تأييد السنة كان حكماً فاصلاً في مناظرة تلو مناظرة في أصل الاسلام أو أصوله وفي النسخ وأحاديث الآحاد هل هي من الدين أم لا؟ — دارت هذه المناظرات في أثناء أربع سنين فجعل البهات المفتري نصرنا للسنة ودفاعنا عنها تكذيباً وكفراً لصاحبها ﷺ ولكتاب الله الذي نطق بسجود كل شيء لله عز وجل — والعياذ بالله من بهتان من لا يخاف الله

ذلك ان البعثة الشهير المرحوم الدكتور محمد توفيق صدقي كان كتب مقالا عنوانه (الاسلام هو القرآن وحده) وقد نشر في المجلد التاسع من المنار تحدياً للعلماء ولا سيما علماء الأزهر أن يردوا عليه فكبر ذلك عليهم، وقال بعضهم لبعض ان صاحب المنار هو الذي يريد أن يجذبنا إلى المناظرة معه، وأمسكوا عن الرد عليه، حتى جاءني من قال لي ان فلاناً من العلماء يريد الرد على الدكتور إذا كنت أنت لا ترد عليه، فقلت وأني لا أرد عليه ولكنني قد أحكم في المناظرة أخيراً إذا احتيج الى حكمي

فرد العالم الذي أخبرني عنه على الدكتور بمقالين رد عليهما الدكتور أيضاً ثم حكمت في المسألة حكماً نشر في الجزء الاخير من المجلد التاسع، فكتب الدكتور اعترافاً برجوعه عما أقنمته بأنه كان مخطئاً فيه . ونشرت خطابه هذا في صفحة

ثم كتب مقالا آخر عنوانه (النسخ في الشرائع الالهية) أنكر فيه وجود النسخ في القرآن مطلقا وزعم ان السنة القولية (الاحاديث) قد نسخ بعضها بالقرآن وبعضها بالسنة ولم يبق منها شيء يجب العمل به غير موجود في القرآن ونشرنا هذا المقال في الجزء التاسع من مجلد المنار العاشر وطالبنا العلماء بالرد عليه بشرط التزام ما يليق بالعلماء من الادب والنزاهة واحترام المناظر . فلم يتصد أحد من علماء الازهر للرد عليه ولكن رد عليه العلامة الشيخ صالح اليافعي من علماء الحضارمة المقيمين في حيدر آباد الدكن (الهند) بست مقالات نشرت في ستة أجزاء من المجلد الثاني عشر من المنار وقد حكمني المتناظران فحكمت بينهما بمقال أيدت به السنة وشرعية العمل بالاحاديث القولية بشرطه

(٣) عبارتنا التي حرفها البهات المفتري

بينت في تلك المقالة مسألة (أحاديث الآحاد والدين) ثم مسألة (أحاديث الآحاد تفيد العلم أو الظن) بما لم أعلم ان أحدا سبقني إلى مثله في نصر السنة في التفرقة بين اليقين اللغوي الشرعي ، واليقين المنطقي الاصولي . وانتقلت من هذا الى بحث ما يوثق به وما لا يوثق به من الروايات ، وما انتقده المحدثون من أحاديث الشيخين (البخاري ومسلم) بجرح كثير من رواياتها وغلط بعض متونها و ذكرت بعض المتنون التي حكموا بالغلط فيها ، ومنها حديث شريك عند البخاري في المعراج إذ صرح بأنه رؤيا منامية وخالف غيره من رواة البخاري في مسائل أخرى فيه — وحديث مسلم « خلق الله التربة يوم السبت » الخ - وحديث صلاة الكسوف بثلاث ركوعات وثلاث سجودات في كل ركعة وغير ذلك ثم قلت مانصه : « وجملة القول في الصحيحين ان أكثر رواياتهما متفق عليها عند علماء الحديث لا مجال للنزاع في متونها ولا في أسانيدها ، والقليل منها يختلف فيه وما من إمام من أئمة الفقه إلا وهو مخالف لكثير منها . فاذا جاز رد الرواية التي صح سندها في صلاة الكسوف لمخالفتها لما جرى عليه العمل ، وبجاز رد رواية خلق الله التربة يوم السبت لمخالفتها الآيات الناطقة بخلق السموات والارض في ستة أيام وللروايات الموافقة لذلك ، فأولى وأظهر أن يجوز رد الروايات التي تتخذ شبهة على القرآن من

حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه (كالروايات في نسخ التلاوة) ولا سيما لمن لم يجد لها تخريجاً يدفع الشبهة كالدكتور محمد توفيق صدقي وأمثاله كثيرون . ومثلها الرواية في سحر بعض اليهود للنبي ﷺ ردها الاستاذ الامام ولم يعجبه شيء مما قالوه في تأويلها لان نفس النبي ﷺ أعلى وأقوى من أن يكون لمن دونه تأثير فيها ، ولانها مؤيدة لقول الكفار (٢٥ : ٨) وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) وهو ما كذبهم الله فيه بقوله بعده (٩) انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً)

«ومثل هذا وذاك ما خالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب؟ والجواب عنه بأنها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع الخ وقد سألنا عنه بعض أهل العلم من تونس ولما نجب عنه لأننا لم نجد جواباً مقنعاً للمستقل في الفهم . فالشمس طالعة في كل وقت لا تغيب عن الأرض طرفه عين كما هو معلوم بالمشاهدة علماً قطعياً لا شبهة فيه ، فإذا قلنا إنها يصدق عليها مع ذلك أنها ساجدة تحت العرش لأنها خاضعة لمشيئة الله تعالى ولأن كل مخلوق هو تحت عرش الرحمن — إن لم تكن التحتية فيه حسية لان الجهات أمور نسبية لا حقيقية فهي مبنوية — إذا قلنا هذا أو انه تمثيل لخضوعها في طلوعها وغروبها وهو أقرب، فهل ينطبق على السؤال والجواب انطباقاً ظاهراً لا صراء فيه ؟ اللهم لا .

«ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته في الصحيح قد يخرج بمضه على أنه من باب الرأي في أمور العالم والانبياء لا تتوقف صحة دعوتهم ونبوتهم على العلم بأمور المخلوقات على حقيقتها ولم يقل أئمة الدين إنهم معصومون فيها كما يدل عليه الحديث الصحيح في تأييد النخل ولكن يستثنى الاخبار عن عالم الغيب فهم معصومون فيه» اهـ هذه هي عبارتنا بنصها ونفسها التي استند اليها البهات المحرف في اتهامه إيانا برد حديث عمر في رجم الشيخ والشيخة وانه كان آية من القرآن — ورد حديث سحر اليهودي للنبي ﷺ — وحديث سجود الشمس وتكبيره للامر بانها وردت في الصحيحين — ونحن إنما ذكرنا هذه الاحاديث وغيرها كحديث المراج وحديث

صلاة الكسوف وحديث خلق السموات والارض في سبعة أيام - من باب التمثيل للاحاديث المشككة التي تتعاق بموضوع المناظرة التي حكما فيها بما بينا به مزية الصحيحين وان ما انتقده المحدثون والمتكلمون والفقهاء وردوه من أحاديثها قليل لا ينافي تفصيلهما على غيرهما ، وقد ذكرناها بموضوعها لا بنصوصها بل لم نذكر حديث عمر في الرجم مطلقا لان المقام مقام التمثيل لما انتقده بعض المتناظرين بالاجمال ، ولم نذكرها لاستثناف انتقاد عليها أو استشكال لها من عند أنفسنا ، ولا لاجل الاجوبة عنها فان هذا قد بيناه في مواضع أخرى من المنار وتفسيره ، ولكل مقام مقال ، من تفصيل وإجمال ، وهذا معهود في جميع الكتب ، فكيف ينكر مثله الصحف ؟ ولكن باغي العنت ، بطرق المغالطة في الجدل ، يجعل حكاية خصمه لقول مذهبا له ، وسكوته عن بيان شيء في غير موضع البيان حجة عليه فيما بينه في موضعه مع تجاهله ذلك البيان ، ويألت محرو مجلة الازهر يكتبني بمثل هذه المغالطة ولا يفترى عليه الكذب البواح ويرميه بالبهتان

وقد صرحنا في ذكر حديث الشمس بأن وجه الاشكال فيه هو مخالفة الواقع المشاهده وهو كون الشمس طالعة دائما لا تغيب عن الارض طرفة عين ، لا السجود الذي زعمه وافترى علينا تكذيبه ، على أن شراح الصحيحين وغيرهم استشكلوا الامرين وأجابوا عنهما بما سنذكره بعد ، ونحن صرحنا بأن الشمس يصدق عليها انها ساجدة تحت اعرش دائما بالمعنى الذي أثبت القرآن فيه سجود كل شيء لله عز وجل من السكواك والشجر والنباب وغير ذلك ، وذكرنا توجيهاً آخر لسجودها وهو انه « تمثيل لخضوعها في طلوعها وغروبها لمشيئته تعالى » وهو عين المراد من قوله تعالى عن السموات والارض (قالتا أتينا طائمين) الذي قال المفترى انه كان في استطاعتنا ولم نفعله لان اللغة ضاقت علينا ، فلم تضق علينا سعة اللغة بل ضاقت عليه سعة الصدق فافترى علينا . ولكننا قلنا ان سجود الشمس بهذا المعنى أو ذاك لا يرفع الاشكال بمخالفة مضمون الرواية للمعلوم بالقطع من مشاهدة وأدلة علمية على كونها لا تغيب عن الارض كلها طرفة عين . وقال العلماء قبلنا مثل قولنا - كما سنبينه في البحث السابع من هذا الرد

وأما قولنا « ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته في الصحيح قد يخرج بعضه على انه من باب الرأي في أمور العالم » الخ فالمراد به النوع المخالف للواقع والمشاهد ، ولا تدل العبارة على أن حديث الشمس المذكور من هذا البعض ، بل تدل على أنه ليس منه ، من وجهين (أحدهما) انني قلت قبلها انني سئلت من قبل بعض علماء تونس عنه وانني الى الآن لم اجب عن هذا السؤال لانني لم أجد جواباً مقنعاً للمستقل في الفهم - وسأشرح هذا المعنى بعد - ولو كان حديث الشمس عندي من هذا البعض لكان جوابي للسائل انه كحديث تأيير النخل الذي قال فيه النبي ﷺ « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وما في معناه ، ولم أرجي الجواب

(الوجه الثاني) انني استثنت من هذا النوع من الاحاديث الواردة في أمور الدنيا التي لا تنافي عصمة الانبياء ما إذا كان الاخبار عن عالم الغيب والطاعن يقول ان حديث الشمس منه ، وهو مع رؤيته بل علمه بهذا الاستثناء يفترى علي انني قست حديث سجود الشمس على حديث تأيير النخل ، وانني قلت انه من العلوم التي لا يعلمها الانبياء ولم أقبل هذا ، فهو لم ينقل شيئاً من تفسيري للسجود - ولا من حصري للاشكال في ذهاب الشمس وغيبتها عن الارض - ولا من سكوتي عن جواب السائل عنه - ولا من استثناء جعله من قبيل الاخبار عن أمور الدنيا دون أمور الدين والاخبار عن عالم الغيب . مع انه زعم انه نقل عبارتي بنصها وفصها ليؤيد بهذه الفرية تلك المفتريات كلها ، ثم قال انه ينقل محصلها وهو ينقض وعده بنقلها بنصها وفصها ، ولعل غرضه منه ان أكثر قراء مجاتهم لا يفرق بينهما فيتوهم انه صادق أمين في نقله لما وهذا نص عبارته

(٤) عبارة المفتري المحرف بنصها

« وإني أحس منك بامتناع شديد غيرة على المقام النبوي ، ولعلك تستبعد صدور ذلك من الشيخ أو لاتصدقه ، فلننقل لك عبارته بنصها وفصها وما طعن به على أحاديث كثيرة في البخاري غير هذا الحديث ، ثم ترقى من تكذيب الرواة في تلك الاحاديث إلى تكذيب النبي ﷺ في هذا الحديث

« قال في مناره الصادر في آخر رمضان سنة ١٣٢٧ صفحة ٦٩٧ من مجلد السنة المذكورة مانع من عليك محصله لتحكم فيه ، وليتضح به الموضوع الذي نحن فيه ، فانه كالمقدمة له : رد الاحاديث التي في البخاري وغيره الناطقة بأن آية (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) كانت قرآنا يتلى^١ وأن عمر قال ذلك بمجمع من الصحابة ولم ينكر عليه أحد ، وهو معروف لا مرأى فيه ، ويستند حضرته في ذلك الرد إلى ما تعرف منه مقدار علم الشيخ وتفكيره . يقول : ان ذلك لو تم لكان يتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه ! ولم يفرق الشيخ بين النسخ الذي يكون من قبل الشارع ولا يعرف إلا من جهته ولا يكون إلا في زمنه بأمره وتبيينه ، وبين التفريط في القرآن وضياع شيء منه . ثم رد الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في سحر النبي ﷺ رد ذلك بتمويهات وخيالات لا تطيل بها »
ومثل هذا وذاك ماخالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب والجواب عنه بأنها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع النخ - إلى أن قال - فالشمس طالعة في كل وقت لا تغيب عن الأرض طرفة عين كما هو معلوم بالمشاهدة علماً قطعياً لا شبهة فيه - أي فكلام النبي كذب لا شبهة فيه » اهـ

هذا ما عزاه إلى ذلك المقال بعد زعمه انه ينقل العبارة بنصها وفصلها ثم محصلها وكلاهما كذب ظاهر من نقلنا لها بحروفها . فهو لم يذكر إلا عبارة مقتضبة ناقصة منها لم تبلغ أربعة أسطر وما ذكره من محصل ونص كله كذب وباطل كما علمت وزاد ما لا ذكر له فيها كحديث الرجم ، فهكذا يكون صدق العلماء وأمانة النقل عند أحدى هيئة كبار علماء الازهر ومحري مجلته الرسمية ، أم هكذا يكون فهم الكلام بطريقة المناقشات الازهرية

(١) عبارتي ليس فيها كلمة واحدة من هذا الحديث . علي أن البخاري لم يرو المسألة هكذا . وهذا المحرر وأمثاله من العلماء الرسميين لا يدرون ما في البخاري إلا إذا راجعوا المسألة فيه ثم لا يدرون لماذا لم يرو هو ولا مسلم في خطبة عمر هذا اللفظ ولا يدرون ما يعارضه لان كتب السنة ليست من علومهم ولا مما يحتاجون اليه

رحم الله الاستاذ الامام الذي كان يقول في أمثال هؤلاء العلماء انهم يتعاملون كتباً لا علماء ، وقد بين مراده من هذا في رسالة التوحيد بعد بيان خلاصة تاريخ علم الكلام الذي لا يزال أمثال هذا الرجل يتناقشون في بعض كتبه التي لا يفهمون من مواقفها ومقاصدها إلا ما قرره الامام في قوله :

(٥) رأي الاستاذ الامام في أمثال هذا العالم

« ثم جاءت فتن طلاب الملك من الاجيال المختلفة وتغلب الجاهل على الامر ، وفتكوا بما بقي من أثر العلم النفاى النابع من عيون الدين الاسلامي - فأنحرفت الطريق بسالكها ، ولم يعد بين الناطرين في كتب السابقين إلا تحاور في الالفاظ أو تناظر في الاماليب ، على أن ذلك في قليل من الكتب اختارها الضعف ، وفضلها القصور

« ثم انتشرت الفوضى العقلية بين المسلمين تحت حاية الجبهة من ساستهم ، فجاء قوم ظنوا في أنفسهم ما لم يعترف به العلم لهم ، فوضعوا ما لم يعد للاسلام قبل باحتماله . غير انهم وجدوا من تقص المعارف أنصاراً ، ومن البعد عن ينايع الدين أعواناً ، فشردوا بالعقول عن مواطنها ، ونحكوا في التضليل والتكفير ، وغلوا في ذلك حتى قلدوا بعض من سبق من الائم في دعوى المداوة بين العلم والدين ، وقالوا لما تصف ألسنهم الكذب : هذا حلال وهذا حرام ، وهذا كفر وهذا اسلام . والدين من وراء ما يتوهمون ، والله جل شأنه فوق ما يظنون وما يصفون ، ولكن ماذا أصاب العامة في عقائدهم ومصادر أعمالهم من أنفسهم يعد طول الخط وكثرة الخلط ؟ شر عظيم ، وخطب عميم » اهـ

(٦) جوابنا عن الاشكال في الحديث

علم مما تقدم أننا ذكرنا مضمون حديث الشمس في ذلك المقال مع أحاديث أخرى من أحاديث الشيخين المشكلة من باب التمثيل لاثبات قلة أمثالها في الصحيحين ولم يكن من موضوع المقال إيراد ألقاظها ولا الحكم في هذه المشكلات ثم اننا بينا في موضعين من المنار وأينا في الاشكال ، بما يرى ، الرسول ﷺ

المنار : ج ١٠ م ٣٢ جوابنا عن إشكال حديث الشمس باعلال سنده ٧٨١

من كل ما عصمه الله منه ، كما أشرنا إلى ذلك في المقال الاول من بياننا هذا للأمة إجمال ذلك أنني وجدت ان أصبح رواياته التي اتفق عليها الشيخان هي ما أخرجاه من طريق الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر — هكذا بالنعنة — و ابراهيم التيمي قال الحافظ في التقریب : ثقة ولكنه يرسل ويدلس ، فهذه علة في سند أصبح روايات الحديث تبطل الثقة بها ، ولمسلم رواية من طريق أخرى ذكر فيها الراوي صباع ابراهيم من أبيه مع عننته ولم يعتد بها البخاري ، وثم روايات أخرى لا يصح شيء منها سنداً وبعضها ولذلك عدت فاعتمدت إعلاله من ناحية متنه

وبيان ذلك أنه في أمر غيبي يكثُر خطأ الرواة في أمثاله ويختلفون في فهمها فيروونها بالمعنى الذي فهموه وكثيراً ما يكون فهمهم خطأ ، وأكثر الاحاديث المروية بالمعنى لا بلفظ الرسول ﷺ يكثُر الاختلاف في ألفاظها ومعانيها حتى الامور الحسية التي يفهمها كل أحد كالطهارة وصفة الصلاة فإذا لم يجد شراحها وجهاً وجبها للجمع بينها حملوها على تعدد ماوردت فيه حتى قال بعضهم بتعدد المراج لكثرة الاختلاف والتعارض في رواياته

وقد بينت وجوه الدفاع عن الاحاديث المشككة بالتعارض وغيره في مواضع من المنار وتفسيره أهمها الكلام في أشراط الساعة ولا سيما أحاديث المهدي والديجال فان التعارض والتناقض فيها كثير جداً

وإني أتلل للأمة هذين الجوابين بحروفهما مع عزوهما إلى مواضعهما من المنار والتفسير لتأكيد تكذيب مجلة الازهر في زعمها الذي تقدم

❦ الجواب الاول في علة السند ❦

جاء في الصفحة ٧٢٥ من مجلد المنار الثاني والعشرين وفي حاشية ص ٢١١ من جزء التفسير الثامن مانعه :

«ومن هذه الاحاديث في الباب حديث أبي ذر جندب بن جنادة الذي يعد من أعظم المتون اشكالا فهو يقول ان النبي ﷺ سأله أتدري أين تذهب

الشمس اذا غربت ؛ قل قلت لا أدري ، قال « انها تنتهي دون العرش فتخر ساجدة ثم تقوم حتي يقال لها ارجعي فيوشك يا أبا ذر أن يقال ارجعي من حيث دخلت وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » وهذا الحديث رواه الشيخان من طرق عن الشعبي عن ابراهيم بن يزيد بن شريك التيمي عن أبيه عن أبي ذر وهو - أي ابراهيم - عن توثيق الجماعة مدلس ، قال الامام أحمد لم يلق أبا ذر ، كما قال الدارقطني لم يسمع من حفصة ولا من عائشة ولا أدرك زمانهما ، وكما قال ابن المديني لم يسمع من علي ولا ابن عباس . ذكر ذلك في تهذيب التهذيب وقد روى عن هؤلاء بالمنعنة فيحتمل أن يكون من حدثه عنهم غير ثقة اهـ وأعني بهذا أن روايته عنهم مرسلة ولم يذكر من حدثه بها فثبت أنه يرسل ويدلس كما قال الحافظ في التقریب ، ومن كان هكذا لا تقبل روايته بالمنعنة - فهذه علة في أصح أسانيد الحديث تبطل الثقة به مع عدم الطعن في البخاري ولا في الأعمش ولا في ابراهيم التيمي أيضاً

﴿ الجواب الثاني في علة متن الحديث ﴾

جاء في باب فتاوى المنار في ص ٦٧١ مجلد ٢٤ مانصه :
(ص ٢٦) من صاحب الامضاء المدرس في مدينة تطوان - في المغرب الأقصى .
الحمد لله وحده - من تطوان في ٢٧ شوال سنة ١٣٤١
فضيلة أستاذي الوحيد ، وملاذئ الفريد ، أستاذ العالم ومفتيه ومرشده
السيد محمد رشيد رضا

سلام على تلك الذات وتلك الروح الطاهرة من قلب يتأجج بنار الاشواق ويضطرم في سدير البعاد ، غير أن ثلج ماء عين (مناركم) قد يطفئ شيئاً من ذاك اللهب ، ويخمد سديرها عندما يهيم الفكر في استحسان تلك الدرر البثيمة ، والتمتع بتلك اللعاني الوحيدة الفريدة .

سيدي وسندي ، أرجو من فضيلتكم الجواب على صفحات « المنار » الاغرماني :
من المقرر عند علماء الجغرافية أن الارض لها دورتان يومية وسنوية وأن

الليل والنهار والفصول ينشآن عن هاتين الدورتين للأرض ويقتضي هذا أن الشمس ثابتة والله تعالى يقول (والشمس تجري لمستقر لها) فأرجو من فضيلتكم جواباً كافياً شافياً كما هو شأن فضيلتكم بحيث لا يبقى في النفس ولو كانت جاحدة أدنى مخافة . حفظكم الله وأطال حياتكم ، وبارك في عمركم وعمر آبائكم الكرام ، مدى الليالي والأيام ، من الداعي لفضيلتكم بذلك تليذكم وصديقكم

محمد العربي بن أحمد الخطيب

(ج) إذا كان مذكور السائل من المقرر عند علماء الجغرافية فإن من المقرر عندهم وعند علماء الملك (أيضاً) أن الشمس تدور على محورها كغيرها من الأجرام السماوية، وأنها تدور هي والكواكب السيارة التي حولها حول نجم آخر مجهول يمدونه المركز لها ، وباعتناء أحد المعاصرين من هؤلاء العلماء أنه حقق حديثاً أن مجاميع الشمس كلها — أو العالم كله يجري في الفضاء لغاية مجهولة . وتجدون هذا البحث ماعدا القول الأخير في مقالة طويلة للدكتور محمد توفيق صديقي (رح) في المجلد الرابع عشر من المنار ، وتجدون فيها رأياً عزاه اليينا إذ تلقاه عنا وهو أن لجميع العالم المؤلف من هذه الشمس والكواكب مركزاً واحداً هو مصدر التدبير والنظام لها وهو عرش الرحمن تبارك وتعالى (راجع ص ٥٩٠ و ٥٩١ ج ٨ منه) ونحن قد استنبطنا من عرض مذهب الفلكيين على قوله تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر) فجريان الشمس ثابت بالاتفاق فإن دورانها على محورها يسمى جريانا ، ودورانها مع مجموعها المعلوم حول نجم مجهول على قولهم — كدوران المجاميع الشمالية حول نجم القطب الشمالي — يسمى جريانا أيضاً . وأولى منه وأظهر سيرها مع بقية العالم الذي قال به بعض المتأخرين كما ذكر في تقويم لفلامريون المشهور .

على أن الجريان يستعمل استعمالاً مجازياً في السير المعنوي كما يقال جرى القضاء بكذا ، ولك أن تقول الآن إن أوربة تجري في تنازع دولها لحرب أخرى شر من الحرب الأخيرة

وأما المستقر الذي تجري الشمس إليه أوله ففيه وجهان (أحدهما) أنه ما

ينتهي اليه أمرها بخراب عالمنا هذا التي هي ركن نظامه فيكون جربانها كجربان غيرها بمعنى قوله تعالى في أول سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى . يدبر الأمر يفصل الآيات لعلمكم بقاء ربكم توقنون) وهو بمعنى ما روي عن قتادة قال تجري لمستقر لها : لوقتها ولاجل لا تعدوه (ثانيها) أنه مستقر نظامها لا أجلها وهو النجم المجهول عند علماء الفلك والعرش على رأينا — ويؤيده حديث أبي ذر في كون مستقرها تحت العرش ، والحديث قد روي بالفاظ مختلفة أظهرها أخصرها وهو ما رواه الجماعة إلا ابن ماجه وغيرهم عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله (والشمس تجري لمستقر لها) قال « مستقرها تحت العرش » وبعض ألفاظه

مشكل في ظاهره جداً ورواته أقل ، وهو ما ذكر فيه سجودها لله تحت العرش

واستئذانها وإن فسر بمعنى خضوعها لارادته كقوله (والنجم والشجر يسجدان)

والراجح عندنا أنه روي بالمعنى فأخطأ بعض الرواة في فهمه فعبّر عنه بما فهمه والله أعلم . وسنعود إلى هذا البحث في وقت أوسع ومجال أوسع إن شاء الله تعالى اه وحاصل هذا الجواب المختصر الذي وعدت بالرجوع اليه لأجل تفصيله عند

ما تسنح الفرصة ويتسع المجال هو كما تقدم آنفاً أن الحديث مروي بالمعنى وهو في أمر غيبي أخطأ بعض الرواة في فهمه كما أخطؤا في أمثاله ولا سيما أحاديث الدجال المتعارضة المتناقضة فليراجع تفصيلي لها ولا مثالا من شاء في تفسير قوله تعالى (٧ : ١٨٧ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربي) الآية (من ص ٤٨٩ - ٥٠٧ ج ٩ تفسير)

وأما العبرة للامة الاسلامية في هذا الجواب فهو ان من كبار علمائها الرسميين في هذا العصر من فقد الصدق في القول ، والامانة في النقل ، والفهم لمسائل العلم ، مع استباحة التكفير للخصم ، وان قصارى علمهم مشاغبات ومغالطات في الالفاظ ومحريف لها وإيراد للاحتتمالات فيها كما تقدم آنفاً عن الاستاذ الامام .

المقال التاسع

(٧) استشكال العلماء لحديث الشمس وأجوبتهم عنه

هذا الحديث رواه الشيخان وبعض أصحاب السنن والمسانيد والتفسير المأثور والبيهقي في الاسماء والصفات بالفاظ متقاربة ولكنها غير متفقة، ورواه غيرهم زيادات مختلفة بل مختلفة، ولفظ البخاري في باب بدء الخلق بسنده : عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر (رض) عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا بي ذر (١) حين غربت الشمس «أتدري أين تذهب؟» قلت الله ورسوله أعلم ، قال «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها ، فذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) ورواه أيضاً في تفسير سورة يس وفي كتاب التوحيد هكذا بالنعنة وقد استشكله العلماء من الجهتين اللتين تقدم ذكرهما وكان استشكلهم مخالفة لما تقر في علم الهيئة أقوى وأجوبتهم عنها أضعف . وقد كان جماهير علماء المسلمين حتى غير الناظرين في علم الهيئة الفلكية يعلمون أن نور القمر مستمد من نور الشمس وعلماء المنطق منهم يمثلون بهذا للحدس المنطقي الذي هو أحد اليقينيات الستة ، وكانوا يعلمون أيضاً ان سبب خسوفه حيلولة الارض بينه وبين الشمس ويمثلون بذلك للقضية الوقتية في المنطق أيضاً . وقال الغزالي إن من أدلة كروية الارض ظهور ظلها في القمر عند خسوفه مستديراً ، وان هذا من القطعيات . فرؤية القمر بعد غروب الشمس دليل حسي على وجود الشمس وراء الافق التي تتوارى عنه مقابلة للقمر تلقي نورها عليه . ولم يكن علم الهيئة وصل في عهدهم إلى ما وصل اليه الآن ولا علم الجغرافية أيضاً . ولا كان الناس في عصرهم يطوفون حول الارض بطياراتهم وغيرها فيرون باعينهم مصداق أدلة ثبات الشمس في فلكها ، أفليس من الجنابة على الاسلام ان تحكم بحجة الازهر على من يقول ان مضمون الحديث مخالف للحس بأنه مكذب لله ورسوله ﷺ؟

(١) يشعر هذا اللفظ بان قائلة غير ابي ذر وهو يدل على روايته بالمعنى كما قلنا

﴿ ما نقله الحافظ ابن حجر في استشكل العلماء للحديث وأجوبتهم عنه ﴾

قال الحافظ ابن حجر في شرحه له من فتح الباري : والغرض منه هنا بيان سير الشمس في كل يوم وليلة . وظاهره مغاير لقول أهل الهيئة أن الشمس مرصعة في الفلك . فانه يقتضي أن الفلك هو الذي يسير ، وظاهر الحديث أنها هي التي تسير وتجري ، ومثله قوله تعالى في الآية الأخرى (وكل في فلك يسبحون) أي يدورون . قال ابن العربي أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن . وتأوله قوم على ما هي عليه من التسخير الدائم ، ولا مانع أن يخرج عن مجراها فتسجد ثم ترجع (قال الحافظ بمد نقله لهذا) قلت : إن أراد بالخروج الوقوف فواضح وإلا خلا دليل على الخروج . ويحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة أو تسجد بصورة الحال فيكون عبارة عن الزيادة في الاتقياء والخضوع في ذلك الحين اهـ

فلم من هذا أن العلماء استشكلوا الحديث وقالوا كما قلنا بأنه مغاير لقول علماء الهيئة القطعي وأنهم استشكلوا أيضاً سجودها وأنكره بعضهم ولم يكفرهم متأولوه ، وأجابوا عنها بما رأيت وما سترى مما نقله إليك ، ووازن بعد ذلك بين أجوبتهم وجوابنا

وقال الحافظ في شرحه للحديث من تفسير سورة يس من صحيح البخاري مانصه : « وروى عبد الرزاق من طريق وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو في هذه الآية قال : مستقرها أن تطلع فيردها ذنوب بني آدم ، فإذا غربت سلمت وسجدت وأستأذنت فلا يؤذن لها فتقول ان السير بعيد ، واني ان لا يؤذن لا أبلغ ، فتحبس ما شاء الله ثم يقال : اطلعي من حيث غربت . قال فمن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفساً إيمانها ، وأما قوله « تحت العرش » فقيل هو حين محاذاتهم ولا يخالف هذا قوله (وجدها تعرب في عين حمئة) فان المراد بها نهاية مدرك البصر حال الغروب ، وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب . وفي الحديث رد على من زعم أن المراد بمستقرها غاية ما تنتهي إليه في

الارتفاع وذلك أطول يوم في السنة . وقيل إلى منتهى أمرها عند انتهاء الدنيا
« وقال الخطابي يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر
تحتها استقراراً لا تحيط به نحن . ويحتمل أن يكون المعنى : أو علم ما سألت عنه .
من مستقرها تحت العرش في كتاب كتب فيه ابتداء أمور العالم ونهايتها ، فيقطع
دوران الشمس وتستقر عند ذلك ويبطل فعلها . وليس في سجودها كل ليلة
ما يعمق عن دورانها في سيرها » اهـ

ثم قال الحافظ بعد نقل هذه الاحتمالات في تأويل الحديث والآية
(قلت) وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند
سجودها . ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري والله أعلم اهـ
أقول يعني أن هذه التأويلات خلاف المتبادر من لفظ الحديث . وأما حديث
عبد الرزاق من طريق وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو بن العاص الذي
نقله وسكت عليه فهو أعصى على تأويلنا وتأويلهم وأبعد عنهما بعد الشمس عن العرش
وفي معناه روايات أخرى أغرب منه . وهب هذا وثقه ابن معين والمعالي وقال
علي بن المديني وابن حبان : وهب بن جابر مجهول سمع من عبد الله بن عمرو بن
العاص قصة يأجوج ومأجوج و « كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت » ولم يرو
غير ذين ، وقال النسائي : مجهول ، وكفى بقول علي بن المديني أنه لم يرو غير
هذين حجة على أن رواية حديث الشمس عنه مردودة سواء كان ثقة أم لا ؟

(جواب الحافظ ابن كثير في تفسيره)

وأجاب العماد بن كثير عن سجود الشمس تحت العرش بما حاصله أن العرش
قبة ذات قوائم تحملها الملائكة وهو فوق العالم مما يلي رؤوس الناس فالشمس إذا
كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون إلى العرش ، فإذا
استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت
أبعد ما تكون من العرش فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع كما جاءت بذلك
الاحاديث اهـ وهذا جواب من يصدق الفلكيين في ثبات الشمس في فلكها

ودوران الفلك بها حول الارض ، وقد نقض ارتقاء علم الهيئة بالمناظير المقربة لملاباد هذا المذهب اليوناني ، وأجمع علماء الفلك في هذا العصر على كروية الارض ودورانها تحت الشمس الثابتة في مركزها . على ان قوله منقوض على ذلك المذهب أيضاً إذ لا خلاف عند أهله في كروية الارض وسكنى الناس على سطحها من كل جانب فلا يتجه القول بان العرش فوق رؤوس المقيمين في جانب منها دون آخر

(ما نقله الفقيه ابن حجر الهيتمي في حديث سجود الشمس)

جاء في الفتاوى الحديثية للشيخ أحمد بن حجر الهيتمي مانعه :

(ومثل) نفع الله به : اذا غابت الشمس أين تذهب ؟

(فاجاب) بقوله : في حديث البخاري أنها تذهب حتى تسجد تحت العرش . زاد النسائي « ثم تستاذن فيؤذن لها ويوشك أن تستاذن فلا يؤذن لها وتؤمر بالطلوع فلا يؤذن لها ، وتؤمر بالطلوع من محل غروبها » ولا يخالف هذا قوله تعالى (تغرب في عين حمئة) لان المراد به نهاية إدراك البصر لها حال الغروب وسجودها تحت العرش انما هو بعد الغروب . وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس أنها بمنزلة الساقية تجري بالنهار في السماء بفلكها واذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الارض حتى تطلع من مشرقها وكذلك القمر ، وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة أنها اذا غربت دخلت نهراً تحت العرش فتسبح ربها حتى اذا أصبحت استعفت ربها عن الخروج ، قال : ولم ؟ قالت إني اذا خرجت عبت من دونك . وقيل يبتلعها حوت ، وقيل تغيب في عين حمئة كما في الآية والحاماة بالهمز ذات الطين الاسود وقرى حامية بالياء أى حارة ساخنة ، وقيل تطلع من مماء إلى مماء حتى تسجد تحت العرش وتقول يارب ان قوما يصونك ، فيقول لها ارجعي من حيث جئت فتزل من مماء إلى مماء حتى تطلع من المشرق وبنزولها الى مماء الدنيا يطلع الفجر . قال امام الحرمين وغيره لا خلاف أنها تغرب عند قوم وتطلع عند آخرين ، والليل يطول عند قوم ويقصر عند آخرين إلا عند خط الاستواء فيستويان أبداً ، وفي بلاد بلغار بموحدة مضمومة

ثم معجزة لا تغيب الشمس عندهم إلا مقدار ما بين المغرب والعشاء ثم تطلع « اه
أقول الشيخ أحمد بن حجر هذا هو الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٩٧٣ وهو
قليل البضاعة في الحديث وفي علوم العقول ينقل من الكتب عند الحاجة، وماعزاه
إلى النسائي من لفظ الحديث ثابت في البخاري، وسائر الروايات التي ذكرها لا
تصح . وقد أورد كلام علامة العقول الأكبر إمام الحرمين ولم يردده لأنه إما
الاشعرية والشافعية الذين يقدّم ولا استطاع أن يوفق بينه وبين الحديث
(فائدة لما علاقة بحديث الشمس)

يقول الفقيه ابن حجر الميمني هذا إذا اختلف العلماء فالذي يجب اعتماده
كلام الفقهاء . ولكن بضاعة أكثر الفقهاء مزجة في مشكلات الأحاديث ولا سيما
غير الفقهية وقد قرأنا في بعض كتبهم تعليلاً لبرودة مياه الآبار في الصيف وحرارتها
في الشتاء كما يتوهم من لا يعرف الحقيقة وهو أن الشمس يطول مكثها تحت الأرض
في ليالي الشتاء لطولها فيكون دفء مياه الآبار من ذلك، ويقصر مكثها تحت الأرض
في ليالي الشتاء لقصرها فتظل مياه الآبار باردة ! فكيف يوفق محرز بحجة
نور الإسلام بين هذا التعليل الخرافي وبين ما يفهم من ظاهر الحديث من أن الشمس
في الليل تكون تحت العرش فوق السموات السبع ؟؟ كمادته في تصحيح أمثال هذه
الجهالات والخرافات ؟

﴿ كلام الآلومي وجوابه عن الحديث في تنزيهه ﴾

قال الشهاب السيد محمود الآلومي في تفسير آية سورة يس من تفسيره روح
المعاني ما نصه :

« وفي غير واحد من الصحاح عن أبي ذر قال : كنت مع النبي ﷺ في
المسجد عند غروب الشمس فقال « يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟
قلت الله تعالى ورسوله أعلم ، قال تذهب لتسجد فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك
أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها ارجعي من حيث
جئت فتطلع من مغربها ، فذلك قوله عز وجل (والشمس تجري لمستقر لها) وفي

رواية «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا الله تعالى ورسوله أعلم، قال إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة» الحديث، وفي ذلك عدة روايات وقد روى مختصراً جداً. وأخرج أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) قال «مستقرها تحت العرش» فالمستقر اسم مكان والظاهر أن للشمس فيه قراراً حقيقة «قال النووي: قال جماعة بظاهر الحديث، قال الواحدى وعلى هذا القول إذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع، ثم قال النووي: وسجودها بتمييز وإدراك مخلقه الله تعالى فيها، وذكر ابن حجر الهيتمي في فتاويه الحديثية أن سجودها تحت العرش إنما هو عند غروبها. وأورد (ملخص ما تقدم أنفاً ثم قال) «والسجود تحت العرش قد جاء أيضاً من روايات الإمامية، ولهم في ذلك أخبار عجيبة، منها أن الشمس عليها سبعون ألف كلاب، وكل كلاب يحجره سبعون ألف ملك من مشرقها إلى مغربها، ثم ينزعون منها النور فتخر ساجدة تحت العرش، ثم يسألون ربهم هل تلبسها لباس النور أم لا؟ فيجابون بما يريد من سبحانه ثم يسألونه عز وجل هل تطلعها من مشرقها أو مغربها؟ فيأتيهم النداء بما يريد من شأنه، ثم يسألون عن مقدار الضوء فيأتيهم النداء بما يحتاج إليه الخلق من قصر النهار وطوله.» «وفي الهيئة السنية لأجلال السيوطي أخبار من هذا القبيل، والصحيح من الأخبار قليل، وليس لي على صحة أخبار الإمامية وأكثر ما في الهيئة السنية تعويل.» «نعم ما تقدم عن أبي ذر مما لا كلام في صحته، وماذا يقال في أبي ذر وصدق لهجته؟ والامر في ذلك مشكل إذا كان السجود والاستقرار كل ليلة تحت العرش سواء قيل أنها تطلع من سماء إلى سماء حتى تصل إليه فتسجد، أم قيل أنها تستقر وتسجد تحته من غير طلوع، فقد صرح امام الحرمين وغيره بأنه لا خلاف في أنها تغرب عند قوم وتطلع على آخرين، والليل يطول عند قوم ويقصر عند آخرين، وبين الليل والنهار اختلاف ما في الطول والقصر عند خط الاستواء، وفي بلاد بلغار قد يطلع الفجر قبل أن يضيئ شفق الغروب، وفي عرض تسعين لا تزال طالعة

المنار : ج ١٠ م ٣٢ جواب الأکوسي عن الحديث وكون جوابنا أقوى من غيره ٧٩١

مادامت في البروج الشمالية وغاربة مادامت في البروج الجنوبية ، فالسنة نصفها ليل ونصفها نهار ، على ما فصل في موضعه . والادلة قائمة على انها لا تسكن عند غروبها ، وإلا لكانت ساكنة عند طلوعها ، بناء على ان غروبها في أفق طلوع في غيره ، وأيضاً هي قائمة على انها لا تفارق فلکها فكيف تطلع من سماء إلى سماء حتى تصل إلى العرش ؟ بل كون الامر ليس كذلك أظهر من الشمس لا يحتاج إلى بيان أصلاً . وكذا كونها تحت العرش دائماً بمعنى احتوائه عليها وكونها في جوفه كسائر الافلاك التي فوق فلکها والتي تحته

« وقد سألت كثيراً من أجلة المعاصرين عن التوفيق بين ما سمعت من الاخبار الصحيحة وبين ما يقتضي خلافها من العيان والبرهان ، فلم أوفق لان أفوز منهم بما يروي الغليل ، ويشفي الغليل » اهـ ما قرره الأکوسي من استحکال الحديث من الوجهين وكونه مخالفاً للقطبي وعجز أجل معاصريه من العلماء عما يزيل الاشكال اهـ ثم انهم رجعوا إلى الله استنبط له حلا غريباً بعد مقدمات مؤلفة من خرافات كثيرة أغرب منه خلاصته أن الشمس لها نفس عاقلة مدركة كروح الانسان وان هذه النفس هي التي تصعد فتسجد تحت العرش ، ويبقى جسم الشمس المضيء على ما يراه الناس . ولم أره تجرد من عقله واستقلاله العلمي وأثبت عدة خرافات خلط فيها بين تخيلات الفلاسفة والصوفية والمبتدعة كما فعل في هذه المسألة عفا الله عنه ، ومن شاء فليرجع الى عبارته فيه

﴿ حاصل أقوال العلماء والعبارة به ﴾

وحاصل ما أوردناه من كلام المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين انهم اتفقوا على ان الحديث مشكل كما قلنا ، وأنهم أنكروا منه السجود تحت العرش واحتجاب الشمس عن الدنيا ، وكانت أجوبتهم عن السجود أقوى من أجوبتهم عن الاحتجاب ، وان أحداً منهم لم يكفر أحداً ممن استشكله ، ولا رماه بتكذيب الله ورسوله وان لم يسلم له تأويله ، وأن جوابنا في حل الاشكال أظهر من جميع أجوبتهم ، واننا على توفيقنا هذا لخدمة السنة قد رمانا محرراً مجلة الازهر زوراً وبهتاناً بما علم القارئون ، ولنا ان تتمثل بقول الشاعر :

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

خاتمة البحث في تحدينا لمشيخة الازهر فيه

قد علمت أيها المسلمون مما شرحت لكم في هذه المسألة ان أحد كبار هيئة علماء المشيخة الرسميين ومحوري مجلتها الرسمية قد اقترى علينا في هذه المسألة بغير أمانة ولا علم - وترك الذين قد يصدقون كلامه في هذا الحديث وربما كانوا مئات الالوف في حيرة أو شك من دينهم إذ علموا منه ان الحديث يدل على ان الشمس تغيب عن الارض كلها بعد غروبها عنهم، وجميع الذين تعلموا الجغرافية منهم وكثير من غيرهم يعلمون علمًا يقينًا ان الشمس لا تغيب عن الارض طرفة عين، وانما تغرب عن قوم وتطلع على آخرين، كما قال بعض كبار علماء الاسلام المتقدمين فكان الواجب على هذا العالم أن يرشد المسلمين أولاً إلى الجمع بين معنى الحديث الذي أخبرهم انه متفق عليه وبين اعتقادهم القبطي لما يخالف مضمونه قبل أن يقول لهم ان الذي لا يعتد صحته يكون مكذباً لله ولرسوله، وهم لا يستطيعون هذا الاعتقاد وانني بعد أن بينت لهم ما عندي من حل الاشكال وما قاله العلماء الذين استشكلوا الحديث من قبل، وان ما قلته هو الذي يطمئن به القلب، أتحدى الاستاذ الأكبر شيخ الازهر ومن شاء من هيئة كبار العلماء (غير الدجوي الذي ليس في علم الحديث جل ولا ناقة، ولا يذكر منه في مقدمة ولا ساق، بل هو يمد أعظم حفاظه كالذهبي في عصره أعداء لرسول الله ﷺ ويطمئن في صدقهم) أن يبينوا للأمة طرق هذا الحديث وما يصح منها بحسب اصطلاح المحدثين وما لا يصح، وما يجب على المسلمين أن يصدقوه مما يخالف منه المشاهدة وما تقرر في علم المنطق وعلم الجغرافية الذي يدرس في الازهر وفي جميع مدارس هذا العصر، إما بالجمع بين الامرين جميعاً معقولا، وإما بتكذيب الحس وما أثبتته العلم إن كان مستظاهراً، إذا كانوا لا يوافقونا على ما ذكرنا من اعلال متته وأصبح أسانيد، فهذه سبيل العلماء حماة الدين لا الاقتراء على العلماء الذين هدامهم الله الى هذه الحماية قبلهم، والتعالي والتنفج بسلطان الالقاب الرسمية التي لا قيمة لها عندهم، وإيقاع الناس في شك من دينهم، وإذا لم يكف شيخ الازهر مرءوسيه عن مثل هذا المدوان والبهتان فساتمحاء بمناظرات أخرى في علم التوحيد وفي التفسير والحديث وإن خالفت مقتضى الحلم والتواضع الذي اعتصمت به إلى الان

وفيات الاعيان

(توفي في هذا العام عالمان عاملان مصلحان أحدهما الشيخ محمد امين الشنقيطي في بلدة الزبير التابعة للبصرة وقد كانا أحد أصدقائه كتابة ترجمته ، والثاني صديقنا الاستاذ المصلح الشيخ محمد عبد القادر في مليار وقد كتب لنا ترجمته أحد تلاميذه ومريديه فننشرها باختصار قليل وهي)

في غرة رجب من هذا العام (١٣٥١) توفي العالم العلامة محرز المجلة الغراء «ديك» (النير) استاذ الاصلاح الديني لمليار محمد عبد القادر المولوي ابن العالم المرحوم محمد كنجي رحهما الله تعالى ، فقد مسلو مليار استاذهم ومحي ارواحهم بالاصلاح الاسلامي

وكانت أعمال التجهيز لجنازته على غاية من اتباع السنة رغم أهواء الخرافيين ، لان أبناء الفقيد وأقرباءه وتلاميذه المصلحين قد بذلوا جهدهم لتلايمزج الناس تشيع هذا المصلح الاول فيهم بشيء من مبتدعات هذه البلاد من الجهر بالتهليل او غيره حين تشيع الجنازة حاملين لها أو ماشين معها ، ومن جمع الناس وضياقتهم بعد الدفن في ذلك اليوم أو في الثالث أو غيرها ، فيفضل الله وتوفيقه كان تجهيز هذا المصلح الاكبر خالياً من جميع البدع والمنكرات ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وكان أهل مليار كافة وأهل بيت الاستاذ الفقيد بل كان هو نفسه أيضاً ممن يحافظون على المحدثات والبدع مقلدين لكتب المتأخرين المؤلفة في الفقه والتصوف وغيرهما من الفنون الاسلامية ، ولكن بعد ما شرع الاستاذ يقرأ مجلة « المنار » الغراء هداه الله بها إلى التفكير في الاصلاح الديني ، وصار أول استاذ مصلح في هذه البلاد المليارية ، جزاه الله عنا خير الجزاء ، ورضي الله عنه وأسكنه في حنة الخلد ، ومتعه بالنعيم المقيم ، آمين ، وهذه خلاصة ترجمته :

كان الفقيد من أعضاء قبيلة كريمة معروفة بالمجد والشرف في نواحي تراونكور وفي الخارج أيضاً . ولد من أبوين كرميين سنة ١٨٧٣ م ووالده رحمه الله كان

من التجار الكبار ، والعلماء الكرام أهل الفنى والسخاء ، وكان قد أحضر من الخارج بعض علماء ذلك الوقت لتعليم القيد ، فقرأ عليهم وعلى غيرهم كتب النحو والبلاغة والفقه الشافعي والتصوف وحقائقه والمنطق . ثم لم يلبث أن وجه عقله للبحث عن حقائق الدين وأسرار العبادات والأعمال المشروعة . ثم بعد ماتوفى والده وحصل على سهمه الخاص به من التراث اجمع أمره وعزم على وقف حياته على خدمة الأمة بماله ونفسه . وكان محبا لقراءة الجرائد والمجلات فأسس أولا جريدته الاولى المشهورة باسم « شويشابهاني » (الوطني) ومطبعة منسنة بذلك الاسم أيضا ، وبعد عام عين في رياسة تحريرها أديا هندوسيا مشهورا بتحريكه للأفكار السياسية الاستقلالية في اهالي تروانكور ، فمن ثم شرعت الجريدة بقله السيل تفصح الحكومة وتنتقد أعمال موظفيها ولاسيا وزيرها الاعظم الذي كان شهوانيا أكثر من أنه إداري ، فاحتازلت الحكومة وصادرت الجريدة والمطبعة ، ونفقت الناصح الصادق من أرضها ومات في غربته ، جزاء الله بصدقه وخير أعماله وأوصافه ، فبهذه المصادرة خسر فقيدنا خسرانا عظيما يقدر بخمسة آلاف روبية أو أزيد ، وكان فقيدنا عقيب تأسيس الجريدة المذكرة قد أسس لخدمة أمته الاسلامية خاصة بمجلة المشهورة باسم « المسلم » ولكنه بعد هذه المصادرة التي خسر بها مطبعته قد اضطر لتعطيلها ايضا ، ثم لم يتمكن من متابعة أعماله للامة والملة التي وقف حياته عليها إلا بعد ثلاث سنوات او أربع

وفي سنة ١٩١٣ م استأنف إصدار مجلة « المسلم » القراء فوجد امته الاسلامية على شيء من الاستعداد لقبول الاصلاح والتجديد ، فعزم على الصدع بأهم قواعد الاصلاح الديني متوسلا اليه بإصدار مجلة في لسان قومه بأحرف عربية لان غالب المسلمين من قومه رجالا ونساء لا يقرءون لغتهم المليارية بأحرفها الاصلية وإنما يقرءونها بالأحرف العربية ، فأسس تلك المجلة باسم « الاسلام » ومطبعتها سنة ١٩١٧ م وأصدر عددها الاول في غرة رجب سنة ١٣٣٦ هـ منبها للمسلمين إلى احوالهم الحاضرة من حيث دينهم وتعليمهم واجتماعهم واقتصادهم ، وصادعا بالاصلاح الديني المبني على الاعتصام بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالحين .

وتلك المجلة «الاسلام» وإن لم يتمكن أن يصدر منها إلا خمسة أعداد فإنها نورت وجه أرض البلاد المليارية، ووجهت وجوه عقلاء المسلمين المفكرين علماء كانوا أو عوام، شبانا أو شيوخا إلى مبادئها الإصلاحية من تعميم التعليم : الديني والمصري بين الذكور والاناث، مع المحافظة على التربية الدينية الصحيحة ونبذ الخرافات والبدع وجميع أنواع الاعمال الشركية، وتجديد توحيد الألوهية والربوبية، والاعتصام بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالحين في جميع نواحي الحياة، وعلاوة على ذلك جعل مجلة (المسلم) جريدة أسبوعية، وولى رئاسة تحريرها أحد تلاميذه المصالحين حفظه الله آمين

ثم وجه همه إلى تأسيس الجمعيات بين أهل وطنه وخصوصاً المسلمين، فأست جميات ومحاسن في مختلف البلاد المليارية «تراونكور» و«كوسن» و«مليبار» البعض بسميه والباقي على وفق إرشاداته في الإصلاح الديني، وإن كان بعضها قد غاب من أفق الوجود فالبعض الآخر لا يزال حياً ظاهراً عاملاً بتوفيق الله

وفي النهاية وجه عزمه إلى تأسيس «دار النشر الإسلامية» وإلى الصحافة، فشرع في إصدار مجلته الأخيرة «ديبك» (النير) منها موجهها عالي همته وأكبر عنايته إلى الرد على الملحدين والماديين الذين ظهرت قرونها في أهالي هذه البلاد ولا سيما الهندوس والنصارى في هذه الأعوام الأخيرة، وإلى نشر محاسن الاسلام وفضائله وسائر الواضيع النافعة المهمة . فهاتان المؤستان لا تزالان جاريتين أدامها الله تعالى آمين. وكان قد شرع في تفسير القرآن الكريم بلغة قومه في مجلتيه الأخيرتين «الاسلام» و«النير» وكان عضواً من أعضاء الهيئة المؤلفة لامتحان معلمي العربية في مدارس الحكومة

وله مقالات في مختلف المواضيع الإصلاحية في جرائد شتى مليارية وترجم من الفارسية كيمياء السعادة للغزالي رحمه الله، ومن الاوردية رسالة أهل السنة والجماعة، ورسالة السنة والوحي، وكتاتهما للعلامة السيد سليمان الندوي حفظه الله. وترجم أيضاً رسالة السيد جمال الدين الافغانى في الرد على الدهريين وله أيضاً رسالة «اسلام مت سد هانتها سنكرهم» (خلاصة مبادئ دين الاسلام)

كان رحمه الله حليماً ، محباً للسلم والسكون ، شجاعاً لا يخاف في الله لومة لائم ، ولكنه على كونه لا يحب الثورة ولا الثوار في شيء ، يحب ويكرم مبادئ الجمعية الوطنية الهندية ، وكان ذا عزم وثبات لا يتزلزل للأهوال والبلايا مهما تكن عظيمة ، وتقياً ورعاً لا يوصف ، وكان إيمانه وتوحيده وتوكله وتفويضه جميع أموره إلى الله ماثراً تعجب عند جميع من يعرفون أحواله ، وكانت اخوته شاملة لجميع البشر ، وكذلك كان صبره وصفحه وعفوه وتسامحه واحترامه للمخالفين تبعه على الاحسان اليهم والرحمة بهم وكذا باعدائه في جميع الاحوال ، وكان على حظ عظيم من التواضع يتواضع ويخفض جناحه لجميع الاصحاب بل لخدمه أيضاً ، وفي الجملة كان مثلاً عظيماً لمكارم الاخلاق

وكان يعرف من اللغات سوى لغته المليبارية وآدابها العربية والفارسية والاوردية والتاميلية معرفة جيدة والانكليزية والسانسكريتية معرفة دون ذلك وكان في العربية وعلومها الادبية فرداً فذاً في مليار بل في جنوب الهند أجمع ، وفي العلوم الاسلامية وأسرارها ودقائقها من الافراد النادرين الممتازين بالاستقلال في التفكير والبحث في بلاد الهند جمعاء

وكان بمنزلة الاب المطوف لجميع مسلمي مليار « كيراه » في جميع شعوبهم للتجديد والاصلاح غير حركة الاحمدية قاديانيين كانوا أو لاهوريين إذ لم يشارك أي فريق منهم فيها بل كان مخالفاً لها وإن لم يصوب سهامه اليها

وأما مذهبه في التجديد والاصلاح فقد كان فيه سلفياً لا يقول بالتقيد بأي مذهب كان غير مذهب السنة والجماعة ، داعياً إلى نبذ جميع العادات والاعمال الشركية والخرافات والبدع الدينية ، والإعتصام بالكتاب والسنة ، وشيرة السلف الصالحين رضي الله عنهم ، ومع كونه مستقلاً في البحث والتفكير كان في مبادئ التجديد والاصلاح ، موافقاً لإرشاد مجلة المنار القراء ، محباً لها ولصاحبها السيد محمد رشيد رضا حفظه الله ، وكان يحب حكيمي الاسلام والشرق السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري رحمهما الله ، وشيخ الاسلام ابن

تيمية وتلاميذه ، وشيخ الاسلام مرشد أهل نجد محمد بن عبد الوهاب ، وللقيد في الذب عن ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب والثناء عليهما رسالة (ضوء الصباح) في اللغة المليارية ، وكان أيضا يحب امام المملكة العربية السعودية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود أصلحه الله وهداه ووقفه لما يحب ويرضى آمين وقد أعقب (رح) ذرية مباركة بنتا واحدة وتسعة أبناء أكبرهم عبد السلام نال شهادة (البكالورية) من الجامعة الوطنية المالية في ذهلي ، فنسأله تعالى أن يجعل منهم خير خلف لوأدهم الكريم ، المجدد الحكيم ، ويوفق سائر أهل المليار للاستقامة على ما هدام اليه من الصراط المستقيم ، وأن يشيه عنا جنات النعيم ، آمين

(المنار) اننا نشارك انجال هذا الصديق الكريم والمصلح الحكيم ومريديه وسائر أهل وطنه في مصابهم العظيم بفقداء ونعزيهم أصدق التعزية وندعو لهم بالثبات على ما أرشدهم ونندم بان نكون لهم كما كنا له فيما يرجعون اليه ونسأله تعالى ان يتولى توفيقهم وتوفيقنا .

﴿الشيخ محمد السكتي ، والشيخ عبد اللطيف نشابة﴾

وقد توفي هذا الامام من رجال العلم والادب في سورية الشيخ محمد السكتي قاضي الشرع الاكبر في بيروت ، والشيخ عبد اللطيف نشابة في طرابلس وكان كل منهما شاعرا أدبيا ، فالاول قد اشتهر بمنصبه فوق شهرته بأدبه وهو نجل المرحوم الشيخ أبو الحسن السكتي شاعر بيروت المشهور ، ولوالده ديوان كبير مطبوع ، والثاني نجل استاذنا الاكبر شيخ الشيوخ الشيخ محمود نشابة الذي سبق لي التنويه بعلمه وفضله في المنار . وماتلقينه عنه من الحديث والفقه ، وكان الشيخ عبد اللطيف ذكيا لودعيا ، لكن ضرورة المعيشة اضطرته إلى الاشتغال بالتجارة عن العلم ، ولو انقطع للملازمة والده والتلقي عنه لكان محصيله عظيما لذكائه ، ولما كنت أتردد على دار والده لقراءة الحديث والفقه عليه في الدروس الخاصة بي كان يرغبني في دعوة الشيخ عبد اللطيف لحضورها معي على سبقه اياي في الطلب بضع سنين . رحمهم الله أجمعين

(خاتمة المجلد الثاني والثلاثين من المنار)

نختتم هذا المجلد من المنار بما افتتحناه به من حمد الله عز وجل والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه، ثم بتذكير قرائه بحقه عليهم ولا سيما الذين يعتذرون بالمسرة العامة عن الوفاء له بهذا الحق ويقل فيهم من يعجز عن توفير بضعة قروش في كل شهر من شهور السنة يساعد بها من وقف حياته طول السنة على خدمة دينه وأمته بعلمه وعقله وماله وسعيه، ومن كان منهم في هذه الحالة من المسر والفقر فلا عتب لنا عليه، ولكننا نعلم أن كثيراً من المشتركين المثل ينفقون الألف في الترف والزينة أو اللهو أو مظاهر الفخفة الباطلة، أو الولائم والمآدب والحفلات، ومن سرواتهم وأغنيائهم من آخر دفع قيمة الاشتراك منذ سنين لم يكن لهم فيها عذر بمسرة عالمية ولا شخصية. وكان الذين يعتذرون أو يعذرون أنفسهم بالمسرة العالمية لا يفكرون في إرهاب هذه المسرة لصاحب المجلة، ولا في أن نفقته عليها أضاعف أضعاف ما يطلب لها من كل واحد منهم. بل صار لا يكفيها كل ما يجبيء من جملة المشتركين. ونسأل الله تعالى وندعوه لهم بدعاء الملائكة « اللهم اعط منقدا خلفا، واعط ممسكا تلفا » هذا — ولو أن الحكومة نفذت علينا تلك الغرامة التي ذكرناها في الجزء الأخير من المجلد الحادي والثلاثين لعجزنا عن إصدار هذا المجلد (٣٢) على أننا قد اضطررنا للمسرة ومضاعفة الحكومة لرسم البريد الخارجي إلى منع أكثر أجزائه عن الذين لم يدفعوا قيمة الاشتراك عما قبله في أكثر الاقطار النائية حتى علمنا أن بعضها لم يصل إلى بعض الأوفياء الذين يؤدون حقه في كل عام خطأ وقع في الإحصاء بالتمييز بين الموفين والمأطلين، فلهؤلاء الحق في طلب ما لم يصل إليهم، وأما غيرهم فلا حق لهم في طلب شيء إلا مع إرسال قيمة الاشتراك إلى آخر هذا العام وهو حق المجلد الثاني والثلاثين.

لم يرد علينا في هذا العام شيء من الانتقاد على المنار ولكن مشيخة الأزهر الرسمية قد هاجمت المنار فيه بمجلاتنا الرسمية التي سمعنا (نور الإسلام) لا بتقدي علي

يليق بعلماء الدين ، بل بالطن والسب والتجھيل والتضليل ، وأفزع لوازم التكفير ، فنضحت نفسها وهتكت الاستار عن جهلها بالكتاب والسنة وهدى سلف الأمة في عقائدها وآدابها ، وعمّا هو شر من الجهل المقابل للعلم ، وهو الجهل المقابل للعقل والحلم ، والشم والسباب ، والنيز بالالقباب ، واقتراء الكذب والبهتان ، كما علم القراء من جزء المنار الماضي (التاسع) وهذا الجزء وسيزدادون علما بذلك في أجزاء المجلد ٣٣ كان في صدر الشيخ محمد الاحمد الطواھري شيخ الأزهر لهذا العهد سخيمة وإحنة من حملات المنار على البدع والخرافات والموالد ، التي جمعت من قبيل شمائر الاسلام يحتفل بها في المساجد ، وهو قد تربى في نعمها وثروتها وجاهها ، ولم يكن يتجرأ على الرد ولا على النقد لأسباب يتوقف بيانها على سيرته العلمية والشخصية ، وهذا مما لا نخوض فيه ، ولكنه كان منذ سنين يتمنى لو يوجد في مشايخ الأزهر من يشفي غلته بالطن على المنار وصاحب المنار ، فلم يظفر بما تمناء إلا بعد أن صار شيخا للأزهر ، وصار للمشيخة مجلة ، وجعل هو من محرري هذه المجلة من ينصر رأيه في بدع القبور والمشاهد والموالد وغيرها وهو الشيخ يوسف الدجوي ، وكان يعلم أن في صدر هذا الشيخ مثل ما في صدره من سخيمة وحقد على صاحب المنار فأباح له أن ينشر في مجلة الأزهر ما نشره من تأييد البدع والخرافات ، وكان من المعلوم بالبداهة أن ينتقد ذلك عليها صاحب المنار وقد كان . وكان من جرائه ما كان من عدوان ، واقتراء وبهتان ، والدليل على ما بسطنا في حديث السعي للصلح ومنه وعد شيخ الأزهر بنشر اجوبتنا عن مطاعن مجلة المشيخة ، وإصدار امره بمنع توزيع رسالة الدجوي البذيئة وعدم تنفيذ الخ ولو حاكنا الطاعن ورئيس تحرير مجلة المشيخة الى محكمة الجنايات لحكمت عليهما بالعقاب أو اضطرتهما الى طلب الصلح بناء على ما يعترفان به من الذنب والاعتذار عنه ولكننا حاكنا المشيخة ومجلتها الى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقواعد العلم الحق في محكمة الأمة وهي الصحافة فكان الحكم العدل عليها شديدا ، ونصر الله صاحب المنار على شيخ الأزهر وعلى الشيخ الدجوي ، وأظهر فضل منار الاسلام الصحيح على مجلة الأزهر والله الحمد من قبل ومن بعد . ينصر من يشاء وهو القوي العزيز

سيكون أهم مسائل المجلد الثالث والثلاثين أتمام بحث الوحي المحمدي ومقاصد القرآن وكليات فقهاء الأعلى على الوجه الذي تبين به أنه لا يمكن إصلاح فساد الأمم والدول في هذا العصر بدون اتباع القرآن، والإيمان بنبوته محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وهذا موضوع لم يسبقنا أحد إلى مثله فيما نعلم

وسنتقي على هذا بإبطال مسيحية الدجال ميرزا غلام أحمد القادياني واتباعه المدعين للوحي له ولهم في هذا الزمان، وبيان حقيقة حال الأزهر وما ينبغي له فيه وسنتم إن شاء الله تعالى فيه ما كنا بدأنا به من تحرير مسألة الربا وما ألحق به من الأحكام المالية ومنها معاملات المصارف (البنوك) والشركات المختلفة والأعمال وأنواع التأمين على البضائع والدور والسفن والحياة، ولا يزال أهل العلم يطالبوننا بآتمام هذا التحرير

وكنا نشرنا المسائل الأولى من موضوع محاضرتين في التجديد والمجددين وفي المساواة بين النساء والرجال، ثم شغلنا عن آتمام الأولى ما بسطنا في تاريخ الامامين الحكيمين السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده المصري من بيان تجديدهما وهو المقصد من موضوع هذه المحاضرة وشغلنا عن آتمام نشر الثانية أننا بسطنا في رسالتنا (نداء للجنس اللطيف في حقوق النساء في الاسلام) جل ما أجملناه فيها. وبقي علينا أن نختم المحاضرتين بخلاصة ما في التاريخ والرسالة لاجل اصدار مطبعنا من كل منهما على حدته كذلك كنا وعدنا به في المجلد الثامن والعشرين ان نبين رأينا في قانون الزواج الذي وضعته الحكومة المصرية لمحاكمها الشرعية، ثم نسيناه فذكرتنا به رسالة أو استفتاء لأحد العلماء في بعض الاقطار الاسلامية بين لنا شدة حاجة بلادهم الى هذا القانون وأنه ما منهم ممن العمل به الا انتظار ما نقوله فيه لشدة ثقتهم بنا وسنعود الى قراءة هذا القانون وإبداء رأينا فيه إن شاء الله. وفي الختام ندعو أهل العلم والرأي بما اعتدنا دعوتهم اليه في كل عام من الانتقاد على ما يرونه في المنار مخالفا للحق أو المصلحة العامة ونعدهم بنشره بشرطه الذي ذكرناه مراراً. ونسأل الله تعالى التوفيق لما يرضيه من بيان الحق المبين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

منشيء المنار

محمد رشيد رضا

Bibliotheca Alexandrina



0551755